

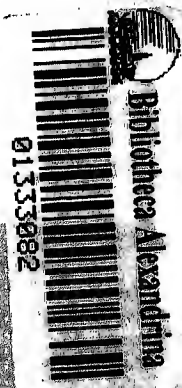
الكتب التاريخية

تاريخ المغرب العربي

٢
تاريخ دول الأغالبة والرستمين وبنى مزاروا الأدارسة
حتى قيام الفاطميين

دكتور
سعد زغلول عبد الحميد

الناشر / دار الفكر
جلال حري وشركاه



0282

١٥٤/١١٩

ع ب د

ن

٧١٢

تاريخ المغرب العربي

الجزء الثاني

تاريخ دول الاغالبة والرستميين وبنو مزار والادارة
حتى قيام الفاطميين

دكتور

سعد غلّول عبد الحميد

أستاذ التاريخ الاسلامي بجامعة الزيتونية سابقا
أستاذ بكلية الآداب جامعة الكويت



General Organization Of the Alexandria
Library (GUAL)

Bibliotheca Alexandrina

المجلة العامة لكتبة الاسكندرية	
١٩٦٩	م ١٠
سنة ١٩٦٩	
١٥٩٥٥	رقم ١٠

الناشر // مكتبة

جلال حنّو

١٠٠
١٠٠/١٠٠

ع ب د

ن

٧٠٠

تاريخ المغرب العربي

الجزء الثاني

تاريخ دول الأغالبة والرستمين وبنو مزار والادارة
حتى قيام الفاطميين

دكتور

سعد غلزل عبد الحميد

أستاذ التاريخ والادب في جامعة الاسكندرية سابقا
أستاذ بكلية الآداب جامعة الكويت



General Organization of the Alexandria
Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

المركز القومي للكتاب الاسكندرية
١٩٦٤
رقم الكتاب: ١٥٩٥٥

الناشر // ستيفان
جلال حنفي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ
قرآن کریم اسوۃ یوسفؑ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ
قرآن کریم اسوۃ یوسفؑ

المقدمة

هذا هو الجزء الثاني من كتابنا : « تاريخ المغرب العربي » من المصح إلى قيام الدولة الفاطمية ، وهو يتناول الفترة الخاصة بدول الأغالبة ، والرستميين ، والمداريين ، والإدارسة حتى قيام الدولة الفاطمية ، وإعلان خلافة المهدي عبيد الله .

وهنا أود أن أضيف هامشا إلى موضوع المصادر . ففي الفترة التي كنا نقدم فيها الكتاب إلى المطبعة ، وفقت الدكتورة نبيلة حسن ، مدرسة التاريخ الإسلامي بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية ، إلى كشف هام من مصادر تاريخ الأندلس . فلقد تعرفت على الجزء من كتاب « المقتبس » لاس حيان مما يعالج تاريخ الأندلس من سنة ١٨٠ هـ إلى سنة ٢٣٢ هـ ، وذلك بين المخطوطات المصورة بمكتبة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية .

ولقد أطلعنا على المخطوط الثمين وترودنا منه ببعض النصوص الخاصة بالعلاقة بين دول المغرب (الصدوة) ، في تلك الفترة ، وبين الأندلس . وكنا قد اكتفينا بالإشارة إلى بعضها مما يوحد بالفرنسية في كتاب الأستاذ ليفي برونسفال في « تاريخ إسبانيا الإسلامية » .

ومع تهنتني للدكتور نبيلة حسن بكشفها الهام ، أرجو أن تتم منه العائدة ، فيتيسر لها إخراج المخطوطة الثمينة محققة مدروسة في وقت قريب . وبهذه المناسبة أحب أن أكرر ما سبق أن سجلته من الشكر في المقدمة (ج ١ ص ١٠ - ١١) لكل من عاونني في إخراج هذا الكتاب ، من : الدكتورة نبيلة حسن ، والدكتور محمد عبدالمعال أحمد ، إلى الأستاذين محمد عبد العزيز ويوسف شكرى ، وكذلك الناشر السكندري الأستاذ جلال حزي .

والأمل أن يوفقنا الله في إخراج الجزء الثالث من الكتاب ، في : تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب : من الأئمة وخلفائهم في المغرب ، إلى الهجرة الهلالية - إنه نعم المولى ونعم النصير .

سعد زغلول عبد الحميد

الكويت في ١٩٧٩/٣/٨

المقدمة

هذا هو الجزء الثاني من كتابنا « تاريخ المغرب العربي » من الفتح الى قيام الدولة الفاطمية ، وهو يتناول الفترة الخاصة بدول الأغالبة ، والمرستيميين ، والمداريين ، والأدارسة حتى قيام الدولة الفاطمية ، وعلان خلافة المهدي عبيد الله .

وهنا أود أن أضيف هامشا الى موضوع المصادر . ففي الفترة التي كنا نقدم فيها الكتاب الى المطبعة ، وفقت الدكتوراة نبيلة حسن ، مدرسة التاريخ الاسلامي بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، الى كشف هام في مصادر تاريخ الأندلس . فلقد تعرفت على الجزء من كتاب « المقتبس » لاس حيان مما يعالج تاريخ الأندلس من سنة ١٨٠ هـ الى سنة ٢٣٢ هـ ، وذلك بين المخطوطات المصورة بمكتبة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية .

ولقد أطلعنا على المخطوط الثمين وترودنا منه ببعض النصوص الخاصة بالعلاقة بين دول المغرب (الهدوة) ، في تلك الفترة ، وبين الأندلس . وكنا قد اكتفينا بالإشارة الى بعضها مما يوحد بالفرنسية في كتاب الأستاذ ليفي برونسفال في « تاريخ اسبانيا الاسلامية » .

ومع تهنئتي للدكتور نبيلة حسن بكشفها الهام ، أرجو أن تتم منه العائدة ، فيتيسر لها اخراج المخطوطة الثمينة محققة مدروسة في وقت قريب . وبهذه المناسبة أحب أن أكرر ما سبق أن سجلته من الشكر في المقدمة (ج ١ ص ١٠ - ١١) لكل من عاونني في اخراج هذا الكتاب ، من : الدكتور نبيلة حسن ، والدكتور محمد عبدالعال أحمد ، الى الأستاذين محمد عبد العزيز ويوسف شكرى ، وكذلك الناشر السكندري الأستاذ جلال حزي .

والأمل أن يوفقنا الله في اخراج الجزء الثالث من الكتاب ، في : تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب : من الأئمة وخلفائهم في المغرب ، الى الهجرة الهلالية - انه نعم المولى ونعم النصير .

سمعد زغلول عبد الحميد

الكويت في ١٩٧٩/٣/٨

محتويات الجزء الثاني

المقدمة

محتويات ص ١

مقدمة لعرب الى . بع دور ص ٢٣

الفصل الأول

قيام الأغالة في القيروان ، ص ٢٥

ابراهيم بن الأغلب ص ٢٧ - عباسه (القصر القديم) عاصمة
جديدة لأمير ص ٣١

أقرار ابن الأغلب للامور في الفريقية : بوره حريس انكندى في تونس ،
ص ٣٤ - ثورة الحمد في طرابلس ص ٣٦ - ثورة عمران بن ميجالد
و الوزير ، ص ٣٦

ولاية أبي العباس عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب ، ص ٤٠ - سقوط
تقاهم بين أفراد الأسرة ، ومحاولة اصلاح مالي ، ص ٤١ - معارضة الفقهاء
للاصلاح المالي ، ص ٤١ .

زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب : سياسة قوية . قوامها العنف
والقبو ، ص ٤٣ - ثورة ابن الصقليه ، وعصيان عمرو القيسي ، ص ٤٤ -
ردود الفعل لسياسة العنف بوجه الطنبلي ص ٤٦ - يوم دار الصناعة :
الغدير يحدد القروا في تونس ، ص ٤٧ - ثورة منصور الطنبلي تستشري ،
ص ٤٩ - « ملوك الطوائف » مافريقية ص ٥٠ - صف من الرجال تزيين
التبداند صلاحه زيادة الله بطاير الطسدي على ابوب القيروان ، ص ٥٢ -
ما بين الانتصار في القيروان والهرسة في سيبه ص ٥٣ - علاقة غريبة

محتويات الجزء الثاني

المقدمة

محتويات ص ١

نصاءة لعرب الى . بيع دور . ص ٢٣

الفصل الأول

قيام الأغالة في القيروان . ص ٢٥

ابراهيم بن الأغلب ص ٢٧ - عباسه (القصر القديم) عاصمة
جندة لامرئ ص ٣١

اقرار ابن الأغلب للامور في افريقية : ثورة حريس الكندي في تونس ،
ص ٣٤ - ثورة الحسد في طرابلس . ص ٣٦ - ثورة عمران بن ميجاليد
و الودير . ص ٣٦

ولاية ابي العباس عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب . ص ٤٠ - سقوطه
تفاهم بين افراد الأسرة ، ومحاولة اصلاح مالي . ص ٤١ - معارضة الفقهاء
للاصلاح المالي . ص ٤١ .

قيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب : سياسة قوية . قوامها : العنف
والقبو ، ص ٤٣ - ثورة ابن الصقليه ، وعصيان عمرو القيسي ، ص ٤٤ -
ردود الفعل . لسياسة العنف . ثبوته الطنبلي . ص ٤٦ - يوم دار الصناعة :
الغلبة بجند القروان في تونس ، ص ٤٧ - ثورة منصور الطنبلي تستشهي .
ص ٤٩ - و ملوك الطوائف . ما فريقية . ص ٥٠ - صنف من الرجال تزيين
الشبدان صلاه . ريادة الله بطا . الطندي على ابو - القيروان ، ص ٥٢ -
ما بين الانتص . في القيروان والهرسة في سبيبة . ص ٥٣ - علاقة غريبة

بإخلافه وسط دوامة الاضطراب ، ص ٥٤ - انتقال الصراع الى الجنوب التونسي ، حيث عامر بن نافع ، ص ٥٥ - ظروف موالية لزيادة الله : الصراع بين منصور الطنبلدي ، وعامر بن نافع في تونس ، ص ٥٦ - عامر يفسد بمنصور ، ص ٥٧ - نهاية منصور الطنبلدي : الحكم عليه بالاعدام ، ص ٥٨ - نتائج مقتل الطنبلدي في صفوف الجند المتمرد ، منافسون جدد لعامر بن نافع ، ص ٥٩ - تحسن الموقف بالنسبة لزيادة الله : قرار فتح صقلية ، ووفاء عامر بن نافع ، ص ٦٠ - نهاية الفتنة ، ص ٦٠ - اضطرابات حفيفة بين الجند ، وخاصة في تونس ، ص ٦١ - العفو عن المتمردين ، ص ٦٢ - تقويم زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب : شخصية مزدوجة ، رقة تغلفها الغلظة ، ص ٦٣ - زيادة الله شاعرا ، ص ٦٤ - ما بين فسقه وورعه ، ص ٦٥ - أبو محرز قاضيا ، ص ٦٦ - ما بين أبي محرز وأسد بن الفرات ، ص ٦٧ - أسد بن الفرات ، ص ٦٩ - أحمد بن أبي محرز ، ص ٧٠ - أعمال زيادة الله العمرانية : رباط سوسة ، ص ٧١ - قنطرة باب أبي الربيع ، ص ٧٢ - مسجد القيروان الجامع ، ص ٧٣ -

أبو عقال الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب ، المعروف بخزر : الأمن على عهد الأغلب ، ص ٧٥ - خزر ، ص ٧٦ - العودة الى ضريبة العشر ، ص ٧٦ - ضبط الجند والعمال ، ص ٧٧ - منح النبذ ، ص ٧٧ -

أبو العباس محمد بن الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب : معالم العهد . ص ٧٨ - ملك محدود المواهب ، حسن الطالع ، ص ٧٩ - انقلاب يدبره أخوه أحمد ، ص ٧٩ - استبداد أحمد بالسلطة ، ص ٨٠ - محمد يستعيد سلطانه ، ص ٨١ - من نتائج الصراع بين الأخوين : اضطراب بلاد الزاب ، ص ٨٣ - اضطراب تونس : ثورة القويح ، ص ٨٤ - استكمال العمل في رباط سوسة ، وبناء « البباسية » قرب تاهرت ، ص ٨٥ - ازدهار المالكية على أيام محمد بن الأغلب ، ص ٨٦ -

الأبام سحنون : شبابه وتكوينه العلمي ، ص ٨٦ - سحنون ناسكا ، على مذهب أهل المدينة ، ص ٨٨ - ولاية سحنون القضاء ، ص ٩٠ - تنظيماته القضائية : درجات القضاء ، ص ٩٠ - أعوان القاضي ، ص ٩١ - القضاء والأمر بالمعروف ، ص ٩٢ - الحسبة في الأسواق والقضاء على الكلاب الضالة ، ص ٩٣ - سلطانه في الأندلس ، ص ٩٣ - توسيع نطاق الحسبة ، ص ٩٣ - الإشراف على الجامع ، ص ٩٣ - مجلس القضاء والاجراءات القضائية ، ص ٩٤ - المسلة في تطبيق القانون ، ص ٩٤ - الأمير يعين قاضيا ثانيا الى

ح - حنون ص ٩٧ - راث سخون ص ١٨ - سداد شعبي لوفاة حنون ، ص ٩٨ .

أبو ابراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب ، ص ٩٩ - اضطراب منطقة طرابلس ، ص ١٠٠ - أعمال الأمير الشاب الربعة ، ص ١٠٠ - أعمال العمرانية . مواجل الماء ، توسيع جامع القيروان ، د ، جامع سوسة . ص ١٠١ - وفاة محبودة ، ص ١٠٣ .

أبو محمد زيادة لله بن محمد بن الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب : شاك زرين يحكم بلدة ستة واحدة ، ص ١٠٤ .

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب (أبو الفرائيق) ، ص ١٠٤ - ضاح في مقتل العبر . معجل على الحيسة ، حرم بالصعيد ، ص ١٠٥ - مع مائة ص ١٠٦ - أعمال عمرانية على أيام أبي الفرائيق ، ص ١٠٧ . محمد بن سخون : أهم أعماله ، والحياة الدينية على عهد الأمير أبي الفرائيق ، ص ١٠٧ - الصراع بين المالكية والحنفية : محبة محمد بن سخون ، ص ١٠٨ - أفكاره السياسية اثنينية ، ص ١٠٩ - موقعه من الارجاء . النزاع بين السحرية والمدوسية . ص ١٠٩ - الخصومة مع القاضي وصاحب الصلاة ، ص ١١ - وفاة أبي الفرائيق . نهاية تعة للشباب اللاهي وسط أقطار التدب والنسك ، ص ١١٢ .

أبو اسحق ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب ، ولايته ، تنحية أبي عقاب ابن أبي الفرائيق ، ص ١١٣ - عهد الاستبداد والاصلاح : ذروة العصر الأعلى ، أمير نموذج للملك الأغالبة ، ص ١١٤ - بناء غاصصة جديدة . رقادة ، ص ١١٦ - الحدم الصقالبة في القصر القديم يختجون على تغيير العاصمة . و ابراهيم يرد عيهم بالعنف ، ص ١٢٩ - استخدام الجند من السودان . ص ١١٩ - متاعب خارجية في طرابلس : مواجهة غير متوقعة بين الأغالبة والطولونيين . ص ١٢٠ - مسير العباس بن أحمد بن طولون إلى برقة ، ص ١٢٠ - العباس يتصل بالقبائل في طرابلس وانريقية ، ص ١٢٢ - ابراهيم يبعث قائده ابن قرحب نحو طرابلس ، ص ١٢٣ - اللقاء بين الأغالبة والطولونيين في وادي ورداسة ، ص ١٢٣ - الطولوسون يدخلون لبدية ويحاصرون طرابلس . وقياس اباضية نفوسة حدهم . ص ١٢٣ - انسحاب هير منتظم للقوات الطولونية أمام الاباضية ، ص ٣٤ - الاموال المصرية تسد فراغا في خزانة ابراهيم . ص ١٢٥ - المجاعة

والاضطرابات الداخلية . ص ١٢٦ - وزداجة في باجة ، ص ١٢٦ - هواره
(ما بين العصيان والطاعة) ، ص ١٢٧ - لوانة في باجة ، ص ١٢٧ .

إلى بلزم لمدة خمس سنوات تنتهي بإصلاح مالي ، ص ١٢٨ - درهم
الفضة وحدة التعامل الصغرى ، ونورة صغار التجار في القبروان . ص ١٢٨ .
استقرار الإصلاح النقدي ، ص ١٢٩ .

تبدل في مزاج ابراهيم بن أحمد نحو القسوة الدموية ، وأثر ذلك على
مجريات الأمور . وتصفية رجال الدولة والمقربين بطريقة سوداوية :
القاضي ، ص ١٢٩ - الكاتب ، ص ١٣٠ - الحاجب ، ص ١٣١ - عامل
الحراج ، ص ١٣١ - الطبيب الخطير : خبير السموم ، ص ١٣١ - الفتى
الحاجب ، ص ١٣٢ - فتیان الصقالبة ، وعلم النجوم ، ص ١٣٢ . استخدام
السودان ، ص ١٣٣ - مذبحه غرب يلتزمه - للمسار الأول في نفس الدولة
الأغلبية ، ص ١٣٤ - انتفاض البلاد على ابراهيم بن أحمد ، ص ١٣٦ -
الاضطراب يعم كل المملكة ، ص ١٣٦ - مبدأ قرق تسد - القمل على التفرقة
بين المخالفين ، ص ١٣٧ - ابراهيم يقضى على الثوار واحد بعد الآخر .
الجزيرة ، ص ١٣٧ - قمودة ، ص ١٣٨ - تونس ، ص ١٣٨ - تونس مرة
أخرى ، ص ١٣٨ - اتخاذ مدينة تونس مقرا لإبراهيم ، ص ١٣٩ - ابراهيم
ابن أحمد يشدد قبضته على البلاد : العهد الى أبنائه بولاية الأقاليم ، ص
١٣٩ - هل أدت النقلة الى تونس أغراضها ؟ : العودة الى رقادة ، ص ١٤٠ -
الأحوال عند جلالانفجار في إقليم طرابلس والحلقة محتج على سياسة ابراهيم
النعيمية في تونس ، ص ١٤٠ - قبائل بعوسة الامامية في إقليم طرابلس
تقف ضد ابراهيم ، ص ١٤١ - ابراهيم يسير بعنسه لقتال بعوسة . وقعه
مانو ، ص ١٤١ - قتال عظيم ، وانتقام مروع ، ص ١٤٢ - قتل ولى طرابلس .
محمد بن زيادة الله ، وإشاعة الرعب في الاقليم ، ص ١٤٣ - اضطراب
العسكر . ص ١٤٣ - نوع من الرقابة الشعبية : شيخ صالح يأمر ابراهيم
بالمروق ، ص ١٤٤ - هل حققت دعوة الشيخ الصالح غرضها ؟ ، ص ١٤٤ -
تحذير جديد من الخلافة : مقدمة للاعتزال . ص ١٤٥ - نجاح أبى عبد الله
الشمسي واعتزال ابراهيم بن أحمد ، ص ١٤٦ - نوبة ابراهيم ، ص ١٤٧ -
الاعتزال والعهد لأبى العباس . ص ١٤٨ .

وفاة ابراهيم بن أحمد في ايطاكيسا ، ص ١٤٨ - شخصية ابراهيم
وتتويم عهد ، ص ١٤٨ - ما بين الجائر الظالم والمصلح العادل . ص ١٤٩ -
في أعماله العمرانية : تأمين الطرق وبناء المحارس ، ص ١٤٩ - ما بين الأمور

العامة وشؤون الأمير الخاصة ، ص ١٥٠ - مستبد مصلح : أثر الإصلاحات
المستأجلة ، ص ١٥١ - عنف في سبيل هبة الدولة ، ص ١٥١ - أسرار
القصور ، وأثرها على نفسية الأمير ، ص ١٥٢ - والدته إبراهيم : شخصية
عامة تقبع في ظل الأمير ، ص ١٥٢ - الوالدة تدل في التبارك ، والأمير
ينصف المثلين معها ، ص ١٥٢ - دعوة المتظلمين إلى مجلس الأمير ، ص
١٥٣ - مآسى الحريم ومسئولية الوالدة وغيرها من النساء ، ص ١٥٣ - تقييم
أخير حطية عصر ، ص ١٥٤ - تمزيق بين الخير والشر ، ص ١٥٥ .

أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأتاب بن إبراهيم
ابن الأتلب : نائب الملك ، الفارس العالم ، ص ١٥٦ - إعادة النظر في أعمال
الوالد المناسك ، ص ١٥٦ - أبو العباس أمير ، ص ١٥٧ - أبو العباس يتنكس
بدوره ، ص ١٥٨ - وشاية بولي العهد : زيادة الله ، تنتهي بحبسه ، ص ١٥٨
- مقتل أبي العباس بأيدي فتيانه ، ص ١٥٩ .

آخر الأغلبة ، أبو نصر زيادة الله بن أبي العباس محمد بن إبراهيم
ابن أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب : ولاية تمنها شراء
القواد ، والفدر بالأعمام ، وقتل الأخوة والفتيان ، ص ١٦٠ - نتائج فاشلة
لمقدمات تصفة ، ص ١٦٢ - أحكام نظام الدولة وترتيب الدواوين ، ص ١٦٢ -
الصراع ضد أبي عبد الله الشيعي : محاولات جادة بدون طائل ، ص ١٦٣ -
التطلع نحو الخلافة شرقا ، والحسينيين في الغرب ، ص ١٦٥ - تبينة الرأي
العام في إفريقية ضد الشيعي ، ص ١٦٥ - هدية إلى الخليفة ، ص ١٦٦ -
نقل العاصمة إلى رقادة ، وعبت وقت الجهد ، ص ١٦٧ - الإعداد الجدي لحرب
الداعي ، ص ١٦٨ - موقعة خاسرة قرب قسنطينة ، ص ١٦٨ - نتائج الهزيمة :
معتويات متدنية في الجيش الأغلب ، ص ١٦٩ - تخطيط زيادة الله في اختيار
الرجال ، ص ١٦٩ - الأربس - على أبواب القيروان - نفرا ، ومقرأ مؤقتا
للأمير وحاشيته ، ص ١٧٠ - ما بين الجد والهزل في مركز القيادة ، ص ١٧١ -
استيلاء الداعي على بلزمة وطبنة ، ص ١٧١ - حرب الدعاية تسير جنباً إلى
جنب مع القتال : أبو عبد الله يلفي نظام الضرائب الأغلب ، ويعلن العودة إلى
السنة في طبنة ، ص ١٧٢ - زيادة الله يحاول اكتساب أحسن قسطنطينية
(توزر) برفع الظلم عنهم ، فيسبى إلى عماله ، ص ١٧٣ - محاولات لاستعادة
الزاب : ابن حبشي يخرج بقواته إلى طبنة ، ص ١٧٣ - درون الملبى يسير
إلى بلزمة ، ص ١٧٤ .

بداية التفتت : تحصين رقادة والانصراف إلى اللهو ، ص ١٧٤ - التفتت

- ٦ -

في الرحيل إلى مصر ، من ١٧٦ - ماتم القبروان يكاد ينقلب عرسا . زيارة
سفير القسطنطينية ، من ١٧٧ - بحرية زيادة لله إلى تونس ، من ١٧٧ -
جولة كبرى لأبي عبد الله يحتاج فيها ما بين صجانة وقسوة . من ١٧٨ -
الاستيلاء على قسطنطينية ، جلال الجريد من ١٧٨ - رد فعل اليم في العاصمة
من ١٧٩ - الجولة الأخيرة لمسقوط الأريس ، من ١٧٩ - زيادة الله سيد العنة
للرحيل ، من ١٨٠ - قرار ماساوي ، من ١٨١ - عمليات النهب تبدأ بالوزير ،
من ١٨٢ - نهج وقادة ، من ١٨٢ - إبراهيم بن أبي الأغلب يقوم بمحاولة
فاشلة لتقلد الامارة في رقادة ، من ١٨٣ .

الفصل الثاني

صقلية الأغلبية . واستقرار العرب في جنوب إيطاليا ، من ١٨٧

تهديد : العرب وصقلية قبل الفتح الإسلامي ، من ١٨٩ - حملات تونس
الاولى على الجزيرة . من ١٩٠ - ارب محاولة للاستقرار في الجزيرة ، من ١٩٤
- الروم يصنعون الجزيرة . من ١٩٥ - الأغلبية يتصرفون على صقلية وغيرها
من الجزر . من ١٩٦ .

صقلية . كما عرفها الكتاب العرب : البلاد والسكان

١ - البلاد : الاسم ، صقلية . من ١٩٧ - الموقع . من ١٩٨ - الشكل :
التساحل الشرقي . من ١٩٩ - الشاطئ الجنوبي ، من ٢٠١ - الشاطئ
الشمالي ، من ٢٠١ - الوصف جزيرة الحصب والعمران ، من ٢٠٤ - انة
الأندلس ، من ٢٠٥ - التروة المعدنية . من ٢٠٥ - جبل النار ، من ٢٠٦ -
المخبر الحفافي والذهب من ٢٠٦ - اكبريت ، من ٢٠٦ - النفط ،
من ٢٠٧ .
٢ - السكان ، من ٢٠٧ - روم افرقية يعمرون صقلية ، من ٢٠٨ .

فتح الأغلبية لصقلية

- القناعات : صقلية ، اثار اهل العهد ، من ٢١٠ - الصقليون ينقضون
الصلح ، من ٢١١ - صراعات داخلية في الجزيرة تمهد للفتح ، من ٢١٢ -
حقيقة عرض قيم ، واحتمالات النجاح والفشل ، ودور أسد بن الفرات ،
من ٢١٣ - رأى للشجعان ينصرف تحت بين الفرات خائف ، من ٢١٤ - الاجتهاد

في بناء السور للحملة ، دار صناعة في مقبرة «سوية» ، ص ٢١٥ - نخروج
أسد من القيروان ، ص ٢١٦ - حجم الحملة ومعداتنا ، ص ٢١٧ - اقلاع
الحملة الى مازر ، ص ٢١٨ - ملزق قاعدة العمليات ، ص ٢١٨ - اللقاء مع حاكم
الجزيرة في «مرج بلاطه» ، ص ٢١٦ - التوسع نحو سرقوسة ، ص ٢٢٠ -
حصار سرقوسة ، ص ٢٢١ - القحط والوباء ، ص ٢٢٢ - استمبار الضيفط
على سرقوسة ، ص ٢٢٢ - وفاة ابن الفرات في الوباء مع وصول تاسطول
من القسطنطينية ، ص ٢٢٣ - اختيار محمد بن أبي الجوارى قائدا ، ص
٢٢٤ - الوباء ، والروم أمام العرب : العودة الى مازر والتفكير في الرجوع ،
ص ٢٢٤ - نيمى يستمر في معارضة العرب ، فيقتله الروم في قصر يانة ،
ص ٢٢٥ - هزيمة الأرمن البيزنطيين في حيز قصر يانة ، ص ٢٢٥ - وفاة ابن
أبي الجوارى ، وولاية زهير بن نرغوث ، وهزيمة مؤلة أمام الأرمن ، ص ٢٢٦ -
حصار العرب في ميناو ، ص ٢٢٦ - حرب الاستتال : العرب يخربون قاعدتهم
في جرجنت ، وينضمون الى اخوانهم في مازر ، ص ٢٢٧ .

البحريون الأندلسيون ، وغزو صقلية ، ص ٢٢٨ - العلاقة مع غزو
كريت ، ص ٢٢٩ - حملة الغزاة الأندلسيين ، ص ٢٣٠ - النزول قرب مازر ،
أعمال الأندلسيين تحت قيادة فرغلوش ، فك الحصار عن ميناو ، وهدمها ،
ص ٢٣١ - أخذ بلرم ، ووفاته القائد فرغلوش في الوباء ، ص ٢٣٢ - الحلاف
مع الأندلسيين ، وعودتهم الى بلادهم ، ص ٢٣٣ .

ولاية أبي فهر محمد بن عبد الله التميمي لصقلية ، ص ٢٣٣ - ما بين
صقلية وتونس ، ص ٢٣٤ - غارات على قصر يانة ، ص ٢٣٤ - غارات على
طبرمين ، وغدر الجند بقائدهم محمد بن سالك ، ص ٢٣٥ - غارات قسطن
سرقوسة بقيادة الفضل بن يعقوب ، ص ٢٣٥ - من المواهب الحربية التي
أظهرها كل من العرب والروم ، ص ٢٣٥ .

ولاية أبي الأغلب إبراهيم بن عبد الله ، أعمال حربية في الطريق الى
الجزيرة ، ص ٢٣٦ - توسيع النشاط الحربي الى مسينا ، ص ٢٣٧ - الى
قطانية ، ص ٢٣٧ - الى قصر يانة ، هزيمة السرية ، وأسر قائدها عبيد السلام
ابن عبد الوهاب ، ص ٢٣٧ - اخضاع قصر يانة ، ص ٢٣٨ - الحرب البحرية
ووفاته زيلعة الله ، ص ٢٣٨ - خلاصة ما تم في صقلية على عهد زيادة الله
الأول ، ص ٢٤٠ .

الفتوح في عهد أبي عقاب الأغلبي بن إبراهيم بن الأغلب : حملة من إفريقية ، وتوسع في دخل الجزيرة ، وفي جنوب إيطاليا ، ص ٢٤٠ -
الفتوح في كلابريا بجنوب إيطاليا - ص ٢٤١ - العرب يوطنون أقلامهم في وسط الجزيرة ، ص ٢٤١ - محاولة فتح باري - ص ٢٤٢ - فتح نابولي وميسينا ، ص ٢٤٢ - امتداد المريد ، واختيار مقاومة الروم - الإلحاح على مدينة لنتيني - ص ٢٤٣ - أخذ لنتيني ، ص ٢٤٤ - الاستيلاء على طارنت في ليارديا ، ص ٢٤٥ - أخذ أرو - ص ٢٤٥ ، ومنها ، ص ٢٤٥ - وفاة أبي الأغلبي إبراهيم بن عبد الله - ص ٢٤٦ -

ولاية العباس بن الفضل بمعرفة الجند : قيادة قوية حازمة ، ص ٢٤٦ - الإلحاح على قصر يانة واجتياح أسلح الشرق ، ص ٢٤٧ - الاستيلاء على الحصن الجديد ، ص ٢٤٨ - فتح قصر يانة ، ص ٢٤٩ - رد الفعل لدى الروم : حملة بحرية إلى الجزيرة تنتهي بالفشل ، ص ٢٥١ - انتفاضات للروم ، ص ٢٥٢ - أعمار قصر يانة ، وفاة العباس بن الفضل ، ص ٢٥٣ - تقسيم أعمال العباس ، ص ٢٤٧ -

أمر قوي في مستوى العباس بن الفضل وابنه عبد الله : خفاجة بن صفيان وابنه محمد . فترة سنييه أحمد بن يعقوب . وعبد الله بن العباس ، ص ٢٥٤ - اختيار خفاجة بن صفيان ، ص ٢٥٥ - التوسع في إقليم سرقوسة والركن الجنوبي الشرقي : فتح تونس ، ص ٢٥٥ - خصائص الفتوح في الجزيرة ، ص ٢٥٦ - صلح طبرمين ، مقاضيات طريفة تشترك فيها النساء ، ص ٢٥٧ - صلح أرغوص - والعبان ، ص ٢٥٧ - إلحاح مستمر على إقليم سرقوسة ، وقطانيا ، ص ٢٥٨ - محاولة لم يقدر لها النجاح لأحد صبرمين ، ص ٢٥٩ - الضغط على سرقوسة - ص ٢٦٠ - مقتل خفاجة بيد رجل من عشكره ، ص ٢٦٠ -

اختيار محمد بن خفاجة للولاية : ولاية قصيرة مد ستين ، تم خلالها فتح مالطة ، ص ٢٦١ - فتح سرقوسة - خلفاء محمد بن خفاجة ، ص ٢٦٢ - باري ولاية حرية مستقلة : خروج الفوج من ساليم في إيطاليا على أبي انفراتيق ، ص ٢٦٣ - فتح سرقوسة : مختارها مبراً وبحراً ، ص ٢٦٦ - مهم المدينة ، ص ٢٦٧ - مقتل جعفر بن محمد في مؤامرة أغلبية ، ص ٢٦٨ -

الحسن بن دباح : محاولات ضد طبرمين ، وصراع غير موفق . حينئذ الأسطول البيزنطي ، ص ٢٦٨ - الحسن بن العباس : قيادة غير موفقة ، ص ٢٦٩ -

- ٩ -

محمد بن الفضل ، عودة الى عهد القوة : غزو أنابيب قطايا وطبرمين ،
ص ٢٧٠ - اقتحام القلعة الجديدة « مدينة الملك » ، ص ٢٧٠ - الحسين بن
أحمد واليا ، ص ٢٧١ .

سودة بن محمد بن خلفجة : قيادة حازمة تبعا لتقاليد الأسرة ، غارات
على قطنيا وطبرمين ، ص ٢٧١ - عناد الأسطول البيزنطي ، والعمل على
انهاء الوجود العربي في ايطاليا ، ص ٢٧٢ - ثورة أهل بلرم على سودة ،
ص ٢٧٢ .

ولاية حبشي : أحمد بن عمر بن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب ،
ص ٢٧٣ - سودة بن محمد ، ص ٢٧٤ - محمد بن الفضل ، وصلح آلين
مع الروم ، ص ٢٧٤ - الفتنة بين العرب والبربر ، ص ٢٧٥ .

أبو العباس بن إبراهيم بن أحمد : أبو العباس ، ولي العهد ، وأليسا
بـالفتنة على أشدها ، ص ٢٧٦ ، عصيان أهل العاصمة ، ص ٢٧٦ - هزيمة
الثوار في طرابنش ، ص ٢٧٧ - هزيمة ثانية للعصاة على أبواب بلرم ،
ص ٢٧٨ - اللجوء الى بلاد الروم - ص ٢٧٨ - أبو العباس في طبرمين
وقطانيا ، ص ٢٧٩ - حصار دمنش . واحد زيوس ، ص ٢٧٩ - استدعاء أبي
العباس الى افريقية ص ٢٨٠ - إبراهيم بن أحمد مجاهدا في صقلية ،
ص ٢٨٠ - الاستيلاء على طبرمين . ص ٢٨١ - صدق سقوط طبرمين في
القسطنطينية ، ص ٢٨٢ - إبراهيم بن أحمد وفكرة الحج عن طريق
القسطنطينية . ص ٢٨٢ - فتوح إبراهيم بن أحمد بعد طبرمين ، ص ٢٨٣ -
حصار كسنته ، ومرض إبراهيم ، ص ٢٨٣ .

زيادة الله بن أبي العباس واليا ، ص ٢٨٤ - عزل زيادة الله ، ص
٢٨٤ - محمد بن السرقوسي واليا لصقلية ، ص ٢٨٥ .

أحمد بن الحسين بن وباح واليا ، ص ٢٨٥ - الصقليون يختلون طاعة
الأغلبية ويعترفون بأبي عبد الله الشيعي ، ص ٢٨٥ .

الحسن بن أحمد بن أبي خنزير ، أول وال فاطمي ، ص ٢٨٦ .

الفصل الثالث

الدولة الرستمية ، ص ٢٨٧

قيام الرستميين في تاهرت ، ص ٢٨٩ - قيروان جسيدي في المغرب .
الأوسط : بناء تاهرت الرستمية أو تاهرت الجديدة ، ص ٢٩٥ .

امامة عبد الرحمن بن رستم ، وتطور الأفكار الخارجية ، ص ٢٩٩ - أعمال
عبد الرحمن بن رستم ، ص ٣٠٢ - تنظيم دولة (امامة) تاهرت على عهد
عبد الرحمن بن رستم ، ص ٣٠٥ - دولة المشاركة والمساواة ، ص ٣٠٧ -
التنظيم المالي ، ص ٣٠٧ - تنظيم دولة رعاة ، ص ٣٠٨ - معاونو الامام ،
ص ٣٠٨ - أموال الصدقة ، ص ٣٠٩ - رواتب الامام وأعوانه ، ص ٣٠٩ -
ازدهار تاهرت على عهد عبد الرحمن بن رستم : انعاصمة الاباضية سوق
عالية ، ص ٣١٠ .

امامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، ص ٣١١ - ابن قندين ،
زعيم بني يفرن ، يطالب بمجلس للشيورى ، ص ٣١٣ - امامة قوية على عهد
عبد الوهاب ، ص ٣١٣ .

الفترة بين اباضية القرب : الانشقاق الاول . النكار (أو النكارية) ،
ص ٣١٥ - دور سدراته ومزاته في الخلاف ، ص ٣١٦ - نجح المعارضين
والمطالبة بمحاكمة عبد الوهاب ، ص ٣١٨ - تسميات جديدة للنكار ، ص
٣٢١ - علاقة المعارضين بأهل تاهرت الذين عرفوا بالوهبية ، ص ٣٢١ -
تأزم الموقف بين الفريقين ، ص ٣٢٢ - مؤامرة قصصية لاغتيال الامام ،
ص ٣٢٢ - بلاه ولي العهد أفلح ، ومقتل ابن قندين ، ص ٣٢٣ - خلاف شعيب
في احيز طرابلس ، ص ٣٢٣ - اعتزال المخالفين الذين عرفوا بالواصلية ،
وتحول الامامة الى ملكية اى خلافة ، ص ٣٢٤ - الصراع ضد النكار والواصلية ،
ص ٣٢٥ - النكار ، ص ٣٢٥ - الواصلية ، ص ٣٢٥ - الاستعانة بنفوسة
في الصراع ضد الواصلية ، ص ٣٢٦ - منساقرة حرية فتنة بهزيمة
الواصلية ، ص ٣٢٨ .

مقدمات الانشقاق الثاني ، اضطراب منطق طرابلس ، ص ٣٢٩ -
الحرب مع هواردة ، ص ٣٣٠ - عبد الوهاب في جبل نفوسة وحصار طرابلس ،

ص ٣٣١ - أزمة عدم الثقة بين عبد الوهاب واتباعه ص ٣٣٢ - الخلفية
الاشقاق الثاني ، ص ٣٣٣ - السمع بن أبي الخطاب . وولاية طرابلس .
ص ٣٣٣ - خلف بن السمع ، وولاية طرابلس ، ص ٣٣٣ - عبد الوهاب
لا يوافق على ولاية خلف ، ص ٣٣٤ - خلف يرفض الاعتزال ، ص ٣٣٤ -
استفتاء علماء المشرق والاحتجاج بالإستقلال ، ص ٣٣٥ - أبو عبيدة
عبد الحميد الجاسق والبا لجبل نفوسة ، والنزاع بين الإباضية وطرابلس والإباضية
بنفوسة . ص ٣٣٥ - معارضة خلف لولاية عبد الحميد ، ص ٣٣٧ .

عهد أفلاج بن عبد الوهاب : صفات الامام الجديد ، الشجاعة والعلم ،
ص ٣٣٧ - تاهرت على عهد أفلاج بن عبد الوهاب ، ص ٣٣٩ - رضاه للثيرة ، عن
اسم الذي كان سائرهم في الأمر ، ص ٣٣٩ - اختيارهم لمحكم الهواري
قاضي . ص ٣٣٩ - بهوى بين مرفعين . لا يشرى بين المتخاصمين ، ص ٣٤٠ .

توطد أركان المملكة وزيادة ازدهار تاهرت ، ص ٣٤٠ - قصور تاهرت ،
ص ٣٤١ - بوادي تاهرت وعناصر السكان ، ص ٣٤١ - تنظيم تاهرت على
عبد أفلاج ، ص ٣٤١ .

جبل نفوسة وحيز طرابلس : خلف بن السمع . يحمل لواء المعارضة ،
ص ٣٤٢ - الحرب بين خلف وأبي عبيدة عبد الحميد ، ص ٣٤٣ - معركة تعادل
عزوة بدر ، ص ٣٤٤ - المناظرة قبل القتال ، ص ٣٤٤ - المباشلة بعبد
المناظرة ، ص ٣٤٥ - معركة أجناون ، وهزيمة خلف ، ص ٣٤٦ - خلف
يهجر خصومه ، ص ٣٤٧ .

النفائية ، والافتراق الثالث في الإباضية على عهد الامام الفلاح :
سمية النفائية ، ص ٣٤٧ - نفات : فرج بن نصر النفوسى ، تكوينه العلمى ،
ص ٣٤٨ - ديوان جابر بن زيد ، ص ٣٤٩ - أسباب دينية للخلاف ، ص
٣٤٩ - أسباب سياسية للخلاف ، ص ٣٥٠ - ولاية قنطرة : منافسة بين
نفات وسعد بن وسيم ، ص ٣٥٠ - نفات يعطى فى الامام ويشير خلافت
فقهاء ، ما بين التقليد والتحديث ، ص ٣٥١ - ازدهار المملكة على عهد أفلاج ،
وسياسة « فرق تسد » ، ص ٣٥٣ - اعتقال ولى العهد أبى النقطان محمد
فى بغداد الى وفاة المتوكل ، ص ٣٥٤ .

أبو بكر بن الفلاح (امام تاهرت الرابع) ، اختياره : ما بين الرضى
والكراهية . ص ٣٥٥ - غلبة محمد بن عرفة على أبى بكر ، ص ٣٥٦ - عودة

- ١٢ -

أبي اليقظان محمد بن أفلح : تأثره بالنظم البغدادية ، ص ٢٥٦ - اعترافه بالأمر الواقع ، وإمامة أخيه أبي بكر ، ص ٢٥٧ - أبو اليقظان نائباً للإمام في الحكم أبو وزير ، ص ٢٥٧ - الصراع بين محمد بن عرفة وبين أبي اليقظان ، ص ٢٥٨ - الرستميون يترصدون بأبن عرفة ، ويحرضون الإمام على التخلص منه ، ص ٢٥٨ - أخذه مقتل ابن عرفة ، ص ٢٥٩ - أطراف الصراع : العجم ، والعرب ، وقفوسة ، ص ٢٥٩ - شريط الأحداث ، ص ٢٦٠ - العجم يصلون لأنفسهم ، ص ٢٦٠ - يوم حربة : وتحالف قفوسة مع العجم ، ص ٢٦١ .

انتهى الحيلاد : انشقاق الأسرة الرستمية . العرب في صف أبي بكر والعجم وقفوسة في صف أبي اليقظان ، ص ٢٦١ - تفوق العرب على العجم وقفوسة ، وحرب الحصون ، ص ٢٦٢ - تفرق الأخوة المتناصرين في البلاد ، خروج أبي بكر من تاهرت ، ونزول أبي اليقظان في كنت لواتة ، ص ٢٦٢ - نشاط أبي اليقظان في شراء الأعران ، والإعداد لغزو تاهرت على محمد بن مسالة ، ص ٢٦٢ .

أبو اليقظان معلما ، بعد حرب السبع سنوات وخراب تاهرت ، ص ٢٦٤ - شروط الصلح ، ص ٢٦٤ - الأثر المشرقي في بلاط أبي اليقظان ، ص ٢٦٤ - تاهرت تنفض عن نفسها غبار الحرب . ص ٢٦٥ - إمامة أبي اليقظان محمد بن أفلح في تاهرت ، ص ٢٦٥ .

دولة قفوسية في تاهرت : ترتيب الدولة ، وتقديم قفوسة ، ص ٢٦٦ - أهمية الحسبة ، ص ٢٦٦ - قضاء لا يفرق بين الأمير والرعية ، ص ٢٦٧ - إمام يعيد حيرة الراشدين من أئمة الرستميين ، ص ٢٦٧ - مجلس أبي اليقظان ، في الجامع ، ص ٢٦٨ - تاهرت تعود مركزا علميا مزموقا : ازدهار علم الكلام ، ص ٢٦٨ - أبو عبيدة الأعرج : نموذج للعالم الأمر بالمعروف ، ص ٢٦٩ - مهدي خارجي : افتتاح قفوسة بأبي اليقظان ، ص ٢٧٠ - نهاية ناسك : وفاة أبي اليقظان ، ص ٢٧١ .

إمام من طراز جديد : « نقيب » للعلماء وأهل الحرف : أبو حاتم يوسف ابن محمد أبي يقظان إمام تاهرت الخامس ، ص ٢٧١ - تزيينات جليطة تناسب شعبية الأمير ، واتجاهات غير بابضية في علاقاته مع الآخرين ، ص ٢٧٢ - اهتماما حثيثا بالمتنافية ، ص ٢٧٢ - « الفتاة » وتاهرت ، ص ٢٧٣ - أبو حاتم يلجأ إلى حيل لواتة ، ص ٢٧٤ - محاولة استمادته « هربت بالقوة » ،

ص ٣٧٤ - الانقسام في صفوف الرستميين يعقوب بن أفلح أميراً منافساً لأبي حاتم ، ص ٣٧٥ - فشل الأسرة الرستمية وانشقاقها : الصراع بين المطالبين بالإمامة ، ص ٣٧٦ - فشل أبي حاتم في دخول تاهرت ، ص ٣٧٦ - تكريس الانقسام بين الرستميين ، تقييم يعقوب بن أفلح : قدس يبرز في سيرته سيرة الأئمة الأول ، ص ٣٧٧ - اضطرابات تهلك الحرث والنسل لا يهيئها الا توسط زعيم مرآتي في اقرار الهدنة ، ص ٣٧٧ - التحكيم ، ص ٣٧٨ .

عودة أبي حاتم يوسف إلى تاهرت أميراً دون منافس بعصبيته الشعبية من غير الرستمية ، ص ٣٧٨ - إعادة تنظيم الحكومة في تاهرت زحماً حازم يقضى على أوكار امسداد ، ص ٣٧٩ - ازدهار مجالس العثم والمناظرة ، ص ٣٨٠ - مناظرات المؤرخ ابن الصغير . ص ٣٨٠ - أحوال جبل نفوسة على عهد أبي حاتم يوسف : أبو منصور الياس بن منصور واليا ، ص ٣٨٢ - عمرو بن فتح النفوسى قاضيا ، ص ٣٨٣ - الياس وعمروس رجلا الجبل ، ص ٣٨٤ - مطاردة حفيد خلف بن السمع ، ص ٣٨٤ - الوساطة ، وشروط الصلح ، ص ٣٨٥ - فشل الوساطة ، وهزيمة زواغة ، ص ٣٨٥ - دخول الخلفية في جربة ، وغدر زواغة بأمرهم ، ص ٣٨٦ - أبو منصور يسجن حفيد خلف في الجبل ، ص ٣٨٦ - وقعة مانو واضمحلال جبل نفوسة كقوة مساندة لإمامة تاهرت ، ص ٣٨٧ - في أسباب الموقعة . ص ٣٨٨ - مكان الموقعة ، ص ٣٨٩ - المعركة وتعشى القتل في نفوسة . ص ٣٩٠ - قائمة الحسائر الاباضية ، ص ٣٩٠ - مقتل القاضي عمرو بن فتح ، ص ٣٩١ - الانتقام من قنطرة ثم من اباضية بعرارة ، ص ٣٩٢ - عزل أفلح بن العباس من ولاية الجبل ، والسنوات الأخيرة للإمامة الرستمية بعد وقعة مانو ، ص ٣٩٣ .

ابناء الامام أبي حاتم يحرضون أبا عبد الله الشيعي : يقظان بن محمد أبي يقظان آخر الأئمة الرستميين في تاهرت . ص ٣٩٤ - مجتمع فير متنازق في تاهرت ، ص ٣٩٥ - الشيعية يدخلون تاهرت ويقتلون يقظان ، ص ٣٩٦ - تخريب تاهرت واخذ ذرائعها ، ص ٣٩٦ - خروج بقايا الرستميين إلى وارجلان ، ص ٣٩٧ - يعقوب بن أفلح في وارجلان . ص ٣٩٧ - وارجلان ووية تاهرت الرستمية في المغرب الأوسط يعقوب بن أفلح يعيد سيرة الأئمة الأوائل . ص ٣٩٨ - الافراق الربيع في الاباضية بوارجلان : أبو سليمان بن يعقوب مرجع الاباضية في وارجلان . ص ٤٠٠ - ميل أبي سلمان بن يعقوب إلى التشدد في فسواه . والنزاع مع شيخ وارجلان

الكبير أبي صالح جنون ، ص ٤٠٠ - المباحلة بين الرعيمي ، ص ٤٠١ -
مسألة الخلاف بين السلمانية والوهبية في وارحلا ، ص ٤٠١ - الاعتراق
الخامس في الاباضية بقطرارة ، ص ٤٠٢ - حدود امامة دعيت .
ص ٤٠٤ -

الفصل الرابع

امامة بني واسول الصفورية في سجلماسة ، ص ٤٠٧

موضع سجلماسة ، ص ٤٠٩ - بناء المدينة ، ص ٤٠٩ - سجلماسة
الاولى وتطورها العمراني ، ص ٤١١ - مسددار بن اليسع : مرحلة أولى .
الاضطراب في سجلماسة يعقبه فترة ازدهار ، ص ٤١٥ - الصراع على
السلطنة في سجلماسة بين ولدي مدزار ، ميمون وابن بكية ، ص ٤١٦ -
استبداد ابن الرستمية ، وعودة الأمر الى مدزار ، ص ٤١٦ - ابن بكية أميراً .
ص ٤١٦ .

الفصل الخامس

الدولة الإدريسية ، ص ٤١٩

١ - قيام الأدراسة في المغرب الأقصى وبناء مدينة فاس : أصول
خارجية للدولة العلوية ، ص ٤٢١ - دخول ادريس المغرب ، ما بين الحجاز
ومصر والمغرب ، ص ٤٢٣ - النزول في وليلي ، ص ٤٢٨ - بيعة ادريس .
ص ٤٣٠ - العمل الايجابي ، ص ٤٣٠ - الصراع ضد بني طريف ملوك
برغواطة في تامسنا ، ص ٤٣٠ - فتح تامسنا ، ص ٤٣٤ - فتح سمسار
وبناء جامعها ، ص ٤٣٤ - وفاة ادريس الأول ، ص ٤٣٥ .

٢ - ادريس الثاني (ابن ادريس) - مولده وطفولته ، ص ٤٣٧ -
امامته ، ص ٤٣٩ - قيوان آخر بالمغرب الأقصى : بناء مدينة فاس ، نشر
العروبة في المغرب الأقصى . ص ٤٤١ - اختيار موضع فاس ، ص ٤٤٤ -
البناء : عدوة الأندلس ، ص ٤٤٧ - عدوة القرويين ، ص ٤٤٧ - الأسوار
والأبواب ، ص ٤٤٨ - حطط المدينة ، ص ٤٤٩ - ما بين العدوتين ، فاس

ص ٤٥٠ - أهمية بناء مدينة فاس : تأكيد سلطان الادارسة في المغرب ،
ص ٤٥٤ - وفاة ادريس الأصغر وبداية سمات تصدع الدولة الادريسية ،
ص ٤٥٥ .

٣ - محمد بن ادريس بن ادريس ، ص ٥٧ - خلاف عيسى في سلا
وتامسنا وعصيان القاسم في طنجة : هزيمة عيسى وتجريده من أملاكه ،
ص ٤٥٩ - تاديب القاسم واعتزاله الولاية ، ص ٤٦٠ - عمر يضم الى أملاكه
أقاليم سلا وتامسنا وطنجة ص ٤٦١ .

٤ - علي بن محمد بن ادريس ص ٤٦١ .

٥ - يحيى بن محمد بن ادريس . ص ٤٦٣ - بناء جامع القرويين ، ص
٤٦٤ - صناعة البناء فاطمة القبروانيه ٤٦٤ - المال الحلال الصرف . ص
٤٦٥ - مواد البناء الحلال الصرف . ص ٤٦٦ - حجم الجامع الاول وأقسامه ،
ص ٤٦٧ - الزيادة في الجامع على عهد رمانة ص ٤٦٧

٦ - يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس : نظرة فاحصة في المصادر ،
ص ٤٦٨ - تقسيم المملكة ص ٤٦٨ - نبذة يحيى بن يحيى في مغامرة
سنيته في بعض حمات فاس ص ٤٦٩ - تحرك أهل فاس ما بين الثورة
والأمير المعروف ص ٤٧٠ - عهد الرحمن بن أبي سهل يتقلب على فاس ،
ص ٤٧١

انتقال الملك الى بيت عمر بن ادريس :

٧ - علي بن عمر بن ادريس اماما ص ٤٧١ - الأندلس والسكر
الخارجي عبد الرزاق الفهري الصغرى . واستمرار هبوب رياح الحارجية من
الأندلس الى المغرب . ص ٤٧٢ - دعوة عبد الرزاق في جبال فاس ، ص ٤٧٣ -
دار هجرة أو ثغر أندلس في بلاد الادارسة : وشقة الجديدة ، ص ٤٧٣ - دار
هجرة أو ثغر أندلس في بلاد الادارسة : وشقة الجديدة ، ص ٤٧٣ - الزحف
من وشقة على فاس ، ص ٤٧٤ - الصغرى يدخلون عدوة الأندلس ، وعدوة
القرويين تستنجد بيحيى العوام . ص ٤٧٤ .

٨ - يحيى العوام بن القاسم بن ادريس : استعادة عدوة الأندلس ،
والقضاء على ثورة مديونة وعبد الرزاق ، ص ٤٧٥ - بيعة أهل عدوة الأندلس ،
وتركيبتهم العنصرى . ص ٤٧٥ - أسرة أميرة اندلسية . مهلبية الأصل ،
لعدة زلاسل . ص ٤٧٦ .

عودة الامانة الى بنى عمر بن ادريس . ودخول فاس فى طاعة
الفاطمين :

٩ - يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس ، ص ٤٧٧ - تقييم يحيى
الرابع ، ص ٤٧٨ - وصول الفاطميين الى المغرب الأقصى ، ص ٤٧٨ .

الفصل السادس

الخريطة السياسية الحضارية لبلاد المغرب

فى اواخر القرن ال ٣ هـ / ٩ م ص ٤٨

أ - الواقع السياسى ، ص ٤٨٣ - (١) دولة الأغالبه ، ص ٤٨٤ -
(٢) دولة الرستميين ، ص ٤٨٨ - (٣) دولة المدرارين ، ص ٤٩١ -
(٤) دولة الادارسة ، ص ٤٩١ - خلاصة الموقف السياسى ، ص ٤٩٣ .

ب - الواقع الحضارى ، ص ٤٩٤ - افريقية الاغلبية ، ازدهار الزراعة ،
ص ٤٩٥ - رقى الصناعة والتعدين ، ص ٤٩٦ - تقدم النسيج . ص ٤٩٦ -
الازدهار الاقتصادى ، ص ٤٩٧ - تاهرت الرستميه . العناية بالزراة .
ص ٤٩٨ - الاهتمام بالتجارة ، ص ٤٩٩ - حراسة القوافل ، ص ٥٠٠ -
العمران خارج تاهرت . ص ٥٠٠ - عمران جبل نفوسة ، ص ٥٠١ -
سجل ماسة المدرارية ، ص ٥٠٢ - فاس الادريسية ، ص ٥٠٢ - شمال فاس .
وبلاد الريف ، ص ٥٠٣ - تلمسان واحواها بلاد بنى محمد بن سليمان .
ص ٥٠٤ - ما بنى بنى محمد بن سليمان والاباضية ، ص ٥٠٤ - ما بين
بنى محمد بن سليمان وزناتة ، ص ٥٠٥ - الادارسة فى وادى درعة والسوس
الأقصى ، ص ٥٠٥ - خلاصة الموقف العمرانى ص ٥٠٥ .

الازدهار الثقافى والحياة الروحية : الاطلس المادى ، ص ٥٠٧ - فى
افريقية ، متحف جامع القيروان ، ص ٥٠٧ - فى تاهرت ، خصائص ذاتية
حياة البساطة وانعكاساتها فى المجمع ، ص ٥٠٩ - امتداد حضارى افقى
ص ٥٠٩ - فى فاس . حضارة وسط بين القيروان وتاهرت ص ٥١١ -
جامع القرويين الادريسي ، ص ٥١١ - جامع القرويين الرئاني وتسمية العدو
باسمه ، ص ٥١٢ - فاس الادريسية ، ص ٥١٣ - تلمسان العلوية وعبرها
من حواضر الادارسة ص ٥١٣ - المحتوى المعوى ص ٥١٤

الحياة الدينية : فى افريقية ، ص ٥١٤ - ما بن المالكية والاعتزال ،
ص ٥١٥ - ما بين العلم والاجتهاد ، ص ٥١٥ - القيروان مهدا ثانيا للمالكية ،
ص ٥١٥ - مالكية القيروان . دعائم المذهب فى كل المغرب ، ص ٥١٦ -
فى فاس اردھار المذهب المالكي فى الدولة الريدية ، ص ٥١٧ - ، فى
سمرت ، ص ٥١٩ - الأئمة قادة قدوة فى العلم والعمل ، ص ٥٢٠ -
مشايخ المذهب معلمون للشعب ، ص ٥٢١ - أصول المذهب الاباضى وتطوره :
الوهبية الاباضية والخوارج ومسمياتهم ، ص ٥٢١ - أصول الوهبية المذهبية ،
ص ٥٢٢ - أفكارهم السياسية ، ص ٥٢٣ - أعمال المشايخ من فروع
المذهب . المثل الاخلاقية ، ص ٥٢٤ - احلال العلم وتقييده ، علوم الدين ،
ص ٥٢٥ - علوم النجوم والحساب ، ص ٥٢٦ - الخلاصة ، ص ٥٢٦ .

الفصل السابع

قيام الدولة الفاطمية

واعادة الوحدة الى بلاد المغرب تحت رايات آل البيت من الحسينين ، ص ٥٢٩

نهاية الدول المستقلة الأولى وقيام الدولة الفاطمية : صراع الاغلبة من
احسن النقاء « المطولة » ، ص ٥٣١ - نجاح الدعوة الفاطمية فى ارض كتامة :
حدود النشيع فى المغرب ، ص ٥٣٣ - بداية الدعاية الشيعية فى كنف
عمد الرحمن بن رباد بن اعم ، فى افريقية ، ص ٥٣٣ - بداية الدعاية
التشيعية فى المغرب الاقصى ، ص ٥٣٤ - الدعاية الشيعية فى تحوم افريقية
ومغرب الأوسط ، ص ٥٣٥ .

الفاطميون ، نسبهم وشئ عن مذهبهم : التسمية ، ص ٥٣٦ - أصول
التشيع ، ص ٥٣٧ - التشيع الفاطمى الاسماعيل ، ص ٥٣٩ - العلاقة
القرامطة ، ص ٥٤٠ - الكتمان وظهور الادعاء ، ص ٥٤١ - الجدل حول
صححة النسب ، ص ٥٤٢ .

تنظيم الدعاية الفاطمية ، وبداية ابن عبد الله الشيعى ، ص ٥٤٤ -
المتنظيم السرى الاثنى عشرى ، ص ٥٤٥ - الدعوة فى المغرب تبدأ من اليمن ،
ص ٥٤٦ - اللقاء مع حاج كتامة فى مكة ، ص ٥٤٧ .

الرحلة الى المغرب ، ص ٥٤٨ - بدء العمل الايجاسى ، ص ٥٥٠ -
محصة الرعم الكتامي ، ص ٥٥١ - تنظيم الدعوة فى كتامة دعوة سرية ،

- ١٨ -

وان كان هدفها الأمر بالمعروف ، ص ٥٥٣ - الاحوان والمشاركة ، ص ٥٥٣ -
الحلاف بين قبائل كتامة ص ٥٥٣ - تحريض ولاية الأغالبة . ص ٥٥٤ -
تمديد تازروت واتخاذها « دار هجرة » ، ص ٥٥٥ - مقام الحرب هي مادة
تحضير دار الهجرة في تازروت ، ص ٥٥٦ .

تنظيم اهل الدعوة : طبقات المؤمنين ، ص ٥٥٧ - تنظيم الخيش
وشعاراتها ، ص ٥٥٨ - احصاء القبائل ص ٥٥٨ .

الصراع مع الأغالبة ، ص ٥٥٩ - أخذ ميلة لأول مرة ص ٥٥٩ -
استعادة ميلة وتخريب تازروت ، ص ٥٦٠ - ايكجان سعيد مركزها كدار
هجرة ص ٥٦١ - عود الى اعداد المؤمنين . معنويا . وعناية بجهاز الاحبار
ص ٥٦١ - الانتصار على محمد الاحور (ابو حوال) ص ٥٦٢ - الاستيلاء
على ميه وسطيف ص ٥٦٢ - الدفاع عن منطقة القبائل والانتص . على
ابن حنسى قرب مسطيف ص ٥٦٣ - مقام هائله كن سهدن نفسه
منها وهو في سجلماسة ص ٥٦٥ - فتح بلاد الرب ص ٥٦٥ -
فتح سربة ، ص ٥٦٦ - حريمة الجند الأغلبى في دار ملو . ص ٥٦٧ - فتح
بيجس ص ٥٦٧ - حرب الدغايه ضد ابي عبد الله ومسيها ص ٥٦٨ -
نظاهرة الخروج الى الأربس ص ٥٦٩ - فتح باغانة ص ٥٦٩ - عمسات
جس سفي محدودة أحد مجاه ، ص ٥٧٠ - أحد قصر الافريسي وسفاس
وقالمة . ص ٥٧١ - الاجتياح الأخير . ومحاولات الأغالبة في الصمور . ص
٥٧٢ - انتصار محدود للأغالبة . ص ٥٧٤ - موقف تردد وحره من حرب
اهل الاقليم بين الجانبين المتصارعين ص ٥٧٤ - الاستيلاء على اميم فسطيليه
من بلاد الجريد . ص ٥٧٥ - أحد . بورر . وقفصة . ص ٥٧٦ - محاولته
أخيرة لاثبات الوجود من جانب الأغالبة . ص ٥٧٧ - الانتصار الفاصل لأبي
عبد الله في الأربس ، ص ٥٧٧ - خطة المعركة . ص ٥٧٨ - حرب الكماش
تقرر مصير المعركة . ص ٥٧٨ - العودة الى رقادة وبهاية الدولة الأغلبية
ص ٥٧٩ .

قيام الدولة الفاطمية في غيبة الامام ، ص ٥٨١ - العمل على استنفد
أموال الأغالبة والمعتقلين في الريفية من اهل الدعوة ، ص ٥٨١ - الترتيب
الادارية ، ص ٥٨٢ - الاصلاحات الدينية ، ص ٥٨٢ - شعارات الدولة ،
ص ٥٨٣ - استحضار الامام من سجلماسة ، ص ٥٨٤ - وصول المهدي الى
سجلماسة ، ص ٥٨٥ - قضية تحديد التاريخ : الخروج من الشام . ص
٥٨٥ - الرحلة العجيبة . ص ٥٨٧ - برقة ص ٥٨٩ . طرابلس ص ٥٩٠ -

- ١٩ -

توزر ، ص ٥٩٠ - وارجلان ، ص ٥٩٠ - سجلماسة ، ص ٥٩١ - السير الى
سجلماسة ، ص ٥٩٤ - القضاء على دولة تاهرت الرسمية ، ص ٥٩٤ -
القضاء على امامة سجلماسة المدارية ، ص ٥٩٥ - عبيد الله المهدي أميرا
للمؤمنين ، ص ٥٩٨ .

الكشاف بالإعلام والأماكن ، ص ٦٠١ .

الاشكال والخرائط

- شكل (١). جزيرة صقلية ، توزيع المدن تبعا لرواية الادريسي ص ٢٠٠
- شكل (٢) صقلية بين افريقية وقلورية - كما رسمها الادريسي ص ٢٠٣
- شكل (٣) صقلية وجنوب ايطاليا - كما رسمها الادريسي ص ٢٣٩
- شكل (٤) صقلية وجنوب ايطاليا ص ٢٤٢
- شكل (٥) المغرب الأوسط ص ٢٩٢
- شكل (٦) اقليم تاهرت ص ٢٩٤
- شكل (٧) المغرب الأقصى ص ٤٢٧
- شكل (٨) موقع فاس وتخطيط المدينة ص ٤٤٣
- شكل (٩). بلاد افريقية ص ٥٨٩

تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى قيام الدولة الفاطمية

الجزء الثاني

- ١ - دولة الأغالبة في إفريقية : من إبراهيم الأول إلى زيادة الله الثالث
(١٨٤ هـ / ٨٠٠ م - ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م)
- ٢ - صقلية الأغلبية : من الفتح إلى نهاية الأغالبة (٢١٢ هـ / ٨٢٧ م -
٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م)
- ٣ - إمارة الرستميين في تاهرت وجبل نفوسة (١٦١ / ٧٧٧ م - ٢٩٦ هـ /
٩٠٨ م)
- ٤ - إمارة بني واسول المدوايين الصفرية في سجلماسة (١٤٠ هـ / ٧٥٧ م -
٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م)
- ٥ - مملكة الأندلس في فاس والمغرب الأوسط (١٧٢ هـ / ٧٨٩ م - ٣٠٥ هـ /
٩١٧ م)
- ٦ - خريطة المغرب السياسية الحضارية أواخر القرن الـ ٣ هـ / ٩ م
- ٧ - قيام الدولة الفاطمية وتوحيد المغرب تحت راية المهدي : « خليفة الله .
أمير المؤمنين . (٢٨٠ هـ / ٧٩٧ م - ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م)

انقسام المغرب إلى أربع دول

بقيام دولة الأغالبة انقسم المغرب بين ثلاث دول كبرى : أقدمها دولة الرستميين الخوارج في المغرب الأوسط ، وأوسطها دولة العلويين الأدارسة في المغرب الأقصى ، وأحدثها دولة الأغالبة السنية في إفريقية والمغرب الأدنى بصرف النظر عن دولة سجلماسة الصحراوية وهي الرابعة . وكان ذلك بداية عهد جديد بالنسبة للمغرب العربي . فعلى عكس ما كان يظن من أن قيام ثلاث دول تعتنق مذاهب سياسية دينية متعادلة قد يزيد في اضطراب المغرب ، عرفت البلاد نوعا من الاستقرار بفضل ذلك الوضع الجديد ، ترقب عليه زيادة انتشار الإسلام في البلاد ، وأدى إلى ما يمكن أن يسمى بعصر النهضة .

فرغم ما في التفتت من عوامل الضعف ، ورغم ما في التقسيم من أسباب الخلاف والفرقة فإن الوضع الجديد عمل على أن يكون لكل من الأقاليم الثلاثة شخصيته الذاتية وطابعه المميز ، وأوجد نوعا من اللامركزية في القيام بالعمل الحضاري الذي كان هدف المروبة والإسلام . فلقد أسهم كل من الأقاليم بتصميمه في هذا العمل ، وقام به جنبا إلى جنب مع الآخرين - من غير قصد - خير قيام . ولقد ساعد على ذلك - رغم ما بين هذه القوى الثلاث من المنافسة - أنها لم تعدم أوجها من الشبه فيما بينها : من ذلك أنها مشرقية الأصل ، ولهذا الأمر أهمية كبرى . فرغم استقلالها السياسي عن الخلافة ، فإنها ظلت مرتبطة بالشرق عن طريق تيار من الهجرة المستمرة ، التي كان يحمل من المشرق إلى المغرب نخبا ممتازة من أقارب الأسر الحاكمة ومن بنى جلدتها ، ومن أعوانها ومعتنقي أفكارها السياسية والمذهبية . هذه الهجرة كانت تؤكد الاتصال بين المغرب المتطرف وبين مركز الخلافة وبلاد العرب ، تماما كما كان الحال بين المشرق العباسي وبلاد الأندلس الأموية - رغم ما بين الأسرتين من العداء المرير .

الفصل الأول

قيام الاغالبية في القيروان

من ابراهيم الاول الى زيادة الله الثالث

(١٨٤هـ/٨ - ٢٩٦هـ/٨ - ٩٠٨م)

إبراهيم بن الأغلب .

مؤسس الدولة الأغلبية هو إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقالة بن خناجة التميمي : ووالده الأغلب الذي كان من الجند العربي الحراساني الذي وفد مع القويث مرو الروذ ، بمعنى أنه كان من الجند العربي الحراساني الذي وفد مع القويث العباسية الى مصر . وأصبح من جندها (١) . ودخل الأغلب إفريقية في قوات مجاهد بن الأشعث سنة ١٤٤ هـ / ٧٦١ م ، وعهد إليه انتصوير بولاية إفريقية في أواخر سنة ١٤٨ هـ / أواخر ٧٦٥ م وأوائل ٧٦٦ م ، ومات بضرية سهم في سنة ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م ، ولهذا عرف به « الشهيد » (٢) . وكان إبراهيم حين مات والده ابن عشر سنين (٣) . ولا نعرف ما اذا كان في القيروان في ذلك الوقت أم في مصر ، اذ يذكر الكتاب أنه قضى مصابه في الدرس والتحصيل بالفسطاط ، وأنه كان يحضر مجالس فقيه مصر الأشهر الليث بن سعد . وقد أعجب الليث بجهد إبراهيم واجتهاده ، وبما تميز به من الصفات حتى قال يوما عنه : « ليكون بهذا الفتى شأن » (٤) . وعندما بلغ مبلغ الشباب دخل في جند مصر ، وكان عليه أن يسير الى المغرب مثل والده ،

(١) البلاذري ، ص ٢٢٢ .

(٢) يفسر الجند ، انظر فيما سبق ج ١ ص ٢٤٧ وما بعدها (وعن لقب الشهيد ، ص ٢٢ ص ١٣٥) .

(٣) توفي ابن الأغلب سنة ١٩٦ - وعمره ٥٦ سنة ، كما سنرى ، وهذا يعني انه ولد حوالي سنة ٢٤٢ هـ / ٧٥٧ م .

(٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ٩٢ (يقول النص ان إبراهيم سُمع من الليث واهله فوجه ثم جلاجل) ، وقارن الرقيق ، ص ٢١٢ - ٢١٣ (حيث النص : « ليكون لهذا الفتى شأن » ان جانب قصصيات من اختلته الى الليث لطلب العلم ، واهدائه جلاجل عند خروجه الى المغرب) .

- ٢٢٨ -

فشد رحاله الى ابرية تاركا أهله بمصر (٥).

أما عن تاريخ وصول ابراهيم بن الأغلب الى المغرب ، وبداية خدمته الـ مكرية هناك ، فمن الأمور الغامضة . وإذا كان الرقيق يورد رواية تقول انه سار مباشرة من مصر وبصحبه زوجته الى اقليم الزاب أثناء ولاية النمل بن روح ، أي فيما بين سنتي ١٧٧ هـ - ١٧٩ هـ ، وأنه نقي من النمل وسوء مبادرته شيئا عظيما ، فإنه مما يشكك في صحة هذه الرواية ما يورده الرقيق نفسه بعدها ، من : انه خلف أهله بمصر عند مسيره الى المغرب (٦) . هذا ، الى جانب أننا لا نجد ذكرا لابراهيم بن الأغلب في أحداث بلاد الزاب التي شارك فيها الفضل بن روح ، وهو الأمر المستغرب بالنسبة لضابط من أعيان جند مصر ، له عراقة ابراهيم - لو أنه كان وقتئذ في الزاب .

ومن الأمور المستغربة أيضا أن يكون ابن الأغلب ، وهو يستقبل الأرمين من عمره ، في ولاية هرثة بن أعين حوالي سنة ١٧٩ هـ ، قائدا لجماعة صغيرة من الجند تقوم بأعمال الشغب . لهذا ما يفهم من رواية أحمد ابن ناقد ، مولى بني الأغلب التي ينقلها البلاذري ، والتي تقول ان ابراهيم كان من وجوه جند مصر وأنه أغار وبصحبه ١٢ (اثنا عشر) رجلا على بيت المال بالقيروان ، فأخذوا مقدار أرزاقهم لم يزدوا عليها شيئا ، ثم انهم هربوا الى الزاب . وتمكن ابراهيم من السيطرة على من كان هناك من الجند ، كما اكتسب وذأهل الناحية ، وبذلك تغلب على الزاب ، وآلت اليه الرياسة هناك . وبفضل مناوراته الذكية ، من : ملاطفة هرثة ، واهدائه الهدايا ، واعتذاره عما بدر منه بحسن نية ، وتمسكه بالطاعة ، نجح في الحصول منه - رسميا - على ولاية الزاب (٧) .

(٥) انظر ابن عسار الذي يذكر بيتي من الشعر لابراهيم في زوجته وقد تركها بمصر : ما صرت ميلا ولا جاوزت مرحلة الا وذكرك يعني خالسا عنقني ولا ذكرتك الا بت مرتقبيا ادعى الهجوم كان الموت مستلني وقول الرقيق (ص ٢١٢) الذي يذكر البيتين ، رواية محمد بن الوكيل ، مع اختلاف ابن السكيت الثانية من البيت الأول حيث « يلقى » بدلا من « يلقى » ، وفي الشطرة الأولى من البيت الثاني : « كنت » بدلا من « بت » ، وفي الشطرة الثانية : « الليث » بدلا من « الموت » .
بدانظر الى البيه ج ١ ص ٤٩ .

(٦) الرقيق ص ٢١٢ .

(٧) البلاذري ، ص ٢٢٢ .

- ٢٩ -

والحقيقة انه زعم ما يمكن أن يتسوب هابن الروائين التتبي اعرود بهما كل من البلاذرى والرقيق من الشسوانب ، فانه يمكن أن تكمن اجدهما الأخرى ، من : حيث دخول ابراهيم بن الأغلب الى المغرب فى عهد الفصل بن روح ، ووصله الى ولاية الزاب بفضل شجاعته وحسن تديره - ان نم نقل وصوليته - على عهد هرمة الذي كان يحسب الظن فيه .

وهكذا لا نجد ابراهيم بن الأغلب فى النصوص الأخرى الا قائدا من كبار القواد ، له ولاية الزاب الهامة من قبل الخليفة هارون الرشيد نفسه ، وذلك على عهد ابن مقاتل العكي (٨) . ولا بأس أن يكون ذلك قد حدث اثر تدخله فى مصلحة ابن مقاتل . كما رأينا (٩) .

والذى يقم من التصوص ان ولاية ابراهيم لم تتم بسهولة ، وانها تحقت بعد صراع مرير بين الوالى السابق محمد بن مقاتل العكي ، الذى كان يستند الى حسن علاقته بجعفر بن يحيى البرمكى ، وبين ابراهيم الذى عمل على اكتساب تأييد رجال الخلافة فى افريقية . فهناك رواية تقول انه عندما أعاد ابن الأغلب الى الولاية محمد بن مقاتل ، كتب صاحب البريد بافريقية وهو يحيى بن زياد الى هارون الرشيد بحسن بلاء ابن الأغلب فى سبيل الخلافة - وتقرأ الرشيد تقرير صاحب البريد على أخصائه ، كما استشار هرمة بن أمية والى افريقية السابق ، فأكد له اخلاص ابراهيم للخلافة وعرفه بحب الناس له ، فكان ذلك سببا فى أن عين الرشيد بن الأغلب واليا للبلاد (١٠) ، وذلك فى سنة ٢٠ من المحرم سنة ١٨٤ هـ / ٢٠ فبراير سنة ٨٠٠م (١١) . وهناك رواية أخرى لابن الاثير تقول ان ابن الأغلب كان قد كتب الى الخليفة - بناء على رغبة أهل البلاد - يطلب منه ولاية افريقية . وانه عرض على الرشيد الاستغناء عن المعونة السنوية التى كانت تقدمها مصر الى افريقية ومقدارها ١٠٠ (مائة) ألف دينار ، وانه تعهد على العكس

(٨) الرقيق ، ص ٢١٣ ، ابن عدارى ، ج ١ ص ٩٢ ، الحلة السيرة ج ١ ص ٩٣ .

(٩) انظر لبيان سبب ، ج ١٠ ص ٣٩٣ وما بعدها .

(١٠) ابن الاثير ، املات سنة ١٨١ ج ٦ ص ٦٣ ، النويرى ، ١٠٤ ب (الترجمة) ، ابن خلدون ، ج ١ ص ٣٩٨ ، وقارن أصل الرواية فى الرقيق ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٨ : حيث اسم صاحب البريد . ابن زياد مرة ، وابن العنيل . وعن ولاية ابراهيم ، قال الرشيد . - أوجو ان يكون قد رتبها (افريقية) بحسبها . -

(١١) انظر الميون والحدائق ، ج ٣ ص ٣٠٢ .

من ذلك يدفع ٤٠ (أربعين) ألف دينار سنويا الى بيت مال الخلافة (١٢) .
ويمكن التوفيق بين الروايتين اذا اعتبرنا ان اتصال ابن الاغلب بالرشيذ كان
في طريق عمال الخلافة مثل صاحب البريد .

والظاهر ان ابن مقاتل عرفت الاتصالات التي كان يقوم بها ابن الاغلب
من خلف ظهره ، وانه حاول القيام بعمل مضاد يضمن له الاستمرار في
الولاية برغم ما كان يظهره له ابن الاغلب من الرعاية والعطف . فعندما وصل
تقليد الرشيذ لابن الاغلب أسرع هذا الى ابن مقاتل يطلب منه الا يتعجل
بالخروج من القيروان ، ويسمح له بالبقاء طالما شاء الى ان يتم جهاز الرحيل .
ولكن ابن مقاتل خرج بعد أيام الى طرابلس ، وهناك لقي مبعوثا أتى من بغداد ،
هو حماد السعدي ، يحمل رسالتين الى القيروان ، فاعتنم الفرصة وزيف
رسالة كالتة تقضى بخلع ابراهيم بن الاغلب وتقليده هو الولاية من جديد .
واتبع ابن مقاتل ذلك برسالة أخرى من لديه يعلن فيها قرب وصوله الى
القيروان ، ويأمر ابن الاغلب بالرجوع الى الزاب ، ويدعو أحد أعوانه وهو
سهل بن حاجب الى اقيام بأمر الولاية نيابة عنه والى حين حضوره (١٣) .
واغلب الظن ان ابن مقاتل كان يأمل خلال فترة انتظاره في طرابلس ان يمكن
جعفر البرمكي من تسوية الأمر مع الخليفة ، وهي الامية التي لم تتحقق .

فعندما علم الناس بذلك اضطربوا ، وطلبوا الى ابن الاغلب ان يحتفظ
بالولاية ، وأن يكتب الى الخليفة يعلمه باقتراء ابن مقاتل واختلافه . ورغم أن
ابن الاغلب وافقهم على صحة تزيف ابن مقاتل اعتمادا على علاقته القوية
بجعفر بن يحيى البرمكي ، فانه جمع رجاله وعاد بهم الى ولايته الأولى
بالزاب (١٤) ، وذلك في ١٩ ربيع الآخر / ١٨٨ مائة . وترأسه سهل بن جعفر واليا
بالنيابة ورجلا آخر صرف بأبي عزيز كصاحب للشرطة (١٥) .

(١٢) ابن الأثير . أحداث سنة ١٨١ . ج ٦ ص ٦٢ - ٦٣ (ابن خلدون . ج ٤ ص ١٦٦) .
(١٣) أنظر البيهقي والحقاني . ج ٣ ص ٣٠٢ . النويري . ص ١٠٤ ب (الترجمة .
ابن خلدون . ج ١ ص ٣٦٨ - ٣٦٩) . وقارن الرقيق . ص ٢٢٠ . الحلة السراء . ج ١
ص ٩٤ .
(١٤) أنظر البيهقي والحقاني . ج ٢ ص ٣٠٤ . النويري . ص ١٠٤ ب (الترجمة .
ابن خلدون . ج ١ ص ٣٦٩) . وقارن الرقيق . ص ٢٢٠ .
(١٥) أنظر البيهقي والحقاني . ج ٣ ص ٣٠٢ (حيث النص على أن ابراهيم سار في مدينة
تهامة) .

- ٣١ -

ولما وصلت أساء العكي الى ارشيد عصب . وكتب اليه يؤذيه علي سو-
صبيعه ويطلب اليه العودة سريعاً « غير محمود الفعال » ، فعاد ابن مقاتل الى
المشرق . وفي نفس الوقت كتب الرشيد رسالة ثانية بتولية ابراهيم
ابن الأغلب ، سار بها الرسول الى الزاب ، فعاد ابراهيم من جديد الى القيروان
في ١٢ من جمادى الآخرة سنة ١٨٤ هـ / ٩ يولية سنة ٨٠٠ م ، وتسلم
حكم من سهل بن حاجب الذي بقى في السيادة أكثر من شهرين (١٦) .

ومع انه من الجائر الشك في صحة الرواية الخاصة بمؤامرة العكي ،
لطابعها القصصى أولا ، ولأنها ثانيا لم ترد الا في الرقيق الذي ينقله الويرى
ما يحتمل ان الرواية تكرر هنا خطأ عودة ابن مقاتل الى القيروان بعد طرده
على يدى التميمي (١٧) ، فالتنا نعتقد أن المقصود بها هو اظهار محبة ابراهيم
ابن الأغلب في قلوب الناس ، وان اختياره لحكم البلاد كان استجابة لرغبة
سعب ابريقية . كما يعهم من رواية ابن الأثير (١٨) ، وهذا أمر لم يكن معروفا
الا فيما ندر . وهو يعنى ان ابراهيم بن الأغلب نجح في اكتساب محبة أهل
البريقية . ما نجح في كسب رضاء اخلافة عندما عرض الاستفتاء عن
المعونة الآتية من مصر ، بل ودفع مبلغ سنوى من المال الى الخليفة . وهذا الأمر
الاخير يعنى أن ابن الأغلب بين للخلافة أن بلاد ابريقية يمكن أن تنتعش وتقدم
اقتصاديا - مثل ولايات الخلافة الغنية - اذا ما تهيأت لها الادارة الرشيدة .

العباسية (القصر القديم) عاصمة جديدة لافريقية :

بدأ ابراهيم بن الأغلب ولايته بعمل يعتبر في حقيقته سمة من سمات
الدول الجديدة ، أو شعاعا من شعاعات كبلز الحكام : ذلك هو بناء مدينة
ملكية أو عاصمة جديدة . بدأ هذا العمل في نفس السنة التي ولى فيها أى
في سنة ١٨٤ هـ / ٨٠٠ م حسب رواية البكرى وابن الأثير (١٩) ، أو في السنة
التى تليها (١٨٥ هـ / ٨٠١ م) كما يقول ابن عذارى (٢٠) . ونعتقد أن

(١٦) الويرى . ص ١٠٥ . وقارن الرقيق . ص ٢٢٠ ، والميسون والمداق . ج ٣
ص ٣٠٢ .

(١٧) انظر فيما سبق . ص ٣٩٣ - ٣٤٩ .

(١٨) انظر فيما سبق . ص ٣٠ وهـ ١٢ .

(١٩) البكرى . ص ٢٨ . ابن الأثير . أحداث سنة ١٨١ هـ ، ج ٦ ص ٦٣ . ابن دينا ،
المؤنس . ص ٤٧ .

(٢٠) ابن عذارى . ج ١ ص ٩٢ .

الروايتين صحيحتين وإنّ الساء بدأ في السنه الأولى وتم في السنه الثانيه .
ولا شك في أن ابن الأغلب تعين في دروس الماضي ، وانه أحد العبرة من
اضطرابات القيروان ، التي كانت تموج بأهلها وعسكرها ، فرأى أن يتعد
عنها قليلا . ووقع اختياره على قطعة من الأرض على ثلاثة أميال في الجنوب
الشرقي من القيروان ، وكانت لجماعة من بني طائوت فاشترأها منهم (٢١) .
وبعد أن تم البناء أطلق ابن الأغلب على مدينته الجديدة اسم العباسية (٢٢) .
تيمنا باسم الأسرة الخلافية ، ولتكون قرينة لبهاشمية أول عاصمة عباسية
قبل بغداد (٢٣) ، هذا ولو أنها عرفت أيضا باسم القصر القديم (٢٤)
ولا تعرف ان كانت هذه التسمية الأخيرة قد ظهرت منذ بناء المدينة . به
ظهرت في وقت متأخر عن ذلك . وفي الحالة الأولى تكون العباسية قد بنيت
في موضع قلعة قديمة كانت في أرض بني طائوت . وفي الحالة الثانية تكون
التسمية قد أطلقت على عباسية بعد ان قامت قصور جديدة بجوارها . كما
سيحدث بعد بناء قصور رقادة على أيام ابراهيم الثاني بن أحمد (بن محمد
ابن الأغلب بن ابراهيم بن الأعناب) وهو عاش في الثلاثين سنة ٢٦٣ هـ
٧٦ - ٨٧٧ م (٢٥) .

ويرجع بعض للبكري الذي يمدد بعضيات لا ناس به عن طبيعه
بناء العباسية . وسكن القول انها احتوت - عموما - على قصر الأمير وما ملحق
به من الدواوين ودار سك النقود ومسكن حاشيته والمسجد الجامع . أما عن
صومعة هذا الجامع (أي مئذنته) فيصعب الجزم بالأندلسي بانه و لم يبن
أحكم منها ، ولا أحسن منظرًا . فلقد كانت الصومعة مستديرة الشكل
- كما هو الحال بالنسبة لمئذن العراق - مبنية بالآجر والعمد في مسج
طبقات (٢٦) . وتأتي بعد ذلك معسكرات الحرس . ويحيط بكل هذا الأسوار

-
- (٢١) ابن خلدون ، ج ١ ص ٩٢ ، وقارن الرقيق ص ٢٢٢ والبكري ، ص ٣٨ (على
٢ أميال قبل القيروان) .
(٢٢) ابن الأثير ، أحداث سنة ١٨١ ج ٦ ص ٦٢ .
(٢٣) من هاشمية العراق أنظر الأندلسي ، طبعة لندن ١٨٦٦ ، ٢٨٧
(٢٤) الرقيق ، ص ٢٢٢ ، ابن خلدون ، ج ١ ص ٩٣ ، وقارن ابن أبي دينا (ص ٤٧)
الذي يسميها بالقصر فقط .
(٢٥) أنظر بياض (بناء رقادة - عهد ابراهيم بن أحمد) ص ١١٦ .
(٢٦) أنظر البكري ، ص ٢٨ ، وقارن الرقيق ، ص ٢٢٢ (حيث هناك اشارات الى القصر
والمتنزه حوله . والمسجد الذي بناء فيه) وقارن البكري ، ص ١٠٥ ، التي حة ، في ملحق
ابن خلدون (ج ١ ص ٤٠٠) .

القوية المحصنة لحايتها . ثم ان ابراهيم بن الأغلب أحاط الأسوار بخندق
قيما بعد ، عندما ثار به قائد عمران بن مجالد (بعد سنة ١٩٣ هـ /
٨٠٨ م) (٢٧) . ويتصل البكرى على انه كان لتلك الأسوار خمسة أبواب ،
اثنان منها في الجانب القبلى ، وهما : باب الرخمة ، وباب الحديد ، واثنان
في الجانب الشرقى ، وهما : باب غليون وباب الريح ، وباب واحد من الجانب
الغربى ، هو باب السعادة ، مقابل المقبرة الكبيرة خارج الأسوار . وفي
وسط المدينة كانت توجد رعية كبيرة واسعة عرفت باسم « الميدان » ، ربما
كانت تستخدم لعرض الفرسان (٢٨) .

وهكذا اتسعت العباسية وأخذت تنافس القبروان بحماماتها الكثيرة ،
وفنادقها ، وأسواقها الجملة ، وموажل الماء العظيمة التي كانت تميز القبروان ،
أوقات القحط ، عندما تفرغ صياريجها العديدة من الماء (٢٩) .

وموضع القصر القديم معروف حالياً ، وان كان فى شكل قل صغير أو
كديّة : طوله حوالى ٥٠ مترا وعرضه حوالى ٣٠ مترا . ولقد أظهرت الحفائر
الحديثة على طول الواجهة الشمالية الغربية وجود قاعات متجاورة ، ومراديب
وحفر دائرية تحت الأرض . وقاعدة البناء والجدران من اللبن ، أما الأجر
فكان يستخدم فى انشاء القباب وأسقف الدور العلوى من البناء . وهذا
الجزء المكتشف يدل ببساطته على أنه كان مخصصا للمخازن ومساكن الخدم .
أما المباني الفاخرة فقد نيببت من أجل إقامة مبان جديدة (٣٠) .

وفى الوقت الذى بدأ فيه ابراهيم بن الأغلب البناء كان يعمل فى الحفاء
على تحقيق هدفه من انشاء العباسية ، وهو العمل على التحرر من تسلط
العسكر المشاغب والتمكن من مدافعتهم اذا تطلب الأمر ، وذلك بلاعتصام
بقلعته الجديدة . ولكى يحقق هدفه هذا فى هدوء اعتنى بالجند وأخذ يداريهم
حتى يضمن طاعتهم ، وكان يتحمل فى سبيل ذلك سوء أخلاقهم وشراسة
طبائعهم ، بينما أخذ فى شراء السودان بحجة استخدامهم فى الصناعة
تخفيفا على الناس من أعبائها ومشقاتها . ثم انه بدأ الخطوة الثانية فى منبيل

(٢٧) ابن الأثير ، أحداث سنة ١٨١ - ج ٦ ص ٦٢ . وبين ابن مجالد انظر فيما بعد
ص ٣٦ وما بعدها .

(٢٨) انظر البكرى ، ص ٢٨ .

(٢٩) البكرى ، ص ٢٨ .

(٣٠) ج ٢ ماركسيه كتاب الفن الاسلامى (بالفرنسية) ، ج ١ ص ٤١ - ٤٢ .

استخدام 'السودان في عسكره فاشنرى آحرين ، وحصصهم لحمل سلاح الجند ، وأرحم هؤلاء ان في ذلك اكراهما لهم (٣١) . وهو في الحقيقة كان يدرب السودان على استخدام السلاح ، كما كان يجرد الجند منه . فعندما تم بناء العباسية أخذ ينقل اليها السلاح والعدد (٣٢) ، ثم انه انقل ايضا في جنح الليل ، بأهله وحرمة وعبيده (٣٣) . ولقد أسكن عبيده هؤلاء - وهم الذين أصبحوا حرسه الخاص الذي يضع فيه ثقته - حوله ، كما أسكن معه أيضا أهل الثقة من جنده (٣٤) . وبذلك أصبحت العباسية مقرا لإبراهيم ، ومعسكره لقواته ، مثلها في ذلك منى كل المدن العربية الحديثة التي بنيت من قبل : كالكرفة والبصرة ثم واسط بالعراق ، والفسطاط بم العسكر في مصر ، وفي المغرب مثل : القيروان وتاهرت وسجلماسة وفاس (٣٥) .

اقراد ابراهيم بن الأغلب للأموار في افريقية :

ثروة خريش الكندى في تونس :

حدث ما كان يحشاه ابراهيم بن الأغلب من عسكر افريقية ، وكاتب العباسية عند حسن ظنه بها ، فقامت بدورها في المحافظة على كيان المملكة الناشئة خير قيام . ففي سنة ١٨٦ هـ / ٨٠٢ معرض ابن الأغلب لثروة خطيرة في تونس قادها والي المدينة العربي وزعيم « الأبناء » : خريش بن عبد الرحمن ابن خريش الكندى ، صهر الحسن بن حرب الكندى (٣٦) . ولا يذكر الكتاب

-
- (٣١) انظر الرقيق ، ص ٢٢٢ ، وقانون النويرى ، ص ١٠٥ والترجمة (ابن خلدون) ج ١ ملحق ٢ ص ٤٠ .
- (٣٢) ابن عدارى ، ج ١ ص ٩٣ .
- (٣٣) انظر الرقيق ، ص ٢٢٢ ، وقانون النويرى ، ص ١٠٥ والترجمة (ابن خلدون) ج ١ ملحق ٢ ص ٤٠٠ .
- (٣٤) ابن عدارى ، ج ١ ص ٩٣ ، النويرى ، ص ١٠٥ والترجمة (ابن خلدون) ج ١ ملحق ٢ ص ٤٠٠ ، وقانون الرقيق ، ص ٢٢٢ .
- (٣٥) عن تاهرت وسجلماسة وفاس انظر العصور الخاصة بها فيما بعد .
- (٣٦) انظر الحلة السوداء لابن الأبار ، ترجمة رقم ٣٢ ، ج ١ ص ١٠١ ، ص ٢ : حيث يشير حسين مؤنس الى أن الاسم في شكل خريش واضح تمام الوضوح على عكس ما هو موجود في النويرى وابن خلدون في شكل « حمديس » . كما أشار الى القرائن التي ترجع فعلا اسم خريش مثل اكفاء ابن عدارى بذكر لقب الرجل وهو الكندى ، ثم أبيات الشعر (ص ١٤٠) التي يرد فيها الاسم في شكل خريش ، مما يؤكد صحته إذ لا يستقيم مع اسم حمديس . والظاهر أن المسئول عن تعريف اسم خريش الى حمديس هو الرقيق الذي نقل عنه النويرى =

شيئا عن سبب هذه الثورة إذ يكتفون بأن الكندي نزع السواد - شعار
العباسيين - مما يعنى أنها ثورة متاهضة لخلافة أو لجندها في افريقية ،
ولأبأس أن تكون اشارته الى علي بن أبي طالب (٣٧) تعنى أن ثلثورة لونا
شيعيا ، ونجح في اجتذاب كثير من الاتباع من العرب والبربر (٣٨) . وسير
ابراهيم بن الأغلب قائده عمران بن مجالد لقتال الناصر ، وتم اللقاء عند
سبخة تونس ، وانتهى بكارثة بالنسبة للشوار ، فرغم انهزمهم أخذتهم
حسوف الجند الأغلبى : فبقى منهم عشرة آلاف رجل مصرجين بدماعهم في أرض
المعركة ، منهم الكندي نفسه (٣٩) . ودخل عمران تونس وانتقم من أنصار
خريش فقتلهم ، وأقر الأمور في المدينة (٤٠) .

= وابن خلدون (أنظر الرقيق ، ص ٢٢٤) - وما يسترعى الانتباه أن الرقيق يصف خريشا
الكندي بأنه من « أبناء العرب » ، ومؤرخ التبريدان يستخدم كلمة « الأبناء » كثيرا عند كلامه
عن عساكر تلك الفترة وحروبها . ومع أن ابن الأبار يكاد يشرح معنى « الأبناء » ، فندما يقول
أن الكندي لم يكن من الجند بل من أبناء العرب (الذين كانوا بالريقية قبل المسودة (العباسيين)) ،
فإن الذى نفهمه من روايات الرقيق أن كلمة « الأبناء » كانت تعنى وقتئذ : « أبناء الحسد
الذين ولدوا في افريقية سواء كانوا من العرب البليدين ، أو عرب الفتوح الأولى ، كما يقول
ابن الأبار ، أو من الوافدين بعد ذلك ، من أهل الشام أو الخراسانية . وانظر فيما سبق ،
ج ١ ص ٣٦١ وم ١٧٦ (عن ثورة تلمس بن قميم بأنه من الأبناء) .
وعن تاريخ ثورة الكندي ، أنظر الرقيق ، ص ٢٢٥ . (حيث سنة ١٨٦ هـ) . ابن الأثير ،
أحداث سنة ١٨١ هـ ، ج ٦ ص ٦٣ ، التبريدى ، ص ١٠٥ ب والترجمة (ابن خلدون) ج ١
ص ٤٠١ ، وقارن ابن عذارى (ج ١ ص ٩٢) الذى يضمها ضمن أحداث سنة ١٨٥ هـ ، ولو
أنه يجمع ذلك بقوله : أنه كانت لابن الأغلب مع الكندي وقائع وافقت محاربة المأمون للأمين بعد
موت الرشيد أى بعد سنة ١٩٢ هـ . وتستند أن ابن عذارى يخلط هنا بين ثورة الكندي هذه
وثورة عمران بن مجالد فيما بعد (أنظر الصفحة التالية) .

(٣٧) العلة (السرا) ، ج ١ ص ١٠٢ .

(٣٨) ابن الأثير : أحداث سنة ١٨١ هـ ، ج ٦ ص ٦٣ ، التبريدى ، ص ١٠٥ ب والترجمة
(ابن خلدون) ج ١ ملحق ٢ ، ص ٤٠٠ ، وأنظر الرقيق ، ص ٢٢٤ .
(٣٩) ابن الأثير ، أحداث سنة ١٨١ (يسى قائد ابراهيم هنا « عمران بن مخلد » ،
وهو فى الرقيق ص ٢٢٤ وما قبلها ، من حيث ينقل بن الأثير « عمران بن مغالدة ») . أما
عن حول القتال ، وعدت القتلى ثم افتاء الثوار فى تونس حسبما وصله ابن الألب للرشيد (
فانظر الرقيق ص ٢٢٥ ، التبريدى ص ١٠٥ ب والترجمة (فى ابن خلدون) ص ٤٠٠ - ٤٠١ ،
ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٦ .

(٤٠) ابن الأثير : أحداث سنة ١٨١ هـ ، ج ٦ ص ٦٣ ، التبريدى ، ص ١٠٥ ب والترجمة
(فى ابن خلدون) ج ١ ص ٤٠١ وفى مقال صاحب خريش كنه رواية الرقيق : (ص ٢٢٤)
فلأنهم كانوا شيعيون : « بغداد بغداد ، فلا والله لا أتخذ لكم طاعة بعد اليوم » .
كما يرجح أن يكون للثورة طابع مذهبي شيعي معاد للعباسيين ، وعن مشاركة حمزة بن السبال :

ثورة الجند في طرابلس :

ولقد سببت مدينة طرابلس - القريبة من موطن الاباضية في جبل نفوسة وأرض هواره ورنانة - كثيرا من المتاعب لابن الاعلب - فقد كان الطرابلسيون يشكون من الولاة وكان ابراهيم يستجيب لهم فيعزل من لا يرضون عنه . وفي سنة ١٨٩ هـ / ٨٠٥ م ثار أهل طرابلس بواليهم سفيان ابن المضاء (الذى ولى المدينة للمرة الرابعة) وأجأوه الى المسجد الجامع ثم انهم سمحوا له بالخروج بالآمان ، ولما لم يمض على ولايته شهر واحد - والظاهر أن جند طرابلس وليس أهلها هم الذين قاموا بتلك الثورة اد أن الجند هم الذين جعلوا أمر المدينة الى ابراهيم بن سفيان التميمي بدلا من ابن المضاء . ويقول ابن الاثير ، الذى ينغرد بذكر تلك الأحداث : ان الخلاف وقع بعد ذلك بين «الأبناء» بطرابلس وبين قوم من بنى أبى كنانة وسى يوسف حتى فسدت طرابلس . والظاهر أن المقصود بالأبناء : هم أبناء الجند الذين ولدوا في افريقية ، ولم ينخرطوا في سنك العسكرية ، سواء كانوا من العرب البلديين أو من الوافدين على البلاد بعد ذلك ، من : أهل الشام أو من أهل خراسان ، كما سبقت الإشارة (٤١) . فعندما بلغت ابراهيم أنباء تلك الفتنة استدعى الأبناء وحصوهم الى القبروان في ذى الحجة من نفس السنة / نوفمبر ٨٠٥ م ، وهناك سألوه العفو فأجابهم وعادوا الى بلدهم (٤٢) .

ثورة عمران بن مجالد - « الوزير » :

أما أخطر الثورات التى تعرض لها ابن الأغلب هى التى قام بها قائده ووزيره عمران بن مجالد الربيعي - قاهر خريش الكندى - بالاشتراك مع عامر بن المعمر بن سنان التميمي صاحب الشرطة ووالى قسطليلية السابق ، وعمرو بن معاوية النقيسى ، أحد فرسان قيس وسادتها في الاسلام ، وذلك سنة ١٩٤ هـ / ٨١٠ م على ما يظن (٤٣) . والظاهر أن عمران شعر بقوته بعد

= المعروف بالحرون ، قائد ابراهيم وصديقه وواليه على طبة ، في حرب خريش وما قاله فيها من الشعر ، انظر الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٠٧ - ١٠٨ .
(٤١) انظر ص ٣٤ . ج ٣٦ .

(٤٢) ابن الاثير ، سنة ١٨٩ ، ج ٧٧ .

١/ (٤٣) ابن الاثير ، بإحداث سنة ١٩٤ ، ج ٦ ص ٩٥ (حيث يذكر مسح عمران : خريش ابن النولس :) وأغلب الظن أن المقصود بذلك ثورة خريش الكندى السابقة . - وانظر الحلة السيرة ، ترجمة ٣٥ ، ج ١ ص ١٠٤ ، و ترجمة ٣٦ ص ١٠٦ (عن عامر) و ترجمة ٣٩ ص ١١٠ (عن عمرو) .

الخدمات الكبيرة التي أداها لابن الأغلب ، وأنه كان يطمح في أن يكون له مركز ممتاز بالنسبة للأمير . والتويري الذي ينقل عن الرقيق ، يعمل فتور العيلة بين ابن الأغلب وابن مجالد بأسباب شخصية ، وذلك منذ بناء القصر القديم : فقد خرج إبراهيم يوما إلى مصلح دوح ومعه عمران الذي أخذ يجاذبه أطراف الحديث وإبراهيم لا يستمع إليه إذ كان منصرفا كلية إلى التفكير في سكنى قلمته الجديدة (القصر القديم) (٤٤) وربما كان الأقرب إلى الصحة أن عمران أحس بما يشكله المقر الجديد لإبراهيم من التباعد أو الانفصال بين الجيش وبين الأمير ، الذي لن يصبح واقعا تحت رحمة قواده . هذا ، كما يمكن التفكير في أن ابن الأغلب أخذ يعمل شئون الجند وخاصة ما يتعلق منها بدفع الرواتب ، وذلك بعد أن استغنى عن الأموال التي كانت تأتيه من الخلافة ، كما سنرى بعد قليل .

وهكذا بدأ عمران يتغير وأخذ يتأمر على ابن الأغلب ، وانتهى الأمر بأن أعلن الثورة ، واجتذب كثيرا من الأنصار منهم أهل القيروان التي نجح في الاستيلاء عليها في ١٠ من رجب ١٩٤ هـ / ١٩ أبريل سنة ٨١٠ م ، وبلغ الأمر إلى درجة أنه غلب على معظم بلاد إفريقية (٤٥) . وحاول عمران اكساب ثورته نوعا من الشرعية باجتذاب فقيه « إفريقية المشهور أسد بن القرات إلى جانبه ، وحاول أن يكرمه على ذلك ، ولكن ابن القرات هدهد بإعلان رأيه في الفتنة عادية ، وهو : « ان القاتل والمقتول في النار » ، فتركه (٤٦) .

ولم يكن لإبراهيم بن الأغلب من ملاذ إلا في العباسية ، فخذق حولها واعتصم بأسوارها (٤٧) . واستمرت الثورة طوال عام راحت البلاد خلاله نهبا للاضطراب والفوضى . فكانت خيل إبراهيم تغير حتى حوالت القيروان وقتلت من يصادفها في الطريق ، وكانت خيل عمران تغير على بلاد إبراهيم (٤٨) .

-
- (٤٤) التويري . ص ١٠٦-١٠١ . والترجمة (ابن خلدون) ج ١ . ص ٤٠١ .
 (٤٥) ابن الأثير . أحداث سنة ١٨١ ، ج ٦٣ . سنة ١٩٤ ، ج ٦ . ص ٩٥ . التويري . ص ١٠٦ أو الترجمة (ابن خلدون) ج ١ ص ٤٠٢ .
 (٤٦) ابن الأثير . سنة ١٩٤ . ج ٦ ص ٩٥ ، وانظر ترتيب المدارس . للأخلاق عيان . بيروت ١٩٦٥ . ص ٤٧٨ . تراجم فطحية . ص ٦٨ . الحلة السيرة . ج ١ ص ١٠٥ .
 (٤٧) ابن الأثير . أحداث سنة ١٨١ . ج ٦ ص ٦٣ .
 (٤٨) التويري . ص ١٠٦ أو الترجمة (ابن خلدون) ج ١ ص ٤٠٢ .

واحيرا بنى العرج مملا في الاموال التي ارسلها الرشيد الى ابن الاغلب
لدمع مرتبات الجند (٤٩) . ولا شك في انه ابن الاغلب كان في أشد الحاجة الى .
القدود ، اذ انه بمجرد ان علم بمسيرتها اليه أسرع وحصل ابنه عبد الله
يسلميا في طرابلس (٥٠) . ، حشيه أن تقنع بين أيدي حصومه في بلاد
القيروان . وكان ثوبا وصول المال أثر السحر في قلوب الجند الشاثر الدين
فكروا في تسليم عمران . وعندما سار ابراهيم بالخييل والرجال والعبيد نحو
أسوار القيروان ، ونادى مناديه يدعو كل من اسمه في ديوان أمير المؤمنين
الى الحضور لتسلم عظامه ، لم يأمن عمران البقاء مع رجاؤه ، فترك القيروان
ليلا وسار الى بلاد الزاب ، وبصحبة عمرو بن معاوية وعامر بن المعمر (٥١) .
وأسرع ابراهيم الى القيروان فدخلها ، وانتقم من المدينة فعلق ابوابها وثلم
اسوارها (٥٢) حتى لا تعود الى الثورة .

• وهكذا أكدت العباسية حسن ظن ابن الاغلب بها ، فقد حققت له الظفر
على خصومه وثبتت أقدام اسرته في البلاد . وبناء على ذلك ، وبعد أن شعر
بالطمئنان ، أخذ في زيادة عمرانها . فأقطع آلّه ومواليه الاقطاعات في داخل
أسوارها ، وبذلك أصبحت الضاحية المملوكية عاصمة لبلاد بدلا من القيروان
ففيها استقبل ابراهيم رسل الخليفة هارون الرشيد ، كما استقبل رسل
شرلمان الذين أتوا يبحثون عن رفات القديس سبريان ، وفيها عقد سنة
١٨٩ هـ / ٨٠٥ م الهدنة مع بطريق صقلية قسطنطين لمدة عشر سنوات وتم
الاتفاق على فداء الاسرى (٥٣) .

أما عن عمران فإنه ظملى في الزاب الى وفاة ابراهيم سنة ١٩٦ هـ /
٨١٣ م وولاية ابنه عبد الله الذي اعطاه الأمان ، وأسكنه معه في اقصر

(٤٩) ابن الأثير ، أحداث سنة ١٨١ ، ج ٦ ص ٦٣ ، النويري ، ص ١٠٦ او الترجمة
(ابن خلدون) ج ١٠٦ ص ٤٠٢ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٦ .
(٥٠) النويري ، ص ١٠٦ او الترجمة (ابن خلدون) ج ١ ص ٤٠٢ .
(٥١) النويري ، ص ١٠٦ و الترجمة (ابن خلدون) ج ١ ص ٤٠٢ (حيث عامر بن
المختار بدلا من عامر بن المعمر وهي قراءة الحلة السيرة (ج ١ ص ١٠٥) ، وقرون ابن الاثير .
أحداث سنة ١٨٩ ، ج ٦ ص ٦٣ .
(٥٢) ابن الأثير ، أحداث سنة ١٨١ . ج ٦ ص ٦٣ ، النويري ، ص ١٠٦ ب و الترجمة
(ابن خلدون) ج ١ ص ٤٠٢ .
(٥٣) حسن حسنى عبد الوهاب ، الروايات ، قسم ١ ص ٣٥٧ .

- ٣٩ -

القديم ، ولكنه تخلص منه بعد قليل عندما علم بتآمره ، كما يقال (٥٤) : وهكذا حكم إبراهيم بن الأغلب إفريقية مدة ١٢ (اثنتي عشرة) سنة ، فقمع أهل الشر بها ، وضبط أهلها (٥٥) ، فلم تعرف إفريقية - كما يقول الرقيق - وأيا أعذل ، ولا أحسن سياسة ، ولا أرفق بالرعيانة ولا أضبط للأمر منه (٥٦) .

ولقد ثبت ابن الأغلب أقدامه في إفريقية وبدأ يتطلع الى المغرب الأقصى حيث ادريس بن ادريس العلوي ، ونجح في استمالة واحد من أكبر أعوانه هو يهلول بن عبد الواحد زعيم مطفرة حتى اضطر ادريس الى استعطفه وسؤاله الكف عنه (٥٧) . وتأكد مركز ابن الأغلب في البلاد حتى أنه بعد وفاة الرشيد سنة ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م ترك الأمين إفريقية له ، فأقره في ولايتها .

وتوفي إبراهيم بن الأغلب في أواخر شوال سنة ١٩٦ هـ / أوائل يولييه ٨١٢ م ، وله من العمر ٥٦ (ست وخمسون) سنة ، بعد ولاية استمرت أكثر من ١٢ سنة ، بدأت بعهد الرشيد اليه بإفريقية سنة ١٨٤ هـ / ٨٠٠ م ، واستمرت بعد ذلك بأقرار الخليفة المأمون له في سنة ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م .

(٥٤) وفي ذلك يقال : أن العقيي يحيى بن سلام صاحب التفسير غضب لذلك لأنه كان وسيطا في أخذ المال لعمران . فلما قتله عبد الله ، قال : « لا أسكن بلدا أخر فيه العهد على يدى » . ثم انه خرج الى مصر حيث مات . انظر الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٠٥ .
(٥٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٩٢ . الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٠٥ .
(٥٦) الويرى ، ص ١٠٦ والترجمة (ابن خلدون) ج ١ ص ٤٠٣ ، وانظر الرقيق ، ص ٢١٢ .

(٥٧) ابن الأثير ، سنة ١٨١ ، ج ٦ ص ٦٣ (النويرى ، ص ١٠٥ ب) ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٤ ، ج ٦ ص ١١٩ ، الحلة السيرة ، ج ١ ص ١١١ وص ١٠٩ حيث ترجمة إبراهيم ابن محمد الشيمى الذى أنقذه ابن الأغلب ورسولا الى الخليفة الرشيد ، وبعت صحبته بربل يهلول بن عبد الواحد المبرغى . وقادون الرقيق ، ص ٢٢٥ : حيث الإشارة الى انه بعد أن استقامت الأمور لإبراهيم بن الأغلب وبلغه استحصال ملك ادريس بن ادريس ، دعا كبار مستشاريه وهم : صاحب البريد يحيى بن زياد ، والقاضى عبد الله بن عمر بن غانم ، وابن عوانه الكلبى ، وشاورهم فى أمر ادريس ، فاشاوروا عليه بأن يدعه طالما وادعه وأن يرضى لنفسه وله بالسلامة . أما ما يقال من أنه شارك فى التخلص من ادريس الأول بن عبد الله ومن مولاه راشد بعده ، فأغلب الظن أنه موضوع للرفع من شأن عبيد الأسرة الأغلبية بالنسبة للإخلفة ببلادهم . انظر فى ذلك ما يأتى فى حلة الإدارة . وانظر ابن الخطيب : اصيل الأعلام ، ص ١٠٣ ، ص ١٢ (حيث التصريح بان ادريس بن عبد الله كتب اليه يستنكبه عن فتحه) ، وبذلك يكون قوله من الرسول (ص) ، فأجابه عن كتابه وادعه ، ولم تجر بينهما حرب الا ما ذكره من معنى ما فى التعريف به عند ذكر الادبسة ٤٠٠٠ .

ولاية أبي العباس عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب (١٩٦ - ٢٠١ هـ /
١١٢ - ٨١٧ م) :

بأقرار المأمون ولاية ابراهيم بن الأغلب بعد وفاة الرشيد بطوس
(٣ جمادى الآخرة ١٩٣ هـ / ١٤ ابريل ٨٠٩ م) ثبتت الأسرة الأغلبية أقدامها
فى افريقية . ومنذ ذلك الحين صارت افريقية ملكية وراثية فى الاغالبية من
بنى ابراهيم بن الأغلب ، السنى حلقه ابنه عبد الله السنى عرف
بـ « الجميل » (٥٨) .

وكان أبو العباس عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب فى طرابلس التى
ولاه أبوه اياها للمرة الثانية اثر اضطراب أحوالها نتيجة لاضطراب الجند
الأغلبى من جهة ، وتهديد الخوارج من بربر هواراة من أتباع عبد الزهاب
ابن عبد الرحمن بن رستم لاحتيتها من جهة أخرى . وكان ابراهيم بن الأغلب
اضطر الى إعادة ابنه عبد الله الى طرابلس مرة ثانية ، بعد أن كان عهد بولايتها
الى سفيان بن المضاء الذى ظهر عجزه فى مقاومة البربر ، فهزمهم عبد الله
واستقر فى المدينة ، وجدد تحصيناتها قبلى سورها (٥٩) . وهكذا أثبت
عبد الله جدارته كرجل دولة ، وكانت وصية ابراهيم عند وفاته أن تكون
الامارة بعده له . وبينما كان عبد الله فى طرابلس قام أخوه زيادة الله بأخذ
البيعة من رؤساء الجند ، وأرسل يحطره بالامر (٦٠) . فاضطر الى عقد انصالح
مع أباضية عبد الوهاب بن رستم ، اعترف لهم فيه بالسيادة على طواهر
المدينة (٦١) . ورجع أبو العباس الى القيروان فى صفر من اسنة التالية
١٩٧ هـ / أكتوبر ٨١٢ م ، وتسلم السلطة ، وأخطر الخلافة فى بغداد بالامر ،
فأنته الموافقة على ولايته على افريقية ، فى السنة التى بعدها ١٩٨ هـ / ٨١٣ م ،
من الخليفة المأمون الذى كان قد تخلص من أخيه الأمين (٦٢) .

(٥٨) الحلة السراء ، ج ١ ص ١٦٣ .

(٥٩) ابن الأثير ، سنة ١٩٦ ، ج ٦ ص ٢٧٠ .

(٦٠) ابن الأثير ، سنة ١٩٦ ، ج ٦ ص ٢٧٠ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٩٥ .

(٦١) هذا ما يفهم من روايات ابن خلدون : (ج ٤ ص ١٩٧ - حيث القراء : فصالحهم
عن أن يكون البلد والبحر لعبد الله وأعمالهم لعبد الوهاب) ، (ج ٦ ص ١٢١ - حيث
القراء : فصالح عبد الوهاب عن أن تكون المباحية (الأقاليم الساحلية) لهم (أى للأغالبية)
واقصر إلى مقوسة (مقوسة) ولحق عبد الله بالقيروان) . وانظر التماضى ، ص ١٦٦ .
وانظر فيما بعد ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ (حيث رواية ابن الصغير التى تنص على أن الامام عبد الوهاب
سافر - طرابلس) .

(٦٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٩٥ .

سوء تفاهم بين أفراد الأسرة ، ومحاولة اصلاح مالي :

استمرت ولاية أبي العباس عبد الله لمدة خمس سنوات وشهرين ، لا يذكر له الكتاب أتناها الا عملين : أحدهما خاص بمسألة اساءته الى أخيه زيادة الله ، الذي كان قد أخذ له البيعة عند وفاة والدهما ابراهيم ، وأدار شئون المملكة الى حين عودته من طرابلس ، بعد حوالي أربعة أشهر . ونظن أن هذه المسألة متعلقة بالحساسيات بين أفراد الأسرة الأغلبية (٦٣) . وثانيهما خاص باصلاح نظام الضرائب ، وكان يهدف منه الى تثبيت مال الخراج السنوي بأن جعله ضريبة مالية ثابتة ، حتى لا يخضع دخل الخزانة الى أهواء سنوات الحصب وسنوات الجذب ، مما يضمن له صرف رواتب العسكر ، السدين كانوا يسببون للدولة الكثير من المتاعب ، بطريقة منتظمة . فقد كانت الضريبة المعتادة هي العشر من الحب الذي تنتجه الأرض ، فحصل عبد الله الصربية ثمانية دنانير على كل زوج تحرث من البقر (٦٤) .

معارضة الفقهاء للاصلاح المالي :

واعتبر التقليديون من المالكية هذا الاصلاح المالي خروجاً على إنسنة ، ووجهاً من وجوه الظلم الشيعية التي تعرف عندهم ، في مجال الضرائب ، بالمغارم ، مما كان سبباً في سحق الناس ، وإعلانهم التضمر من تلك الضريبة المبتدعة ، ومطالبتهم بالقائها والعودة الى نظام العشر المعتاد .

(٦٣) وفي ذلك تقول الروايات ان هيد الله حمل في امارته على أخيه زيادة الله حملاً شديداً ، وكان يشقه ، ويأمر بنمائه بإطلاق الستينم بسبه ، وزيادة الله مع ذلك يظهر له التعظيم والتبجيل والصنع الجميل . ولا يظهر له تقيرا - انظر ابن عذارى ، ج ١ ص ٩٥ . نهاية الأرب ، المخطوط ، ص ١٠٧ ، الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٦٨ . وهذا ما يذكرنا بما كان يفعله الهادي بأبيه الرشيد ، عندما كان ولياً لعمه ، وكان الهادي يطمح في أن يكون ابنه موسى الغلام الصغير ولياً لعمه بدلاً من الرشيد - انظر ابن الأثير ، سنة ١٧٠ هـ . (٦٤) اختلف الكتاب في تقدير ضريبة العشر المالية التي تجبها أبو العباس بن ابراهيم ، فقدرها ابن عذارى بـ ٨ (ثمانية) دنانير للقفيز من الأرض ، أصاب أم لم يصب : أي أن سلت الأرض أم لم يعمل (ج ١ ص ٩٥) . أما ابن الأثير فيقدرها بشالية عشر ديناراً على الدنان في كل سنة (سنة ٢٠١ هـ ، ج ٦ ص ٣٢٩) . ولما كان القفيز ميلاً يكاد يساوي الأرب أو يزيد قليلاً - بالنسبة للحب - فلا نعرف كيف كان يقدر بالنسبة لمساحة الأرض إذا كانت زراعية ابن عذارى سليمة . ولما كان الدنان من مقاييس مساحة الأرض الزراعية في مصر ولما كان مبلغ الـ ١٨ ديناراً المقروضة عليه حسب رواية ابن الأثير ، فتعبر ضريبة باعظة فقد أخذنا برواية نهاية الأرب - وهي للرفيق أصلاً - التي جعلت يقاييس تلك الضريبة ليس مساحة الأرض نفسها ، بل للمساحة التي يمكن لزواج من الجهر حراستها (- النويري ، المخطوط ص ١٠٧) . وهذا امر معقول بالنسبة للأرض المروية ببياء الجبل .

وكب الغقباء والعداء من مشايخ البلاد دورهم في الاحتجاج علي هذا
الاحراء المائي الجديد ، وذلك أن الرواية تقول ان جماعة من الصالحين من
حريرة شريك أتوا الى القيروان . وعلى رأسهم صالح انريقية وقتند . حفص
ابن حميد ، حيث سمح لهم بمقابلة الأمير الأعلي الذي كان مقيما في القصر
القديم ، فوعظوه في أمر الدين ومصالح المسلمين (٦٥) ، كما شكوا اليه نقل
تلك الضريبة (٦٦) . وتقول الرواية ان الأمير المعجب بجماله استخف بجماعة
الصالحين وامتهان بهم ، فلم يستمع الي نصيحهم . وبذلك عاد حفص بن حميد
واخوانه نحو القيروان ، في غرة ذي الحجة من سنة ٢٠١ هـ / ٩ يولية ٨١٧ م ،
غير راضين عن لقاء أبي العباس . وفي وادي الفصارين ، على طريق العاصمة ،
قال لهم حفص : « قد يشسا من المخلوق ، فلا ينأس من الخالق » فاسألوا
المولى وتضرعوا اليه في روال ظلمه عن المسلمين ، فان سمح في الدعاء ، فقد
أذن في الاجابة « (٦٧) .

وتوضأت الجماعة وساروا الى مصلى روح حيث دعوا الله بعد الصلاة :
ان يكف عن المسلمين جور أبي العباس ، وأن يريحهم من أيامه . « لم يكن
من الغريب أن تستجاب دعوة العباد الصالحين ، فأصيب الأمير الجميل الذي
كان معتبرا من أجمل أهل زمانه ، بقرحة تحت أذنه لم يستطع أن يقساوم
ضرها الا خمسة أيام فقط ، كما عبرت لون بشرته البيضاء حتى انه عندما
مات ، متأثرا بها في اليوم السادس ، وكشفت عنه ثيابه للفصل ، كان كأنه
عبد أسود . واعتبر الناس أن ذلك كان عقابا من الله للأمير الظالم ، وان
السواد الذي حل بجسمه الجميل كان نتيجة طبيعية لسوء فعالة (٦٨) .

- (٦٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ٩٥ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٧ .
(٦٦) انظر النويري ، نهاية الارب ، حيث يقول ان حفص بن حميد كلم الأمير أبا العباس ،
فكان فيما قال له : أيها الأمير اتق الله في شياك وارسم جسدك ، واشلق على بدنك من
النار . ترمي كل زوج تحرق ثمانية دناتير ؟ فآفل ذلك عن وعينك ، وخذ فيهم بكتاب الله وسنة
نبيه صلعم . فان الدنيا زائلة عنك ، كما زالت عن غيرك (المخطوط ، ص ١٠٧) . وقارن
مخطوط دار الكتب - ص ٢٩ حيث الجملة الأخيرة زائدة فيه . ويضيف ابن الأثير ان من بين
ما وجهته جماعة الصالحين الى الأمير الأعلي ، قول الله تعالى : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى
يغيروا ما بأنفسهم . وان أراد الله بقوم سوء فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال » (سنة
٢٠١٠ هـ / ج ٦ ص ٣٢٦) وانظر سورة الرعد : ١١ .
(٦٧) ابن عذاري ، ج ١ ص ٩٦ ، النويري ، المخطوط ، ص ١٠٧ ب ، ابن الأثير ،
ص ٣٠١ ، ج ٦ ص ٣٢٦ .
(٦٨) ابن عذاري ، ج ١ ص ٩٦ ، النويري ، المخطوط ، ص ١٠٧ ب ، وقارن ابن الأثير .
ج ٦ ص ٣٢١ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٧ .

زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب (٢٠١ - ٢٢٣ هـ / ٨١٧ - ٨٢٧ م) :

سياسة قوية : قواتها العنيفة والقسوة :

توفي أبو العباس عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب في ٦ من ذي الحجة سنة ٢٠٦ هـ / ٢٤ يونيو ٨١٧ م . بعد ولاية لم تزد عن خمس سنوات الا بشهرين ، وببيع أخوه زيادة الله - الذي كان أول من سمي « زيادة الله » - في الاسلام ، كما كان ابراهيم بن المهدي أول من سمي « هبة الله » (٦٩) - بالامارة بعد ١٦ يوما ، وذلك في يوم ٢٢ من ذي الحجة / ١٠ يولييه . ولما كان زيادة الله قد بقي معاملة سيئة من أخيه المتوفى ، مما اعتبرناه صدى لتويع من النزاع الصامت بين أفسراد الأسرة الأغلبية ، كان من الطبيعي أن يلقي المقربون من الأمير عبد الله ما يسمى في المصطلح السياسي « المعاملة بالمثل » . ظهر ذلك في خوف أخى زيادة الله ، وهو الأغلب بن ابراهيم وكان شقيقا لعبد الله من نفس الأم ، من انتقام زيادة الله وخروجه مستأذنا للحج سنة ٢٠٢ هـ / ٨١٨ م ، وفي صحبته أبنا أخيه الأمير الراحل ، وهما : أبو فهر محمد ، وأبو الأغلب ابراهيم اللذان كانا صغيرين ، وهو يزعم عدم العودة الى افرقية ، اذ استقر مع ولدى أخيه في مصر بعد أداء الفريضة (٧٠) . والظاهر أن زيادة الله استعظم ذلك فكتب الى أخيه يستعطفه ويستميله ، فعاد مع ابني عبد الله الى اقروان ، حيث صار الأغلب مكرما من زيادة الله ، مقربا منه ، كما يقول النويري (٧١) .

(٦٩) النويري ، المخطوط ، ص ١٠٧ ب . الحلة السبابة ، ج ١ ص ١٦٣ و ص ١٦٦ (حيث الاشارة الى أن أمه هي « جلجل » ، جلرية الليت بن سعد - التي سبقت الاشارة اليها في ص ٤) .

(٧٠) ابن عذاري ، ج ١ ص ٩٧ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٧ - حيث يقول أن الأغلب خرج مع أبناء أخيه الثلاثة ، وهم : أبو العباس محمد ، وأبو محمد بهر (فهر) ، وابراهيم أبو الأغلب .

(٧١) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ، ص ١١٢ - حيث تقول الرواية ان زيادة الله : « أكرمه وحسن اليه » وجعل أمور دولته بيده ، « ما يكن أن يفهم منه أن الأغلب كان يشغل منصب الوزير لدى أخيه زيادة الله ، وهذا ما تنص عليه رواية ابن خلدون (ط بيروت ، ج ٤ ص ٤) التي تبرر استدعاء زيادة الله له بما واجهه من الحروب . وهذا ما لا تفرده رواية ابن عذاري التي أخذنا بها ، والتي تؤيد رواية أخرى لابن خلدون (ج ٤ ص ١٩٧) تنص فيها على أنه الوزير هو ابن عم زيادة الله وقائده « غلبون » - فابن عذاري (ج ١ ص ٩٧) يذكر قصة خروج الأغلب ولدى أخيه عبد الله ثم عودتهم الى افرقية ، ولكنه يضيف الى ذلك أن وزير زيادة الله كان ابن عمه غلبون . وغلبون الوزير رحل هو الأغلب بن بهر (أقربون الأغلب ابن سالم الذي عرف هو وبنيه ببني عبد الله ، وكان من قواد زيادة الله بجرح سرب الطنيلي ، =

- ٤٤ -

وحزن لا تعرف كيف يقرر ابن الأثير : أن زيادة الله « بقي أميراً رضى
البال وادعا ، والدنيا عنده آمنة » (٧٢) ، إلا إذا كان يقصد بذلك طول مدة
حكمه ، وأن الأغلبية حققوا في عهده عملاً عظيماً بفتح صقلية على يدى قاضى
افريقية الشبير أسد بن الفرات . ولما كان أسد قد ولى القضاء سنة ٢٠٣ هـ /
٨١٩ م ، إلى جانب القاضى أبى محرز (محمد بن عبد الله بن قيس الكناسى)
حتى أصبح لافريقية قاضيان لأول مرة وهو الأمر الذى لم يعهد من قبل (٧٣) ،
فان وصوله إلى قيادة الجند يعنى ازدهار العلم ، والمكانة السامية التى كانت
للعلماء فى ذلك العصر - وفى ذلك يقال ان زيادة الله نفسه كان أنصح أهل
بيته لساناً وأكثرهم أدباً (٧٤) .

والحقيقة أن الحوليات التاريخية الافريقية تسجل عدداً من الاضطرابات
الداخلية ، من جانب الجند ومن جانب العامة ، وتنص على أنه لم يبق بين يدي
زيادة الله فى بعض الأحيان إلا العاصمة القيروان ، وبعض الأقاليم القليلة .
وفى ذلك يقال أن أسباب الاضطراب كانت ترجع إلى سياسة الأمير العنيفة :
اذ استبد بالناس واستخف بالجند ، وخاف على نفسه منهم فحصن القصر
التقديم واحتوى به .

ثورة ابن الصقلية ، وعصيان عمرو القيسى :

ففى سنة ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م ، أى بعد ست سنوات من ملكه ، كان سوء
سيرته فى الجند سبباً فى ثورة قام بها قائد من قوادهم ، اسمه : زياد بن
سهل ، ويعرف بابن الصقلية ، الذى خرج فى موضع يعرف بفحص أبى صالح
غير بعيد من باجة التى ضرب عليها الحصار . ولكن ثورة ابن الصقلية انتهت
بسهولة على يدى قائد زيادة الله ، سالم بن سواده الذى فك حصار باجة ،
وقتل كثيراً من أصحاب القائد الناصر ، وغنم أموالهم (٧٥) . ومع أن الكتاب

= كما يأتى (ص ٤٦ ، وانظر الحلة السيرة . ج ١ ص ١٨١) . ولا بأس فى أن يكون الأمر
قد اختلط على الرقيق . الذى ينقله النويرى (وابن خلدون) ، عندما قال ان الأغلب صارت
إليه أمور دولة أخيه زيادة الله . فظن أنه غلبون وهو اسم شهرة الوزير - حسب الطريقة
المغربية الاندلسية - فى تهوير اسم الأغلب إلى غلبون .

(٧٢) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، ج ٦ ص ٢٢٩ .

(٧٣) نفس المصدر .

(٧٤) الحلة السيرة . ج ١ ص ١٦٢ ، ابن الغلب . أعمال الأعلام . قسم ٣ ص ١٦٠ .

(٧٥) ابن خلدون . ج ١ ص ٦٧٠ ، ابن الأثير ، سنة ٣٠١ هـ ، ج ٢ ص ٢٢٩ ، ابن

خلدون ، طبعته ، ج ٢ ص ١٢٧ .

يسرون سوء سيرة زيادة الله في الجند واستخفافهم بهم بسبب عدم انتظامهم ،
ونوحيهم على الأمراء قبله ، فان رواية ابن عذارى تنص على أن عنده مسح
الجند ، واغلاظه لهم ، وسفكه لدمائهم - خاصة عندما كان يسكر - كانت
السبب في قيام العامة بالثورة ، في نفس السنة (٢٠٧ هـ / ٨٢٣ م) (٧٦) .

ومع أنه لم تكن لثورة العامة هذه أصداء ملموسة ، فان ابن عذارى ربط
بنها وبين ثورة الزعيم القيسي عمرو بن معاوية ، صاحب عمران بن مجالد
في ثورة سنة ١٩٤ هـ / ٨١٠ م . كان عمرو واليا لزيادة الله على منطقة
القصرين ، فاعلن العصيان في سنة ٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م ، وغلب على الناحية ،
وغمس ولديه : حبابا وسجمان في الفتنة ، رغم نصيح أكبرهما له ، وهو
حباب ، وتخويفه إياه من عواقب الفتنة . فلقد قال حباب لوالده : « انك
دخلت في أمر عظيم ، وعرضت نفسك للهلاك ، ولست من رجال هذا الأمر ،
ولا ينفعك عدد ولا عدة » ، فكانت نتيجة تلك النصيحة انخسالية أن
تعرض حباب للتنكيل من والده ، الذي ضربه مائتي سوط . كما تقول
الرواية ، وتنادى عمرو القيسي في الحلاف (٧٧) .

ولم تطل ثورة القصرين اذ سرعان ما قبل القيسي وولده الاستسلام
على الأمان عندما سار اليهم بالقوات الاعلى موسى بن هارون ، مولى ابراهيم
ابن الأغلب (٧٨) ، وجاء بهم الى زيادة الله الذي أمر بحبسهم في بيت وزيره
وابن عمه الأغلب بن عبد الله المشهور بغليون الى أن يرى فيهم رايه . وسرعان
ما راح الثلاثة ضحية القيل والقال من جانب المقربين من الأمير ، ممن كانوا
يفسرون أحداث السياسة بناء على التحيزات العرقية والعصبيات القبلية .
فقد راجت شائعات تقول ان الأمير لم يقتص من عمرو بن معاوية لأنه قيسي ،
ولأن العصبيّة القيسية قوية في مصر حتى أن زيادة الله خشي أن يشتبوا بعمه
(الوالي) بصر اذا نزل مكروه بقائده المخالف ، مما أثار زيادة الله فتخلص
من السجناء ، الذين نزلوا على الأمان ، بطريقة شنيعة (٧٩) .

(٧٦) انظر ابن عذارى ، ج ١ ص ٩٦ ، وقارن النويري ، المخطوط ، ص ١٠٧ ب .
(٧٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ٩٧ - ٩٨ ، النويري ، ص ١٠٨ أ ، وانظر الحلة السرياء ،
ج ١ ص ١١٠ (حيث اسم ابن عمرو الثاني : « سكتان » وليس سجتان) .
(٧٨) النويري ، المخطوط ، ج ٢ ص ٢٢ ، ص ١٠٨ أ .
(٧٩) انظر ابن عذارى (ج ١ ص ٩٨) الذي يشير الى أن أبا عمار المضحك هو الذي
أخبر زيادة الله بذلك ، فما كان من الأمير الا أن يطلب من وزيره وابن عمه « غليون » أن يقتل
الحواسين الثلاثة في حين أن القصر حيث ملا يقتل عمرو بن معاوية يهددهم ثم كفى يقتل قتلهم .

ردود الفعل لسياسة العنف :

ثورة الطنبلي :

ولما كان العنف لا يولد الا العنف ، كما هو معروف ، لم يكن من اُخريب أن تؤدي تلك القسوة التي لا تعرف الانسانية أو الرحمة الى ثورة كبرى كادت تؤدي بالدولة الأعلى الفتية . وكان قائد تلك الثورة واحدا من كبار رؤساء الجند الأغلب ، هو منصور بن نصر الطنبلي ، الذي شق عصا الطاعة على زيادة الله في السنة التالية ، سنة ٢٠٩ هـ / ٨٢٤ م .

وكان منصور الطنبلي من ولد دريد بن الصمة ، ولقب « الطنبلي » ، الذي حملة نسبة الى قصر كان له في منطقة المحمدية قرب مدينة تونس (٨٠) . كان منصور واليا على مدينة طرابلس عندما وصلت أخبار الفاجعة التي حلت بمنصور بن معاوية القيسي وابنيه حباب وسجمان ، فتأثر لأبناء عصبية ، ودعا بني تميم في طرابلس الى الوقوف الى جانبهم للأخذ بشأر بني عمومهم انقيسية (٨١) . وعندئذ كتب صاحب الخبر ، أي صاحب البريد ، الى زيادة الله بما يزعمه منصور الطنبلي من اثاره يني تميم ضد الأمير الأغلب الذي عزل منصورا في الترو واللحظة ، وأمره بالقدوم عليه في القيروان حيث وضعه

= حباب ولم طلبه أن تكون معارضة لوالده شيئا له لدى الأمير الذي شك في أن يصيح حباب مخلصا له . أما الابن الأصغر ، وهو سجمان ، فاته فشل الموت على الحياة عندما شاهد رأس والده وأخيه فوق الترس الذي قسم اليه ، ليراهما . وتضيف الرواية الى تلك المشاهد المسايمة مشهدا لا يقل قسوة وهراوة ، إذ تقول : ان زيادة الله جلس يشرب والرؤوس الثلاثة أمامه على الترس . وعن الأغلب بن عبد الله بن الأغلب وبنيه من بني عبد الله الذين شاركوا في حشر الطنبلي انظر ص ٤٣ و ٧١ . لما عن أحسوال مصر في تلك الفترة فكانت مضطربة إما اضطراب . فالصراع على أشده بين الأدلسيين المتبليين على نهر الاسكندرية وبين عبد العزيز الجروي المتقلب على نهر تنيس ثم أباه من بعد مقتله سنة ٢٠٥ هـ . وكان السرى بن الحكم الذي قلب على القسطنطين يقف موقف المتفرج من هذا الصراع حتى وفاته سنة ٢٠٥ هـ ، حيث خلفه ابنه أبو النصر . أما الخلافة التي خلعت للأبون منذ ١٩٨ هـ ، فقد وقعت موقف الترقب المنتظر من المتصارعين بصرف النظر عن موقفهم منها الى أن أرسلت عبد الله بن طاهر الى مصر سنة ٢١٠ هـ . انظر للمؤلف ، تاريخ الاسكندرية من الفتح في كتاب تاريخ الاسكندرية ، ط الاسكندرية ، ١٩٦٥ ، ص ٢٧٢ - ٢٧٦ . (٨٠) الحلة السرياء ، ج ٢ ص ٣٨٢ . النويري ، المخطوط ، ص ١٠٨ ، ابن الأثير ، من ٢٠١ هـ . ج ٦ ص ٣٣٠ . (٨١) انظر النويري ، المخطوط ، ص ١٠٨ (حيث قال منصور : « يا بني تميم لو أن لي بك قوة ، أو أوى الي ركن شديد ») ، وقارن الحلة السرياء ، ج ٢ ص ٨٢٢ .

تحت رقابته . ولما كان منصور الطنبلي على علاقة طيبة بالوزير غلون (الأغلب بن عبد الله بن الأغلب) (٨٢) ، فإن هذا الأخير أصلح ما بين منصور وبين زيادة الله الذي صفع بعد قليل عن الطنبلي ، وسمح له بالعودة الى موطنه في منطقة تونس حيث نزل بقصره المعروف هناك بـ « طنبذة » في اقليم المحمدية .

وفي المحمدية لم يركن منصور الى الهدوء بل أخذ يرسل قواد الجند ، و يذكر لهم ما يلقون من زيادة الله ، وما فعل بعمرو بن معاوية وابنيه ، ويخوفهم أن يفعل بهم وبأولادهم ما فعله بعمرو (٨٣) . وعندما تيقن زيادة الله مما يضمرة الطنبلي استعرض جنده ، وانتخب منهم خمسمائة فارس سيرهم جريد بقيادة قائده محمد بن حمزة نحو تونس لمفاجأة منصور ، والقبض عليه ، ثم العودة به موثقا الى القيروان (٨٤) .

يوم دار الصناعة : الغدر بجند القيروان في تونس :

وعندما وصل محمد بن حمزة الى تونس لم يكن منصور الطنبلي هناك ، بل كان في قصره طنبذة بالمحمدية . وهنا دخل ابن حمزة الى دار الصناعة في تونس ، ورأى أن يستخدم المداراة في اقناع منصور بالعودة معه الى القيروان ، فأرسل اليه قاضي تونس ، وهو شجرة بن عيسى ، على رأس وفد من ٤٠ (أربعين) رجلا من مشايخ أهل تونس ينشاهدونه الطساعة ، ويعرفونه بما في ذلك من الحظ في دينه ودنياه ، ويدعونه الى الرجوع معهم الى تونس حيث محمد بن حمزة (٨٥) .

ورأى منصور الطنبلي بدوره أن يحتال على قائد زيادة الله ، فأعرب للقاضي شجرة بن عيسى ومن معه من المشايخ أنه لم يخلع يده من الطاعة ،

(٨٢) ابن الأثير ، سنة ٢٠٢ ، ج ٦ ص ٣٣١ .

(٨٣) النويري ، المختلط ، ج ٢٢ ص ١٠٨ ب .

(٨٤) النويري ، المختلط ، ج ٢٢ ص ٢٠٨ ب ، وقارن الحلة السنياء ، ج ٢ ص ٣٨٢ .

٢٨٢ (حيث النص على ٣٠٠ فارس كلف) - ومحمد بن حمزة حلفاء عمرو ابن حمزة بن السبال المعروف بالحرون ، الذي كان من كبار قواد ابراهيم بن الأغلب (انظر الحلة السنياء ، ج ١ ص ٨٦) ، ومن والده الحرون ، ص ١٠٧ - ١٠٨ - وفيما سبق ، ص ٣٥ - ٤٠ - قبله في ج ١ ص ٣٩٤ (حيث شارك الحرون في حرب تمام بن تميم) .

(٨٥) النويري ، المختلط ، ج ٢٢ ص ١٠٨ ب ، وانظر ابن عذاري ، ج ١ ص ٩٩ ، ابن

الأثير سنة ٢٠١ ص ٦ ج ٦ ص ٣٣٠ .

ولا أحدث حدثا ، ووعدهم بأن يسير معهم الى محمد بن حمزة في تونس ، ومن هناك الى الأمير في القيروان ، ولكن على أن يقيموا معه تلك الليلة حتى يقوم بحق الصيافة ازاء عسكر ابن حمزة .

وفعلا أسرع الطنبذى فأرسل هدية الى عسكر القيروان في تونس ، مكونة من عدد من البقر والغنم وأحمال من النبيذ ، كما لم ينس أن يرسل اليهم العلف ندوايهم ، وأرسل مع الهدية كتابا الى محمد بن حمزة يخبره أنه قادم في الغداة مع القاضي شجرة . وأطمأن محمد بن حمزة الى مقالة منصور وأقام هو ورجاله لأنفسهم وليمة عظيمة ، أكلوا فيها حتى الشبع من لحوم البقر والغنم ، وشربوا من الخمر حتى الثمالة . وهكذا ، بينما كان عسكر القيروان في مدينة تونس متكئين على الطعام والشراب في ذلك المساء ، كان الطنبذى يقبض على القاضي ومن معه ، ويحبسهم في قصره ، ويستخدم دوايهم في حمل المزيد من رجاله وأشياعه ، ويزحف خفية بهم الى تونس . وعندما اقترب الطنبذى من دار الصناعة في هدوء الليل ، أمر بطوله فضربت ، وعندئذ كبر أصحابه تكبيره رجل واحد وهم ينقضون على ابن حمزة ومن معه .

وانقلبت دار صناعة السفن في تلك الليلة الموافقة لـ ٢٥ من صفر سنة ٢٠٩ هـ / ٢٦ يولية ٨٢٤ م ، من حانة عظيمة الى ميدان قتال : بين الجند من أصحاب ابن حمزة ومن انضم اليهم بالحجارة من عامة تونس ، وبين أصحاب منصور الطنبذى . وانتهت المعركة بمقتل معظم السكاري من رجال جنسند القيروان ، فلم ينج منهم الا من ألقى بنفسه في البحر ، وسبح بعيدا عن دار الصناعة (٨٦) .

واقطاهر أن الطنبذى أراد أن يعطى ثورته شكل عمل انتقامي أو أخذا بالثأر لمقتل عمرو بن معاوية والى القصرين وابنيه حباب وسجمان ، اذ انه قتل والى تونس : اسماعيل بن سفيان بن سالم ، وهو من بيت الأغالبة ، كما قتل ابنه محمدا . هذا ، ولو أن الرواية تقول انه نعل ذلك تحت ضغط أصحابه الذين طلبوا اليه أن يؤمن لهم الا يستميله السلطان بدنياء وماله ، ولئن عليه أن يخضب يديه بدم أصحاب زيادة الله اذا أراد أن يتقوا فيه .

(٨٦) ابن عسدي ، ج ١ ص ٩٩ ، التويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٠٨ ب ، ١٠٩ ب .
ابن الأثير ، سنة ٢٠١ ، ج ٦ ص ٢٣٠ ، الحلة السيرة ، ج ٢ ص ٢٨٢ .

• ويبقوا الى جانبه(٨٧) .

وعندما وصل الحبر الى زيادة الله ، وجه عسكرا كبيرا من أشداء رجاله بقيادة ابن عمه الوزير غلبون (الأغلب بن عبد الله بن الأغلب) ، وشييعهم منعه بعد أن طلب منهم ألا يتراخوا في قتال الحصاة ، بل انه هدد من ينهزم منهم بالقتل(٨٨) . والظاهر أن تهديد زيادة الله لرجائه أتى بنتيجة عكسية . اذ تقول الرواية التي ينقلها النويري عن الرقيق : « فكان ذلك مما ساءت به «موس القوم حتى هموا بالنوب على غلبون » ولم ينعمهم من ذلك الا قصيعة بعض كبار قوادهم ، وهو جعفر بن معبد ، الذي قال لهم : « لا تحملكم إساءة زيادة الله فيكم أن تغدروا بمن أحسن اليكم ، وفك رقابكم » - وتفسر الرواية ذلك بأن غلبون كان يعتنى بأمر القواد عند زيادة الله(٨٩) .

ثورة منصور الطنبلي تستشري :

وهكذا خرج غلبون في العاشر من ربيع الأول من ٢٠٩ هـ / ٨ يولية ٨٢٤ م (٩) ، على رأس جيش كثيف يحوى صناديد العسكر ووجوه الرجال ، ولكنهم لم يكونوا خالصي النية ، بل كانوا يضمرون انقذر ، كما تقول رواية النويري : فعندما وصلوا الى سبخة تونس كاتبوا رجال منصور ، ووعدوهم بالانتهزام أمامهم وقت اللقاء(٩١) . هذا ، ولو أن رواية ابن عذارى تنص على أن عسكر القيروان فعل ما في طاقته ، وأنهم اقتتلوا ورجال منصور الطنبلي مليا ، وأن الهزيمة التي لحقت ، في ٢٠ ربيع الأول / ١٨ يولية ، يرجع الى زيادة الله كانت نتيجة حملة عظيمة نظمها الطنبلي ، ونم يستطلع غلبون ورجاله الصمود أمامها(٩٢) .

(٨٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ٩٩ ، ابن الأثير ، سنة ٢٠٩ ، ج ٦ ص ٣٣١ ، وقارن النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٠٩ ، ابن خلدون ج ٤ ص ١٩٧ . الحلة السراء : ج ٢ ص ٣٨٣ .

(٨٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ٩٩ ، ابن الأثير ، سنة ٢٠٩ ، ج ٦ ص ٣٣١ ، النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ، ص ١٠٩ ، وقارن الحلة السراء ، ج ١ ص ١٨١ (من بتي عبد الله بن الأغلب ومشاركته في حرب الطنبلي) ، وانظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٨ .

(٨٩) نهاية الأرب ، المخطوط ، ج ٢٢ ، ص ١٠٩ .

(٩٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ٩٩ .

(٩١) النويري ، نهاية الأرب ، المخطوط ، ج ٢٢ ، ص ١٠٩ .

(٩٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٠ ، وقارن ابن الأثير ، سنة ٢٠٩ هـ ، ج ٦ ص ٣٣١ (الذي يحدد الهزيمة بالعاشر من ربيع الأول ، وهو تاريخ المسيرة عند ابن عذارى الذي يحدد الهزيمة بمشر بقين من ربيع الأول ، وهو ما أخذنا به) .

وخشية أن ينفذ زيادة الله ما كان قد توعدهم به من القتل ، انصص قواد غلبون من حوله بعد أن وعدوه بالعودة إلى القيروان إذا أخذ لهم الأمان من زيادة الله - انشاء الله - وبينما عاد غلبون إلى القيروان ، وهو يعتذر لزيادة الله عن الهزيمة ، ويحلف أن رجاله فصحو واجتهدوا ، وأن الهزيمة أكانت قضاء من عند الله لا يرد (١٣) ، كان بعض القواد قد انصرفوا إلى أطراف البلاد ، يتغلبون عليها ، حتى « اضطربت إفريقية ، فصارت نارا تتقد » ، كما يقول نص السويري (١٤) . كما انضم آخرون إلى عسكر منصور الطنبذي ، وأعطوه أئمة أمورهم ، وولوه على أنفسهم » (١٥) .

« ملوك الطوائف » بإفريقية :

وازاء اختلال الأمور وتفاقم حركات التمرد ، وإمام نصائح ابن عمه ووزيره غلبون ، رأى زيادة الله أن يحاول استعادة ثقة قواده الثوار ، فكتب إليهم ما كانوا قد طلبوه من الأمان ، فبعثه إليهم في الصكوك . ولكنهم لم يثقوا بأمانه ، وظلوا على ما كانوا عليه من شقّ عضا الطاعة (١٦) . وهكذا خرجت كثير من المدن عن حكم زيادة الله ، واستبد بها القواد الذين دخلوا في طاعة الطنبذي ، مثل : باجة ، والجزيرة ، وصطافورة ، وبتزرت ، والأريس ، وغيرها (١٧) ، مما يمكن أن يشبه بحكم ملوك الطوائف .

وبذلك قويت جموع الطنبذي بمن توافد عليه من كل جهة ومكان ، حتى أنه فكر في غزو القيروان بجيش جعل قيادته إلى بعض قواده ، وهو عامر بن نافع الذي نجح في إلحاق الهزيمة بالجيش السنّي منيره زيادة الله إليهم ، وعقد لواءه لابن عمه محمد بن عبد الله بن الأغلب ، أخى الوزير غلبون . وانظاها أن هزيمة الجيش الأغلبى أمام قوات عامر بن نافع كانت شعبة ، إذ انجلت المعركة عن سقوط عدد كبير من كبار قواد الأغلبية ، مثل : محمد بن غلبون ، وعبد الله بن الأغلب ، ومحمد بن حمزة الزاوي ،

(١٣) ابن عذارى . ج ١ ص ١٠٠ .

(١٤) نهاية الأرب ، المخطوط ، ج ٢٢ ، ص ١٠٩ ب ، وقادون ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٠ .

(١٥) انظر ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٠ ، النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ، ص ١٠٩ ب .

(وما ينقلان من مصدر واحد ربما كانا لفرقتين) ، وقادون ابن الأثير ، سنة ٢٠٤ هـ . ج ١ .

ص ٣٣١ .

(١٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٠ ، النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ، ص ١٠٩ ب .

(١٧) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، ج ٦ ص ٣٣١ ، وقادون ابن خلدون ج ٤ .

وعبرهم ، كما قتلت الرجاله عن آخرهم ، حسب مبالغة رواية الويرى (٩٨) .
والظاهر أن هذا النصر الكبير شجع منصور الطنبدى ، وقوى قلبه على
محاولة أخذ القيروان ، وانتهاء حكم زيادة الله . ولا بأس أن يكون عساكر
الأغالبه الذين انضموا الى الطنبدى . كانوا يحثون هذا الأخير على الذهاب الى
اقيروان حيث كانت عيالاتهم وذرايرهم . ذلك رغم ما تقوله رواية الرقيق
- على ما نظن - من أن هذا الأمر حدث بعد انهزام عسكر الطنبدى أمام قوات
زيادة الله نحو تونس ، كما يأتي (٩٩) . وهذا لا يمنع أن يكون ذلك قد حدث
فى المرتين جميعا .

والمهم أن الطنبدى حشد رجاله فى تونس ، وخرج منها نحو القيروان
حيث وصل فى ٥ من جمادى الأولى سنة ٢٠٩ هـ / ٢ سبتمبر ٨٢٤ . وتقول
الرواية : ان القاضيين أبا محرز وأسد بن القرات خرجا الى منصور حيث
جرى بينهم حديث كان القاضيان يهدفان من وراءه الى اقناع منصور بحقن
الدماء ، والعودة الى الطاعة ، بينما كان الطنبدى يسعى الى ضم قاضى القيروان
الى جانبه ، ولكن المحادثات لم تنته الى اتفاق ما (١٠٠) . وانتهى الأمر بأن
عسكر منصور قرب اقيروان حيث حفر خندقا حول معسكره (١٠١) ، بينما
زحف زيادة الله على رأس قواته من القصر القديم (العباسية) حيث اتخذ
موضعا له بين القيروان والقصر ، وحمر هو الآخر خندقا حول معسكره (١٠٢) .

(٩٨) نهاية الأرب ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٠٩ ب ، وقارن ابن خلدون ج ٤ ص ١٩٨ .
حيث يؤخذ على الرواية الاضطراب الزمنى من حيث عدم تسلسل الأحداث تسلسلا منطقيا .
وعن عامر بن نافع الذى ينتسب الى قبيلة مديج ، والذى خدم أقاربه العباسيين الأوائل . وكان
معه عامر بن اسماعيل بن عامر بن نافع قاتل مروان بن محمد ، وابنه يحيى بن عامر الذى
خدم المأمون ووقف ضده عندما رفض مبايعة على الرضا بولاية العهد حتى دلف حياته ثمنا
لذلك - انظر الحلة السيرة ج ٢ ص ٢٨٣ و هـ ٣ لحسين مؤس .

(٩٩) انظر فيما بعد ص ٥٦ .

(١٠٠) انظر ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٠ ، وقارن مدارك القاضى عياض ، ص ٤٧٩ ،
وتراجم اغلبية (تحقيق محمد الطالبي ، تونس ١٩٦٨) ، ص ٦٩ (حيث تقول الرواية أن
الطنبدى عندما قال للقاضيين : أخرجا معنا ، أما تعلمان ان هذا ظلم المسلمين : قال أبو محرز
وقد خاف منه - نعم ، واليهود والنصارى . أما أسد فقال له : قد كنتم أمواتا له وأنتم وهو
على مثل هذه الحال) ، وانظر المالكى ، ج ١ ص ١٧٦ .

(١٠١) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٠ .

(١٠٢) الويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٠٩ ب (حيث يقول ان زيادة الله نزل بين
المنسلاط والقصر) ، وقارن ابن خلدون ج ٤ ص ١٩٨ (حيث النصر على حصار زيادة الله
فى العباسية) .

وبذلك تحولت الحرب بين منصور وزيادة الله إلى حرب حادق بدلا من حرب الميادين المكشوفة . واستمرت الحرب سجلا بين الجانبين : يوم لهذا ويوم لذاك . وخلال تلك المتناوشات انقسم أهل القيروان إلى جانب الطنبلي ضد أميرهم ، فكانت مكافاتهم على ذلك أن عمر منصور سور القيروان - الذي كان خربه إبراهيم بن الأغلب - حتى تستطيع الصمود في المقاسومة . واستمر الحال على هذا اللغوال طوال أربعين يوما (١٠٣) ، لم يبق بين يدي زيادة الله فيها ، من افرقية كلها الا : الساحل ، ومدينة قايس ، وقفزاوة ، وطرابلس التي تسكت بطاعته (١٠٤) . وهكذا ملك منصور معظم بلاد زيادة الله وبلغ به الأمر إلى حد أن ضرب السكة باسمه (١٠٥) ، رمز الامارة والسيادة .

صنف من الرجال تزيده الشدائد صلابة :

زيادة الله يطاول الطنبلي على أبواب القيروان :

والظاهر أن زيادة الله كان من ذلك النوع من الرجال الذين لا تزيدهم الشدائد الا صلابة واصرازا . فبينما كان الجند من المتسردين ، ومن انضموا إلى صفوف منصور الطنبلي يكتبون إلى زيادة الله : « أن ارحل حيث شئت عن افرقية ، ولك الأمان في نفسك ومالك ، وما ضمه قصرك » (١٠٦) ، كان هو لا يئأس بل يعد العدة لمواصلة الكفاح .

هايين الانتصار في القيروان والهزيمة في سبيبة :

فلقد جمع حشدا عظيما من أصحابه ، عياهم تعبئة جييلة في هيئة القتال ، من : قلب وميمنة وميسرة ، ومن فرسان ورجالة ، ووحف بهم نحو

(١٠٣) ابن علكى . ج ١ ص ١٠٠ . ابن الأثير . سنة ٢٠١ . ج ٦ ص ٣٣١ .
 (١٠٤) انظر ابن الأثير . سنة ٢٠١ هـ . ابن علكى . ج ١ ص ١٠١ . التويرى ، المخطوط . ج ٢٢ ص ١١٠ (حيث لم يبق بين يدي زيادة الله الا الساحل وقايس) . ابن خلدون . ج ٤ ص ١٢٨ .
 (١٠٥) ابن علكى . ج ١ ص ١٠١ . وانظر حسن حسني عبيد الوهاب . البركات ، ج ١ ص ٤٣٠ (حيث الاشارة إلى وصول فوجم لحقة من قرد الطنبلي ، يوصف بأنه مثل الأغلب تماما ، ثم انه بدل بكلمة « غلب » رمز الاغلبة كلمة « عدل » ، وفيه اسم « منصور ابن نصر » . وتاريخه ٢٣٠ هـ / ٨٢٥ م) .
 (١٠٦) التويرى ، المخطوط . ج ٢٢ ص ١١٠ . ابن علكى . ج ١ ص ١٠١ . ابن الأثير . سنة ٢٠١ (حيث ذكر عقب هزيمة منصور الآتية) . ابن خلدون ج ٤ ص ١٢٨ .

منصور ، وهم خلا ، كثير . وارتاع الطنبزى عندما رأى قوات زيادة الله واستهول جمعهم ، اذ كان يظن أن الضعف والوهن هو صفة زيادة الله المميرة . ورغم ذلك فقد تقدم الطنبزى الى لقاء العسكر الأغلبى ، وانتهى القتال الشديد بانتهزام منصور الى قصره بتونس ، بينما لاذ رجاله بالفوار فى كل وجه ، بعد أن بقى الكثير منهم مجندين فى أرض المعركة ، وذلك فى منتصف جمادى الاخرى سنة ٢٠٩ هـ / ١٢ أكتوبر ٨٢٤ م (١٠٧) .

وقرر زيادة الله الانتقام من أهل القيروان الذين انضموا الى عسدهم - والذين كانوا قد فعلوا مثل ذلك على عهد والده ابراهيم ، عندما خرج عليه عمران بن مجالد - بل وشجعه قواده على ذلك لولا تدخل أهل الورع والدين . فاكفى من ذلك بهدم سور القيروان ، الذى ساعد الطنبزى فى ترميمه ، حتى سواء بالأرض بعد أن نزع أبوابه (١٠٨) ، الا أنه لم يعرض لعيال الجند من المتمردين أو ذرائعهم ، ممن كانوا قد تركوهم فى القيروان .

وكانت هزيمة قوات الطنبزى أمام القيروان حاسمة من حيث أنها قررت فشل مخطط منصور فى الاستيلاء على افريقية ، بعد أن دب الانشقاق بين صفوف أتباعه ، مثل : عبد السلام بن المبرج ، وعامر بن نافع الذى كان قد عاد الى بلده سبيبة . ولقد أراد زيادة الله أن يستغل الفرصة ، فيبدأ بالقضاء على أقوى أعوان منصور من المنشقين ، وهو عامر بن نافع ، فأعد جيشا كبيرا سير على رأسه ابن عمه محمد بن عبد الله بن الأغلب ، يعاونه بعض أفراد الأسرة الأغلبية ، وعدد من كبار القواد . وتم اللقاء قرب سبيبة بين الجند الأغلبى وبين رجال عامر بن نافع فى ٢٠ محرم سنة ٢١٠ هـ / ٤ مايه ٨٢٥ م ، وانتهى بهزيمة نكراء لجيش زيادة الله ، اذ قتل قائده : محمد ابن عبد الله بن الأغلب ، بينما تمادت هزيمة الرجال حتى القيروان (١٠٩) .

(١٠٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٠ ، ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ .

(١٠٨) انظر ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ . ج ٦ ص ٣٣٢ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٠ : الذى يقول أن زيادة الله هنا عن أهل القيروان . والنزوى فى المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٠٩ ب . حيث تقول الرواية أن زيادة الله قال لأصحابه : « انى عاصدت الله ان ظفرت ان اعلو وأصنع . فعلمنا عنهم » .

(١٠٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٢ ، وقارن ابن الأثير ، سنة ٢٠٢ هـ ج ٦ ص ٣٣٢ (حيث يقول ان محمد بن عبد الله بن الأغلب لم يقتل بل عاد منهزما بين منه الى القيروان) .

وكان من الطبيعي أن تنبر الكسرة المؤلفة لهم والنعم في نفس زيادة الله (١١٠) ، وأن تشجع متصورا الطنبزي على العودة مرة ثانية من تونس إلى القيروان ، أمام الحاج الجند الذين كانوا يرغبون في قتل عيالاتهم من القيروان .

وتقول الرواية أن زيادة الله أخذ في جمع الرجال ، ولم ييخل في مسيل ذلك في بذل المال ، بينما كان الطنبزي يزحف نحو القيروان حيث ضرب الحصار على زيادة الله في قصره بالعباسية لمدة ١٦ (ستة عشر) يوما ، ولئن دون قتال . وفي هذه الأثناء استعاد الجند من انشوار نساءهم وأولادهم من القيروان ثم ان الطنبزي عاد بمسأكره إلى تونس (١١١) .

علاقة غريبة بالخلافة وسط دوامة الاضطراب :

ووسط دوامة الاضطراب هذه تجد الخلافة التي بدأت أمورها تستقر في المشرق بعد ثبات موقف المأمون في بغداد ، واستقرار الأمور في الشام ثم في مصر انني كان قد سار إليها عبد الله بن طاهر بن الحسين ، تبعته إلى زيادة الله رسلها طالبة منه تأكيد طاعته ليس للخلافة فقط ، بل ولعبد الله بن طاهر الذي آلت إليه إدارة القسم الغربي من بلاد الخلافة ، وذلك بالدماء على منابرهم للطاهري .

ولا ندري أن كان رجال ديوان بغداد أرادوا انتهاز فرصة المضاعف التي كانت تحيط بزيادة الله لكي يحصلوا منه على تأكيد الطاعة للخلافة وتجديد البيعة للمأمون ، أم أن الخلافة كانت تقصد بذلك تقديم تأييدها المعنوي للأمر الأغلب في صراعه مع الثوار من قواد عسكره - فالمعروف أن زيادة وقف إلى جانب المأمون أثناء ادعاء إبراهيم بن المهدي الخلافة عقب مقتل الأمين ، وهو الأمر الذي حمده له المأمون « فكتبه وشكر له فعله » (١١٢) .

ولا بأس أن يكون زيادة الله قد فهم مقصد الخلافة على هذين الوجهين

(١١٠) انظر الجلة السراء ، ج ١ ص ١٦٦ : حيث الإشارة إلى ما أثارتته مزمنة سبيبة من الخوف في نفس زيادة الله - الشاعر - حتى أنه انشد ، بعد أن دخلت عليه أمه جلاجل تحبسه وتسهل عليه الأمر ، أبياتا منها :

أمنت سبيبة كل قرم يأسل ومن المييد جليبا ايجالا
لانا ذكرت مصاييا بسبيبة فابكي جلاجلو وابغبي احوالا

(١١١) ابن خلدون ، ج ١ ص ١٠١ ، ابن الأثير سنة ٢٠١ ج ٦ ص ٢٢٢ .

(١١٢) الحلة السراء ، ج ١ ص ١٦٦ ، ابن الخطيب ، أحوال الأعلام ، قسم ٢ ، ص ١٦ .

جميعاً • فهو اذ يعرب عن طاعته للحلابة ، بحرص في نفس انوقت على استقلاله . ويرفض ، بعنف ، اُذعاء لابن طاهر ، واصفا اياه بـ « عبد خزاعة » ، كما يعبر — عن طريق هديته من الدنانير الادريسية — عن وقوفه بالمرصاد لأعداء الخلافة العباسية من العلويين في المغرب • ولكنه بعد سورة الغضب يعمل على استرضاء الخلافة في خطاب ثان اتبعه خطابه الأول (١١٣) •

حدث ذلك حوالي سنة ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م . وقتما كان ابن طاهر في مصر ، أي قريب الوقت الذي كان زيادة الله يعاني من حصر خصومه له قرب القيروان وابعاسية ، وحينما كان الامير الأغلبى لا يجد له خلاصا من همومه الا باغراقها في الخمر •

انتقال الصراع الى الجنوب التونسي ، حيث عامر بن نافع :

وحلال ذلك الحصار تخرج موقف زيادة الله مرة أخرى ، وخاصة عندما عاود مواد الجند من المتمردين الحاحهم عليه في الخروج من افريقية بالامان على نفسه وماله ، حتى أنه بدأ يشاور أقاربه وأخصاءه في الأمر • وكان ممن استشارهم قائده سفيان بن سودة الذي أفهمه أن الأمر لم يكن بالدرجة التي يتصورها من السوء ، وطلب اليه أن يمكنه من النظر في ديوان الجيش • وعندما قدم له زيادة الله سجل العسكر انتقى سفيان بن سودة مائتي فارس ، ممن بثق بهم ، فأغدق عليهم بالمال ليعيدوا أنفسهم خير اعداد ، وخرج بهم الى اقليم نفزاوة (١١٤) • وكان هدف ابن سودة الا يحارب فقط بفرسانه الذين اختارهم من صناديد الأبطال ، بل أن يكونوا قوة لجيش يستنفره من البربر والعرب لمواجهة عامر بن نافع الذي كان يزمع قصد ذلك الاقليم • ووصل ابن سودة على رأس فرسانه الى نفزاوة التي كان على ولايتها القائد عبد الصمد بن جناح الباهلي (١١٥) ، ودعا أهل الاقليم من البربر فأجابوه ، واحتجح اليه خلق كثير من زنانة وغيرهم من القبائل •

ونجح سفيان بن سودة في فتح الاقليم بلدا بلدا حتى وصل الى حدود

(١١٣) الحلة السراء ج ١ ص ١٦٦ . وانظر فيما بعد ص ٦٤ •
 (١١٤) النويري . المخطوط . ج ٢٢ ص ١١٠ ، ابن الأثير . سنة ٢٠١ هـ ج ٦ ص ٣٣٢ ، وقارن ابن عسدي . ج ١ ص ١٠١ (حيث يجعل عدد من انتظام سودة مائة فارس فقط) ، انظر الحلة السراء . ج ١ ص ١٨٣ •
 (١١٥) النويري . المخطوط . ج ٢٢ ص ١١٠ •

قسطيلية حيث كان عامر بن نافع قد وصل فعلا (١١٦) .

وفي قسطيلية حشد عامر بن نافع العبيد من السودان ، حتى جمع منهم ألف أسود من العاملين في فلاحه الأرض ، وذلك أن سلاحهم الذي حملوه كان يتكون من القنوس والساحى ، وضمهم الى رجاله . ومن قسطيلية اتجه عامر نحو نفزاوة حيث اتخذ مدينة تقيوس مركزا لقيادته (١١٧) . وعندئذ خرج سفيان بن سودة بقواته الى لقاء عامر ، وانتهى القتال الدامي بهزيمة الجند المتמרدين أصحاب عامر ، وقتل أعداد كبيرة منهم . وانسحب عامر الى قسطيلية حيث اندفع في جباية أموالها دون رافة بأهلها ، طوال ثلاثة أيام بنيا لها قبل أن يخرج بأحمال المال بعد أن ترك بيا من يضبطها من رجاله (١١٨) .

ورغم ما يقوله بن عذارى من أن عامر بن نافع خرج من قسطيلية يريد القيروان ، فالرأى من النصوص أنه خرج منها متباديا في الهزيمة نحو تونس حيث بقية الجند المتمرد مع منصور الطنبلى . وذلك أنه ما أن خرج من قسطيلية حتى استصرخ أهلها ابن سودة الذى سار اليهم برجاله ، فملك الاقليم وولى عليه أعوانه لضبطه واقرار الأمن والنظام فيه (١١٩) . ثم انه بمجرد استقراره فى اقليم تونس ، مهد الفتنة ، قام الصراع بينه وبين منصور الطنبلى .

ظروف موالية لزيادة الله :

الصراع بين منصور الطنبلى ، وعامر بن نافع فى تونس :

كان من الطبيعى أن يقوم الصراع بين الطنبلى ، وبين قائده ابن نافع الذى كان يعتبر نفسه ندا لرئيسه ، ولا يقبل أن يعامله منصور معاملة التابع . وكانت تلك المحاسنة تظهر ، عادة ، وهما فى مجالس الشراب

(١١٦) النويرى ، المخطوط . ج ٢٢ ص ١١٠ ، ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ج ٦ ص ٣٣٣ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠١ . وانظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٨ حيث النص على أن قتال نافع فى نفزاوة تم استيلاء سفيان على قسطيلية كان فى سنة ٢٠٩ هـ ، أى عقب هزيمة منصور الطنبلى مباشرة .

(١١٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠١ .

(١١٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠١ ، ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، ج ٦ ص ٣٣٣ .

(١١٩) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ج ٦ ص ٣٣٣ .

حيث تأخذهما بشرة السكز (١٢٠) . وائر توعد منصور لعامر ذات مرة رأى هذا الأخير أن يبد هو بالتخلص من منصور ، فاستمال الجند إلى جانبه ، وأسرع من تونس ، لمفاجأة منصور وهو في قصره بالمحبدية ، وضرب عليه الحصار الذي طال حتى فنى ما كان في الحصن من الماء . وجرى اسفراء بين الخاسين وانتهى الأمر الى أن عرض منصور أن يسمح له بالخروج على الأمان في بعض السفين الى المشرق ، وأجابه عامر الى ذلك (١٢١) .

عامر يقدر بمنصور :

ولكن الطنبذى عندما تأمل في الأمر مع أصحابه استمع الى نصيحة من أشار عليه بالألا يخضع لضيم عامر بن نافع ، وأنه يمكنه الالتجاء الى مدينة الأربس حيث له كثير من الأعوان . وبفد منصور تلك النصيحة فخرج من قصر طنبة مسنختيا أثناء الليل الى الأربس ، وتحصن بها . وعندما عرف عامر في صباح اليوم التالي بتلك الحديعة سار في أثر منصور الى الأربس ، وضرب عليه الحصار . ومع طول الحصر ضج أهل المدينة ، وكلموا منصورا في الخروج من مدبتيهم ، بطلب منهم أن يمهلوهم بعض الرقت حتى ينظر في أمر خلاصه (١٢٢) .

وأرسل منصور الى بعض كبار قواد ابن نافع . وهو عبد السلام ابن المفرج اليشكرى ، بطلب الاجتماع به . وعندما حضر عبد السلام كلمه الطنبذى من أعلى السور ، فعدد له أياديه البيضاء على الجند ، وطلب منه لرسالة لكي يحصل من عامر على الأمان وعاهده على أن يسير الى المشرق . ونجح عبد السلام بن المفرج في الحصول على الأمان لمنصور على أن يخرج في صحبة بعض فرسان عامر الى تونس حيث يأخذ أهله وحاشيته ، ويسير بهم الى المشرق (١٢٣) ، في بعض السفن (١٢٤) .

والحقيقة أن عامر بن نافع عندما أسعف الطنبذى بالأمان كان يدبر

(١٢٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠١ ، وانظر الحلة السيرة ، ج ٢ ص ٢٨٤ .
 (١٢١) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠١ ، النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٠ ، ابن الأثير ، سنة ٢١١ هـ ج ٦ ص ٤٠٤ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٨ .
 (١٢٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٢ ، النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٠ ، ابن الأثير ، سنة ٢١١ هـ ، ج ٦ ص ٤٠٥ .
 (١٢٣) ابن الأثير ، سنة ٢١١ هـ ، ج ٦ ص ٤٠٥ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٢ ، الحلة للسيرة ، ج ٢ ص ٢٨٥ .
 (١٢٤) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٠ .

القدر به ، حتى لا تتكرر منه خديعته السابقة في المحمدية . وذلك أن عامرا أمر صاحب خيله الذي صاحب منصوراً في السفينة من تونس بأن يعرج به على جزيرة جربة ، وهناك كان عليه أن يأمر بحبسه لدى الوالي ، وهو ابنه حمديس بن عامر (١٢٥) . وتم لعامر ما أراد ، فحبس منصور الطنبيزي وأخوه حمدون (١٢٦) في جربة .

وعندما علم القائد عبد السلام بن المرح الذي توسط في الأمان ، وهو بياجة ، بفدر عامر ، ثارت ثائرتة ، هو وأصحابه ، وقبضوا على هاشم أخى عامر ، وكان واليا على باجة ، وهددوا نافعاً بقتل أخيه هاشم إن لم يطلق سراح منصور . ورفض عامر التهديد ، بل وهدد بدوره عميد السلام وأصحابه من الجنود بسوء العاقبة إن ففدوا تهديدهم . وانتهى الأمر بأن أفرج عبد السلام عن هاشم بن نافع بينما أرسل عامر إلى ابنه حمديس في جربة يطلب منه أن يضرب عنق كل من منصور وأخيه حمدون (١٢٧) .

نهاية منصور الطنبيزي

الحكم عليه بالإعدام :

وأحضر حمديس بن عامر الطنبيزي وأخاه حمدون ، في ساحة الإعدام حيث قرئ عليهم ، كما يحدث في المحاكمات الحديثة ، كتاب عامر بتنفيذ العقوبة العظمى فيهما ، وهي الموت بالسيف دون مراجعة ، أى استئناف .

وكانت نهاية تعسة بالنسبة لبطلي الأمس الذي كان ينازع أمير إفريقية ملكه ويضرب عليه الحصار ، ويطلب إليه أن يخرج من البلاد ، إذ إنه عندما سمع منصور بالحكم العظيم ، طلب - بشجاعة تليق بمثله - دواة وقرطاساً ليكتب وصيته ، ولكن خائنه شجاعته إذ لم يستطع الكتابة ، واكتفى بأن قال شفويًا ، على كل حال : « فاز المقتول بخير الدنيا والآخرة » (١٢٨) . وهذا ما يذكرنا برد أسد بن الفرات على تهديد عمران بن مجالد ، أبان ثورتا

(١٢٥) انظر التويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٠ ب (حيث قرنه بدلا من جربة)
ابن الأثير سنة ٢١١ هـ ، ج ٦ ص ٤٠٥ (حيث يقول إن والى جربة كان لثامر وليه
ابن له) ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٢ .
(١٢٦) ابن الأثير ، سنة ٢١١ هـ ، ج ٦ ص ٤٠٥ .
(١٢٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٢ ، التويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٠ ب -
(١٢٨) ابن الأثير ، سنة ٢١١ هـ ، ج ٦ ص ٤٠٥ ، وثالث الحلة السمرية ، ج ٢ ص ١٤١
١ حيث النص الأخير : « فاز المقتول » ، وليس « فاز المقتول » .

على ابراهيم بن الأغلّب ، اياه ان لم يجرح معه ، بأنه ان لم يكف عمران عنه ،
ليساذين في حق تلك الذرة ، ان : « القاتل والمقتول في النار » (١٢٩) .

نتائج مقتل الطنبزى فى صفوف الجند المتبرّد :

مافسون جند عامر بن نافع :

وهكذا انتهى منصور الطنبزى الى القتل بيدى اكبر أعوانه عامر بن
نافع ، الذى ظن أن الأمور استقامت له فى تونس ، بعد أن تخلص من قائده
ومنافسه الكبير ، وإن ظهر له منافس جديد هو الآخر ، فى شخص قائده
الموتور : عبد السلام بن المفرج الذى استقل فافليم بأجرة .

ويعلم من النصوص التى أوردها كل من الثويرى وابن الأبار أنه كان
من السهل على ريادة الله التنبؤ بعشيل حزب عامر اثر ذلك . فعندما علم
بنهاية منصور ، كتب الى عامر بن نافع يدعوه الى الطاعة ، « ويحذره عاقبة
منصور الطنبزى قتيته » ، ويبذل له الأمان ومن معه ، ويعده « بأنه معيده
الى ما كان عليه مع ييه ابراهيم بن الأغلّب وأخيه عبد الله بن ابراهيم » .
ورد عليه نافع برسالة بليغة ، وهو يعدد له مساوى أفعاله ، ويقول فى آخر
كتابه : « ما بينى وبينك هودة حتى تضع الحرب أوزارها ، ويحكم الله بيننا ،
وهو خير إلّاكمين » (١٣٠) .

وفعلا لم يمر مقتل منصور الطنبزى وأخيه حمدون دون ردود فعل عنيفة
بين الجند الأغلبى المتبرّد ، وخاصة بين المضربة منهم ، الذين وجدوا على عامر
فنافروه وحاربوه ، وانضموا الى حانب عبد السلام بن المفرج الذى رفع راية
الأخذ بالنار للمقتول المظلوم . وانتهت المناقزة بخروج بن المفرج من بأجرة
حيث كان قد استقر ، نحو تونس لحرب عامر ، وانتهى القتال بظفر عبد السلام
وانهزام عامر الى جربة حيث كان ابنه حمديس (١٣١) .

(١٢٩) انظر فيما سبق ، ص ٣٧ و ٤٦ .

(١٣٠) الثويرى ، المخطوط ، ج ٢١ ص ١١٠ ب ، الحلة السراء ، ج ٢ ص ٢٨٤ - ٢٨٥
(حيث نص الرسالة فى أولها وآخرها) .

(١٣١) انظر الثويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٠ ب (حيث قرره هذا من تجربة) ،
بولاق ابن الأثير ، سنة ٢١١ هـ ، ج ٦ ص ٤٠٤ الذى لا يفكر تلك الحرب ويكتفى بالإشارة
الى لقاء عامر تونس) - ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٣ (الذى لا يشير الى تلك الأحداث) .

تحسن الموقف بالنسبة لزيادة الله :

قرار فتح صقلية ، ووفاة عامر بن نافع :

وبذلك تفرق شمل الجند الأغلبى المتمرد مما حسن موقف زيادة الله ، حتى أنه اتخذ قراره الخطير بفتح صقلية في سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م ، أي أثناء تلك الثورة العارمة . وفي السنة التالية (٢١٣ هـ / ٨٢٨ م) اعتل عامر علقته التي مات فيها (١٢٣) - وقبل أن يموت عامر بن نافع على فراشه ، حسب رواية ابن عذاري (١٢٣) ، استدعى أولاده ، كما تنص رواية النويري ، وقال لهم : « يا بني ما رأيت في الخلف خيرا ، فإذا أنا مت ودفتتموني ، فلا تعرجوا على شيء حتى تلحقوا بزيادة الله فهو من أهل بيت عفو ، وأرجو أن يسر بكم ويقبلكم أحسن قبول » (١٢٤) .

ولقد نفذ أبناء عامر وصية والدهم بعد وفاته ، فأتوا زيادة الله طائعين محتضنين ، كما جعل الجند يتمثلون اليه ويستأنون ، وهو يؤمنهم ويحسن إليهم (١٢٥) .

نهاية الفتنة :

وهكذا حق لزيادة الله أن يقول عندما بلغه نبأ وفاة عامر بن نافع : « الآن وضعت الحرب أوزارها » . وإذا كان النويري قد أخذ هذا التصريح بنصه الحرفي فجعل انقضاء على عبد السلام بن المفرج لا يتطلب وقتا طويلا ولا مجهودا كبيرا من العسكر الأغلبى الذي ضيق عليه الحصار في باجة ، حتى انتهى الأمر بموته عطشا (١٢٦) . فمن الواضح أن الأمر لم يكن كذلك . فإين الأبار يعلق على تصريح زيادة الله عن نهاية الحرب بنهاية عامر ، بقوله : « فكان كذلك : لم يزل أمر الجند مديرا حتى انقضت الحرب وطفئت النائرة ،

(١٢٢) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠٢ . وقال ابن الأثير ، سنة ٢١١ هـ ج ٦ ص ٤٠٥ (الذي يحدد موت عامر بن نافع بسنة ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م - وهو ما يتخذ به ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٦٨) -

(١٢٣) البيان ، ج ١ ص ١٠٢ .

(١٢٤) النويري ، للخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٠ ب ، ١١١ أ ، وانظر الحلة البصرة ، ج ٢ ص ٢٨٥ -

(١٢٥) النويري ، للخطوط ، ص ١١١ أ .

(١٢٦) النويري ، للخطوط ، ص ١١١ أ .

وصفت له إفريقية (١٢٧) ، مما يعني أن القضاء على ديول العتنة تطلب بعض الوقت ، وأنه لا بأس أن يكون التخلص من عبد السلام قد حدث في سنة ٢١٨ هـ / ٨٣٢ - ٨٣٣ م ، كما تنص بعض الروايات .

والحقيقة أنه توجد إشارات في ابن الأثير ، وابن خلدون تشير إلى مقتل عبد السلام بن المقرج في سنة ٢١٨ هـ / ٨٣٢ - ٨٣٣ م ، اثر اشتراكه في ثورة جزيرة شريك التي قام بها فضل بن أبي العنبر ، كما يأتي . وهذا يعني ، كما يصر ابن خلدون ، أن عبد السلام بن المقرج استقر في باجة لمدة خمس سنوات تالية على وفاة عامر بن نافع (١٣٨) ، وهو الأمر المقبول ، سواء كان ذلك بتقليد من الأمير زيادة الله أم بالتغلب على الإقليم (١٣٩) .

والهم أنه بوفاة عامر انتهت تلك العتنة التي طالت إلى أكثر من ١٣ (ثلاثة عشر) عاما ، واستقامت الأمور لريادة الله ، ابتداء من سنة ٢١٣ - ٢١٤ هـ / ٨٢٨ - ٨٢٩ م . ولا بأس في أن يكون زيادة الله قد بدأ حركة التهيئة منذ سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م ، عندما وجه أنظاره نحو غزو صقلية ، حيث كان يمكنه أن يوجه نشاط جنده المتمرد إلى الجهاد بدلا من إثارة الفتنة في البلاد (١٤٠) .

اضطرابات خفيفة بين الجند ، وخاصة في تونس :

وهذا لم يمنع بطبيعة الحال من قيام بعض الفتن في البلاد ، مما استطاع زيادة الله أن يقضى عليه بسهولة . ففي حوليات ابن عذاري ، مثلا : ذكر لفتنة وقعت سنة ٢١٦ هـ / ٨٣١ م بإفريقية بين رئيسين من رؤساء الجند ، هما : مطيع السلمي ، وإسماعيل بن الصمصامة ، انتهت بهزيمة مطيع وقتله ، وفرار أصحابه (١٤١) . وفي سنة ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م عادت منطقة تونس إلى

(١٢٧) الحلة السيرة ، ج ٢ ص ٢٨٥ .

(١٢٨) ابن الأثير ، سنة ٢١٨ هـ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٨ .

(١٢٩) وهنا يجب أن نشير إلى أنه لا يشك في تلك الرواية إلا ما يصر عليه ابن خلدون - عندما - من أن غزو صقلية كان في سنة ٢١٩ هـ / ٨٢٤ م التالية ، بدلا من سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م ، وكان هناك نوعا من العلاقة بين الجدولين ، مما يسمح بالنظر في رواية التويري التي ينادي بها ، والتي تكاد تربط بين وفاة كل من عامر بن نافع وعبد السلام حوالي سنة ٢١٢ هـ - ٢١٤ هـ .

(١٤٠) انظر الأصول الخاصة بفتح صقلية ، ص ٢١٠ وما بعدها .

(١٤١) البيان ج ١ - ص ٦٠٤ .

الاضطراب من جديد ، عندما ثار بجزيرة شريك قائد من قواد الجند اسمه فضل بن أبي العنبر ، ونجح في هزيمة العسكر الذي وجههم اليه زيادة الله ، فتقلب على المنطقة ، وأعلن الاستقلال بها (١٤٢) . ولقد استجاب عبد السلام ابن المقرج لطلب المعونة من قبل الفضل ، فخرج من باجة الى جزيرة شريك . ولكن الرجلين لم يستطيعا مواجهة القوات الاغلبية ، وانتهى الأمر بمقتل عبد السلام بن المقرج ، كما سبق ، بينما انهزم الفضل الى تونس وامتنع بها . وسير زيادة الله جيشا كثيفا الى تونس بقيادة ابن عمه ، وإلى صقلية ، أبي قهر محمد بن عبد الله بن الأغلب ، ففر الفضل من تونس ، كما نجح في الافلات كثير من عسكره . واقتحم العسكر الأميري المدينة ، وقتلوا كثيرا من أهلها ، وهرب آخرون (١٤٣) . وانظروا أن الفقهاء كان لهم دورهم في تلك الثورة ، عن طريق قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، اذ يذكر ابن عذاري - بهذه المناسبة - قتل عباس بن الوليد الفقيه الصالح (١٤٤) .

العفو عن المتمردين :

وفي السنة التالية (٢١٩ هـ / ٨٣٤ م) أعلن زيادة الله العفو عن كل من شارك في تلك الثورة ، وأفلت من تونس . فاستجاب له أهل المنطقة ، وركن الاقليم الى الهدوء والسكينة (١٤٥) .

وكان من بين من امتأمن عبد الرحمن وعلى ابنا أبي سلمة، وأبو العزاف، وكانوا شعراء فصحاء ، فمدحه عبد الرحمن بقصيدة ارتاح لها الأمير . وعندما قام شاعر الأمير : يعقوب بن يحيى ، يعرضه على بني سلمة وأبي العزاف ، بأبيات يقول فيها :

تسمع أيها الملك المعان	قوافي في معانيها البيان
يتم أمان من خضب العسوالى	وليس لشاعر أبدا أمان
لأن قوافي الأشعار تبقى	على الأيام ما بقي الزمان
وقد يرجى بجرح السيف برء	ولا برء لما جرح اللسان

- (١٤٢) ابن عذاري ، البيان ، ج ١ ص ١٠٥ ، ابن الأثير ، سنة ٢١٨ هـ (حيث يحدث مكان الواقعة بمدينة اليهود بالجزيرة ، ويذكر مقتل عبد السلام) ، ابن خلدون ، ط بيروت . ج ٤ ص ٤٢٤ سميت الاسم بقتل "بن" "أبي العنبر" .
(١٤٣) نفس المصدر .
(١٤٤) نفس المصدر - حيث يذكر ابن الأثير أن الفقيه عباس بن الوليد لم يكن مشاركاً في الثورة الا بعد أن انضم العسكر الاغلبى داره .
(١٤٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠٥ ، وايطر ابن خلدون ، ط بيروت ، ج ٤ ص ٤٢٤ .

لم تلتفت اليه زيادة الله وأمضى لهم أمامهم .

ولما سأل أبا العزاف : لماذا لم يستأمن قبل هذا الوقت ؟ قال الرجل : « أيها الأمير ! كنت مع قوم حمقى ، يولون كل يوم واليا ويعزلون آخر ، مرجوت أن يكون لي معهم دولة » - فضحك زيادة الله ، وقال : « قد عفوت عنا » ، (١٤٦) .

تقويم زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب :

تخصية مزدوجة : رقة تغلفها الغلظة :

رغم ما يقوله الكتاب من أن زيادة الله كان قاسيا مستبدا بائبند سفاكا لدعاتهم ، وخاصة عندما يسكر ، وهم يريدون بتلك الاضافة اثباتية سيئة أخرى يضموها الى الأولى ، فالظاهر أن قسوته لم تكن الا مستارا يخفى وراءه شخصية رقيقة . وهذا ما عبرت عنه الرواية التي ينقلها ابن عذاري ، عندما قيل ان منصورا الطنيزي استهول ما رآه عندما خرج زيادة الله اليه في الجيش الكثيف ، اد لم يعرف فيه الا الضعف والوهن (١٤٧) .

وتظهر رقة زيادة الله من تلك الحكايات الطريفة التي تروى أفعالا له ، تدل على عفوه وضعفه رحله - فهو يتأثر كثيرا لما فعلته والصدته السيدة « جلاجل » ، عندما طبخت الفول ببصارا وأرسلته الى أخت عامر بن نافع بعد هزيمته حتى تبر بنفسها وهي تريد أن تسخر منها : لأن أخت عامر كانت قد أقسمت لتجعلن « جلاجل » تطبخ لها الفول ببصارا بمعنى أنها كانت تتوقع انتصار أخيه ، واذلال أم زيادة الله - وهو الأمر الذي كان يستعظمه العرب . وما كان من زيادة الله الا أن قال لوالدته : « قد ساءني ما فعلت يا أم . ان الاستطالة مع القدرة لؤم ودناءة ، وقد كان أولى بك أن تفعل غير هذا » . وتنبهت أم زيادة الله الى المعاني النبيلة التي كان يقصدها زيادة الله بذلك الدرس ، فقالت له : « نعم سأفعل ما يرضيك ويحسن الأحودة عنا ، ويعتني اليها (أي الى أخت نافع) بكسوة وصلة والطف » . ورفقت بها حتى قبلت ذلك ، وطابت نفسها ، (١٤٨) .

(١٤٦) ابن عذاري - ج ١ ص ١٠٥ .

(١٤٧) أنظر فيما سبق ، ص ٥٣ .

(١٤٨) التويرى ، نهاية الأرب ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١ ب - ١١٢ . ومن السيدة

حلال ، أنظر فيما سبق ص ٤ ص ٢٧ .

وهو عندما يعمو عن ثوار قوتس الشعراء من آل أبي سلمة وشريكهم
في اغتنة أبي العزاف ، يقبل اعتذار الأخير اللطيف ، رغم ما فيه من المرامة .
ثم هو لا يستمع الى ضعيبة شاعره الذي كان يحسدكم لأنهم منافسون له
في الشعر ، من غير شك (١٤٩) .

قيادة الله شاعرا :

وهذا ما يؤكد رقة الأمير الذي كان شاعرا ، وكان يحمي الشعر
والشعراء بمعنى أنه كان حاميا للغة العربية التي كان أحد العارفين بها .
وفي ذلك تقول رواية النويري المأخوذة عن الرقيق : - انه « كان من أفضح
أهل بيته لسانا وأكثرهم بيانا ، وكان يعرب كلامه ولا يلحن من غير تشاؤق
ولا تقصير » (١٥٠) . وإلى جانب ذلك كان زيادة الله يقول الشعر الحسن الجيد ،
ولو أن النويري لم ينتحب من أشعاره الا أبيات كان قد ذيل بها خطايا وجهه
الى الخليفة المأمون ، ردا على طلب للخليفة استاء له أمير القيروان ، وكان ذلك
وهو في حالة سكر ، وهي :

أنا النار في أحجارها مستكنة فان كنت ممن يقدح الزند فأقذح
أنا الليث يحمي غيله يزئيره فان كنت كلبا حان موتك فانبج
أنا البحر في أمواجه وعساياه فان كنت ممن يسبح البحر فاسبج (١٥١)

وعندما تنبه الأمير الرقيق الحاشية من سكره ، استهول ما فعله فبعث
في طلب الرسول ، ولكن دون جدوى . وحينئذ كتب كتابا لطيفا ثانيا يليق
بمقام الخليفة المأمون . وكان رد خليفة بغداد ، الذي كان أدبيا محيا للفلسفة ،
على الخطاب الثاني ، وأجاب فيه كل ما طلبه الأمير القيرواني المغرم بالحمر
والشعر (١٥٢) .

(١٤٩) انظر فيما سبق ، ص ٦٢ .

(١٥٠) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ، ص ١١١ ب . وقرب الحلة السيد ، ج ١ ص ١٦٣
(١٥١) قس النهاية والحلة . وما يستحق التنبيه أن ابن الأبار ينص على أن زيادة الله
كتب هذا الشعر وهو غضبان من طلب الخلافة اليه ان يدعو في الخطبة لئلا الله بن طاهر بن
الحسين (انظر فيما سبق ، ص ٥٤) . ولقد أخذنا قراءة الحلة للبيت الثاني من الشعر .
وهو يوجد في نهاية الأرب على الوجه التالي .

أنا الليث يحمي عليه غيله يزئيره فان كنت كلبا خان يومك فانبج

(١٥٢) انظر النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١١ ب . الحلة السيرة ، ج ١ ص
١٦٣ ، ١٦٥ . حيث يذكر ابن الأبار له شعرا في الحرب والمزن عن هريصة في وقعة سببية =

ها بين فسقه وورعه :

وهكذا إذا ظهر زيادة لله يظهر المتمزق بين القسوة والرقه ، فقد كان أيضا ذا شخصية منقسمة على نفسها ، ما بين الفسق - إذا اعتبرنا أن غرامه ياتجر نوع من الفسق ، وهو ما يمكن أن يكون والا يكون حسب واقع العصر - والتدين . وفي مشاعره الدينية تقول الرواية انه كان يقول لحاصته : انى لأرجو رحمه الله ، وما أرانى الا أقوز بها اذا قدمت عليه يوم القيامة ، وقد عملت أربعة أشياء :

بني المسجد الجامع بالقريوان ، وأنفقت عليه ٨٦ (ستة وثمانين) ألف دينار ، وبنيت قنطرة باب أبى الربيع ، وقصر المرابطين بسوسة ، ووليت القضاء أحمد بن أبى محرز (١٥٣) .

وهكذا تظهر أعمال الزرع والتقوى ، فى نظر أهل ذلك العصر ، فى أربعة أشياء ، هى :

١ - بناء المساجد ، وهى بيوت لله التى لا يعمرها الا من آمن بالله واليوم الآخر .

٢ - بناء القناطر لجلب الماء من الجبل البعيد ، وهذا من الأشياء ذات المنفعة العامة للناس ، مثل شق القنوات والأنهار للسقيا والزرع ، وبناء الجسور والقناطر لعبورها . وكل ذلك من الامور التى يحض عليها الدين ، الذى يهدف الى صلاح الناس فى دنياهم أيضا قبل آخرهم .

٣ - بناء الحصون والربط من أجل إقامة المجاهدين من العباد ، فالجهاد وثيق الصلة بالدين ، حتى أنه اعتبر سادس قواعد الاسلام . والجهاد والدين

= (انظر فيما سبق ، ص ٥٣ و ٥٤) ، وحيث يذكر له نموذجين آخرين من الشمر أحدهما فى النسب ، ومنه :

يا لله لا تقطعن بالهجر اتقاسى	فانت تملك انطيماني بواخر من
صهوة طرفك عن طرفى اذ التقي	مجرى كاس ارغام واتقاس
والآخر من وصف خفاة ، ومنه :	

ولايسة شوبه اصفرار بلا جسم	تيم بانفاس الحبيب تشيم
تجمع مقنوس ليبياسي وعتاشق	قلوب نظير يريود اليها حذقشيم

(١٥٣) انظر النويرى ، المقطوط ، ج ٢٢ ص ١١٦ . وقارن ابن عيارى . ج ١ ص

١٠٣ : والمالك ج ١ ص ٣٠٨ . والبكرى . ص ٣٥ .

- ٦٦ -

سارا في افريقية ، منذ أيام الأغالبة ، متلازمين بعصل العلماء العناد من أهل البلاد ، إثنين اعتبروا الجهاد عبادة • والمثل لهم أسد بن العرات قاضي افريقية على أيام زيادة الله ، وقائد حملة صقلية •

٤ - اسناد القضاء الى ذوى الفضل من الفقهاء والعلماء ، والقضاء كان الخطوة الثانية بعد الامارة ، والقاضي هو الحكم الذي يمثل العدل • والعدل أساس الملك ، كما قال الحكماء منذ أقدم العصور •

أبو محرز قاضيا :

إذا كان زيادة الله قد اعتبر أن تولية القضاء لأحمد بن أبي محرز - الذي عرف بشدة تقاه - من أعمال البر العظيمة التي يأمل أن يجزيه الله عنها خيرا ، فإنه يحق له أن يعتبر أن تولية والد أحمد ، وهو محمد بن عبد الله بن قيس الكنانى ، الذي عرف بكنتيته أبي محرز ، منصب القضاء فى القيروان من أعمال البر أيضا • ولقد ولى أبو محرز القضاء فى سنة ١٩٠ هـ / ٨٠٦ م ، على ما يرجح ، وذلك عقب وفاة القاضي ابن غانم (عبد الله بن عمر الرعينى) الذى كان قد ولى القضاء برضاء الخليفة الرشيد منذ ولاية روح بن حاتم (فى رجب سنة ١٧١ هـ / يناير ٧٨٨ م) وطوال عشرين سنة حتى أيام ابراهيم بن الأغلب (١٥٤) •

وأبو محرز معروف بين فقهاء القيروان بأنه كان من الكوفيين ، أى ممن يأخذون بمذهب أهل العراق من أصحاب أبى حنيفة الذين يعتمدون القياس والرأى. فى استنباط الأحكام ، على عكس جمهرة فقهاء القيروان على أيامه ، ممن كانوا مالكية من أهل الحديث ، الذين يأخذون بسنن أهل المدينة التي نشرها فى المغرب تلاميذ امام دار الهجرة ، الذين شدوا الرحال الى مصر والحجاز ، وتلقوا العلم على مالك بن أنس نفسه •

(١٥٤) تصح الرواية على أن ابن غانم توفى فى ربيع الآخر سنة ١٩٠ هـ / فبراير - مارس ٨٠٦ م على أيام ابراهيم بن الأغلب الذى حزر لوفاته وبكى عليه ، هو وحاله أبو عقاب • ولقد رجحنا أن تكون ولاية أبى محرز فى نفس السنة ، وذلك أنه هناك دواية أخرى تضيف الى ذلك احتمال أن تكون وفاة ابن غانم سنة ١٩٦ هـ / ٨١٢ م • وهى سنة وفاة ابراهيم بن الأغلب نفسه • انظر الرقيق ، ص: ٢٢٨ ، المدارك للفاضى عياض ، ص: ٣٢٥ • تراجم أغلبية لا بين المدركين ، ص: ٢٥٠ (فى تولية ابن غانم) • خبره ٨٧٤ • من ولاية أبى محرز بعبد ابن غانم • وانظر فيما سبق • ج: ١٠ ص: ٣٧٤ و هـ ١٠٧ •

ومن هؤلاء كان أئمة ذلك العصر ، مثل : علي بن زياد التونسي ، الذي يعتبر أول من أدخل موطأ مالك إفريقية (١٥٥) ، وعابد القيروان البهلول بن راشد ، الذي قال فيه مالك : « هذا عابد يلد » (١٥٦) ، وعبد الله بن فروخ المارسي ، الذي كان يكتب مالكاً (١٥٧) ، وأسد بن الفرات الذي يسع الموطأ عن مالك وغيره (١٥٨) ، والذي أدخل كتب الإسدية إلى مصر وإفريقية ، وفيها أجوبة مالك - عن طريق ابن القاسم المصري - على آلاف المسائل التي أجاب عنها تلاميذ أبي حنيفة (١٥٩) فكانها كانت في الفقه المقارن ، كما نقول الآن .

٢٠٠ ما بين أبي محرز وأسد بن الفرات :

والى جانب ترجمة أبي محرز ، الذي اعتز زيادة الله بتولية ابنه أحمد القضاء ، بين تراجم المالكية في إفريقية ، فإن أخباره توجد متناثرة في تراجم فقهاء ذلك العصر وأمرائه ، وخاصة في ترجمة أسد بن الفرات الذي ولاه زيادة الله القضاء إلى جانب أبي محرز في سنة ٢٠٣ هـ / ٨١٨ م ، فكانت أول سابقة في تولية القضاء لرجلين معا (١٦٠) .

والحقيقة أنه إذا كان أسد أكثر علما وفقها من أبي محرز ، فقد كان يميز محرز ، أشد من أسد رأيا وصوابا (١٦١) ، كما كان أبو محرز أكثر إحسانا للمربية ، مقلا في كلامه (١٦٢) . وهكذا كان أبو محرز ، قيل أن يلى القضاء ، يستفتى في القيروان ، هو وأسد بن الفرات ، وزكرياء بن محمد بن أخكم إلخمي ، ومن في طبقتهم من الفقهاء والعلماء (١٦٣) .

والمعروف عن أبي محرز أنه كان رقيقا لينا في أحكامه ، يميل إلى الأناة

-
- (١٥٥) المدارك ، ص ٢٢٦ ، تراجم أغلبية ، ص ٢١ .
 (١٥٦) المدارك ، ص ٢٢٦ ، تراجم أغلبية ، ص ٢٨ . وأنظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٩١
 وم ١٧٤ .
 (١٥٧) المدارك ، ص ٢٤٠ ، تراجم أغلبية ، ص ٤١ . وأنظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٧٤
 وم ١٠٦ .
 (١٥٨) المدارك ، ص ٤٦٥ ، تراجم أغلبية ، ص ٥٣ ، وقارن المالكي ، ج ١ ص ١٧٤ .
 (١٥٩) المدارك ، ص ٤٦٩ ، وما بعدها ، تراجم أغلبية ، ص ٥٦ - ٥٩ .
 (١٦٠) المدارك ، ص ٤٧٦ ، تراجم أغلبية ، ص ٦٥ (تزرج الرواية ولاية أسد ما بين سنة ٢٠٣ هـ وسنة ٢٠٤ هـ) ، وقارن المالكي ، ج ١ ص ١٨٥ .
 (١٦١) المدارك ، ص ٤٧٦ ، تراجم أغلبية ، ص ٦٥ ، وقارن المالكي ، ج ١ ص ١٨٩ .
 (١٦٢) المدارك ، ص ٤٧٦ ، تراجم أغلبية ، ص ٦٩ .
 (١٦٣) المدارك ، ص ٤٩١ ، تراجم أغلبية ، ص ٨٤ .

والتروى فى فتاواه ، وياخذ طريق التساهل والعفو . ولقد ظهر تساهله فى ميته الى التسامح مع الجند المتمردين على زيادة الله فى ثورة الطنبذى الخطيرة . وذلك أنه بينما كان فقيه ، مثل : عبد الله بن أبى حسان اليحصبى يريد الوقوف بصلابة ضد الثوار بعد هزيمتهم ، لأنهم كانوا قد أغاروا على منازلهم وانهبوا ، واضطروه الى الاستخفاف ، فيقول : لزيادة الله ، السدى نصحه العلماء بالعفو ورغبوه فيه : ان العفو ممسدة ، ولن يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، كان أبو محرز يقول : العفو أقرب للتقوى (١٦٤) . وهو لذلك يتصدى لابن أبى حسان اليحصبى ، ويقول له : أمن أجل شويهاك أو رميكاتك تستحل دماء المسلمين (١٦٥) .

ومثل هذا كان رأى أبى محرز فيما يرمى بتهمة الزندقة - التى صارت جريمة سياسية فى كثير من الأحيان - مهما كان حال صاحبها : ان يستتاب . وهو يوبخ انقيه أبا زكريا بن الحكم عندما يقول : ان رأى أهل العلم أنه يقتل اذا كان مظهرًا للإسلام ، وأن كان هو نفسه لا يأخذ بهذا الرأى ، ويرميه بالحق لأن كلامه هذا يجرى الأمير - وهو زيادة الله الذى كان حاضرا مجلس الفتوى - على سفك الدماء (١٦٦) . وهو هنا يمثل فقهاء افرقية ، فى ذلك العصر ، ممن كانوا لا يهابون السلاطين ، ولا يخشون فى الله لومة لائم . فهو يقف الى جانب أسد بن الفرات ضد الرجل ، الذى أراد أن يتملق زيادة الله ، فقال له : أنه رأى فى المنام كان جبريل وقف بين يديه ومعه نور - رغم سعادة الأمير بتلك الرؤيا الكاذبة (١٦٧) . وكان أبو محرز يميل الى الثانى أيضا قبل تقض الهدنة مع الروم عندما أتوا يطلبونها قبل حملة صقلية ، ولو أن زيادة الله أخذ برأى ابن الفرات فى شرعية خرق الهدنة (١٦٨) .

(١٦٤) المدارك ، ص ٤٨٣ ، تراجم أغلبية ، ص ٧٤ (حيث تقول الرواية ان اليحصبى كان من الرأى فى الجند حتى انه نظم فى ذلك شعرا يقول فيه :
أباح طعام الحنن جهلا حريتنا وشقوا مصا الاسلام من كل جانب
وعانوا وثاروا فى البلاد سفاهة وفنوا بأن الله غير معاقب
وما هجى بعض الأعاجم ضلة ارادوا وقطعان الكرام المناسب
ولكن من قوم اليك اعتزازهم مبخسا فهم لينا لاحدى المجانب
وقارن المالكي ، ج ١ ص ٢٠٣ (حيث أبيات الشعر مختلفة بشكل بى) . وعن اليحصبى مؤرخا ، انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٤ .

(١٦٥) المدارك ، ص ٤٨٣ ، تراجم أغلبية ، ص ٧٤ - ٧٥ .
(١٦٦) المدارك ، ص ٤٧٥ ، تراجم أغلبية ، ص ٦٤ ، وقارن المالكي ، ج ١ ص ١٩١ .
(١٦٧) المدارك ، ص ٤٧٨ - ٤٧٩ ، تراجم أغلبية ، ص ٦٨ .
(١٦٨) المدارك ، ص ٤٧٦ ، تراجم أغلبية ، ص ٦٦ ، وانظر فيما بعد عن فتح صقلية ص ٢١٢ .

وإذا كان أبو محرز ممن يقول بعدم تحريم النبيذ ، فإنه كان يقول بذلك عن قناعة ، حسب رأى أهل العراق ، ولم يكن يقوله تملقا للأمر الذي كان مفرما بالشراب ، والذي كان يعقد المناظرات في أمر شراب النبيذ بين أبي محرز ، الذي كان يحله ، وبين أسد ، الذي كان يراه حراما (١٦٩) .

أسد بن الفرات :

وهكذا فإذا حق لزيادة الله أن يتخذ توليته القضاء لاحمد بن أبي محرز شميما له يوم الحساب ، فقد كان من حقه أيضا - الذي تقرر له - أن يعتز بتوليته القضاء قبل ذلك لوالد أحمد ثم تولية أسد بن الفرات أيضا الى جانب أبي محرز (١٧٠) فأسد بن الفرات الذي تفقه على مالك بن أنس ، وتعلم في العراق على تلاميذ أبي حنيفة ، كان يواجه زيادة الله بتحريم الخمر ، كما كان يقف ضد مقالة المعتزلة بخلق القرآن (١٧١) . وكان كثير عنتهم ، مثل أبي محرز ، من أصحاب المذهب الحنفي الذي أصبح على أيام الخليفة المأمون المذهب الرسمي للخلافة ، في : بغداد وفي البسلاذ التابعة لها كمصر وأفريقية . وفوق هذا وكان أسد بن الفرات أحسن الشجعان على علمه وفقهه (١٧٢) . فأسد بن الفرات ربط في شخصه بين العلم والدين والجهاد ، وهي الأمور التي شغف بها زيادة الله .

ولقد كانت وفاة أسد بن الفرات - التي استعظمها أبو محرز ، حتى قال : « اليوم مات العلم » (١٧٣) - في صقلية سنة ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م (١٧٤) ، وتبعه أبو محرز في السنة التالية (٢١٤ هـ / ٨٢٩ م) (١٧٥) .

-
- (١٦٩) المدارك ، ص ٤٧٥ . ص ٤٨٤ . تراجم أغلبية ، ص ٦٥ ، ٧٥ . وقارن قطب السروج للرفيق ، ص ٤٨٦ - ٤٨٩ (حيث تضم الرواية أسد بن الفرات الى جانب أبي محرز في تحليل النبيذ ، وهو الأمر الذي لم يذكر أبدا عن أسد) .
- (١٧٠) أنظر المالكي ، ج ١ ص ١٨٥ (حيث النص على أن الوزير علي بن أحمد هو الذي سعى في ولاية أسد ، وكان يود عزل أبي محرز) - وانظر الصفحة ٦٧ ، وهـ ١٦٠ .
- (١٧١) المدارك ، ص ٤٧٣ - ٤٧٤ ، تراجم أغلبية ، ص ٦٢ - ٦٣ . وقارن المدرك ، ج ١ ص ١٨١ ، ١٨٢ .
- (١٧٢) المدارك ، ص ٤٧٣ ، تراجم أغلبية ، ص ٦٦ ، المالكي ، ج ٢ ص ١٨٨ - وهما ما تشير اليه عند الكلام من فتح صقلية
- (١٧٣) المدارك ، ص ٤٧٥ (رواية عمران بن أبي محرز) ، تراجم أغلبية ، ص ٦٤ .
- (١٧٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠٤ .
- (١٧٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠٤ .

أحمد بن أبي محرز :

ولا ندري من الذى ولى القضاء ، بعد أبي محرز ، وذلك أن الحوليات لا تذكر لنا تولية أحمد بن أبي محرز لقضاء افريقية ، التى اعتز بها زياد الله إلا فى سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٤ م ، ثم تفاجئنا بوفاته فى السنة التالية (٢٢١ هـ / ٨٣٥ م) كقاض لصقلية ، بعد ولاية لم تدم إلا حوالى تسعة أشهر فقط ، جمع فيها بين قضاء افريقية وقضاء صقلية على ما يظن (١٧٦) .

.. والمهم أن أحمد بن أبي محرز الذى عرف بأنه لا يخشى فى الله لومة لائم ، كان من التقوى والورع بحيث أنه كان عازفا عن تقليد القضاء الذى لم يقبل ولايته إلا مكرها (١٧٧) . ولهذا قالت بعض الروايات أنه لم يحكم بحكم حتى مات (١٧٨) ، رغم ما تنص عليه روايات أخرى من أنه تحرى غاية العدل فى إجراءاته القضائية : فلم يقبل وكالة أقارب الأمير أو حشمه أو من يلوذ به . هذا ، إلى جانب إشارات أخرى إلى انصافه وإلى وقوفه بصلاية أمام الوزير على بن حميد عندما أراد مساندة بعض المتخاصمين ، واجباره الوزير على البراءة من محسوبه ، وذلك فى حضرة زيادة الله ، وأمام الملأ من الناس ، مما كان له رجة عظيمة بالقيروان (١٧٩) .

والذى يستأثر بعناية الكتاب فى وفاة ابن أبي محرز ، الذى كان كثير البكاء غزير الدمعة ، أنه أوصى أحماء عمران بن أبي محرز أن يكتبم موته حتى يكفنه ، ويصلى عليه خوفا أن يكفنه زيادة الله ويصلى عليه . ونفذ عمران الوصية ، ولم يدر فتیان زيادة الله بالأمر إلا بعد أن حمل نعش ألقاضي الورع - الذى أراد أن يهرب ميتا من زيادة الله بعد أن عجز عن الهروب منه حيا - خارج داره . وهنا اكتفى خلف الفتى بوذر الكثير من المسك الذى كان أحضره على جثمان القاضي ، ورجع إلى القصر بما كان معه من الأكفان . وهكذا

(١٧٦) - أنظر بن هنادى ، ج ١ ص ١٠٦ . المالكي ، ج ١ ص ٣٠٥ . هذا ولو أن رواية أبي العرب (ط . تونس ، ج ١٦٧) تقول أنه ولى بعد وفاة والده أبي محرز ، مما يعنى أن خطة القضاء ظلت شاعرة لمحوال عدة سنوات منذ وفاة أبي محرز ، وهو الأمر المستبعد ، رغم ما تقوله رواية المالكي (ج ١ ص ٣٠٦) من أن الناس كانوا ينتهين عن ولاية القضاء عندما أجبر زيادة الله أحمد بن أبي محرز على قبولها .

(١٧٧) - المالكي ، ج ١ ص ٣٠٥ .

(١٧٨) - أبو العرب ، ط . تونس ، ص ١٦٧ . المالكي ، ج ١ ص ٣٠٥ .

(١٧٩) - المالكي ، ج ١ ص ٣٠٦ - ٣٠٨ .

يمكن زيادة الله من الناحق بالجنابة الا عند المصلى خارج المدينة ، حيث
فصل عليه وحضر دفنه . وثقول الرواية انه بعد أن عزى الأمير عمران
القاضي أحمد ، قال : يا أهل القيروان لو أراد الله لكم خيراً ، لما خرج
، أي محرز من بين أظهركم (١٨٠) .

وهكذا حق لزيادة الله أن يعتز بقاضييه أحمد بن أبي محرز ، وتؤكد
من رأيه شهادة سحنون فيما بعد ، فقد كان إذا تكلم فيمن تقدمه من
خصا ، فذكر له أحمد بن أبي محرز ، لم يتكلم فيه الا بخير لفصله (١٨١) .

مال زيادة الله العمرانية :

رباط سوسة :

والحقيقة انه على عكس ما قد يتوهمه الناظر السريع في حياة زيادة الله
أنها كانت حياة رجل متمزق بين العنف والبحث عن اللذة ، حتى أن قاضييه
أن يخاف أن يكفنه بأثواب من عنده أو أن يصلى على جنازته ، نجد أن المتأمل
في حياته يكشف خلف ستار هذا المظهر الخداع رجلاً قد وهب نفسه لأعمال
جبر ، وعلى رأسها الجهاد . ففي سنة ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م بدأ ببناء واحد من أكبر
حصون المرابطين من العباد المجاهدين في سوسة ، وهو رباط سوسة
لشهور ، الذي أصبح بعد سنوات قليلة قاعدة لأكبر عملية غزو بحرية قام
بها العرب فيما وراء البحار ، وهي فتح صقلية وإيطاليا . كما صار صنوا
رباط المنستير الذي أصبح أكبر رباطات السواحل المغربية : حتى اعتبر
نتيجة من عتبات الجنة ، وحتى أصبحت الإقامة فيه لمدة يوم وليلة أعظم
نجزا من الحج أو الانقطاع الى الصلابة والصوم . وبذلك مزج علماء افريقية
الأغلبية بين العلم والتدين والجهاد ، بطريقة لم تعرف في غير افريقية من بلاد
الاسلام .

ورباط سوسة (١٨٢) ، كما وصلنا ، أشبه بحصن مزيج الشكل ، طول
ضلعه حوالي ٤٠ متراً ، تدبم جدرانها الأربعة ثمانية أبراج : ٤ (أربعة) منها

(١٨٠) ابن عسدي ، ج ١ ص ٦٠٦ ، وقارن المالكي ، ج ١ ص ٣٠٩ . حيث النص على
أن صرنا هو ابن القاضي أحمد وليس أخاه .
(١٨١) أنظر العرب ، ط ١ - تونس ، ص ١٦٧ .
(١٨٢) أنظر البكري ، ص ٢٥ (حيث يصله جارة) معزس عليم كالمدينة = سوسة - بلنور
يتميز بقرية معزس / الرباط ، وهو مأوى للاجئين والفقراء الذين داخله منصفين - ثمان مئمتي
= القصبة . وهو بجوار المدينة متصل بدوار الصناعة - بسفح الجبل الذي هي في سنده) .

في رواية ابيه ، و ٤ (أربعة) في وسط كل من حوائطه الأربعة . والأبراج مستديرة الشكل عدا اثنتين منها فلها شكل مربع ، وأحدهما يقع في الركن الجنوبي الشرقي حيث توجد في أعلاه منارة مربعة الشكل ، يظن أنها أقيمت من أجل إرسال الاشارات الضوئية التي كان يتبادلها جسد المحارس ، والثاني في وسط الجدار الجنوبي حيث الباب الوحيد للرباط . وكانت تعلو برج هذا الباب قبة ذات شرفات (جوسق) ، ربما كانت تستخدم كمئذنة للجامع الذي يقع في الدور العلوى من هذا الجانب من الرباط .

أما الفناء المربع في داخل الحصن ، فهو أشبه بصحن الجامع الكبير ، وتحيط بجوانبه وراء الأروقة غرف العباد وصوامعهم . الموزعة في الدور الأرضي على جوانب المحيطان الأربعة ، بينما هي موزعة في الدور العلوى في ثلاثة اتجاهات فقط . اذ الحقيقة أن المسجد ، الذي يتكون من أحد سر رواقا رأسيا على حائط القبلة ، وبلاطين عرصيتين ، يشغل الجزء العلوى المواجه للحائط الجنوبي للرباط ، وهو حائط القبلة (١٨٣) .

قنطرة باب أبي الربيع :

والى جانب مجهودات زيادة الله في بناء رباط سوسة للعباد المجاهدين ، بنى قنطرة باب أبي الربيع في القيروان ، التي كانت ساقية عظيمة تحمل الماء من الجبل القريب عبر الوادى ، على ارتفاع شاهق بفضل حناياها أو أقواسها الكبيرة ، مما كان له أثره في العمارة الاسلامية في افريقية وسائر بلاد المغرب والأندلس . وذلك أنه كانت توجد في افريقية نماذج لهذا النوع من السواقي المحمولة على القناطر منذ أيام الرومان ، كما كان الحال كذلك في الأندلس ، مثل . قناطر ماردة التي بقيت لنا أجزاء منها(١٨٤) .

(١٨٣) انظر جـ . ماريه ، مختصر الفن الاسلامي ، ج ١ ص ٤٧ - ٤٩ ، شكل ٢٠ ص ٤٨ (تخطيط يجمع رباط سوسة) . السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير (ج ٢) ص ٢٤٩ وما بعدها .

(١٨٤) من قناطر باب تونس المزدوجة قرب القيروان انظر ج . ماريه ، مختصر الفن الاسلامي (بالفرنسية) ، ج ١ ص ٥٣ . وهي قناطر ماردة انظر ج ١ ص ٢٣٠ - ٢٣١ حيث الاشارة الى احتمال تأثيرها على الأقواس المزدوجة في جامع قرطبة . وعن معارضة هذا الرأي انظر أحسن فكرى و المسجل لمباعدة القاهرة ومبارسها ، ص ١٣ - ١٤ . بحيث يقرر المؤلف ، إن أقواس حايح قرطبة المزدوجة هل عربي مبتكر لا علاقة له بقناطر ماردة وانظر شكل ١ ص ١٥ .

وهكذا تلك توطئة الله مهتما بأعمار البلاد ، مجتهدا في تحقيق أسباب
الحياة الطيبة لشعبه ، رغم ما واجهه من المصاعب ، وما عاناه من التجارب
التي تسببت فيما رأيناه من الفتن . وحسن رعاية زيادة الله لمصالح شعبه
باعتبار من مبادئ الإسلام الأساسية التي تنص على مسئولية كل راع عن
رعيته ، وذلك أن الرعية هي أصل رخاء الدولة ، إذ : « المال رزق تجمعته
الرعية - كما قال فلاسفة السياسة - والرعية عبيد يتعهدهم للعدل (١٨٥) » .

مسجد القيروان الجامع :

وتمت بناء المسجد الجامع في القيروان - الذي اختط عقبة لأول مرة -
سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م ، ثم جددته حسان سنة ٨٤ هـ / ٧٠٣ م ، ووسعه بشر
ابن صفوان سنة ١٠٥ هـ / ٧٢٥ م ، وبنى منارته ثم جددته بعده يزيد بن حاتم
سنة ١٥٧ هـ / ٧٧٤ م ليتوج أعمال زيادة الله ، وليصبح أثرا باقيا إلى اليوم
من آثار الأغالية (١٨٦) .

وفي شهر جمادى الآخرة من سنة ٢٢١ هـ / مايو - يونيو ٨٣٦ م (١٨٧) ،
قام بزيادة الله فامر بهدم بناء المسجد العتيق - حاشا للحراب ، بحراب عقبة -
بعد أن لم يعد مناسباً ، من حيث السعة أو من حيث الفخامة ، بمدينة
القيروان التي أصبحت أعظم عواصم المغرب . كما لم يعد مناسباً بالملكة
للأغلبية التي وطدت أقدامها في إفريقية وأصبح بلاطها منافسا لبلاط الخلافة
في بغداد . وأعاد زيادة الله البناء بالصحرا والأجر والرخام ، تاركا محراب
عقبة لتقديم بعد أن كساه كله بالرخام المخرم المنقوش بالكتابة وبغيرها من
الزخرف . من أسفله إلى أعلاه (١٨٨) .

ولم يبخل زيادة الله في النفقة عليه ، مما بلغ ٨٦ (ستة وثمانين)

(١٨٥) كتاب السياسة في عصر الرياسة . في الأصول اليونانية للنظريات السياسية في
الإسلام . تحقيق عبد الرحمن مدوي . القاهرة ١٩٥٤ . فصل العدل ، ص ١٢٧ .
(١٨٦) ومن الأحبار الفريفة الخاصة بتلك التحديدات التمر طرات على الجامع منذ بناء
عقبة . ما كانت تترك بين المصيصي المريتقي ، المشرية والصلالية . هذا ما يلهم
من ترجمه العقبة عبد الله بن أبي حسان اليحصي (اليسى) الذي كان مقربا من زيادة الله .
فيهما قام زيادة الله بإصلاحاته في جامع القيروان ما زلنا قلنا : « عاد المسجد حضريا » .
ويشرح سلب المادوك ذلك بأن عقبة قرى بزيادة الله تسمى لها تقريوان . هذا ، كما قال
له زيادة الله مرة أخرى : « صرنا أفواكم من المجمع » (المادوك ص ٤٨٤) .
(١٨٧) التويري ، على ترجمة ابن خلدون ، ص ٩٠ ص ٢١٢ .
(١٨٨) الخلاصة للسياسة ص ٦٠ ص ١٦٣ . « وقولوه وصفه البكري (الذي يعتبر أقدم من كامل
وشكنا من بناء الجامع » . ص ٣٤ .

الف ديار - وتقلب الظن أنه هو الذى جلب له الأساطين الجميلة المحرقة
بالبيض والسواد المشدين (١٨٩) من المعابد القديمة والكنائس من أنحاء
أفريقية ، ومنها السارتان الحمراء اللتان توجدان قبالة المحراب ، واللتان
وصفتا بأنه لا مثيل لهما فى العالم (١٩٠) ، وإن سبب حلها إلى حسان
أعين النعمان (١٩١) -

ومسجد القيروان الجامع الحالى الذى اتفق على أنه بقى لنا كما تركه
زيادة الله - بصرف النظر عن بعض التوسعات فى بيت الصلاة ، مما يمكن
أن يكون قد تحدثت فى فترات تالية لعهد زيادة الله - يشغل مساحة مستطيلة
طوله حوالى ١٣٥ مترا ، وعرضه ٨٠ مترا ، ويحوى كلا من بيت الصلاة
المغطى ، والصحن المكشوف ، وبيت الصلاة يحوى ١٧ (سبعة عشر) رواقا
طولية تمتد من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى ، والرواق الأوسط منها
أكثر اتساعا وأعلى ارتفاعا ، وتقوم على طرفيه الشمال والجنوب قبتان
بالحط المستقيم بين القبتين يمثل اتجاه القبلة بالنسبة لأهل القيروان
وببلاطة المحراب العريضة تحمل على طرفيها قبتين هي الأخرى . أما الصحن
فهو متسع جدا ، وتحيط به من جهاته الأربعة أروقة مربعة ، باستثناء
الجبهة الشمالية حيث تقطع المذابة تلك الأروقة .

أما المذابة فهي عبارة عن ثلاثة أبراج مربعة الشكل ، الواحد منها فوق
الأخر . والمثلث منها ، وهو العلوى ، يعلوه قبة مصلعة بيضاء . ويلاحظ
أن أضلاع البرج الأول ، الذى يظن أنه بنى فى خلافة هشام بن عبد الملك ،
لميسر رأسية ، بل هي تنحرف نحو الداخل فى اتجاه القبة - وعرض هذا
البرج الرئيسى ، ١٠٥ مترا ، وارتفاعه ١٩ مترا . أما ارتفاع المنارة
فأدوارها الثلاثة فيبلغ حوالى ٢٥ مترا (١٩٢) .

والمذابة بكتلتها البيضاء ، وقامتها العريضة ، وهي قائمة فى طرف
الصحن المدثر بغلالة الأروقة تضيء على المكان زينة ذات جلال أخاذ . وبيت

(١٨٩) الحلة السرية ، ج ١ ص ١٦٢ ، وقارن البكرى ص ٤٤ .

(١٩٠) الحلة السرية ، ج ١ ص ١٦٢ - ١٦٤ .

(١٩١) البكرى ص ٢٤ ، وقارن الإستبعاد ، ص ٨٨ (حيث يصلها بالخرابان -

وان كان البكرى يذكر العمود الأخضر الذى اشتراه يزيد بن حاتم بمال جليل - ص ٢٢) -

دله (١٩٢) أنظر سبورج مارسية ، مختصر الفن الاسلامى (بالفرنسية) ، ج ١ ص ٢٧ - ٢٨

حيث المقارنات مع حلويات البكرى ، ص ٢٣ ، وقارن أسد فكرى ، المجلد لمسجد القاهرة -

وميلوسيا ، ٢٠٣ - ٢٠٤ ، للسيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج ٢ ص ٤٢٢ وما بعدها .

- ٧٥ -

الصلاة ، كما يقول جورج مارسيه ، بغاية أعمده التي لا تعد ولا تحصى ، وبأورقته التي يأتيها الضوء هادئا من خلال الأبواب ، تحدث في النفس شعورا قويا ساحرا (١١٣) .

وهكذا حتى لزيادة الله الأول بن إبراهيم بن الأغلب أن يموت راضيا ، راجيا ثوب ربه ، في يوم الثلاثاء ١٤ رجب سنة ٢٢٣ هـ / ١١ يونية ٨٢٨ م ، وله من العمر (واحد وخمسون) سنة ، بعد ولاية حافلة بجلال الأعمال والخطوب ، استمرت لأكثر من ٢١ سنة (١٩٤) . وخلفه في ملك إفريقية أخوه الأغلب أبو عقال .

أبو عقال الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب المعروف بخزر : (٢٢٣ - ٢٢٦ هـ / ٨٢٨ - ٨٤٧ م) .

الامن على عهد الأغلب :

آل ملك إفريقية بعد وفاة زيادة الله الأول آلى أخيه الأغلب ، الذي كان في الخمسين من عمره ، والذي كانت قد آلت اليه أمور دولة زيادة الله منذ عودته من مصر ، كما تقول رواية النويري ، وإن لم تشر بعد ذلك الى أي نشاط له (١٩٥) .

ولم يستمر حكم الأغلب أبي عقال الا أقل من ثلاث سنوات تمتعت بلباد خلالها بفترة من الامن والاستقرار ، كما يقول الكتاب ، اذا استثنينا تلك الحملة التي وجهها في سنة ٢٢٤ هـ / ٨٢٨ م بقيادة قائده عيسى بن ريعان للأزدى ، ضد قبائل لواتة وزواغة ومكناسة ، من الحوارج في إقليم الجريد . ولقد انتهت الحملة بقتل تلك القبائل قتلا ذريعا ، حتى قيل أن عيسى انهم بن آخرهم ، فيما بين مدينتي قفصة وقسطلية (توزر) (١٩٦) ، قبل أن

(١٩٣) أنظر جورج مارسيه ، مختصر الفن الاسلامي (بالفرنسية) ، ج ٢ ص ٢٧ .
(١٩٤) النويري ، المخطوط ، ج ٢٤ ص ١١٢ ، ترجمة ابن خلدون ، ج ٦ ص ٤٩٢ .
ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، قسم ٣ ، ص ٢٠ ، وقارن الحلة السراء ، ج ٢ ص ١٦٤ .
(١٩٥) أنظر فيما سبق ، ص ٤٣ ود ٧١ - حيث الاشارة الى انه جعل أمور دولته الى الأغلب . لما غن علم الاشارة الى نشاط الأغلب ميفيكن أن يفسر ذلك بالأغلب كان له دوى من أخيه المتوفى بالمسكوت عنه . لا اذا كان الأمر قد التبس ، لي بعض الكتاب فخلطوا بين الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب وبين الذين معه الوزر الأغلب بن عبد الله بن مياهم المشهور بملبوند .
(١٩٦) ابن خلدون ، ج ١ ص ١٠٤ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ٤٨٨ الذي يفسر على أنهم حوارج .

يعود بمفانيهم وأسلاهم ، كما يقول ابن الأثير (١٩٧) .

والحقيقة أن رواية كل من ابن الأثير ، وابن عذارى ، وابن خلدون ، والنويرى ، عن عهد أبي عقاب ، تكاد تكون نفس الرواية على شيء من الاختصار أو الاسهاب ، ففى بعض الفقرات ، مما يوحى بأنها منقولة عن اترقيه القيروانى ، وان كان ابن عذارى يذكر فى أحداث حملة سنة ٢٢٤ هـ / ٨٣٨ م . ابن القطان صاحب كتاب نظم الجمان (الذى وصلتنا قطعة منه فى تلخيص الموحدين) -

خزر :

عرف أبو عقاب الاغلب بلقب خزر ، مع أنه من المعروف أن تحريف اسم الاغلب على الطريقة المغربية الأندلسية هو « غلبون » ، كما هو الحال بالنسبة لوزير ريادة الله وابن عمه الاغلب بن عبد الله بن الاغلب . ونجنى لا نعرف الظروف التى أعطى فيها الاغلب لقب حرر الذى يعطيه الكتاب . ياه (١٩٨) ، وهو من الأسماء المغربية المشهورة عند الزنابيين ، والتى تحرف عندهم فى شكل « خزرون » ، مما يحتمل معه أن يكون الاسم قد أعطى له محايبة للزناتية . ولا بأس أن يكون أعطى له للفرقة بينه وبين ابن عمه الوزير غلبون -

العودة الى ضريبة العشر :

وخلال فترة حكمه القصيرة استتب الأمن بين الناس واستقرت أمور الجند بفضل الاجراءات التى اتخذها الاغلب ، والتى يشير اليها الكتاب سريعا عندما يقولون انه غير أحداثا كثيرة كانت قبله (١٩٩) . وابن الأثير يفسر تلك الأحداث التى غيرها بأنها كانت من المطالم (٢٠٠) ، مما يعنى أنها كانت تتعلق بالضرائب الثابتة التى قررها الأمير عبد الله بدلا من العشر الذى كان يمثل

(١٩٧) ابن الأثير - سنة ٢٢٤ هـ ، ج ٦ ص ٤٩٢ - والحدود مما لا يذكر الا أنه سير صرية فى سنة ٢٢٤ هـ -

(١٩٨) انظر ابن خلدون ، ج ١ ص ١٠٧ . النويرى - المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٢ ، الترجمة ج ٤٤٤ ، وقال ابن الأثير سنة ٢٢٢ هـ ، ج ٦ ص ٤٩٢ حيث الكبة أبو عقاب جدلا من - ابن خلدون - من تحريف النسخ - أما اسم خزر فلا يذكره .

(١٩٩) ابن خلدون ، ج ١ ص ٢٠٧ - والنويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٢ - ١١٢ ب .

الترجمة ج ١ ص ٤١٤ ، الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٦٨ .

(٢٠٠) ابن الأثير سنة ٢٢٣ هـ ، ج ٦ ص ٤٩٢ .

الضرية القانونية المعروفة بخراج الأرض ، والتي كانت تدفع عينا ، حسبما تحمله الأرض من الغلات (٢٠٢) .

خضبط الجند والعمال :

أما عن الجند فتقول الرواية انه أحسن اليهم بمعنى أنه أجزل لهم العطاء ودفعه اليهم في مواعيده المقررة ، فكان ذلك سببا في قطع شغبهم ، كما تشير الرواية أيضا الى أن انقطاع الحروب في أيامه كانت من أسباب أمنهم .

أما عن عماله ونوابه في الأقاليم فقد كف أيديهم عن التناول على أموال الناس . وعما كانوا يرتكبونه من المظالم عن طريق زيادة رواتبهم ، ودفعها لهم في أوقاتها المقررة أيضا (٢٠٢) .

فتح النبيذ :

والى جانب ذلك قام أبو عقاب الأغلب بإجراء كان فيه إرضاء لمشايخ القيروان وعلماؤها وعبادها ، كما كان له أثره الطيب في قلوب الناس ، وذلك أنه منع عمل النبيذ والحمر في القيروان (٢٠٢) ، بل وعاقب أيضا علي بيعه وحريمه (٢٠٥) ، بعد أن كان بعض فقهاء الحنفية يبيحونه ، وبعد أن كان زيادة الله يعقد المناظرات في تحليل النبيذ وتحريمه (٢٠٥) .

وهكذا انتهت ولاية الأغلب الذي توفي في يوم الخميس ٢٢ ربيع الآخر سنة ٢٢٦ هـ / فبراير ٨٤١ م راضيا ، مرضيا عنه من الكتاب الذين شبهوه بجده وسميه الأغلب ، ليس من حيث الاسم فقط ، بل ومن حيث الخلق بواخلق كذلك (٢٠٦) . وخلفه ابنه أبو العباس محمد .

(٢٠١) انظر ملحقنا سبق ، ص ٤١ - ٤٢ .

(٢٠٢) انظر ابن عسار ، ج ١ ص ١٠٧ ، ابن الأثير ، سنة ٢٢٣ ، ج ٦ ص ٤٩٢ .
التعري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٢ ب . الترجمة ج ٤١٤ ، الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٦٨ .

(٢٠٣) ابن الأثير ، سنة ٢٢٣ هـ ، ج ٦ ص ٤٩٢ ، النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٣ ب . الترجمة ، ج ١ ص ٤١٤ ، الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٦٨ .

(٢٠٤) ابن عسار ، ج ١ ص ١٠٧ .

(٢٠٥) انظر ملحقنا سبق ، ص ٦٩ .

(٢٠٦) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٢ ب . الترجمة ، ج ١ ص ٤١٤ .

أبو العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب (٢٢٦ هـ - ٢٤٢ هـ / ٨٤١ - ٨٥٦ م) :

معالم العهد :

خلف الاغلب في اماره اتريحية ابنه أبو العباس محمد الذي يتى في الملك مدة زادت على ١٥ (خمس عشرة) سنة ، كانت أهم أحداثها الداخلية مشاركة أخيه أحمد له في الأمور ، ثم قيامه بانقلاب عليه استمر أكثر من سنة ، استعاد بعدها محمد سلطانه - وهي الأمور التي تدخل في النزاع بين أفراد الأسرة المالكة من أجل الحكم .

أما عن أحوال البلاد فكانت هادئة مطمئنة ، لم يعكر صفوها الا بغض الاضطرابات التي قام بها قواد الجند في المناطق الثائرة دائما ، وهي : الزاب ، وتونس - وكان ذلك كرد فعل طبيعي لازمة الحكم التي ثارت بين الأخوين . وعلى المستوى الديني والاداري كان عهد أبي العباس محمد بن الأغلب ، هو عصر عظماء العلماء العباد ، مثل : أبي محمد عبد الله بن أبي حسان اليحصبي (توفي سنة ٢٢٧ هـ / ٨٤٢ م) والبهلول بن عمر بن صالح (توفي سنة ٢٣١ هـ / ٨٤٦ م) ، والامام سحنون بن سعيد (الذي ولي القضاء سنة ٢٣٣ هـ / ٨٤٧ م ، وتوفي سنة ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) . أما عن السياسة الخارجية على عهد محمد بن الأغلب ، فقد تمثلت في استمرار الفتوح في صقلية ، وهو الأمر الذي خصصنا له فصولا تالية .

وأهم مصادرنا الأساسية هنا هو ابن عذاري الذي يهتم أكثر ما يهتم بالفتوح في صقلية . أما ابن الأثير فروايته مبتورة بشكل غير عادي ، اذ لا يذكر الا خبر بناء مدينة أو حصن في المغرب الأوسط قرب تاهرت ، قبل ذكر تاريخ وفاة الأمير بشكل تفصيلي ، وذكر أيام حكمه بالسنوات والأشهر والأيام ، مما يرجع أنه خص مصدره ، وهو الرقيق ، تلخيصا مقتضبا ، الا اذا كانت النسخة التي وصلتنا من ابن الأثير ناقصة . وهذا يظهر من مقارنة رواية ابن الأثير برواية النويري ، الذي ينقل هنا من الرقيق مباشرة . ورواية النويري مليئة بالتفصيلات العجيبة فيما يتعلق بالصراع بين الأميرين الأخوين ، وهو الأمر الذي لا نجد له أثرا في ابن الأثير . وهذا ما جعلنا نشكك في أن تكون النسخة التي بين أيدينا من كتاب الكامل قد وصلتنا كاملة . وهذا لا يمنع من أن يكون صاحب الكامل قد انتخب من الروايات ما زاده مضافا ، وهو أهل لذلك .

هناك محمود اللواتي : حسن الطالع :

وأول ما يوصف به أبو العباس محمد بن الأغلب ، الذي كان في الواحدة والعشرين من عمره عندما تولى الملك ، هو قلة العلم . فهو ضعيف في العربية ، ولا يعرف التفرقة بين المذاهب الكبرى : كالحنفية والمالكية ، بل هو لا يعرف موضوعها أصلاً (٢٠٧) ، ولكنه كان مع ذلك مظهرًا في جريته على من فاواه (٢٠٨) .

وفي السنوات الأولى من إمارته نعمت البلاد بالهدوء والسكينة ، إذ أنه اشرك أخاه أبا جعفر أحمد بن الأغلب في الحكم ، فقلده كثيرا من الأعمال التي صار يدبرها له كاتبة نصر بن حمزة الجروني . وعهد محمد الأمير بالوزارة وتسيير دفة أمور المملكة إلى الأخوين : أبي عبد الله محمد بن علي بن حميد ، وأبي حميد أحمد بن علي بن حميد . والظاهر أنه بينما كان الأمير محمد منكبا على اشرب والاستغفال بالتهو والملاذ ، استبد ابنه علي بن حميد بالأمر . ودونه من آثار حمد أخيه أحمد . ومن الواضح أنه كان لحشد أفراد بطانة أحمد لبني حميد ، مثل : نصر بن حمزة الكاتب ، أثره في توجيهه نحو الاستبداد بالسلطة دون أخيه الأمير (٢٠٩) .

انقلاب يدبره أخوه أحمد :

وهكذا اتفق أبو جعفر أحمد بن الأغلب مع عسدد من أعوانه وأصل بطانته على مفاجأة قصر الأمير محمد في مدينة القصر القديم ، وذلك وقت الظهيرة من أحد أيام الصيف في سنة ٢٣١ هـ / ٨٤٤ م ، عندما يكون باب

(٢٠٧) انظر النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٢ ب - الذي يرميه بأنه كان من أجل الناس . أما رواية ابن عذاري ، (المأخوذة من غريب وغيره) ، ج ١ ص ١٠٧ - ١٠٨ ، فهي تنص على أنه كان يكتب كلمة الظبي بالفساد « ظبي » وليس بالظاء - وهو الأمر المقبول الذي يحدث عند بعض المتعلمين في أيامنا هذه . ولكن الرواية تخرج من حد النقد إلى حشد التشجيع ، عندما تقول إن الأمير الباب اعتذر من ذلك بأن في كتابها قولان : حسبما يقول كل من أبي حنيفة ومالك بن أنس ، مما أثار عجب الحاضرين . وقارن الحلة السراء ، ج ١ ص ١٦٩ : حيث تنص الرواية على أنه كان كوسجا : وجهه وجهه خفي وليس فيه إلا شمرات يسيرة ، عقيلا لا يولد له ، موصيفا بعلم وجود ، وقارن ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، قسم ٢ ، ص ١٠ .

(٢٠٨) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٢ ب . الترجمة مؤيد (١) ص ٤١٥ .

(٢٠٩) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٢ ب ، الترجمة ج ١ ص ٤١٥ .

القصر خاليا من الحرس والبوابين . ونجح المتآمرون من رجال أحمد في اقتحام أبواب القصر ، وبعد أن أعلقوها حلهمهم همموا على الزرير أبي عبد الله محمد بن علي بن حميد ، وقتلوه بأمر أحمد . وفي هذه الأثناء نجح الأمير محمد في اللجوء الى قصر (قبة) عمه زيادة الله ، حيث لحق به أبو حميد أحمد بن علي بن حميد ، بينما هب رجاله الى مقاومة المعيرين . ولكن القتال لم يلبث أن توقف عندما أعلن رجال أحمد أنهم لم يخلعوا طاعة الأمير محمد ، وأنهم قاموا بعملهم هذا من أجل تحريره فقط من استبداد بني حميد الذين استأثروا ، دون الأمير ودون جنده ، بالأموال (٢١٠) .

وهنا أسقط في يد الأمير محمد ، فاضطر الى النزول الى مجلس العامة . حيث أذن لآخيه أحمد ورجاله بالدخول عليه ، فدخلوا وهم في سلاحهم . ودأبت بين الأخوين معاتبة مناسبة ، انتهت باعتذار أحمد ، وإعلانه أن غرضه كإني افشال مكيده ابني علي بن حميد ، اللذين كانا يسميان في الاستيلاء على السلطة . ولم يجد محمد بدا من مداراة أخيه ، والإغضاء عن فعلته ، وانتهى المجلس بإعلان المصالحة بين الآخرين ، وتعهدهما ألا يفد الواحد منهما بالآخر . وكان من شروط الصلح أن يسلم محمد الى أخيه أحمد ، أبا حميد بن علي شريطة ألا يقتله أو يصيبه منه مكروه ، وهو الشرط الذي لم يوف به أحمد ، إذ عذب أبا حميد وصادر أمواله ، ثم دبر قتله وهو في طريق نفيه الى مصر ، على يد بعض المقربين اليه ، وهو أبو نصر الفتى ، أحمد موالى إبراهيم بن الأغلب (٢١١) .

استبداد أحمد بالسلطة :

وبذلك انتهى الأمر باعتكاف الأمير محمد بمنزله متصرفا الى اللبس والشراب ، بينما استبد أخوه أحمد بالأمور ، فعظم قدره واشتد سلطانه ،

(٢١٠) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٢ ب - ١١٣ ، الترجمة ، ج ٩ ص ٤١٥ ، ابن هادي ، ج ١ ص ١٠٨ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعمال ، قسم ٣ ص ٢١ .
(٢١١) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٢ ب - ١١٣ ، حيث تقول الرواية أن أخا الأمير أحمد أسر الى أبي نصر الفتى أن يسير بأبي حميد على طريق طرابلس نحو مصر ، وأنه يقطعه عندما يصل الى قلصانة . وهنا ما فعله الفتى إذ خنق أسيره حتى مات ، وحمله على ظهره الى قلصانة ، وأخبر من قبله أنه لا اثر فيه ولا يفرج ، وقال : أنه سقط عن الدابة فمات . وقارن الترجمة ، ج ١ ص ٤١٦ .

واسمحوا عني كل دواوين الدولة ، فعزل حجاب محمد واتحد لنفسه حجابا
حددا ، كما اوجد حرسا من العبيد والموالي منع عدد أفرادهم ٥٠٠ (خمسمائة) ،
رجل مقفون ببابه . ثم انه رفع كاتبه نصر بن حمزة الجروى الى رتبة
الوزير ، وهكذا صار الأمر كله له ، ولم يبق لمحمد من الامارة الا مجرد
الاسم (٢١٢) .

محمد يستعيد سلطانه :

ولكنه لم يقدر لاحد بن الاعلى أن يستمتع طويلا باستبداده بحكم
افريقية ، ففي السنة التالية (٢٣٢ هـ / ٨٤٥ م) دارت عليه الدائرة ، وعادت
الأمور الى ولى الأمر الشرعى . فكما كان التحاسد بين رجال حاشية كل من
الأخوين سببا فيما قام بينهما من الخلاف ، كان التحاسد أيضا بين رجال
حاشية أحمد هو السبب المباشر للانقلاب المضاد الذى أعاد الأمور الى نصابها
المشروع . فقد كان استيثار أحمد لكاتبه نصر بن حمزة الجروى ، سببا فى
اثارة الحقد فى قلب واحد من أقرب المقربين اليه ، وهو داود بن حمزة
الوادرى ، الذى كان يرى أنه أولى بالتقديم من الجروى ، على أساس أنه
كان المدير الحقيقى للانقلاب .

وعن هذا الطريق فسدت نية الوادرى ، وأخذ يعمل ضد أحمد ويراسل
أخاه الأمير محمد . وكان غدر أحمد بمثابة هزة نفسية عميقة زلزلت كيان
الأمير محمد الى الأعماق ، فترك انلهو والهزل ، وأخذ فى تدبير الحيلة
لاسترجاع سلطانه المفقود . ومهد محمد للأمر بأن أخذ يبحث الى أعيان
قربته من الأسرة الأغلبية وقواد جنده وعبيده ، يسألهم معونته ضد أخيه ،
ويعيدهم الوعود الجميلة ، وينههم أحسن الأمانى . وكان ممن نجح محمد
فى استمالته الى جانبه ، قريبه القائد أحمد بن سفيان بن سواده التميمى
الذى كان أخوه خماجه فى حبس أحمد ، والذى أحسن التدبير فى نصرته .
ودار الهمس حول أحمد : ان أخاه الأمير يدير الاطاحة به ، ولكنه كان واثقا
من أنه آتقن تدبير الأمور بحيث لم يبق مجال لأخيه للكيد له . وكان محمد
الأمير فى الوقت الذى يحيك فيه مكيدته يتظاهر أمام رسل أخيه بالإنهياك

(٢١٢) النورى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٣ ب والترجمة ج ١ ص ٤١٧ . ولان
فى عدادى ج ١ ص ١٠٩ - حيث يقول النص . وقبض أحمد على ما شاء ، واستولى من إرادته ،
وعلى من أحب ، وأعلى الرجال . واستعوز نصر بن حمزة . وانظر ابن الخطيب . أعمال
الأملا م . قسم ٢ ص ٤٦

في الشراب (٢١٢) -

وفي اليوم الذي قرر محمد توجيه ضربته الى استبداد أخيه به ، أرسل الى أحمد بن سفيان بن سوانه إشارة البدء - فجعل ابن سوانة يرسل أتباعه من العبيد والموالي الى مدينة القصر القديم ، عليهم الأكسية ويحملون جرار الماء ، كأنهم يقومون بالخدمة ، الى أن اجتمع منهم قبل الزوال في دار ابن سوانة ثلاثمائة رجل ، أعطاهم السلاح - هذا ، كما كانت جماعة أخرى من أنصار محمد قد واعدوه بالنزول في قصر الماء عند الغروب ، وأن تكون إشارة البدء بتنفيذ الهجوم هي : أن يستمروا الطبل ويروا الشمع مشتملا . في أعلى قبة قصر محمد .

- والظاهر أن أحمد كان قد اطمأن تطلعا الى فشل أخيه ، وعلى اجتهاد تديره للأمور ، حتى أنه بدأ هو الآخر يتصرف في اللهو والشراب ، بل أنه كان قد دخل الحمام في اليوم الذي اختير للقيام بالانقلاب المضاد . ولما كان دخول الحمام في ذلك الوقت يتطلب الكثير من الوقت ، كما كان يتطلب الراحة بعد الخروج منه ، فإن ذلك يعني أن أصحاب محمد كانوا على دراية بما يفعله أحمد في ذلك الوقت ، وأنهم أحسنوا اختيار ساعة التنفيذ . وتقول الرواية ان عيون أحمد أي جواسيسه عرفوه بما يدير له ، بل وأخبروه أن المتآمرين سيجمعون عند قصر الماء . ولكن يظهر أن جواسيسه لم يعرفوا ساعة الصفر ، كما تقول الآن ، إذ أنه أرسل خيلا الى قصر الماء وقت الظهيرة ، فلم يجدوا أحدا ، مما دعاه الى تكذيب تلك الأخبار وعدم الاكتراث لها .

أما عن ساعة الصفر التي اختارها محمد ، فكانت ساعة الغروب . هنا أن قربت صلاة المغرب حتى وجه خافيا له الى حرس أخيه الموجودين ببابه بدعوههم الى مأدبة يترجم بها الأمير . وعندما اجتمعوا قدم لهم الطعام والشراب ، فلما عمل فيهم الشراب احتال على أخذ سيوفهم بحجة أنه يجلبها لهم . ومع أذان المغرب ، وهو وقت اغلاق أبواب القصر ، إتاهم رجاله وعلى رؤسهم عمامة بن عون القرشي ، فقتلوه عن آخرهم - ثم أمر محمد بالطول

(٢١٢) التورى ، المخطوط ، ج ٢٢ من ١١٣ مة ، الترجمة ج ١ من ١٧ مة . الحلة الشريفة ج ٣ من ١٨٢ مة ، وذلك في الخطيب . مقتل الأمير ، قسم ٤ من ١٢٣ مة . الخواطر ابن خلکان ج ٤ من ٢٠٠ مة (حيث الرواية المختصة كتبها ما تسمى الى استخراج ابن العباس محمد لسلطانه شكلا في سنة ٤٢ (٢) م) .

فصربت ، وبالشموخ سعى أعلى القمة فاوقدت ، وأقبل أصحابه من جهة قصر الماء ومن كل ناحية ، وخرج أحمد بن سفيان بن سودة بمن كان في داره من العبيد والموالي ، فجعل يتتبع رجال أحمد أينما وجدهم ، واستمرت عملية المطاردة الرائعة طوال الليل --

ومع بزوغ فجر اليوم التالي بعث أحمد بن سفيان إلى القيروان يستنصر بأهلها ، فاقبلوا في جموع عظيمة ، وهم ينادون بطاعة محمد . وهنا انهزم أصحاب أحمد هزيمة نهائية ، وهرب هو إلى داره . وفكر أحمد في الاستعانة بقريبه خفاجة بن سفيان بن سودة التميمي ، الذي كان في حبسه منذ سبعة أشهر ، ففكاه من السجن ، وطلب منه القوت دون أن يترك له الوقت لمعاتبته . وبشهادة فرسان ذلك العصر طلب خفاجة فرسا وسلاحا ، وخرج لتوّه بنظر فيما يمكن أن يقدمه لناكر الجميل الذي استغاث به . ولكن أهل القيروان أقنعوه بالأحدى من ذلك ، فعاد إلى أحمد بن الأغلب وطلب منه الاستسلام لأخيه على الأمان قبل أن يهلك . ونجح خفاجة في كسب الأمان له من محمد فعلا .

وابتهاجا بالنصر أغدق الأمير محمد على أهل القيروان الذين رجحوا كفته ، بالخلع حتى أتى على كل ما كان في خزائنه وخزائن حرمه ، ووصلهم بالأموال حتى نعد كل ما كان لديه . أما عن أخيه أحمد فانه فُناه إلى مصر . ومن هناك سار إلى العراق حيث مات (٢١٤) .

من نتائج الصراع بين الأخوين :

اضطراب بلاد الزاب :

وهكذا انقضى الاضطراب الذي ترتب على النزاع بين أفراد الأسرة الأغلبية من أجل العرش ، واستقرت الأمور للأمير محمد بن الأغلب من جديد ، ولم تبق إلا بعض ذيول هذا الاضطراب في الأقاليم . ففي إقليم الزاب انتهز سالم بن غلبون ، الذي كان واليا على الاقليم من قبل محمد ، فرصة الصراع بين الأخوين وشق عصا الطاعة . وبعد أن استتبحت الأمور لمحمد ظل سالم على عصيانه ، مما جعل الأمير محمد يعزله عن ولايته في تلك السنة (٢٣٢ هـ / ٨٤٥ م) .

(٢١٤) البورى ، المخطوط . ج ٢٢ ص ١١٤ ب ، ١١٥ . الترجمة . ج ١ ص ٤١٨ .
في هذا رأى . ج ١ ص ١٠٩ . وانظر الحلة السيرة . ج ١ ص ١٨٢ . وقارن ابن الخطيب .
أعمال الأعلام . قسم ٢ ص ٢٢ .

. والظاهر أن وإلى الزاب المعزول استهان بأمر محمد حتى أنه خرج في السنة التالية (٢٣٣ هـ/٨٤٦ م) يريد دخول القيروان ، ولكنه عدل أثنياء الطريق فصار إلى مدينة الأرس ، إلا أن أهلها منعوه من دخولها ، ميا جعله يتوجه إلى باجة التي نجح في دخولها والسيطرة عليها - وهنا سير إليه الأمير محمد جيشا كثيفا بقيادة خفاجة بن سفيان الذي ضرب عليه الحصار في باجة ، وتشدد عليه الحرب حتى أجهأ إلى الفرار ليلا . ولم يترك خفاجة غريمه يلوذ بالفرار إذ تبعه في صباح اليوم التالي ولحقه وقتله ، وسير يرأسه إلى الأمير في القصر للقديم . ولم يكف محمد بقتل سالم بن غليون ، بل أنه انتقم من ابنه زهر الذي كان محبوسا عنده في القصر فأمر بضرب عنقه (٢١٥) .

اضطراب تونس : ثورة القويح :

هذا ، كما عرفت منطقة تونس مرة أخرى الاضطراب بفضل جنسها الذي لا يركن إلى الهدوء ، وذلك خلال السنوات الثلاثة التالية . ففي سنة ٢٣٤ هـ/٨٤٨ م ثار عمرو بن سليم التجيبي ، المشهور بـ « القويح » ، بتونس ، ولم ينجح خفاجة بن سفيان بن سودة ، الذي حاصره بقية السنة ، في كسر شوكته (٢١٦) . وفي السنة التالية ٢٣٥ هـ/٨٤٩ م سير الأمير محمد بن الأغلب قائده محمد بن موسى المعروف بعربان إلى تونس لقتال عمرو بن سليم القويح . وبالقرب من تونس خرج القويح للقضاء عربان ، وصدمه صدمة جعلت الكثيرين من موالى الأمير الأغلبى يلجأون إلى القويح الذي اشتد بهم ، وحمل على محمد بن موسى ، « عربان » ، فهزمه هزيمة منكرة وأسير بعض كبار قواده . وانتهى القتال بمقتل ابن موسى بعد أن انكسرت رجله ، وعودة قلوب الجيش مهزومين إلى القيروان .

وهكذا انتهت شوكة القويح ، ولم يتمكن من هزيمته في العام التالي (٢٣٦ هـ/٨٥٠ م) . إلا خفاجة بن سفيان الذي خرج إليه في جيش كثيف قاتله قتالا شديدا ، قتل أصحاب القويح فيه مقتلة عظيمة . وأدرك بعض

(٢١٥) ابن طبرى . ج ١ ص ١٠٦ - ١١٠ .

(٢١٦) ابن طبرى . ج ١ ص ١١٠ . والقويح طائر صغير له عرف لينة يترك القويح .
وأظهر ابن الأثير لثقت سنة ٢٣٤ هـ/٨٤٨ م - حيث القراء القويح - لما في ترجمته الخليفة
لثقتي عيسى بن عبد القويح . وكذلك في ريلان المالكي (ص ٢٨٠) أي لثقتي صورة
الصغير .

جند القيروان القويح وهو ينهزم فقبضوا عليه وضربوا عنقه ، وحمل رأسه إلى الأمير محمد الذي كافأ قاتل القويح مكافأة سنية ، وخلع عليه .

ولم تستسلم مدينة تونس إلى خفاجة إلا بعد أن دخلها بالسيف يوم السبت ١٠ من ربيع الأول/ ٢١ أكتوبر ، فاستباحها وسبى نساءها ، وعاد إلى القيروان حيث كساه محمد بن الأغلب (٢١٧) ، فكانه كان عائدا من بعض غزواته في أرض العدو .

استكمال العمل في رباط سوسة ، وبناء « العباسية » قرب تاهرت :

أما عن أهم الأعمال العمرانية التي تنسب إلى الأمير محمد بن الأغلب ، فبناؤه للقصر الذي كان بسوسة في سنة ٢٣٠ هـ/ ٨٤٤ م ، كما تقول رواية النويري (٢١٨) . والظاهر أن الأمر كان يتعلق باستكمال العمل الذي كان قد بدأه زيادة الله في الرباط أو بناء الأسوار .

والى جانب الحرب في صقلية ، نظن أن العلاقات بين الأغلبية وبين الرستميين كانت قد توترت إلى حد الأعمال الحربية أو التهديد باستخدام القوة . ذلك ما يفهم من الرواية التي تقول إن الأمير محمد قام بإنشاء مدينة جديدة قرب تاهرت سماها « العباسية » (٢١٩) ، وهو الاسم الذي أعطاه جده إبراهيم بن الأغلب لمدينة القصر القديم . ومن الواضح أن بناء مدينة أغلبية في قلب المملكة الرستمية يعني اتخاذها قاعدة عسكرية أمامية يمكن منها تهديد الدولة الإباضية ، وهذا ما لم يغيب عن الرستميين الذين دبروا تخريب العباسية الجديدة ، فدمروها بالنيران (٢٢٠) . وكانت مناسبة استقلالها الرستميون للتقرب من الأمويين في الأندلس ، حتى أن الأمير عبد الرحمن الأوسط بن هشام بعث إلى الإمام أفلح بن عبد الوهاب بمائة ألف درهم ، كأنها مشاركة منه في « المجهود الحربي » ، كما يقال الآن ، ضد خصمهم المشترك ، مثل بغداد في إفريقية .

(٢١٧) ابن عذاري ، ج ١ ص ١١٠ ، واسطر أبين الأثير سنة ٢٣٤ ، ج ٧ ص ٤٤٤ .
(٢١٨) النويري ، ج ٢٢ ص ١١٥ .
(٢١٩) ابن الأثير ، أحداث سنة ٢٣٤ هـ ، وانظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٠ (حيث يستعمل بناء المدينة في سنة ٢٢٧ هـ/ ٨٤١ م) .
(٢٢٠) ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠١ ، وهو الآخر الذي لا يثبت له ذكر في قول « تاهرت » على عهد الإمام أفلح (١٩٨ - ٢٤٧ هـ) . انظر أيضا بعد ، ص ٣٣٧ وما بعدها .

- ٨٦ -

ازدهار المالكية على أيام محمد بن الأغلب :

والى جانب عناية الأمير محمد برباطات العباد - رغم ما يتسبب اليه من الجهل أو قلة العلم - فقد كان من حسن حظه أنه عاصر خلال حكمه عددا من كبار أئمة المالكية من أهل إفريقية - مثل : عبد الله بن أبي حسان اليحصبي (توفي ٢٢٧ هـ / ٨٤١ م) الذى كان يحضر مناظرات أبي محرز وأسد بن الفرات - أيام زياطة الله (٢٢١) ، كما شهد حكمه السنوات الأخيرة للبيلول بن عمر بن صالح الفقيه (توفي سنة ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م) الذى سبغ من مائه وطبقته (٢٢٢) .

وبعد ذلك بكفيه فخرا أنه ، بعد أن تخلص من استبداد أخيه أحمد ، عهد فى سنة ٢٢٣ هـ / ٨٤٧ م بقضاء القيروان الى امام المالكية ، فى إفريقية والمغرب وفقهيههم ، وهو : سحنون بن سعيد التنوخى ، بعد أن عزل القاضي الحنفى عبد الله بن أبي الجواد ، ضهر أسد بن الفرات (زوج ابنته) الذى كان سحنون يكرهه بسبب قوله بخلق القرآن ، ويسميه بفرعون هذه الأمة وجبارها ، وظالمها (٢٢٣) .

الامام سحنون (١٦٠ هـ / ٧٧٧ م - ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) :

شبابه وتكوينه العلمى :

وسحنون أصله من عرب الشام ، قدم أبوه سعيد الى إفريقية فى چند حصص (٢٢٤) . ولقد أخذ سحنون العلم فى شبابه فى تونس على كبار فقهاءها من تلامذة الامام مالك ، مثل : أبي خارجة عنسبة الغافقى (توفي فى ربيع ٢ سنة ٢١٠ هـ / يولييه - أغسطس ٨٢٥ م) (٢٢٥) وانهلول بن راشد التميمى ، عابد إفريقية وودعا الذى قبيل ان شهرته وصلت الى مسرقند - (توفي

(٢٢١) ابن عسلى ، ج ١ ص ١٠٨ ، الماروك ، ص ٤٨٤ ، قطب السرد للزريق

ص ٤٨٦ .

(٢٢٢) ابن عسلى ، ج ١ ص ١٠٨ .

(٢٢٣) ابن عسلى ، ج ١ ص ١٠٩ ، تراجم الخلية ، ص ١٨ ، وقول ابن خلدون ، ج

ص ٢٠٠ (حيث يجل ولاية سحنون سنة ٢٢٤ هـ) .

(٢٢٤) الماروك ، ص ٥٨٥ - ٥٨٦ ، تراجم الخلية ، ص ٨٦ - ٨٧ ، واسم الخليفة

عبد السلام لما سحنون إليه ، فهو اسم طائر خديد البصر سمي به كذته فى السابق .

(٢٢٥) الماروك ، ص ٨٦ وما بعدها ، تراجم الخلية ، ص ٧٨ ، ٨٢ .

سنة ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م (٢٢٦) ، وعلى س رباد النوسي العيسى ، أول من أدخل موطن مالك في إفريقية وجامع سفيان (توفي ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م) (٢٢٧) ، يغيرهم -

وإذا كان الشك يحوم حول لقاء سحنون لمالك بن أنس ، اد قيل انه سار الى مصر والحجاز في سنة ١٨٨ هـ / ٨٠٣ م أي بعد وفاة مالك (١٧٩ هـ / ٧٩٥ م) ، ثم تدارك الكتاب ذلك فيما بعد فقالوا بل في سنة ١٧٨ هـ / ٧٩٤ م أي في آخر أيام مالك (٢٢٨) ، فالمهم انه أحد من أصحاب مالك في مصر من العلماء . ومن أشهر من أخذ عنهم في مصر ابن القاسم ، وابن وهب ، وأشهب ، وطليب بن كامل ، وعبد الله بن عبد الحكم وغيرهم . وبعد ذلك سار الى الحجاز حيث أخذ عن المدنيين من تلامذة امام دار الهجرة ، قبل أن يعود الى إفريقية في سنة ١٩١ هـ / ٨٠٦ م (٢٢٩) .

ونقد برع سحنون في فقه مالك بن أنس حتى قيل لانه كان افقه من اصحاب مالك كلهم ، وأن ابن القاسم ، وهو امام المالكية في مصر ، طب اليه أن يقيم عنده بطلب العلم (٢٣٠) ، وإن العلم كان في صدر سحنون كسورة من القرآن محفوظة عن ظهير قلب (٢٣١) . والى سحنون يرجع الفضل في نشر المذهب المالكي في إفريقية - بفضل كتابه المعروف بالمدونة ، الذي صحح به كتب أسد بن الفرات المعروفة بالاسدبة (٢٣٢) ، فحققتها وشرحها

(٢٢٦) المدارك ، ص ٣٣٠ وما بعدها . تراجم اهللية ، ص ٢٧ ، ٢٩ ، ٤٠ ب وانظر فيما سبق ، ج ١ ص ٣٩١ وهـ ١٧٤ .

(٢٢٧) المدارك ، ص ٣٢٦ . تراجم اهللية ، ص ٢١ ، ٢٥ .

(٢٢٨) انظر المدارك ، ص ٥٨٥ (حيث يضعه القاضي عياض رغم ذلك في طبقة من اهل اليه فقه مالك ولم يروا ان يسموا منه . وقارن تراجم اهللية ، ص ٨٧ .

(٢٢٩) المدارك ، ص ٥٨٧ . تراجم اهللية ، ص ٨٨ . وتاريخ هجراته الى إفريقية سنة ١٩١ هـ / ٨٠٦ م حيث كان يسمح منه اهل اجنادية . وهو في الطريق الى البلاد التونسية . وهي نفس السنة التي توفي فيها ابن القاسم ، تدل على أن سحنون لم كنفيا له فرصة لقاء مالك بن أنس الذي توفي في سنة ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م - خاصة وأن مرجعي سحنون يقولون انه سافر الى المشرق وعمره ٢٥ سنة . وعاد وعمره ٣٠ سنة . بمعنى أن رحلته استغرقت حوالي ٥ سنوات فقط . وهذا يحمل به رحلته المشرقية في سنة ١٨٨ هـ / ٨٠٣ م أقرب الى الصحة من سنة ١٧٨ هـ / ٧٩٤ م تكون قبيلا وفاة مالك . وهذا ما يقول به أبو العرب فعلا (ط . تونس ص ١٨٥) ثم كماللي (ج ١ ص ٢٥٠ .

(٢٣٠) المدارك ، ص ٥٨٩ - ٥٩٠ . تراجم اهللية ، ص ٩٠ .

(٢٣١) المالكي ج ١ ص ٢٥٣ . المدارك ، ص ٥٩٠ . تراجم اهللية ، ص ٩١ .

(٢٣٢) المدارك ، ص ٤٦٩ . تراجم اهللية ، ص ٥٩ .

وبوبها وبغلمها . وفي ذلك يقال ان أسد بن القرات نفسه تصيح بالاختدعن سحنون ، بعد أن خرج هو الى غزو صفلية (٢٣٣) . كل ذلك رغم أن المذهب كان قد غمر البلاد قبله بفضل الرواد المالكية الأوائل . وفي ذلك يقول مترجمو سحنون : انه لما قدم بذلك المذهب صار زمانه كأنه مبتدأ قد أسمى ما قبله ، وأن أصحابه كانوا سرج أهل القيروان (٢٣٤) .

سحنون ناسكا : على مذهب أهل المدينة :

والى جانب العلم والفقه عرف سحنون بالورع الصادق ، والزهادة فى الدنيا ، والصرامة فى الحق ، لا يخاف فى الله لومة لائم (٢٣٥) ، ولذلك قيل فيه انه راهب هذه الأمة ، وأنه كان أهيب فى القلوب من الملوك (٢٣٦) . ولم يصل سحنون على بشر مذهب مالك فقط ، بل انه أحد بمذهب أهل المدينة فى كل شيء حتى فى العيش ، فكان مقتصدًا فيه : على قدر ذات اليد (٢٣٧) . وكان قصده الأول من ذلك هو ألا يحتاج الى السلاطين أو رجال الدولة (٢٣٨) . على أساس شكه فى أن أموال السلطان تأتي من أبواب حلال .

وهذا ما دعا الفقهاء الى تسمية كثير من الضرائب التى كانت تعرضها الدولة بالمظالم وبالمغارم ، لأنها كانت تجمع على غير وجهها الشرعى ، كما رأينا فى الإصلاح الذى قام به الأمير عبد الله بن إبراهيم فى مال العشر عندما حدده بـ ٨ (ثمانية) دنانير على كل زوج تحرث من البقر ، سواء أنتجت الأرض أم لم تنتج ، وهو الأمر الذى كانت العودة عنه كأنها عودة الى العذالة والخير (٢٣٩) .

-
- (٢٣٣) للمبارك . ص ٤٧٢ . ٥٩٢ (يقول انه خرج الى العراق) . تراجم أغلبية ص ٦٥ .
 - (٢٣٤) للمبارك . ص ٥٩١ . ٦١٣ . تراجم أغلبية . ص ٩٣ . ٩٤ . ١٢٠ .
 - (٢٣٥) أبو الرب (ط - تونس) . ص ١٨٤ . المالكى . ج ١ ص ٢٤٩ . للمبارك . ص ٥٩٢ . تراجم أغلبية . ص ٩٤ .
 - (٢٣٦) للمبارك . ص ٥٩٢ . تراجم أغلبية . ص ٩٤ .
 - (٢٣٧) المالكى . ج ١ ص ٦٦٣ . للمبارك . ص ٥٩٣ . تراجم أغلبية . ص ٩٦ .
 - (٢٣٨) للمبارك . ص ٥٩٤ - ٥٩٥ . وانظر تراجم أغلبية . ص ٩٨ : حيث كان يشتري كل يوم ربع رطل لحاء لم تركه القتل بالصلابين . ص ١٢٦ - حيث لا يشرب من الخواجل (مصانع الماء الى خزائنها) التى يئتيها السلطان بخروفا . وان أجار ذلك للناس على أسس أنها حجارة جسمها السلطان . وأجرى الله فيها الماء . وقارن للمبارك ص ١١٨ - ٦١٩ .
 - (٢٣٩) انظر فيما سبق . ص ٤١ - ٤٢ . ٧٧ . ٧٨ .

وفى هذا الحاب كان سحنون يرى أن ترك الحرام أفضل من جميع
عبادة الله (٢٤٠) . ولهذا كان سحنون يحض على العمل وكسب المرء رزقه
بعرق جبينه ، وكان يقول أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه (٢٤١) .
وكان سحنون قدوة في ذلك ، يضرب لطلابه وأهله المثل في شرف
العمل . فكان يحرص على علاج أرضه وقت مرض خادمه ، وعلى كتفه المحراث ،
وبين يديه روح البقر . وعندما يقوم أحد طلابه مقامه حتى لا يحرم أصحابه
من طلب العلم يبقيه إلى مائدته ، وإن كانت الوجبة مكونة من خبز شعير
وزيت قديم ، قبل أن يسمعه العلم الذي فاتته : رحمه (٢٤٢) .

وهكذا كان سحنون قدوة في الجِد والنشاط في العمل الجثماني ، كما
كان مثالا في الرهد والتقص . ولم يكن رده عن فقر ، بل عن تضحية
وايثار للغير . فقد كان من طبقة الزهاد الذين وطدوا قاعدة : أن الجود هو
أصل الوجود . وفى ذلك يقال أنه كان يتصدق بالثلثين دينار دفعة واحدة ،
وهو المبلغ الذى توجب فيه الصدقة (٢٤٣) . وكان يصرف بطائق الصدقة
للمحتاجين ، كما تصرف صكوك المصارف في أيامنا هذه ، بكل ثمن الزيتون
الذى باعه ، وهو ٣٠٠ (ثلاثمائة) دينار (٢٤٤) . أما عن غلة أرض سحنون
من الزيتون ، التى بلغت ٥٠٠ (خمسمائة) دينار فى السنة ، فكان يبددها
جميعا فى أعمال البر والصدقة ، فما كانت تنقضى السنة الا والديون
عليه (٢٤٥) . وهكذا لم يكن من الغريب على سحنون ، صاحب هذه الأمثولات أن
يرفض توليته العضء طوال عام بأكمله (٢٤٦) . ولم يكن من الغريب على
الأمير محمد بن الأغلب أن يتمسك بذلك العالم الراهب ، الذى يرفض مال

(٢٤٠) انظر تراجم اهلبيه . ص ١٢٨ - حيث نقرأ ثمة النص : وتركه فائق ما حرم
الله أفضل من ٧٠ (سبعين) ألف حبة ٠٠٠ وأفضل من سبعين ألف فرس فى سبيل الله ٠٠
ومن سبعين ألف بدنة يهديها الى بيت الله العتيق ، وأفضل من عتق سبعين ألف رقبة مؤمنة
من ولد اسماعيل . وقارن المالكي . ج ١ ص ٢٥٩ .
(٢٤١) المدارك . ص ٥٩٩ . تراجم اهلبيه . ص ١٠٣ .
(٢٤٢) المالكي . ج ١ ص ٢٥٩ - ٣٦٠ ، المدارك . ص ٥٩٤ ، تراجم اهلبيه : ص ٩٧ .
(٢٤٣) المالكي . ج ١ ص ٣٦١ . المدارك . ص ٦١٩ ، تراجم اهلبيه . ص ١٣٧ .
(٢٤٤) المدارك . ص ٦٢١ . تراجم اهلبيه . ص ١٢٧ ، ١٣٠ .
(٢٤٥) المدارك . ص ٦١٩ ، تراجم اهلبيه . ص ١٢٨ .
(٢٤٦) المالكي . ج ١ ص ٢٧٣ .

الأمراء ، ويأكل خبز الشعير بالملح والريث ثم يتصدق بأمواله .

وفي زهد سجنون تقول الروايات أيضا انه كان يركب بلجام حديد دون فضة (٢٤٧) ، ويلبس القرو والحشن من الثياب (٢٤٨) ، والبرس الأسود في المطر والبرد (٢٤٩) . وكان طلبه انهم في مجلسه يقعدون أمام باب داره على الأرض الا من يحضر الحصيد منهم (٢٥٠) . وكان سجنون يمر في الاسواق يسلم على الناس (٢٥١) ، ويرى ان مداراة الناس هي رأس الايمان (٢٥٢) .

هكذا حتى للأمير أن يتشبت به لولاية القضاء ، وأن يلعب تشبته إلى حد ابرغامة على ذلك ، تحت التهديد والوعد والوعيد (٢٥٣) .

ولاية سجنون القضاء :

وهذا لا يعني أن امام افريقية وراغب المغرب ، الذي قال لابنته عندما قبل تولية القضاء : « اليوم ذبح أبوك بغير سكن » (٢٥٤) ، قد قبل الوظيفة المرموقة ، وهو مغلوب على أمره . وذلك أنه لم يقبل القضاء الا بعد أن أعطاه الأمير كل ما طلب ، وأطلق يده في كل ما رغب فيه ، وخاصة فيما يتعلق بتنفيذ أحكامه على أهل الأمير وقربائه وأعمامه ، بل إن الأمير نفسه طلب اليه أن يجري الحق على شخصه أيضا (٢٥٥) .

تنظيماته القضائية :

دوائر القضاء :

والحقيقة أن ولاية سجنون للقضاء لم تعتبر رفعا للواء الحق ، واذا تأنا بسيادة القانون والعدل في افريقية فقط ، بل انها كانت أيضا بداية لتنظيمات

-
- (٢٤٧) المدرك : ص ٥٩٤ . تراجم اقليية ، ص ٩٦ . المذكر ، ج ١ ص ٣٦٤ .
 - (٢٤٨) المذكر ، ج ١ ص ٣٦٤ . تراجم اقليية ص ٨٩ . ١٣٦ .
 - (٢٤٩) المذكر ، ج ١ ص ٣٦٤ . المدرك ، ص ٥٩٤ . تراجم اقليية ، ص ٩٦ .
 - (٢٥٠) المدرك ، ص ٥٩٤ . تراجم اقليية ، ص ٩٧ .
 - (٢٥١) المدرك ، ص ٥٩٥ . تراجم اقليية ، ص ٩٨ .
 - (٢٥٢) تراجم اقليية ، ص ١٢٠ .
 - (٢٥٣) المذكر ، ج ١ ص ٢٧٣ . المدرك ، ص ٥٩٦ . تراجم اقليية ، ص ٩٩ .
 - (٢٥٤) المذكر ، ج ١ ص ٢٧٣ . المدرك ، ص ٥٩٧ . تراجم اقليية ، ص ١٠٠ .
 - (٢٥٥) المذكر ، ج ١ ص ٢٧٣ . المدرك ، ص ٥٩٦ . تراجم اقليية ، ص ١٠٠ .

- ٩١ -

قضائية لم تعرفها البلاد قبل قضاء سحنون . فالى سحنون يرجع الفضل في تقسيم سلطات القضاء الى ثلاثة فروع ، هي :

- ١ - القضاء العادي : وهو ما يرجع الى القاضي أصلا ، ومنه يتفرع :
- ٢ - القضاء العالي : الخاص برجال الدولة وقرابة الأمير ، وهو المسمى بـ « المظالم » .

٣ - القضاء العاجل (أو المستعجل) : وهو الخاص بالفصل في القضايا السريعة ، مثل المخالفات أو الجرائم التي ترتكب في الأستوائ ، والتي كانت تتطلب الحكم السريع في موضع الحادثة نفسها ، مما قد لا يتمكن منه القاضي الذي كان يجلس في المسجد الجامع أو في داره ، وهو الذي سمي بالحسبة سر كان الحكم فيه من اختصاص أحد أعوان القاضي ، وهو المحتسب .

أعوان القاضي :

فقبل أن يجلس سحنون للقضاء أمضى أياما يبحث فيها عن الأعوان المناسبين الذين يمكن أن يساعدوه في القضاء . وبدأ باتخاذ الفقيه الحنفي سليمان بن عمران ، الذي كان هو نفسه قد رشحه للقضاء (٢٥٦) ، كاتباً يكتب له في قضائه (٢٥٧) . وذلك قبل أن يصينه معاونا له في اقليم بجاية وباجة والأربس (٢٥٨) .

والى جانب الكاتب الذي كان يدون سجل الأحكام ، ويحفظ بقوائم الشهود العدول ، اتخذ سحنون له الأمناء الذين يعاونونه في التعرف على أحوال المتقاضين والشهود ، والذين كان يعهد اليهم بحفظ الودائع - التي كانت قبله ، تحفظ في بيوت القضاة - كما اتخذ الأمناء في البوادي أيضا ، فكان يكتب اليهم بما يريد . وكان القضاة قبله يكتبون الصالحين عن أهل البادية فيما يريدونه من الأمور (٢٥٩) .

(٢٥٦) انظر المدارك ، ص ٥٩٥ - ٥٩٦ ، تراجم اهللية ، ص ٩٩ .

(٢٥٧) انظر المدارك ، ص ٥٩٨ ، تراجم اهللية ، ص ١٠٢ .

(٢٥٨) المدارك ، ص ٥٩٨ ، تراجم اهللية ، ص ١٠٢ ، وقارن المالكي ، ج ١ ص ٢٧٥ .
عن ولاية ابن عمران الملقب بغرفة للقضاء بعد سحنون ، انظر فيما يتسد ، ص ١٠١ ، وعن نزاعه مع محمد بن سحنون . انظر فيما بعد . ص ١٠٨ وما بعدها .

(٢٥٩) انظر المدارك ، ص ٥٩٦ . ٦٠٠ . تراجم اهللية ، ص ١٠٤ - ١٠٥ ، وقارن

المالكي ج ١ ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .

ولما كان سحنون قد اشترط على محمد بن الاغلب ألا يأخذ لنفسه راتباً ولا مكافأة من مال الدولة على قضائه ، وذلك انسجاماً مع المبدأ الذي كان يراه في عدم شرعية مال السلطان ، فإنه اشترط أن تكون رواتب مساعديه ، من : الكتاب والاعوان والقضاة سواء كانوا في القيروان أو في الأقاليم ، من مال الجزية المفروضة على أهل النعمة (٢٦٠) مما يعنى أنه كان يرى أن ضريبة أهل الكتاب هي الضريبة الشرعية الوحيدة التي لم يخلها الفس في ذلك الحق .

القضاء والأمر بالمعروف :

وكان من الطبيعي بالنسبة لرجل سيرته تلك أن يقيم من نفسه أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر . وهو لم يكن يفعل ذلك في مجلس القضاء قط . عندما كان يؤدب الخصم إذا طعن على الشاهد (٢٦١) ، أو عندما كان يؤدب الناس على الإيمان التي لا تجوز ، كما في إيمان الطلاق والعتاق وما شابهها (٢٦٢) ، بل كان ينهى عن المنكر في الجنائز (٢٦٣) ، من : شق الجيوب ، ولطم الحدود ، وحثو التراب على الرؤوس ، وما شابه ذلك .

الحسبة في الأسواق ، والقضاء على الكلاب الضالة :

هذا ، وفي مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كان سحنون أول من نظر في انتظام سير الأمور في الأسواق من القضاء ، وكان النظر في الأسواق قبله ، من اختصاص الأمراء . فكان يسير في الأسواق يسلم على الناس ، وينظر فيما يصلح من المعاش ، وما يفش من السلع . وكان يؤدب في السوق على الفش ، وينفي من الأسواق من يستحق ذلك من التجار . وهو لك ، أول من أمر بتغيير المنكر في الأسواق من القضاء ، وأول من نظر بهم في الحسبة (٢٦٤) . وعن هذا الطريق وسع سحنون اختصاص قاضي القيروان . وأدخل في نطاقه الحسبة .

-
- (٢٦٠) الملوك ج ١ ص ٢٧٥ ، الحارث ، ص ٥٩٩ . تراجم الخليفة . ص ١٠٢ .
 (٢٦١) الحارث . ص ٥٩٩ . تراجم الخليفة . ص ١٠٢ .
 (٢٦٢) الملوك . ص ٥٧٦ . تراجم الخليفة . ص ١٠٤ .
 (٢٦٣) الملوك . ص ٥٧٦ . تراجم الخليفة . ص ١٠٢ .
 (٢٦٤) أنظر الملوك . ج ١ ص ٢٦٦ ، الحارث . ص ٦٠٠ . تراجم الخليفة . ص ١٠٤ .

سلطانة في الأندلس :

وفي هذا الإطار امتد سلطان سحنون حتى الأندلس إذ تقول الرواية :
انه كان يكتب الى محمد بن زياد ، قاضى قرطبة ، يأمره بالسد والمعاقبة لمن
فالس ، وتكرار الأدب والضرب عليه حتى يؤدى أو يموت (٢٦٥) .

توسيع نطاق الحسبة :

ووسع سحنون نطاق الحسبة خارج الاسواق حتى شمل مدينة القيروان
بأكملها - فلقد تتبع الفساق والنجار من الرجال والنساء - وفي ذلك يروى
أنه أدب المرأة ممن كن يعرضن على الفسق ، ثم انه نقلهن بين قسوم
صالحين (٢٦٦) - وفوق ذلك فانه ، حرصا منه على سلامة أهل المدينة وأمنهم ،
قرر التخلص من الكلاب الضالة - التى كانت تؤذى الساس من غير شك ،
وكتب الى أعوانه يأمرهم بقتلها ، كما بث وراءها الأعوان بالحربا فيتكون
بها (٢٦٧) -

ومما اعتبره سحنون أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر تفريق حلقات
العلم والمناظرة التى كان يعقدها ، فى المسجد الجامع بالقيروان ، علماء :
اصفريه ، والاباضية ، والمعتزلة ، ممن كان يعتبرهم من أهل الزيع والبدع .
فكان أول من فعل ذلك من قضاة القيروان - وأكثر من هذا ، فانه منع أصحاب
هذه المذاهب من أن يكونوا أئمة فى المساجد ، أو معلمين للصبيان ، أو
مؤدبين فى المكاتب - وكان ينزل العقاب انصارهم بمن يخالف أمره منهم ،
يشننهم بهم ويطوف بهم فى المدينة - كما أنه دفع بالكثيرين منهم الى التوبة
عما كانوا يعتقدون فيه ، وكان يجعلهم يعتنون ذلك من أعلى منبر الجامع (٢٦٨) -

الإشراف على الجامع :

وفي نطاق الإشراف على جامع القيروان أخذ سحنون لنفسه حق تعيين
امام الصلاة ، وكان ذلك من حق الأمراء ولم يكن من اختصاص القاضى (٢٦٩) .

(٢٦٥) المدارك ص ٦٦ . تراجم الخليفة . ص ٢٩٩ .
(٢٦٦) انظر الملوك . ج ١ ص ٢٧٧ . المدارك ص ٦٠١ . تراجم الخليفة . ص ١٠٥ .
(٢٦٧) انظر الملوك . ج ١ ص ٢٧٩ . المدارك . ص ٦٠٧ . تراجم الخليفة . ص ١٠٥ .
(٢٦٨) انظر الملوك . ج ١ ص ٢٧٦ - ٢٧٧ . المدارك . ص ٦٠٠ . تراجم الخليفة . ص ١٠٥ .

ص ١٠٥ .
(٢٦٩) الملوك . ج ١ ص ٢٧٧ . المدارك . ص ٦٠٠ . تراجم الخليفة . ص ١٠٥ .

مجلس القضاة والاجراءات القضائية :

وهكذا أصبح سحنون مسيطرا على أسس القريوان ، وعلى مسجد المدينة الجامع ، حيث اتخذ له بيتا بناء فيه للحكم بين المتقاضين ، بعد أن وجد أنه ليس من المناسب الجلوس وسط حشود الناس في الجامع ، وهم يلفظون ويكثرون من الكلام (٢٧٠) . وهذا يعني أن سحنون اجتهد في تنظيم القضاء فكانه اتخذ له بناء خاصا ، أشبه بمحكمة ، ملحقا بالمسجد الجامع .

ويدخل في باب تنظيم التقاضي ما كان يفعله من إعطاء الرقاع أو الطوايع لذوى الدعاوى (٢٧١) ، للوجودين خارج بيت القضاء هذا ، حتى يدخل كل منهم في دوره عند النداء عليه ، إذ كان لا يسمح بدخول بيت القضاء إلا للخصمين ، ومن مهمما من الشهود . وكان يستثنى من شرط الدخول في دوره : المضطر أو الملهوف (٢٧٢) . وكان سحنون يسمح بتفنيذ العقوبات الحقيقية في الجامع : كالضرب بالدرة ، وما خف من الأدب كالصعق على اتقا . أما إذا أقام الحدود من الجلد والضرب بالسوط ، فكان تفنيذه خارج الجامع (٢٧٣) .

الشفعة في تطبيق القانون :

ومن الأحكام القاسية التي أخفت على سحنون - الذي عرف بأنه كان رقيق القلب غزير اللمعة ، ولكنه في نفس الوقت شديدا في الحق ، لا يخاف في الله لومة لائم (٢٧٤) - ما أنزله من العذاب بغريمه وخصمه : قاضي القريوان السابق ابن أبي الجواد - حقيقة إن ابن أبي الجواد أتهم في وديعة ٥٠٠ (خمسمائة) دينار من قبل بعض الناس ، ولكن نفى ابن أبي الجواد للتهمة ، وهو ما هو معروف من أنه القاضي السابق ، ورفض سحنون ما عرضته زوجة ابن أبي الجواد ، وهي أسماء بنت أسد بن القرات ، من دفع المال للمطلوب هبة لزوجها ، أمر له مغزاه . فسحنون فسر ذلك الرفض في شكل قوالب قانونية

(٢٧٠) انظر المالكي . ج ١ ص ٢٧٧ ، للعراق . ص ٦٠٠ - ٦٠١ . تراجم الخليفة . ص ١٠٥ (حيث تصيف الرواية أن الجلوس في ذلك البيت سارسة للملكية . فلذا ود القضاة عزالي في حلقه حلقه ، ولذا ولي حلقه في مالكي بناء وحكم فيه) .
(٢٧١) انظر المالكي . ج ١ ص ٢٧٧ ، للعراق . ص ٦٠١ . تراجم الخليفة . ص ١٠٥ .
(٢٧٢) المالكي . ج ١ ص ٢٧٧ ، للعراق . ص ٦٠١ . تراجم . ص ١٠٥ .
(٢٧٣) نفس المصدر .
(٢٧٤) انظر للعراق . ص ٥٨٨ . تراجم الخليفة . ص ٨٩ .

خاصة ماضلوب العرض دون الجوهر ، مما كان موضوعا لجدل الفقهاء فيما بعد (٢٧٥) ، كما أصر على إحراج الرجل المهيب في طريق القبروان الكبير المعروف بالسماط ، وضربه بالسياط أمام عامة الناس أكثر من مرة في كل يوم جمعة ، حتى انتهى الأمر بمرض الرجل وموته (٢٧٦) .

كل ذلك يدل على أن الأمر لم يكن متعلقا فقط بالقصاص من ابن أبي الجواد من أجل الوديعة ، بل يرتفع أنه كانت في نفس سحنون أشياء قيل ابن أبي الجواد ، يعود تاريخها إلى الوقت الذي تعرض فيه سحنون للامتحان بخلسق الممرآن ، حيث وقف ابن أبي الجواد موقفا عذائيا من سحنون - وتولا الوزير علي بن حبيد لما قدر لسحنون أن ينجو من عقوبة صارمة ، من الزامه بالاقامة الجبرية في منزله ، ومنعه من التدريس ، والأمر بأخذ ثياب من يدخل عليه ، مما اعتمرته هيأة المحكمة . « قتل الحياة » (٢٧٧) .

ولكنه إذا اعتبرنا أن تشدد سحنون وقسوته مع ابن أبي الجواد يعتبر إحدى صفات الإمام المرموق ، فلما لا شك فيه أنه كان لا يخاف في الله لومة لائم ، وأنه كان يقف بصرامة ضد أقارب الأمير محمد وأعوانه ، ويأخذ منهم الحقوق لأصحابها ، ويطبق عليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مثلهم في ذلك مثل غيرهم من أبناء الشعب . هذا ، كما كان يطبق مبدأ الرقابة هذه على الأمير نفسه .

تجلى ذلك عندما قام عمرو بن سليم المعروف بالقويح أو القويح في منطقة توبس سنة ٢٣٤ هـ / ٨٤٨ م (٢٧٨) ، ورفض سحنون ما طلبه محمد ابن الأغلب من الفتوى بضرورة قتال الخارجي ، واعتبار ذلك نوعا من الجهاد . وفي ذلك تقول الرواية إنه رد على الأمير قائلا : « عشتك من ذلك على هذا . متى كانت القضية تشاورها الملوك في صلاح سلطانها » (٢٧٩) .

(٢٧٥) انظر المالكي ، ص ٢٧٨ . ٢٨١ . المدارك . ص ٦٠٥ . تراجم أغلبية . ص ١١١ (تقول الرواية أن سحنون لم يقبل حة زوجة ابن أبي الجواد « لأن مالكا لا يلزم قبول الهبة ، ولو قالت : ما أقضي منه ما طلب منه . لما رد ذلك سحنون وإنه أعلم ... » ، وذلك أن الهبة لا تكون إلا للمسلم الذي ليست لديه أموال .

(٢٧٦) المالكي ، ج ١ ص ٢٧٨ . المدارك ص ٦٠١ - ٦٠٢ . ٦٠٥ . تراجم أغلبية . ص ١١١ . ١٠٦ - ١٠٧ . ١١٠ . ١١١ . وانظر ابن عذاري . ج ١ ص ١١٠ . (٢٧٧) انظر المدارك ، ص ٦٠٩ - ٦١٢ . تراجم أغلبية . ص ١٦ - ١١٨ . وقارنه المالكي . ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

(٢٧٨) انظر طبا سقى ، ص ٨٤ .

(٢٧٩) انظر المالكي . ج ١ ص ٢٨٠ . المدارك . ص ٦٠٤ - ٦٠٥ .

وتجلى ذلك أيضا امر قضاء خفاجة بن سفيان بن سودة على ثورة القويح ، ودخول جند الأمير محمد من السودان ، وبعض قواد جند بسبي تونس من النساء الحرائر الى القيروان . فعندما سمع سحنون بذلك ، وكان حديث عهد بالقضاء ، أمر طلبته بالتصدي لحاتم الأسود ، فتى الأمير محمد ، واستخلاص النساء التونسيات من أسرهن . وعندما شكوا الأسود الى الأمير محمد ظل سحنون صامدا ، بل أنه أمر بسجن الفتى الأسود (٢٨٠) . وتضيف الرواية الى ذلك أنه عندما بعث الأمير محمد اليه يقول : ان السبي له شخصيا ، بولاه رضى سحنون لأن النساء لسن من الاماء ، بعث اليه الأمير من يبلغه أن وقوفه امام رغبة الأمير عبث ، فارت فائزة القاضي الكبير واقسم بالله ثلاثا ، في حضرة وصول الأمير ، ان العايب هو محمد بن الأغلب ، وأنه لن يتسامح في الأمر ، ولو فصل رأسه عن جسده .

ومع أنه كتب كتابا مناسبيا للأمير ، تحت إلحاح ابنه محمد بن سحنون الذي جعله يغير ويبدل كثيرا من عباراته (٢٨١) ، فإن الأمير محمد بن الأغلب نظر في الخطاب وضرب به الأرض ، وهو يقول : « ما أدرى أمو علينا أم نحن عليه ! » ورغم تأثر الأمير الذي أسود وجهه ورفض أن يستقبل أحدا الى ما بعد العصر ، فإنه عاد يقول : « ما أظن هذا الرجل يريد بنا الا خيرا ، ونحن لا نعلم » (٢٨٢) .

وكانت وقفة سحنون الصلبة هذه ضد سبي النساء التعميمات من أهل تونس سببا في أن أصدر الأمير محمد أوامره بفك أسر التونسيات من كل تايلاء . كما كتب سحنون الى أعوانه من المحتسين يطلب منهم تفتيش قوافل

(٢٨٠) ويرى لنا المالكي والقاضي عياشي تلك القصة أكثر من مرة مع تغير شخصيات أبطالها . فصاحب السبي في القصة الثانية يأتي في شكل قائد من قواد أين الأغلب اسمه حصود الذي يفتزع سحنون منه السبي بفضله . ثم يكون في القصة الثالثة بعض قواد أين الأغلب الأقويح ما يضطر سحنون منه الى الكتابة الى اخوانه السوفية في البيروني الذين حضروا الى حوالة آت رجل ، منجم مائة منهم قصر القائد ، وأخبروا النساء الحرائر . وعندما استج الأمير محمد سحنون بالاستقالة من القضاء . انظر المالكي ج ١ ص ٢٧٦ ، ٢٨٢ . الحارثي . ص ٦٠٦ - ٦٠٧ ، تراجم ص ١١١ - ١١٢ . (٢٨١) وكان ما كتب سحنون في كتابه للأمير محمد : « وما قوم ما لي أدعوك الى الجلاء وكمونتي الى الخلاء ، كعمونتي لأمر بفضله » - الآية (الحارثي) ص ٦٠٤ . تراجم أغلبية . ص ١١٢ . وقانون المالكي : ج ١ ص ٢٨٠ . (٢٨٢) المالكي . ج ١ ص ٢٨٠ . الحارثي . ص ٦٠٤ .

- ٩٧ -

النجار نحنا عنهن . فكان المحتسب يعترض القافلة ويكشف براقع النساء ،
عن قالت انها من سبي تونس سـيرت الى سحنون الذي أطلق عدة
منهن (٢٨٣) .

الاه . معين قاضيا ثانيا الى جانب سحنون .

والظاهر أنه أمام تشبث سحنون بمبادئه وتشده في تطبيق القانون ،
وهذا في أحد الحقوق من قرابة الأمير ورجال الحاشية ، رأى محمد بن الأغلب
أن خير وسيلة للافلات من قبضة قاضيه - وكان يجعله رغم عنقه - هو أن يعين
قاضيا ثانيا الى جانبه ، تماما ، كما فعل عمه زيادة الله عندما عين أسد
ابن الفرات قاضيا الى حاب أبي محرز .

وهكذا ، ودون علم سسحنون ، عين محمد بن الأغلب شريكا له في
القضاء ، يعرفه الكتاب باسم الطنبلي ، نسبة الى مدينة طنبنة عاصمة الزاب .
وفوجيء سحنون بارتفاع الخصوم عن باباه الى مناقسه الحديد ، وزاد تأثره
عندما سأل الأمير عن الأمر فأنكر معرفته به أصلا ، مما اعتبره سحنون نوعا
من الاستهزاء به .

ولم يجد سحنون سبيلا الى الاحتجاج على ذلك الا بالاعتكاف في داره
لفترة من الوقت ، كان الطنبلي يحكم أثناءها في الجامع ، والى جانبه كان يحكم
أيضا حبيب صاحب المظالم ونائب سحنون أو مساوئه .

ثم انه عندما رأى سحنون أن يعود الى مجلس القضاء في الجامع من
جديد ، خرج الطنبلي الى داره حيث كان يحكم فيما يعرض عليه من القضايا .
ولم يستمر الحال على هذا المتوال الا حوالي أربعين يوما توفي بعدها سحنون ،
ودفن بمقبرة باب نافع من القيروان (٢٨٤) ، وذلك في شهر رجب من سنة
٢٤٠ هـ / أغسطس ٨٥٤ م (٢٨٥) ، وله من العمر حوالي ثمانين عاما ، بعد
حياة حافلة بالعلم والعبادة ، والكرم والشجاعة ، والعفة والزهد .

-
- (٢٨٣) الممارك ، ص ٦٠٤ ، تراجم ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ، وقارن المالكي ، ج ١ ص ٢٨٠ .
(٢٨٤) الممارك ، ص ٦٠٨ - ٦٠٩ ، تراجم اهلوية ، ص ٢٦٤ - ١١٥ .
(٢٨٥) وتقول الرواية أن الأمير محمد بن الأغلب أرسل اليه بكتن وحنوط ، فاحتال
ابنه محمد حتى كف في غيرهم . أنظر المالكي ، ج ١ ص ٢٨٨ (وعن يوم وفاته قيل يوم ٣
رجب أو ٧ من نفس الشهر) ، وقارن الممارك ، ص ٦٢٤ ، تراجم اهلوية ، ص ١٣٣ ،
ابن عذاري . ج ١ ص ١١١ .

توان سحنون :

وبصرف النظر عما تركه سحنون من الألم في نفوس خصومه من الجمعية- الذين كان يكرهم ويكفرونه ، حتى أنهم امتنعوا عن صلاة الجنازة عليه (٢٨٦) ، كما كان يفعل هو أيضا بالنسبة لهم ، فلقد ترك سحنون بصماته واضحة في كل افريقية والمغرب والأندلس وصقلية ، بصفته صاحب المدونة في فقه مالك بن أنس ، وروايع الأسس المتينة للمذهب المالكي في تلك ائيلاد . وفي انقضاء يسبب الى سحنون كل التنظيمات القضائية التي أشرنا اليها (٢٨٧) . وفي ميدان العبادة والجهاد كان سحنون عالما وحده : فالعبادة هي مجالسه كانوا أكثر من طلبه العلم (٢٨٨) ، كما كان السماع منه يعادل - بالنسبة لأصحابه وتلاميذهم - « ماء الحياة » (٢٨٩) .

أما تلاميذه الذين زادوا على سبعمائة فقيه وشيخ ، فكانوا المصاييح النيرة في كل بلدة (٢٩٠) ، وأقواله وفتاويه وأعماله صارت القدوة الحسنة في كل البلاد (٢٩١) . ودعوته الى الربط بين الأمر بالمعروف والعبادة والجهاد طلت أصدائها تدوي في رباطات الساحل الافريقي ، وخاصة في المنستير - حيث كان يقيم مع المرابطين بصحبة اخوانه ، مثل : ابن رشيد ، وابن الصمادحي ، وابن نعيم (٢٩٢) - على مدى الأجيال التالية ، وخاصة بعد أن ظل سؤدد العلم قائما في بيته ، بفضل ابنه محمد الذي ذاعت شهرته هو الآخر .

حداد شعبي لوفاة سحنون :

وهكذا لم يكن من الغريب أن ترتج القيروان لموته ، وأن يبكي مشائخ الأندلس ، وألا يتمكنوا من ضبط عسواطهم فيحرقون تعاليمه ، ويضربونه خدودهم كالنساء (٢٩٣) . وهو الأمر الذي كان ينهى عنه في الجنائز ، ويؤدبه

-
- (٢٨٦) المالكي . ج ١ ص ٢٨٨ . المدارك ، ص ٦٢٤ ، تراجم أغلبية ، ص ١٤٣ .
 (٢٨٧) أنظر فيما سبق ، ص ٩٠ وما بعدها .
 (٢٨٨) المدارك ، ص ٦١٣ ، تراجم أغلبية ، ص ١١٩ .
 (٢٨٩) تراجم أغلبية ، ص ١٣٦ .
 (٢٩٠) المدارك ، ص ٦١٣ ، تراجم أغلبية ، ص ١٢٠ .
 (٢٩١) المدارك ، ص ٦١٤ وما بعدها ، تراجم أغلبية ، ص ١٢٠ وما بعدها .
 (٢٩٢) المدارك ، ص ٦١٣ (حيث الرماط في قصر زياد) ، ص ٦١٦ (المنستير) .
 وقارن تراجم أغلبية ، ص ١٢٤ .
 (٢٩٣) المالكي ، ج ١ ص ٢٨٨ ، المدارك ، ص ٦٢٤ ، تراجم أغلبية ، ص ١٣٤ .

عنه الأدب الحقيقى ولم يكن من العريب أن يرنه اراثون شرا وشعرا (٢٩٤)،
وأن يراه الراؤون فى يومهم فى موكب السى والصحابة سائرا حلف مالك
ابن س (٢٩٥) - امامه وأستاده -

وهكذا نادا كان ريادة الله له الحق فى أن يعتر ثأنه ولى القضاء لابن أبى
مجرر . فمن باب أولى ان يعتر محمد بن الأغلب . الذى دوى فى ٢ من المحرم
سنة ٢٤٢ هـ / ١١ مابه ٨٥٦ م ، أى بعد حوالى سنة ونصف سنة من وفاة
سبحون ثأنه عهد قضاء افرىقية الى سحون . وأنه دوى له بشروطه لمسدة
منع سنوات ، وهو الامر الذى يستحق أن يكون شيعيا للأمير الاعلى
النساب . الذى قضى وعمره ٣٦ سنة ، أى وهو فى عصفوان الشباب ، تاركا
الملك لابن أخيه ابن ابراهيم أحمد ، كما يص على ذلك ابن عذارى ، لأنه كان
عقما لا يؤده (٢٩٦) .

**أبو ابراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب : ٢٤٢-٢٤٩ هـ /
٨٥٦ - ٨٦٣ م .**

حلف أبو ابراهيم أحمد ابن عمه فى امارة افرىقية . وله من العمر
عشرين سنة . ومع ذلك لم يطل حكمه الا الى أقل من ثمانى سنوات ، مصت
هادئة سكنته لم يعكر صفوها الا اضطراب منطقة طرابلس لبعض الوقت .
أما عن الجهاد فى صقلية فقد كان مظفرا اذ سقطت على آياه قصر يامة
(كاسروحيوفانى) ، وهى من مدن الحرية الهامة ، وكان للحليفة - نصية
من معانها (٢٩٧) . وهكذا سمحت الظروف للأمير الشاب أن يقضى سنوات
حكمه العصر سيبا فى أعمال الخير والعمران .

(٢٩٥) المالكي . ج ١ ص ٢٨٩ - ٢٩٠ . المدارك ص ٦٣٦ . تراجم اقلية . ص ١٣٦ .
(٢٩٥) المدارك ص ٦٢٤ - ٦٢٥ . تراجم اقلية ص ١٣٤ . وقارن المالكي . ص ٢٨٩
(٢٩٦) انظر ابن عذارى . ج ١ ص ١٠٨ . ابن الانادر . الحلة السيرة . ج ١ ص ١٦٩ .
وأنظر بن الحطيط . أعمال الاعلام . قسم ٣ . ص ٢٢ . أما هما يقوله بن الأثير (سنة ٢٤٢ هـ
و١١ م) من أن أما ابراهيم أحمد كان أمنا لمحمد المتولى (وليس ابننا
الأنثى) فهذا ما شرحته رواية الحلة السيرة التى قالت ان الأمير أما المباس محمد كان له أخ
اسمه أمنا محمد أبو عبد الله . وأنه كان واليا لطرابلس وتوفى بها سنة ٢٢٣ هـ . ٥ ومن
حولده أمراة بنتى الأغلب الولاة بعد أبى المباس هذا . وذلك ما دعى عددا من الكتاب من قدامى
ومحدثين الى الخطأ نسبة من أتى من الاغلب بعد ذلك الى أبى المباس محمد وليس الى أخيه
أبى عبد الله . كما يشير الى ذلك حسين مؤنس الحلة السيرة . هامش ١٦٩ - ولو أنه بسبب
خطأ ابن عذارى وهو غير صحيح

(٢٩٧) انظر فيما بعد فى فتح صقلية ص ٢٥٩ - ٢٥١

والأمير أحمد أبو إبراهيم كان ، كما وآه الكتاب : « حسن السميرة ، كريم الأخلاق والأفعال ، من أجود الناس وأسمهم ، وأرقهم بالرعية ، مع : دين واجتناب للظلم ، على حداثة سنه وقلة عمره » (٢٩٨) .

اضطراب منطقة طرابلس :

أما عن اضطراب منطقة طرابلس التي كان على ولايتها عبد الله بن محمد ابن الأغلب ، فالظاهر أن مثيرها كانوا من قبائل البربر الاباضية في تلك النواحي ، من هواة أو لواتة (٢٩٩) ، على ما نطق . وتذكر روايتا ابن الأثير والنويري أنهم امتنعوا على السواني ، ولم يؤدوا ما كان عليهم من العشور والصدقات ، وأن الزاوي عبد الله بن محمد أخا الأمير قام بقتالهم بمن معه من الجند أكثر من مرة ، ولكنهم هزموه حتى الجأوه إلى بلدة التي حصنها ، ثم انه رأى أن الأمر يتطلب مجهودا أكبر من طاقته فأرسل إلى الأمير أبي إبراهيم أحمد يطلب منه المعونة فسير إليه الكثير من المراكب مع أخيه زيادة الله .

ودارت حروب شديدة بين قوات القيروان وبين الثوار من البربر . انتهت بقتل الكثيرين منهم ، والانتقام من الأسرى الذين قتلوا ، كما أحرق ما كان في معسكرهم من الأمتعة والمتاد . وبذلك أذعن ثوار طرابلس من القبائل المغربية ، وأعطوا الرهائن لابن الأغلب ، وأدوا ما كان عليهم من الأموال (٣٠٠) .

أعمال الأمير الشاب الوردية :

وفيما عدا تلك الحرب المحلية في إقليم طرابلس التي احتفظ لها ابن الأثير والنويري ببعض أسدائها ، والفتوح المظفرة في صقلية ، وما قيل من أنه بنى بأرض افريقية عشرة آلاف حصن بالحجارة والكلس وأبواب الحديد ، وأنه اشترى العبيد واتخذهم جندا (٣٠١) ، انصرف الأمير الشاب ،

(٢٩٨) النويري ، المخطوط . ج ٢٢ ص ١١٥ ب ١١٦ . ابن خلدون . ج ١ ص ١١٢ - (٢٩٩) ابن الأثير . سنة ٢٤٥ . ج ٧ ص ١١ (حيث الكلمة صرفة في شكل « لوان ») - (٣٠٠) نهاية الأرب . المخطوط . ج ٢٢ ص ١١٥ ب . الكمال . سنة ٢٤٥ . ج ٧ ص ١١ (ابن خلدون . ج ٤ ص ٢٠١) - (٣٠١) ابن الأثير . سنة ٢٣٦ . ج ٦ ص ١١٩ (ابن خلدون . ج ٤ ص ٢٠١) -

الذى ولد فى عصر سحنون ، الى أعمال البر والخير . وكانت أولى أعماله هي
العهد بقضاء القيروان الى أبى الربيع سليمان بن عمران بن أبى هاشم الملقب
بخرؤفه .

وسليمان بن عمران كان منافسا لسحنون عند ولايته القضاء ، كما
وأينا ، ثم ان سحنون اتخذه كاتباً ، قبل أن يوليه قضاء الأقاليم ، فى : بجاية
وبجاية والأربس (٣٠٢) . وهكذا ، وثى هذا الجو السحنونى - إذا جاز التعبير -
كان الأمير أبو ابراهيم أحمد يركب فى ليالى شعبان ورمضان من القصر
القديم ، على بعد ثلاثة أميال من القيروان ، وبين يديه الشموع الموقدة ،
ويمشى حتى يدخل مدينة عقبة من باب أبى الربيع ، وبين يديه دواب تحمل
أكياس الدراهم ، وهو يأمر باعطاء الضعفاء والمساكين منها ، حتى يصل الى
المسجد الجامع ، والناس حوله يدعون له خير الدعاء (٣٠٣) . هذا ، كما كان
يقصد دور العلماء والصالحين فيأمر بقرع أبوابهم ، فإذا خرجوا اليه أمر
باعتانهم من ذلك المال (٣٠٤) .

أعمال أبى ابراهيم أحمد العمرانية :

مواجل الماء • توسيع جامع القيروان • بناء جامع سوسة •

والى جانب أعمال البر تلك ، وجه الأمير أبو ابراهيم أحمد نشاطه الى
أعمال العمران ذات المنافع العامة ، مما يرتفق به الناس ، من : بناء صهاريج
الماء التى عرفت فى افريقية بـ « المواجل » ومفردها « ماجل » ، وتجديد
المساجد وبنائها وتهيئة الاموال اللازمة لذلك ، خاصة منذ سنة ٢٤٥ هـ /
٨٥٩ م (٣٠٥) .

فلقد زاد أبو ابراهيم أحمد فى مسجد القيروان ، الذى بناه عمه
زيادة الله زيادات هامة ، هى : البهو ، والمقصود به البلاطة المستعرضة فى
مؤخر بيت الصلاة من جهة الصحن ، وما يحيط بالصحن من المجنبيات ثم

(٣٠٢) انظر فيما سبق ، ص ٩١ (اعوان القاضى) .

(٣٠٣) ابن هدارى ، ج ١ ص ١١٢ ، النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٦ .

(٣٠٤) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٦ .

(٣٠٥) انظر ابن هدارى ، ج ١ ص ١١٣ (حيث الاشارة الى أنه قبل ذلك تكلمة يدور
منه على سكر ، فكانها كانت كفارة لتلك الهوة) ، ابن الخطيب ، أعمال الأعمشال ، قسم ٣
ص ٢٣ .

القبة (٣٠٦) فوق منتصف البهو لتقابل القبة الواقعة فوق المحراب . وبواسطة القبتين كان يمكن لأهل القيروان تحديد اتجاه القبلة ، وهو الخط المستقيم الواصل بين قبة البهو وقبة المحراب ، وكان تمام العمل في الجامع في سنة ٢٤٤ هـ / ٨٥٦ م .

ولقد أعاد أبو ابراهيم أحمد بناء المسجد الجامع بمدينة تونس والذي أنشاه حسان بن النعمان ، وجدده بن الجحباب ، وهو مسجد الزيتونة . ولقد عثر على نقش كوفي في قبة المحراب نصه الآتي : « بسم الله الرحمن الرحيم . مما أمر بعمله الإمام المستعين بالله أمير المؤمنين العباسي . طلب ثواب الله وإبتغاء مرضاته . على يدى نصير مسولاه . سنة خمسين ومائتين - يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله - صنعته فتح ، . وهكذا ، يحمل النص اسم الخليفة المستعين بالله ، كما يحمل اسم الفتى الخادم الذى أشرف على تنفيذ العمل من الناحيتين الادارية والمالية ، وكذا اسم المهندس البناء ، وهو : فتح . أما اسم الأمير الأغلبى الحاكم ، فلا يوجد فى النقش وهو الأمر المستغرب (٣٠٧) . وان كان من الممكن تفسير ذلك بأنه نوع من الأدب من جانب الأمير الأغلبى الذى رأى أن يقدم اسم الخليفة دون ذكر اسمه - خاصة وأن أبا ابراهيم كان قد توفى في سنة ٢٤٩ هـ ، وخلفه أخوه أبو محمد زيادة الله (الأوسط) الذى كان له هذا القرار ، على ما نظن .

ومن المتفق عليه أن جامع الزيتونة بتونس ، كما وصل إلينا ، حافظ على عناصره الرئيسية منذ بناء أبو ابراهيم - مثله في ذلك مثل جامع القيروان منذ أعاد زيادة الله بناءه . والمسجد الحالى يتكون من الصحن الذى تحيط به الأبناء ، ومن بيت الصلاة الذى يحتوى على تسعة أروقة رأسية على حائط القبلة من الشمال الى الجنوب . والرواق الأوسط منها وكذلك بلاط المحراب المستعرض أكثر اتساعا وأعلى ارتفاعا من بقية الأروقة والبلاطات العرضية . وعند التقائهما توجد قبة المحراب التى بنيت سنة ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م والتى تحمل نقش الخليفة المستعين . وفى مقابل تلك القبة توجد قبة باب البهو ، كما هو الحال فى القيروان حيث يحدد الخط المستقيم بين القبتين اتجاها القبلة (٣٠٨) .

(٣٠٦) النورى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٥ ب .

(٣٠٧) أنظر ج . مارسيه ، مختصر الفن الاسلامى ، ج ١ ص ١٣ .

(٣٠٨) أنظر ج . مارسيه ، مختصر الفن الاسلامى ، ج ١ ص ١٣ .

كذلك كانت سوسة ، مدينة الرباطات والعباد ، موضع رعاية أبي
إبراهيم أحمد ، فقد حصنها وبني سورها في سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م (٣٠٩) .

وفي سنة ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م كان البدء في حفر الماجل الكبير على باب
تونس بمدينة القيروان . واستمر العمل فيه - من بناء الجدران والسدائم
الداخلية والخارجية ، وتبليط الأرض - الى أن تم مع زيادات الجامع في سنة
٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م . ولما كانت القيروان قد تعرضت لسيل عظيم في شتاء سنة
٢٤٧ هـ / ٨٦١ م ، كان من نتائجه كسر قنطرة أبي الربيع التي تحمل الماء الى
الماجل الذي كان يقرب باب أبي الربيع ، فان الأمير أبا إبراهيم أمر باصلاح
القنطرة (٣١٠) وتجديد الماجل (٣١١) .

وكانت آخر أعمال أبي إبراهيم أحمد هو حفر وبناء الماجل الكبير
بالمدينة الملكية ، وهي القصر القديم . وذلك أنه بانتهاء ذلك الماجل ، وقبل
بداية فصل الأمطار ، اعتل أبو إبراهيم علته التي مات فيها ، فكان يسأل
وهو طريح الفراش ان كان الماء قد دخل الماجل . وعندما أتى الماء وعرف ذلك
سر به سرورا عظيما ، وأمر خدمه « أن يأتيه بكأس مملوءة منه ، فشر بها ،
وقال : الحمد لله الذي لم أمت حتى أكمل أمره ، تم مات اثر ذلك » (٣١٢) .

وفاة محمودة :

وهكذا ، توفي أبو إبراهيم أحمد بعد أن ترك بصماته قوية على كل من
مدينتي تونس والقيروان ، وحق لأهل القيروان الذين زودهم بالماء الكثير أن
يترحموا عليه ، وكذلك كل من دخل المدينة (٣١٣) . وكانت وفاة أحمد في
يوم ١٣ من ذى القعدة سنة ٢٤٩ هـ / ٢٨ ديسمبر سنة ٨٦٣ م ، وله من العمر
٢٨ سنة ، بعد ولاية ٧ (سبع) سنين و ١٠ (عشرة) أشهر و ١٥ (خمسة

(٣٠٩) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٥ ب ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، قسم ٣

ص ٢٣

(٣١٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٣ .

(٣١١) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٥ ب - حيث تقول الرواية انه بني الماجل .

(٣١٢) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٥٥ ب ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، قسم ٣

ص ٢٤ .

(٣١٣) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٥٥ ب .

- ١٠٤ -

عشر (يوما (٣١٤) . رحله في الامارة اخوه أبو محمد زيادة الله (الثاني) .

أبو محمد زيادة الله بن محمد بن الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب : ٢٤٩ -
٢٥٠ هـ / ٨٦٣ - ٨٦٤ م :

شباب وزيّن يحكم لمدة ستة واحدة :

لم تطل اماره زيادة الله الثاني هذا الا لمدة سنة واحدة وأسبوع واحد ،
وهكذا لم تكن له أخبار مؤثر ، كما يلاحظ ابن عذارى (٣١٥) . وبناء على ذلك
فنحن لا نعرف عنه الا أنه ولى في نفس اليوم الذي توفي فيه أخوه أبو ابراهيم ،
وهو الثلاثاء ١٣ من ذي القعدة ٢٤٩ هـ / ٢٨ ديسمبر ٨٦٣ م ، وأنه كتب الى
خفاجة بن سفيان في صقلية بامضاء ولايته ، وخلع عليه .

وفيما عدا ذلك يقول الكتاب أن زيادة الله الثاني كان عاقلا حليما حسن
السيرة ، جميل الأفعال ، ذا رأى ونجدة ، وجود وشجاعة (٣١٦) . أما عن
وفاته ، فكانت ليلة السبت ١٩ من ذي القعدة سنة ٢٥٠ هـ / ٢٣ ديسمبر
٨٦٤ م (٣١٧) . وقد خلفه ابن أخيه : أبو عبد الله محمد بن الأمير الأسبق
أبي ابراهيم أحمد .

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب :

أبو الفرائق ٢٥٠ - ٢٦١ هـ / ٨٦٤ - ٨٧٥ م :

جلس أبو الفرائق محمد على سرير الملك في نفس اليوم الذي توفي
فيه عمه زيادة الله ، ولما كان والده أبو ابراهيم أحمد ، الأمير الأسبق ، قد

(٣١٤) النويري ، ص ١٥٥ ب (عمره ٢٦ سنة) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٣ ، ابن الأثير
سنة ٢٢٦ ، ج ٦ ص ٥١٩ - ٥٢٠ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠١ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ،
قسم ٢ ص ٢٤ .

(٣١٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٤ ، وقارن ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، قسم ٣ ص ٢٥
(حيث ولايته سنة ٧٧ أشهر بدلا من ٧٥ أيام) .

(٣١٦) انظر ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٤ ، والنويري ، المخطوط ، ج ٢ ص ٢٢ ص ١١٦
وهما يشتركان في النص . وقارن ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، قسم ٣ ص ٢٤ - ٢٥ (حيث
يضيف الى ذلك ان القاضي سليمان بن عمران كان يقول : « ما ولى لبني الأغلب أقل من
زيادة الله الأصغر ») .

(٣١٧) نفس المصدر ، ابن الأثير ، سنة ٢٢٦ هـ ، ج ٦ ص ٥٢٠ ، ابن الخطيب ، قسم ٣
ص ٢٥ (ليلة ٢٠ من ذي القعدة) .

توفي منذ عام وعمره ٢٨ سنة ، فالفهوم اذن أن أبا العرائق كان بعد علي
تتبات الشباب ، عند ولايته ، مقبلا على الرابعة عشرة من عمره (٣١٨) .

شباب في مقتبل العمر ، مقبل على الحياة ، مفرم بالصيد :

ويصف الكتاب الأمير الشاب بأنه كان غاية في الجود مسرفا في العطاء ،
مع حسن سيرة الرعية ورفق بهم (٣١٩) . وهم يضيفون الى ذلك انه غلبت
عليه اللذات والشراب والطرب والاشتغال بالصيد ، وانه لم يزل كذلك طول
مدته (٣٢٠) . وبسبب هوايته للصيد لقب بـ « أبو الفرائق » لانه كان يهوى
صيد ذلك النوع من الطيور ، حتى أنه بنى قصرا في موضع السهلين ، يخرج
اياه لصيدها ، أنفق فيه ثلاثين ألف مثقال من الذهب (٣٢١) ، وهو المبلغ
العظيم بالنسبة لقيمة العملة في ذلك العصر .

هذا ، ويقول ابن الأثير أن أبا الفرائق بنى حصونا ومحارس على
ساحل البحر بالمغرب على مسيرة ١٥ (خمسة عشر) يوما من برقة الى جهة
المغرب (٣٢٢) .

انتصارات في صقلية ، واضطرابات في الزاب :

واذا كان كل من ابن عذارى والنويرى يشير الى أن ولايته كانت
ملينة بالحروب ، فابن عذارى يقصد بذلك حروب صقلية المظفرة بقيادة خفاجة
(ابن سفيان بن سودة) وان تخللتها بعض الانتكاسات . أما النويرى فهو
يشير الى اضطراب بلاد الزاب التي يصفها بالثغر (٣٢٣) - جريا على عادة
قدهم كتاب الفتوح والمغازي .

ووصف بلاد الزاب الجنوبية الغربية بالثغر ، بمعنى أنها جبهة قتال ،

-
- (٣١٨) انظر النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٦ ب ، الذى يقول انه توفي بعد ملكه
عشر سنين وخمسة اشهر ، وله من العمر ٢٤ سنة .
(٣١٩) النويرى ، ج ٢٢ ص ١١٧ ا . ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٤ ، ابن الغلبى ، الإعلام ،
قسم ٣ ص ٢٥ .
(٣٢٠) النويرى ، ج ٢٢ ص ١١٧ ا ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٤ .
(٣٢١) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٤ ، النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٦ ا . وانظر
الحلة السمرى ، ج ١ ص ١٧١ .
(٣٢٢) ابن الأثير ، سنة ٢٢٦ هـ ، ج ٦ ص ٥٢٠ (بن خلدون ، ج ٢ ص ٢٠٥) .
(٣٢٣) النويرى ، ج ٢٢ ص ١١٦ ب .

- ١٠٦ -

يعبر بأن الاقليم كان متاخما لامامة الرستميين الاباضية في الغرب الأوسط .
أو بوجه أخرى كانت بلاد الزاب داخلة في منطقة نفوذ قبائل الزنبر التي
تعترف بامامة تاهرت الرسمية . والمهم هو أن أبا الغرانيبي أرسل الى بلاد
الزاب جيشا عظيما عهد بقيادته الى قائده أبي حفاجة محمد بن اسماعيل الذي
سار في المنطقة وقبائل الزنبر تبعد أماله الى أن وصل الى مدينة تهودة ،
حيث ضريح سيدي عقبة ، ثم الى مدينة بسكرة حيث أعلن أهل تلك المناطق
الخضوع له . ومن بسكرة سار محمد بن اسماعيل الى طينة ، قاعدة بلاد
الزاب ، حيث لحق به القائد حي بن مالك البلوي ، من فريسان مدينته
بلزمة .

ومن طسة قرر محمد بن اسماعيل (أبو حفاجة) السير الى مدينة
« أبة » ونزلها بكل عساكره ، وألقى في قلوب أهلها الخوف والهلج - ومنح
إن رؤساء القبائل أتو سامعين طامعين ، وعبروا عن تلك الطاعة بتقديم
الرهائن ، ودفع ما كان عليهم من الخراج والعشور والصدقات . فلما محمد
ابن اسماعيل لم يقبل منهم لأن زعيم بني كملان من قبائل هواة - وهو مهلب
ابن صولات لم يات به بنفسه .

وقرر أبو حفاجة محمد بن اسماعيل السير الى بن صولات وكسر
شموكته ، وتحززت قبائل هواة من أبي حفاجة ، وهي تحول مداراه ظالمة
سنة الأمان ، بإذلة له كل ما يطلب ، فلم يقبل منهم إلا الخضوع تحت سلطان
السيف . ولكنه عندما نشب القتال بين الجند الأغلب وبين بني كملان في
قلب أرض هواة ، انتهت الواقعة بكارثة بالنسبة لجيش الفيراني . والظاهر
أن عسكر بلزمة وعلى رأسه حي بن مالك البلوي كان مشغولا عن تصليب أبي
حفاجة ، على زعيم أنه كان على دراية بالبلاد . وعلى هذا الأساس ، وعلى
ما نظن ، تنسب الهزيمة الساحقة التي انتهت بمقتل أبي حفاجة وجيشه
من كبار قواده وبكثير من جنده والتي تبادت حتم أسوار طينة الى البلوي
وأهل بلزمة (٣٢٤م) .

فتح مالطة :

ولا يخفى من وقع هذه الهزيمة التكرار في رواية التويري ، التي لم
تذكر رد فعل الأمير الأغلب ، إلا ما تسجله من فتح جزيرة مالطة على أيدي

- ١٠٧ -

أبى الغفرانيق ، سما يوحى أن هزيمة الجند الأغلبى فى الزاب كانت قبيل سنة ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م . على أواخر أيام أبى الغفرانيق . ويرجع ذلك ما تنص عليه رواية ابن الخطيب من أن فتح مالطة وأسر منكها كان فى جمادى الاول من سنة ٢٦١ هـ / فبراير - مارس ٨٧٥ م (٣٢٥) . ولكنه لما كانت مالطة قد فتحت على أيلم « أبى الغفرانيق » فى سنة ٢٥٥ هـ (٢٣٦) فإن ذلك يعنى أن الروم كانوا قد استعادوها من المسلمين ، وأن غزو الجزيرة الثانى فى سنة ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م كان الفتح انتهائى .

أعمال عمرانية على أيام أبى الغفرانيق :

وهكذا ، فالى جانب ثورة الزاب ، وذكر فتح مالطة ، وحروب صقلية ، لا نجد فى حوليات إفريقية على أيام أبى الغفرانيق ذكرا الا لبناء محمد ابن حميدون الأندلسى المعافى للجامع الشريف المنسوب اليه بالقيروان . والذى سبغا فى بساتنه بالآجر والجص ، وبذل فى كسوته بالرحام ، كما سبغا له الصهاريج أو جباب الماء تحت الأرض ، وذلك فى سنة ٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م (٣٢٧) .

محمد بن سحنون (٢٠٢ - ٢٥٦ هـ / ٨١٧ - ٨٧٠ م) :

أهم أعماله ، والحياة الدينية على عهد الأمير أبى الغفرانيق :

أما سنة ٢٥٦ هـ / ٦٩ - ٨٧٠ م ، فهى سنة وفاة محمد بن سحنون الذى خلف والده فى الإمارة والعلم (٣٢٨) ، ولو أنه لم يل القضاء ، فكانت وفاته بعد ١٦ عاما من وفاة والده ، قاضى القيروان الدائع الصيت . فلقد جدد محمد سيرة والده سحنون ، فعرف بالفقه والجدل والحديث ، والذنب عن مذهب أهل الحجاز (٣٢٩) . وعرف محمد بن سحنون بأنه كثير الكتب - غزير التأليف ، له نحو مائتى كتاب فى فنون العلم (٣٣٠) . ومن تواليفه :

- (٣٢٥) أعمال الأعلام ، قسم ٣ . ص ٢٦ .
- (٣٢٦) أنظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠١ . وأنظر ابن الخطيب ، أعمال الأعمال ، قسم ٣ ص ٢٦ - حيث إشارة المحققين فى الهامش رقم ١ الى أن استيلاء المسلمين على مالطة كان فى سنة ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م .
- (٣٢٧) ابن عذارى ، ج ٢ ص ١١٤ .
- (٣٢٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٥ .
- (٣٢٩) تراجم أغلبية ، ص ١٧٣ .
- (٣٣٠) الماللى ، ج ٢ ص ٢٤٥ . تراجم أغلبية ، ص ١٧٢ .

المسند في الحديث ، والجامع في الفقه ، وكتاب الطهارة ، وكتاب تحرير
المسكر ، وكتاب آداب المتناظرين ، وتفسير الموطأ ، وكتاب الحجبة على
القدرية ، كما ألف كتاب التاريخ في ستة أجزاء ، وغير ذلك من الكتب (٣٣١) .

والى جانب العلم جدد محمد بن سحنون سيرة والده في الجود والكرم ،
فهر : جواد بماله ، لا يبخل بالمطاء حتى على خصمه (٣٣٢) ، وهو يكتب
الرقاع للناس ، كما كان يكتب والده البطائق ، الى الصرافية بالمستقرين دينار
واكثر (٣٣٣) .

هَذَا ، كما أنه كان يتردد على رباطات الساحل ، كما كان يفعل والده
سحنون حتى أن وفاته كانت بالساحل (٣٣٤) . وان كان قد خلف والده في
حبه للناس (٣٣٥) .

الصراع بين المالكية والحنفية :

محنة محمد بن سحنون :

وعلى الجملة فقد كان محمد بن سحنون مقدما عند الملوك ، ونجيبا عند
العامة (٣٣٦) ، رغم أنه لم يل القضاء ، بل رغم سوء علاقته بالأمير ورجاله ،
من : القاضي سليمان بن همران (المعروف بخروقه) ، وصاحب الصلاة
ابن أبي الجواب .

والظاهر أن ذلك كان بسبب وقوفه ضد الحنفية ، ومقالة المعتزلة بخلق
القرآن التي كان يقاومها المالكية . والظاهر أن الدولة الاغلبية ، وهي تتبع
تعليمات الخلافة العباسية في بغداد ، حورت في موقفها من معارضتها
للمالكية ، وجعلته موقفا سياسيا بدلا من اتجاه ديني .

-
- (٣٣١) انظر تراجم اهل الحنفية ، ص ١٧٣ ، وقلوب المالكي ، ج ٦ ص ١٣٤٥ - ٣٤٦ .
 - (٣٣٢) انظر تراجم اهل الحنفية ، ص ١٧٨ .
 - (٣٣٣) انظر تراجم اهل الحنفية ، ص ١٨٢ .
 - (٣٣٤) تراجم اهل الحنفية ، ص ١٨٦ .
 - (٣٣٥) تراجم اهل الحنفية ، ص ١٨٤ - ١٨٧ .
 - (٣٣٦) تراجم اهل الحنفية ، ص ١٧٨ .

فكاهه السياسية الدينية :

محمد بن سحنون عندما امتحن على عهد الأمير محمد لم يكن امتحانه ، كما كان الحال بالنسبة لوالده ، عن رأيه في خلق القرآن ، بل كان سؤاله : ما يقول في يزيد بن معاوية ، فكان السؤال يعني أن كان المتحن يقف الى جانب الأمويين ، فيكون بالتالي ضد العباسيين . ولقد رد محمد بن سحنون على السؤال ، موجها الكلام الى الأمير محمد ، قائلا : أصلح الله الأمير . لا أقول ما قالت الإباضية ، ولا ما قالت المرجئة . وعندما سئل عما قالتا ؟ قال : قالت الإباضية ان من أذن ذنبا فهو من أهل النار . وقالت المرجئة : لا تضر الذنوب مع التوحيد . أتى يزيد عظيمسا جسيما ، ويفعل الله في خلقه ما أحب (٣٣٧) .

موقفه من الإرجاء : التزاع بين السحنونية والعبدوسية :

ومع أن ابن سحنون يقول انه لا يوافق على مقالة المرجئة ، فان رده هذا يعبر عن فكرة المرجئة الرئيسية التي تترك الحكم على كفر الناس وإيمانهم الى الله . فالمعروف أنه كان لمحمد بن سحنون موقف محدد في مسألة الإيمان ، إذ كان لا يستثنى فيها ، ويقول : « أنا مؤمن عند الله » ، حتى أن خصومه في الفريقية ، مثل : ابن عبدوس وأصحابه ، وكذلك أهل مصر والمشرق ، كانوا ينكرون ذلك عليه ، وعلى من يقوله ، وينسبون قائله الى الإرجاء (٣٣٨) .

ولقد صار من يقولون بقول محمد بن سحنون هذا في الإيمان فرقة عرفت في المغرب باسم « السحنونية » ، وكان أتباعها يسمون خصومهم من العبدوسية ، الذين يخالفونهم في هذا الرأي ، بـ « الشكوكية » (٣٣٩) .

(٣٣٧) تراجم أغلبية ، ص ١٨١ .

(٣٣٨) أنظر تراجم أغلبية ، ص ١٨٤ - ١٨٥ . وابن عبدوس هو محمد بن إبراهيم ابن عسود (توفي سنة ٢٦٠ هـ) . من كبار أصحاب سحنون وأئمة وقته . والذي قيل فيه أنه كان أشبه الناس بأخلاق سحنون في فقهه ، وزيادته في مليسه ومطعمه والذي قيل فيه أنه كان صحيح الكتاب ، حسن القيد ، عالما بما اختلف فيه أهل المدينة . وما اجتمعوا عليه . وفي زعمه وتسكته وعبادته . قيل : انه كان مستجاب الدعاء (تراجم ، ص ٨٩ - ١٩٠) . ولما ترجمه ابن عسود في رياض المالكى . ترجمة رقم ١٤٨ ج ١ ص ٣٦٠ وما بعدها .

(٣٣٩) تراجم أغلبية . ص ١٨٥ . المالكى . ج ١ ص ٣٦٢ . ومن حقيقة موقف ابن عبدوس الزاهد في مسألة الإيمان أنه قيل ان الذى صبح عنه أنه كان يقول : أدين بأى مؤمن عند الله في وقتي هذا ، ولا أدري ما يختم لي به . كما قال عن زعموا أنه يشك في نفسه ، =

الحصومة مع القاضي وصاحب الصلاة :

والحقيقة أن العلاقة بين محمد بن سحنون المالكي وبين قاضي القبروان سليمان بن عمران الحنفي كانت سيئة حتى اضطر ابن سحنون الى أن يستتر ويتوارى أمام مطاردة القاضي . وعندما حاف على نفسه اضطر الى أن يستحضر بالأمير محمد الذي أمناه (٣٤٠) .

ولقد كانت علاقة ابن سحنون سيئة أيضا بصاحب الصلاة في القبروان ، في أمام المسجد الجامع الذي كان من أعوان القاضي ، وهو ابن أبي الحواجب ، الذي كان كثير الإذابة لمحمد بن سحنون (٣٤١) . وعندما ضاق ابن سحنون بأعمال صاحب الصلاة التي لا تليق بمثل من هو في منصبه ، سعى لدى الوزير أحمد بن محمد الحضرمي في عزل ابن أبي الحواجب عن الصلاة ، وتعيين عبد الله بن أحمد بن طالب التميمي ، قريب أبي العرائق ، بدلا منه .

ودبر ابن سحنون ذلك التغيير بطريقة فاجأت كلا من سليمان بن عمران وابن أبي الحواجب ، وذلك قبيل صعود هذا الأخير على درجت المنبر - وظهر كيد ابن سحنون ونكايته للقاضي ومعاونه صاحب الصلاة في الخطبة التي خطبها ابن طالب ، والتي أصر فيها على أفكار أهل السنة التي تقرر حتمية المصير الانساني ، والتي تأخذ بظاهر المصوص دون تفسير باطني أو تأويل . فابن طالب قال في خطبته : « والحمد لله الذي عذب علي ما لو شاء منه

« ويقول : لا أدري وأرجو أن أكون مؤمنا ان شاء الله - قال : والله ما قلته قط . فلا حزي الله من حكي هذا عني خيرا ، ما شككت قط ابي مؤمن عند الله .
وفي ذلك يرى القاضي عياض أن المسألة لا تنمى الخلاف في الالفاظ لا في الحقيقة . فمن التفت الى مغيب الحال والغائبة وما سبق به القدر ، قال بالاستثناء ومن التفت الى حال نفسه وصحة معتقده في وقته ، لم يقل له ولو انه يضيف الى ذلك ذكر ما نشأ من الخلاف بين مفكري المسلمين بعد ثلاثمائة سنة في مسألة الايمان هذه . وحل المؤمن مؤمن عند الله
لم لا

(٣٤٠) تراجم أغلبية ، ص ١٧٩ .

(٣٤١) أنظر تراجم أغلبية ص ١٧٩ . وفي ذلك نشر الرواية الى ان ابن أبي الحواجب كان يؤذي ابن سحنون بطريقة صنيعة حسابه ، « كان يميل على اذنه وهو بين أصحابه ويسه فاقده السباب ، ولكن ابن سحنون كان يتناسك ويرد عليه كيد فأن يقول له : « من منطقي لك حاجتك انشاء الله » وقارن المالكي ج ١ ص ٣٥٣ (حيث الرجل الذي كانه يسد ابن سحنون مجهول الاسم)

عصم ! والحمد لله الذى على عرشه استوى ، وعلى ملكه احتوى ، وهو فى الآخر يرى » (٣٤٢) .

وهكذا ، فكما كان ابن سحنون سببا فى صعود نجم سليمان بن عمران اذ تقول الرواية انه الذى سعى لدى والده سحنون حتى استخدمه فى كتاب القضاء ثم عينه قاضيا فى باجة وغيرها (٣٤٣) ، كان ابن سحنون هو السبب فى افول نجمه . والحقيقة ان تعيين ابن طالب فى امانة الصلاة كان « أول نتبة سليمان » ، اذ لم ترل أمور عبد الله بن أحمد بن طالب تنمو الى أن صرف الأمير محمد أبو الغرائيق سليمان بن عمران عن قضاء افريقية ، وولى قريبه ابن طالب مكانه ، وان كان ذلك قد حدث فى السنة التالية لوفاة محمد ابن سحنون (أى سنة ٢٥٧ هـ / ٨٧١ م) (٣٤٤) . هذا ، وان كان سليمان ابن عمران سيعود الى قضاء افريقية مرة أخرى فى سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م ، عندما يعزل الأمير محمد أبو الغرائيق قريبه التميمي ابن طالب (٣٤٥) .

وفى السنة التالية لعزل ابن طالب وولاية سليمان بن عمران الثانية للقضاء القيروان ، وهى سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م ، كانت المجاعة الكبرى التى عمت المشرق والمغرب ، والتى أدت الى انتشار الوباء والطاعون ، كما تذكر حوليات ابن عذارى (٣٤٦) . وفيها كانت وفاة الفقيه الزاهد محمد بن ابراهيم ابن عبدوس وأشهر تلاميذ سحنون ، ومنافس محمد بن سحنون فى العلم

(٣٤٢) تراجم أغلبية ، ص ١٨٠ .

(٣٤٣) تراجم أغلبية ، ص ١٧٨ ، وانظر فيما سبق ، ص ١٠١ وهـ ٣٠٢ .

(٣٤٤) انظر تراجم ، ص ١٨١ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٥ . وفى ابن طالب قيل انه كان شديد الإعظام لابن عبدوس ، عارفا بحقه ، وعليه كان يعتمد فى أحكامه . وفى موقف ابن طالب من ابن سحنون وابن عبدوس ، قيل : كان وجه ابن طالب الى ابن سحنون ، وقلبه الى ابن عبدوس (تراجم ، ص ١٩٢) . والحقيقة انه رغم ان ابن عبدوس - مثل ابن سحنون - كان من تلاميذ سحنون الا أنه كان يهتم بفتح فقهه بالمعنى والرأى والاستنباط أكثر من اهتمامه بالاستناد ومعرفة الرجال ، وهو الموضوع الشكل الذى كان يهتم به ابن سحنون كثيرا (تراجم ، ص ١٩١) .

(٣٤٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٦ - هذا وسيعود عبد الله بن أحمد بن طالب التميمي الى القضاء مرة ثانية سنة ٢٦٧ هـ / ٨٨٠ م . بعد عزل سليمان بن عمران للمرة الثانية ، على عهد ابراهيم بن أحمد بن محمد كسا ياقى . وستكون وفاة سليمان فى سنة ٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م (ابن عذارى ج ١ ص ١١٩) . اما عن ابن طالب فسيعزل للمرة الثانية سنة ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م ، ويموت مسووما بتدبير الأمير (ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٢١ ، وانظر فيما بعد ص ١٢٤ - ١٣٠) .

(٣٤٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٦ .

والعق ، والذي كان قد بعده في السك والرهح حتى قى انه صلى الصبح
بوسوء العمة ثلاثين سنة . بصعيا وهو طائف يدرس وصعيا وهو مكتب
على العادة (٣٤٧) . وكان ابن عبدوس متواصعا في مجلس العلم ، راثلا من
صدر برائته . حتى لا يعرف انه صاحب المجلس (٣٤٨) . كما كان يتحشم
في صلاه حتى يسقط الرمال من يصور حلقه مغشيا عليه (٣٤٦) . وكان
سحون قد استكتف ابن عبدوس في جملة من استكتبهم في القضاء فعيد اليه
بكشف الشهود فأكر اشياء مما يحرق في الديوان ، فاعتزل الكتابة حتى قيل
انه هرب الى سوسة (٣٥٠) . وعلى الحملة ، فقد قيل فيه أخيرا ، وليس هذا
بمريب ، انه كان مسحاب الدعاء (٣٥١) .

وباء على ما تقدم فاذا كانت علاقة محمد بن سحنون ، وهو الذي لم
يكس له شيء من نسك ابن عبدوس وعبادته ، لم تكن دائما على ما يرام بالأمر
محمد أبي الغرائيق ، فانه يكون من المقبول جدا ألا تكون علاقة الأمير ، الذي
وهب حياته في أواخر سنوات حكمه لنهو والطرب والتصيد (٣٥٢) ، عسل
ما يرام مع الزاهد الكبير ابن عبدوس .

وفاة أبي الغرائيق :

نهاية تفسه للنسب الالهي وسط أقطاب التدين والنسك :

وهكذا تقول الرواية أن ابن عبدوس دعا على أبي الغرائيق ، واستجيب
دعوة الرجل الصالح ، فوقع الأمير الذي كان اللهو والشراب قد أنهك فواه
فريسة المرض . وكان مرضه من الشدة بحيث أقعده لفترة طويلة طسريح
الفراش . حتى انه لقب في أواخر أيامه بـ « الميت » ، كما كان يشفع عليه
بالموت في كثير من الأيام (٣٥٣) .

(٢٤٧) تراجم أعلبية ، ص ١٩٣ ، وقارن المالكي ، ج ١ ص ٣٦٠ - ٣٦١ (حيث النص
على أن المدة ٢٨ سنة) .

(٢٤٨) المالكي ، ج ١ ص ٣٦١ ، تراجم أعلبية ، ص ١٩٣ .

(٢٤٩) تراجم أعلبية ، ص ١٩٤ .

(٣٥٠) تراجم أعلبية ، ص ١٩٤ .

(٣٥١) تراجم أعلبية ، ص ١٩٠ .

(٣٥٢) وفي ذلك تقول الرواية انه غلب عليه الشرب حتى انه سكر مرة ، وهو بمدينة
الترابطين سوسة ، وركب البحر حتى صاد الى جزيرة قوصرة ، ثم انه احرق وهو خائف
أن ذهب معه السكر . انظر الويري ، ج ٢٢ ص ١١٧ .

(٣٥٣) الويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٦ - ١١٦ ب ، تراجم أعلبية ، ص ١٩٠ .

- ١١٣ -

ملك كانت نهاية أبي الغرائيق الذي أنهك ، خلال حكمه الذي استمر حوالي عشر سنوات ونصف السنة ، والذي عاصر خلافة كل من : المستعين والمعتز والمهتدي والمعتمد من خلفاء بغداد ، في العبث والشراب . كما أنه بدد أموال الدولة قبل أن يموت في ٦ من جمادى الأولى سنة ٢٦١ هـ / ١٦ فبراير ٨٧٥ م ، وهو في الرابعة والعشرين من عمره ، حتى لم يجد أخوته ، ومنهم إبراهيم الذي خلفه ، في بيت المال شيئا يذكر (٣٥٤) .

أبو اسحق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب :
٢٦١ - ٢٨٩ هـ / ٨٧٥ - ٩٠٢ م :

ولايته : تنحية أبي عقال بن أبي الغرائيق :

كان أبو الغرائيق محمد قد عهد لابنه الطفل أبي عقال بالملك من بعده ، على أن يكون إبراهيم : عمه ، الذي كان واليا على القبروان ، وصيا عليه أو نائبا للملك ، كما يقال ، الى أن يبلغ الأمير الطفل سن الرشيد . ولكي يتأكد ، وهو في فراش المرض ، ويموت مرتاح البال الى أن إبراهيم أخاه سيقي لابنه الطفل ، جعل إبراهيم يحلف خمسين يمينا في جامع عقبة المبارك بالقبروان بأن يفي لولي العهد الصغير وألا ينازعه في ملكه ، وذلك في حضرة مشايخ الأسرة من بنى الأغلب ، وأمام قضاة القبروان وفقائها من أهل الحل والعقد (٣٥٥) . ولكنه ما أن توفي أبو الغرائيق حتى قام أهل القبروان الى واليهم إبراهيم ، الذي عرفوه حسن السيرة ، وطلبوا اليه أن يتولى الامارة .

وفيما يتعلق بالحنث في الأيمان التي حلفها ، فقد حللوها عن طريق : أنهم كارهون لامارة الطفل ، وأنهم المسئولون عن منعه من الامارة ، اذ أنه ليس له بيعة في أعناقهم . ومع كل ذلك فلقد طمانوه بأنه لن ينازع ولي العهد الطفل ولن يدخل قصره ، بل أنه سيحكم من داره هو : الموجودة في المدينة الملكية المعروفة بالقصر القديم .

= والذي يفهم من الرواية ان مرض أبي الغرائيق هو الذي ثبت أنه ابن عيبدوس مستجاب الدعوة .

(٣٥٤) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٧ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٤ ، ابن الخطيب أعمال الأعلام ، قسم ٣ ص ٢٦ .

(٣٥٥) ابن الأثير ، سنة ٢٦١ ، ج ٧ ص ٢٨٤ ، النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٧ .

ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٦ ، بن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٣ .

وهكذا وافق ابراهيم على أن يلي عرش افريقية ، وسار مع أهل ا
الى القصر القديم . ولكن الأمر تطلب محاربة الحرس الاميرى هناك حتى
ابراهيم داره . وفيها بايعه مشايخ أهل القيروان ثم وجوه أهل افريقية
بايعه جماعة بسى الأغلب (٣٥٦) .

عهد الاستبداد ، ذروة العصر الأغلبى :

أمير نموذج لملوك الاغالبية :

وهكذا آلت اماره الدولة الأغلبية الى ابراهيم بن أحمد الذى حكم
من ٢٨ (ثمانية وعشرين) عاما ونصف ، وهى أطول عهود كل ملوك
فى افريقية . ولقد وصلتنا رواية الرقيق التفصيلية عن عهد الأمير ابر
وهى الرواية التى ينقلها النويرى بحذافيرها فى نهاية الأرب ، وتكون
رواية ابن عذارى ومن نقل عنه . ومنها يتضح لنا أن عهد ابراهيم
يمثل طبيعة الحكم الأغلبى على وجه العموم ، بما فيه من حسنات وسيئ

فابراهيم بن أحمد له حسناته الكثيرة من كف الظلم ونشر ال
وله سيئاته التى لا تغنى عن أعمال العنف التى تصل الى سفك الد
الأسباب ، وربما لغير سبب ، والتى لم يسلم منها خُدم الأمير وقر
وأهله ، من : بنى عمومته واخوته وحتى أبنائه وبناته . أما عن سياسة
العامة : فالجرب فى صقلية تزايد ظفرا من سنة الى أخرى وفيها يتم
سرقوسة وطبرمين . والأعمال العمرانية ، من : بناء المدن والمحارس
سيرا حثينا ، كما هو الحال فى عصور الازدهار ، ولا يعسر قلم
الاضطرابات المعتادة فى أقاليم : طرابلس ، وتونس ، وبلاد الزاب
نجح الأمير فى قمعها ، وإن كان بشئ من العنف والقسوة .

ولا بأس من أن تكون نظرة ابن الأثير الاجمالية لعهد الأمير ا
ابن أحمد - رغم أن مؤرخنا الكبير كان يعرف رواية الرقيق - هو
جملته يركز على حسناته ، دون مساوئ أفعاله . فابراهيم بن أحمد
نظر ابن الأثير ، كان عادلا حازما فى أموره : أمن البلاد ، وقتل أهل
والفساد . وكان يجلس للعدل فى جامع القيروان ، يوم الخميس والا

(٣٥٦) النويرى ، المخطوط . ج ٢٢ ص ١١٧ - ١١٧ ب . بن عذارى . ج ٦ ص
ابن الخطيب ، أفعال الاعلام ، قسم ٣ ، ص ٢٧ .

كل أسرع ، بسمع شكوى المحصوم ، ويصبر عليهم ، ويتنصف بينهم (٣٥٧) -
أما عن مساوي أفعاله التي ذكرها الرقيق ، فانها لم تلق أدنا صاغية
من ابن الأثير فأسقطها من روايته ، على أنها ظالمة أو غير واقعية - حسبما رأى
المؤرخ الكبير ، كما نظن . ولو أن افتراضنا هذا لا يمنع من أن تكون المعلومات
المشينة قد سقطت من نساج ابن الأثير - فهي ، كما يروها النويري مقسمة
الى نوعين وضعهما تحت عنواني :

١ - ومن مساوي أفعاله .

٢ - ومن قبيح أفعاله .

ومن ذلك : « أنه أسرف في سفك دماء أصحابه وحجابه ، حتى يقال
انه افتقد متديلا كان يسمح به فمه من شرب النبيذ ، وكان قد سقط من يده
بعض جواربه فأصابه خادم فقتله ، وقتل بسببه ثلاثمائة خادم » . ويعلق
على ذلك الراوي ، فيقول : « وهذا غاية في الجور ونهاية في الظلم » (٣٥٨) .
أما ابن خلدون الذي أخذ برواية ابن الأثير التي تتنى على إبراهيم فالظاهر
أنه عاد يلتبس له العذر بالمرض العقلي بعد أن أورد رواية الرقيق ، فقال :
« انه أصابه آخر عمره مالبخوليا أسرف بسببها في القتل ٠٠٠ (٣٥٩) » .

(٣٥٧) ابن الأثير ، سنة ٣٦١ هـ . ج ٧ ص ٢٨٤ (ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٣) ،
وقارن رواية الرقيق في النويري ، المخطوط ج ٢٢ ص ١٢٢ ب - ١٢٣ أ ، حيث يقول انه
كان أنصف الملوك للرعية لا يرد عنه متظلم يأتيه ، وكان يجلس بعد صلاة الجمعة ، وينادي
مناديه : من له مظلمة ا فريما لم يأت احد لكف بعض الناس من بعض . هذا ، وكان يقنع
أصحاب الأقدار والأغنياء عن الظلم ، ويعمل على انصاف الرعية « فهم مادة الملك » ، ويبالغ
في حقبة أهل بيته وولده اذا ظلموا . وهو يتنصف المتظلمين حتى من والدته ، كما سنرى .
(٣٥٨) نهاية الأرب ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٢ ب - ١٢٤ أ - ١٢٤ ب . وتضيف
الرواية الى ذلك انه قتل ابنه أبا الأغلب لظن ظنه به . وقتل ثمانية من اخوته . وانه قتل
بناته اللاتي رجعن أمه خلية منه . وفي قبيح أفعاله يذكر له كلفه بالأحداث ، وانه كان له
في بعض قصوره منهم نيف وستون حدقا ، وانه قتلهم لأمر سادته منهم . بل وبلغ الحد الى
طرحهم في النار أو افلاق بيت الحمام السكن عليهم . وانه كان يقتل بأنواع أخرى من
الصلاب . مثل : الخنق أو البناء على من يريد قتله حتى يموت جوعا وعطشا . وغير ذلك مما
أضرب ابن الأثير عن الانشارة اليه . وأنظر ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، قسم ٣ ، ص ٢٩ وما
سدها . حيث يضيف ابن الخطيب تعليقاً له ، يقول فيه : « اللهم لا ترسه » ، وشاعف عليه .
سخطك وعلائك الذي لا يقبى وشاك ولا تمنحه رحمتك » .

(٣٥٩) ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٤ .

ثم ابن عذارى فقد قسم سيرة ابراهيم الى فترة طيبة استمرت لسبع سنوات ، كان فيها حسن السيرة ، تبتعتها فترة تغيرت فيها احواله الى قرير نهاية حكمه عندما مال الى الزهد والتتسك ، وترك الملك لابنه ابي العباس مؤذرا نفسه للجهد في صقلية (٣٦٠) .

والمهم انه بعد أن استقر ابراهيم في داره في القصر القديم ، في مواجهم قصر ابن أخيه الطفل ابي عقال ، بدأ حكمه بداية طيبة ، فولى حجابته لمحرم ابن قرهه ، وأمر بانقاذ الكتب الى العمال والجباة بحسن السيرة في أعمالهم وشدد على ضرورة الرفق بالرعية (٣٦١) .

بناء عاصمة جديدة : رقادة :

وأهم ما يميز عهد ابراهيم بن أحمد هو ما قام به من السير على سنن كبار الحكام من منشئ الدول ، وذلك باتخاذ عاصمة جديدة ، غير القصر القديم ، وهي المدينة التي كان قد بناها ابراهيم بن الأغلب مؤسس الأسر وسماها بـ « العباسية » . ففي سنة ٢٦٣ هـ / ٨٧٦ م بدأ ابراهيم بن أحمد في بناء مدينة رقادة ، على ٤ (أربعة) أميال من القيروان ، والتي أصبحت إحدى ضواحي مدينة عقبة ، مثلها في ذلك مثل القصر القديم .

أما عن التسمية « رقادة » ، فقد قيل أنها نسبة الى الرقاد أي النوم وذلك لطيب مناخ المنطقة التي أختيرت للبناء (٣٦٢) . وخططت المدينة بحية

(٣٦٠) ابن عذارى . ج ١ ص ١٣٢ .

(٣٦١) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٧ ب . ابن الخطيب . أعمال الأعلام ، قسم ٣

ص ٢٩ . وأنظر ابن الأثير . سنة ٢٦١ هـ . ج ٧ ص ٢٨٤ .

(٣٦٢) وفي ذلك قيل ان الأمير ابراهيم خرج يتجول خارج القيروان الى أن وصل منطقة رقادة ، لوجدها جيدة المناخ معتدلة الهواء ، طيبة التربة ، حتى غاله الناس فيها وكان يشكو من الأرق - لذلك سمي رقادة . هذا ، كما قيل ان من دخلها لم يزل ضاحكاً خائراً بالسور للفس هذه الأسباب . أنظر النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٧ ب ، ك الاستبصار ، ص ١١٦ والهامش ١ . ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٧ . وقارن اليكزي ص ٢٧ والحلة السيرة ، ج ١ ص ١٧٢ (حيث القصة التي تقول ان الأمير كان قد أصيب بالأمراض اسحق الطيب ، بعد أن فشل في علاجه ، بالرياضة . فلما وصل الى المكان نام فيه موضع المدينة رقادة) .

هذا ولو أن اليكزي يذكر رواية أخرى : ص ٢٨ (تقول ان الموضع سمي « رقادة » نسبة الى رقاد جثت قتلت قتائل ورجومة الذين تغلبوا على القيروان وذلك عندما خرج اليهم

كان دورها ١٤ (أربعة عشر) ألف ذراع (٣٦٣) . وبنيت بها القصور العجيبة
ومسجد جامع (٣٦٤) . وكان أول القصور التي بنيت فيها هو القصر المعروف
بالبفتح ، الذي تم بناؤه في العام التالي (٢٦٤ هـ / ٨٧٧ م) ، فانتقل إليه
إبراهيم بن أحمد من القصر القديم (٣٦٥) . وبذلك صارت رقادة العاصمة
الجديدة ، وأصبحت رمزا لدولة إبراهيم الثاني .

واستمرت أعمال إبراهيم في اعمار رقادة من اجراء الميلاء اليها ،
واغتراس صنوف الثمار الطيبة والرياحين ، وبناء القصور داخل أسوار
المدينة ، مثل : قصر « بغداد » وقصر « المختار » ، حتى صارت رقادة ، قبل
نهاية عهده ، أكبر من القيروان (٣٦٦) . وهكذا ، لم تزل دار ملك بني الأغلب
الى أن هرب عنها زيادة الله أمام «بى عبد الله الشيمى» (٣٦٧) .

والى زيادة الله الأخير ينسب انشاء الصهرج الكبير والقصر المواجه له ،
اللذين كان من مفاخر رقادة . وكان طول الصهرج ٥٠٠ ذراع وعرضه ٤٠٠
ذراع حتى سمي بالبحر . أما عن القصر العظيم الذى بنى فى مواجهته على
أربع طبقات ، وسمي بـ « العروس » (كما عرف بقصر البحر) ، ، فقد أنفق
فيه ٢٣٢ ألف دينار (٣٦٨) ، وكان مضرب المثل فى العظمة والأبهة (٣٦٩) .

«أمر الخطاب عبد الأعلى امام الاباضية من طرابلس . وقتلهم ، فى ذلك الموضع - الذى كان
اذ ذاك منية - قتل ذريعا ، فسميت ، رقادة .

(٣٦٣) النويرى ، المخطوط . ج ٢٢ ص ١١٧ ب .

(٣٦٤) الحلة السيرة ج ١ ص ١٧٢ .

(٣٦٥) النويرى . المخطوط ، ج ٢ ص ١١٧ ب (حيث تقول الرواية انه انتقل الى رقادة

فى سنة ٢٦٣ هـ / ٨٧٦ م) . ابن عذارى . ج ١ ص ١١٧ .

(٣٦٦) الحلة السيرة ج ١ ص ١٧٦ ، وانظر البكرى الذى يحدد دورها بأكبر من ٢٤

ألف ذراع . أى حوالى ١٢ كيلو متر (ص ٢٧) . وفى عمران رقادة يقول حسن حسنى

هذه الوهلة أنه كان يوجد فى « قصر الصحن » حل مسافة من المدينة « بيت الحكمة » . وأنه

الى جانب المستشفى « المنية » كان لرقادة « دائرة الطراز » - بأكملها مثل العواصم الكبيرة .

كما وجد فى طاهرها ميدان واسع هو « للمنية » الذى كانت تجرى فيه الخيل ، ويخلطه الجند

لأهل المعسكر . وفى جانب الميدان كان على الميدان (انظر الوثائق ، قسم ١ ص ٣٦٤ ،

٣٦٧ ، ٣٧٢) .

(٣٦٧) الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٧٢ .

(٣٦٨) الحلة السيرة . ج ١ ص ١٧٦ .

(٣٦٩) انظر ليبيا بعد ، ص ١٧٥ .

وفي فخامة قصر العروس هذا ، قيل ان عبيد الله المهدي كان يقول انه واحد من ثلاثة أشياء بافريقية لم ير مثلها في الشرق (٣٧٠) .

وتشير الرواية الى أنه عندما انتقل ابراهيم بن أحمد من القصر القديم الى رقادة ، منع بيع التبيذ بمدينة القيروان ، وأباحه في رقادة (٣٧١) . وبذلك لم تعد رقادة دار الأمير ومسكنه فقط ، بل صارت متنزها له وموضع فرجه حيث كان يأتيه الندماء والمداحون والشعراء (٣٧٢) .

وتوجد بقايا رقادة حاليا على بعد ٥ (خمسة) كيلومترات من بقايا القصر القديم ، أي على بعد ٩ كم جنوبي القيروان . ويوجد هناك حوض عظيم مربع الشكل ، له جدران ضخمة ودعامات شبيهة بدعامات مواجل القيروان ، وأغلب الظن أنه الماجل الذي كان يعرف بالبحر والذي أعطى لقصر العروس اسم « قصر البحر » أما عن القصر نفسه فلم تبق الا بقايا جدران قليلة منه ، وأرضية بعض القاعات المكسوة بالسيفساء المكونة من مكعبات حجرية صغيرة الحجم ، زخرفتها في شكل ضفائر حلزونية . ويشير ج . مارسيه الى أنه يمكن أن يوجد لهذه السيفساء شبيه في بقايا آثار كنائس ايريقية في القرنين ٣ ، ٤ م . وهذا يعني أن صانع السيفساء الأغلبية صانع محلي ، وأن الفن كان وطنيا موروثا من اقدم (٣٧٣) .

(٣٧٠) الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٧٦ - ويسكت النص عن ذكر العجيتين الأحريريين ، أما البكري (ص ٢٦) فيذكر التين فقط . ماجل القيروان وهذا القصر .
(٣٧١) أنظر البكري ، ص ٢٧ - حيث الاشارة الى شعر بعض الظرفاء بهذه المناسبة . وفيه يقول .

يا سيد الساس وابن سيدهم ومن اليه القلوب منقاد
ما حرم الشرب في مدينتنا وهو خلال بأرض رقادة

وقارن الاستبصار ، ص ١١٦ ، الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٧٣ .

(٣٧٢) أنظر الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٧٣ - حيث الاشارة الى انتجاع الشاعر بكر ابن حماد التاهرتي الأمير ابراهيم ومنحه اياه ، والأمير مصطفي في الجنان مع الحوازي . وفي مذاق رقادة ولحوسها التي أثرت وأكل من ثمرها ابراهيم ، تقول الرواية ان القاضي عبد الله ابن طالب عندما سحب الأمير الى تلك الجنان ، طلب منه ان يشكر الله على أنه ثمره وأكل منه ثم طلب منه أن يدفع من الثمر صدقة أهل النعمة (مستشفى القيروان) ، ثم طلب منه أن يرسل الجائرين من عماله وأن يعبد في الرعية - أنظر حس حسي عبد الوهاب ، الورقات . القسم ١ ص ٣٦٤ (عن رياض الخوس للملكي) .

(٣٧٣) أنظر ج - مارسيه ، مختصر الفن الاسلامي (بالفرنسية) ، ص ٤٢ - ٤٤ .

وكان أول الأنبياء السعيدة التي تلقاها الأمير إبراهيم الثاني في قصره الجديد هو ببا سقوط مدينة سرقوسة بين أيدي القوات الأغلبية في صقلية في نفس تلك السنة (٣٧٤) ، وستظل أخبار صقلية تشغل الجزء الأكبر من حواريات إبراهيم بن أحمد .

الحكم الصقلية في القصر القديم يحتجون على تغيير العاصمة : وإبراهيم يرد عليهم بالعنف :

ونكن انتقال إبراهيم إلى رقادة لم يتم دون ردود فعل عنيفة لدى موالى الأغلبية ، من : الصقلية والخدم في المدينة الملكية القديمة ، ممن ساءمهم خروج الحكم من القصر القديم الذي نشأوا فيه . والظاهر أن إبراهيم يادر إلى قائد هذا التملل منهم ، وهو فتى يقال له مطروح (ابن أم بادر) ففتله ، ما دعا إلى انتدح في القصر القديم بين الموالى من الجند الأغلبى الصقلية ، فشقوا عصا الطاعة ، وقطعوا طريق السائلة ، فيما بين رقادة والقيروان . ومع أن إبراهيم ترك تسوية هذه المسألة إلى أهل القروان الذين دافعوا عن مصالحهم ، فخرجوا إلى لقاء موالى القصر القديم في أعداد لا تحصى حتى ردعهم وأجبروهم على طلب الأمان ، فإن الأمير كان يضرر للمخالفين أمرا عظيما .

فعندما حان وقت دفع الأرزاق إلى الجند والخدم ، جلس إبراهيم في قصره الجديد المعروف بقصر الفتح في رقادة ، وحصر جميع العبيد والموالى من القصر القديم ، فكان كلما تقدم رجل منهم نزع منه سيفه وقبض عليه ، حتى تم توقيفهم كلهم . وتقول الرواية أن إبراهيم شتتهم ومزقهم شر مزق ، فأمر بقتل بعضهم ضربا بالسياط وصلبهم ، كما أمر بحبس عدد منهم في سجن القيروان حتى الموت ، ونفى عددا منهم إلى صقلية (٣٧٥) .

إستخدام الجند من السودان :

وكان التخلص من الخدم الصقلية سببا في أن اتجه إبراهيم إلى الاستعاضة عنهم بالعبيد من السودان ، فاشترى منهم أعدادا كثيرة ، وأحسن تدريبهم على الجندي ، وكساهم الكساء البديع ، وصنار يعتمد عليهم في الحروب ، فظهر منهم شجاعة وجلد وقوة (٣٧٦) .

(٣٧٤) النويرى ، المخطوط . ج ٢٢ ص ١١٨ أ . أمال الأعلام . قسم ٣ . ص ٢٨ .

(٣٧٥) النويرى ، المخطوط . ج ٢٢ ص ١١٨ أ .

(٣٧٦) النويرى ، المخطوط . ج ٢٢ ص ١١٨ أ ، والنشر فيما بعد . ص ١٣٢ و ٤٦٦ .

متاعب خارجية في طرابلس :

مواجهة غير متوقعة بين الأغالبة والطولونيين :

والظاهر أن مدبحة الموالى الصقلبية كانت أولى المتاعب التي حلها إبراهيم ابن أحمد بالعباس والقسوة . وأنها كانت أول بنسب بتغير احواله الذي أضمار إليه الكتاب . أما المتاعب الحقيقية فقد أحدث تهب رياحها عليه اعتبارا من السنة الثانية ، وهي سنة ٢٦٥ هـ / ٧٨ - ٨٧٩ م ، وذلك عندما فكر العباس ابن أحمد بن طولون في أن يستعمل عن والده بامارة يقطعها لنفسه في برقة التي كانت تابعة لمصر وقتئذ ، ويضيف إليها ما أمكنه اضافته من طرابلس والأقاليم الشرقية من المملكة الأغلبية . وفي الوقت الذي استقر فيه العباس في برقة أتى القحط العظيم الذي آثم بأفريقية سنة ٢٦٦ هـ / ٨٧٩ م ، مما أدى إلى الغلاء المفرط ، فعكر صغر إبراهيم ، حين كان أشد ما يكون حاجة إلى الصعاء .

والظاهر أن العباس ابن أحمد بن طولون وجه أنظاره نحو الغرب إذ كان يعلم أن الأمور غير مستقرة في برقة ، التي كانت أعلنت العصيان على الحكم الطولوني منذ حوالي أربع سنوات . وفي سنة ٢٦١ هـ / ٧٤ - ٨٧٥ م تار أهل برقة ، وأخرجوا أميرهم المصري محمد بن العرج الفرغاني . وعندما سير إليهم أحمد بن طولون غلامه المعروف بنزلو ، على رأس قواته ، ناصحا إياه ألا يكون العنف إلا آخر وسيلة يلجأ إليها ، لم تنجح سياسة اللين . واضطر لؤلؤ إلى حصر المدينة ، وضربها بالمجانيق قبل أن تعود إلى أنس الطاعة . مما دعا لؤلؤا إلى الانتقام من زعماء الثورة ، وطبق على بعضهم قاموس المفسدين في الأرض ، وعاد ببعضهم إلى مصر حيث شهر بهم ، بينما حلق بن طولون على قائده المظفر ، وطوق رقبته بطوقين من الذهب (٣٧٧) .

مسير العباس بن أحمد بن طولون إلى برقة :

فالذي يهمنا إذن - دون البحث في أسباب الحركة الدفينة - أن العباس ابن أحمد بن طولون انتهز فرصة غياب والده في الشام ، وقام بانقلاب ساعده

(٣٧٧) ابن الأثير . سنة ٢٦١ هـ ، ج ٧ ص ٢٨٣ . أما من سلف برقة عن أفريقية وشعبها إلى مصر سنة ١٧٤ هـ / ٧٩١ م ، فانظر فيما سبق ، ج ١ ص ٣٧٤ - وهذا ما شاع عن ابن خلدون الذي يقول أن الطولونى ملك برقة من يد محمد بن قهراب قائد الأغلب (ج ٤ ص ٢٠٣) .

به عدد من كبار القواد (٣٧٨) ، فاستولى على ما كان في بيت المال في مصر ،
مما قدر بثماسة حمل من دماير الذهب ، وقوم مليون ومائتي ألف دينار .
ودبص العباس على وزير والده ، وهو أبو عبد الله أحمد بن محمد الكاتب ،
وساقه معه مقيدا في اتجاه برقة (٣٧٩) ، التي وصل إليها في ثمانمائة
فارس ، وعشرة آلاف راجل من السودان ، منهم خمسة آلاف جعل (٣٨٠) ،
م شهر ربيع الأول سنة ٢٦٥ هـ / نوفمبر ٨٧٨ م (٣٨١) .

ولما كان ابن عذارى يجعل وصول العباس الى برقة في ربيع الآخر من
سنة ٢٦٧ هـ / نوفمبر ٨٨٠ م ، وذلك في اطار روايته لفتنة ولد ابن طولون
حين أراد التغلب على افريقية ، يكون من المقبول أن تكون أحداث الفتنة قد
امتدت على طول السنتين أو بعضهما (٣٨٢) . فالواضح أن الذي يقصده
ابن عذارى ليس وصول ولد بن طولون الى برقة ، بل بدء العمليات العسكرية
ضد الأغالبة في ولاية طرابلس ، مما يعني أن خروج العباس نحو طرابلس
تم بعد أكثر من سنة من وصوله الى برقة . والواضح من النصيص أنه خلال

(٣٧٨) ابن الأثير ، سنة ٢٦٥ هـ ، ج ٧ ص ٢٢٤ . وأما ابن تقي يردى ، النجوم ،
سنة ٢٦٥ هـ ، ج ٣ ص ٤٠ . ولريد من التصيلات أنظر الكندي ، الولاة والقضاة ، ط . جست ،
بيروت ١٩٠٨ ، (أحدا سنة ٢٦٥ هـ) ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٣٧٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٨ .

(٣٨٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٨ .

(٣٨١) ابن الأثير ، سنة ٢٦٥ هـ ، ج ٧ ص ٢٢٤ ، التويرى ، المخطوط ، ج ٢٢
ص ١١٨ ، ابن تقي يردى ، سنة ٢٦٥ هـ ، ج ٣ ص ٤٠ . وقارن الكندي ، الولاة والقضاة ،
ص ٢٢١ (حيث تقول الرواية أن خروج العباس الى الجيزة كان في ٨ شعبان سنة ٢٦٥ هـ ،
ولكن عودة أحمد بن طولون من الشام الى القسطنطينية كان في شهر رمضان التالي من نفس السنة -
وهو الأمر الذي يستحق إعادة النظر ، خاصة وأن خروج أحمد بن طولون الى الشام كان في
شعبان من سنة ٢٦٤ هـ (ص ٢٦٩) .

(٣٨٢) والذي يراه هو أن ابن عذارى (ج ١ ص ١١٨) يتناول الأحداث جيبا ويجهلها
تدور في نفس سنة ٢٦٧ هـ ، من : خروج ولد بن طولون من مصر واستقراره في برقة ، وخروجه
الى طرابلس على جبل ، قبل أن يعود والده من الشام ، وقبل أن يستمد إبراهيم بن أحمد
نسلجاية . وهو الأمر الذي وإن بدا غير طبيعي ، فهو لا يختلف كثيرا عن رواية كسل من
ابن الأثير والهييري وابن تقي يردى الذين يجهلون الأحداث تدور أيضا كلها في سنة ٢٦٥ هـ /
٨٧٨ م . ولم أن ابن الأثير يعرف أن عملية العباس انتهت تماما في سنة ٢٦٨ هـ / ٨٨٢ م
(الكامل سنة ٢٦٥ هـ ج ٧ ص ٢٢٥) وأنظر ابن خلدون (ج ٤ ص ٢٠٣) الذي يجهل خروج
العباس في سنة ١٦٥ هـ والحركة في سنة ١٦٧ هـ . وهكذا يكون التوفيق بين الروايتين
أمرا مناسبا .

تلك الفترة كان أحمد بن طولون قد عاد من الشام الى مصر ، وأرسل الى ابنه عباس يدعته ، بل ويستعطفه من أجل العودة الى بلده . ولكن حشية من كان مع العباس من القواد من العقاب (٣٨٣) اذا عادوا ، جعلوه لا يستجيب الى طلب والده ، بل وجعنوه يتمادى في تطلعه أكثر فأكثر نحو العرب اما من أجل تكوين امارة معقولة بصم طرابلس الغنية الى برقة ، واما من أجل انبعد عن يد والده القوى ، الذي قد لا نكون برقة بعيدة عن مناله (٣٨٤) ، كما حدث في تجربة برقة سنة ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م .

العباس يتصل بالقبائل في طرابلس وإفريقية :

هكذا يكون العباس قد استقر في برقة لمدة عام وأكثر ، وهو ينظر في خير وسيلة لدخول طرابلس ، بل وإفريقية أيضا . فأخذ يكتب رؤساء القبائل هناك من البربر ، حسبما تقول رواية ابن الأثير (٣٨٥) . ولما كان هؤلاء يقفون موقف المعارضة من الدولة الأغلبية لأن كثيرا منهم كانوا من الإباضية ، فقد استجاب له بعضهم ، وامتنع بعضهم منه . وتقول رواية ابن الأثير ، أكثر من ذلك ، ان العباس الطولوني أراد أن يغزو بإبراهيم ابن أحمد ، فكتب اليه يقول : « ان أمير المؤمنين قد قلدي أمر إفريقية وأعمالها » (٣٨٦) ، وهو الأمر المستغرب (٣٨٧) .

(٣٨٣) ابن الأثير ، سنة ٢٦٥ هـ ، ج ٧ ص ٣٢٤ ، وانظر الكندي ، الولاية والقضاة ، ٢٢٠ .

(٣٨٤) ابن عداري ، ج ١ ص ١١٨ ، وانظر الكندي ، الولاية ، ٠٠٠ ، ص ٢٢٢ (حيث ن على أن العباس رأى أن إفريقية امتع له من برقة) .

(٣٨٥) ابن الأثير ، سنة ٢٦٥ هـ ، ج ٧ ص ٣٢٤ - وهو الأمر الذي تفكره رواية ابن عداري ١ ص ١١٨) عندما تقول ان العباس لم يقبل نصيحة أبي عبد الله أحمد بن محمد الكاتب ، ر والده ، بأن يؤخر التقدم الى طرابلس حتى يصانع البربر .

(٣٨٦) ابن الأثير ، أحداث سنة ٢٦٥ هـ ، ج ٧ ص ٣٢٤ ، وقارن الكندي ، ص ٢٢٢ (حيث ل الرواية ان العباس كتب الى إبراهيم بن أحمد : « ان كتاب المعتد وود عليه بتقليده الإفريقية يأمره بالدعاء له بها ، ويخبره انه سائر اليه » .

(٣٨٧) فالمعروف أن الخليفة العباسي المعتضد لم يهدد إبراهيم بن أحمد بالخلع الا فيما بعد سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م ، كما سترى فيما بعد . مما يدعو الى الظن انه ربما كان في الأمر خلط من بعض الكتاب . الا اذا كان العباس بن أحمد بن طولون كان على دراية بسوء سيرة إبراهيم بن أحمد في ذلك الوقت المبكر ، أو بخلافات بين أفراد الأسرة الأغلبية تربت على الغدر بابن أخيه أبي عقاب ، أو بسبب لتكته بالخوال من الصقلية ، كما رأينا .

ابراهيم يبعث قائده ابن قهره نحو طرابلس :

والهم أن استجابة عدد من زعماء البربر في أقاليم افريقية الشرقية شجع العباس على السير نحو ليدة شرق طرابلس . وعندما وصل الى ابراهيم ابن أحمد خبر مسيرة العباس هذه أسرع بإخراج قائده أحمد بن قهره - أحي الحاجب محمد بن قهره - في ١٦٠٠ (ألف وستمائة) فارس خيلا مجردة لا رجل فيها ، كما تقول رواية ابن عذارى ، وأمره بالأسراع ليلا نحو طرابلس التي دخلها فعلا قبل وصول العباس الى ليدة (٣٨٨) . وفي طرابلس عمل ابن قهره على حشد ما أمكنه حشده من جند طرابلس ، ومن بربر المنطقة المجاورين ، وأسرع نحو ليدة فدخلها قبل أن تصلها مقدمة القوات الطولونية (٣٨٩) .

اللقاء بين الأغالبة والطولونيين في وادي ورداسة :

وخرج بن قهره بفرسانه من ليدة متجها نحو الشرق حيث بدت له طلائع العباس بن أحمد بن طولون على بعد ١٥ (خمسة عشر) ميلا من ليدة ، في موضع يعرف عند الرقيق بوادي ورداسة (٣٩٠) . ومع أن العباس لم يزحف نحو ليدة الا ب ٨٠٠ (ثمانمائة) فارس فقط ، يتبعهم ٥٠٠٠ (خمسة آلاف) راجل ، من السودان ، فإن الحدة التي قام بها عندما جعل نصف سودانة الآخرين ، وهم ٥ (خمسة) آلاف رجل يركبون الجمال ، وهم يحملون البنود التي صنعها في برقة ، ويزحفون وراء القطعة الرئيسية من الجيش ، سبغت في تحقيق ما كان يهدف اليه .

فقد فزع ابن قهره بعد مناوشة يسيرة ، وانهزم نحو طرابلس ، وهو يظن أن من بدأ بقتالهم لم يكتروا الا مقدمه الجيش المصرى الرهيب (٣٩١) .

الطولونيون يدخلون ليدة ويحاصرون طرابلس ، وقيام أباضية نفوسة ضدهم :

وبذلك استمر العباس في مسيرته نحو افريقية ، وفتح حصن ليدة أبوابه له دون قتال في جمادى الأولى سنة ٢٦٦ هـ / ديسمبر ٨٧٩ - يناير

٢

(٣٨٨) ابن عذارى . ج ١ ص ١١٨ .

(٣٨٩) ابن عذارى . ج ١ ص ١١٨ .

(٣٩٠) التريمرى . المخطوط . ج ٢٢ ص ١١٨ . ابن عذارى . ج ١ ص ١١٨ .

(٣٩١) ابن عذارى . ج ١ ص ١١٨ .

٨٨٠ م . ركنى رجاله أساءوا معاملة أهل لبدة أسوأ المعاملة وبهيوهم (٣٩٢) .

وفى لبدة تتبع العباس المهريين من جند ابن قهرهب الى طرابلس ، فزلها وضرب عليها الحصار ، ونصب حولها المحانيق ، وبدأ يصيق عليها الحُصاق لمدة قربت من شهر ونصف سهر . وكان الاسودان من رجاله يغيرون فى هذه الاساء على أهل البوادي فى أطراف المدينة ويسيثون معاملتهم ، حتى قيل أنهم اعتدوا على الحرم وهكوا السنر ، مما أثار بربر نفوسه الاباضية ، القاطنين فى منطقة الجبل المعروف بهذا الاسم جنوبى مدينة طرابلس ، وكان رعيهم وقتئذ هو أبو منصور الياس بن منصور النفوسى (٣٩٣) .

هذا ولا بأس فى أن يكون من أسباب الصدام بين الأمير الطولونى والرعي النفوسى ، هو عدم اذعان هذا الأخير لما طلبه منه العباس من الدخول فى طاعته ، والقدم عليه ، مع تهديده بوطء بلده بالخيول والرجال ان لم يفعل . فهذا ما تقوله الرواية التى ينقلها البارونى عن ابن سعيد فى تاريخه « الدر المكنون » (٣٩٤) . والمهم أنه زعم أن اباضية جبل نفوسة كانوا لا يعترفون بسلطان الملكة الأغلبية ، اذ كانوا مستقلين ببجلهم ، وهم فى نفس الوقت يعترفون بامامة الرستميين فى تاهرت ، مثلهم فى ذلك مثل بربر اقليم الزاب الدائم الثورة على الأغلبية ، فقد غضب الياس بن منصور لما نزل بجيرانه أهل طرابلس الذين استغاثوا به ، وقام محتسبا ، كما يقول ابن عذارى ، فى سبيل الله على رأس ١٢ (اثنى عشر) ألف رجل من النفوسيين ، زحف بهم نحو العباس (٣٩٥) .

انسحاب غير منظم للقوات الطولونية أمام الاباضية :

وهكذا ، بينما الحرب محتدمة حول تحصينات طرابلس بين الجند الطولونى والجند الأغلبى ، اذ بالعباس بن أحمد بن طولون يعاجأ بالاباضية من بربر نفوسة ، يقردهم الياس بن منصور . وكان من الطبيعى أن يسقط

(٣٩٢) ابن الأثير ، سنة ٢٦٥ هـ ، ج ٧ ص ٣٢٤ . النويرى ، المخطوط ، ج ٢ ص ١١٨ أ ، وانظر الكندى ، ص ٢٢٢ (حيث النص على التاريخ المذكور) .
 (٣٩٣) أنظر ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٩ ، الذى يسمى النفوس بابى منصور فقط .
 وابن الأثير ، سنة ٢٦٥ هـ ، ج ٧ ص ٣٢٤ ، والكندى ، ص ٢٢٢ .
 (٣٩٤) أنظر الأزهار الرياضية ، قسم ٢ ، ص ٢٥٧ ، ص ٢٥٨ - حيث رد أبى منصور العتيف على العباس الذى يعتبر بمثابة اعلان للحرب على الأمير الطولونى .
 (٣٩٥) البيان ، ج ١ ص ١١٩ .

في يده اد وقع بين سندان أسوار طرابلس وبين مطرقة محتسب نفوسة (٣٩٦) .
واستمر لهيب الحرب ، والعباس يحاول أن يشق طريق العودة الى برقة ،
حتى اضطر أن يحارب يده ، بينما كان رجاله يتساقطون حوله . وبذلك
انقلب الانسحاب الى هزيمة قبيحة كاد العباس أن يؤسر فيها ، لولا أن خلصه
بعض مواليه من السودان (٣٩٧) .

الأموال المصرية تسد فراغا في خزانة ابراهيم :

في هذه الظروف الصعبة خلص العباس بفلول قواته بصعوبة الى برقة ،
ولكن بعد أن تركوا ما كان في معسكرهم من الأموال والعتاد نهبا لأهل
طرابلس وحدهم . وذلك أن اباضية نفوسة تورعوا عن أخذ شيء منه (٣٩٨) .

وفي تلك الاثناء كان ابراهيم بن أحمد يحاول حشد جند افريقية في
القيروان ، ولما كانت خزانته خاوية ، فانه اضطر الى أن يضرب حلى نسائه
دناير ودراهم ، وزعها على العسكر . وعندما خرج على رأس قواته يريد نجدة
رجاله في طرابلس ، أتاه خبر هزيمة ولد ابن طولون ، وهو على الطريق في
نابس ، من ابن قريش نفسه الذي أراد أن يبشره بالفتح (٣٩٩) ، وما أخذ من

(٣٩٦) أنظر ابن عسارى ، ج ١ ص ١١٩ - الذي يقول ان العباس عندما سأل وزير والده
ابا عبد الله الكاتب : ما الرأي ؟ قال له : ببرقة خلفته . وهو يقصد بذلك نصيحة أبي عبد الله
الكاتب له بأن يؤخر التقدم الى طرابلس حتى يصانع البربر ، وهي النصيحة التي لم يقبلها
ولد ابن طولون اذ كان يظن أنه يستطيع شراء زعماء البربر ما كان معه من الأموال (وأنظر
ايضا ص ١١٨) .

(٣٩٧) ابن الأثير . سنة ٢٦٥ هـ . ج ٧ ص ٢٢٤ . وأنظر الكندي ، ص ٢٢٣ (حيث
الاشارة الى ما قاله العباس في تلك المناسبة من أشعار الحسانة . ومنها :

لو كنت شاهنة كسرى بليدة اذ بانسيف اصرب والهجمات تيشلر
اذا لمايتت متى ما تنافذره عنى الأحاديث والأقياء والخبر

ولو أن الكندي يتبع ذلك بقوله : وقتل يومئذ سناديد مسكره ووجوه اصحابه وحسانه .
ربيت أمواله وسلاحه ، ورجع هاربا الى برقة في ضر واختلال) .

(٣٩٨) ابن عسارى ، ج ١ ص ١١٩ . أما عن المماس ، فقد لقم والده لأبناء هريقتة
وضياع ما كان معه من الأموال ، فلما علم بنجاحه أرسل اليه جيشا قاتله في برقة ، وأسره
بعد صارك شديدة ، ثم هاد به الى والده الذي انتقم من القواد الذين كانوا معه ، كما حسبه
من بعد أن شربه بالقلع ، في بغيره قصوره (أنظر ابن الأثير ، سنة ٢٦٥ هـ) ، وذلك في
سنة ٢٦٨ هـ / م ٨٨١ - ويزيد من التفاصيل أنظر الكندي ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ (حيث النص
على قطع يدي العباس ورجليه) .

(٣٩٩) النويري . المختصر ، ج ٢٢ ص ١١٨ .

الأموال . رها لم يكن لإبراهيم من هم إلا البحث عن الأموال المصرية التي انتهبها رجاله ، حتى « كان الرجل من أهل العسكر يبيع ماقيل ابن طوور سرا بما أمكنه ، حرقا من أن تؤخذ منه » (٤٠٠) .

والظاهر أن قلة الأموال في خزانة إبراهيم ، مما اضطره الى استخدام حلئ سبائه التي كانت تعتبر وقتئذ أشبه باحتياطي للأمير - كما يقول الآن - لم تكن نتيجة لتبديد أبى الفرائيق الأموال ، كما يريد ابن عذارى ، فالأمير المنتهم كان قد توفي منذ أكثر من خمس سنوات طوال ، استطاع خلالها أخوه إبراهيم جمع الأموال وبناء القصور في رقادة . والحقيقة أن قلة الأموال لا يفسرها إلا القحط العظيم الذي يسجله ابن عذارى نفسه في حولياته . في سنة ٢٦٦ هـ / ٧٩ - ٨٨٠ م السابقة ، والذي عاد قاسيا في السنة التالية ٢٦٨ هـ / ٨١ - ٨٨٢ م ، حتى بلغ قفير القمح الذي يعادل مقدار أردب وربيع بالمصرى ، كما يقول المويرى ، ثمانية دنانير ، حتى هلك الناس واكلوا بعضهم بعضا (٤٠١) .

المجاعة والاضطرابات الداخلية سنة ٢٦٨ هـ / ٨١ - ٨٨٢ م :
وأغلب انظر أن المجاعة التي ألمت بالبلاد في سنة ٢٦٨ هـ كانت سببا في كوارث أخرى ، كان على أهل كثير من المناطق تحمل عبثها أيضا . فالتظاهر أن الشدة جعلت قبائل اقليم الراب يمتنعون عن دفع ما عليهم من الأموال . ورغم المساعدة التي قدمها اخوانهم اباضية نفوسة في العام انسابق للجنود الأغلبى في طرابلس ضد عسكر ولد ابن طولون - والتي ربما كانت سببا فيما قدمه إبراهيم لرؤسائهم من الاحسان عندما قدموا عليه في القيروان - فقد خنتك بهم إبراهيم بن أحمد فتكا ذريعا ، ولم يستثن أطفالهم من القتل ، حتى كانوا يحملون على العجل الى الحفر ويلقون فيها (٤٠٢) .

وزداجة في باجة :

وتقول الروايات أن قبائل وزداجة في اقليم باجة غضبت (في نفس السنة) ، ومنعوا ما كانوا يدفعونه للأمير من الأموال (الصدقات) ، وعندما قاتلهم الوالى ، وهو الحسن بن سفيان من أجل ذلك ، هزموه هزيمة منكرة ،

(٤٠٠) ابن عذارى ، ج ٢ ص ١١٩ .

(٤٠١) المويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٨ - ١٨ ب ١ .

(٤٠٢) ابن الأثير سنة ٢٦٨ هـ ج ٧ ص ٣٧٠ . ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٩ .

اد رده حتى أبواب باجة نفسها . وها أرسل ابراهيم بن أسعد اليهم قائده
الحاجب محمد بن قرهه بالجيش . واعتصم ابن قرهه ببعض الجبال المشرفة
على منطقة وزداجة واسمه المشار ، حتى اتخذ له معسكرا حصينا ، كان
يرسل منه الخيل صباحا ومساء ضد الورداجيين ، الى أن انتهى الأمر بأن
اتلوا طاعتهم ، ودفعوا اليه برهائهم (٤٠٣) .

هواره (ما بين العصيان والطاعة) :

وقامت قبائل هواره هي الأخرى بالعصيان فعانت في البلاد وقطعت
السبل ، فسير اليهم ابراهيم حاجبه ابن قرهه الذي بدأ باستخدام السياسة
معه ، فعرض عليهم الرجوع الى الطاعة في نظير الأمان ، ولكم أبو . وعندئذ
هاجمهم ، فلما انهزموا استباح ديارهم : فنهب العسكر منازلهم وأحرقوها
بالتار ، قبل أن يعودوا الى القيروان . وعندئذ عادت هواره تطلب الأمان ،
وركت الى الطاعة (٤٠٤) .

لواتة في باجة :

وفي نفس سنة ٢٦٨ هـ / ٨١ - ٨٨٢ م عادت المنطقة المجاورة لباجة الى
الاضطراب بفضل قبائل لواتة التي احتشدت بأجمعها ، وحاصرت مدينة
قرنة لعدة أيام قبل أن يدخلوها وينهبوا ما فيها . ومن هناك مضوا الى منطقة
باجة نفسها وقصر الافريقى ، وهم بنشرون الفزع والعوضى . وعندما أخرج
اليهم الأمير ابراهيم حاجبه محمد بن قرهه ، جانبه الظفر هذه المرة . فلقد
انهزم الجند القيرواني أمام اللواتيين بل أن ابن قرهه نفسه كبا به فرسه
حتى لحقه خصومه وقتلوه ، دون أن يحاول تخليصه من كان معه من أصحابه
الذين ظفروا من الهزيمة بالهرب ، وذلك في شهر ذى الحجة سنة ٢٦٨ هـ /
يونيه - يولييه ٨٨٢ م .

وعز على ابراهيم ما نزل بابن قرهه ، وعزم على التار له فامر بحشد
جيش عظيم من الجند والأنصار والموالي ، وسيرهم في السنة التالية (٢٦٩ هـ /
٨٢ - ٨٨٣ م) تحت قيادة ابنه أبي العباس عبد الله . وعندما رأته قبائل
لواتة أنه لا قبل لها بذلك الجيش الكبير انهزموا أمامهم في اتجاه باجة ، ولكنه

(٤٠٣) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٨ ب .

(٤٠٤) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٨ ب .

لحق ببعضهم هناك ، وقتلهم قتلا دريما ، فيما تستت الناجون منهم من
كلم ناحية (٤٩) .

السلام لمدة خمس سنوات تنتهى باصلاح مال :

ومنذ سنة ٢٦٩ هـ / ٨٢ - ٨٨٣ م استقرت الأمور في المملكة لإبراهيم
فلا يجد ذكرها الا لحروب صقلية المظفرة أو وفاة عالم أو زاهد أو قاض ، أو
وصل رجل من رجال الدولة أو نكبة تحمل به ، وذلك لمدة خمس سنوات أو
أكثر (٤٠٦) . وفي سنة ٢٧٥ هـ / ٨٨ - ٨٨٩ م ، عندما قرر إبراهيم بن أحمد
القيام باصلاح مالي لقي معارضة قوية من أهل القيروان ، كما حدث على أيام
عبد الله بن إبراهيم بن الأعلب ، انتهت باضطراب وقتال بينهم وبين الأمير .

دهرم الفضة وحلة التعامل الصغرى ، وثورة صغار التجار في القيروان :

فلقد قرر إبراهيم بن أحمد إلغاء قطع النقود الصغيرة التي اعتاد التعامل
بها أهل القيروان ، وقرر التعامل بدلا منها بالدرهم الصحاح من الفضة (٤٠٧) .
وكان من الطبيعي أن يحدث ذلك التغيير بعض المتاعب في التعامل في
الأسواق ، فأنكرت العامة في القيروان ذلك الاجراء وأغلقتا حوانيتهم ،
واجتمعوا سويا في تظاهرة كبيرة سارت الى رقادة ، حيث شغبت ضد الأمير
الذي أمر الحرس بتطويقهم ثم حبسهم في الجامع . وعندما علم أهل القيروان
بذلك تجمعوا خارج باب المدينة ، وأظهروا معارضتهم لإبراهيم الذي وجه
إليهم وزيره أبا عبد الله بن أبي اسحق ، فتلقوه بالسباب وبالجملة . وعندئذ
ركب إبراهيم بن أحمد بنفسه الى القيروان ، وبصحبته حاجبه الجديد نصر
ابن الصمصامة في جماعة من الجنود ، فاعترضه القيروانيون ، وناصبوه القتال
على قدر ما تسمح به طاقتهم .

(٤٠٥) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٨ ب - ١١٩ ، وانظر ابن خلدون ، ج ٤

ص ٢٠٣ .

(٤٠٦) انظر ابن خلدون ، ج ١ ص ١٢٠ وما بعدها (حوليات ٢٦٩ - ٢٨٤ هـ) .

(٤٠٧) أغلب الظن ان المقصود بقطع النقود الصغيرة هنا ليس بالفلوس النحاسية أو ما
شابهها بل أجزاء الدرهم الفضية نفسها - إذ لما كان التعامل في النقود حينئذ يتم بالوزن عن
طريق الصيرافة ، فكثيرا ما كانت تقطع دراهم الفضة الى أجزاء صغيرة - ربما لندرة الفلوس -
من أصناف الثلاثة وأرباع ، لتسهيل عمليات الشراء الصغيرة حتى شاع هذا الضرر . ويطلب
الأمر ذلك الاصلاح . انظر حسن حسني عبد الوهاب ، الورقات ، قسم ١ ص ٤٢٢ .

- ٢٩ -

وعلى عكس ما عرف عن إبراهيم من حدة المزاج في مثل هذه الظروف، فإنه قرر أن يعامل القيروانيين بالسياسة والدبلوماسية (مصلح) (العديد من خدج المدينة)، حيث جلس وأمر جنده بالكسب عن قتال العامة من أهل القيروان. وعندما استقر به المجلس، وهذا الناس، خرج إليه الفقيه الراشد أبو حفص أحمد بن مغيث ودار بينهما حديث طويل حول موضوع التورود الجديدة، وما تضرر به العامة وضعفاء الناس. وبالمهم أن تدخل فقيه القيروان وزايعها انتهى بتهديئة الأحوال، إذ دخل الوزير ابن اسحق معاً إلى المدينة، واخترقاً سباط القيروان، وهو شارعها الكبير، فكانت تلك الجوبة سبباً في سكوت أهل القيروان. وبذلك رجع إبراهيم بن أحمد إلى رقادة، وأطلق أهل السوق الذين كانوا محبوسين في الجامع.

استقرار الإصلاح النقدي :

وبذلك تم لإبراهيم إصلاحه المالي فانقطعت النقود والقطع الصغيرة من إفريقية إلى وقت صاحب الرواية التي ينقلها ابن عذاري (٤٠٨) وضرب إبراهيم ابن أحمد دنانير ودرهم سماها العشرية، لأنها كانت على ٤ للنظام العشري المعمول به أيامنا هذه، إذ كان في كل دينسار من الذهب عشرة دراهم من الفضة (٤٠٩). وإذا كان ذلك يعني أن الدرهم أصبح قطعة النقود الصغرى، فإنه يعني مستوى مرتفعاً للمعيشة في إفريقية على أيام بني الأغلب ابتداء من عهد إبراهيم، ولو أننا نظن أن الدرهم كان تسماً هو الآخر إلى عشرة نقود.

تبدل في مزاج إبراهيم بن أحمد نحو القسوة الدموية، وأثر ذلك على هجرات الأمور :

تصفية رجال الدولة والمقربين بطريقة « سوداوية » :

القاضي :

ولكنه إذا كان الأمير إبراهيم قد ظهر بمظهر المتزن أزاء معارضة القيروانيين لإصلاحه النقدي، فإنه كان قاسياً بغير ضيق ولا وازع عندما عزل

(٤٠٨) ابن عذاري، ج ١ ص ١٢٠ - ١٢١ - حيث يهتم ابن عذاري بالتمهيد إلى
اعتباره بالإصلاح النقدي فيسمى الحركة : « ثورة الدرهم على إبراهيم بن أحمد » .
(٤٠٩) ابن عذاري، ج ١ ص ١٢١ .

قريبه قاضي القبروان عبد الله بن أحمد بن طالب التميمي ، الذي رأيناه من قبل صديقا لـ محمد بن سحنون (٤١٠) ، وحجبه ثم دس له السم في الطعام ومات ابن طالب عقب أكله مباشرة ، وذلك في شهر رجب من نفس سنة ٢٧٥ هـ / ٩ نوفمبر ٨٨٨ م (٤١١) ولقد استقضى ابراهيم بعده محمد بن عسود بن أبي ثور ، الذي كان حده طحانا ، كما يقول ابن عذارى ، وكان يتسب اسمه : محمد بن عبد الله عيتي (٤١٢) .

الكاتب :

ولقد زاد عن ابراهيم بن أحمد ، وبانت غلطة قلبه عندما حبس في السنة الثمانية (٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) كاتبه محمد بن حيسون المعروف بابن البريدي ، والذي عرف بأنه كان شاعرا مجيدا . ولقد كتب ابن البريدي الى ابراهيم من السجن خطابا صممه أبيانا رقيقة يستعطفه بها ، فيها يقول :

هبنى أهبات الغفو والكرم اد قادننى نحرك الادعان والسدم
يا خير من مدت الأيدي اليه أما ترثي لصب بهاء عسك القلم
بالفتى السخط فاصفع صفح مقتدر إن الملوك اذا ما استرحموا رحموا

وغضب الأمير الذي كان لا ينكر الشعر ، بل كان يحسن النظم أيضا والنقد ، لأن كاتبه الشاعر اتعس كتب اليه : « هبنى أسأت » ، وكان المفروض فيه أن يعرف أنه أساء فعلا وليس احتمالا . وعلق الأمير الحبير في لشر ونقده ، بقوله : أما انه لو قال :

ودن الكاتون وقد أسانا فبيننا للكرام الكاتبيننا

لعفوت عنه ، ثم أمر - ويضيف ابن عذارى - قبحه الله ! - به ، فعمل تابوت حتى مات (٤١٣) .

(٤١٠) انظر فيما سبق ، ص ١١٠ - ١١١ .

(٤١١) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢١ .

(٤١٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢١ .

(٤١٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢١ - ١٢٢ . وقارن ابن الخليل ، أعمال الأعلام ، قسم ٣

ص ٣٠ - ٣٢ . حيث اسم الكاتب الشاعر « أحمد القديدي » ، وحيث هي الرسالة التي بعث بها ال الأمير ابراهيم ، وكذلك أبيات الشعر الثلاثة ، وإن كانت مختلفة بعض الاختلاف - فالشطرة الثانية من البيت الأول تبدأ بـ « وقد » بدلا من « إذ » ، والشطرة الثانية من البيت الثاني ترد في شكل : « ترثي لمن قد بكاه عسك القلم » . كما تقول الرواية ان الأمير غلق على الشطرة الثانية من البيت الثالث ، فقال : « إن الملوك اذا ما استرحموا رحموا » .

الحاجب :

وزادت قسوة إبراهيم بن أحمد وغلظة قلبه في العقوبة الشنيعة التي أربلها في العزم التالي (٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م) بحاجبه نصر بن الصمصامة ، إذ أمر «سريه ٥٠٠ (خمسمائة) سوط ، فلم ينطق - الرجل السندان - بكلمة ، ولا تحرك من موضعه . ثم انه أمر بعد ذلك بضرب عنقه ، فقبل الحاجب المخلص الحكم راضيا ، حتى قالت الرواية انه قال لمن حوله : لا تظنوا أنني أجزع من الموت ، بل انه وعدهم أنه يفتح يده ويعلقها ثلاث مرات بعد ضربه . ويريد الرواية أن تضمي على الرجل المستسلم لطعم سيده هالة من هالات القديسين أو أصحاب الخوارق ، تتناسب مع ما نزل به من العذاب ، فتقول : انه عمل ما وعلا به (٤١٥) . ولم يكتف إبراهيم بذلك بل انه قتل أيضا أخوة ابن الصمصامة وقرابته (٤١٥) .

عامل الخراج :

وفي السنة التالية (٢٧٨ هـ / ٨٩١ م) أكتى عهد فيها إبراهيم بن أحمد بولاية المظالم الى أبي العباس بن إبراهيم بن أحمد بن الأغلب ، عرض ديوان الخراج على سودة الصرائي شريطة أن يدخل في الاسلام . ولما جرد الرجل انفس الحظ على القول انه ما كان له أن يدع دينه من أجل رياسة ينالها ، أمر به فقطع نصعين ، كما تقول الرواية ، ثم صلب (٤١٦) .

الطبيب الخطير : خبير السموم :

والظاهر أن أخلاق إبراهيم بن أحمد أخذت تزداد سوءا مسح ما كان يعرض له خلال حكمه الطويل من المتعاصب ، ففي سنة ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م التالية ، تقول رواية ابن عذاري : انه قتل كثيرا من أهل إفريقية بطرا وشهوة ، أي بدون جريمة ارتكبوها . وكان ممن راح ضحية الأمير ، الذي أصبغ سوداوى المزاج : اسحق بن عمران المتطبب ، المعروف بـ « سيم ساعة » ، لأنه كان خبيرا في تحضير السموم القاتلة - والذي كان ولا شك يزود الأمير بها ، كذلك السم الذي دس لابن طالب القاضي بعد عزله وسجنه ، فقتل

(٤١٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٣ : وتضيف الرواية أن إبراهيم ختم حبس ذلك فشق من قلب الرجل ، ورأى منطرا عجيبا إذ كان القلب قائما في الكبد ، ولله خمرات نائمة كثيرة .
(٤١٥) التريرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ .
(٤١٦) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٢ .

على الرجل من فوره في رجب سنة ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م (٤١٧) .

والظاهر أن ابراهيم تملكه نوع من الخوف من ذلك الرجل الذي يستطيع تدبير مثل هذا السم الناعم الذي يجلب الخوف لساعته ، فأمر به تقتل وصلي (٤١٨) . وفكرة التشهير بالطبيب المخوف عن طريق الصنب تعني أن الرجل كان مكروها من عامة الشعب ، ان لم يكن في الامر روة من نزوات الأمير القريب الأطوار .

الفتى الحاجب :

وفي نفس هذا العام راح الحاجب الجديد لبراهيم ، وهو فتح الفتى ، ضحية انزال عقوبة الصرب به بالسياط حتى الموت (٤١٩) . وذلك بعد أقل من سنتين من قتل الحاجب السابق ابن الصمصامة . ثم انه ولي حجابته الحسن بن نافذ ، وأضاف اليه عدة ولايات ، كما يقول النويري (٤٢٠) ، ومنها إمارة صقلية - وهو الأمر الذي لا يعرفه - ومن حجاب إبراهيم - أحمد ابن محمد بن حمزة الحرون الذي كان مقدما عند الأمير ، ولو أننا لا نعرف تاريخ ذلك (٤٢١) .

فتيان الصقالبة ، وعلم النجوم :

والحقيقة أن مقتل فتح الحاجب لم يكن الا مقدمة لما قسام به ابراهيم ابن أحمد ، في نفس السنة ، من التخلص من جميع فتيانه الصقالبة . وفي ذلك تقول الرواية انه كان كثير الاصعاء الى قول المجيب والكهنة (٤٢٢) - وهو الأمر الذي شاع في بلاط الخلفاء والأمراء ، منذ ترجمت السياسة اليونانية ندية الى العربية ، وكانت تحوى بصوصا عنا يلزم الملك في سياسته من م النجوم . وكان المنجمون قد قالوا ان ابراهيم يقتله رجل ناعم

(٤١٧) عن ابن طالع ومصرعه في السج ، انظر فيما سبق ، ص ١٣٠ .

(٤١٨) ابن عسدي ، ج ١ ص ١٢٢ . وقارن الحلة السيرة ج ١ ص ١٧٣ - حيث ينقل البكري (انظر ص ٢٧ وقارن الاستبصار - ص ١١٦) ان اسحق الطبيب هذا - هو الفيلسوف سب اليه الطريف اسحق - والاطريف دواء مركب فيه بعض الهلجات ، وتراد به الأقوية حسب الحاجة . انظر ص ١ في المسيل الصفحة لحسن مؤسس .

(٤١٩) ابن عسدي ، ج ١ ص ١٢٢ .

(٤٢٠) النويري ، ج ٢٢ ص ١١٩ .

(٤٢١) انظر الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٨٧ .

(٤٢٢) ابن عسدي ، ج ١ ص ١٢٢ .

العقل ، وأنه يمكن أن يكون فتى من خدامه .

وعن هذا الطريق تملك ابراهيم نوع من الخوف المرضى من فتياته ، فكان اذا رأى أحدا منهم فيه حركة ونشاط وحدة ، وهو يتقلد سيفا ، قال : هذا هو صاحبى ! فيقتله . وتضيف الرواية الى ذلك أنه لما قتل من فتياته جماعة وضع بقلبه أنه قد انتفسد اليهم ، فضمه الحذر منهم الى قتلهم . فقتلهم فى هذا العام (٤٢٣) .

استخدام السودان :

ويدلا من الفتيان الصقالبة ، أحاط ابراهيم بن أحمد نفسه بحاشية من الفتيان السودان (٤٢٤) . وكان ابراهيم قد بدأ يهتم بشراء العبيد السودان ، ولا بأس فى أن يكون ذلك تقليدا لما رآه من جند العباس بن أحمد بن طولون ، الذى كان يتكون فى معظمه من الرجالة السودان - رغم استخدامهم لدى الأغلبية منذ أيام ابراهيم الأول . وتقول رواية النويرى ان عدد السودان الذين اشتراهم بلغ مائة ألف رجل ، أحسن تدريبهم وكسائهم ، والزهم ببابيه ، وأنه جعل عليهم قائدين منهم ، هما : ميمون ورأسد (٤٢٥) ، فكان كلا من الرجلين كانت له قيادة خمسين ألفا . وأغلب الظن أن الرواية تبالغ كثيرا فى هذا العدد الذى يمكن انقاصه الى العشر . فهذا ما ترجحه رواية تالية تقول ان عدد فتيلانه من الحرس السودانى كانوا ٥ (خمسة) آلاف أسود (٤٢٦) . وهكذا فاننا نشك فيما يقوله ابن عذارى ، من : أن ابراهيم عاد وعرض له من السودان ما عرض من الفتيان الصقالبة ، فقتلهم أجمعين (٤٢٧) .

(٤٢٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٢ - ١٢٣ ، وأنظر النويرى ، ج ٢٢ ص ١١٩ : حيث تقول الرواية « ان سبب قتلهم هو ما بلغه من أن جماعة من الخدام الصقالبة يريدون قتله ، وقتل أمه فقتلهم عن آخرهم ، وقتل بناته بعد ذلك . والاشارة الى محاولة قتل أمه هنا تعنى أن السيدة والدته الأمير لم تكن تكتمى بحياة الحريم بل كان لها دورها فى الحياة العامة .

(٤٢٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٣ .

(٤٢٥) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٣ ص ١١٩ .

(٤٢٦) أنظر فيما بعد ، ص ١٣٦ وح ٤٤٠ .

(٤٢٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٣ .

هزيمة عرب بلزمة :

المسار الأول في نفض الدولة الأغلبية :

أما ما اعتبره الكتاب بمثابة بداية النهاية بالنسبة للدولة الاغلبية ، فهو ما قام به ابراهيم بن أحمد في سنة ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م من الايقاع برجال قلعة بلزمة جنوب غرب باغاية ، من أهل الزاب ، الذي كانوا من أبناء العرب والجنود الداخلين الى افريقية منذ الفتح ، وكان معظمهم من القيسية ، أي من أقرباء عصبية الاغلبية : بني تميم (٤٢٨) .

فلقد كانت منطقة الزاب من المناطق غير الخاضعة تماما للأغلبية ، كما رأينا ، بسبب وجودها على طرف الصحراء ، بعيدا عن متناول حكومة القيروان ، وبسبب وجود قبائل البربر من الاباضية الذين كانوا يميلون الى امارة تاهرت الرستمية . وفي هذه الظروف لم يكن من الغريب أن تتمتع قبائل العرب في الاقليم ، هي الأخرى ، بنوع من الاستقلال عن أمراء الأغلبية حتى أنهم كانوا يستطيعون اجارة خصوم الأمير ، كما فعل بنو مالك (٤٢٩) . ولقد حاول ابراهيم بن أحمد في سنة ٢٧٨ هـ / ٨٩١ م ، وهو التاريخ الذي يقدمه النويري لقتلهم والذي نرى أنه يعتبر بداية للأحداث التي أدت الى المذبحة ، أن يحصعهم لسلطانهم فساد اليهم في قواته وتناوشهم بالحرب ، ولكنه عندما تيقن من استحالة التغلب عليهم أظهر العفو عنهم ورجع .

والظاهر أن ابراهيم أراد استخدام الحديعة بدلا من الحرب ، فأخذ بلطفهم ويقربهم من نفسه حتى استحباب زعمائهم الى ما دعاهم اليه من

(٤٢٨) أنظر ابن عسار ج ١ ص ١٢٢ - الذي أخذنا بتأويله ، وهو سنة ٢٨٠ هـ / م ، النويري ، المصنوع ج ٢٧ ص ١١٩ أ - الذي يصح ذلك مع أحداث سنة ٢٧٨ هـ / م . وقانون القاضي النعمان ، في رسالة افتتاح الدعوة ، تحقيق وداد القاضي ، بيروت ، ص ٨٨ - حيث يقول ان حادثة بلزمة كانت قبل أي عبد الله الشيعي بزمان طويل . ان أبو عبد الله قد وصل الى بلاد كتامة في سنة ٢٨٠ هـ (انظر في تاريخ ابن عسار) فان ثمة لا تكون قبل أبي عبد الله بزمان طويل ، حتى لو أخذنا بتاريخ النويري لسنة ٢٧٨ هـ ، نرى أنه كان بداية للأحداث ، أي لتمرد بلزمة . وربما كان القاضي النعمان يقصد أن دقة كانت قبل ظهور حطر الداعي على الأغلبية ، أي بعد سنة ٢٨٧ هـ ، كما سنرى . (٤٢٩) افتتاح الدعوة للقاضي النعمان ، ص ٨٨ - حيث يحصل سبب فضيل ابراهيم ابن أحمد على المزمين ، هو هروب رجل من عبيده والتجأه الى بنو مالك ببلزمة مستجيرهم من ابراهيم فاحاروه .

الندم عليه في رقادة . وقدم وفد أهل بلزمة وأهل الزاب (٤٣٠) ، وكانوا في بداية الأمر حوالي ٧٠٠ (سبعمائة) رجل من أبطالهم (٤٣١) ، زادوا مع مرور الوقت حتى أصبحوا نحو ١٠٠٠ (ألف) رجل (٤٣٢) - ولا ندري أن كان إبراهيم اعتبر هؤلاء كرهائن لديه أم أن ذلك كان نوعا من الاتفاق بينه وبين عرب أهل الزاب . اذ تقول الرواية انه أنزلهم معه في رقادة غي دار عظيمة تصفها رواية النويري بأنها كانت كالقندق ، بينما يقول ابن عذاري انه بناها خصيصا لهم وانها كانت تشتمل على عدد من الدور ترجع كلها الى باب واحد (٤٣٣) .

وعندما شعر إبراهيم أن القوم سكوا واطمأنوا ، بعدما أجراه عليهم من الرزق الواسع والخلع السنية ، جمع ثقات رجاله لأخذ أرزاقهم ثم أمرهم بصاحبة ابنه عبد الله (أمي المباس) للقضاء على البلزميين المنهمكين في الاستمتاع ببهاج الحياة ، في فندقهم الكبير . وذات صباح ياكز أحاط بالمدعوين جند إبراهيم من السودان ، ولكنه - رغم المفاجأة - لم يستسلم العرب الأشداء ، بل امتنعوا وداقموا عن أنفسهم من الصباح الى وقت العصر . وكانت النهاية المحتومة مقتلهم جميعا ، عن آخرهم (٤٣٤) . والظاهر أنه يحق للكتاب القول أن ذلك كان سبب انقطاع دولة بني الأغلب ، إذ كان أهل بلزمة القيسية ، وهم من العرب الخنص البلديين الذين استقروا في افريقية منذ وقت فتحها يذلون ، وهم في موقعهم الاستراتيجي من بلاد الزاب على السفح الشمالي لاوراس ، قبائل كتامة ، ويتخذونهم خولا وعبيدا ، ويفرضون عليهم العشور والصدقات . فكان الذي صنع إبراهيم بن أحمد ما أنفذ كتامة من تلك الذلة ، وأوجد لهم السبيل الى القيام مع الشيعة (٤٣٥) .

(٤٣٠) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ . الفتح الدعوة . ص ٨٨ .

(٤٣١) ابن عذاري . ج ١ ص ١٢٢ .

(٤٣٢) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ . افتتاح الدعوة . ص ٨٨ .

(٤٣٣) انظر ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٢ . النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ . ولان افتتاح الدعوة . ص ٨٨ - حيث يقول انه أنزلهم برقادة في مكان ادار عليه سوراً ، وجعل عليه باباً يقرب فندق البلزميين .

(٤٣٤) انظر النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ . ابن عذاري . ج ١ ص ١٢٢ .

ولان افتتاح الدعوة . ص ٨٨ حيث يقول ان السيد أحاطوا بالبلزميين لئلا .

(٤٣٥) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ . ابن عذاري . ج ١ ص ١٢٣ . وانظر

لتنتاح الدعوة (ص ٨٩) - حيث يقول ان شاعرا شيعيا من أهل قفلة ، هو محمد بن دهمان كان في حماية بني مالك البلزميين ، وكان يتحدث في انقطاع الدولة الاغلبية ، روى البلزميين ، =

انتقاض البلاد على ابراهيم بن أحمد :

والحقيقة أن الكتاب يعطون صورة قاتمة لآحوال افريقية عتب تلك المذبحة الحسيسة ، في سنة ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م ، وهو تاريخ ابن عذارى الذي أخذنا به (٤٣٦) ، اد برى البلاد وكأنها تحولت الى دولة طوائف ثانية تخصص فيها كل مدينة الى قائد من القواد أو جماعة من الناس ، فمعظم البلاد منتزبة على سلطان ابراهيم بن أحمد في تلك السنة ، مما يعنى أن مقدمات ذلك ترجع الى سنة ٢٧٨ هـ / ٨٩١ م ، وهو التاريخ الذى يحدده التويرى ، مع بداية مسألة أهل بلزمة (٤٣٧) - فكان الأوضاع عادت الى ما كانت عليه أيام زيادة الله الأول (٤٣٨) .

الاضطراب يعم كل المملكة :

فلقد خرجت على ابراهيم كل ، من : تونس ، الجزيرة ، والأربس ، وصقطورة ، وباجة ، وقمودة ، في شهر رجب من سنة ٢٧٨ هـ / أكتوبر ٨٩١ م ، ولم يحتج أهل هذه الكور مكان واحد ، بل قدموا على أنفسهم رجالا من الحند وغيرهم ، كما حدث على عهد زيادة الله الأول ، فأقام كل رئيس منهم بمكانه . وتفسر الرواية هذا الخلاف بجور السلطان ابراهيم الذى أخذ عبيدهم وخيلهم ، مما ترتب عليه : أن صارت افريقية عليه نارا موقدة ، ولم يبق بيده من الأعمال الا الساحل الشرقى الى طرابلس (٤٣٩) . وأمام هذا الموقف الصعب اضطر ابراهيم الى أن يختدق على نفسه فى رقادة ، فحصر حولها حفيرا ، ونصب عليه أبواب الحديد ، وجمع حوله ثقاقه من الجند ، واستعان بالحرس من فتيانه السوداء دون غيرهم ، فجعلهم يحيطون به ره ،

= وهجا ابراهيم شعر قال فيه

جل المصائب لئن كان الذى ذكرنا	مما انتصاه الامراء والخبر
عن الف اروع كالاساد قد قتلوا	لساعة من سواد الليل اد غدروا
حرمت صيفك كاسا أنت شاربهنا	مما قبل وامر الله ينتظر
فدولة القائم المبدى قد اوت	أيامها والذى ادهانه الا...

(٤٣٦) انظر ميسا سبق ، ص ١٢٢ هـ ٤٢٨ .

(٤٣٧) انظر فيما سبق ، ص ١٣٥ .

(٤٣٨) انظر فيما سبق ، ص ٥٠ وما بعدها (حيث ما سمعنا) ملوك الطوائف ،

ماقرية)

(٤٣٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٣ ، التويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ .

- ١٣٧ -

وكانوا خمسة آلاف أسود (٤٤٠) .

مبدأ : فرق تسد :

الدهل على التفرقة بين المخالفين :

والظاهر أن الحال استمر على هذا المنوال طوال سنة ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م
الثالثة ، وإبراهيم يستشير ثقافته وأهل المعرفة في الحروب من أهل إفريقية
اجريين . ومن ذلك ما تقوله رواية الرقيق التي ينقلها النويري ، من أن
إبراهيم بن أحمد أحضر شيخا من بني عامر بن نافع - وعامر هذا الذي
يسبب إليه الشيخ هو صاحب منصور الطيبي ، وكانت له صولة وجولة
في أعقاب ثورة منصور على أيام زيادة الله الأول (٤٤١) - وشاوره في الأمر .
وكانت نصيحة الشيخ الثمينة ، هي : أن الثوار لو عاجلوا إبراهيم قبل أن
تختلف كلمتهم فهناك خوف من أن يهزموه . أما إذا صبر عليهم إلى أن
يختلفوا فسيكفونهم ما يريد (٤٤٢) . فكان الشيخ العامري كان يأمر
إبراهيم بتطبيق ذلك المبدأ الذي تجتحت روما في استخدامه قديما ضد
خصومها ، والذي أصبح أصلا من أصول السياسة الدولية ، وهو مبدأ :
« فرق تسد » .

وتضيف الرواية أن إبراهيم بن أحمد تنبه إلى خطورة نصيحة الشيخ ،
فأمر ابنه أيا العباس بحبسه عنده ، لئلا يتكلم بهذا الرأي فيوصل إلى
خصومه . وهكذا ، كانت مكافأة العامري على نصيحته الغالية ، هي : الحبس
حتى قصر إلى العيد إلى أن تم لإبراهيم الظفر بخصومه (٤٤٣) .

إبراهيم يقضي على الثوار واحد بعد الآخر :

الجزيرة :

وهكذا مع مطلع سنة ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م أخذ إبراهيم ينفرد بأهل كل
منطقة نائرة على حدة ، وبدأ بمنطقة الجزيرة ، جزيرة شريك ، وصفطوة ،

(٤٤٠) أنظر ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٢٣ . النويري ، ج ٢٢ ص ١١٩ ب . وابن حديد
ج ٤ ص ٢٠٣ ، حيث النص على أن إبراهيم بن أحمد « استركب الميت السودان واستكثر
مهم يبلغوا ثلاثة آلاف » .

(٤٤١) أنظر فيما سبق ، ص ٥٥ وما بعدها .

(٤٤٢) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ ب .

(٤٤٣) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ ب .

~ ١٣٨ ~

حيث وجه عسكره الذي انتقم من أهلها فقتل منهم خلقا كثيرا ، وأتى برئيسهم المعروف بابن أبي أحمد أسيرا ، فأمر به إبراهيم فقتل وصلب - وكان هذا النجاح سبب طفره ، كما يقول النويري (٤٤٤) .

قمودة :

وعندما تحرك أهل قمودة وجه إليهم إبراهيم فتاه الحبشي ميمون ، على رأس السودلين ، لقاتلهم حتى انهزموا ، وقتل جماعة منهم (٤٤٥) .

تونس :

وأخيرا أتى دور تونس التي وجه إليها عسكرا عظيما ، على رأسه فتاه ميمون الخادم ومجاهد الحسن بن نافذ - وانتهى القتال الشديد بانهزام أهل تونس الذين قتلوا قتلا ذريعا ، ثم دخول مدينة تونس نفسها بالسيف في يوم ٣٠ من ذي الحجة سنة ٢٨٠ هـ / ٢ مارس ٨٩٤ م ، حيث انتهب ما فيها من الأموال ، كما استبيحت الذرية (٤٤٦) .

ووصل خبر دخول تونس سريعا إلى الأمير إبراهيم على جناح طائر ، ومعه جبر تسيير ١٢٠٠ (ألف ومائتي) أسير من أكابر القوم إليه . وهنا بعث إبراهيم إلى قائده ميمون يأمره بالآلا يقطع رأس أي قتيل ، وطلب إليه أن يوجه القتل محمولين على العجل إلى القيروان ، حيث شق موكلهم الجنائزى الحزين الطريق الكبير إلى المدينة ، وهو السباط (٤٤٧) ، ليكون ذلك عبرة لمن يعتبر .

تونس مرة أخرى :

والظاهر أن اضطرابات تونس تطلبت حملة ثانية ، في مطلع سنة ٢٨١ هـ / ٨٩٤ م ، قلم بها ميمون ضد جماعة من بني تميم ، عصبية

(٤٤٤) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ ب .

(٤٤٥) انظر ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٣ - ١٢٤ ، وقارن النويري ، ج ٢٢ ص ١١٩ ب -

ميجر يقولان إبراهيم أرسل إلى قسوة صالحا الغادم

(٤٤٦) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٤ . النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ ب - ١٢٠ أ -

حيث تلويح دخوله في شهر رمضان .

(٤٤٧) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ ب - ١٢٠ أ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٤ .

وقارن ابن خلدون (ج ٤ ص ٢٠٣) الذي يلخص كل ذلك في أقل من سطر إذ يقول : « وفي سنة ثمانين (٢٨٠ هـ) كثير الخيل والفرق المسافر إليهم فاستقلوا » .

- ١٣٩ -

الأغلبية ، وغيرهم . وفلذ ميمون الأسود أوامر إبراهيم بحذافيرها فقتل جماعة من بني تميم ، وصلبهم على باب المدينة . وعاد الكساد المظفر من تونس وبصحبه أكابر أهلها يقدمون الطاعة للأمير والولاء . واستقبل إبراهيم نناه السوداني بما يليق بما حققه من النصر وانظفر ، فكساه الخنز والوشى والديباج ، وطوقه - على طريقة الخنفاء وأمره المشرق - بطوق من الذهب حول عنقه ، وحمله على فرس ، وأعادته من غده الى تونس (٤٤٨) ، ككنايب له هناك .

اتخاذ مدينة تونس مقرا لإبراهيم :

والحقيقة أن إبراهيم بن أحمد عندما أعاد ميمونا الى تونس في اليوم التالي لتكريه على بظفره ، كان قد قرر أن يجعل مدينة تونس وإقليمها يشعرا بالحكومة الأغلبية ، وبوطاة الأمير عن قرب ، إذ أمر فتاه الحبشى بأن يبنى له ، على وجه السرعة ، قصورا لسكناء ، ومساكن لنزول حرسه وحاشيته (٤٤٩) .

والظاهر أن اعداد المساكن الأميرية في مدينة تونس لم يستغرق وقتا طويلا ، مما يرجح أنها اشتريت شراء أو اخذت أخذا ولم تبني ، وذلك أن إبراهيم بن أحمد خرج من القيروان ، في طريقه الى منازل الجديدة يوم ٢٤ من جمادى الآخرة سنة ٢٨١ هـ / ٣١ أغسطس ٨٩٤ م ، بأهل بيته وجميع فواده ، ووصل الى تونس انتمى استوطنها ، في ٦ رجب / ١١ سبتمبر (٤٥٠) -

إبراهيم بن أحمد يشدد قبضته على البلاد :

المعهد الى أبنائه بولاية الأقاليم :

ولكى يزيد إبراهيم بن أحمد في توطيد الأمن والاستقرار في البلاد ،

(٤٤٨) ابن عثاري ، ج ١ ص ١٢٩ .

(٤٤٩) النويري ، المحفوظ ، ج ٢٢ ص ١٢٠ ، وانظر تخلص ابن خلدون (ج ٢

ص ٢٠٣) -

(٤٥٠) انظر النويري ، المحفوظ ، ج ٢٢ ص ١٢٠ - حيث تاريخ الخروج ٢٤ من

جمادى الأولى ، ولكننا جعلناه جمادى الثاني حتى يتفق مع تاريخ ابن عثاري (ج ١ ص ١٢٩) الخاص بالاستيطان في تونس . وهو وجب . بمعنى أن الرحلة استغرقت نحو من عشرة أيام ، وهو الأمر المقبول .

قرّر في السنة التالية ، وهي سنة ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م ، أن يعود بولاية أقاليم افريقية الى أبنائه ، حسبما نقوله رواية ابن عذارى اللقنصية ، التي لا تمدنا بتفصيلات الموضوع ، مما كان يمكن أن يكون مفيدا للدراسة (٤٥١) .

هل أدت النقلة الى تونس أغراضها ؟ :

العودة الى رقادة :

والحقيقة أنه اذا كان ابراهيم بن أحمد قد أراد من وجسوده بمدينة تونس أن تشعر المنطقة الدائمة الاضطراب بوطاة حكومته ، وتركن الى الهدوء والسكينة ، فالظاهر أن تونس المتطرفة بعيدا ، على شاطئ البحر وعن قلب البلاد ، لم تكن مهيأة بعد للدور الذي كانت تقوم به قرطاجنة قبل الاسلام . فمركز الثقل في افريقية كان في الدواخل ، على كل حال ، حيث تجمعات القبائل الكبيرة من العرب والبربر . وكانت منطقة القيروان حتى ذلك الوقت حير مركز يمكن السيطرة منه على أطراف البلاد . هذا ، اذا تركنا جانبا جو الصحراء الصحي الجاف ، في القيروان ، والقصر القديم ، ورقادة - الى بجانب القصور الملكية الفاخرة ، وموئل الماء العظيمة ، التي كانت لا تحرم المقيم هناك من منظر البحر الساكن ، ونسيمه الرطب .

وهكذا لم يكن من الغريب ألا يقيم ابراهيم بن أحمد في تونس - التي ستظل عاصمة ثانية للمملكة - الا أقل من سنة ونصف سنة . وذلك أنه ، قرر العودة الى رقادة في مطلع سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م ، فغادر تونس في ١٠ من المحرم / ٢٩ فبراير . هذا ولا يمنع ذلك من أن يكون سبب عودة ابراهيم ابن أحمد الى رقادة هو اضطراب الأحوال في اقليم طرابلس - كما سنرى - بسبب تهديد قبائل عبوسة الاباضية . أما ما نقوله رواية النويري من أنه كان يريد محاربة ابن طولون في مصر (٤٥٢) ، فهو أمر بعيد الاحتمال ، وإن كان من حق ابراهيم أن يتمنى المثار لما فعله العباس بن أحمد بن طولون من التهجم على بلاده .

الأحوال تنذر بالانفجار في اقليم طرابلس ، والخلافة تحتج على سياسة.

ابراهيم العنيفة في تونس :

والهم هو أن ابراهيم كان قد أخرج ابنه أبا منصور أحمد الى

(٤٥١) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٢٦ .

(٤٥٢) النويري ، المخطوط ، ج ٢ ص ١٢٠ ، وانظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣ .

طرابلس (٤٥٣) ، ليكون واليا عليها حسبما قرره في العام السابق (٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) ، وذلك بدلا من محمد بن زيادة الله ، ابن عمته ، التذي كان معروفا بالادب والظرف ، والذي كانت له بعض التواليف من الكتب . واذا كان من الممكن أن يكون ابن محمد بن زيادة الله في حكم طرابلس من أسباب عزله ، فقد كان هناك سبب أقوى من كل الأسباب لسخط ابراهيم عليه ، وهو أنه كان مرشحا لتولي الإمارة في ذلك الوقت . فعندما أرسل الخليفة المعتضد الى ابراهيم يعتله على طلبه ونسوه فعمله بأهل تونس ، كان من بين ما كتبه له : « ان انتهيت عن أخلاقك هذه ، والا فسلم العمل الذي بيدك لابن عمك محمد بن زيادة الله » (٤٥٤) .

قبائل نفوسة الاباضية في القليم طرابلس تقف ضد ابراهيم :

هذا ، ومع أن النصوص القروانية لا تشير الى السبب الذي من أجله وقفت قبائل نفوسة ضد ابراهيم بن أحمد في طرابلس ، فلا بأس من أن تكون أعمال الظلم والقسوة التي لحقت قبائل الفريقية من اميرهم العتيق ، ومنهم قبائل الاباضية ، مثل : حوارة وأهل الزاب ، هي التي جعلت اباضية نفوسة وطرابلس يهبون محتسبين ضد الأمير الأغلبى ، تماما ، كما فعلوا مع الطولوني عندما تجرأ سودانة على كشف الستور وهتك الحرم في طرابلس (٤٥٥) .

هذا . واذا كانت الرواية الاباضية تخطئ عندما تقول أن الخليفة الغياثي هو الذي سبر ابراهيم بن أحمد من المشرق للقضاء على امامة الرستمين ، في تاهرت (٤٥٦) ، فلا بأس أن يكون وقوف ابراهيم ضد الاباضية بأوامر من الخلافة . ولا بأس أيضا في أن يكون ابراهيم قد سار لحرب نفوسة قرضية للخليفة المعتضد الذي كان يهدده بالعزل بالأمس القريب .

ابراهيم يسير بنفسه لقتال نفوسة :

وقعة مانو (٤٥٧) :

وعلى كل حال ، فقد خرج ابراهيم بن أحمد من رقادة التي لم يمكث

(٤٥٣) التويرى ، ج ١ ص ١٢٩ .

(٤٥٤) ابن عدادى ، ج ١ ص ١٢٩ ، وقلوب الحلة السمرية ، ج ١ ص ٨٦ .

(٤٥٥) انظر فيما سبق ، من حملة الغياث بن أحمد بن طولون ، ص ١٢٤ وهو ٣١٣ .

(٤٥٦) انظر ابن زكريا ، المخطوط ، ص ٣٣ - ١ . وفيما بعد في تاريخ الرستمين .

ص ٢٨٧ -

(٤٥٧) عن الوقعة انظر في تاريخ الرستمين ، فيما بعد ، ص ٢٨٧ .

فيها إلا شهرا وبعض شهر ، في ٢٤ من صفر سنة ٢٨٣ هـ / ١٠ أبريل ٨٩٦ م ، بمساركة متتبعا خطى ابيه أحمد الذي كان قد سبقه الى هناك من تونس . وكان ابراهيم في منتصف الطريق بين قابس وطرابلس ، في موضع يعرف عند كتاب الاباضية بـ « مابو » عندما اعترضته قبائل نفوسة في منتصف ربيع الاول / ٣ مايه ، في جمع عظيم يقدر بحوالى ٢٠ (عشرين) ألف رجل ، لا فارس معهم ، ومعوه الجواز (٤٥٨) .

قتال عظيم ، وانتقام مروغ :

ولم يكن أميرنا - الذي عرفناه حاد المزاج ، سريع الغضب ، لا يعرف الحدود عندما يطلق العنان لئاره وانتقامه - ممن يتردد في مواجهة مثل هذا التحدى . وادا عرفنا ان اباضية نفوسة الخوارج كانوا يقومون ، في مثل قيامهم هذا ، احتسابا لوجه الله ، من أجل تغيير المنكر واحقاق الحق ، أدركنا نوع القتال العظيم الذي وقع بين الطرفين . ولقد بدأت المعركة الشديدة بتفوق مؤقت للخوارج ، الذين عرفوا بشدة اندفاعهم عند بدء القتال ، حتى قتل ميمون الخادم - حامل الطوق الذهبي - وجماعة ممن معه من فتيان السودان . ثم انهزمت نفوسة ، وتمادى انهزامهم الى طرابلس ، وابراهيم يتبعهم بالقتل الذريع ، حتى شاطئ البحر الذي احمر ماؤه من دماهم ، كما تقول رواية التوبري (٤٥٩) .

وتنسب هذه الرواية الى ابراهيم بن أحمد ، وهو الحبر يمثل هذه المذابح ، أنه قال : « لو كان هذا القتل لله لكان اسرافا » . ولكنه عندما علم من بعض رجاله أن من مذهبهم تكفير على بن أبي طالب ، ولما تأكد له من مشايخهم صدق رأيهم هذا ، بل انهم يكفرون من لم يكفره ، انتقم ممن وقعوا في الاسر منهم انتقاما رهيبا . فتقول الرواية : انه كان يقد أضلاع الرجل منهم من تحت منكبيه ، ويطعنه بالحربة فيصيب قلبه ، وأنه فعل ذلك بيديه بـ ٥٠٠ (خمسمائة) رجل دفعة واحدة (٤٦٠) .

وتقول رواية ابن عذارى التي تجعل تلك الحادثة وقعة ثانية ، في نفوسة ، في السنة التالية (٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) : ان ابراهيم أمر أن تنضم

(٤٥٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٩ ، التوبري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٠ .
(٤٥٩) التوبري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٠ . وانظر تفاصيل الواقعة من وجهة النظر المقبحة-الاباضية فيما بعد ، ص ٣٩٠ : حيث يقال ان الاباضية قتلوا ١٢ (اثني عشر) ألف قتيل ، منهم ٤٠٠ (اربعمائة) عالم فقيه - ومن طوق ميمون الذهبي . انظر فيما سبقه ، ص ١٣٩ .

(٤٦٠) التوبري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٠ .

قُلب هؤلاء الرجال في حبال ، وأن تنصب على باب توس (٤٦١) .

قتل والى طرابلس : محمد بن زيادة الله ، وإشاعة الرعب في الاقليم :

ومن محررة نفوسة سار ابراهيم الى طرابلس حيث وقع باطن عثمسة
الاديب الطريف ، محمد بن زيادة الله ، صاحب التواليف ، الذي سبق أن
رسمه الخليفة ليلي عرش افريقية بدلا منه : وكان ابراهيم كثير الحسد له ،
من حبه ، على علمه وأدبه - كما تقول الرواية - فقتله وصلبه (٢٤٦) .

والظاهر أن ابراهيم بن أحمد أراد أن يلقن أعداءه في منطقة طرابلس
درساً لا ينسوه ، فتقول رواية ابن عذارى انه نهض من طرابلس الى تاروغا ،
شرقها ، حيث قتل بها خمسة عشر رجلاً ، وأمر بطبخ رؤسهم ، وهو يظهر
أنه يريد أكلها ، هو ومن معه من رجاله (٤٦٣) - وهي القصة الأسطورية التي
نجد لها شبيهاً في فتح الأندلس على يدى موسى بن نصير ، والتي يقصد بها
يث الرعب في قلوب الخصوم .

اضطراب العسكر :

ولقد أتى هذا العمل الشاذ بنتيجة عكسية ، كما تقول الرواية ، إذ
ارتاع أهل العسكر منه ، وقالوا : قد خولط ، فانفض الناس عنه . هذا ،
ولو أن الأقرب الى المطلق هو ما تقوله رواية النويرى ، من أن كثيراً من
اصحابه ضجوا من مسيره الطويلة حتى تاروغا ، ففروا عائدين الى إفريقية ،
ولم يبق معه الا أقل من المصف منهم ، وأنه لما رأى ذلك عاد الى رقادة (٤٦٤) .
رنصيف رواية ابن عذارى أن ابراهيم بن أحمد فرضت عقوبة مالية على كل من

(٤٦١) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٠ . ولا كانت الرواية لا تنص على أن المقصود بباب
توس هو باب القيروان ، المعروف بهذا الاسم ، مما قد يعنى باب توس المدينة ، حيث كان
يمش ابراهيم منذ فترة وحيدة ، فان عدم التحصين هذا قد يؤس بوجود نوع من الربط
بين قيام النفوسيين ضد ابراهيم بن أحمد في طرابلس ، وبين ما قام به بن توس من أعمال
الغلب والقسوة التي بلغت حد النهب واستباحة الأعراض .

(٤٦٢) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٠ ب ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٩ .
والحالة السيئة ، ج ١ ص ١٨٠ - حيث الإشارة الى رواية تقول ان الخليفة كان يقارن بين
سوء أخلاق ابراهيم وحسن أخلاق عامله على طرابلس محمد بن زيادة الله ، ثم ذكر رواية
الرتيق التي تنص على أن الخليفة رشح محمد بن زيادة الله لإمارة بدلا من ابراهيم .

(٤٦٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٩ .

(٤٦٤) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٠ ب .

انفض عنه ، مقدارها ثلاثين ديناراً ، وأن هذه الغرامة سُميت « غريم الهارين » (٤٦٥) .

نوع من الرقابة الشعبية :

شيخ صالح يأمر ابراهيم بالمعروف :

ولا نعرف ان كانت تلك العرامة التي فرضها ابراهيم على العازين من عسكره ، أم العظائع القصصية التي أنزلها بأعدائه في طرابلس ، هي التي دفعت الشيخ الصالح أبا الأحوص المكعوف الى أن يأمر بالمعروف وينهاه عن المنكر ، في كتاب خطى أملاه على بعض أهل سوسة ، بلده ، وبعثه اليه . وكان في بعض فقرات الكتاب : « يا فاسق ! يا جائر ! يا خائن ! قد خذت عن شرائع الاسلام ، وعن قريب تماين مقعدك من جهنم ، وسترد فتعلم » . وتنص الرواية على أن ابراهيم عذر الشيخ المكعوف : لدينه وفضله ، ولكنه هدمه بقتل عدد من أهل سوسة ان لم يبعث اليه بمن كتب له الكتاب . وكان رد الشيخ الصالح هو دعوة ابراهيم من جديد الى التوبة ، والرجوع عن الجور . والمهم في الرواية بعد ذلك : ان الله حفظ أبا الأحوص من انتقام ابراهيم ، فمات الرجل الصالح في نفس السنة ، وهي سنة ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م (٤٦٦) .

هل حققت دعوة الشيخ الصالح غرضها ؟ :

ومع أن الويرى فيما ينقله عن الرفيق يهوى أعمال ابراهيم بن أحمد بأحداث طرابلس ونفوسة ، في سنة ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م ، ليختم بعد ذلك يده باعتزاله الملك وزهده ، بعد ثلاث سنين ، أي في سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠ م ، فإن ابن عذارى يشير الى عدد من الأحداث التي وقعت في افريقية لال تلك الفترة . مثل : سخطه من جديد ، في سنة ٢٨٦ هـ / ٨٩٩ م ، على أمة من فتيانه وقتلهم (٤٦٧) ، ووقعة أوقعها أحد أبنائه ببعض القبائل بني بلطيط ببسكرة ، واقاراره للأمور هناك (٤٦٨) ، ثم حملة أخرى قام

(٤٦٩) - ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٠ .

(٤٦٦) - ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٠ .

(٤٦٧) - ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٦ .

(٤٦٨) - ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٦ - حيث يقول : « الرواية أن بطريرك القوية هو ابنه أبو العباس الذي كان في صقلية وقتئذ ، وأغلب الظن أنه أبو عبد الله » .

بنّا ابنه أبو عبد الله في الزاب ، في سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠١ م (٤٦٩) . وذلك قبل أن تأتي توبة إبراهيم في سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م .

تحليل جديد من الخلافة : مقسمة للاعتزال :

ورواية السورى تبدأ باعتزال إبراهيم وزهده متقدما سنتين على مواعده ، وذلك بالبده بالمقدمات التي تتعلق باستمرار تدخل الخلافة في شؤون افريقية ، نتيجة لسوء سياسة إبراهيم مع رعيته ، وهو الأمر الذي يبدأ بتهديد المعتضد لإبراهيم ، كما رأينا ، بالعلز في سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ (٤٧٠) .

في سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م قدم من بغداد على الأمير إبراهيم رسول الخليفة المعتضد بالله . ومن الواضح أن إبراهيم بن أحمد كان مقيما في مدينة تونس ، وذلك أنه خرج لاستقبال رسول الخليفة في السبخة قرب تونس ، حيث ضرب له سرادق (قارة) أسود اللون ، أي بشعار الخلافة .

وخلا رسول الخليفة بإبراهيم ، وكان بينهما محاوره شفهي ، إذ لم يأت المبعوث الخلفي بكتاب محرر ، وذلك أن الخليفة كان قد أرسل مبعوثه بسرعة وعلى غضب ، بعد أن أتت شكاوى أهل تونس تترى على ديوان الخلافة في بغداد . وكان من بين شكاوى أهل تونس ما قرروه من أن أميرهم إبراهيم عندما سبى بناتهم ونساءهم ، أهدى منهن إلى الخليفة نفسه ، وهو الأمر الذي أثار سخط المعتضد على واليه الجري الذي لا يكتفى بغمس يديه في الشكر ، بل يورط الخليفة بغمس يديه هو الآخر فيه .

وتنص الرواية على أن الخليفة أمر رسوله بأن يطلب من إبراهيم بن أحمد اعتزال الحكم ، وتولية ابنه أبي العباس على افريقية ، ثم المسير مع الرسول إلى بغداد للقاء الخليفة (٤٧١) .

ورغم ما تقوله رواية النويري من أن إبراهيم كره المسير إلى بغداد بصحبة الرسول ، وأنه قسر الاعتزال ، وأظهر الزهد ، وأنه ولي ابنه .

(٤٦٩) آئين طذرى ، ج ١ ص ١٣١ .

(٤٧٠) أنظر كما سبق ، ص ١٤١ وهـ ٥٥٤ .

(٤٧١) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢١ ، وانظر ابن خلدون ، ج ٢ ص ٣٠٤ .

أبا العباس - وكل ذلك كرد فعل مباشر للقاء مبعوث الخلافة (٤٧٢) - فالمعروف أن ذلك تطلب بعض الوقت ، ربما بسبب وجود أبي العباس في صقلية . ومع أن ابن عذارى يصح توبة إبراهيم بن أحمد في سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م ، وهي نفس السنة التي بدأت بخروجه إلى صقلية ، فالأقرب إلى الواقع أن تكون توبة إبراهيم بن أحمد في أواخر سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠٢ م ، بعد أن تأمل في موقف متساخين أهل إفريقية منه ، مثل : أبي الأحوص الصالح السدي وعطه بالحنسن من الكلام ، وخشيته من موقف الخلافة العدائي منه . وأخيراً ربما كان الدافع الحقيقي إلى توبته واستقامته ، هو نجاح دعوة أبي عبد الله الشيعي في بلاد كتامة .

نجاح أبي عبد الله الشيعي واعتزال إبراهيم بن أحمد :
وإذا كان من المقبول أن يكون من أسباب توبة إبراهيم عن أعمال الظلم ، هو النجاح الذي حققته الدعوة الفاطمية في كتامة ، على يد أبي عبد الله الشيعي ، فإنه ليس من المقبول أن يكون ذلك هو السبب في اعتزاله الحكم ، كما تكرر الرواية الفاطمية المنقبة في أكثر من موضع (٤٧٣) .

والذي لا شك فيه أن أميرنا ، الذي عرف بحدة المزاج ، ما كان يرضى بأن يكون اعتزاله نوعاً من الانسحاب من ميدان القتال ، وتركه للسداعيا الفاطمي ، الذي كان بعد ، في بداية أمره . وهذا ما تعترف به الرواية الفاطمية ، فسمنا ، عندما تقول أنه لم يرغب في قتال الداعي لأنه - هو نفسه - كان يتشيع .

وإذا كان أبو عبد الله الداعي قد دخل إلى بلاد كتامة سنة ٢٨٠ هـ ٨٩٣ م ، على عهد إبراهيم بن أحمد ، مما جعل ابن عذارى يتخذ هذه السنة بداية لقيام الدولة العبيدية الشيعية (٤٧٤) . وأن أمره كان قد عظم فعلاً - في إقليمه - وقتما اعتزل إبراهيم سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م ، فقد كان

(٤٧٢) النويري . المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٣٦ .

(٤٧٣) انظر افتتاح الدعوة للناسي الممان ص ٨١ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٢١ - والحمد لله

إن الممان يقول أن إبراهيم بن أحمد كان لا يرغب في قتال أبي عبد الله الداعي لعلهم من يقاتله صاحب الدولة التي تزيل الأغالية ، بل وتضيف إلى ذلك أن إبراهيم كان يتشيع من أهل بيته ، وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٤٠ - ٢٥٠ . وانظر في الدعوة الفاطمية فيما بعد ، ص ٥٣٦ وجه ١١ .

(٤٧٤) البيان لابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٤ .

قوات ابراهيم في ميله وسطيح تستطيع أن تردده ، ومن معه من كثافة
بعيدا عن أسوار كل من المدينتين (٤٧٥) -

والحقيقة أنه طالما كان ابراهيم في الحكم ، لم تتخذ الدعوة الفاطمية
بعادا خطيرة - أضف الى ذلك أن توبة ابراهيم واعتزاله لم يكن تخليا عن
مسئوليته كحاكم ، وخاصة كمحارب : فهو قد ترك قتال الثوار في افرقية
ليقاتل « الكفار » في أوروبا - ولكل ذلك نرى أن تحويل ابراهيم للقوات
الغالبية الى صقلية ، في الوقت الذي كان يعظم أمر أبي عبد الله الشيعي ؟
كما ينص على ذلك الكتاب (٤٧٦) ، كان من الأسباب التي خففت الوطء
عن الداعي ، وبالتالي كانت من أسباب المساعدة على صموده ، ثم نجاحه .
وكل ذلك عن غير قصد من ابراهيم بن أحمد ، الذي فضل أن يهب نفسه
للجهاد -

توبة ابراهيم :

وهكذا يدل استقرار الأحداث على أن جانب الخير عند ابراهيم بن أحمد
بدأ يتغلب على جانب الشر ، منذ سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠١ م ، أي بعد ذلك البقاء
العاصف مع رسول خليفة بغداد - في السنة السابقة -

فلقد أظهر ابراهيم التسوية ، ورفض الملك ، ولبس الحشن من
النياب (٤٧٧) - وأراد أن يرضى العامة ويستميل قلوب الخاصة بفعله (٤٧٨) ،
فأمر بإخراج من في سجنونه (٤٧٩) ، ورد المظالم ، وأسقط القبالات
(المكوس) ، وأخذ العشر طعاما - بدلا من الضريبة المالية الثابتة ، التي
اعتبرناها اصلاحا - وترك لأهل الضياع خراج سنة ، وسماها سنة
العدل (٤٨٠) ، وبينما كان ينتظر عودة ابنه أبي العباس ، وكان قد بعث اليه
بالرجوع من صقلية ليسلمه الملك (٤٨١) ، تطرف ابراهيم بن أحمد في عمل.

-
- (٤٧٥) انظر فيما بعد ، الفصل الخاص بالدعوة الفاطمية ، ص ٥٦٠ وما بعدها .
(٤٧٦) ابن الأثير ، سنة ٢٨٩ هـ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٦ ، ابن خلدون ، - ٤
ص ٢٠٥ (حيث النص على أن ابراهيم كان قد أسر لابنة أبي العباس في شأن التسمي وتهايم
من محاربه وإن يلحق به ال صقلية ان ظهر عليه)
(٤٧٧) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢١ أ -
(٤٧٨) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٦ -
(٤٧٩) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٩ أ -
(٤٨٠) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٦ -
(٤٨١) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢١ أ -

«البر والورع ، فاعتق ممالكه ، وأعطى فقهاء القيروان ووجوه أهلها أموالاً عظيمة ليفرقوها في الضمفاء والمساكين . ويعلق صاحب الرواية - وهو مصدر الرقيق في أغلب الظن - على ذلك فيقول : ان تلك الأموال « استزكت وأعطيت من لا يستحقها ، وأنفقت في اللذات ، وصرفت في الشهوات » (٤٨٢) .

الاعتزال والعهد لأبي العباس :

وعندما وصل أبو العباس ، ولي العهد ، من صقلية ، في أواخر سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠١ م (٤٨٣) ، سلمه أبوه الملك في ٢٢ ربيع الأول سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠٣ مارس ٩٠٣ م (٤٨٤) ، وبدأ هو في الاستعداد للخروج إلى صقلية مجاهداً .

وفاة إبراهيم بن أحمد في إيطاليا :

وتقول الرواية ان إبراهيم بن أحمد فكر في أول الأمر في الحج عن طريق مصر ، ولكنه خشى أن تنور الحرب بينه وبين بني طولون ، فتسبف الدماء بينهما . وبناء على ذلك فانه قرر الجهاد في صقلية ، مما يعني أن الجهاد - في نظر رجال ذلك العصر - كان لا يقل عن الحج ، ان لم يزد عليه . وهكذا فقد أخذ طريقه من رقادة إلى سوسة ، أرض الرباط وبمينا صقلية العسكرية . وفي جنوب إيطاليا يتوفى الأمير إبراهيم بن أحمد يوم ١٦ من ذي القعدة سنة ٢٨٩ هـ / ٢٢ أكتوبر ، ٩٠٣ ، بعد أن قام بأعمال مجيدة لم يكن أقلها استيلاؤه على مدينة طبرمين في صقلية (٤٨٥) .

شخصية إبراهيم وتقويم عهده :

هكذا توفي إبراهيم بن أحمد وله من العمر حوالى ٥٤ سنة ، بعد حكم دام أكثر من ٢٨ (ثمانية وعشرين) سنة (٤٨٦) .

(٤٨٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٢ .

(٤٨٣) انظر ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٢ . الذى يضمها في شهر ربيع الأول . وذلك الأحداث التى يذكرها تحت سنة ٢٨٧ هـ . وهى التى حدثت فيها اللقاء بين رسول الخليفة رابعهم .

(٤٨٤) انظر الحلة السراء ، ج ١ ص ١٧٤ - حيث النص على ان إبراهيم بن أحمد كتب نأها ولده عليه عهد ، وصير اليه خاله ووزراءه .

(٤٨٥) انظر لينا بعد في فتوح صقلية ص ٢٨١ وما بعدها .

(٤٨٦) الديورى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٢ ب - مولده يوم الأضحي سنة ٢٣٥ هـ /

٢٥ يونية ٨٥٠ م ، كان عمره ٥٢ سنة و ١١ شهرا وأياما . أما ولاية فكانت ٢٨ سنة -

ما بين الجائر الظالم والمصلح العادل :

ولقد حفل ملكه الطويل ، بالجهاد في صقلية ، والعتن السـاخلية ، وأعمال العمران العظيمة ، والإصلاحات الادارية والمالية الرشيدة . كما سلاه ، على المستوى الشخصي ، بأعمال الخير والشر على السواء - حتى اختلفت الآراء في تقييـمه ، كما يحدث بالنسبة لكبار الرجال . فايراهيم ، في نظر النقباء والصالحين : جائر ظالم . وهو عند ابن الأثير : خير مصلح عادل ، وعد الرقيق - الذي ينقله ابن عذارى وأنثويرى - . وسط بين الحسير والشر ، له شطحاته المحدودة والمردولة في كلا الجانبين .

والحقيقة انه لم يكن من الغريب أن تنقل أحداث الحكم الذي طال الى أكثر من ٢٨ سنة ، وهو الأمر غير المعتاد بين أمراء الأغالبة ، كاهل ايراهيم ابن أحمد ، حيا وميتا . ولكن الذي لا ينبغي أن يغيب عن ذهن الدارسين ، هو ما يجب من التفارقة بين أمور الحكم العامة ، وشئون الأمير الخاصة . ولو أن الأمور العامة كانت تختلط بشئون الأمير الخاصة في ذلك النوع من الحكم الذي كان سائدا في تلك العصور ، والذي يصنف حاليا في طبقة « الحكم الفردي » ، كما يقال . والذي نراه : هو أن ابن الأثير نظر الى عهد ايراهيم ابن أحمد من وجهة النظر العامة .

وايراهيم من هذا الوجه : مجسد ، مجتهد من يوم ولايته التي بدأها بحرب أهل القصر القديم ، الى يوم وفاته بميدان الجهاد في صقلية-وايطاليا . والرجل ، وإن عرف بحدة المزاج ، فقد كان راجع العقل تواقا الى القيام بجليل الأعمال ، في ميادين السياسة والعمران .

في أعماله العمرانية : تأمين الطرق وبناء المحارس :

وهكذا ، فإذا كانت رواية الرقيق تشهد له خلال السنوات السبع الأولى من عهده (٤٨٧) فغني شهادة جيدة لإيراهيم ، ترجع شهادة ابن الأثير الذي يضيف الى عدله وحزمه في أموره ، وعقله ، وحبه للخير والاجسيان ،

١٦٠٠ سنة ١٢ يوما ١١ ولان ابن علوى ج ١ ص ١٢٢ (١) الذي يجعله مولده يوم الاثنين من سنة ٢٢٧ هـ / ٨٤٨ م لتكون وفاته وعمره ٥٢ سنة . ١٠٠ (٤٨٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٢ ، النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٣ . ١٠٠ وانظر فيما سبق ، ص ١١٥ .

وحسن سيرته ، ومطنته ، أنه قتل أهل البقي والمساد ، « وكان القوا
والتجار يسرون في الطرق آمين » (٤٨٨) .

وإذا كانت رواية ابن الأثير تبالغ عندما تقول أنه : « بني الحص
والمحارس على سواحل البحر ، حتى كان يوقد النار من سبته فيصل الخبر
الأسكندرية في الليلة الواحدة » ، مما يعني أن بغوذ إبراهيم السياسي
ممتدا بين طنجة والاسكندرية ، فهذا الأمر غير صحيح . وإذا كان ذلك به
أن النضامن بين المسالح والرباطات البحرية على طول سواحل البحر
المتوسط من الاسكندرية الى جبل طارق كان أمرا واقعا ، فهو الأمر المحتم
أما ما هو حقيقي ، فهو ما تؤكد الرواية من أن العرب كانوا يستخدمون
في ذلك الوقت المبكر من القرن الـ ٣ هـ / ٩ م ، الاشعارات الضوئية
الحاطب بين المحارس البحرية ليلا ، وهي الطريقة المعروفة حاليا بـ
« اشارات مورش » ، التي تستخدمها السفن في التخاطب فيما بينها .
اليوم .

ما بين الامور العامة وشئون الأمير الخاصة :

أما ما تقوله رواية الرقيق من أن التغير طرأ على أحوال إبراهيم بن أم
مد تعرضت بلاده الى غارة العباس بن أحمد بن طولون ، وأنه لما كفى مؤ
حرص على جمع الأموال ثم اشتد أمره ، فأخذ في قتل أصحابه وكفاته وحجا
ثم قتل ابنه وبنااته ، وأتى بأمر لم يأت غيره بمثلها (٤٨٩) ، فإن مـ
الرواية تحلط بين الامور العامة وشئون الأمير الخاصة .

(٤٨٨) أنظر ابن الأثير سنة ٢٦١ هـ ، ج ٧ ص ٢٨٦ - حيث تستشهد طعنة الأمير ابرا
ابن أحمد المظمية في اظهار خفايا « المصلات » . وذلك في قصة امرأة عجزت كاسخ متروك
قصر الأمير وتمزق عند أهل القصر بالصلاح . وكيف انها استجابت لنزوة طرات للوزير عـ
اشتبهت زوجة تاجر من أهل التبراد ، فاحتالت المعجور حتى وصلت الى بيت الزوجة العفيا
وكامات احسانها بالاستيلاء على حليها . وتروى القصة كيف استجاب الأمير لشكوى التاجر
وكشف حيلة المرأة ، وانتقم منها بقتلها ، ثم كيف أنه دبر التخلص من الوزير بعد ذلك
والحقيقة أن اهتمام ابن الأثير بتلك القصة ، وإن كان يخرج عن نطاق التأريخ العام ، ا
ربيعين موعا بين - التاريخ الغامض بالأمير إبراهيم . - مما يمكن أن يلقى بالاضواء على حقيقة ما
يحاك حول الرجل من المزامرات ، والتي وإن ظهرت صغيرة لمانها تعطي إدود فعله - الحقيقة ا
من - الشارقة .

(٤٨٩) النويري ، المخطوط ، ج ٢٣ ص ١٢٢ ب -

فحرص إبراهيم بن أحمد على جمع الأموال ليس من الأمور التي تؤخذ عليه ، وإن جرت العادة بأن يضج الناس ، من العامة والخاصة ، من جباية الضرائب التي سسمها الفقهاء في كثير من الأحيان يد « المفسارم » و « المظالم » .

مستبد مصلح : أثر الإصلاحات المالية :

والحقيقة أن الدولة الأغلبية كانت منذ نشأتها في حاجة إلى الأموال للانفاق على الجيوش ، وبناء المدن الملكية ، والمساجد الكبرى ، والمنشآت ذات المنافع العامة ، من : المسالح والمحارس والربط ، وصهاريج الماء والقناطر ، وغيرها . ومن أجل تنظيم ميزانية متوازنة لا تخضع لتقلبات الطقس والجو ، أو لمزاج زعماء القبائل ، كانت محاولات الأغلبة في تقرير ضرائب ثابتة للخراج ، تدفع نقدا ولا تؤخذ عينا من ناتج المحصول حسب النسبة المثوبة المقررة ، التي كانت تزيد وتقل تبعا لزيادة المحصول ولتقصانه . وهذا الأمر كان يعتبر من جانب الفقهاء خروجاً على الشرع ، وكان عامة الناس يستجيبون ، بطبيعة الحال ، إلى مقالة الفقهاء ، ويعتبرون ذلك نوعاً من الجور والظلم .

وفي هذا الإطار التنظيمي ، قام الأمير إبراهيم بإصلاحاته النقدية التي استهدفت إقرار النظام العشري - وهو النظام السائد الآن - ولا اعتبار لما ترتب على ذلك من الأصداء في أسواق القيروان ، وبين أهل العاصمة . ولقد تبين تفهم إبراهيم بن أحمد لأحوال العامة في رده اللين على مقاومة أهل القيروان لذلك الإصلاح النقدي حتى مر في هدوءه (٤٩٠) . وتتضح حسن سياسة إبراهيم إزاء الشعب وعامة الرعية مما يقال من أنه كان يعرف أن الرعية هم مادة الملك ، فإن أباح ظلمهم لم يصل إليه نفعهم ، ولحقه الضرر (٤٩١) .

عنف في سبيل هيبة الدولة :

أما عن عنفه مع المخالفين لأوامره ، من : كبار رجال الدولة ، ومن الخدم وأهل الخاصية ، أو وقوفه بصلاية وشدة ضد الخارجين على دولته ، من :

(٤٩٠) انظر فيما سبق ، من ١٢٩١ وم ٤٠٩ .
(٤٩١) التوقيف ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٣ .

القواد أو زعماء القبائل ، فلا يفسره الا حرصه على أن تكون كلمته ، أى كلمة الدولة ، هى الأولى والأخيرة . فلقد علمته التجارب أن ذوى الأقدار والأموال اذا أحسوا من أنفسهم قوة ، ولم يجمعوا ، لم يؤمن شرهم وبطهرهم . وأنه اذا كف الملك عنهم وأمنوا ، دعاهم ذلك الى منازعته واعمال الحيلة عليه (٤٩٢) .

وفى اطار هذا المبدأ السياسى ، الذى يعنى أن سلامة الدولة - أى سلامة الأمير - فوق كل اعتبار ، يمكن أن نفسر ذلك الجموح الذى ظهر منه فى قمع الثورات والقضاء على المتسببين فيها دون رحمة أو شفقة ، وكذلك تلك الشطحات التى ظهرت منه فى حق ابنه أبى الأغلب ، أو اخوته الثمانية الذين لم يتردد على سمك دمانهم ، وإن كان بشئ من الغلظة التى لا تتفق مع ما لرابطة القرابة والدم من الحرمة (٤٩٣) . ومثل هذا يمكن أن يقال عن بعض ما أوقعه بفتياناه وحرمة وقرابته ، من القتل والتعذيب والتنكيل .

اسرار القصور ، وأثرها على نفسية الأمير :

هذا عن بعض ما كان يحدث تحت شعار أمن الدولة وسلامة هيبتها . أما عن البعض الآخر ، فإن استقرار النصوص يمكن أن يدل على مسائل حساسة مما كان يمس أعماق خصوصيات ما كان يجرى بين فتيان البلاط ، وفى أجنحة الحرم فى قصور الأمير .

والدة ابراهيم : شخصية غارمة تقبع فى ظل الأمير :

فكثير من قصص العنف التى كان يطلها ابراهيم بن أحمد ، كانت فى الحقيقة من قصص الحرم ، وكان يطلها الحقيقى شخصية أخرى ، كان لها مقامها الكبير فى قلب الأمير ، وهى : « السيدة والدة » أمه .

الوالدة تعمل فى التجارة ، والأمير ينصف المتعاملين معها :

ويظهر من النصوص أن السيدة والدة ابراهيم كانت ذات شخصية غارمة ، وإن نفوذها لم يكن يحده نطاق الحرم ، بل كان يتعداه الى خارج حوائط القصر ورقادة ، فى : معاملات تجارية مع أصحاب القوافل وكيسار

(٤٩٢) التوبرى ، المخطوط ، ج ٢٢ من ١٢٣ - ١٢٣ ب -

(٤٩٣) التوبرى ، المخطوط ، ج ٢٢ من ١٢٤ - ابن هنادى ، ج ١ من ١٣٢ .

التجار . هذا ما يتصح من قصة الرجلين القيروانيين اللذين أتيا إبراهيم ابن أحمد ، وهو بمقصورة المسجد الجامع في القيروان ينظر الى المظالم .
 فعندما أدناهما من نفسه ، وسألها عن حالها ، قالا له : كنسا شريكين للسيدة ، - يعنيان أمه - في جمال وغيرها ، فاحتسبت لئنا ٦٠٠ (ستمائة) دينار . ولم يظهر الأمير الحاد المزاج - عادة - أية علامة من علامات الاستغراب ، بل أرسل خادما يسأل والدته عن الأمر . ورجع الخادم يخبره على لسانها : نعم ان الأمر ، كما ذكرنا : « الا أن بينى وبينهما حسابا ، وإنما احتسبت هذا المال حتى أحاسبهما : فإن بقى عليهما شيء ، والا دفعيت مالهما إليهما » .

ولا ندرى ان كان الأمير قد أعجب بوالدته التي تحسن ادارة الأموال ، وتدقق في حساب شركائها من التجار أم لا . وذلك أن رد فعله المباشر كان قسما ، وجهه الى والدته الصعبة في معاملاتها ، ينص فيه على أنها ان لم توجه بأمال الى أصحابه ، فإنه سيجعلها تقف في التور واللحظة مع خصمها بين يدي صاحب المظالم : عيسى بن مسكين . ولكنه بعد أن وجهت « الوالدة » بالمال اليه ، دفعه الى الرجلين ، لم ينس أن يقول لهما : « أما أنا فقد أنصفتكما فيما ادعيتما ، فاذها ، واقطعا حسابها ، والا فأنتمما اعلم » (٤٩٤) .

وأغلب الظن أن الرجلين عادا الى السيدة الوالدة يطلبان منها السماح فيما فعلاه من شكواها الى ابنها الأمير ، وحصولهما على مالهما ، مع التعهد بمراجعة الحساب في الوقت الذي تشاؤه السيدة .

دعوة المتظلمين الى مجلس الأمير :

وفي إطار هذه الصورة من العدل والانصاف ، كان إبراهيم يجعل ولده ورجاله يأمرون عبيدهم ورجالهم بالطواف في يوم الخميس في الأزقة والفتادق يسألون ان كان هناك شاك أو متظلم ، من : عبد أو وكيل . « فاذا وجدوا أحدا أتوا به الى دار ولد الأمير أو قرابته فينصفه » (٤٩٥) .

مآسى الخريم ومسئولية الوالدة وغيرها من النساء :

وان من كانت هذه سيرته في العدل في الرعية ، وهي السيرة التي

(٤٩٤) انظر التبريزي ، المخطوط . ج ٢٢ ص ١٢٢ .

(٤٩٥) التبريزي ، المخطوط . ج ٢٢ ص ١٢٢ - ١٢٣ ب .

ينوه بها ابن الأثير كثيرا ، كان من الغريب أن يقتل بناته الستة عشر جارية :
اللاتي تربتهن « السيدة » أمه حمية منه ، خشية ، عليهن حتى بلغن مبلغ
الشباب (٤٩٦) ، ثم الوصيفتين المهنيتين الموسيقيتين اللتين قسدتهم له
والدته - عندما دخل عليها في بعض الأيام ، فأحضرت له الطعام فأكل وشرب
وانبسط لثأنتسن بهما (٤٩٧) -

فمثل قصص الحريم هذه ، مما شاركت فيه الوالدة ، قد لا نستطيع
الحكم فيها لإبراهيم بن أحمد أو عليه ، طالما خفيت علينا أسرار تلك القصور
العجيبة ، التي كان يتردد عليها العجائز من النساء اللاتي يتظاهرن
بالفضيلة والصلاح ، ولا يترددن في المشاركة في مغامرات نسائية ، يساهم
فيها الوزير ، ويكون القصد منها غواية بعض الجميلات من نساء تجار
القيروان ، مما كان يسيطر إبراهيم بنفسه اللثام عنه ، ويجزى المشاركين
فيها بأقصى العقوبة - مما لمت انتباه ابن الأثير (٤٩٨) .

مثل هذه القصة الحساسة التي كانت تحاك أطرافها في قصر الأمير ،
إلى جانب قصص فتیان واحداث كانت تدور في القصور ، ولحمة نسيجها

وسداته أمور انحرافات مما يدور في المجتمعات المحلة (٤٩٩) ، وخاصة
عندما يتجمع الرجال وحدهم ، كما كان حال العتيان والخدم ، وكما كان حال
النساء وحدهن في مجتمع الجوارى والخدامات أو في أجنحة الحريم . فمثل
هذه الأمور الحساسة هي التي يمكن أن تفسر ردود فعل غير انسانية ، مما
كان يقوم به إبراهيم بن أحمد ، مثل : البناء على المذنبين حتى الموت جسوعا
وعطشا ، أو غلق أبواب البيوت الساخنة في الحمامات عليهم إلى أن يموتوا
خنقا (٥٠٠) . وغير ذلك مما قيل أنه لم يفعله أحد قبله .

تقييم أخير : خطيئة عصر :

والحقيقة أن الخطيئة لم تكن خطيئة إبراهيم بن أحمد ، بل كانت خطيئة

١٣٢ - ١٣٣ .
١٣٢ (٤٩٦) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٢ ب - ١٢٤ أ ، ابن عذاري ، ج ١ ص

(٤٩٧) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٤ ب -

(٤٩٨) أنظر فيما سبق ، ص ١٥٠ - ٤٨٨

(٤٩٩) أنظر النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٤ أ

(٥٠٠) أنظر النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٤ أ

هصر أو مجتمع بأسره . ونخص منه مجتمع القصور ، سواء في القصر القديم الذي بناه إبراهيم الأول ، أو في قصور رقادة التي بناها إبراهيمنا الثاني .
فهذا المجتمع الذي كان غارقا في النهو والشراب وحياة الحريم ، لم يكن وحده . فقد كان شديد الصلة بمجتمع القيروان المجاور حيث مسجد عقبة الجامع ، وحيث العلماء والعقلاء والعباد والزهاد والنسك ، من كانوا قدوة في حسن السيرة ، وجميل الأخلاق . وكان لمجتمع أهل الدين والنسك هذا أثره على مجتمع القصور اللاهي : حيث كان يوجه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

تمزق بين الخير والشر :

هكذا كان الأمير مزقا بين الحياة المترفة ، ان لم نقل الفاسدة ، التي كان يحياها ، وبين ما كان يستمع اليه . من الدعاء الى التقوى وعمل الخير . وكان تمزق الأمير هذا يظهر واضحا ، عندما يجد نفسه مضطرا الى المعاقبة على مفاسد من نوع التي كان يسمح لنفسه بارتكابها ، فكانت تأتي الشطحات المستغربة في القسوة غير المعتادة . ولا بأس في ذلك ، فإخلاقيات ذلك العصر — بل وربما كل العصور — كانت تسمح للأمير بما لا يسمح هو به لغيره من الناس ، ولو كان — في بعض الأحيان — أقرب الناس اليه ، وتلك هي الانانية أو هي الأنا أولا ، وربما ، وأخيرا أيضا .

وهكذا يكفي إبراهيم بن أحمد أن شهد له الكتاب خلال سنوات حكمه السبعة الأولى — وهي تساوى عهدا من عهود الكثيرين من أسلافه . وإذا كانوا قد رموه بالجور والظلم بعد ذلك ، فوزره تراكم النوازل مع مرور سنوات حكمه الطويل . ثم ان كفة الميزان رجحت الى جانبه في آخر الأمر : عندما تاب وأناب وقام بخير الأعمال ، ثم تزهد ولبس الحشن من الثياب ، ووهب نفسه بعد ذلك للجهاد ، في مطلع سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م .

وكان إبراهيم قد سلم زمام الأمور في رقادة الى ابنه أبي العباس بمجرد وصوله من صقلية ، وذلك في شهر ربيع الأول من سنة ٢٨٨ هـ / مارس ٩٠١ م ، وأخذ هو يعد نفسه للمسير الى صقلية . وهكذا بدأ أبو العباس عهده كنائب للملك ، أو وصي على العرش .

- ١٥٦ -

أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلبن إبراهيم
ابن الأغلبن ٢٨٩ - ٢٩٠ هـ / ٩٠١ - ٩٠٣ م :

نائب الملك : الفارس العالم :

يمكن اعتبار عهد أبي العباس الذي لم يطل إلا إلى حوالي سنة ونصف
السنة ، استمراراً لعهد والده إبراهيم . فقد كان أبو العباس عبد الله - أحب
أبناء إبراهيم إلى نفسه ، وكان أبوه يهيئه للملك من بعده . فقد رأينا أبا
العباس يقود الحملات العسكرية في مختلف الأقاليم ، قبل أن يعهد إليه
والده بالقيادة في صقلية .

وقى أخلاق أبي العباس الذي كان أحد الفرسان ، شجاعاً بطالاً غاملاً
بالحرب ، حسن النظر في الجدل ، وأستأذه في ذلك عبد الله بن الأشج (٥٠١) . ،
تقول رواية الرقيق : انه كان على خوف شديد من أبيه لسوء أخلاقه ،
فكان يظهر له من الطاعة والتذلل أمراً عظيماً ، فكان إبراهيم يكرمه ، ويفضله
على سائر أولاده (٥٠٢) .

إعادة النظر في أعمال الوالد الناسك :

وفي حلال العترة التي كان أبو العباس نائباً للملك فيها ، وبعد خروج
والده إلى صقلية في أوائل سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠١ م ، طالب بإعادة الأموال التي
كان أخرجها أبوه إلى الفقهاء ورجوه الناس ليفرقوها في المساكين ، والتي
كانت قد استؤكلت في معظمها ، وأعطيت لمن لا يستحقها ، وانعقت في
اللذات ، وصرفت في الشهوات (٥٠٣) وكان يقول لمشايخ المريمية : « اغتنمتم
الفرصة في المال لمرض الأمير أبي ، ومغيبى عنه » ، فرجع معظم المال
وعلا (٥٠٤) .

-
- (٥٠٢) التويرى ، المخطوط ، ح ٢٢ ص ١٢٥ ب ، وانظر ابن الأثير ، سنة ٢٨٩ هـ ج ٧
ص ٥٢٠ ، الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٧٤ .
(٥٠٣) انظر التويرى ، ح ٢٢ ص ١٢٥ ب ، ابن الأثير ، سنة ٢٨٩ هـ ، الحلة السيرة ،
ج ١ ص ١٧٤ ، ابن الحطيب ، أعمال الأعلام ، قسم ٣ ص ٣٦ - حيث النص على أن إبراهيم
ولاه عهده وصير إليه حاتمه ووزراءه ، وكتب له بذلك كتاباً مشهوراً .
(٥٠٣) انظر فيما سبق ، ص ١٤٨ وهـ ٤٨٢ .
(٥٠٤) ابن عذارى ، ح ١ ص ١٣٣ .

وهكذا عادت السنة قسّمت بسنة فطور ، بعد أن كانت سميت بسنة القدر . عندما رقع ابراهيم خراج الضياع عن أصحابها (٥٠٥) . وقدم أبو العباس بتغييرات في ولايات الأقاليم ، فعزل من أحب وكلى على الفور من أحب (٥٠٦) . فلقد عهد أبو العباس بولاية قضاء القيروان إلى محمد ابن الأسود الصديقي ، وجعل إليه الأحكام والنظر في العمال ونجاة الأموال ، فكانت الصديقي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . وعن قضاائه يقال إنه كان قويا فيه ، شديدا على رجال السلطان ، رفيقا بالضعفاء والمظلومين . ولما لم يكن الرجل واسع العلم ، فإنه كان يشاور العلماء ، فلم يقطع حكما إلا برأي ابن عبيدوق القاضي ، ولكن الصديقي لما كان ممن يظهرون القبول بخلق القرآن ، فإنه كان مكروها من العامة (٥٠٧) .

وفي خلال السنة هذه بدأت قوات أبي عبد الله الشيعي تظهر في بلاد الزاب وما حوالها ، حتى أنه نجح في أخذ مدينة ميعة ، مما جعل أبا العباس يسير إليه أخاه أبا عبد الله المشهور بالأحول وبأبي حوال (٥٠٨) ، الذي استعاد ميعة ، وأنزل هزيمة مريرة بالداعي ، كادت تتحول إلى كارثة . هذا ، ولو أن الأحول سوف يهزم في السنة التالية ، ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م ، أمام قوات أبي عبد الله الداعي ، وهو ما سنعالجه بشيء من التفصيل في الفصل الخاص بالدعوة العاطمية (٥٠٩) .

أبو العباس أمير :

ومع دخول سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م ، وقبل أن يصل إلى أبي العباس خبر وفاة والده في صقلية ، وكانت في ١٦ من ذي القعدة من العام السابق ٢٨٦ هـ / ٢٢ أكتوبر ٩٠٢ م ولا بأس أن يكون قد وصله خبر مرضه الشديد

(٥٠٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٣ - ويضيف ابن عذارى أنها سميت أيضا بسنة النجوم نظرا لتساقط النجوم في شهر ذي القعدة وقارن افتتاح الدورة للقاضي النعمان ، ص ٩٢ .
(٥٠٦) ابن عذارى ، ج ٢ ص ١٣٢ .

(٥٠٧) النويري ، المخطوط ج ٢٣ ص ١٢٥ - ١٢٥ هـ -
(٥٠٨) لأنه كان يكره هيبه إذا طال النظر ، كما قص رواية ابن الأثير (سنة ٢٩٦ هـ) ، وقارن ابن عذارى ، ج ٢ ص ٣٠٥ - والرواية تنص على أن الذي حرق أبا العباس من إرسال أبي حوال لقتال الشيعي هو فتح بن يحيى أمير منالته من كمينه الذي كان قد لجأ إلى الأبي الأعلى بعد قتال مرير مع الداعي - وانظر فيما بعد ، ص ٥٦٠ .
(٥٠٩) انظر فيما بعد ، ص ٥٥٩ - ٥٦١ ، في ٥٦٣ روما بها .

... كتب الى العمال ليأخذوا له البيعة ، على أن أباه فوض اليه الأمر ، وتحلى له عن الملك ، واشتغل بالعبادة (٥١٠) . وكتب الى العمال كتاباً يقرأ على العامة ، يعدم فيه الاحسان ، والعدل ، والرفق ، والجهاد (٥١١) .

أبو العباس يتنسك بدوره :

وعندما وصل أبا العباس ما وفاة والده من صقية ، تغيرت أحواله . وسمى ذلك تقول الروايات : انه أظهر التقشف ، ولبس الصوف ، وأظهر العدل والاحسان والابصاف والجلوس على الأرض ، وجالس أهل العلم وشاورهم . ولم يسكن أبو العباس قصر أبيه في تونس ، ولكنه اشترى داراً مبنية بانطوب فسكنها ، وكان لا يركب الا الى الجامع (٥١٢) .

والظاهر أن الشاب الذي كان يخشى أباه خشية عظيمة ، والذي كان يظهر له من الطاعة والتذلل أمراً عظيماً ، أصيب بصدمة نفسية ، كما يقال ، عندما عرف نبأ وفاة والده ومثله الأعلى ، مما يدل على أن خشيته لوالده وتذله لم يكن عن خوف ورهبة ، كما قال الرقيق ، بل عن حب عميق ، وتقدير في موقع القلب عظيم . وسمى ذلك دارت بهمات القوم تقول . ان أهل النجوم أمروا أبا العباس بذلك ، أو انه الملت به وموسومة (٥١٣) .

وشاية بولي العهد : زيادة الله ، تنهى بحجسه :

وسمى الى علم أبي العباس ، عن طريق بعض الوشاة ، أن اباه زيادة الله الذي كان في صحبة حده عندما توفي في صقلية ، والذي آلت اليه قيادة

(٥١٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٣ ، وقارن افتتاح الدعوة (ص ٩٢) حيث وفاة إبراهيم بن أبي ١٢ من ذي القعدة .

(٥١١) ابن الأثير في سنة ٢٨٩ هـ ج ٢ ص ٧٠٥ (ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٥) .
(٥١٢) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٥ ، ابن الأثير ، سنة ٢٨٩ هـ . وانظر افتتاح الدعوة (ص ١٤١) حيث يقول القاضي النعمان أن أبا العباس : « بعد لفيم وتواضع لهم ، وجلس في المسجد الجامع لظلاماتهم على حصر ، ونصب درة بين يديه » . هذا كما ينسب النعمان الى أبي العباس انه أراد أن يسترضي العامة من المالكية . فمزل قاضي الحمى محمد ، تصديقي الذي كان يقول يخلق القرآن واستغنى بدلا منه حماس ابن مروان اليمداني ، الذي كان مالكياً . والحقيقة ان ذلك تم على عهد زيادة الله ، كما يأتي (وانظر افتتاح الدعوة ، ص ١٤٦ - ١٤٧) .

(٥١٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٤ .

-٩٦٩-

المسكن هناك ، ينوى الخروج عليه ، واعتقد أبو العباس في الوثنية ، وأرسل إلى ابنه يستحثه على القدوم عليه بجوتس ، فلما قدم عليه زيادة الله في ٢٠ من جمادى الآخرة سنة ٢٩٠ هـ / ٢٠ مايو ٩٠٣ م قبض عليه ، وأخذ ما كان معه من المال والعتاد ، وحبسه في بيت داخل - دارة - هتو وبعض رجاله (٥١٤) .

مقتل أبي العباس بإيدي فتيانه :

وكان أبو العباس عندما فعل ما فعله من حبس ابنه زيادة الله كمن سعى إلى حتفه بطلقه ، فبعد شهرين وأيام من سجن زيادة الله ، وذلك في يوم الأربعاء ٢٩ شعبان / ٢٨ يولية ، دخل أبو العباس إلى الحمام ، ثم أنه خرج للراحة في دار خالية ، والظاهر أن الرجل الذي عرف بأنه كان شجاعاً بطلا ، عالماً بالحرب (٥١٥) ، كان يعيش في حالة شك وخوف من حوله ، أن لم تكن به وسوسة ، كما قال بعض الناس . وذلك أنه استلقى على سرير خزيران ، وقد وضع سيفه تحت رأسه ، وفلم بعد أن أخرج كل من كان في الدار باستثنائه فتيان من فتيانه الصقالية ، كان يثق فيهما . وبينما تقول رواية النويري أن زيادة الله هو الذي أغرى عدداً من خدمه ، الداه ليعتالوه (٥١٦) ، فلا بأس من الأخذ برواية ابن عذارى التي تقول أنه عندما نام أبو العباس ، تأمر الفتيان على قتله ، لتكون فرصة لهما يساعدان فيها زيادة الله على الملك ، ويفوزان بالخطوة عنده . وبعد أن نفذ الجريمة ، مضى إلى حيث كان زيادة الله محبوساً ، وأعلماه بمقتل والده . ولكي يتأكد من أن ليس في الأمر مكيدة ألقيا إليه بالراس ، ثم أتيا إليه بحداد كسر قيديه (٥١٧) .

وهكذا انتهى عهد أبي العباس عبد الله بن إبراهيم بن أحمد باعتياله .

(٥١٤) ابن عذارى : ج ١ ص ١٣٤ ، النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٥ ، ١ . وانظر ابن الأثير ، سنة ٢٨٩ ، ج ٧ ص ٥٢١ ، الذي ينسب إلى أن الله سبب حبسه لانيته زيادة الله . ما بلغه عنه ، وهو في صقلية ، من اعتكاله على اللهب وامعانه شرب الخمر (ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٥) .

(٥١٥) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٥ ب . وفي الشعر الذي قاله عن حروبه في صقلية انظر فيما بعد (من صقلية ، ص ٢٨٠) .

(٥١٦) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٥ ب ، ابن الأثير ، سنة ٢٨٩ ، ج ٧ ص ٥٢١ ، الحلة للسياسة ، ج ٩ ص ١٧٥ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٥ .

(٥١٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٤ ، النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٥ ، وقانق . ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، قسم ٣ ، ص ٢٧ .

في قصره بمدينة تونس ، في آخر شعبان من سنة ٢٩٠ هـ / ٢٨ يولييه ٩٠٣ م (٥١٨) ، بعد اماره لم تطل الى أكثر من سنة ونصف سنة ، منذ عهد اليه أبوه بالامر ، وما لا يزيد على نصف سنة منذ استقل بالامارة بعد وفاة والده ، قضاها بتونس . وألت الولاية الى ابنه زيادة الله الذي خرج من السجن الى سرير الملك لكي يختتم قائمة ملوك الاغالبة .

آخر الاغالبة : زيادة الله الثالث :

أبو مضر زيادة الله بن أبي العباس عبد الله بن ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب : ٢٩٠ - ٢٩٦ هـ / ٩٠٣ م :

ولاية ثمنها شراء القواد ، والغدر بالأعمام ، وقتل الاخوة والفتيان :

لم تتم ولاية زيادة الله الثالث بعد مقتل والده دون تدبير ، فقد كان هناك أعمامه ممن يمكن أن يشبوا عليه ، ويسبقوه الى الامارة . وهكذا لم يعش زيادة الله نبأ مقتل والده بل كتبه ، وأرسل الى بعض أصحابه ممن كانوا معه في حبس والده ، مثل : عبد الله بن الصائغ ، وأبي مسلم منصور بن اسماعيل ، ومن غيرهم ن مثل عبد الله بن أبي طالب ، وسألهم المشورة .

وأشارت عليه الجماعة بأن يرسل الى أعمامه يدعوهم ، ووجوه الرجال والقواد ، على لسان أبيه الى القدوم عليه في دار الامارة . ويقول روايه ابن عداري ، التي ينقلها عن عريب بن سعد ، أنه عندما وصل أعمامه ووجوه القوم ، دفع اليهم الصلات ، وأخذ عليهم البيعة . ثم انه أمر أن ينساق يتونس (٥١٩) يقدم من كان بيضا من الجند على باب الأمير . فلما ركبا بأسلحتهم أمر زيادة الله بادخالهم واحدا واحدا ، فكان الرجل منهم يبيع ويعطى خمسين مثقالا اذا كان من وجوه المسكر ، اما الرجال فانه أيقسام على بابيه (٥٢٠) . ثم انه أمر في نفس ذلك اليوم بكتاب بيعته ، وبعث به فقري على منبر المسجد الجامع بتونس . وبذلك تمت له بيعة الخاصة في آخر يوم من أيام شعبان / ٢٩ يولييه ، ثم انه أخذت له البيعة على العامة .

(٥١٨) القاضي المسان ، انتاج الدعوة ، ص ١٤٥ ، ابن الخطيب ، أعمال الإيعلام ، ص ٢٧ .

(٥١٩) ابن عداري ، ج ١ ص ١٣٥ ، قلنذ ابن الخطيب ، أصاليه الاسلام ، ص ٢٧٢ - ٢٨٢ .

(٥٢٠) ابن عداري ، ج ١ ص ١٣٥ .

- ١٦٢ -

من أهل تونس، في نفس اليوم ، وكتب الى العمال بالبلاد بأن يأخذوا له البيعة على من قبلهم(٥٢١) . وبذلك تمت بيعة الخاصة والعامة .

ولما قرب وقت العشاء أمر بالتداه في الجند أن يسردوا صباح اليوم التالي لأخذ عطياتهم . وبينما سمح لمن بايعه من أهل تونس ، وأعيان إجنادها بالانصراف ، فانه مظل عمومته في الانصراف عنه الى أن حل الليل . وعندئذ نفذ ما كان أشار به عليه أصحابه ، فقبض عليهم وكبلهم وأدخلهم في مركب من نوع الشيني ، ووكل بهم بعض ثقافته ليمضوا بهم الى جزيرة الكرات ، على بعد ١٢ (اثني عشر) ميلا من مدينة تونس . وهناك ضربت دقايمهم في الليلة الثالثة من شهر رمضان المعظم .

أما عن الجند الذين كانوا يترددون على بابه كل يوم فانه مطلبهم ، حتى : « بردت قلوبهم وملوا الاختلاف الى داره »(٥٢٢) .

واستمرت سلسلة القتل والذبح التي بدأ بها زيادة الله الثالث ملكه ، فأمر بقتل الثنتين الصقليين اللذين قتل والده ، وأنزل بهما عقوبة المفلسين في الأرض ، فأمر بقطع أيديهما وأرجلها ، ثم صلبهما على كل من باب القيروان وباب الجزيرة ، من أبواب تونس(٥٢٣) .

هذا وتنص الرواية على أنه لم يستثن من مذبحه أعمامه أبا الأغلب : عه الزاهد الساكن بسوسة ، فقتله هو الآخر . ومما يثير عجب الكتاب ما فعله زيادة الله بأخيه أبي عبد الله الأحول (أبي حوال) ، الذي كان يقاتل أبا عبد الله الشيعي في الزاب ، فقد أرسل اليه فتاة « فتوح » الرومي في ٥٠ (خمسين) فارسا يطلب منه القدوم عليه ولا يتخلف . فلمسا أقبل

(٥٢١) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٣٥ .

(٥٢٢) ابن عذاري ج ١ ص ١٣٥ ، وقارن النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٥ ب - الذي يقول انه أرسل من اخوته وبني عه ٢٩ (تسعة وعشرين) رجلا الى جزيرة في البحر يقال لها جزيرة الكرات فقتلوا في شهر رمضان من هذه السنة ، وأنظر ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ج ٨ ص ٢١ : حيث يقول على الجملة انه قتل من قدر عليه من أعمامه وأخوته وقارن الناسي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص ١٤٦ -

(٥٢٣) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٣٥ - ١٣٦ ، وقارن النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص

١٤٥ ب ، افتتاح الدعوة ، ص ١٤٥ . ابن الخطيب ، أفعال الأعلام ، قسم ٢ ص ٤٨ .

- ١٦٢ -

الأحول عن طريق بلزمة - الى زيادة الله أمر به فقتل ساعة وصوله (٥٢٤) .
فكان ذلك أعظم فتح عند الشيعة ، كما تقول رواية التويرى (٥٢٥) . هذا ،
كما قتل ابن القياد ، اذ اتهمه بأنه هو الذى أشار على أبيه بتأديسه
وحبسه (٥٢٦) .

نتائج فاشلة لمقدمات تعسة :

وهكذا ، اذا كانت النتائج عادة ما تكون منبسجة مع المقدمات ،
فالمفروض أن تكون نهاية عهد يبدأ باراقة الدماء بهذا الشكل غير الواعي ،
هو الفرق في الدماء أيضا ، وإن كان ذلك على يدى الداعي : ممثل الفاطميين
الذى أصبح زعيم قبائل كتامة .

والمهم أن أهم ما يبرز من الأحداث التى تسجلها خوليات افريقية على
عهد زيادة الله الثالث الذى لم يطل الا الى أقل من ست سنوات ، هو
انتصارات الشيعة المتوالية على قوات الأغالبة ، وما يقع خلالها من عزل
قاض أو تولية عامل أو وفاة فقيه . وذلك الى جانب المحاولات اليائسة في
سبيل وقف المد الفاطمي ، من : الاتصال بالخلافة ، أو تحريض الفقهاء أو
عامة الشعب على الفاطميين الشيعة ، ثم نقل مركز الدولة الى مكانه الطبيعي
في القيروان ورقادة .

وينتهى الأمر بياس الأمير الذى لم ينقعه انغماسه فى اللهو والشراب ،
ولم يجد له ملجأ الا الهرب الى مصر ، تاركا بلاده وقصوره الى الشيعة
مودعا بفضب الشعب وبسخطه على الأسرة التى لم تستطع أن تصون النعمة
أو أن تدافع عن حماها .

احكام نظام الدولة وترتيب الدواوين :

والمهم أن زيادة الله الأخير بدأ تنظيم دولته ، التى كلفتها حياة وال
والعشرات من اخوته وبنى عمومته وأهل بيته ، بأن عهد لمس . ا
الأولين ، وهما : عبد الله بن الصانع ، وأبو مسلم منصور بن اسماعيل

(٥٢٤) ابن هذاري ، ج ١ ص ١٣٦ ، افتتاح الدعوة ، ص ٤٦ . ابن خلدون ، ج
٢٠٦ -
(٥٢٥) التويرى ، ج ٢٢ ص ١٢٦ . وقارن ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ج ٨ ص ١١
(٥٢٦) ابن هذاري ، ج ١ ص ١٣٦ .

يامهم دواوين الدولة . فكان من نصيب ابن الصائغ الوزيرة والبريد ، ومن نصيب أبي مسلم ديوان الخراج (٥٢٧) . والظاهر أنه ولي الخراج بدلا من العامل السابق ، هذيل النفطي ، الذي قتل في السنة التالية (٢٩١ هـ / ٩٠٤ م) ربما بعد محاسبته على ما كان بين يديه من الأموال (٥٢٨) .

ولكي يكتسب زيادة الله تأييد الشعب ، ويرضى فقهاء المالكية عزل قاضي القيروان الحنفي الذي كان ، رغم عليه وفضله ، مكروها من الناس بسبب قوله يخلق القرآن ، وولي قضاء العاصمة الى حماس بن مروان بن سالك الهمداني ، الذي عرف بالورع وبعلمه بمذهب مالك وأصحابه . وكانت فرصة استقلالها زيادة الله فكتب كتابا الى القيروان قرىء على الناس . وفيه : اني عزلت عنكم الجافي الجلف المبتدع المتعسف ، ووليت القضاء حماس بن مروان : لرافته ، ورحمته ، وطهارته ، وعلمه بالكتاب والسنة (٥٢٩) . وحقق حماس ما كان يأمله الناس فيه ، فعدل في أحكامه ، ولم يكن يهاب أحدا في ولايته ونظره (٥٣٠) .

ولكي يؤكد زيادة الله سلطانه قام في السنة الثانية من حكمه (٢٩١ هـ / ٩٠٤ م) بتعيين ابنه محمد وليا لعهده ، وكانت مناسبة لأخذ البيعة له من جديد مع البيعة لولي العهد (٥٣١) .

أما عن وظيفة عامل القيروان ، فبعد أن عين فيها : علي بن أبي الفوارس في نفس سنة ٢٩١ هـ / ٩٠٤ م ، عاد وعزله بأحمد بن مسرور المشهور بالخال (٥٣٢) .

الصراع ضد أبي عبد الله الشيعي : محاولات جادة بدون طائل :

وفيما يتعلق بالحرب ضد أبي عبد الله الشيعي ، فقد عهد زيادة الله

(٥٢٧) ابن عذاري . ج ١ ص ١٣٦ . النويري . المخطوط . ج ٢٢ ص ١٢٥ ب .

(٥٢٨) أنظر ابن عذاري . ج ١ ص ١٣٦ .

(٥٢٩) النويري : المخطوط . ج ٢٤ ص ١٢٠ ب . ابن عذاري . ج ١ ص ١٣٦ . وقارن الانتاج الموهبة . ص ١٤٦ - ١٤٧ - حيث ينسب ذلك الى أبي الجباس والى زيادة الله في عهده .

(٥٣٠) ابن عذاري . ج ١ ص ١٣٦ .

(٥٣١) ابن عذاري . ج ١ ص ١٣٦ .

(٥٣٢) ابن عذاري . ج ١ ص ١٣٦ - ١٣٧ .

بقيادتها - بعد قتل أخيه الأحول (أو أبي حوال) - الى قريبه ابراهيم بن أبي الأغلب ، كما كرس لها المزيد من عنايته ، ولكن دون جدوى . وذلك أن أبا عبد الله ، الذي كان قد انتهى من ادخال معظم قبائل كتامة في الدعوة ، وجعلهم في شكل جيوش نظامية حسنة التدريب ، ملزمة بالطاعة ، أخذ يتطلع الى المدن الأعليية غير البعيدة من بلاد كتامة ، وهو الأمر الذي فصله القاضي النعمان في رسالة افتتاح الدعوة ، بطريقة منه .

فقد أثبت المؤلف الفقيه ، في تلك الرسالة ، أنه مؤرخ من النوع الموهوب ، المطلع على بواطن الأمور - وهذا ما يفسر كيف أن الرسالة المنقبية ، أصلا ، أصبحت المصدر الرئيسي الذي أخذ عنه كبار المؤرخين ، من المشاركة والمغاربة ، مثل : ابن الأثير ، الذي يكاد يكتفي بتلخيصها ، وابن عذاري الذي يعتمد عليها الى حد كبير ، وإن كان يضيف إليها اضافات هامة من مصادر لم تصل الى أيدينا بعد ، مما يأخذ بوجبة النظر المقابلة لرأي النعمان .

وبناء على ذلك فقد استخدمنا « افتتاح الدعوة » في الفصول التي خصصناها ، فيما بعد ، لقيام أبي عبد الله بالدعوة في بلاد كتامة والصراع مع الأغالبة . والذي يؤخذ على رواية القاضي النعمان أنها قد التزمت بحدود الدعوة الفاطمية ، لا تخرج عنها الى ما يحيط بها من أحوال الأغالة ، والأوضاع الداخلية في إفريقية الا الى حد محدود . ولذلك فقد اقتضى المنهج أن نعرض للموضوع خلال سياق عرضنا لأحوال الأغالة هنا ، كما يعرضها ابن عذاري ، مكتفين بالإشارة الى « افتتاح الدعوة » . وإذا كان عيب هذا المنهج أن الحقيقة التاريخية تظهر فيه وكأنها ذات وجهين ، وهذا ما لا نماري فيه - والحقائق نسبية على كل حال - فإن من محاسنه ظهور الأحداث منسجمة مع مقدماتها ، في كل من وجهي الواقع التاريخي . ويتبقى على المؤرخ استخلاص النتائج النهائية عند المقارنة بين كل من الوجهين .

والهم أنه في السنة الثانية من ملك زيادة الله (٢٩١ هـ / ٩٠٤ م) نجح الداعي أبو عبد الله في الاستيلاء على كل من مدينتي ميله وسطيف ، مما أثار الدهر في غفس الأمير الأغلبى (٥٣٣) -

التطلع نحو الخلافة شرقا ، والحسينيين في الغرب :

والظاهر أن قيادة الله أخذ يطلع الخلافة في بغداد على مجريات الأمور في إفريقية عسى أن يخرج تلك الحرب من نطاقها المحلي ، بتدخل الخلافة التي يمكن أن تهيئ لها مساندات من خارج إفريقية . فهذا ما يمكن فهمه مما دعه قيادة الله عندما سير ، في نفس السنة ، الحسن بن حاتم رسولا من قبله إلى الخليفة المقتدر ، يهديها وطرفا (٥٣٤هـ) ، إلا إذا كان يهدف من اتصاله بالخلافة أمرا إثنائيا ، كزيادة تأكيد ملكه باقرار الخلافة له ولو بطريقه معنوية ، وهو الأمر الوارد أيضا ، ولكن في ثنائيا الموضوع الأكبر ، المتمثل في الخطر الكتاني .

والى جانب ذلك حاول زيادة الله أن يوثق صلته بالحسينيين ، أقارب الأدراسة في المغرب الأوسط ، حتى يساعده في مقاومة الكتامة ، فأقر الحسن بن أبي العيش على رئاسة قبائل جراوة ، وذلك بعد وفاة والده أبي العيش (٥٣٥هـ) . ولم نعرف قبل ذلك أن الحسينيين كانوا يدينون بالطاعة للأغلبية .

تعبئة الرأي العام في إفريقية ضد الشيعي :

ويؤيد فكرة أن مسألة الشيعي وخطر كتامة أصبحت الشغل الشاغل لقيادة الله ، ما قام به الأمير من دعوة فقهاء إفريقية إلى حيث كان يقيم في تونس . ووصل عدد كبير من فقهاء إفريقية إلى تونس ، واجتمعوا في بيت الوزير عبد الله بن الصائغ ، ولكن بصفته صاحب الشرطة أو رئيس الاستخبارات ، كما نقول الآن . وأننا نباحثهم في أمر الشيعي أخبرهم ابن الصائغ ، على لسان الأمير : ان « هذا الصنعاني (نسبة إلى صنعاء) الخارج علينا مع كتامة ، يلعن أبا بكر وعمر - رضا - ويزعم أن أصحاب النبي - صلعم - ارتكبوا بعده ، ويسمى أصحابه : « المؤمنين » . ومن يخالفه في مذهبه : « الكافرين » ، ويبيع دم من خالفه في رأيه » (٥٣٦هـ) .

وكان من الطبيعي أن يكون رد الفقهاء على مثل هذا الخبر : اظهار

(٥٣٤) ابن عذاري . ج ١ ص ١٣٧ .

(٥٣٥) ابن عذاري . ج ١ ص ١٣٧ .

(٥٣٦) ابن عذاري . ج ١ ص ١٣٧ .

اللعنة على الشيعي والبراءة منه ، وتحريض الناس على قتاله ، والفتوى
بجاهدته (٥٣٧) ، فكانه من الكافرين ، في نظرهم ، هو الآخر .

هدية الى الخليفة :

والظاهر ان زيادة الله كان يأمل خيرا في خلافة بغداد ، بدون ان يقدر
ما كانت تسير اليه من الضعف والوهن في ذلك الوقت . فالمكتفى ولى في
سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م والقرامطة ، اخوة الفاطميين ، يشيرون الاضطراب في
الشام ، بل وفي العراق ايضا . والمقتدر الذي ولى في سنة ٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م
انتهى به الامر أولا الى الخلع سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م ، قبل ان يقتل على يدي
رئيس الحرس التركي ، وان كان فيما بعد سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م : فبعد
اجتماع العقهاء ، ارسل زيادة الله هدية عظيمة الى الخليفة المكتفى ، فيها ٢٠٠
(مائتا) خادم ، وخيل ، وبز كثير وطيب ، ومن اللبؤذ المغربية (قماش
صوف غليظ) ١٢٠٠ (الف ومائتان) . وكان بضمن الهدية عشرة آلاف
درهم ، في كل درهم عشرة دراهم (٥٣٨) ، وعشرة آلاف دينار سكت
خصيصا للخليفة ، اذ كان وزن الدينار منها عشرة مثاقيل ، أى عشرة
دنانير .

والذى قد يهنا أكثر من ذلك هو انه كتب في كل مثقال من تلك
المثاقيل بيتين من الشعر ، يقولان :

ياسائرا نحو الخليفة قل له ان قد كفناك الله أمرك كله
بزياة الله بن عبد الله سيف الله من دون الخليفة سله (٥٣٩)

فكانه يريد ان يقول للخليفة انه يقاتل الشيعي باسمه ، وتحت
راياته السوداء . ونحن نظن انه ، وهو يقول انه يكفى الخليفة العباسي حروبا
هذه في الجبهة الافريقية ، انما كان يبغى تأييد الخليفة المعنوي ، على الأقل ، ان
لم يكن المادى - وهو التأييد الذى لا يكون الا من مصر القرية . وهذا ما لم
تفكر فيه الخلافة - نظريا فقط - الا بعد هرب زيادة الله الى مصر ، بل وبما
اخرجوه من مصر ، وهو في طريقه الى بغداد (٥٤٠) .

(٥٣٧) ابن عسارى ، ج ١ ص ١٣٧ .

(٥٣٨) انظر الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٧٨ ، والرواية منسوبة الى الصولي في « كنا

الوزراء » .

(٥٣٩) الحلة السيرة ج ١ ص ١٧١ ، ابن عسارى ، ج ١ ص ١٣٧ .

(٥٤٠) انظر فيما بعد ، ص ١٨٤ .

نقل العاصمة الى رقادة : وعيث وقت الجند :

أما أهم ما قام به زيادة الله ، من الناحية العملية ، في مواجهة الخطر
الكتامي ، فهو إعادته لمركز الدولة من تونس المتطرفة الى القيروان ورقادة ،
ليكون قريباً من مركز الأحداث ، أي جبهة القتال في الزاب ، وإن كانت
رواية الرقيق التي ينقلها النويري تظهر أكثر تشاؤماً : إذ تقصر الثقل من
تونس الى رقادة بال خوف من أن يسير اليها الشيعة ويأخذها في غفلة من
الأمير (٥٤١) .

ففي مطلع سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م وصل وزير المال ، صاحب الخسراج ،
أبو مسلم منصور بن اسماعيل بن يونس الى رقادة لاصلاح القصور الملكية
بها ، ورفع ما كان قد وهى من المدينة (٥٤٢) ، كما جدد سورها (٥٤٣) .

والظاهر أن الأمر لم يقف عند الأعمال العمرانية الضرورية للسكنى
أو للدفاع عن المدينة ، إذ أنشأ أبو مسلم مركباً على الماغل الكبير المعروف
بالبحر ، وسماه بـ « الزلاج » (٥٤٤) . وفي شهر ربيع الآخر من السنة /
فبراير ٩٠٥ م ، قدم زيادة الله من تونس الى رقادة ، ونزل في قصره المواجه
للمصهرج الكبير (٥٤٥) ، الذي كان يعرف بقصر « العروس » ، كما عرف
بقصر البحر ، والذي نسب إيشاؤه اليه ، ربما بهذه المناسبة (٥٤٦) - حتى
يتمتع بالإقامة فوق ماء الماغل في ذلك الزلاج .

وهكذا لم تمنع جدية الموقف المخرج من انصراف الأمير الى التمتع
بمباهج الحياة - ولو أن ذلك لم يمنح الأمير من رقابة عماله ، وكان أول
فرانس مجيئه الى منطقة العاصمة ، هو : والى القيروان أحمد بن مسرور
المشهور بالحال ، الذي وإن لم يعزل من منصبه ، فإنه أدب فضرب ، وطوف
به بمدينة القيروان مخشياً على بقل باكاف (٥٤٧) .

(٥٤١) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٨ ب .

(٥٤٢) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٣٧ .

(٥٤٣) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٥ ح - حيث لما زلزالها زيادة الله صر سورها .

(٥٤٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٨ - حيث ذكر الرواية القيروان بدلاً من رقادة .

(٥٤٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٨ .

(٥٤٦) انظر فيما سبق ، ص ١١٧ .

(٥٤٧) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٨ .

الإعداد الجلى حرب الداعي :

وهكذا كان زيادة الله يجتهد فعلا في مواجهة الخطر الذى يتهدد دولته ، وكانت عودته الى القيروان علامة جيدة على صحة عزمه . فبدأ بحشد أبطال الرجال من أحرار العرب والموالى من الجند ، كما أخذ فى جمع السلاح والآلات الحرب . ولا شك فى أن أخبار اعدادات زيادة الله هذه ، وحشد جيش يبلغ ٤٠ (أربعين) ألف رجل (٥٤٨) ، كانت تفصل أولا بأول الى أبى عبد الله الشيعى الذى ارتاع ، كما تقول رواية ابن عذارى ، وأخذ فى حشد كتامة (٥٤٩) .

موقعة خاصرة قرب قسنطينة :

ولقد التقى الجيش الكبير الذى أعده زيادة الله تحت قيادة ابراهيم ابن حبشى ، فى سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م ، بحشود كتامة التى قادها الداعي ، غير بعيد من مدينة قسنطينة (٥٥٠) . وانتهت الموقعة العظيمة ، التى قطاعن فيها القوم بالرمح حتى تحطمت ، وبالسيف حتى تكسرت ، بانفزام ابراهيم وجنده الأغلبى . وتقول الرواية ان ابراهيم ورجاله لم ينجوا الا بفضل ما تركوه من المغانم التى انشغلت بها كتامة ، من : الأموال والسلاح والسروج والحيل حتى اغتنى أصحاب الشيعى من أولى مغانمهم هذه : فلبسوا أثواب الحرير ، وتقلدوا السيوف المحلاة (٥٥١) .

وكان للإمام العاطى عبيد الله المهدي ، الذى كان مستخفيا فى سجلماسة ، قرب وادى درعة من صحراء المغرب الأقصى الجنوبية ، حيث بنى مدارج الجوارح الصفرية ، نصيبه من تلك المغانم ، من : الحرير

(٥٤٨) ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ج ٨ ص ١٥ .

(٥٤٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٨ - حيث يشير أيضا الى بساطة أوضاع الداعي الشيعى الذى لم يكن له ديوان للجند النظامى . بل كان : « يكتب الى رؤساء القبائل ، فيحشدون من يلهم طاعة له ورغبة فيه » . وكان الداعي يكتب الى ابن يكتب لهم : « الوعد - يوم كذا مر موضع كذا » . بينما صرح صلوح بن يديه ، « حرام على من تخلف » . وهذه الكيفية لم يتركها خلفه - بعد - كتامة حتى اجتمع له منهم بما لا يحصى كثرة - وعن تنظيمه قبل عيادته لأهواز سنة ٤٠٠ نظر في كتابه بعدة في الدجوة الفاطمية - ص ٥٥٣ - وما بعدها .

(٥٥٠) أنظر الفتاح الدرة ، ص ١٥٧ . ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ج ٨ ص ١٥ .

وفى الدرة الفاطمية . فبدأ بعد . ص ٥٦٤ وهـ ٨٢٢ : حيث تختلف الروايات فى اسم المكان فى ما بين : كبونة ، وكيونة ، وكيونة .

(٥٥١) ابن عذارى ، ج ١ ص ٨٢٨ .

والدنانير التي لا يوجد لها مثيل في ذلك البلد (٥٥٢) .

نتائج الهزيمة: معنويات متدنية في الجيش الأغلبى :

أما عن نتائج المعركة - التي وقعت في تلك السنة (٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م) التي ولد فيها واحد من أشهر مؤرخي المغرب ، هبوس مجيب ابن يوسف الوراق القيرواني (٥٥٣) - فتلخصت في ازدياد قوة الشيعة من ناحية ، ووقوع الهمم على أهل إفريقية ، ودخول الجوزع في قلوبهم ، من ناحية أخرى (٥٥٤) . والحقيقة انه منذ تلك الوقعة أصبح الصراع بين الأغلبية وبين الشيعة ومن معه من كتامة ، عبارة عن سلسلة من الهزائم المتتالية للجند الأغلبى ، لا يعرف زيادة الله لها من علاج . وفي هذا المجال لم تعد مجدى حتى كتب الخليفة الواردة من بغداد ، والتي كان يحدث فيها الخليفة أهل إفريقية على ضرورة زيادة الله ومحاربة الشيعة ، والتي كانت تقرأ في المساجد على الناس ، كما حدث بالنسبة لكتاب الخليفة المكتفى بالله الذي ورد الى القيروان في السنة التالية ، وهي سنة ٢٩٣ هـ / ٩٠٦ م (٥٥٥) .

تخبط زيادة الله في اختيار الرجال :

ويتضح من تفاصيل الأحداث أن الأمور اضطربت على زيادة الله الأخير حتى ضاقت به السبل ، ولم يجد من يلجأ اليه من الرجال ، في سبيل انقاذ ما يمكن انقاذه ، الا أولئك الذين كان قد أساء اليهم بالأمس القريب ، ممن كان الحق يملأ قلوبهم عليه .

فبعد هزيمة جند ابراهيم بن حبشى ، التي خسر فيها الجيش كل عتادة وامتنعته جهاز زيادة الله في سنة ٢٩٣/٩٠٦ م التالية ، جيشا سيره الى الأبرسي - القربية - لمحاربة الشيعة ، وكان ثقة على رأس ذلك الجيش ، همما :

(٥٥٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٦ ، وقارن افتتاح الدعوة ، ص ١٥٨ - حيث توجد
تفاصيل واقية عن المعركة . لخصنا في الدعوة الفاطمية ، فيما بعد ، ص ٥٦٥ - ٥٦٦ .
(٥٥٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٩ .
(٥٥٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٩ .
(٥٥٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٤٠ ، وقارن افتتاح الدعوة ، ص ١٧٤ ، ١٧٨ ، والنظر
على الدعوة الفاطمية فيما بعد .

مدنح بن زكريا ، وأحمد بن مسرور الحال . وأحمد بن مسرور « انتهى كان يشغل منصب والي القيروان ، رأيناهم يربو طار إلى خشيته ، في الستة السابقة ، وهو يطوف به في سباط القيروان بعد أن ضرب بأمر زيادة الله . أما زميله مدنح فكان زيادة لله قد نازعه في منية كانت له تعرف به « الجليدية » ، وانتهى النزاع بأن حكم القاضي - حماس بن مروان ضد مدنح ، مما جعله يحقد على الأمير .

وهكذا خرج الرجلان بأمر زيادة الله من أجل « جهاد الشيعي » ، يوم الاثنين ٢٠ جمادى الثانية / ٨ ابريل ، وهما يضمران الحلاف . فقد رجعا بالعسكر إلى القيروان بعد ثلاثة أيام ، يوم الخميس ١٣ من نفس الشهر / ١١ ابريل (٥٥٦) ، وهي المدة التي لا تسمح الا بالذهاب إلى الأريس والعودة منها فقط : وإذا كان القائدان ومن معهما من الجنود قد رضوا لأنفسهم بالجلب والخنوع ، فإن ذلك ما لم يرض به غسوغاء القيروان الذين خرجوا إليهم يدفعونهم ، ويدفعونهم دفعا إلى القيام بواجبهم ، حتى انتهى الأمر بأن كبا بمدنح فرسه ، فقتل من ساعته ، كما قتل معه واحد من وجوه عسكره ، هو : ابن بربر ، ووصلب الاثنان في التو واللحظة على باب رقادة من أبواب القيروان (٥٥٧) .

الأريس - على أبواب القيروان - ثغرا ، ومقرا مؤقتا للأمير وحاشيته :

وبذلك أصبحت مدينة الأريس - على مسيرة يوم أو يومين من القيروان - وكأنها ثغر إفريقية في مواجهة الشيعي ، بينما القتال ما زال ، يمد ، بعيدا في الزاب ، حيث باغاية وطبنة ، وإن كانتا على وشك السقوط . واضطر زيادة الله إلى الخروج إلى الأريس ، التي صارت مركز القيادة ، حيث اجتمع الكثير من العسكر ، طمعا في العطاء وليس رغبة في القتال . وفي ذلك تقول الرواية إن الأمير كان يعطي هناك الأموال جزافا بالصحف فكان يعطي للرجل ملء الصفحة دفنير في كسائه ، ثم يحمل على فرس ، ولكنه كان يخرج فلا يرى بعدها أبدا (٥٥٨) .

(٥٥٦) ابن خلدون ، ج ٢ ص ١٤٩ .

(٥٥٧) ابن خلدون ، ج ١ ص ١٣٩ - ١٤٠ .

(٥٥٨) ابن خلدون ، ج ١ ص ١٤٠ .

ما بين الجدل والهزل في مركز القيادة :

ولم يلبس الأربس خلط زيادة الله أجند بالهزل مرتين معاً . فبدلاً من أن تكون مجالسه ، في القاعدة العسكرية ، متناسبة مع واقع الحال ، سمع لنفسه بعقد مجالس المناظرة . وقد لا يكون في الأمر غرابة ، لأول وهلة ، فالرواية تقول : انه عندما قدم عليه أبو يعقوب اسحق بن سليمان الأسرائيل المتطبيب من المشرق ، بصحبة أبي الحسن بن حاتم ، رسوله الى الخلافة في سنة ٢٩١ هـ / ٩٠٤ م ، عقد مجلساً للمناظرة في علوم الأوائل . وكان موضوع المناظرة ، الذي كان على العالم القيرواني ابن حنيس المعروف بانيوناني ، مناقشته مع الطبيب الاسرائيل الرافد من العراق ، هو : موضوع العلاقة بين المدركة والحلاوة ، من وجهة النظر الفلسفية المحضة . ولكنه عندما بدأت المناقشة العلمية العميقة تحتد ، اتضح أن أميرنا اللامبي لا يحسن الاستماع الى مثل هذا الجدل الراقى ، فقد تملكه الضحك الشديد أثناء الجدل ، مما يحل على الظن أنه لم يكن يعقد مثل هذا المجلس الا من أجل المراحة . وهذا ما شهد به اسحق المتطبيب ، اذ قال عن مجلس زيادة الله هذا : انه قليل الوقار ، كثير اللهو (٥٥٩) .

ولمهم أن زيادة الله نجح في توجيه المسافر الى باغاية ، أما طنبنة عاصمة الزاب فشحنها بالرجال والعتاد ، وقدم عليها حاجبه : أبا المقارع الحسن بن أحمد بن نافذ ، يعاونه شبيب بن أبي شداد القودى ، وخفاجة العيسى ، وهم من المعروفين ، من أهل البسالة والنجدة ، وأمرهم بشن الغارات من طنبنة على أرض كتامة (٥٦٠) .

استيلاء الداعي على بلزمة وطنبنة :

ومع أن رواية ابن عسافى تقول ان الحسب دارت سجالاً بين الفريقين (٥٦١) ، فإن تكملة الرواية - التي قطعتها بعض الأحداث المعارضة (٥٦٢) ، لا تدل على صحة هذا القول . ففي نفس هذه السنة

(٥٥٩) انظر تفصيلات الموضوع في ابن عسافى . ج ١ ص ١٤١ .

(٥٦٠) ابن عسافى ، ج ١ ص ١٤٠ - حيث القراءة : ابن نافذ بدلاً من ابن نافذ ، وشبيب بدلاً من شبيب . ولقد أخذنا برواية افتتاح الدعوة - انظر فيما بعد ، ص ١٤٥ .

(٥٦١) ابن عسافى ، ج ١ ص ١٤٠ .

(٥٦٢) ينظر قولنا في مقدمة الدراسة الى محمد بن عبد الله المعروف بابن شبيب . ولم نعلم لهم عليه عوداً ، وما كان فيه من اللطافة . ولكن لأنه كان محسوب الوزير صاحب التهمة ضد الدولة

(٢٩٣ هـ/٩٠٦ م) تقلب أبو عبد الله الداعي على مدينة بلزمة ، ثم على عاصمة الزاب ، طينة ، التي دخلها بالأمان ، في آخر ذي الحجة (٢١ أكتوبر ٩٠٦ م) . ولما كان بطينة أبو المقارع الحسن بن أحمد حاحب زيادة الله ووالي المدينة تبع صاحبيه شيب القمودي ، وخفاجه العيسى (٥٦٣) ، فان ذلك يعني أن أهل البسالة والنجدة لم يغنوا شيئا . وحسب للكتاب أن يعتبروا القضاء على القيسية من العرب في بلزمة ، الذين كانوا يذليون كتامة ، وذلك على عهد ابراهيم بن أحمد ، بمثابة أول حبل طرأ على دولة الأغالبة (٥٦٤) .

حرب الدعاية تسير جئبا الى جئب مع القتال :

أبو عبد الله يلقي نظام الضرائب الأغلبى ، ويعلن العودة الى السنة في طينة :
والظاهر أن أبا عبد الله الشيعي كان قد اكتسب قلوب الناس في الزاب ، بفضل دعايته الذكية ، مما يتعلق بالسعوة الى الرجوع بالاسلام الى نقائه الأول على عهد الرسول . فهو - في طينة - يرفض أموال جباية العشور التي تقدم اليه ، حسب انتظام الضرائب الثابت ، على أساس أنها من المغارم ، ويقول : « انما العشر حبوب ، وهذا عيني » ، ويأمر بأن يرد على كل رجل ما أخذ منه ، ويقول : « سنة العشور معروفة » (٥٦٥) . وهو يقول لمن آواه مال الحراج . هذا مال لا خير فيه ، ولا قبالة ، ولا خراج على المسلمين في أموالهم - ثم يأمر ثقات أهل طينة برده على أهله (٥٦٦) .

وهكذا سر به أهل طينة ، ورجوا أن يستعمل فيهم الكتاب والسنة .

عبد ابن الصايغ ليس الا (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٤٠) أو قدوم أمير يعقوب اسحق بن سليمان الاسرائيل المطبوع على زيادة الله في الارمن وعقد مجلس المناظرة المذكور .
(٥٦٣) انظر ابن عذاري ، ج ١ ص ١٤٠ ، وقارن افتتاح الدعوة الذي يلخصه ابن الأثير (سنة ٢٩٦ هـ) حيث الرواية التفصيلية التي لا يسيبها الا أنها غير مؤرخة . وهي تجلس القاطنة . فيما بعد ، ص ٥٦٥ - ٥٦٦ .
(٥٦٤) انظر فيما سبق ، ص ١٣٦ وهـ ٤٣٥ .
(٥٦٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٤١ - وهو « يناقش في المال الآتي من جباية اليهود »
(٥٦٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ٤١ وهو « يناقش في المال الآتي من جباية اليهود والنصارى ، لأن سنة الرسول كانت تقضى بأن يؤخذ من المال دوحا . ومن المتوسط ٢٤ دوحا . ومن القليل ١٢ دوحا . ولا يقبله الا من أن يعترف أنه آتته حسب الترف الذي كان يتخله من - وضعه ، فيقول : هذا مال طيب . ويأمر أحد الدعاة بتفريقه على أصحابه .
(٥٦٦) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٤٢ .

عن هذا الطريق ، انتشر قعله في جميع نواحي افريقية ، فتاقت أنفس الناس اليه ، وكاتبوه ، ودخلوا في طاعته ، ، مما زاد في غم زيادة الله (٥٦٧) .

زيادة الله يحاول اكتساب أهل قسطنطينية (قوز) برفع الظلم عنهم ، فيسئ إلى عماله :

في هذه الظروف الصعبة لم يكن من الغريب أن يستجيب زيادة الله في مطلع سنة ٢٩٤ هـ / ٩٠٦ م ، وهو في الأربس ، إلى تظلم أهل قسطنطينية من قاضيهم محمد بن مفرج المعروف بابن الشاعر ، فيكتب إلى عامله هناك بعزله وتخشيبه ورفعته إلى بابه . وتقول الرواية أن كتاب زيادة الله وصل إلى قسطنطينية والعامل غائب في بعض مصالحه ، فلما تبسّط بعض القوم الذين رجعوا عليه إلى مجلس القضاء الذي كان فيه ، فسبوه وهموا بالبسط إليه ، فأمر غلمانه بأخذهم وضربهم ، وقيدهم وحبسهم ، ولكنه لمسا قدم العامل ، وعرف ما في الكتاب ، أوثقه حديدا ، وخشبه ، ووجهه إلى زيادة الله ، فضربه بالمرة ، وحبسه ، وذلك للنصف من المحرم (٥ نوفمبر) .

ولا بأس في أن يكون زيادة الله قد أراد ألا يتقرب بهذا العمل من أهل قسطنطينية فقط ، بل أنه كان قد أتى به على أنه عمل من أعمال الخير والقربى من الله ، عسى أن يجعل له فيه مخرجا من محنته .

محاولات لاستعادة الزاب :

ابن حبشى يخرج بقواته إلى طيبة :

وذلك أنه في اليوم الذي كان يضرب ابن الشاعر قاضي قسطنطينية ، وهو مختبئ ، في الأربس ، أتى في ١٥ محرم سنة ٢٩٤ هـ / ٥ نوفمبر ٩٠٦ م ، خرج إبراهيم بن حبشى يصاحبه للاقاة أبي عبيد الله الشيعي بميدنة طيبة (٥٦٨) ، وأغلب الظن أن الأمر كان مجرد صدفة . ومع أن الرواية لا تعرفنا بما حدث لذلك العسكر ، هذه المرة ، فمن المعروف أنه لم يكن بأسعد حظا من المرات السابقة ، ان لم يكن قد ذهب للقلد الشيعي على الإطلاق .

(٥٦٧) ابن عسلى . ج ١ ص ١٤٣ .

(٥٦٨) ابن عسلى . ج ١ ص ١٤٢ .

هرون الطنبى يسير الى بلزمة :

هذا عن رواية ابن عذارى ، أما رواية القاضى النعمان ، فيفهم منها أن ريادة الله وجه جيشا آخر الى بلزمة ، وأن قيادة الجيش الذى بلغت عدته ١٢ (اثنى عشر) ألف رجل كانت الى هرون الطنبى ، أخى زيادة الله الطنبى ، والى باغاية . وكان مصير تلك الحملة هو الهزيمة . ومقتل قائدها هرون (٥٦٩) ، كما كان من نتائجها سقوط مدينة تيجس (٥٧٠) .

ومما يرجح وقوع كل من حملتى ابراهيم بن حبشى ، وهرون الطنبى فى نفس الوقت ، أى فى أوائل سنة ٢٩٤ هـ / أواخر سنة ٩٠٦ م ، هو اتفاق كل من ابن عذارى والقاضى النعمان فى نتيجة الحملتين . فبينما يقول ابن عذارى أن زيادة الله انصرف من الأربس فى تلك السنة الى رقادة ، بعد أن استخلف على الجيش بالأربس قريبه ابراهيم بن أحمد بن أبى عقاب ، وأنه بدأ بناء سور مدينة رقادة « بالطوب والطوايى » (٥٧١) ، يزيد النعمان تلك الرواية ايصاحا ، فيقول انه بعد مقتل هرون اغتم ريادة الله كثيرا ، وقرر الخروج بنفسه الى لقاء الداعى ، ولكنه بعد أن احتل مع أهل القيروان بالخروج الى الأربس ، عاد واستمع الى نصيح الناصحين له بلا يفعل ذلك : فهزيمته ، لو وقعت ، لن تكون كمثل هزيمة قواده ، فرجع الى قصره برقادة (٥٧٢) .

بداية النهاية : تحصين رقادة والانصراف الى اللهو :

وكان تجديد سور وقادة يعنى بداية النهاية ، اذ يبدأ الكتاب فى القول ان زيادة الله انصرف منذ ذلك الحين الى دفن هومه فى العبت واللهو . فالتزم التنزه على البحر ، وهم يقصدون الجلوس وسط المايسل الكبير ، المعروف بالبحر ، فى المركب المعروف بالزللاج . كما التزم اتباع اللذات ومناذمة الميارين والشطار والزمامرة والضراطين . وهم يقولون انه كان

-
- (٥٦٩) افتتاح الدعوة ، ص ١٦٤ - ١٦٦ ، وقارن ابن الخطيب . الاعلام ، قسم ٣ - ص ٤٠ (حيث الاسم هارون بن الطنبى ٩) -
 (٥٧٠) افتتاح الدعوة ، ص ١٦٧ - ١٦٩ ، وانظر فيما بعد فى الدعاية الفاطمية ، ص ٥٦٧ -
 (٥٧١) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٤٢ -
 (٥٧٢) افتتاح الدعوة ، ص ١٧٨ - ١٨١ - وانظر فيما بعد . فى الدعاية الفاطمية ص ٥٦٩ وما بعدها .

إذا فكر في غلبة عدوه على أكثر مواضع عمله ، يقول لندعائه : « املا واسقني من القرن يكفيني » (٥٧٣) .

الى غير ذلك من الأخبار التي تدخل في أخص خصوصيات القصور ، مما لا يليق ذكره فضلا عن عمله . وهذا ما يفسر كيف أن مثل هذا النظام المبني على المظاهر الخداعة ، ما كان يمكنه بأي حال من الأحوال ، أن يقف أمام دعوة كثامة : دعوة العودة الى مجتمع الاسلام في ثقائه الأول (٥٧٤) . وفي هذا المقام يذكر الكتاب أنه كان إذا أظهر زيادة الله الغم بأمر الشيعي أخذوا له في استسلي ، وكان مما غنته جارية له ذات يوم ، هذان البيتان من الشعر ، اللذان كان لهما صدق عميق في نفسه .

اصبر ندهر سال منك فهكذا مضت الدهور
فرح ، وحزن مسرة لا الحزن دام ولا السرور (٥٧٥)

ووسط الأنبياء المضحكة الميكية . يستعفى قاضي القيروان الورع حماس ابن مروان ، ويقبل استعفاؤه ، ويولي عوضا عنه والي رقادة : المغفل الجاهل . محمد بن عبد الله بن جيمال ، محسوب الوزير صاحب الأخبار عبد الله بن الصائغ ، ويظل في منصبه الى أن يهرب زيادة الله (٥٧٦) .

(٥٧٣) ابن عداري ج ١ ص ٤٢ - وقارن امتحان الدعرة . ص ١٨٢ - حيث يشرح القاضي النعمان أن هذه الكلمات كانت بيتا من الشعر يقنى في دور في مجلس شرب زيادة الله . وأن أحد سمائه له سند سوط بالنهاية . هذا بالإضافة الى ما يروونه عن كلفه بعض العلما ، وما كان من وجده عليه . وما كانت تقوم به بعض الجوارى من اصلاح فانه البين بينهما . وما قالته من الشعر مثل .

يا أيها الملك الميسون طائر
كم ظا التجلد والاحشاء خافقة

وقفا فان يد المشوق فوق يده
أعبد كلك ان تسطو حل كبدك

ابن عداري . ج ١ ص ١٤٣ . وقارن الحلة السرا . ج ١ ص ١٧٧ - حيث ينسب أبيه الأبلر تلك الرواية الى أبي بكر محمد بن محمد الصول في كتابه « الاخبار المشهورة » ، ولعله يقول أن القلام السجل كان يدعى خطابا ، وأن زيادة الله تقش اسمه في السكة ، وأنه منسج على قيد يقيه من ذهب ، وأن ذلك الشعر الذي غنته الجارية كان من نظم الوزير صاحب البريد والشرط : عبد الله الصائغ - وانظر فيما بعد . ص ٥٧٠ و ١٤٠ -

(٥٧٤) انظر فيما بعد ، في قيلم الدعوة القاطنة . من دعوة أبي عبد الله التي تجلت من الدين أساسا لتنظيم الجماعة (جماعة المؤمنين) . ص ٥٥٣ .

(٥٧٥) ابن عداري . ج ١ ص ٢٤٣ .

(٥٧٦) ابن عداري . ج ١ ص ١٤٣ .

التفكير في الرحيل الى مصر سنة ٢٩٤ هـ / ٦ - ٩٠٧ م :

وجاء سقوط باغاية بالأمان في شهر شعبان سنة ٢٩٤ هـ / ماية ٩٠٧ م (٥٧٧) ، بعد أن كاتبه أهلها (٥٧٨) ، يعلن نهاية النهاية . فعندما طلب زيادة الله المستورة من وزيره وصديقه القديم . عبد الله بن الصائغ ، الذي كان يعرف دقة الموقف بصفته صاحب البريد ، كما كان يعرف ضعف أميره ، صحبه بالرحيل الى مصر سرا ، على أن يستخلف على افرقية قائدا يجعل اليه امر المساكين ، ويترك له الاموال . وراقت الفكرة للأمير الذي كان يهرب من الغم الى اللهو والعبث ، وأمر بشراء خمسمائة جبل لرحيله ، ولكنه طهر له خطأ هذا الرأي وخشى قيام الناس عليه ، وتوراتهم به ، فتوقف عن تنفيذه (٥٧٩) .

ويفهم من الرواية أن الذي بين له خطأ فكرة الهرب هو قائد جيوشه وابن عمه ابراهيم بن حبشي بن عمر ، الذي تعرض له وادخله اجمل قصره في رقادة ، وهو قصر البحر المشرف على الماغل العظيم وجعله يتمتع فيما كان فيه من الزخارف والصور ، وأفهمه أن مل هذا المنزل لا ينبغي أن يهجر أو يترك للأعداء . وضرب له المثل بما فعله جده الذي ظل مقيما بانقصر القديم الذي لا يقارن أبدا بقصره البديع ، وصبر فيه على الطعسات أعواما كثيرة ، وقد أبغضه جل أهل بنده . وقام عليه رؤس حمله . فبقي مقيما فيه ، وضابطا له حتى أظهره الله عليهم . ومكثه منهم « (١٠) » .

واطمأن زيادة الله أكثر عندما قال له ابراهيم بن حبشي انه أكثر مالا من جده ، وأن أهل البلاد معه ، بينما عدوه الشيعة شيخ مجهول غريب عن كتابة ، وأنه في حصن منيع ، وأن النصر معه بحول الله . وهكذا أجعل زيادة الله مشروع الهرب فصار يرسل الرجال والاموال الى الأربس ، التي أصبحت أقصى تغوره ، فكانت خيل أبي عبد الله الشيعة تغير على الأربس من باغاية ، وخيل زيادة الله تغير على باغاية من الأربس « (٥٨١) » .

(٥٧٧) ابن حنابل ، ج ١ ص ١٤٢ .

(٥٧٨) انظر افتتاح الدعوة ، ص ١٨١ - ١٨٢ ، وتلخيص ابن الأثير سنة ٢٩٦ هـ . ج ٨

ص ١٥ - حيث يفهم أن سقوط باغاية كان في سنة ٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م .

(٥٧٩) ابن حنابل ، ج ١ ص ١٤٢ .

(٥٨٠) ابن حنابل ، ج ١ ص ١٤٤ ، وعن اضطراب البلاد على أيام ابراهيم التمار .

لقد . انظر فيما سبق ، ص ١٣٦ و ٤٣٨ .

(٥٨١) ابن حنابل ، ج ١ ص ١٤٤ .

ماتم القيروان يكاد ينقلب عرسا :

زيارة سفير القسطنطينية :

وبينما كانت رقادة تتخذ وضع التاهب لكل طارئ، أو حدث ، وبينما أهل القيروان يتوجسون خيفة ، وينشرون المنس حول مدينتهم ، ويعيشون في الاخيبة المضروبة حولها ، كان على ذلك المنظر الذي يكاد يشبه الماتم أن ينقلب الى حفل عرس أو فرح .

في ذلك الوقت عاد حبشي وابن أبي حجر وابن عباس ، وهم : رسل ريادة الله الى بلد الروم ، ومعهم رسول صاحب القسطنطينية (٥٨٢) . وكان على ريادة الله أن يحتفل بالسفير ، الاحتفال اللائق بملك : افريقية والمغرب ، رما وراء البحار من صمليه وقلوريه (كلايريا) ، وغيرها من المواضع في إيطاليا وسواحل المريج . وهكذا استقبل رسول قيصر الروم بما يليق به هو الآخر من الحفاوة . فكسى وأقيم له حفل كبير في الملعب القديم القريب من رقادة . وحشد ريادة الله الناس والعساكر للمباهاة بهم ، فكان جمعا عظيما ، (٥٨٣) .

عودة ريادة الله الى مدينة تونس في أول سنة ٢٩٥ هـ / ٩٠٧ م :

وهكذا عاشت كل من رقادة والقيروان ما بين الخوف والرجاء ، وظلت الاستعدادات طراسه العاصمة على قدم وساق ، مجددا زياد الله الحشد ، وكان يرغب الناس في الانضمام الى الجندية بالاموال (٥٨٤) . ولكنه اذا كانت أحداث سنة ٢٩٤ هـ / ٦ - ٩٠٧ م الخاصة بتحسين القيروان ورقادة تنتهي بأن يعين ريادة الله في شهر شعبان (مايو ٩٠٧ م) ابن قروم في حجابته (٥٨٥) ، فان أحداث سنة ٢٩٥ هـ / ٧ - ٩٠٨ م تبدأ بخروج ريادة الله في شهر المحرم (أكتوبر ٩٠٧ م) الى مدينة تونس ، ليحاول ترويق أمور فيها ، كما تقول الرواية (٥٨٦) . وهو الأمر الذي يعنى الكف عن مواجهة الاخطار المحدقة بالقيروان .

(٥٨٢) ابن هذاري . ج ١ ص ١٤٤

(٥٨٣) ابن هذاري . ج ١ ص ١٤٤

(٥٨٤) ابن هذاري . ج ١ ص ١٤٤

(٥٨٥) ابن هذاري . ج ١ ص ١٤٤

(٥٨٦) ابن هذاري . ج ١ ص ١٤٤

جولة كبرى لأبي عبد الله يجتاح فيها ما بين مجانة وقمودة :

وإذا كانت رواية ابن عذارى تكتفى بالإشارة إلى الجفاف الذي حل بمنطقة القبروان ، حتى قام القاضي محمد بن جيمال لصلاة الاستسقاء في يوم الاثنين ٦ ربيع الأول (١٤ يناير ٩٠٨ م) ، ثم عزل ابن أبي الوليد عن الصلاة بتعيين ابن يزيد كصاحب الصلاة مكانه في منتصف ربيع الآخر (٢٣ يناير) . وذكر أهم وفيات علماء البلاد وفقهائها في نفس السنة (٥٨٧) ، فإن رواية النعمان التي يلخصها بن الأثير تسجل للداعي انتصارات متوالية خلال سنة ٢٩٥ هـ / ٧ - ٩٠٨ م . من ذلك . افتتاحه لمدينة مجانة عنوة وقتل عاملها ، وملك مدن . قصر الإفريقي ، ونيفاش ، وقالة . وتأتي بعد ذلك المسيرة المظفرة إلى مسكيانة ، وتبسا ، ومديرة (حيدرة) وممرامجه (قرب الحدود التونسية الجزائرية الحالية) . ومجانة والفصرين (من أفليم قمودة الذي تعتبر القبروان على تحومه ، حتى ظن إبراهيم بن أبي الأغلب أن الداعي قرر المسير إلى رقادة بعسها) .

والغريب في الأمر أنه بعد تلك المسيرة المظفرة ، أو النزهة العسكرية كما يقال ، رجع أبو عبد الله الشيعي ، عبر قسطنطينية ، إلى ناغدة . ومنها عاد إلى قاعدته ، دار الهجرة ، في إيكجان (٥٨٨) .

الاستيلاء على قسطنطينية ، وبلاد الجريد :

وتأتي سنة ٢٩٦ هـ / ٨ - ٩٠٩ م لتكون آخر السنين في عمر الدولة الأغلبية فيها وصلت حيل الشيعي من جديد إلى قسطنطينية حيث انهرم أبو مسلم منصور بن اسماعيل صاحب الحراج السابق ، ومعاونيه شيب : ابن أبي الصارم ، واستحبا إلى مدينة توزر ، حيث تبعتهم الحيل الكتامية إلى هناك ، وهي تحرق القرى وتفسد ما تمر به من الزروع والنعم . واتبع الداعي الاستيلاء على توزر بالاستيلاء على قفصة ، عاصمة بلاد الجريد (٥٨٩) . وكانت تلك مفاجأة فاحا بها الشيعي الجند الأغلب ، بعد شهرين كان قد أوقف خلالها أصحابه عن الغارات حتى ظن الأغلبة أنه مريض ، بل حتى

(٥٨٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٥٨٨) انظر افتتاح الدعوة ، ص ١٩٢ - ١٩٦ . وقارن ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ،

ج ٨ ص ١٥ - وفيما بعد ، ص ٥٧٣ .

(٥٨٩) انظر فيما بعد ، ص ٥٧٥ .

- ١٧٩ -

قالوا : انه قدحات (٩٠) ، وقد ظنوا أن الفرّج قد جاءهم من حيث لم يحتسبوا .

رد فعل اليم في العاصمة :

ولقد كان لعودة نشاط فرمان أبي عبد الله الشيعي ، بعد ذلك السكوت ، أثرا عميقا في قلب زيادة الله الذي هاله الأمر وراعه ، بل وفي مدبأ أهل الحاضرة التي ارتجت ، فاضطربت أحوال البلد ، وخيم اليأس على الناس الذين خافوا على ذرائعهم وأهلهم من السبي والاسترقاق . أما عن معارني زيادة الله الرئيسيين ، وهما : الوزير ابن الصائغ ، وصاحب الخراج أبو مسلم ، فقد فسدت الحال بينهما عندما ألقى ابن الصائغ سبب سعاد الدولة على أبي مسلم .

ومع أن الرواية تشير إلى خدمة أبي مسلم أيام إبراهيم بن أحمد (٩١) ، عندما كان ابن الصائغ كاتباً له ، حيث يمكن أن يكون القصد من تلك الإشارة هو مذبحة عرب بلزمة ، في سنة ٢٨٠ هـ / ٩٣ - ٨٩٤ م ، التي قيل أنها كانت سبب انقطاع الدولة الأغلبية ، فمن الواضح أن ابن الصائغ كان يقصد سعاد الدولة بسبب انهزام أبي مسلم الأخير في قسطنطينية . فلقد انتهى الأمر بأن كتب زيادة الله إلى قائده شبيب بن أبي الصارم معانين أبي مسلم بتورر . يأمره بضرب عنق هذا الأخير . وتقبل الشيخ الحكم ، وهو يتحسر على أن يكون هذا جزاءه بعد خدمته وبلائه (٩٢) .

الجولة الأخيرة : سقوط الأربس :

وأخيراً جاء سقوط الأربس في ٢٤ من جمادى الآخرة سنة ٢٩٦ هـ / ١٨ مارس ٩٠٩ م ، يعلن نعي الدولة الأغلبية بعد أن انهزم إبراهيم بن أحمد ابن أبي الأغلب في عساكر إفريقية وجمهور أجنادها الذين بلغوا ٤٠ (أربعين) ألف رجل ، ودخل الشيعي المدينة بالسيف عنوة (٩٣) .

(٩٠) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٤٥ ، وانظر فيما بعد ، ص ٥٧٦ .

(٩١) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٤٥ .

(٩٢) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٤٦ - وربما كان أبو مسلم يأمل على نتيجة زيادة الله بقتل صومته وأخوته ، عندما قال لشبيب لو أنه لم يصحبه بذلك وشغله بهم ، ما فار عليه من قبله ما حار .

(٩٣) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٤٦ . التورر ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٦ ل . التحلة السيرة ، ج ١ ص ١٧٥ ، ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ج ٨ ص ١٧٠ - حيث ينس عن الصببر -

وانتهت هزيمة الجيش الأغلبى الكبير بمذبحة كبرى فى مسجد الأرب
الجامع حيث فرغ الناس وفلول بعسكر ، وهم يركبون بعضهم بعضا .
شك أن رواية ابن عذارى ، تبلغ فى عدد من قتلهم كتامة بأمر أبى عبد
الشمسى فى الجامع ، اذ تقول : « انه قتل داخل المسجد ثلاثين ألف رجل
وكان قتلهم من بعد صلاة العصر الى آخر الليل ، وأن الدماء كانت تن
من أبواب المسجد ، كما يسيل الماء من وابل الغيث » (٥٩٤) . ومن المقبول
يكون عدد القتلى ثلاثة آلاف ، كما يقول ابن الأثير (٥٩٥) .

ولم يبق عسكر الشيعى فى الأربس : فعندما أصبح الصباح ، روقد فر
أصحاب أبى عبد الله من القتل والنهب والسبى ، نادى بالرحيل عائدا
اتجاه قاعدته فى مدينة باغاية .

وتفسر الرواية الأغلبية ذلك بأنه خشى أن يحاشد عليه أهـ
اقرية (٥٩٦) ، وهو الأمر الذى لم يعمل به زيادة الله الذى يأس نهائيا
مواصله النضال . وحق للأمير أن ييأس طالما أن معنويات رجاله كانت
انحطت الى درجة أنهم فروا فى معركة الأربس بمجرد أن صاحت صاح بين
بوجود كمين للشيعى ، فى الوقت الذى كانوا أكثر من ند لكتامين (٥٩٧)
وهذا ما قد يفسر كيف أن أبا عبد الله ترك الأربس عائدا نحو باغاية - هـ
المره - خشية عودة الجند الأغلبى ، وإن كانت طريقته فى الحرب دائما
الضرب بعنف ثم فك الالتحام .

زيادة الله يعد العدة للرحيل :

والهم أن زيادة الله أسقط فى يده عندما بلغه نبأ الهزيمة يوم سقر
الأربس ، وتأكدت له نهاية ملكه . ومع أنه كان قد قرر الرحيل وأخـ

= النمان فى افتتاح الدعوة . ان حند أبى عبد الله بلغوا ٢٠٠ (مائتى) ألف فارس -
أصحاب زيادة الله كانوا ٤ ي حصون عددا . وانظر فيما بعد فى قيام الدعوة الفاطمية .
٥٧٧ وما بعدها .

(٥٩٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٤٦ .

(٥٩٥) ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ، ج ٨ ص ٢٥ .

(٥٩٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٤٦ - ١٤٧ . وقارن رواية القاضي النمان فى اذ
الدعوة . حيث تفصيلات المعركة . ولها يقول ان النمان انسحب فى طريق قبوطة وقسط
(ص ٢٠١ - ٢٠٥) - وانظر فيما بعد ، الدعوة الفاطمية ، ص ٥٧٩ وما بعدها .

(٥٩٧) ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ، ج ٨ ص ٤٥ - حيث يلخص افتتاح الدعوة .

يستعد له ، فقد رأى أنه من حسن السياسة أن يفعل ذلك خفية من أهل القيروان . وهداه تفكيره السليم إلى أن يعلن أن الأبناء آمنه بالنصر ، وأن يرسل إلى السجون أمرا بضرب أعناق خصومه من المحبوسين ، على أن يطاف برؤسهم في القيروان وفي القصر القديم (٥٩٨) .

والظاهر أن قصده من ذلك كان شغل أهل العاصمة بمواكب قتلاه ، بينما كان يجمع أثقاله وأمواله ، ويرسل إلى خاصة رجاله وأهل بيته يهرقهم الحال ، وينذرهم بالخروج معه (٥٩٩) .

أما الوزير صاحب البريد : عبد الله بن الصائغ ، فقد أراد أن يجرب عملية انقاذ أخيرة ، فكذب خبر انتصار الشيعة ، وأعلن على أبواب رقادة أن الأمير بعد حشدا جديدا ، وأنه سيكافئ الرجال مكافأة جزيلة : للفراس عشرون دينارا ، وللراجل عشرة دنانير (٦٠٠) ، وهو ما لا يقارن بما كان يعطى بالصحاف من قبل . وأشار الوزير على زيادة الله بالمقام ، وطمانه إلى اجتماع العسكر حوله ، وأن عليه أن يخرج العطاء (٦٠١) .

وانت النتيجة عكسية تماما بالنسبة لتلك المقدمات التي قام بها ابن الصائغ : « فاهل القيروان بدر اليهم سوء الظن ، وعلموا أن الدائرة كانت على أصحاب زيادة الله وهاجوا فيما بينهم ، وجعلت الخاصة وأهل الخدمة يفرون من رقادة (٦٠٢) » . وأما رد فعل زيادة الله بعد أن ألح عليه الوزير كثيرا ، فكان اتهام ابن الصائغ بالتآمر عليه ، ومواجهته بصدق ما كان يقال عنه من أنه كان يكاتب الشيعة (٦٠٣) ، وهو الأمر الذي نفاه بشدة أبو عبد الله ، فيما بعد (٦٠٤) .

فرار ماساوى :

وهكذا ، وفي هذا الجو المأساوى - جو انهيار نظام وقيام نظام ، حيث

-
- (٥٩٨) التويرى : المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٦ ب .
 - (٥٩٩) التويرى : المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٦ ب .
 - (٦٠٠) ابن طائرى : ج ١ ص ١٤٦ .
 - (٦٠١) التويرى : المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٦ ب .
 - (٦٠٢) ابن طائرى : ج ١ ص ١٤٧ .
 - (٦٠٣) التويرى : المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٦ ب .
 - (٦٠٤) التويرى : المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٨ ب .

يختلط الحابل بالنابل ، كما يقال ، وحيث ترتفع رؤوس وتنخفض هامات في دوامة التغيير الحنيف - أخذ زيادة الله في شد الأموال والجواهر والسلاح ، وما خف من الأمتعة النفسية . وكذلك فعل رجاله . ثم انه انتخب من عبيده الصقالبة ألف خادم ، وجعل على وسط كل واحد منهم ألف دينار . وفي ليلة الاثنين ٢٥ جمادى الآخرة / ١٩٦ مازس وهي الليلة التالية لورود النبا العظيم ، تواجد مع أصحابه على الرحيل ، وتقنذ سيفه ، وقدم الأحمال تمر بين يديه ، وقد حمل من يمز عليه من جواربه وأمهات أولاده . وبدأت القافلة الملكية الحزينة مسيرتها وسط عويل الأعداد الكبيرة ممن كان قد تركهم في قصوره من الجوارى والحريم ، ونحيبهم (٦٠٥) .

واتخذ المركب الذي كان يهتدى في مسيرته ليلا بالمشاعل طريق المنشرق ومصر وتبعه الناس قوما بعد قوم . وكانت المحطة الأولى التي توقف فيها هي مدينة طرابلس التي أقام فيها أكثر من أسبوعين (٦٠٦) .

عمليات النهب تبدأ بالوزير :

وخلال تلك الفترة تأكد لزيادة الله غدر وزيره ابن الصائغ ، الذي كان قد دبر الهرب بأهله وحشمه وأمواله ، مع بعض أحمال من المال اقتطعها لنفسه من بيت المال ، وذلك في مركب كان قد أعدها لذلك ، وكان قصده الالتجاء إلى صقلية . ولكن لسوء طالعها ألقت الرياح بالمركب إلى مساحل طرابلس ، حيث وقع فريسة سهلة بين يدي زيادة الله الذي انتقم منه ،

(٦٠٥) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٧ أ - وانظر ابن عذاري ، ج ١ ص ١٤٧ - ١٤٨ ، حيث يقول : انه خرج هاربا على عيون أهله وجرمه وولده . ومن المناظر الرقيقة التي يثيرها الكتاب ، ما قامت به إحدى جواربه ، ممن تركهن ، وقد أخذت عودا ووضعت على صدرها ، وغنته لتحركه على حملها منه ، فقالت :

لم أس يوم الوداع موقفها	وجلتها في دموعها غرق
وقولها والركاب سائرة	تتركنا سيدي وتنطلق
استودع الله طيبة جزعت	للبن والبن فيه لي حرق

فسمعت حينما زيادة الله عند سماعها . وتختلف النهاية : فتقول رواية ابن عذاري ان سوء المؤلف وضيق الحال شغله عن حملها منه . بينما تقول رواية النويري انه أمر بحمل حل مال عن بقل وحملها عليه ، وهو ما يأخذ به ابن الخطيب (الاعلام ، قسم ٣ ص ٤٤) . (٦٠٦) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٤٨ ، النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٨ ب - حيث يقول انه أقام هناك ١٧ يوما .

- ١٨٣ -

بتحريض من كانوا معه ، فقتله (٦٠٧) .

نهب رقادة :

أما عن مدينة رقادة فقد نهبها الناس صبيحة خروج زيادة الله . ورغم ما تقوله رواية ابن عذارى ، من : أنهم أخذوا من بقايا أموال بني الأغلب ومتاعهم ، وصنوف الآتية من الذهب والفضة مثالا يخطط به وصف ؛ فالظاهر أن ما كان قد بقي في قصور رقادة من المتاع لم يكن الا قليلا . وربما كانت رواية التويرى أدق ، اذ تقول : ان الناس بعد أن عرفوا بهروب زيادة الله ، أسرعوا الى رقادة ، وانتهبوا ما فيها ، واحتلوا على قصور زيادة حتى صاروا الى البحث في المطاعم ، وانتزاع حديد الأبواب ، وحمل الأسرة ، ونقل الماعون (٦٠٨) . وهذا لا يسع من أن تكون هذه المنهوبات القليلة القيمة سببا في نزاعات بين الناس ، وأن يرجع القوى منهم لياخذ من الضعيف ما سبقه اليه ، كما يقول ابن عذارى (٦٠٩) . وإذا كان التويرى يقول ان ذلك النهب استمر لستة أيام عندما ترامت خيل الشيعة ، فان ذلك يعنى أن النهب كان مستمرا ، بعد أن وصل ابراهيم بن أحمد بن أبي الأغلب المنهزم من الأربس الى القيروان ، حين كان قد بقي معه من القواد :-

ابراهيم بن أبي الأغلب يقوم بمحاولة فاشلة لتقلد الامارة في رقادة :

نزل ابراهيم في قصر الامارة حيث اجتمع على بابه خلق كثير ، وبايعوه بالامارة ثم انه بحث يستدعي أعيان الناس ، من : الفقهاء والتجار والعامة ، وانتقد في حضرتهم تصرفات زيادة الله الذى أسند أمر البلاد الى الخونة من الرجال ، وهو يقصد بذلك عبد الله بن الصائغ بطبيعة الحال . وحاول ابراهيم بذلك أن يبايعوه أميرا بدل ابن عمه الهارب اذ قال لهم : أن كتامة مفسدون في الأرض ، وطلب منهم الاخلاص له ، وامداده بالرجال والمال ليندفع عن حريصهم ومهجمهم . ورغم أنه أخذ لمصلحة بالامارة في الجامع

(٦٠٧) التويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٧ - ١٢٨ ب . ابن عذارى ، ج ٦ ص ١٤٨ - ١٤٩ . حيث يقول أن ابن الصائغ اقتطع ثلاثين حملا من المال ، ثم يركل أحمل ستة عشر ألف مثقال . ولكن حامل سوسة ، وهو ابن الهمداني ، وضع يده على الأموال ، وغزوها في قصر الرباط بسوسة ، حتى صارت الى الشيعة .

(٦٠٨) التويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٧ - ١٢٨ ب . وقارن ابن الخطيب ، الاعلام ، قسم ٣ ص ٤٤ .

(٦٠٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٤٨ .

بعد صلاة الظهر الا أن عامة الناس الذين كانوا قد سئموا الحرب وخشوا سره العاقبة ، فاروا به وطلبوا بالأمن والسلام ليلدهم ، وأخبروه أنه إذا كان قد هجز عن دفع كتامة ومعه العساكر والسلاح والأموال ، فهو سيكون الآن أعجز عن مدافعتهم مما كان عليه قبلا ، لأنهم لم يعد لديهم أموال ، وعندما لمح ابراهيم الى امكانية الاستفادة من أموال الأحياس (الأوقاف) والموتاع ، صاحوا به واجتشد الغوغاء وصاح الجميع : لا طاعة لك علينا ولا بيعة لك في أعناقنا فخرج عنا ، - وانتهى الأمر بأن اضطره هو ومن معه الى ركوب خيلهم والنجاة بأنفسهم عن طريق باب أبى الربيع ، والناس يركضون وراءهم ، ويرجمونهم بالحجارة ، ثم انهم لحقوا بزيادة الله (٦١٠) .

وهكذا ، وخلال وجود زيادة الله في طرابلس تفضخ موكبه بالفارين من افريقية ، ممن خافوا على أنفسهم وعلى أهلهم . ولو أن منهم من لم يستطع إنكالك من قدره ، سعى الى حقه يظلمه ، مثل عبد الله بن الصائغ الوزير . وعندما لحق ابراهيم بن أبى الأغلب بزيادة الله ، ولما علم هذا الأخير بما كان قد فكر فيه ابراهيم من عقد الولاية لنفسه في القيروان نقم عليه ، ولكنه اكتفى بالاعراض عنه . وعندما عرف أن ابراهيم وصاحبه أبا المصعب بن زراره يقعان فيه وينالان منه ، قرر التخلص منهما لولا هروبهما الى الاسكندرية ، واستجارتهما بعاملها الذي أرسلهما الى عامل مصر : موسى النوشري ، حيث دسا لزيادة الله ، وحذرا من طمعه في مصر .

وهذا ما قد يفسر كيف أن النوشري لم يحسن استقبال زيادة ، الذي لم يقيم في مصر أكثر من ثمانية أيام ، خرج بعدها الى طريق بغداد ، بعد أن تخلف كثير من أصحابه في مصر . وفي الرملة من أرض فلسطين هرب كثير من أصحابه ، ورجاله حاشيته . وبعد إقامة سنة في الرقة ، تفرق فيها من كان قد بقي له من رجاله ، وتشتت أمره ، وباع عليه قاضي الرقة بعض خصيائه الصقالبة ، انكب على شرب الخمر وسماع الموسيقى والفناء (الملاحى) . وأخيرا وصلته الأوامر من ديوان الخلافة بالعودة الى مصر ، وكانت الأوامر قد صدرت الى واليها بمعاونته ، وتمكينه من العودة الى بلاده ، واسترجاع دولته ، وهو الأمر الذي لم يتحقق .

-وبعد الأمان. التمس ما كان قد بقي من قواه في شرب الخمر والانهماك

(٦١٠) ابن عذاري . ج ١ ص ١٤٨ ، النويري ، المخطوط . ج ٢٢ ص ١٢٧ ، وقارن

ابن الأثير . سنة ٢٩٦ . ج ٨ ص ٤٥ - ٤٦ .

- ١٨٥ -

في اللذات ، قبل أن ينهى أيامه في بيت المقدس (٦١١) • وبذلك انقضت
دولة الأغالبة ، بعد أن عاشت ١١١ سنة وثلاثة أشهر •

الفصل الثاني

صقلية الأغلبية

واستقرار العرب في جنوب إيطاليا

من الفتح إلى نهاية الأغلبية

(٢١٢ هـ / ٨٢٧ م - ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م)

تهيئيد :

العرب وصقلية قبل الفتح الأغلبى :

بعد تأسيس مدينة تونس سنة ٨٤ هـ / ٧٠٣ م ، أصبحت ولاية إفريقية قوة بحرية بعد أن كانت قوة برية فقط ، منذ انشاء القيوان بعيدا عن الساحل (سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م) خشية الاسطول البيزنطى - وبفضل انراكب الحربية التى كانت تخرجها دار الصناعة فى تونس ، لم يعد عرب إفريقية ينتظرون مجيء الاسطول الرومى من صقلية أو غيرها من سواحل لمسطنطينية لى يدافعوه ، بل أصبحت مراكبهم تجوب البحر المتوسط ، وهى تعترض مراكب الروم ، وتغير على سواحلهم فى جزر البحر بصفة خاصة . وهكذا ، قام اسطول تونس بغارات ناجحة على : صقلية وسردانية وكوزيسكا (قورشيقا) ، قبيل سنة ٩٠ هـ / ٧٠٨ م ، كانت التمديد الحقيقى لسمية الغزو الكبرى فى شبه جزيرة ايبيريا (١) .

ولقد كان لصقلية بالذات دور هام فى الصراع البحرى بين العرب والروم منذ وقت مبكر ، عندما لجأ إليها قسطنطين ، قيصر الروم ، منهزما فى سنة ٣٥ هـ / ٦٥٥ م فى موقعة الصواري ، التى دارت بالقرب من الشواطىء الليبية ، ثم عندما كان الاسطول البيزنطى يقيم على سواحل المغرب ، كما حدث فى يرقة حيث فاجأ زهير بن قيس البلوى سنة ٦٩ هـ / ٦٨٨ م ، وكما حدث عندما استرد الروم قرطاجنة سنة ٧٤ هـ / ٦٩٣ م ، بعد أن فتحها :

(١) انظر الفترات الخاصة بذلك فيما سبق ، ج ١ ص ٢٤٦ وما بعدها .

حسان بن النعمان (٢) -

وذلك لا يمنع من أن يكون العرب قد قاموا - قبل بناء القاعدة البحرية
في تونس - بغارات أولية على الجزيرة في ذلك الوقت المبكر . فالروايات
تشير إلى أن معاوية بن حديج أمر بغزو صقلية ، وأنه كان من بين المغنم التي
جاء بها من هناك : أصنام من ذهب وفضة (٣) . وإذا صحت حملة معاوية
إلى حديج هذه ، فمن المرجح أن تكون أثناء ولايته لامريقية ، حوالي سنة
٤٥ هـ / ٦٦٥ م ، وبأسطول مصر .

حملات تونس الأولى على الجزيرة :

أما عن الحملات الحقيقية التي قام بها أسطول تونس على صقلية ، فإنها
لم تبدأ إلا بعد ولاية موسى بن نصير للمغرب سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ م . وكانت
أولها تلك التي قام بها عياش بن أخيل ، وأغار فيها على مدينة سرقوسة .
ولا بأس أن تكون قد تمت سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ م ، كما في رواية ابن قتيبة (٤) ،
وإن كان خليفة بن خياط يسجل غارة على صقلية في نفس السنة ، قام بها
المغيرة بن أبي بردة العبدى (٥) . ويشير ابن قتيبة إلى حملة ثانية قام بها
عبد الله بن موسى بن نصير على مدينة من مدن صقلية ، ومعه أشراف الرجال
الذين بلغ عددهم ما بين ٩٠٠ (تسعمائة) و ١٠٠٠ (ألف) رجل ، مما
يعنى أن عدد سفن الحملة كان حوالي ١٠ (عشر) سفن . أما عن الغنيمة
فقد بلغت حوالي مائة ألف دينار ، وذلك أن سهم الرجل بلغ مائة دينسار
ذهبا . أما عن تاريخ الحملة فتقول الرواية أنه سنة ٨٥ هـ / ٧٠٤ م . ولكنه
لنا كانت ولاية موسى للمغرب في سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ م ، فأغلب الظن أنه
يجب تصحيح التاريخ إلى سنة ٩٥ هـ / ٧١٤ م ، وقتما كان عبد الله بن موسى ،

(٢) انظر فيما سبق ، ج ١ ص ١٦٢ - ١٦٣ ، ٢١١ ، ٢٢٨ . ومن المعروف أن الاميراطور
البيزنطي كوستانتز الثاني كان قد سار من القسطنطينية في سنة ٦٦٢ م إلى صقلية لكي
يجعل نصبه عليه ولايت الاميراطورية في الجزيرة وفي جنوب إيطاليا حتى يمكنه الحفاظ
على أرض اليونان الرئيسية من أن يحاصرها العرب ، وأنه بقي في صقلية إلى وفاته في سنة
٦٦٨ (انظر عزيز أسد ، تاريخ صقلية الإسلامية ، بالإنجليزية ، ط ١ أدنبره ١٩٧٥ ، ص ٣) .
(٣) النويري ، المكتبة الصقلية ، ص ٤٢٥ - ٤٢٦ . وإن كان عياش يشكك في تلك الرواية
أنها تجعل تاريخ الحملة هو سنة ٣٣ ، في خلافة معاوية ، وإن التنايل الثمينة لم تجدد لها
سوقا نالقة إلا في بلاد الهند البعيدة .

(٤) انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٤٦ وعامس ٣٦٤ حيث غزو سرقانية أيضا .

(٥) تاريخ خليفة بن خياط ، ج ١ ص ٢٩٣ .

صاحب الحمة ، نائما لوالده على افريقية(٦) .

ومع أنه من المعروف أن الحرب البرية والبحرية مع الروم في شرق البحر المتوسط كانت تدور في الثغور في شكل صوائف وشواتي سنوية منتظمة ، إلا إذا كانت هناك هدنة مع الروم أو كانت هناك أحداث داخلية تسمح من تجهيز المصائفة أو الشتاتية ، فالذي نلاحظه من حوليات الحروب البحرية مع الروم في وسط البحر ، وبالذات في صقلية ، أن الصوائف والشواتي كانت متباعدة . وإذا كان من الطبيعي أن يسقط بعض تلك الصوائف من القوائم التي يقدمها الكتاب ، وإذا كان من المقبول أن تسري الهدنة التي كانت تعقدها الخلافة في المشرق على العمليات الحربية في المغرب ، فمن المرجح أن الاضطرابات التي عرفتيا بلاد المغرب على أواخر أيام الدولة الأموية ، وفي بداية عهد الدولة العباسية ، والتي قام بها ، على وجه الخصوص ، الخوارج من الصفرية ومن الإباضية ، كان لها أثرها في تباعد حملات العرب على صقلية .

ويرجع الفصل لتاريخ خليفة بن خياط الذي ينفرد بمعلومات تكاد تكون سنوية عن نشاط ولاية المغرب في جزر وسط البحر المتوسط خلال فترة ما بين سنة ١٠٢ هـ وسنة ١٢٢ هـ ، وذلك أنه يسجل فيها أكثر من ١٥ (خمس عشرة) غزوة بحرية ، انصبت جميعا على كل من جزيرتي صقلية وسردانية باستثناء غزوة سنة ١٠٦ هـ / ٧٢٤ م التي أتى فيها ذكر قرسقة (كورسيكا) ، إلى جانب سردانية(٧) . وكانت بقيادة محمد بن أبي بكر مولى بني جهم ، وغزوة سنة ١٠٤ هـ / ٧٢٢ م التي لم يحدد هدفها في البحر ، وكانت بقيادة عمرو بن فاتك(٨) . وكذلك الغزوة الكبيرة التي قام بها المستنير بن الحسارث سنة ١١١ هـ / ٧٢٩ م في ١٨٠ (مائة وثمانين) مركبا ، والتي أبطأت في العودة حتى هجم الشتاء ففرقت المراكب ولم ينج منها الا ١٧ (سبعة عشر) مركبا(٩) .

(٦) انظر اسـ قتيبة ، المكتبة العقلية ، ص ١٦٤ - ٢١١ . (حيث ينقل ابن السباط تلك الرواية) - ومن نيابة عند الله لوالده بعد عودة موسى إلى دمشق ، انظر لهما سبق . ج ٩ ص ٢٥٢ و هـ ٢٩٥ .

(٧) تاريخ خليفة بن خياط - ج ٢ ص ٢٤٩ .

(٨) نفس المصدر . ج ١ ص ٢٣٨ .

(٩) نفس المصدر . ج ٢ ص ٣٥٥ .

وتدل الدراسة الاحصائية لتلك الحملات ، حسب ترتيبها الزمني اعتباراً من حملة سنة ١٠٣ هـ/ ٧٢١ م ، أنها تمت على عهد ثلاثة من كبار ولاة المغرب في العصر الأموي ، هم : بشر بن صفوان ، وعبيدة بن عبد الرحمن ، وعبيد الله بن الحبحاب . فعلى عهد بشر بن صفوان كانت وجهة الحملات البحرية الأربعة الى سرديانية على وجه الخصوص ، وذلك في سنوات ١٠٢ هـ/ ٧٢٦ م بقيادة يزيد بن مسروق اليحصبي (١) ، ١٠٤ هـ/ ٧٢٢ م بقيادة عمرو بن فاتك الكلبي (١١) ، و ١٠٦ هـ/ ٧٢٤ م بقيادة محمد بن أبي بكر حولي بنى جمح (١٢) ، وأخيراً سنة ١٠٩ هـ/ ٧٢٧ م بقيادة محمد بن أبي بكر مرة أخرى (١٣) .

وإذا كانت حوليات خليفة بن خياط تنص على أن كل هذه الحملات قد كللت بالنجاح ، فكانت تعود سالمة بالمغانم ، فانظأهر ان حملة سنة ١٠٩ هـ/ ٧٢٧ م الأخيرة كانت أنجحها . فيبدأ ما يمكن أن نعهه من الروايه التي نجدها في كل من ابن الأثير والنويرى ، والتي تنسب قيادة الحملة الى الوالى بشر بن صفوان نفسه ، وتقول انه سار الى صقلية فغنم شيئا كثيرا ثم رجع الى القيروان حيث توفي بها في نفس السنة (١٤) . وهذا لا يسمع من أن تكون سنة ١٠٩ هـ/ ٧٢٧ م قد شهدت حملتين بحريتين دفعة واحدة : الأولى على سرديانية بقيادة محمد بن أبي بكر ، والثانية على صقلية بقيادة بشر بن صفوان .

أما عن الحملات التي تمت على عهد عبيدة بن عبد الرحمن ، وهى ست ، فكانت وجهتها صقلية بصفة خاصة ، على الوجه التالى : فى سنة ١١٠ هـ/ ٧٢٨ م قامت حملة صغيرة بقيادة عثمان بن أبى عبيدة عسى رأس ٧٠٠ (سبعةائة) فارس هاجمت مدينة سرقوسة ، ونجحت فى هزيمة القوة البيزنطية التى تصدت لها وأسرت قائدها . (بطريقهم) (١٥) ، وعن حملة

(١٠) نفس المصدر ، ج ١ ص ٢٢٦ .

(١١) نفس المصدر ، ج ١ ص ٢٢٨ .

(١٢) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٢٤٩ .

(١٣) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٢٥٢ .

(١٤) ابن الأثير ، المكتبة الصقلية ، ص ٢١٨ ، النويرى ، ج ٢ ص ٢٢٥ ، وعن

الحملات على عهد بشر بن صفوان ، انظر لدينا سبق ١٠٥ ج ٢ ص ٢٧٢ .

(١٥) تاريخ خليفة بن خياط ، ج ٢ ص ٣٥٣ - ٣٥٤ .

- ١٩٣ -

السنة اُنتى بعدها ١١١ هـ/ ٧٢٩ م فكانت حملة كبيرة بلغت عدة مراكبها ١٨٠ (مائة وثمانين) مركبا ، قادها المستنير بن الحارث ، وبُظن من سياق الأحداث ان وجهتها كانت سرقوسة التي ظل يحاصرها العرب الى أن هجم عليهم فصل الشتاء ، مما عرضهم الى كارثة مروعة ، وهم في طريق العودة إذ عرقت معظم المراكب ، ولم ينج منها الا ١٧ (سبعة عشر) مركبا مصط (١٦) .

وفي سنة ١١٢ هـ/ ٧٣٠ م تكللت الحملة التي قادها ثابت بن حيشم الاردني بالنجاح : إذ هاجم الجزيرة ، وعاد سالما الى افرقية بالسيابا والمغانم (١٧) . وكذلك كان حظ الحملة التي قادها في سنة ١١٤ هـ/ ٧٣٢ م عبد الملك بن قبطي (الحجازي) الى صقلية أيضا (١٨) ، وتلك التي قادها في نفس السنة عبد الله بن زياد الاصاري الى سردانية (١٩) . أما آخر الحملات التي تمت على عهد عبيدة بن عبد الرحمن فقد قادها في سنة ١١٥ هـ/ ٧٣٣ م بكر بن سويد الى صقلية ، وأغلب الظن أنها لم تحقق أغراضها بسبب استخدام الروم للبدائف النارية في مدافعتهم للأسطول العربي (٢٠) .

أما عن الحملات البحرية التي تمت على عهد عبيد الله بن الحبحاب- قتيما بين سنة ١١٦ هـ/ ٧٣٤ م وسنة ١٢٢ هـ/ ٧٤٠ م ، كما ترد في تاريخ خليفة ابن خياط ، فهي خمس : اثنتان منها سارتا الى سردانية ، وثلاث كانت وجهتها صقلية . ولقد سارت حملة سنة ١١٦ هـ/ ٧٣٤ م بقيادة عثمان بن أبي عبيدة الى صقلية ولكنها فوجئت وهي في طريق العودة باعتراض مسيرتها من قبل الأسطول البيزنطي . ورغم نجاح القائد العربي في التخلص من هذا مزق باحتراق القافلة المعادية ، الا أن الروم نجحوا في الاطاحة بعدد من المراكب الحربية العربية ، وأسروا من كان فيها من المحاربين . وكان من بين

(١٦) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٢٥٥ .

(١٧) تاريخ خليفة بن خياط ، ج ٢ ص ٣٥٧ .

(١٨) تاريخ خليفة بن خياط ، ج ٢ ص ٣٥٩ - ٣٦٠ . حيث القراء عبد الله بن قطن والتصحیح « عبد الملك » من هندا ، وذلك ان عبد الملك بن قطن كان له شأن في أحداث الأندلس سنة ١٢٢ هـ عندما عارض نزول جند الشام بقيادة بلج بن بشر ثم موافقته هل ذلك بعد أن استشرت ثورة البربر هناك - انظر فيما سبق ج ١ ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(١٩) تاريخ خليفة بن خياط ، ج ٢ ص ٣٦٠ .

(٢٠) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٣٦١ . ومن الحملات على عهد عبيدة انظر فيما سبق . ج ١ ص ٢٧٦ وما بعدها .

- ١٩٤ -

مشاهير الأسرى ، ولدا أمير البحر عثمان بن أبي عبيدة نفسه ، وهما : عمرو وسليمان ، الى جانب محمد الرحمن بن زيات بن أنعم قاضي افريقية المشهور وراوينها فيما بعد ، ولن يطلق سراحهم الا في سنة ١٢١ هـ / ٧٣٩ م أو بعدها عندما تم تبادل الأسرى (الفداء) بين العرب والروم (٢١) .

وكانت قيادة حملة السنة التالية (١١٧ هـ / ٧٣٥ م) لأخي عثمان ، وهو : حبيب بن أبي عبيدة الذي سار الى سردانية حيث فاجأ بعض مدنها « وأتحن في القتل والسب » (٢٢) . وفي سنة ١١٨ هـ / ٧٣٦ م التالية كانت قيادة حملة صقلية الى قشم بن عوانة الكلبي الذي نزل على مدينة اوليه ؟ ، ولكن الحملة لم تستطع أن تحقق لغرضها بعد أن أحاط بها الروم ولا قدرى . إن كان نوع من الاتفاق قد تم بين الطرفين المتحاربين يقضى بأن يسحب العرب بعد أن يخلى الروم عنهم أم أن ظروف القتال التي لم ترجح كفة أحد الطرفين هي التي قصت بهذه التسوية (٢٣) . وفي السنة التالية وهي ١١٩ هـ / ٧٣٧ م كان قشم بن عوانة سيء الحظ في حملته على سردانية اذ غرقت بعض سفنه وهي في طريق العودة وكانت مركبة القيادة بينها وفيها قشم نفسه الذي مات غريقا (٢٤) .

اول محاولة للاستقرار في الجزيرة :

اما عن حملة سنة ١٢٢ هـ / ٧٤٠ م فكانت بقيادة حبيب بن أبي عبيدة ابن عقبة بن نافع وبصحبته ابنه عبد الرحمن بن حبيب ، الذي صار اميرا لافريقية في سنة ١٢٧ هـ / ٧٤٤ م (٢٥) . ولقد حقق عبد الرحمن ، الذي أطلقه والده على رأس الحيلة ، نجاحا عظيما ، اذ لم يلق جمعا من جموع الروم في الجزيرة الا هزما ، حتى وصل في جولته العاصفة الى مدينة سرقوسة الكبيرة والعاصمة الرومية وقتل للجزيرة ، فهرم حاميتها ، وضرب الحصار عليها حتى صالحوه على الجزيرة . وكان هذا النجاح سببا في أن قرر حبيب بن أبي عبيدة البقاء في الجزيرة الى أن يفتحها جميعا ، ليولا ثورة البربر الخارجية التي

(٢١) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٣٦٢ ، وانظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٨٠ و ١٠٤٠ .
 (٢٢) نفس المصدر ، ج ٣ ص ٣٦٢ .
 (٢٣) نفس المصدر ، ج ٣ ص ٣٦٣ .
 (٢٤) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٣٤٦ ، وعن الحملات على عهد عبيد الله بن الحبحاب .
 انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٧٩ وما بعدها .
 (٢٥) انظر فيما سبق ج ١ ، ص ٣١٣ وما بعدها .

اضطرت ابن الحجاب الوالى الى استدعائه الى افريقية على عجل (٢٦) .

أما عن الحملة التالية فأتت بعد ١٣ عاما أى في سنة ١٣٥ هـ/ ٧٥٤ م ، وقام بها عبد الرحمن بن حبيب نفسه - بعد أن استقل بافريقية ، ووسع مملكته غربا بالاستيلاء على تلمسان ، والذي كانت تراوده ذكريات نجاحاته اللامعة في الجزيرة من غير شك - ولقد عاد عبد الرحمن بالسبي من صقلية والفنية ، بعد أن صالحه أهلها على الجزيرة من جديد . وفي طريق العودة عرج عبد الرحمن على سردانية التي صالحه أهلها أيضا على أن يدفعوا له الجزيرة (٢٧) -

الروم يحصنون الجزيرة :

ومند حملة سنة ١٣٥ هـ/ ٧٥٢ م تلك ، تصمت الحوليات الافريقية عن ذكر الحملات الحربية فيما وراء البحر لمدة تزيد على أربعين عاما ، بسبب انشغال الولاة في المغرب بالعتس ، كما تقول رواية ابن الأثير . والظاهر أن غزو صقلية في سنة ١٣٥ هـ/ ٧٥٢ م كان درسا قاسيا للروم ولأهل الجزيرة ، تعلموا منه كيف يحمون بلدهم فلقد قام الروم بأعمار الجزيرة من جميع جهاتها ، وجددوا ما كان فيها من الحصون والمعقل (٢٨) .

وأكثر من هذا فقد بدأ الروم (على عهد قسطنطين الخامس) باقتحام الاحتياطات العسكرية البحرية لما كان يمكن أن يفاجئهم به العرب ، فصاروا يخرجون في الصيف ، عندما تتحسن الأحوال الجوية ، في مراكبهم يطوفون حول الجزيرة ، فيما يعرف حاليا باسم « دوريات الحراسة » بل وزيادة على ذلك فربما صادفوا مراكب تحار المسلمين فاستولوا عليها (٢٩) . وعن هذا الطريق جمع أسطولهم بين الدفاع عن الجزيرة وقطع خطوط الملاحة العربية .

(٢٦) ابن الأثير . المكتبة الصقلية ، ص ٢١٩ . النويري . المخطوط . ج ٢٢ ص ٢٢٥ ب ٥ . وقائد خليفة بن حياط . ج ٢ ص ٣٦٩ . وانظر فيما سبق . ج ١ ص ٢٢٨ .

(٢٧) ابن الأثير : المكتبة الصقلية ص ٢٢٠ . ابن عذارى . ج ١ ص ٦٥ . النويري ، المخطوط . ج ٢٢ ص ٢٢٥ ب - حيث السنة ١٣ هـ . وأغلب الظن أن كلمة « خمسة » سقطت من النسخ (من سنة ١٣٥ هـ) .

(٢٨) وهكذا فقد كانت غارات العرب على الجزيرة مسا في أن يبنى أهلها للمقاتل والحصون ولم يتركوا حلا الا حملوا عليه حصا - النويري . المكتبة الصقلية ، ص ٢٦٦ « سنة ١٣٠ هـ »

(٢٩) ابن الأثير . المكتبة ص ٢٢ . النويري . المخطوط . ج ٢٢ ص ٢٢٥ ب - ٢٢٦ أ .

- ١٩٦ -

وفي سنة ١٧٨ هـ/ ٧٩٤ م تعود الحوليات الى ذكر صقلية ، ولكن بشأن خروج الشتاتية بقيادة سليمان بن راشد الذي كان يصحب معه « السد » بطريق صقلية (٣) ، أي حاكمها . ومع أننا نضل أن الأمر يتعلق هنا بالسوانب والشواي في الجهة الشرقية المواجهة للروم في اقليم العواصم في شمال الشام وأرض الروم ، فمن المرجح أن يكون المقصود بالبند هو « البند Elpidus » حاكم صقلية الذي ثار في سنة ٧٨٢ ضد الامبراطورة ايرين وأعلن نفسه امبراطورا ، ثم انه عندما انهزم هرب لاحتسا الى افريقية (٣١) .

الأغلبة يتعرفون على صقلية ، وغيرها من الجزر :

وفي سنة ٢٠١ هـ/ ٨١٦ م ، على عهد زيادة الله الأول ، حبر الأمير جيشا في البحر في مراكب كثيرة الى سرديانية . وتقول الرواية ان نجاح هذه الحملة لم يكن تاما ، اذ عطبت بعض المراكب بعد أن غنمت الروم في الجريرة وقتلوا الكثيرين منهم ، مما دعا زيادة الله الى مكافأة من وصل من الرجال سالما (٣٢) . ومع أن ابن الأثير يجعل غزو سرديانية هذه في سنة ٢٠١ هـ/ ٨١٦ م كمقدمة لفتح زيادة الله لصقلية ، فاننا نجد في حوليات ابن عداري حملة أخرى لزيادة الله قريبة الشبه من تلك الحملة . اذ يظهر من الرواية أنها لم تكن موفقة تماما ، وذلك أن رجالها « أصابوا ، وأصيب منهم ، ثم قفلوا » ، دون اشارة الى الثغمان أو السبي (٣٣) .

وفي سنة ٤٠٤ هـ/ ٨١٩ م سير زيادة الله قريبه أبا العباس محمد ابن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الأغلب بن سالم لغزو صقلية ، قبل غزوها على يد أسد بن الفرات (٣٤) ، وبذلك يكون قد قطع الهدنة التي عقدها قبل ست سنوات مع قائد الجزيرة البيزنطية (٣٥) .

وهكذا ، بفضل تلك الحملات ، وغيرها مما سقط من حوليات افريقية والمغرب ، كان العرب قد تعرفوا على صقلية وغيرها من جزر البحر ، مثل :

(٣٠) ابن الأثير ، المكتبة ، ص ٢٢٠ .

(٣١) انظر عزيز أحمد . تاريخ صقلية الاسلامية . بالانجليزية ، ص ٥ .

(٣٢) ابن الأثير ، المكتبة ، ص ٢٢١ .

(٣٣) ابن عداري ، ج ٢ ص ١٧ .

(٣٤) الحلة السيرة . ج ١ ص ١٨١ . المكتبة ، ص ٢٢٧ .

(٣٥) انظر أيضا ص ٢١٦ ، هـ ٨٢ .

مردافية وكورسيكا . واذا كانت هذه الجزر قد ظهرت في بعض الأحيان كقواعد للروم يمكن أن تهدد الملاحة التجارية العربية في البحر المتوسط ، كما يمكن أن تهدد أيضا سواحل المغرب ، فانها كانت قد صارت بالسببة لعرب المغرب أرض المغام الكثيرة والسبى البديع .
وبناء على كل ذلك لم يكن من الغريب أن يفكر زيادة الله الأول في غزو صقلية بشكل نهائي في سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م ، رغم ما كان يصاحفه من المتاعب الداخلية ، المتمثلة في الثورات والاضطرابات التي لا تعد ، في داخل مملكته . والظاهر أنه عندما قرر القيام بتلك المغامرة ، كان يزعم اصطیاد عصفورين بجحر واحد ، كما يقال . فمن جهة كان سيقتح بلادا جديدة ينتزعها من الروم ويضمها إلى مملكته أي الى أرض الاسلام ، ومن جهة ثانية كان يمكنه أن يوجه حماس أهل افريقية من المقاتلين نحو الجهاد في بلاد الروم ، فيتخلص مما كانوا يسببونه له من المتاعب ، ويحقق لبلاده ما كان يصبوا اليه من الأمن والاستقرار . وقبل أن نتكلم في فتح الجزيرة يحسن أن نعرف بأحوالها قبيل الفتح ، فهذا الى جانب ما ذكرناه من الفسارات التمهيدية ، يعتبر المدخل المعقول لدراسة الموضوع .

صقلية ، كما عرفها الكتاب العرب البلاد والسكان

١ - البلاد :

الاسم : صقلية :

فسر الكتاب العرب اسم الجزيرة « صقلية » حسب منهجهم القديم الذي ينسب البلاد والجماعات الى اجداد حقيقيين أو أسطوريين ، تماما كما قالوا :

ان افريقية نسبة الى الملكة افريقية أو الملك اليمنى القديم الفريقس (٣٦) ، وان أستبانيا نسبة الى قوم سكنوها في القديم هم الأسبان أو نسبة الى الملك أشبان ، أو ان الأندلس نسبة الى قبائل الجرمان المعروفة بـ « الوندال » (٣٧) .

ففي ضوء هذه النظرية قالوا - ان صقلية سميت باسم الملك « شيفلوه » ، كما سميت بـ « إيطاليا » أخيه « إيطاليا » . وفي ذلك لم يتردد بعضهم في

(٣٦) انظر اخبار حفيد من حمية في كتاب التيجان لوهب بن منبه ، ص ٢٤٢ . ٤٠٧ .

(٣٧) نسبة الى المريس من ابرحه) .

(٣٧) البحري صقلية جزيرة الأندلس ، ص ٣ .

القول أن جزيرة صقلية كان يسكنها في قديم الدهر أمه هملة ، ناكس
الناس - أو انه كان فيها جنس من المسوخ بعين واحدة في وسط جباههم ،
يسمون صقلوفس (٣٨) ، وهي الأسطورة اليونانية الاصل على ما نظن ، اد
يجد لها شبيها في أوديسة هوميروس .

فكان اسم صقلية مشتق من اسم « صقلوفس » أو « صيقلو » ، أو
« سيقلو » الذي يرى أنه نفس اسم « شيفلو » (٣٩) - هذا ، كما نجد اسم
صقلية بالسين في « سقلية » و « سكيلية » ، والصاد في « صقلية »
و « صيقلية » (٤٠) كما نجده مهموزا في شكل « اصقلية » أيضا ،
و « اسقلية » (٤١) .

الموقع :

وتشغل صقلية موقعا جغرافيا ممتازا بفضل وحودها بين ذراع شبه
جزيرة إيطاليا ، الممتد من وسط أوروبا جنوبا في قلب البحر المتوسط ،
وبين ذراع القارة الأفريقية الشمالي الذي يمثل قلب ولاية المريقية العربية
أو البلاد التونسية الحالية ، والذي يمتد شمالا في مقابل إيطاليا . وبفضل
هذا الموقع تكاد جزيرة صقلية تربط بين سواحل أوروبا وسواحل بلاد
المغرب ، وإن كانت الجزيرة أقرب إلى سواحل إيطاليا الجنوبية ، في اقليم
كلابريا الذي عرفه العرب باسم « قلورية » .

(٣٨) الكرى - جغرافية الأندلس وأوروبا ، تحقيق عبد الرحمن حجي ، ص ٢١٧
(والمحقق يقرأها في شكل حقلوفس) .

(٣٩) من يرى أن السين في شيفلو كانت سينا في الأصل لأن السين والسين كثيرا
ما تختلطان في اللغة العربية وتحل الواحدة منها محل الأخرى . أما عن السين فالغالب الظن
أنها جيم ، كما تنطق في اللهجة المصرية ، ثم انها انقلبت إلى سين ، كما في بعض اللهجات
العربية - ولا بأس في أن تكون الـ « جيم » في الكلمة حرف « قاف » أصلا - فكان كلمة
« شيفلو » هي تحريف لكلمة « سيقلو » ، وهو الأمر المقبول .

(٤٠) انظر المكتبة الصقلية . من كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة ، ج ١ ص ١٦٢

هـ . ص ١٦٤

(٤١) وذلك لأن حرف الصاد الأول كان ينطق ساكنا . في شكل « صقلية » ، وهو
الامر الغريب على اللغة العربية . فوصفت الهزة قبل الصاد ، وذلك ، كما كانت تكتب
طرابلس في شكل اطرابلس . أو كما ينطق اسم « محمد » في بعض اللهجات في شكل
« امحمد »

مصيق مسينا . بين شمال الجزيرة وبين كلابريا ، لا يتجاوز اتساعه
في الموضع المصيق منه ٣ (ثلاث) كيلو مترات ، حتى أن الواقف في مسيني ،
على ساحل صقلية يرى من في ريو على ساحل ايطاليا (٤٢) . ولهذا عرف
مصيق مسينا ، له في ذلك مثل مصيق جبل طارق ، باسم « المجاز » ، كما
عرف على وجه التحصيل باسم « مجاز الفارو » ، أي محار النار ، نسبة الى
ضوء نار البركان القريب ، الذي كان يستضاء به في السفر على أكثر من
مائة فرسخ ، في البر وفي البحر على السواء (٤٣) .

أما عن المسافة بين جنوبي صقلية وبين أقرب سواحل افريقية اليها ،
وذلك في شبه جزيرة شريك في شمال البلاد التونسية ، فانها تصل الى ١٢٠
(مائة وعشرين) كيلو متر (٤٤) . هذا وتوجد بين صقلية وسواحل البلاد
التونسية أعداد من الجزر الصغيرة ، من أشهرها جزيرة قوصرة أو قوصرا ،
بين بساجل مدينة المهدية والركن الجنوبي الغربي لصقلية ، حيث مدينة
مازر ، وبينها رين مازر مجرى واحد أي حوالي ٦٠ ميلا . وقوصرة هي
المعروفة حاليا باسم جزيرة « بنطلارية » (٤٥) .

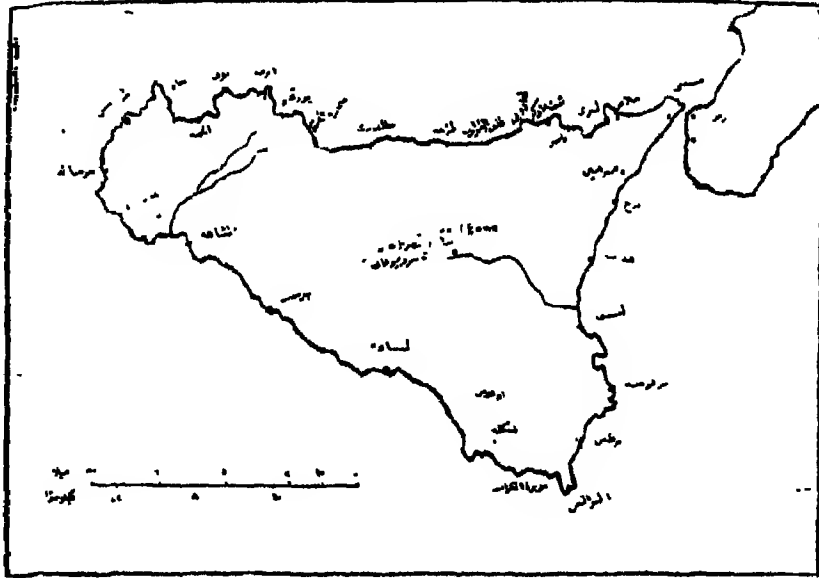
وهكذا كانت صقلية ، بفضل موقعها الوسط بين ايطاليا والبلاد
التونسية ، وبفضل الجزر الصغيرة بينها وبين سواحل افريقية ، معبرا
طبيعيا ما بين السواحل الاوربية والسواحل الافريقية ، على طول المصير
التاريخية .

الشكل :

الساحل الشرقي :

وصقلية جزيرة على شكل مثلث طوله مسيرة ٧ (سبعة) أيام وعرضه

-
- (٤٢) ياقوت . معجم البلدان . ط أوروبا ج ٤ ص ٥٢٥ (من مسيني) . ابن حبير .
الكتبة الصقلية . ص ٧٨ .
(٤٣) المسعودي . التنبيه والاشراف . المكتبة الصقلية . ص ٢ . معجم البلدان . ط أوروبا
ج ٣ ص ٤٠٦ . ابن حبير . المكتبة الصقلية . ص ٨٢ .
(٤٤) انظر اسد اللدني . المسلمون في صقلية . ص ٨ . وهي عند الكتاب العرب بمقابل
مجرين (١٢٠ ميلا) أو يرمين بالريح العطية . ياقوت . معجم البلدان . ج ٤ ص ٤٠٦ .
(٤٥) البكري . صفة الأندلس وأوروبا . ص ٢٢٦ وعاشق الحق . ياقوت . المعجم .
ج ٤ ص ٢٠٠ .



شكل رقم (١)

جزيرة صقلية ، توزيع المدن تبعا لرواية الادريسي

مسيرة ٤ (أربعة) أيام (٤٦) . ومدينة ميسينا (Messina) تمثل رأس المثلث الشمالي ، في مقابل مدينة ريو (Reggio) في كلايريا ، ومنها ينحدر الشاطئ الشرقي ، الذي يوصف بأنه ساحل صخري لا حلجان فيه الى مدينة قطانيا (Catania) (٤٧) التي عرفت أيضا بـ « قطاليا » ، كما عرفها الكتاب العرب باسم « مدينة الفيل » (٤٨) ، مارا بطبرمين (Tabrmina) على بعد مرحلة (٣٥ ميلا) ، ثم بـ « لياج » ، على مرحلة أخرى (٤٩) . وفي قطانيا يصبح الساحل رمليا ، وهو يستمر جنوبا ، الى

- (٤٦) ابن حوقل ، المكتبة الصقلية . ص ٤ . وانظر ياقوت . المعجم . ج ٣ ص ٤٠٣ .
والمكتبة ص ١١٤ - وهنا ينفي الإشارة الى أهمية رواية ابن حوقل الذي يتخلى الدقة أكثر .
فيقول انها على شكل مثلث متساوي الساقين ، زاويته الحادة من غربي الجزيرة . انظر مجسم البلدان - ج ٣ ص ٤٠٩ (حيث ينقل رواية ابن حوقل الذي يصفه بالتاجر) .
(٤٧) انظر أحمد القنبي ٦ المسالك في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا . ص ٩ .
(٤٨) الادريسي ، المكتبة الصقلية ص ٣٤٥ .
(٤٩) الادريسي . المكتبة الصقلية . ص ٣٣ - ٣٦ .

قلعة « لنتيسى » على بعد مرحلة ، الى مدينة سرقوسة (Syracusa) عاصمة
الجزيرة القديمة ، التي يعرفها الكتاب العرب بمدينه أرشميدس ، صاحب
نظرية كتابه الأجسام الطافية او الوزن النوعي (٥٠) .

ومن سرقوسة الى قلعة نوطس (Noto) مرحلة ، وهي على بعد ٨
(ثمانية) أميال من البحر ، وبين نوطس والبحر حصن قسباري . ثم الى
طرف الجزيرة في هذا الساحل الشرقي ، حيث لا يوجد عمران ، وهو الطرف
الذي يسمى « البوالص » ، مرحلة .

الشاطئ الجنوبي :

ومن البوالص يبدأ الشاطئ الجنوبي (٥١) حيث يمر بقلعة « شكله » ،
على ٧ (سبعة) أميال (وشكله في الداخل على بعد ٣ أميال من البحر) ،
ثم قلعة آرغوص (Ragusa) على ١٣ ميلا (وهي أيضا في الداخل على بعد ٧
أميال من البحر) ، ثم حصن لنبياذة على بعد مرحلة - وهي على بعد مرحلة
أيضا من جرجنت (Agrigento) (التي تبعد عن البحر ٣ أميال) .

ومن جرجنت الى « الشاقة » مرحلة (والشاقة أول عمل قلعة البلوط.
على ٩ أميال من الشاقة) ، ثم الى مازر (Mazara) مرحلتان . ومن مازر
١٨ ميلا الى « مرسى » أو « مرسى على » ، وهي مرسلا حاليا ، ثم الى طرابنش.
(Trapani) . على بعد مرحلة خميلة (٥٢) . وفي مقابل طرابنش التي تنتهي
عند الساحل الجنوبي ، تقع جزر : الراهب ، واليابسة ، ومليطه (٥٣) .

الشاطئ الشمالي :

ومن طرابنش ذات المرسى الساكن الذي كان مشتهى للسفن ، يبدأ
الشاطئ الشمالي الصخري من الغرب الى الشرق في اتجاه العاصمة بلرم
(Palermo) ، مارا بجبل حامد على بعد ١٠ (عشرة) أميال ، ثم الحمة

(٥٠) الادريسي ، للكتبة الصقلية ، ص ٣٦ . وعن سرقوسة انظر ياقوت ، معجم البلدان
ج ٣ ص ٨١ . وعن وصف الساحل الشرقي انظر احمد المدني ، المسلمون في صقلية : ص ٩٠ .
(٥١) الادريسي ، للكتبة ، ص ٣٦ - ٣٧ .
(٥٢) المرحلة الخفيفة عند الادريسي تزيد على ٢٠ ميلا وتقل عن ٢٩ ميلا .
(٥٣) الادريسي ، للكتبة الصقلية ، ص ٣٨ - ٤١ ، احمد المدني ، للمسلمون في صقلية
ص ٦٠ (عن وصف الساحل الجنوبي) .

(وهي قلعة حصينة على بعد ثلاثة أميال من البحر ، بها حامية حامية عذبة الماء معتدلة المسخونة كان يستحم فيها الناس) التي تقع على مرحلة من طرابنش ، ثم قلعة « أولى » على بعد ١٠ (عشرة) أميال ، ثم بلدة برطنيق على بعد ١٢ ميلا (ومنطقتها غنية برراعة القطن والحناء) ثم شمس على بعد ٨ أميال ، ثم بلدة قرينش (الغنية باللوز والتين الناشف والخروب) . ومن قرينش الى بلرم ١٢ ميلا (٥٤) .

ومن بلرم الى مسينا ، حيث يسير الساحل في اتجاه الشرق في شكل أفقي ، يبعد الادريسي ١٠ (عشرة) مواضع ما بين حصن وبلدة لطيفة ، هي : حصن بورقاد على بعد ١٢ ميلا ، وصخرة الحرير (الداحنة في البحر) على بعد ١٢ ميلا ، وحصن جلفودي (الذي يشبه المدينة) على بعد مرحلة . وحصن طرزة (القابع على سفح جبل مسيح) على بعد مرحلة وقلعة القوارب على بعد ١٢ ميلا ، وبلدة القارونية (التي تعترض أول إقليم مسي) على بعد ١٢ ميلا ، وبلدة شنت ماركو (التي اشتهرت بحريها وسفحها ، وصناعة المراكب من خشب جبلها) على بعد ١٠ (عشرة) أميال . وحصن ناصو على بعد ١٠ (عشرة) أميال ، وبلدة بقطش على بعد ١٢ ميلا ، ثم بليدة ليري على مسافة ٣ أميال ثم حصن ميلاص (الذي كان كبير الكتان الطيب ، وهي مياهه يصطاد التين الحليل) على بعد ١٢ ميلا .

وبعد ميلاص تأتي مسيني ، على بعد مرحلة في نهاية الشاطئ الشمالي ، وفي رأس المثلث . حيث يلتقي الشاطئ الشمالي بالشاطئ الشرقي في مقابل بلدة ريو في قلورية (٥٥) .

وهكذا يبعد الادريسي المواضع الرئيسية على كل من شواطئ صقلية التي تكون أضلاع شكلها المثلث . وطول الجهة الشرقية من الجزيرة التي تمتد من مسيني الى البوالص أو جزيرة الارنب ٢٠٠ (مائتي) ميل ، والجهة الجنوبية من طرف جزيرة الأرنب الى طرابنش طولها ٤٥٠ (أربعمائة وخمسون) ميلا ، وهذا الشاطئ هو أطول أضلاع المثلث ، أما الجهة الشمالية ، من طرابنش الى المجار أو العارو ، فطولها ٢٥٠ (مائتان وخمسون) ميلا (٥٦) - والادريسي يحصن دراسة تعصيلية لكل مراسي تلك

(٥٤) الادريسي ، المكتبة - من ٤٦ - ٤٣ .

(٥٥) انظر الادريسي ، المكتبة الصقلية . من ٢٨ - ٣٣ .

(٥٦) الادريسي ، المكتبة الصقلية ، من ٧٦ .



شكل رقم (٢)

صفلية بين الفريقة وقلوية - كما رسمها الادريس

الشواطئ من كثرة وصغيرة ، ويحدد المسافات بينها ، بحيث يذكر لنا على الساحل الشرقي أكثر من ٤٠ (أربعين) مرسى تتراوح المسافات فيما بينها ، على الجملة ، من ميل واحد الى ٢٥ ميلا . أما المسافات بين معظمها فهي ما بين ٦ أميال و ١٢ ميلا (٥٧) . ويعدد من مراسي الساحل الجنوبي من مرسى البوالص الى طرابنش أكثر من ٣٧ مرسى (٥٨) . ومن مراسي الساحل الشمالي ما بين مسيني وطرابنش يعدد أكثر من أربعين مرسى (٥٩) .

أما عن مدن الداخل ناهما : علقمة (Alcamo) فهي الركن الغربي من الجزيرة ، وقصر يانة (Castro Giovanni) وهو الاسم المشتق من إنا (Enna) اسمها القديم ، وقلعة أيس (Caltani Setta) ، وقلعة جيرونة (Caltagirone) التي تقع في جنوب منتصف المسافة ما بين قطانيا وجرجنت (٦٠) .

الوصف :

جزيرة الخصب والعمران :

وبفضل موقع صقلية الجزرى في وسط البحر المتوسط ، في الإقليم المعتدل الرابع والخامس - حسب تقسيمات الجغرافيين العرب التي أخذوها عن بطليموس - وبفضل جبالها وكثرة مياهها ، كانت في نظر العرب صنوة الأندلس من حيث : غناها الزراعى والحيوانى ، وكذلك المعدنى . فهي عند المقدسى : « جزيرة واسعة جليلة ليس للمسلمين جزيرة أجل ، ولا أعمر ، ولا أكثر حدنا منها (٦١) » . وبها من الخصب والزروع والمواشى والرقيق ما يفضل عن سائر مدن الإسلام المتاخمة للبحر ، كما يقول الاصطخرى (٦٢) .

أما ابن حوقل الذى زار الجزيرة في سنة ٣٦٢ هـ / ٧٢ - ٩٧٣ م ، فيقول ان الغالب عليها الجبال والقلاع والحصون ، وأن جميع أرضها مسكونة.

(٥٧) الادريسي . المكتبة الصقلية ، ص ٦٨ - ٧٠ .

(٥٨) الادريسي . المكتبة الصقلية ، ص ٦٧ - ٦٩ .

(٥٩) الادريسي . المكتبة الصقلية ، ص ٦٦ - ٦٧ . ٧٠ - ٧١ .

(٦٠) انظر مارتينو مورتينو ، بيروت ١٩٥٧ . ص ٢ .

(٦١) أحسن التقاسيم ، ص ١٩٠٦ . ص ٢٢٢ .

(٦٢) الاصطخرى . المسالك . المكتبة الصقلية ، ص ٣ .

- ٢٠٥ -

مرروعة (٦٣) . وهي في وصف البكري الأندلسي : كنسيرة الزرع والضرع
والعواكه (٦٤) . والادريسي ، الذي رسم خريطتها مبينا مدينتها وقراها
وأبنائها ، مما أشرنا الى بعضه ، يصفها قائلا : « ان جزيرة صقلية فريدة
الزمان فضلا ومحاسن ، ووحيدة البلدان طيبا ومساكن ، وقديما دخلها
المنجولون من سائر الأقطار ، والمترددون بين المدن والأصهار ، وكلهم أجمعوا
على تفضيلها ، وشرف مقدارها وأعجبوا بزاهر حسنها ، ونطقوا بفضائل
ما بها ، وما جمعت من مفترق المحاسن ، وضمته الى خيرات سائر المواطن (٦٥) » .

ابنة الأندلس :

أما ابن جبير ، الرحالة الأندلسي ، فقد قال في وصفه لصقلية : « وهي
كثيرة المدن والعنابر والضياع ، وتسميتها تطول ٠٠٠ وخصب هذه الجزيرة
أكثر من أن يوصف ، وكفى بأنها ابنة الأندلس في سعة العيشة وكثرة
الحطب والرفاهة ، مشحونة بالآرزاق على اختلافها ، مملوءة بأنواع الفواكه
وأصنافها . وجبالها كلها بساطين مثمرة بالفتح والشاء بلوط ، والبندق ،
والاجاص ، وغيرها من الفواكه (٦٦) » .

ومما نقله ياقوت عن صقلية : « وهي كثيرة المواشي جدا ، من : الخيل
والبغال والحمر والبقر والغنم والحيوان الوحشي . وأن بها جميع الفواكه
على اختلاف أنواعها ، وأن كلالها لا ينقطع صيفا ولا شتاء ، وأرضها تنبت
الزعران » . وهو يضيف : « وليس فيها سبع ولا حية ولا عقرب » (٦٧) ،
مما يميزها على سائر البلدان .

الثروة المعدنية :

والمهم أن صقلية كانت تتميز عن كثير من بلاد العرب بأنها كانت غنية
بمعادنها التي تمثلت ، في : الكبريت والحديد والذهب والنحاس والبرصايل
والزئبق والنوشادو والتفط وغيرها ٠٠٠ .

-
- (٦٣) ابن حوقل : المسالك : المكتبة الصقلية ، ص ٤٠٠ .
(٦٤) البكري ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٢٦٤ .
(٦٥) الادريسي ، المكتبة الصقلية ، ص ٢٨٠ .
(٦٦) ابن جبير : المكتبة الصقلية ، ص ٨٥ .
(٦٧) صبح البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٠٧ .

جبل النار :

وأول ما كان يثير انتباه الكتاب العرب ، كما أثار انتباه اليونان والرومان قبلهم ، هو بركان صقلية الشهير . الذى عرف عند العرب باسم « جبل النار » ، كما عرف باسم « الأطلية » أى عن النار التى تنبع من الأرض (٦٨) . وهو بركان آتنا المشهور الذى يصل ارتفاعه الى أكثر من ٣ - (ثلاثة) آلاف متر . ورغم أنه كان بركانا هامدا إلا أنه كانت له ثورات وغضبات ما بين الحين والحين ، ولو أن المقدسى حدد الزمن ما بين الفورة والأخرى بعشر سنوات (٦٩) .

الحجر الخفاف والذهب :

وكان البركان يقذف اللهب الذى كان يتساقط مكونا الحجر الخفاف . الذى كان يطفو ما يقع منه فى البحر على سطح الماء ، وهو فى شكل حجر اسفنجي أسود اللون ، بينما الذى يسقط منه فى البر يكون أبيض وأصفر ووردي اللون ، فى « هيئة الشهد وأكواز النحل الصغيرة » . وكان الأسود من هذا الحجر يستخدم لحك الأرجل فى الحمام ، ولهذا سمي بحجر الرجل . كما كان يستخدم الأبيض منه مثلما تستخدم المحاة فتحك به الكتابة من الدفاتر والرقوق ، ومنه ما كان يعرف بـ « الفسك » ، وما كان يسمى بـ « القيسور » (٧٠) .

هذا ، كما كان الذهب يستخرج من بعض المناجم فى جبل البركان ، ولهذا السبب عرف جبل النار أيضا بـ « جبل الذهب » (٧١) .

الكبريت :

ومما عده الكتاب من عجائب صقلية أيضا معدن الكبريت الأصفر ، الذى وصف بأنه لا مثيل له بموضع آخر . ومنجم الكبريت لم يكن بعيدا من جبل النار ، وكان له : « قطاعون عاملون يتساولون ذلك ، قد تمرطت

- (٦٨) انظر المسعودى ، مروج الذهب . المكتبة الصقلية ، ص ١ ، والتنبيه والاشراف . المكتبة ص ٢ ، ياقوت ، معجم البلدان . ج ٢ ص ٤٠٧ . ج ٤ ص ٥٥٥ .
- (٦٩) أحسن التقاسيم ، ص ٣٤١ .
- (٧٠) المسعودى ، مروج الذهب . المكتبة ، ص ١ ، والتنبيه والاشراف ، المكتبة ، ص ٢ . وقارن تحفة الألباب ونخبة الأصحاب لأبى حامد الغرناطى . المكتبة ، ص ٧٤ .
- (٧١) المزوينى ، عجائب المفارقات . ص ٢٣٩ .

شمعورهم ، ونصلت أطفارهم من حرة ويبسة • وكانوا يجدونه في بعض الأيام سائلا متيمعا ، فيتختون له في الأرض مواضع يجتمع فيها • ، كما كانوا يجدونه في غير ذلك الألوان قد تحجر فيقطعونه بالمعاويل «(٧٢)

وكان الكبريت يوجد أيضا في جنوب شرقي صقلية في : جرجنت وفي الشرق في : قطانيا ، وفي الشمال الشرقي ، حول بلرم •

النفط :

والنفط (البترول) كان معروفا في الجزيرة أيضا ، وكان يستخرج من بعض الآبار بالقرب من قلعة المينا • ، غير بعيد من سرقوسة • وكان للنفط موسم معلوم من السنة يظهر فيه على سطح الماء في تلك الآبار ، وذلك في أواخر الشتاء وبداية الربيع خلال ثلاثة أشهر ، هي : شباط (فبراير) ، وآذار (مارس) ، ونيسان (أبريل) •

أما عن كيفية استخراج النفط : فكان للآبار درج ينزل عليه الرجل من العاملين في استخراج النفط ، وقد خمر رأسه ، أي غطاها بقطعة من القماش كالحمار أو النقب • ، ويسد مسام أنفه ، وإن تنفس في البئر هلك في ساعته • ، وما أخرج من النفط وضع في قصار (أي آنية فخار) فيعلو الدهن منه ، وهو المستعمل «(٧٣)

ومن معادن صقلية المشهورة النوشادر الأبيض الذي كان يرفع الى بلاد الأندلس رغم وجوده هناك — وكذلك الى مصر • ولو أن أهل مصر استفادوا عنه بعد ذلك بتراب الحمامات ، كما يقول المقدسي «(٧٤)

٣ - السكان :

لما كانت صقلية ، بفضل موقعها الجغرافي ، في منتصف البحر المتوسط ، أشبه بمعبر بين أوروبا وإفريقية ، لم يكن من الغريب أن يطرا على تكوينها البشرية الكثير من التغيير والتبديل ، تبعا لمجريات الأحداث في حوض البحر

(٧٢) البكري ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٢١٥ ، وانظر دواية البكري ، كما نلها

دين الشباط • المكتبة الصقلية - ص ٢١٠ •

— (٧٣) البكري ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٢١٦ •

(٧٤) الحسن القاسم ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠ •

المتوسط ، ومي كل من الساحلين المشرفين على الجزيرة ، سواء في أوروبا أم في أفريقيا ، حتى صارت قصة الجنس الأصلي لسكان صقلية ، وهم الصيقلو أو الصقليون أشبه بقصة أسطورية ، كما رأينا (٧٥) .

فبعد القديم عرفت الجزيرة العيسقيين ، واليونان ، واطرجيين ثم الرومان الايطاليين ، وقبائل الفريج من : الجرمان والوندال ، قبل أن تدخل في نطاق الامبراطورية الرومانية الشرقية ، وهي بيرطة او دولة الروم كما عرفها العرب ، وذلك عندما استرجعها بليزاريوس من أيدي الوندال ، هي وولاية المغرب حوالي سنة ٥٣٠ م (٧٦) .

ومع أنه ما لا شك فيه أن مجيء كل فوج من العراة أو المهاجرين كان له أثره على التركيب البشري لسكان الجزيرة وعلى لغتهم ، فإن جمهرة السكان ظلت ذات طابع بشري ولغوي ومزاجي خاص بها ، يعرفها - على كل حال - عن جنس الغزاة ، سواء كانوا من العيسقيين أو اليونان أو القرطاجنيين أو الرومان والروم . ومثل هذا سيحدث على أيام العرب أيضا ، وإن كان إلى حد محدود . بسبب التغييرات الأساسية التي طرأت على أهل كل البلدان التي دخلت في حوزة الدولة الإسلامية ، إذ صاروا عربا أولا وقبل كل شيء .

روم أفريقية يعمرّون صقلية :

وفيما يتعلق بروم صقلية يقول ياقوت : إن الجزيرة كانت قليلة العمارة ، خاملة قبل الإسلام . فلما فتح المسلمون بلاد المغرب ، هرب أهل أفريقية إليها فاقاموا بها يعمرّونها ، فأحسنوا - حتى فنحت في أيام بني الأغلب (٧٧) .

وهذه الفقرة الأخيرة تدل على الصلة الوثيقة بين أفريقية وصقلية ، على عهد البيزنطيين قبيل دخول العرب إلى المغرب . وهي تبين أن الصبغة الرومية البيزنطية كانت الغالبة على أهل صقلية .

(٧٥) انظر فيما سبق ، ص ١٩٧ .

(٧٦) انظر احسان عباس ، العرب في صقلية ، ط١ - دار المسارف - مصر ، ص ٢٥ ،

مارينو موريو ، المسلمون في صقلية ، ص ٣ - ٦ .

(٧٧) انظر معجم البلدان ، ج ٢ ص ٤٠٧ - وقريب من هذا ما يقوله الدمشقي ، في نسخة الدهر وعجائب البر والبحر ، عن صقلية : " وهو بلاد وهي حياض أفريقية - فلما كانت من أيدي المسلمين كانت حاضرة من العلم - كثيرة الملبسات والأدهاء واللغلاء " - سفامة الأندلس - المكتبة الصقلية ، ص ١٤٤ .

ولا شك أن فكرة صقلية الرومية هي التي جعلت العرب يجعلونها
بلد كبار معكرى اليونان القدماء . فلمزم هي بلد ارسطاطاليس الذي كان
معلقا في حشنة في هيكليها (٧٨) " والفيلسوف فرغوريوس ، صاحب كتاب
اندخل الى كتب ارسطاطاليس المعروف باسم " اليباغوجي " ، هلك فيسلا
في جبل البار (٧٩) ، وكان يبا كذلك قبر جاليوس (٨٠) .

والرواية تبين أيضا أنه إذا كان روم افريقية قد غادروا البلاد وانتقلوا
الى صقلية يعمرونها ، فلم يكن من العسير على العرب بعد أن استقروا في
افريقية أن يتبعوهم الى هناك ، وأن يتابعوا ذلك العمران في رشتى المجالات .

(٧٨) مرآة الأطلاع - كلبكري ، المكتبة ، ص ٢٤٧ ، كتاب جغرافية الجبلين . المكتبة

ص ١٢ .

(٧٩) المسعودي ، التنبيه والإشراف ، المكتبة ، ص ٢ ، مروج الذهب ، المكتبة ص ١ .

(٨٠) من الكرى ، كما نقله ابن السكيت . المكتبة ، ص ٢٩٠ .

فتح الأغالبة لصقلية

المقدمات :

صقلية : دار أهل العهد :

كانت صقلية اذن ، بعد فتح العرب للمغرب ، مركزا للأساطون البيزنطي ، يهدد منه سواحل المغرب العربية ومراكب التجار العرب (٨١) ، كما كانت أيضا منجأ لأعداء العرب من روم افريقية الذين تركوا البلاد ، واستقروا في الجزيرة ، وعملوا - وهم يكونون العداء للعرب - على زيادة انتعاشها الاقتصادي الذي جعل منها توأمة الأندلس . وكان كل من هذين العاملين كافيا ، وحده ، لكي يفكر العرب جديا في غزو الجزيرة عندما أصبحوا قوة بحرية تستطيع مناوأة الروم في البحر . وهكذا بدأت الغارات الاستطلاعية السابقة على صقلية وغيرها من جزر البحر ، مثل : سردينيا وكورسيكا ، وهي الغارات التي كانت تنتهي في كثير من الأحيان بالصلح ودفع الجزية للعرب . وبذلك لم تعد صقلية أرض العسود وبلاد المغانم والسبي فقط ، بل بلاد المعاهدين من أهل الذمة أيضا .

هذا ، ولو أن المصادر لا تمدنا بتفصيلات عما كان يتم بين الروم والعرب من المعاهدات ، مما يعني أن أهل ذلك العصر لم يكونوا يستسيغون قيام السلام بين الروم ودولة الاسلام ، حتى كانت تلك المعاهدات تتم بما يحفظ سريتها ، من : الحماة والكتمان .

ذلك ما يتضح من دراسة الأسباب التي أدت الى غزو الأغالبة لصقلية ، على عهد الأمير زيادة الله الاول ، في سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م . حقيقة أن اضطراب الجند الأغلبى ، وعدم الاستقرار الذي عرفته معظم ولايات افريقية يمكن أن يكون من الأسباب التي حدثت للأمير الى توجيه نشاطه جنده - ورعاياه نحو الجهاد فيما وراء البحار فى صقلية ، بدلا من صرفه فى العتن والتقاتل

فيما بينهم . ولكن لكي ينجح المتح في صقلية ، كان الأمر يتطلب إبعاداً عسكرياً على مستوى مناسب للعملية الكبيرة ، كما كان يتطلب تغطية قانونية تسمح بنقض معاهدة السلام التي كانت معقودة بين روم صقلية من جهة وبين الأغالبية من جهة أخرى ، منذ أيام أبي العباس عبد الله بن إبراهيم بن إياغلغ الأمير السابق (٨٢) .

الصقليون ينقضون الصلح :

ومن الواضح أن معاهدة السلام تلك كانت تقضي بأن يعيد الروم في صقلية كل من كان لديهم من الأسرى : من الجند أو من أهل الرقبة (٨٣) . وهو الأمر الذي قام حوله جدل في إفريقية في أواخر سنة ٢١١ هـ أو أوائل سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) ، عندما حضر القائد البيزنطي فيمي (أوفيمبوس . Euphemius) الذي كان خارجاً على إمبراطور القسطنطينية مع بعض أنصاره ، والذي كان يريد أن يستعدى زيادة الله على الروم في صقلية ، أو كان يريد أن يطلب منه معونة عربية ليستعيد بها سلطانه في الجزيرة ، فأعلن أن الروم خرقوا الهدنة في صقلية . وأنهم يحتجزون أعداداً من أسرى المسلمين هناك (٨٤) .

(٨٢) انظر المالكي ، رصاص النموس ، ج ١ ص ٨٦ . والتحقيق أن إبراهيم بن الأغلب كان قد عقد الصلح - في سبيل تأمين الملاحة العربية في البحر المتوسط - لمدة عشر سنوات مع القائد البيزنطي في صقلية ، وهو قسطنطين . ورغم تغير السياسة الأغلبية التي هدفت إلى تقوية الامارة بحريا عن طريق الاهتمام الكبير بالأسطول مما أثار انباء البيزنطيين في صقلية ، فإن الأمر انتهى بمقد صلح جديد لمدة عشر سنوات بين أبي العباس عبد الله الذي خلف والده إبراهيم بن الأغلب وبين جريجوري القائد البيزنطي في صقلية ، وذلك في سنة ٨١٣ ، كما تم تبادل الأسرى ، وتقرر تأمين سلامة التجار من الجانبين . انظر عزيز (أحمد) ، تاريخ صقلية الإسلامية : بالانجليزية ، ص ٥٠ -

(٨٣) انظر المالكي ، ج ١ ص ١٨٦ ، المكتبة ، ص ١٨٢ - حيث تقول الرواية على لسان سليمان بن عمران القاضي القيرواني بعد سجنه (انظر فيما سبق ج ١ ص ٧٤ و ٧٠) الذي كان قد حضر مع شيوخ القيروان كتاب الهدنة ، الذي قرأه على جماعة الناس ، وكان فيه : فإن من دخل اليوم من المسلمين وإراد أنه يردوه إلى المسلمين كان ذلك عليهم .

(٨٤) انظر المالكي ، ج ١ ص ١٨٦ ، المكتبة ، ص ١٨٢ - وهذه الرواية مقبولة أكثر من رواية اللخمي عياض القنفصة في المدارك (ص ٤٧٦ : تراجم الخليفة - ص ٦٦) التي تجعل الرسل الذين حضروا إلى القيروان - وهم : رسل طائفة الروم - مما لا يتفق مع نص الرواية مع شك القاضي أبي محرز فيهم . ويؤيد رواية المالكي ما كتبه عليه الرواية التي تقول أن فيس ، بعد أن أخرجه جيوش القيصر من صقلية - سار مسلحاً إلى إفريقية ، ثم إلى -

وجمع زيادة الله أهل الحل والعقد من مستشاريه ، ومن العلماء ، وعلى رأسهم قاضيا إفريقية حينئذ ، وهما : أبو محرز وأسد بن الفرات ، لمناقشة أمر إحلال روم صقلية بشروط الهدنة ، اذ احتجزوا بعض أسرى العرب ولم يطلقوهم حسب مقالة فيمي وأصحابه ، الذين كان بينهم واحد من المسلمين ، كما تقول زواية المالكي (٨٥) . ولا بأس أنه كان ترجحنا للروم ، اصطحبوه معهم . والظاهر أن فيمي وأصحابه أرادوا أن يظهرُوا بظهر أصحاب الأمر الشرعيين في صقلية ، وهذا ما لم يخف على أبي محرز القاضي ، الذي رأى التروى في أمر تقرير خرق الهدنة حتى تظهر البيئة (٨٦) .

وكان أبو محرز يرى عدم الأخذ بمقالة فيمي وصحبه ، على أساس عدم جواز قبول شهادتهم على أنفسهم أو على خصومهم من أبناء جلدتهم . أمه أسد ابن الفرات الذي كان قد جمع ، الى العلم والفقه ، الشجاعة - حتى أنه كان يعد من بين شجمان إفريقية في ذلك الوقت - والذي كان يميل الى نقض الهدنة ، فإنه اعترض على تشكيك أبي محرز في شهادة فيمي وصحبه ، واعتبرهم رسل ملك الروم ، وقال في ذلك : « بالرسل هادناهم ، وبهم نجعلهم ناقضين » . وأضاف الى ذلك الآية التي تقول : « فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون » ، وأكد ما تدعو اليه الآية ، بقوله : « فنحن الأعلون » (٨٧) .

وعلى أساس فتوى أسد بن الفرات تلك تم نقض الهدنة مع الروم ، وبناء على ذلك قرر زيادة الله غزو حرية صقلية ، وهو الأمر الذي كرهه علماء إفريقية وقتئذ ، لأنه لم يصح عندهم أن الروم نقضوا العهد (٨٨) .

صراعات داخلية في الجزيرة تمهد للفتح :

وهكذا كان فتح صقلية ، مثل فتح الأندلس ، نتيجة مباشرة لصراعات داخلية بين زعماء البلاد ممن طلب بعضهم معونة العرب ، أو سهلوا عليهم

= الكبرياء . انظر ياقوت ، معجم البلدان ط ٤ - أوروبا ، ج ٣ ص ٤٠٧ ، البكري ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٣١٩ -

(٨٥) المالكي ، المكتبة ، ص ١٨٤ ، وعن أسد وابن محرز انظر فيما سبق ، ص ٦٦ . وما يندرج

(٨٦) المالكي ، ج ٣ ص ١٨٤ ، المكتبة ، ص ١٨٢ ، تراجم الخليفة ص ٦٦ .

(٨٧) انظر تراجم الخليفة ، ص ٦٦ ، المدارك ، ص ٤٧٧ ، المالكي ، ج ٦ ص ٢٨٧ ، المكتبة ، ص ٢٨٢ - ١٨٣ -

(٨٨) المالكي ، ج ٢ ص ١٨٧ ، المكتبة ، ص ١٨٣ -

أمر الأسبلاء على الحرية . وفي سنة ٢١١ هـ / ٢٦ - ٨٢٧ م . قام براغ
ببن حاكم صقلية البيروني قسطنطين ، وبين فيمي مائد جيش الاسطول
الذي صفه رواية ابن الأثير الشقولة عن الرقيق - التي حافظ عليها التويري
بشكل جيد ، بينما انطمست بعض معالمها عند ابن خلدون ، والتي يعتمد
عليها ، على أساس أنها يونانية الأصل - بالحرم والشحاعة (٨٩) . وانتهى
ذلك النزاع بأن هاجم فيمي بمراكبه سرقوسة العاصمة ، واستولى عليها بعد
أن هزم قسطنطين الذي لجأ إلى مدينة قنانيا القريبة ، على نفس الساحل
الشرقي لبحريرة ، شمال سرقوسة ، حيث طاردته قوات فيمي وخسذته
وقتلتها .

وبموت قسطنطين آل حكم صقلية إلى فيمي الذي اتخذ اللقب الملكي ،
بمعنى إعلان الاستقلال عن الامبراطورية ، وعهد بولايات الأقاليم إلى اتباعه ،
وكان منهم القائد الأرمي بلاطة ، ابن عم ميخائيل حاكم مدينة بلرم . ولم
يلبث بلاطة أن طمع بدوره في ملك الجزيرة فتحالف مع ابن عمه ميخائيل ،
ونجح الاثنان في هزيمة فيمي ، وانتزاع سرقوسة من بين يديه - وهنا لم
يجد فيمي ملجأ إلا إفريقية حيث كان الأمير زيادة الله (٩٠) .

حقيقة عرض فيمي ، واحتمالات النجاح والفشل ، ودور أسد بن القرات :

في هذه الظروف ، وبصرف النظر عن نقض الصلح أو عدمه ، عرض
القائد فيمي على زيادة الله أن يعاونه على فتح صقلية . وسهل له أمر ذلك ،
ووعده - على ما نرى - بأن يكون تابعاً له في الجزيرة ، إلا إذا كان في نية
فيمي الخدر بعد أن يساعده العرب ، وهو الأمر الذي يظهر من خشية العرب
من وجوده في صفوفهم ، عندما نزلوا في الجزيرة . والظاهر أن زيادة الله وعدداً
لا بأس به من مستشاريه ، وعلى رأسهم القاضي أسد بن القرات ، أرادوا إتهالز
الفرصة ، ودفع حدود الإسلام في قلب البحر المتوسط ، إلى وإلى السواحل
الأوروبية بضم صقلية . ولكنهم كانوا مترددين في حساب الكسب والخسارة ،
في المغامرة البعيدة فيما وراء البحر ، وخاصة أن القصد ، هذه المرة ، لم

(٨٩) وعن أسباب ثورة فيمي تقول الرواية البيرونية أنه أحب رامية اسما بموفايزاه
وتروحا دهم اذادتها . وعندما بلغ ذلك سماع الامبراطور ميخائيل الثاني أمر حاكم الجزيرة
قسطنطين بشحاعة فيمي وقطع الله (أنظر عزيز احمد ، تاريخ صقلية الاسلامية ،
بالبحرية ، ص ٦) .

(٩٠) ابن الأثير : المكتبة الصقلية - ص ٢٢١ و ٢٢٢ - التويري : المخطوط ، ج ٢ ، ص ٢٢٢
٢٢٦ المكتبة - ص ٢٢٧ ، ابن خلدون ج ٤ ص ١٩٩ . والمكتبة : ص ٤٣٦ .

يكى عارة عادية من تلك الغارات التى كانوا يقومون بها على صقلية وغيرها من الجرار القريبة منها ، مثل : سردانية وكورسيكا ، بل هو الاستقرار والاستيطان فى الجزيرة .

ينضح ذلك من المناقشات التى دارت بين فقهاء افريقية السدين اختلفوا فى الامر ، فكره بعضهم غزو الجزيرة ، على أساس أنه لم يصح عندهم أن الروم تقضوا العهد (٩١) ، أو ما نصح به بعضهم ، عندما قالوا : نفزوها ولا نسكنها ، ولا نتخذها وطنا . ويظهر ذلك بشكل أوضح فيما ينسب الى فقيه افريقية وامامها الشهير سحنون بن سعيد ، من أنه : سأل العارفين بالمسألة عن المسافة بين صقلية وبلاد الروم ، وعن المسافة بينها وبين افريقية . وانه عندما عرف أن الاسان يروح مرتين وثلاثة فى النهار من ساحل صقلية الى ساحل بلاد الروم - والمقصود بذلك عبور مجاز ميسى الضيق - وان المسافة بين الجزيرة وبين افريقية : يوم وليلة ، أظهر عدم موافقته على الغزو ، على أساس ان امدادات الروم ستكون قريبة جدا من الجزيرة ، بينما سيكون العرب بعيدين عن قواعدهم . وهكذا قال سحنون : « لو كنت طائرا ما طرت عليها » (٩٢) .

توتب على ذلك أن انقسم الناس الى ثلاثة أطراف ، من محبذين للغزو ورابعين فيه ، وعلى رأسهم أسد بن الفرات . ومعارضين للمغامرة غير المضمونة ، وعلى رأسهم سحنون بن سعيد .

ثم جماعة الوسط ممن كانوا يودون الغزو ويخشون من القيام بالمغامرة . والمثل لهم زاهد افريقية وعابدها وقتئذ : عبد الرحيم بن عبد ربه الربيعي ، الذى كان يعرف بعبد الرحيم المستجاب ، والذى كان فى أول أمره تاجرا فى سوق البزازين بالقبروان . فقد كان عبد الرحيم مترددا ما بين الخروج للغزو أو البقاء لاصلاح واعادة بناء رباط قصر زياد الذى كان يتردد عليه فى الساحل ، فاقنعه سحنون بأن يبقى ويبنى قصر زياد ليكون حصرا .

(٩١) انظر الصفحة السابقة .

(٩٢) النويرى . المخطوط . ج ٢٢ ص ٢٢٦ ب ، المكتبة . ص ٢٢٧ - ٢٢٨ : حيث تسمى الرواية صاحب الراى الممارض باسم : « ابن قادم » الذى ربما كان واحدا من أصحاب سحنون . وعن ابن قادم الذى يظهر فى صورة واحد من قواد أسد فى صقلية وانه كان يحب الدعوة الى الفريضة قال : « من حياة رجل مسلم أحب لليل من أصل الشوك كلهم » . انظر المالكي . ج ٩ ص ١٨٨ ثم ص ١٨٩ : حيث ادب أسد ابن قادم لضربه بالسوط .

للمسلمين ، وعونا لهم يلجأون اليه ، ويرابطون فيه (١٣) .

ورأى الشجعان يقتصر : أسد بن الفرات قائدا :

والهم أن رأى جماعة المتحمسين للجهاد هو انذى انتصر ، فقرر زيادة الله القيام بالفتوة ، وأصدر أمره الى القائد البيزنطى فيمى وأصحابه بالتوجه الى سوسة ، قاعدة الفتوح وأرض المحارس والرباط ، والاقامة فيها حتى يتم الاعداد للحملة ، ويستعد الاسطول (١٤) . ولم يكن من الغريب أن يستد زيادة الله قيادة الحملة الى أسد بن الفرات ، الذى كان على فقهه وعلمه ، معدودا بين الشجعان ، والذى كان قد سبق له غزو سردانية بأمر زيادة الله ، وأشرف على فتحها ، كما تقول الرواية ، لولا حسد من كان معه من القواد (١٥) .

الاجتهاد فى بناء السفن للحملة :

دار صناعة فى مقبرة سوسة :

ويظهر من سيرة أسد بن الفرات ، كما يعرضها كتاب تراجم علمساء افريقية ، أنه كان يتعجل الاعداد للحملة والمسير الى الجهاد ، حتى قيل : انه كان يشعر بتثاقل زيادة الله فى ذلك ويشكو منه (١٦) . هذا ، ولو أننا نجد فى تراجم غير أسد من العلماء بعض التفصيلات الطريفة عما كان يقوم به زيادة الله من تجهيز الاسطول فى سوسة . ففى ترجمة يحيى بن عمر بن يوسف الأندلسى ، دفين سوسة ، يتضح أنه لما أمر زيادة الله بإنشاء المراكب

(١٣) انظر المالكي ، ج ١ ص ٢٢٧ ، المكتبة ، ص ١٨٦ - وتقول الرواية ان سحنون بن سعيد صنع عبد الرحيم بذلك لانه كان يعرف عنه انه يخاف البحر . وأن سعيد الرحيم عندما شاور أسد بن الفرات فى نصيحة سحنون له ، رد عليه قائلا : « الذى أشار عليك به حسن الصواب » . وأن أسدا انتب موافقته على ذلك بأن سعيه فى موافقة الأمير على أن يبني عبد الرحيم قصر زياد ، فأخرج له السجل الخاص بذلك . وتقول الرواية ان عبد الرحيم ألقى فى اصلاح القصر وإعادة مائه ١٨ (ثمانية عشر) ألف دينار ، منها ١٣ (اثنى عشر) ألف دينار من ماله ، و ٦ (ستة) آلاف دينار من مال اخوانه ومحبيه .

(١٤) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٧ ص ٢٢٦ ب . المكتبة ، ص ٤٢٨ .

(١٥) تراجم الخليفة ، ص ٦٧ - وتقول الرواية ان حشد اخسوانه له - أثناء الفتوح بلغ مسامع الأمير الذى سأل عن أسماء المهتمين فى الامر وأن أسدا رفض أن يستنيهم .

(١٦) المالكي ، ج ١ ص ١٨٧ ، المكتبة ، ص ١٨٣ .

- ٢١٦ -

للخروج الى صعلبيه . كان فتياته من السودا بنساركون في أعمال دلو
الصناعة التي ضاق بها المكان حتى أن العاميين في ساء السعر اضطروا أن
استخدام مقرة سوسة ، وهدموا ما فيها من القبور ، حيث رقدوا اثر ك
انتى كان يحرق اشواها ، الا قبر يحيى من عمر ، ما حصر احد على هدمه .
وعندما مثل بعض العاميين من الغتيان السودا قال : « أنا مرى عليه بورا
عقشا ، فهو الذى سمنا من هدمه » (٩٧) .

الذى يهتم من ترجمة أسد بن العسرات انه ، في الوقت الذى كان
تعمل الاعداد للحملة ، كان يفضل السقاء في وطيفة القضاء ففى ذلك
يقول الرواية انه قال لزيادة الله أصلح الله الأمير من بعد القضاء ، والغير
فى حلال الله تعالى وحرامه . تعرفنى وبوليدى الامارة ؟ « وكان رد الأمير
« اى لم أعزلك عن القضاء ، بل وليك الامارة ، وهى شرف من القضاء .
وأبقيت لك اسم القضاء فأنت قاضى أمير » . وزعم ما تقوله الرواية من «
« لم يجتمع الامارة والقضاء لاحد بسند اربعة الا لأسد » (٩٨) ، فقد كان
ذلك أمرا طبيعيا بالنسبة لأسد ، اذ كان الجيش يحتاج دائما الى قاضى ،
يسمى « قاضى العسكر » ، للنظر فى أمور الحلال والحرام ، بين الجند ، وينظر
فى مسألة توزيع المغانم وتحديد الخمس الخاص بالأمير . وهكذا ، بينما كان
الاعداد للحملة يجرى على قدم وساق ، والناس يتوافدون على أسد يسألونه
عن الخروج معه ، وما يحسن أن يكون معهم من العدة والعتاد ، أصدر قيادة الله
سجلا بولاية أسد على صقلية أميرا وقاضيا (٩٩) .

خروج أسد من القيروان :

وعندما جهر الأسطول فى سوسة ، وتم الاعداد للحملة فى القيروان ،
كان على أسد بن الفرات أن يخرج لركوب الأسطول فى سوسة ، وذلك بعد
إقامة حفل عقد اللواء له فى المسجد الجامع بالقيروان بعرفة الأمير ، حيث
يقرا سجل الامارة ، أى قيادة الحملة . ويصف مترجموا أسد بن الفرات حفل
خروجه من القيروان ، فى الطريق الى سوسة ، وصفا رائعا : فقد خرج محروفا

(٩٧) المذكر ، ج ١ ص ٤٠٠ . المكتبة ، ص ١٨٧ - ١٨٨ .

(٩٨) المذكر ، ج ١ ص ١٨٤ . المكتبة ، ص ١٨٢ تراجم الخليفة ص ٦٦ .

(٩٩) المذكر ، ج ١ ص ٣٢٧ . المكتبة ، ص ١٨٦ ترجمة عبد الرحيم بن عبد ربه ١ .

وتقول الرواية أن أسدا حمل الأمر بصدور أيضا سجلا ساء نصر بن زياد . كما سجل .

بوجوه الذين انعلم من المودعي وكسار أهل الدريعه من عامه الناس ، ورجال الحاشيه انديين خرجوا جميعا بأمر ريادة الله .

ونظر أسد الى الناس عن يمينه وعن شماله ، والبنود مشورة فوق الرؤس ، وقد سهلت الخيل ، وضربت الطبول ، فأحده التآثر . ووقف القائد الفقيه حطيبا في الجمع الحاشد من المشيعين ، فقال : « والله يا معشر الناس ما ولي أب ولا جد قط ، ولا رأى أحد من بيتي مثل هذا قط ، وما رأيت ما يرون الا بالاقلام ، فاجهدوا انفسكم واتعبوا ابدانكم في طلب العلم وتدوينه ، وكاثروا عليه واصبروا على شدته فانكم تنالون به الدنيا والآخرة » (١٠٠) . فكانت مناسبة استغلها القاضي القائد للحث على طلب العلم الى جانب الدعوة الى الجهاد .

حجم الحملة ومعداتنا :

ولا نعرف متى خرج أسد من القيروان ولا كم من الوقت أمضى في سوسة حيث كان يشرف على رجال الحملة الذين بلغ عددهم ٧٠٠ (سبعمائة) فارس بحيلهم ، و ١٠ (عشرة) آلاف راجل . ولكن من المعروف أنهم كانوا قد انتظموا في مراكزهم التي بنفت ١٠٠ (مائة) مركب ، قبل صباح السبت الموافق للنصف من شهر ربيع الأول من سنة ٢١٢ هـ / ١٤ يونية ٨٢٧ م ، حينما أعطيت الإشارة للاسطول بالاقلاع ، وذلك في خلافة المأمون (١٠١) .

وهذا يعني أن حمولة المركب كانت حوالي ١٠٠ (مائة) رجل دون النوتية . وتقول رواية ابن عذارى ان رجال الحملة كانوا يتكونون من أشرف افريقية ، من : العرب والجسد والبربر والأندلسيين ، وأهل العلم والبصائر (١٠٢) . وذلك يعني أن العرب الذين شاركوا في الحملة كانوا من سلالة القرشيين وعرب الفتوح الأولى في افريقية الذين عرفوا بالبلديين ، الى جانب التميميين من أقارب الأغالبة . أما الجند فالمقصود بهم عسكر الأميروفتيانه من الصقالبة ومن السودان ، وأما بربر افريقية فلا بأس أن يكونوا جماعات من هوازة طرابلس ونعزوة ، ومن قسائل الزاب وبضمنهم كتامة . أما عن

(١٠٠) المالكي ج ١ ص ١٨٨ . المكتبة ص ١٨٤ ، وقارن تراجم إبلية ص ٦٧ .

(١٠٢) النويري . المخطوط ج ٢٢ ص ٢٢٦ ب . المكتبة ص ٤٢٨ ثم المخطوط ص ١١١

١١١ حيث تقول الرواية ان أسدا سار في عشرة آلاف - وقارن المالكي ج ١ ص ١٨٧ .

(١٠٢) ابن عذارى ج ١ ص ١٠٢ .

الأندلسيين فالمقصود بهم ، كما نرى ، أولئك الذين كانوا قد استقروا في افريقية ، ومنهم من كان من أهل العلم والبصائر ، الذين ساهموا في هذا الجهاد ، وهم غير الأندلسيين من الغزاة البحرين الذين سيأتي ذكرهم عما قريب .

أما عن مراكب فيمي التي لا تشير إليها الرواية في تلك الرحلة ، فأغلب الظن أنها سارت بصحبة أسد ، كما تقول رواية النويري (١٠٣) .

إقلاع الحملة الى مازر (مزاره Mazara) :

وإذا كانت الرحلة في البحر في ربح الصيف المواتية تستغرق يوما وليلة ، كما قيل لسحنون (١٠٤) ، وهي مسافة مجريين بمسافات أهل البحر وقتند ، أى حوالى ١٢٠ ميلا ، فإن هذا لا يعنى أن أسطولا حرييا مثقلا بالرجال والعتاد كان يمكنه أن يصل في اليوم التالي الى ساحل صقلية . فقد استغرقت الرحلة ٣ (ثلاثة) أيام ، فوصل الأسطول الى ساحل مازر صباح يوم الثلاثاء ١٣ من ربيع الأول (١٦ يونيه) (١٠٥) .

أما عن اختيار ساحل مازر لنزول الحملة ، فكان يحقق للعرب ميزتين : احدهما ، أن ساحلها يعتبر أقرب السواحل الصقلية الى الأرض الافريقية ، وثانيتهما : أنها كانت بعيدة عن مركز النقل البيزنطى في الجزيرة ، وذلك على الساحل الشرقى حيث : سرقوسة رقطانيا و ليرمين ، كما أن مدينة مازر نفسها كانت بعيدة في الداخل على بعد أميال من الساحل .

حازر قاعدة العمليات :

وهكذا ، أمر أسد بن الفرات بالحيل فأخرجت من المراكب في هدوء ، وتبمها الرجال ، واتخذ له في الموضع معسكرا ، وانتظر يتحسس مواضع قديمة في المكان لمدة ثلاثة أيام . وواضح من رواية النويري أن أصحاب

(١٠٣) النويري ، المخطوط . ج ٢٢ من ٢٢٦ المكتبة . ص ٢٧٨ (حيث يقول ان الأسطول كان في « بحر مائة مركب سوى مراكب فيمي ») .

(١٠٤) انظر فيما سبق ، ص ٢١٣ .

(١٠٥) النويري ، المخطوط . ج ٢٢ من ٢٢٦ ب . المكتبة ص ٢٢٨ . وانظر تاريخ صقلية حسب تاريخ الروم ، المكتبة الصقلية ص ١٦٥ (حيث يجعل الوصول الى مازر في منتصف يولييه ٦) .

فيمى لم ينزلوا فى المعسكر العربى ، بل أقاموا بالقرب منه ، وذلك أن رجال
أسد عندما أخذوا فى اليوم الثالث سرية من سرايا الروم ظهر لهم أنهم من
أصحاب فيمى فتركوهم (١٠٦) ، مما يعنى أن المنطقة لم تكن محصنة ، وأنه
لم يكن بها حاميات من البيزنطيين .

وبذلك استولى أسد على مازر ، وبث سراياه فى المنطقة فغنم وتسبى ،
حتى امتلا المعسكر بالسائمة الكثيرة والسبى والسلاح (كراعات) (١٠٧) .

اللقاء مع حاكم الجزيرة فى « مرج بلاطه » (Pelato ؟) :

وعندما اطمأن أسد الى سلامة موقعه قرر المسير الى لقاء القائد الأرمنى
بلاطه ، الذى كان قد سيطر على الجزيرة وطرد فيمى . فعبا رجاله وخرج بهم
من مازر متجها الى حيث كان بلاطه فى بعض قلاع مرج يعرف باسمه ،
فهو « مرج بلاطه » ، مسترشدا بفيمى ورجاله . وعندما برز بلاطه ، عبأ أسد
رجاله فى هيئة القتال ، وطلب من فيمى ورجاله أن يقفوا بعيدا على الحياد .
وانتهى القتال غير المتكافئ فى نظر الرواية التى تقول ، بكثير من المبالغة ،
أن بلاطه زحف فى ١٥٠ (مائة وخمسين) العسا (١٠٨) بانتهزام بلاطه نحو
قصريانة (كاستروجيوفاني) ، وهى المدينة الكبيرة التى تعتبر عاصمة وسط
الجزيرة ، بعد أن فقد كثيرا من رجاله ، وترك الكثير من عده وعتاده غنيمة
بين أيدي رجال أسد .

وللرواية الحق فى تضخيم الدور الذى قام به أسد بن الفرات أثناء
القتال الكبير . فهو عندما طلب الى أصحاب فيمى أن يمتزلوا رجاله ، أمرهم
بأن يجعلوا على رؤسهم سيما يعرفون بها لثلاثتهم واحد من العرب أنهم
من الأعداء ، فيصيبهم بمكره . وينسأ على ذلك فقد جعل أصحاب فيمى
الحشيش على رؤسهم (١٠٩) مما يعنى أنهم كانوا محتبئين فيما يشبه الكمين
وأنهم استخدموا فروع الأشجار والحشيش على رؤسهم للتمويه .

(١٠٦) البويرى ، المخطوط . ج ٢٢ ص ٢٢٦ - المكتبة ، ص ٢٢٨ .

(١٠٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٢ .

(١٠٨) المالكي ، ج ١ ص ١٨٨ ، المكتبة ، ص ١٨٤ ، البويرى ، المخطوط ، ج ٢٢

ص ١١١ . وتذكر هذه المبالغة بما قيل فى فتح الأندلس أن جيش للدول كان يزيد على
مائة ألف نيسا كان جيش طارق حوالى عشرة آلاف .

(١٠٩) المالكي ، ج ١ ص ١٨٨ ، المكتبة ، ص ١٨٥ .

ووقف أسد يحمل لواء القيادة في قلب عسكره ، وهو يزمرم بآيات من القرآن الكريم ، وخاصة سورة « ياسين » . وعندما بدأ الروم حملتهم على رحاله الدين راعهم الأمر ، أقبل أسد يرفع من معنوياتهم ، ويقول لهم : « هؤلاء عجم الساحل ، هؤلاء عبيدكم لا تهابوهم » ، واندفع باللواء تحت ابطه ، وحمل الناس معه . وبلغ من تشبث أسد باللواء تحت ابطه أنباء تموج الناس في المعركة الى درجة أن سال الدم من تحت ابطه على قساء اللواء ، وعلى طول ذراعه (١١٠) .

ولم يستقر بلاطه كثيرا في قصر يانة اذ غلبه الخوف من العرب ، فخرج من قصر يانة نحو مسيسي من حيث عبر الى قلورية في حوض ايطاليا ، ربما من أجل العودة بمن كان يدين له بالطاعة في هذا الصقع من الرجال ، ولكنه قتل هناك (١١١) .

وبذلك تحققت أول مرحلة من مراحل غزو صقلية على يد أسد ابن الفرات الذي كتب الى ريادة الله بالفتح ، وكان على الأمير الأغلب أن يخطر بداره الخليفة المأمون في بغداد بما تم في صقلية من الفتوح باسم الخلافة (١١٢) .

الموسع نحو سرقوسة :

وبعد ذلك عاد أسد بن الفرات في اتجاه معسكره نمازر ، وهو يكتم آلام ابطه الجريح ، واستولى في طريق العودة على الحصون والقرى الواقعة على البحر ، مثل ابيمية التي كان بها كنيسة كبيرة . وبعد أن أصلح أسد من شأنه قرر المسير نحو الشرق الى سرقوسة حيث قوات السروم الرئيسية ، فترك نمازر بعد أن استجلب عليها القائد أبا زكي الكناني ، واتخذ طريق الساحل الجنوبي في اتجاه الركن الجنوبي الشرقي من الجزيرة حيث طرق البوالص أو أنف الأرنب ، كما يسميه الادريسي (١١٣) .

(١١) المالكي . ج ١ ص ١٨٨ . المكتبة . ص ١٨٥ . ويشرح المالكي حجم الساحل ما به الدس كانوا هربوا من ساحل الفريقية عندما فتحها العرب . وانظر تراجم الغلبة . ص ٦٧ (١١١) البويري المخطوط . ج ٢٢ ص ٢٢٦ ب . ٢٢٧ . المكتبة . ص ٢٢٨ . وانظر ابن الأثير . سنة ٢٠١ . ابن خلدون . المكتبة . ص ٤٦٦ . (١١٢) انظر فيما سبق . ص ٢١٨ . (١١٣) الأ- بي المكتبة . ص ٣٧ . وهو أبيه انظر البويري المخطوط . ص ٢٢٧ .

وتقول الرواية انه التقى بالقرب من البندة المعروفة بكنيسة السفين. بعد من الروم بقيادة بعض بطارقة سرقوسة ، و بهم حذروه ومكروا به ، عندما طلبوا منه الأمان نظير دفع الجزية ، وذلك أن هدفهم كان أخذ فسحة من الوقت للاستعداد لمواصلة الحرب .

وتنص الرواية على أن أهل الجزيرة اجتمعوا الى قلعة الكرك في الجزيرة المعروفة بنمس هذا الاسم ، على بعد ٣ أميال من البوالص ، حيث جمعوا فيها كل أموال الجزيرة (١١٤) . أما عن أهل سرقوسة الذين ذلوا وألقوا سلاحهم ، فابهم عادوا الى منارة العرب (١١٥) .

وهكذا بعد أن أقام أسد بن الفرات في موضعه إياما تبين له أن أهل سرقوسة و مكروا به حتى أصلحوا حصنهم ، وأدخلوا اليه جميع ما كان في الزبض وفي الكنائس من الذهب والفضة والميرة ، فنقسم ونأصبهم القتال (١١٦) .

حصار سرقوسة :

ومن تحت أسوار سرقوسة حيث استقر أسد في معسكره ، أخذ يبتأسرايا في أنحاء المنطقة لتعود اليه بالمغانم العظيمة والسبي الكثير ، حتى ضج أهل المنطقة ، واضطر المحاصرون في سرقوسة الى طلب الأمان من جديد . وتقول الرواية أن أسدا كان يميل الى أن يجيب الى ما طلبه أهل سرقوسة من الأمان ، ولكنه لم يستطع أمام معارضة المتزمتين من أصحابه . فظل مقيما في المنطقة ، وهو يناصب أهلها العداة ، ويواصل عليهم شن الغارات (١١٧) في البر والبحر جميعا ، بينما كان زيادة الله يواصل امداده بالرجال والعنادر (١١٨) .

(١١٤) الويرى ، المخطوط ، ص ٢٢٧ . وقانون ابن الأثير ، سنة ٢٠٦ هـ (من ولاية ريادة الله ، ج ٦ ص ١٣٦) . وابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٩ .

(١١٥) نفس المصدر .

(١١٦) نفس المصدر .

(١١٧) الظير المالكي ، ج ١ ص ١٨٩ ، المكتبة ، ص ١٨٥ . وقانون ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ .

(ولاية ريادة الله ، ج ٦ ص ١٢٨) ، والويرى ، المخطوط ، ص ٢٢٧ .

(١١٨) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ (ولاية ريادة الله ، ج ٦ ص ١٢٨) .

القحط والوباء :

والظاهر أن الذي كان قد دفع أسد بن الفرات الى الميل الى عقد الهدنة التي طلبها أهل سرقوسة ، هو القحط والوباء الذي بدأ يحل بالجزيرة منذ السنة التالية لنزوله في مازر ، وهي سنة ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م . فهذا ما يفهم من رواية المالكي التي تشير الى ما نزل بالعسكر من الجوع الذي أضر بهم حتى أكلوا لحم الجبل ، وهو الأمر الذي تؤكد رواية ابن الأثير (١١٩) ، مما دعا بعض كبار القواد الى اقتراح الجلاء عن الجزيرة وانغودة الى افريقية .

ورفض أسد بن الفرات بطبيعة الحال كسر الغزوة ، ولم يفقد الأمل في مقدرة الرجال على اجاز المهمة رغم ما كان يواجههم من الصعوبات . وقام جدل يسه وبين ذلك للقائد الذي سمييه رواية المالكي بأبن قادم ، والذي قال في معرض دفاعه عن فكرته : « حياة رجل مسلم أحب إلينا من أهل الشرك كلهم » - وعندما وجد أسد أن عددا من رجاله يسيل الى ترك الغزو والعودة الى الساحل الافريقي هددهم باحراق المراكب - وعندما تطاول ابن قادم عليه ، وقال له : « على أقل من هذا قتل الناس عنمان » ، لم يتردد القاضي الأمير في أن يؤديه بالسوط (١٢٠) ، تسليما كما فعل موسى بن نصير بطارق بن زياد في قصة فتح الأسلس مع اعتبار عكس الأوضاع .

استمرار الضغط على سرقوسة :

والمهم أنه رغم انواء والشدّة ظل العرب يضغظون على نواحي سرقوسة ، ونجحوا في فتح عدد من الغيران حولها ، وكانت سراياهم تعود من جولاتها بالمغانم والأسلاب (١٢١) التي تعينهم على مواصلة الصراع . بينما كان

(١١٩) المالكي ، ج ١ ص ١٨٩ ، المكتبة ، ص ١٨٥ ، ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ (ولاية زيادة الله ، ج ٦ ص ١٣٨) .

(١٢٠) المالكي ، ج ١ ص ١٨٩ ، المكتبة ، ص ١٨٥ - والذي يستعمره الانتباه هو أن رواية النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٣٦ ، المكتبة ، ص ٤٢٧ ، التي سجلت الاشارة اليها ، والتي نصت على أن الامام سحنون كان من المعارضين لغزو صقلية منذ البداية (انظر عيسا سبق ص ٢١٤) تغلط بين سحنون وبين ابن قادم . ولكنه يمكن القول انه وما كان ابن قادم من أصحاب سحنون . هذا كما يمكن الظن في أن تكون لقصة فتح الأسلس - وما قيل من احوال طارق كرامه عقب الفيلور - ونما قيل من أن موسى قرب طارقا بالسوط عند طليطلة صلابة تلك القصة الخاصة بفتح صقلية -

(١٢١) ابن الأثير ، سنة ٢٠٢ ، المكتبة ، ص ٢٢٣ .

الإمبراطور ميخائيل الثاني يرسل التجنيدات إلى الجزيرة ، ويعمل على إقناع
 دوج البندقية « جيوستيانو بارتيسيبازيو Guistiniano Partecipazio
 بمساهمة أسطول له في مواجهة العرب (١٢٢) .

وهكذا تطلبت العمليات العسكرية أن يستقر أسد في معسكره الجديد
 تحت أسوار سرقوسة ، وحسنه فأحاطه بخندق يمنع الروم من مدهامته ،
 وعندما علم العرب بمسير بطريق (قائد) بلرم في عسكر كثيف اليهم ،
 أقاموا لهم مصائد خارج الخندق . اذ حفروا حفرا كثيرة ، أتت بما كان يرجى .
 منها عندما سقط فيها عدد كبير من المهاجمين وقتلوا . وبذلك نجح العرب
 في الدفاع عن قاعدتهم ، كما زادوا من ضغطهم على سرقوسة المحاصرة (١٢٣) .

وفاة أسد في الوباء مع وصول أسطول من القسطنطينية :

ولم يكن العرب يتنفسون الصعداء وسط تعب القحط والوباء والجوع
 حتى خرجوا بازدياد متابعهم بوصول أسطول من القسطنطينية معاً بالرجال
 والساد . وكان وصول الأسطول الرومي في وقت ازدادت فيه شدة الوباء
 الذي راح ضحيته الكثيرون ، وعلى رأسهم قائدهم وقاضيه أسد بن
 الفرات (١٢٤) ، الذي توفي في شعبان من سنة ٢١٣ هـ / أكتوبر - نوفمبر
 ٨٢٨ م (١٢٥) ، ودفن تحت أسوار سرقوسة (١٢٦) .

(١٢٢) عزيز أسد ، تاريخ صقلية الإسلامية ، ص ٨ .
 (١٢٣) ابن الأثير ، سنة ٢٠٢ هـ (زيادة الله) ، المكتبة ، ص ٢٢٣ . والنظر : بن خلدون ،
 ج ٤ ص ١٩٩ ، المكتبة ، ص ٦٧ هـ حيث النص على أن المسلمين حاصروا بلرم بدلا من خروج
 عسكر بلرم إلى المسلمين .
 (١٢٤) ابن الأثير سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ص ٢٣٣ .
 (١٢٥) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٧ . وقارن تراجم الغلبية ، ص ٧٠ حيث
 يغيب إلى ذلك أنه قيل أن وفاة أسد كانت في سنة ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م أو في سنة ٢١٧ هـ /
 ٨٢٢ م .

(١٢٦) ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٢٦٧ هـ حيث يخلط النص بين سرقوسة وبلرم فيقول :
 انه دار في المدينة الأخيرة أما من العبر (ج ٤ ص ٦٩٩) ففيه أنه دفن في قصر يالمة خلا -
 وكان من نصيب ترابصقلية أن يدفن فيه علم أسد الذي كان يتحضر على شياخ علمه بولاقه -
 لك كان يرى في بعض الأحيان وهو يدق صدره . ويقول : « واحسرتاه ! ان مت : ليدفن .
 القبر منى علم عظيم » - والنظر تراجم الغلبية ، ص ٦٣ .

اختيار الجند محمد بن أبي الجوارى قائدا :

والصاهر أنه كان لوفاة أسد وقع سيء في نفوس عسكره في ذلك الـ الذي كان يفنك بهم الروباء ، حتى قيل أن رهائن الروم الذين كانوا لـ انتهزوا الفرصة وهربوا (١٢٧) . ورغم أسا لا تعرف أن الأمير ريادة الله قد عين قائدا ثانيا للحملة كما جرت العادة ، فان رؤساء الجند اجتمعوا واخذوا احدا منهم ليخلف أسدا في الامارة ، وهو محمد بن أبي الجوارى (١٢٨)

الروباء والروم أنام العرب :

العودة الى مازر والتفكير في الرجوع :

وإنام الحسانير التي كان ينزلها الروباء بالقوة العربية وتهديد الجـ البيزنطية التي اتت في الأسطول بحرا ، وفي البر أيضا عن طريق إـ وكلا برها ، ترك العرب معسكرهم تحت أسوار سرقوسة وعادوا نحو إـ الى قاعدتهم مازر من حيث قرروا العودة الى افرقية ، فأخذوا في اصـ مراكبهم .

وتقول الرواية أنهم عندما ركبوا مراكبهم مغادرين مازر ، وجـ الأسطول البيزنطي يقف لهم بالمرصاد عند المرسى على بعد عدة أميال المدينة ، ويمسحهم من المفادرة (١٣٩) . وهنا لم يعد أمام العرب من خـ البقاء في الجزيرة ، وأغلب الظن أنهم فصلوا الموت - اذا لم يكن منه بحر السيوف على برد الفرق في لجه الماء . والغشاه أن الروم كاذـ دخلوا مازر بعد خروج العرب منها اذ تطلب الأمر استعادتها بفنـال استمر ثلاثة ايام (١٣٠) .

ورغم ما تقوله الرواية من أن العرب أحرقوا مراكبهم (١٣١) :

(١٢٧) ابن خلدون ، ج ١ ص ١٠٤ .

(١٢٨) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ (زيادة الله) ، المكتبة ، ص ٢٢٣ ، سرير .

ج ٢٢ ص ٢٢٧ ب . ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٦٧ (ج ٤٠ ص ١٩٩ - حيث ا

بن الجوارى) ، وقارن ابن خلدون ، ج ١ ص ١٠٤ حيث القراءه = الحراوى .

بن أبي الجوارى .

(١٢٩) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ (زيادة الله) ، التويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٧

المكتبة ، ص ٤٢٩ . ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٦٧ .

(١٣٠) ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٦٧ .

(١٣١) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ (زيادة الله) ، التويرى ، المخطوط ، ص ٢٢٣

٢٢٧ ب . ابن خلدون ، المكتبة ص ٤٦٧ .

الاستعجال في الحرب ، فأغلب الظن أنهم ما كانوا ليضحوا بسمنهم التي تعتبر سلسلة المواصلات الوحيدة بينهم وبين قواعد إمدادهم في افريقية ، وأنهم إذا كانوا قد أحرقوا بعض سفنهم فانما يكونون قد فعلوا ذلك ضمن إجراءات الوقاية التي اتخذوها لمقاومة الرواء . وانطلاقاً من قاعدتهم في مازر بدأ العرب يوطدون أقدامهم في الإقليم الشرقي بالاستيلاء على حصن مينارو (Mineo) ، على بعد ٢٤ ميلاً في اتجاه الجنوب الغربي من لنتيني الواقعة على الساحل شمال سرقوسة (١٢٢) ، بعد حصار استمر ثلاثة أيام ، وبمعاونة أصحاب فيمي حيث استقرت جماعة منهم (١٢٣) . وابتدأوا ذلك بالاستيلاء على حصن جرجنت عنوة وسكونه . وبذلك هدأت نفوسهم ، واطمانوا إلى طيب المقام (١٢٤) .

فيمي يستمر في معاونة العرب ، فيغتاله الروم في قصريانة :

والذي يفهم من قصة الفتح أن التعاون كان وثيقاً بين العرب وبين الطريق فيمي وأصحابه ، على عكس ما قيل من أنه حرّض أهل سرقوسة على المقاومة . وهكذا قاد فيمي العرب بعد ذلك نحو وسط الجزيرة إلى قصريانة . وتقوى الرواية أن القصريانيين غدروا بفيمي عندما فاضهم باسم العرب . فبعد أن خرجوا إليه وبذلوا له الطاعة ، ووعدوه بأن يكونوا معه ومع المسلمين على كلمة واحدة ويخلصوا طاعة الروم ، طلبوا منه مهلة يوم لترتيب أمر الصلح مع العرب . ثم نهم اغتالوه عندما حضر اليهم في اليوم التالي (١٢٥) .

هزيمة الأرمن البيزنطيين في حيز قصريانة :

والظاهر أن هدف أهل قصريانة من خداعهم فيمي والعرب، كان اكتساب

(١٢٢) الإمدسي . المكتبة . ص ٥٧ .

(١٢٣) ابن الأثير . سنة ٢٠١ هـ (زيادة الله) ، النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٧ ب . وقارن تاريخ جزيرة صقلية من سنة دخلها المسلمون . التي سجل سقوط مينارو بين أيدي العرب في السنة الرابعة من نزولهم الجزيرة (المكتبة ، ص ١١٦) وفي سنة ١٢٢٩ من تاريخ العالم .

(١٢٤) ابن الأثير . سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٣ ، النويري ، ج ٢٢ ص ٢٢٧ ب . ابن خلدون . المكتبة ص ٤٦٧ (كركنت بدلاً من جرجنت) ، ج ٤ ص ١٩٩ (حيث كركنت بدلاً من كركنت) .

(١٢٥) ابن الأثير . سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة . ص ٢٢٣ ، النويري ، ج ٢٢ ص ٢٢٧ ب . ابن خلدون ، المكتبة . ص ٤٦٧ .

بعض الوقت حين وصول القوات البيزنطية، التي كانت تتجه نحوهم للقضاء
العرب . وكانت القوات الرومية تتكون في معظمها من حنود من الأرمن بقيادة
البطريق ثودوت (Théodote) (١٣٦) . وتم اللقاء بين عرب افریسة وأرم
القسطنطينية في أحوار قصريانة ، وانتهى القتال بهزيمة عسكر ثودوت ونسرت
الكثيرين ، اذ لم يسلم منهم الا من لجأ الى المدينة الحصينة (١٣٧) ، بينما وقع
من قوادهم (بطارقتهم) سبعون أسيرا بين أيدي العرب (١٣٨) .

وفاة ابن أبي الجوادى ، وولاية زهير بن نرغوث ، وهزيمة مؤلة أمام الأرمن :

وعقب المعركة توفي القائد محمد بن أبي الجوادى في أول سنة ٢١٤ هـ /
مارس ٨٢٩ م ، وتم اختيار القائد زهير بن نرغوث خلفا له في القيادة (١٣٩) .

وواضح من الرواية أن موقعة قصريانة الأولى لم تكن من المعارك العاصلة،
اد لم يلبث ثودوت أن ظهر في الميدان مرة أخرى ، بعد أن نظم فلول قواته
الارمنية ، ونجح في الثأر لهزيمته . وكانت بداية دوران الدائرة على العرب
عندما خرجت سرية لهم من معسكرها في المنطقة بحثا عن المغانم - من أجل
القوت على ما يظهر - فخرج عليهم الروم ، فسادوا منهزمين الى قاعدتهم .
وعندما خرجت القوة العربية في جمعها لملاقاة الروم ، حشد هؤلاء كل قواهم
وبجحوا في هزيمة العرب في موقعة دامية خسر فيها زهير بن نرغوث ألف
قتيل من رجاله ، واضطر الى العودة مهزما نحو معسكره حيث اتخذ موقعا
دفاعيا ، فخذق حول قاعدته (١٤٠) .

حصر العرب في ميتاو :

وهكذا دارت الحرب سجالا بين العرب المحصورين في معسكرهم وبين
الروم . وازاء اشتداد الحصر فكر العرب في مفاجأة الروم صباحا على حين

(١٣٦) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٧ ب ، المكتبة ، ص ٤٣٠ .
(١٣٧) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ (زيادة الله) ، المكتبة ، ص ٢٢٣ .
(١٣٨) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ ا . المكتبة ، ص ٤٣٠ (حيث القراءة تسعون
طريقا يدلا من بسعين) .
(١٣٩) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ ا . المكتبة ، ص ٤٣٠ (حيث قراءة الاسم
عمر بن نرغوث) ، ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ (زيادة الله) ، المكتبة ، ص ٤٢٣ (حيث القراءة
ابن نرغوث وفي الهامش : ابن نرغوث) .
(١٤٠) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٤ .

عرة ، وهو ما يعرف في المصطلح العسكري العربي بـ "البيات" ، ولكن الروم عرفوا - عن طريق جواسيسهم - بما يبيت له المـسـرـب ، ففتحوا عن مصـكـرهم . وكانت مفاجأة غير سارة للعرب عندما وجبوا الروم يقبلون عليهم من كل ناحية ، فانهزموا الى حصنهم في ميناو ، بعد أن فقدوا الكثير من القتلى (١٤١) .

وبذلك انقطعت الكتلة الرئيسية من القوات العربية في ميناو عن بقية اخوانهم اللوجردين في جرجنت ، وفي مازر ، واشتد عليهم الحصر وقلت عندهم الميرة والأقوات حتى أكلوا دوابهم ، بل واضطروا الى أكل الكلاب (١٤٢) .

حرب الاستتال : العرب يخربون قاعدتهم في جرجنت (كركنت : Girgenti) وينضمون الى اخوانهم في مازر :

وتندما وصلت أنباء ما يعانيه العرب في ميناو من شدة الحصر والضيق الى اخوانهم في جرجنت ، عبر هؤلاء عن ضيقهم لعجزهم عن مد يد المعونة اليهم بأن هموا مدينتهم ، وساروا الى مازر (١٤٣) ، مما يعني أيضا أنهم خافوا السقاء وحدهم ، وهم قلة ، من المقام في جرجنت ، وفضلوا الانضمام الى اخوانهم في مازر حتى يكونوا أقدر على مقاومة الروم اذا ما فكروا في الهجوم عليهم .

وهكذا أصبح المسلمون متجمعين في نقطتين فقط من الجزيرة : ١ - في ميناو المحاصرة ، قرب الشاطئ الشرقي فيما بين سرقوسة ولنتيني ، ٢ - وفي مازر قرب الركن الجنوبي الغربي . وظل المحاصرون في ميناو صامدين حتى أشرفوا على الهلاك ، عندما دخلت سنة ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م (١٤٤) ، حينما اتاهم الفرج من حيث لم يحتسبوا .

-
- (١٤١) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ (زيادة الله) ، المكتبة ص ٢٢٤ .
 (١٤٢) ابن الأثير . سنة ٢٠١ هـ (زيادة الله) . المكتبة ص ٢٢٤ ، التبريزي ، المخطوط .
 ج ٢٢ ص ٩٢٢٨ ، المكتبة ص ٤٣٠ ، ابن خلدون ، المكتبة ص ٤٦٧ .
 (١٤٣) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ المكتبة ص ٢٢٤ ، ابن خلدون ، المكتبة ص ٤٦٨ .
 ١ - روح ٤ ص ١٩٩ .
 (١٤٤) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ص ٢٢٤ ، جوالنصى هنا يتخذ التاريخ ببدائية سنة ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م الذي صحفته الى مدخل سنة ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م ، على أساس أنه وفاة ابن الجبري كانت في مطلع سنة ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م - كما سبق .

البحريون الأندلسيون ، وغزو صقلية :

ففي بداية سنة ٢١٥ هـ / - ٨٢ م ، كانت صقلية هدفا لغارات تديدة من تلك التي كان يقوم بها الغزاة الأندلسيون من سكان الشواطئ الغربية للأندلس على سواحل انروم والفرنج ، ليس في الحوض الغربي لبحر المتوسط فقط ، بل وفي الحوض الشرقي أيضا . والذي يفهم من الروايات أن هؤلاء الغزاة البحريين من أهل الأندلس لم يكونوا من الحند النظامي ، بل كانوا من متطوعة المجاهدين ، الذين اتخذوا الغزو البحري صناعة لهم ، وأن حكومة قرطبة - الاموية لم تكن تمنع فيما يعومون به من أعمال في غير بلاد المسلمين .

وهذا لا يمنع أنهم كانوا يقومون بذلك دون علم أمراء قرطبة ، بل وربما رغم عدم رضائهم عن ذلك . والمهم أنه لا صحة لما تشير اليه بعض الروايات من الربط بين ذلك النشاط البحري وبين بعض الثورات التي عرفتها بعض مدن الأندلس قرب ذلك الوقت ، وخاصة ثورة الربض الشهيرة في قرطبة ، على أيام الحكم بن هشام . فليس من المقبول أن يقال عن رواد البحار هؤلاء : أنهم كانوا من العامة أو من أهل الأسواق .

فمنذ أواخر القرن الثاني البحري (أوائل القرن ٩ م) كان الأندلسيون قد مدوا نشاطهم الى حرر شرق البحر المتوسط ، حتى أنهم كانوا يقصدون ساحل الاسكندرية فيما بين الغارة والأخرى على سواحل الروم ، من أجل انيرة واصلاح شأنهم . ورغم أن ولاية مصر كانوا لا يسمحون لهم - كما تقول حوليات الكندي في قضاة مصر وولاتها - بالنزول الى شاطئ الاسكندرية ، بل كان على تجار الاسكندرية أن يخرجوا الى الأندلسيين فم الزوارق بما يحتاجون اليه للاصلاح من شئونهم أو شئون مراكبهم ، من طعام وعتاد وسلاح (١٤٥) ، فان اضطراب أحوال مصر ، نتيجة لاضطراب أحوال بغداد أثر فتنة الأمين والمأمون ، سمحت لهؤلاء الأندلسيين بالاستيلاء على الاسكندرية طوال اثنتي عشرة سنة (٢٠١ هـ - ٢١٢ هـ / ٨١٦ - ٨٢٧ م) استغلوا خلالها بالمدينة عن ولاية القسطنطين . وعندما استقرت الأمور للمأمون

(١٤٥) انظر الكندي ، القضاء والولاية ، ٢ ط - لبنان ، ص ١٥٨ وما بعدها .
 . المؤلف ، الاسكندرية من الفتح الاسلامي الى بداية العصر الفاطمي ، في كتاب الاسكندرية ،
 اقدم البصور - ط ١٩٦٣ - ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، وللمؤلف ايضا الاثر الغربي والاندلسي
 المفتح الإسكندرية ، كتاب تاريخ المفتح الإسكندرية ، ط ١ - حاشية الاسكندرية ١٩٧٥ .
 ٢٢٤ - ٢٢٧ .

أرسل قائده عبد الله بن طاهر بن الحسين إلى مصر حيث نجح في إخراج
الاندلسيين من الإسكندرية إلى البحر ، شريطة ألا ينزلوا في أية أرض تابعة
للخلافة .

العلاقة مع غزو كريت :

وهكذا غادر الأندلسيون الإسكندرية في مراكبهم التي كانت تبليغ
أربعين مركبا ، تحمل حوالي أربعة أو خمسة آلاف رجل ، عندما نزلوا إلى
المدينة قبل عشرين سنوات ، واتجهوا بقيادة زعيمهم أبي حفص عمر البلوطي نحو
جزيرة كريت التي استولوا عليها ، في نفس الوقت الذي كان أسد بن الفرات
ينزل برجاله في جزيرة صقلية . وهذا يدعو إلى التأمل فيما إذا كانت هناك
ثمة علاقة بين ترتيب غزو كل من صقلية وكريت على الروم ، بمعرفة خلافة
بغداد .

حقيقة أن الاتفاقية التي تمت بين عبد الله بن طاهر وأندلسيين
الإسكندرية لم تشترط على الغزاة إلا عدم النزول في أرض تابعة للخلافة ،
والأ يصحبوا معهم أيما من المصريين أو العبيد أو المظلوبين (١٤٦) ، ولكن هذا
لا يمنع من نزولهم في أرض الروم (١٤٧) . وأغلب الظن أنه لم يكن يخفى على
قائد المأمون أنهم سيطرقون ساحل جزيرة كريت القريبة . وإذا كانت رواية
فتح صقلية لا تشير إلى دور الخلافة في تلك العملية ، فهي تنص على أن الروم
كانوا قد خرقوا اتفاقية الهدنة بينهم وبين الأغالبة ، وليس من الغريب أن
الهدنة مع الروم ما كانت تتم بغير علم الخلافة في بغداد أو موافقتها الضمنية
على الأقل .

وإذا كانت النصوص تشير إلى أن زيادة الله قد كتب إلى الخليفة المأمون
بخير فتح أسد بن الفرات لصقلية ، فهذه الإشارة تعني أن الخلافة كانت على
علم بما يدبره الأغالبة ضد الروم . هذا ، وإذا كانت تفاصيل العمليات
الحربية تحت لواء أسد بن الفرات لا تشير إلى مشاركة الأندلسيين فعلا في
غزو صقلية ، كما تذكر الرواية التي يسجلها ابن عذاري ، فإن مجرد
ذكر أن الأندلسيين كانوا يكونون جماعة لها كيائها الخاص في قوات أسد ،
وإن كانت غير صحيحة ، يمكن أن تفسر على أنها إشارة ضمنية إلى ترتيب

(١٤٦) نفس المصادر السابقة .

(١٤٧) انظر فيما سبق ، ص ٢١٨ .

عرب كريت على أيدي الإسكندرانيين (١٤٨) بنى نفس الوقت الذي كان عرب إفريقية يقومون بغزو صقلية ، وذلك بمعرفة الخلافة أو تحت إشرافها حتى يتم مفاجأة الروم في جبهتين دفعة واحدة وإن كانت معساة صقلية قد أذهلت الإمبراطور من غير شك عن غزو كريت .

حملة الغزاة الأندلسيين :

وبذلك يكون الأندلسيون الذين شاركوا في غزو صقلية مع أسد ابن العرات أما من المستوطنين في إفريقية أو من جماعات الغزاة من غير أندلسيين الإسكندرانية . وقياسا على ذلك يكون الغزاة الأندلسيون ، الذين نزلوا إلى صقلية في أوائل سنة ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م ، أيضا من غير أهل كريت . وهذا يعني أن الكثيرين من أهل سواحل الأندلس الشرقية كانوا قد اتخذوا من الغزو في البحر صناعة لهم ، وأنهم كانوا يجوبون البحر المتوسط من أقصاه إلى أدناه ، مما يعني أنهم كانوا قد غلبوا على سواحل البحر جسيما ، منذ ذلك الوقت المبكر ، قبل أن تتم لهم تلك الغلبة على أيام عبد الرحمن الناصر إلى جانب الفاطميين (١٤٩) .

والحقيقة أن أعمال الأندلسيين في البحر المتوسط حينئذ تذكرنا بأعمال النورمنديين (أو الفيكينج) في بحر الشمال وحتى سواحل الأندلس الغربية ، وكذلك سواحل المغرب - حيث عرفوا بالمجوس - بعد ذلك بقليل ، فكان غزاة البحر الأندلسيين هم نورمنديو العرب في ذلك الحين .
ويفهم من الروايات العربية أن الأندلسيين وصلوا إلى صقلية على دفعتين

(١٤٨) ويمكن أن يفهم حقيقة استقلال عمل الأندلسيين عن أمير الأندلس ما قام به إمبراطور بيزنطة تيوفيل بعد ذلك بحوالي عشر سنوات ، من الاتصال بالأمير عبد الرحمن الثاني حيث أرسل إليه سفارة في سنة ٢٢٥ هـ / ٨٤٠ م تحمل رسالة يحثه فيها على المطالبة بمرش أسرته لمر الشام ويهاجم العباسيين واتباعهم الأغلبية (أعداء الأيوبيين والبيزنطيين) ، ويطالب بإعادة كريت من أيدي الأندلسيين الإسكندرانيين . إذ كان رد الأمير الأندلسي الذي قدم به مع سفيره الشاعر يحيى الغزال فيما يتعلق بكريت : أن الأندلسيين بها هم ثوار ليسوا من دينهم ، وإلا يمكن لأنصارهم طردهم وعتابهم . أما عن الأغلبية فقد قال : أنه لا يستطيع الكار جهادهم في سبيل دفع راية الإسلام . أنظر بروفنسال ، تاريخ إسبانيا الإسلامية ، ج ١ ص ٢٥١ - ٢٥٢ . ويذكر ابن حبان أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم أشار في رده على شكوى إمبراطور القسطنطينية من لزول الأندلس إلى كريت ، وما يطلبه من معاقبتهم : « بأنهم ليسوا إلى بلدنا ولا يرتبنا حتى نفزع عليهم ، وتكفيك مؤزنتهم . وما أشك عاجز من إخراجهم مما طردوه من بلدنا » (أنظر المختصر ، مخطوط كلية الآداب المحفوظ بجامعة الإسكندرية ، ص ١٨٧) .

(١٤٩) أنظر مقدمة ابن خلدون ، فصل قيادة الأساطيل . ط . التجارية ، ص ٢٥٣ .

في ثلاثمائة مركب ، وأن الدفعة الأولى كانت بقيادة أصبغ بن وكيل الهواري المشهور بـ « فرغلوش » ، بينما كانت الدفعة الثانية بقيادة سليمان بن عافية الططوشي . وهذا لا يمنع من مجيء مدد من إفريقية بعد ذلك بقليل ، كما تقول بعض الروايات (١٥٠) .

النزول قرب مازو :

أعمال الأندلسيين تحت قيادة فرغلوش : فك الحصار عن ميناو ، وهزمها :

ولا توضح الروايات أين نزل الأندلسيون في صقلية ، ولكن يمكن القول أن الدفعة الثانية نزلت في الركن الغربي من الجزيرة بالقرب من مازر ، وأن هذا هو السبب أيضا فيما قيل من أن الدفعة الثانية كانت مددا من إفريقية : وهذا ما يفهم أيضا من مسيرة الأندلسيين عندما تقدموا لنجدة المحاصرين في ميناو .

والمنهم أن فرغلوش نزل برجاله ومن تحت امرته من القواد ، وأخذوا يشنون سراياهم التي استولت على عدد من القلاع الرومية وعادت منها بالمغانم والسبي ، كما تنص على ذلك رواية ابن عذارى التي تمدنا ببعض المعلومات التفصيلية (١٥١) . والظاهر أن عرب مازر هم الذين اتصلوا أولا بالغزاة من الأندلسيين ، وطلبوا منهم اغاثة اخوانهم الذين كانوا يكابدون متاعب الحصر وقلة القوات في ميناو ، كما عرضوا عليهم ما كان يلزمهم من الخيل والدواب (١٥٢) .

ولم يبخل الغزاة الشجعان بتقديم ما طلب اليهم من المعونة ، ولكن

(١٥٠) الذويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ ، وقادون ابن الأثير ، المكتبة الصقلية ، ص ٢٢١ ، ورواية ابن الأثير التي تتفق مع رواية البكري المقطعة الاوصال بشأن مدد الرقيى وصل الى الجزيرة (جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٢٢١ حيث تقرأ « مروس » بدلا من فرغلوش) ، وكذلك مع رواية ابن خلدون (المكتبة ، ص ٤٦٨ ، ج ٤ ص ١٦٦) . التي تجعل اللغة الثانية ممددا للمجاهدين في صقلية آتى من إفريقية أى من قبل زيادة الله . وهو الأمر الذى لا تشير اليه الروايات الأخرى . ولا بأس على أن يكون ابن الأثير هو من نقل عنه ، لهم من كتب للهواري - ولو أنه لا يذكر أسماء القادة - نسبة الى قبيلة حوارة القيمة فيما بين طرابلس ونفزاوة أن أصبح كان يقود جيشا إفريقيا . أما رواية ابن عذارى فهي لا تذكر الا اللغة الأولى من لأندلسيين بقيادة فرغلوش (ج ١ ص ١٠٤) .

(١٥١) ابن عذارى . ج ١ ص ١٠٤ .

(١٥٢) ابن عذارى . ج ١ ص ١٠٤ ، الذويرى . المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ .

شرطه أن تـ .. القيادة الى رئيسهم فرغلوش ، وهو الأمر الذي لم يكن أمام قائد الجند الأعلى رهبر بن مرغوت ، الا قبوله . وهكذا اجتاحت فرغلوش برجاله الجريرة من مربها الى مشرقها ، وهو يستولى على القلاع ويوجه غاراته في كل اتجاه . حتى أشرف على ميناء (١٥٣) . ولم يكن أمام البطريق تودط ورجاله من الأرمن الا الانسحاب نحو قصر يانة (١٥٤) . وهكذا تم خلاص المحاصرين في ميناء ، في جمادى الآخرة من سنة ٢١٥ هـ / يولية ٨٣٠ م (١٥٥) ، وعبروا عن ضيقهم بالحصر وكراهيتهم للمكان الذي تعرضوا فيه للأهوال ، بأن هدموا المدينة وأحرقوها (١٥٦) . ولا بأس في أن يكون احراقها بسبب ما كان قد ألم بهم من الوباء أثناء مقامهم فيها .

أخذ بلرم ، ووفاة القائد فرغلوش في الوباء :

وسار رجال ميناء مع الأندلسيين نحو بلدة « غلوانية » (Calloniana) القريبة وتغلبوا عليها (١٥٧) . وتابع الأندلسيون والمخاربة مسيرتهم نحو مدينة بلرم وضربوا عليها الحصار ، وضيقوا على من بها الحناق لمدة عام ، الى أن طلب قائدها الأمان لنفسه وأهله وماله . وأجابته العرب الى مطلبه ، فقادر المدينة نحو الى « بلد الروم » ، ودخل العرب بلرم في رجب من سنة ٢١٦ هـ / أغسطس ٨٣١ م (١٥٨) .

وتقول رواية ابن الأثير أن المسلمين لم يجدوا في بلرم « الا أقل من ثلاثة آلاف انسان ، وكان فيه لما حصروه سبعون ألفا وماتوا كلهم » (١٥٩) ،

(١٥٣) ابن عساري . ج ١ ص ١٠٤ .

(١٥٤) النويري المخطوط . ج ٢٢ ص ٢٢٨ . المكتبة ص ٤٣٠ ، وأظن تاريخ صقلية من حين دخلها المسلمون منذ بدء العالم المكتبة ص ١١٦ (حيث يجعل مقتل تودط بعد أخذ ميناء) .

(١٥٥) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ . المكتبة ، ص ٤٣٠ .

(١٥٦) ابن عساري ، ج ١ ص ١٠٤ .

(١٥٧) ابن عساري ، ج ١ ص ١٠٤ .

(١٥٨) ابن الأثير . سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ص ٢٢٤ - ٢٢٥ ، تاريخ صقلية من حين دخلها المسلمون المكتبة ، ص ١٦٦ (الذي يجعل سقوط بلرم في السنة التالية لأخذ ميناء ومقتل تودط . وقادر ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٩ ، المكتبة ، ص ٤٦٨ (الذي يقول ان فتح بلرم كان في سنة ٢١٧ هـ / ٨٣٢ م) ، وقادر النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ (حيث تقول الرواية أن حصار بلرم استمر الى سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م حينما استسلمت المدينة بالأمان في ولاية ، محمد بن عبد الله بن الأغلب) .

(١٥٩) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ . المكتبة ، ص ٢٢٥ .

مما يعني أن الرباء الذي كان قد ظهر في صقلية سنة ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م لم يكن قد 'قطع بعد ، وأنه كان ما زال يفتك بأهل الجزيرة . والظاهر أن المسلمين لم يسلموا بدورهم من فتك الرباء ، وذلك ما تشير إليه رواية أبي عذاري التي تقول أن جماعة من المسلمين اعتلوا وأخذهم الرباء ، وكان منهم فرغلوش وغيره من القواد (١٦٠) .

الحلاف مع الأندلسيين ، وعودتهم إلى بلادهم :

والظاهر أن غزاة البحر الأندلسيين استفاقوا على ما أنزله عليهم الرباء من الحسائر ، ليجدوا أنفسهم قد انغمسوا في أمر ليس من شئونهم ، بصفتهم : باحثين عن المعام والأسلاب ، وليسوا جندا نظاميا فاتحا ، يحتل البلاد ويستوطنها . وبناء على ذلك لم يكن من الغريب أن يدب الحلاف بينهم وبين اخوانهم الأفريقيين . ورغم ما يقوله ابن الأثير من أن الوفاق تم بين الجانبين بعد الحلاف والنزاع (١٦١) ، فتحن نميل إلى الأخذ برواية ابن عذاري التي تقول أن الأندلسيين قرروا العودة إلى بلادهم ، بعد وفاة قوادهم في الرباء وعلى رأسهم فرغلوش . وأنهم لقوا متاعب كثيرة أثناء رحلة العودة إلى قواعدهم ، إذ « ركب العدو اثرتهم . فقتل منهم خلق كثير » ، وذلك قبل أن يأخذوا في اصلاح مراكبهم ، قافلين إلى الأندلس (١٦٢) . وبذلك تنتهي قصة مشاركة الأندلسيين في فتح صقلية ، بعد الاستيلاء على بلرم التي اتخذها العرب عاصمة لهم بعد أن انسعت رقعة أراضيهم واستولوا على كل الاقليم الغربي من الجزيرة .

ولاية أبي فهر محمد بن عبد الله التميمي لصقلية سنة ٢١٦ هـ / ٨٣١ م :

ومع أننا لا ندري ماذا حدث لقائد جند صقلية الثالث ، وهو : زهير ابن نرغوث ، فأغلب الظن أنه راح ضحية الرباء مع فرغلوش ، وأنه خلفه في قيادة المسكر قائد آخر . هو عثمان بن قره ب ، الذي لم يحظ بموافقة زيادة الله . فهذا ما يفهم من رواية ابن عذاري التي تشير إلى أن الأمير زيادة الله اتخذ قرارا في أواخر سنة ٢١٦ هـ / ٨٣١ م ، بتولية قريبة أبي فهر محمد

(١٦٠) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠٤ .

(١٦١) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ، ص ٢٣٥ .

(١٦٢) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠٤ .

اسم عبد الله التميمي على صقلية ، فوصلها في سنة ٢١٧ هـ/ ٨٣٢ م ، وأن عثمان بن قهرم سرب عنها (١٦٣) . ولا شك أن العهد بولاية صقلية الى أحد قرابة الامير الأغلي يعني رعاية خاصة من حانه لأحوال الجزيرة . وإن كان باستقلال شحصية الوالي يعنى بحكم الضرورة نوعا من استقلال ولايه .

ها بين صقلية وتونس :

والظاهر أن اضطراب منطقة تونس في السنة التالية ، وهي سنة ٢١٨ هـ/ ٨٣٣ م ، تطلب عودة أبي فهر محمد بن عبد الله من صقلية ، وأبقاه في افريقية الى سنة ٢٢٠ هـ/ ٨٣٥ م ، بعد أن قضى على ثورة مدينة تونس . وخلال وجود محمد بن عبد الله في افريقية قامت القوة الأغلبية في صقلية بالغارة على منطقة قصريانة مرتين . في الربيع والصيف من سنة ٢١٩ هـ/ ٨٣٤ م ، وهزموا الحامية الرومية في المربى . عندما خرجت للعائهم (١٦٤) ، وعادوا الى بلرم بالمغانم والأسلاب (١٦٥) .

وأثناء رحلة العودة الى ولايته في صقلية تعرض محمد بن عبيد الله التميمي في رمضان من سنة ٢٢٠ هـ/ سبتمبر ٨٣٥ م ، لمتاعب شديدة من جانب البحر الذي تار بمراكبه التي كانت تحمل الامدادات والرحال ، فأعطب بعضها وحطم له بعضا آخر ، كما أن الروم اعترضوه في البحر وأصابوا له حرافة من مراكبه . زعم بلاء فاند الأسطون محمد بن السندى الذي حرج في عدد من الحرافات ، وأحد يطاردهم حتى حال الليل بين المريقين (١٦٦) .

غارات على قصريانة (Castrogiovanni) :

ولم يبق محمد بن عبد الله التميمي طويلا في بلرم ، إذ خرج برجاله في

(١٦٣) ابن عذارى . ج ١ ص ١٠٤ ، وانظر النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ .
 المكتبة ، ص ٤٣١ - حيث يسمى ابا فهر محمد بن عبد الله بن الأغلب . وابن عذارى (ج ١ ص ١٠٥) الذي يسميه أيضا « ابن الأغلب » وانظر الحلة السرياء ، ج ١ ص ١٨١ : حيث يلص على أن محمد بن عبد الله بن الأغلب هذا يعرف هو وأخوه الأغلب بن عبد الله ، وابنه عبد الله بن محمد الذي ولي صقلية فيما بعد سنة ٢٥٩ هـ كما كانت له ولاية طرابلس والقبرص .
 مدني عبد الله : نسخة الى خدم عبد الله أبي ابراهيم بن الأغلب الأمير الاول .
 (١٦٤) ابن الأثير سنة ٢٠١ هـ . المكتبة ، ص ٢٢٥ .
 (١٦٥) ابن عذارى ، ج ٢ ص ١٠٥ .
 (١٦٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٥ - ١٠٦ .

نفس السنة (٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م) نحو قصر يانة في وسط الجزيرة . ونجح في هزيمة الروم الذين خرجوا إليه ، وعاد إلى بلرم محملاً بما غنمه في مسكر الروم ، وبصحبة امرأة القائد (البطريق) وابنه أسيرين (١٦٦) .

غازات على طبرمين (Tabrmina) : وغدر الجند بقائدهم محمد بن سالم :

وإذا كان ابن عذاري يقول بشكل عام انه كان في تلك السنة عزوات كثيرة للمسلمين في صقلية (١٦٨) ، فان ابن الاثير يذكر أن محمد بن عبد الله سار جيشا إلى ناحية طبرمين على شمال الشاطئ الشرقي للجزيرة ، جنوب ميسيا ، بقيادة محمد بن سالم . ومع أن الحملة حققت أغراضها بعد أن عادت بالمغانم الكثيرة ، إلا أنها انتهت نهاية تعسة ، عندما عدا بعض جنود محمد ابن سالم عليه فقتلوه ، ولجأوا إلى الروم (١٦٩) ، مما يرجح أن الجريمة قد تمت بتحريضهم .

وبذلك تكون تلك الحادثة فاتحة سلسلة من جرائم الغدر التي يقوم بها العسكر ضد قوادهم ، كما سنرى ، وهو الأمر الذي لم تعرفه الجيوش العربية ، في عير صقلية ، من قبل .

غازات على سرقوسة بقيادة الفضل بن يعقوب :

ولا شك أنه كان لذلك الحادث التمس صدى أليم في قلب الأمير زيادة لله ، الذي بعث ، خلفا لمحمد بن سالم ، أحد قواده المشاهير ، وهو : الفضل ابن يعقوب ، الذي قاد سرية كبيرة عانت في نواحي سرقوسة ، وعادت بالمغانم والأسلاب (١٧٠) .

من المواجهات الحربية التي أظهرها كل من العرب والروم :

ورضيف ابن الاثير إلى ذلك موقعة هامة بين سرية اسلامية كبيرة وبين القوة الرئيسية للروم في الجزيرة التي كان يقودها البطريق حاكم صقلية . والتي أظهر فيها كل من الجانبين ما كان يتميز به من مواهب قتالية خاصة . ففي أثناء عودة السرية الاسلامية ، وهي محملة بالمغانم ، قطع عليها البطريق

(١٦٦) ابن الاثير . سنة ٢٠١ هـ . المكتبة . ص ٢٢٥ .

(١٦٨) ابن عذاري . ج ١ ص ١٠٤ .

(١٦٩) ابن الاثير . سنة ٢٠١ هـ . المكتبة . ص ٢٢٥ .

(١٧٠) ابن الاثير . سنة ٢٠١ هـ . المكتبة . ص ٢٢٥ (ابن خلدون . ج ٤ ص ١٩٩) -

- ٢٦٦ -

الطريق ، فاضطرت الى التحصن من الروم في أرض وعوة كثيرة الشجر حتى عجز الروم عن ملاحظتهم ، فوقف البطريق الى وقت العصر يتحداهم أن يخرجوا اليه . ولما طال انتظاره ذن تقدم العرب للقائه ترك المكان ، وتفرق عنه كثير من أصحابه . وكانت قرصة انتهزها العرب للحملة عليه حتى هزموا من كان بقى معه من الرجال ، ونجحوا في الوصول اليه ، واصابته بعدة جراحات حتى سقط عن فرسه . ومع ذلك لم يتمكن العرب من قتله ، اذ أسرع اليه عدد من أبطال فرسانه ، واستنقذوه جريحا وحملوه معهم .

وحرج العرب من الرافعة - التي وصفت بانها وقعة عظيمة - بما كان يفي يدي الروم من السلاح والمتاع والدواب (١٧١) -

ومع أن ابن الأثير - الذي تظهر روايته ملخصه عند ابن حلدون - يضع كل تلك الأحداث في سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م ، فالظاهر أن بعض تلك الأحداث، وبصمها معركة البطريق الأخيرة ، وقعت في سنة ٢٢١ هـ / ٨٣٦ م . وذلك أن الأحداث التالية ، التي تمت في ولاية أبي الاغلب ابراهيم بن عبد الله الذي حل محل أخيه أبي فهير محمد ، يصعها ابن عداري في أحداث سنة ٢٢٢ هـ / ٨٣٧ م (١٧٢) ، مما يعني أن عهد ريادة الله بولايته لصقليه التي وصل اليها هي ومضان ، كما يصر على ذلك ابن الاثير دون تحديد السنة ، كان في نفس سنة ٢٢٢ هـ / ٨٣٧ ، على ما نرى (١٧٣)

ولاية أبي الاغلب ابراهيم بن عبد الله

أعمال جيرية في الطريق الى الجزيرة :

وبصل أبو الاغلب ابراهيم بن عبد الله الى صفلية أميرا في منتصف ومضان (سنة ٢٢٢ هـ / ٢١ أغسطس ٨٣٧ م) ، وقد زوده زيادة الله بأسطول حربي كبير التقى به في الطريق بأسطول رومي فهزمه وغنم كسيرا من مراكبه . وأمر أبو الاغلب بضرب رقاب كل من وجد فيها من الروم . ويقول ابن الأثير أن أبا الاغلب سير أسطولا آخر الى قوصرة ، فاستولى على حراقة

(٢٧١) ابن الأثير ، سنة ٢٠٠ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦ ، وانظر ابن حلدون (الذي

يلخص نفس الرواية التي نطن أنها مأخوذة من الرقيق) ، المكتبة ، ص ٤٦٨ .

(١٧٢) ابن عداري ، ج ١ ص ١٠٦ .

(١٧٣) ابن الأثير ، سنة ٢٠٠ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٦ .

للروم ، وجد فيها رجل متنصر من أهل إفريقية ، فأمر بضرب رقبتة أيضا ومن معه (١٧١) .

وسيع النشاط الحربي الى مسينا :

ووسيع أبو الأغلب دائرة نشاطه نحو الشمال الغربي للجزيرة ، فبعث سراياه الى جبل التار في منطقة اتنا وما فيها من الحصون ، وذلك بقيادة الفضل بن يعقوب ، فكداد للعدو وأحرق الزروع ، وعاد سائلا بالمقائم والأسلاب . ولقد بلغت المقام في بعض تلك الغزوات من الكثرة الى حد بيع الرقيق بابيخس الاثمان (١٧٥) . ويقول ابن الأثير أن أبا الأغلب سير أيضا أسطولاً الى الجزائر - وربما كان المقصود بها جزائر الايوليان (Eolian) - في منطقة قنورية القريبة من مسينا - فغنموا غنائم عظيمة ، وفتحوا مدناً ومعاقل ، وعادوا سالمين (١٧٦) .

الى قطنانية :

اما السرية التي وجهها الى قطنانية فلم يخالفها التوفيق ، اذ لقيها العدو وهي محملة بالمقائم - ونجح في الظهور عليها (١٧٧) .

الى قصر يانة : هزيمة السرية ، واسر قائدها عبد السلام بن عبد الوهاب :

وكذلك لم توفق السرية التي وجهها الى قصر يانة ، والتي نرى أن قيادتها كانت الى القائد عبد السلام بن عبد الوهاب ، كما في رواية ابن عذاري . فخذ حرج اليها الروم ، وانتهى القتال بانهزام المسلمين واصابة جماعة

(١٧٤) ابن الأثير سنة ٢٠٢ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٦ . ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٩ ، المكتبة ، ص ٤٦٨ - الذي يضع تلك الأحداث في سنة ٢٢٠ هـ / ٨٢٥ م ، وكذلك الأحداث التالية التي يقعها ابن عذاري في سنة ٢٢٢ هـ / ٨٢٧ م - وهو ما اعتدناه .
(١٧٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠٦ (أحداث سنة ٢٢٢ هـ / ٨٢٧ م) حيث يجعل غزوة العققل لمحمد بن مدنيك وغيره من المقاتل . ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ المكتبة ص ٢٢٦ (حيث أحداث سنة ٢٢٠ و ٢٢١ هـ) . ابن خلدون (ملخص عن ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ، ص ٤٦٨) .

(١٧٦) ابن الأثير سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة - نفس ٢٢٦ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٠ ، المكتبة ، ص ٤٦٨ .

(١٧٧) ابن الأثير سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة - ص ٢٢٦ ، حيث اسم المدينة قر العبيد عسطلية ، ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٢٢٦ (حيث اسم المدينة قطنانية) ج ٤ ص ٢٠٠ . حيث الاسم : قطنانية) .

منهم (١٧٨) ، كما وقع قائد الحملة عبدالسلام في أسر الروم ، وبقي بين أيديهم الى أن سم فداؤه بعد ذلك (١٧٩) .

اخضاع قسريانة :

ولا بأس من أن يكون القائد عبد السلام بن عبد الوهاب قد سم فك أساره في نفس سنة ٢٢٢ هـ / ٨٣٧ م ، في فصل الشتاء ، عندما دخل المسلمون مدينة قسريانة قاعدة البريرة الوسطى ، فجاء بعد أن عثر بعض المسلمين من رجال السرايا التي كانت تحوم حولها على ثعرب في أسوار ربتى المدينة ، فاستدعى العسكر الذى دخلها على حين غرة من أهلها ، واستولى على الربتى ، ثم حاصر الحامية الرومية في الحصن . ولكن الأمر انتهى بالصلح على أن يدفع أهل قسريانة الجزية ، وعاد العرب الى بنرم محملين بالمغاسم والأسلاب (١٨٠) .

الحرب البحرية ووفاة زيادة الله :

وفيما بين معركتى قسريانة حقق العرب نجاحا عسلى الروم فى بعض المراكز البحرية التى انتهت بأن غموا احدى عشرة قطعة من سفن الروم ، منها : ٩ (تسع) مراكب كبار برحائها ، واثنين من نوع الشلندى (المخصص لحمل العرسان والعتاد الثقيل) (١٨١) .

وفى نفس السنة ، وهى سنة ٢٢٢ هـ / ٨٣٧ م ، كان العرب يحاصرون مدينة جلفوذى (Cefalu) - على الشاطئ الشمالى ، على بعد ٥٠ ميلا شرقى بلرم (١٨٢) - منذ مدة ، ويضيقون عليها الحناق ، عندما وصلت قوات رومية كبيرة فى البحر الى المنطقة ، فاضطر العرب الى فك الحصار ، والتفروا بالروم . وببسا كانت المعارك تدور بين الجانبين ، فى منتصف سنة ٢٢٣ هـ / ٨٣٨ م ، أتت من افريقية أنباء وفاة الأمير زيادة الله ، فكان ذلك سببا فى وهن العرب لبعض الوقت ، ولكنهم ما لبثوا أن تماسكوا ، وضبطوا أنفسهم ،

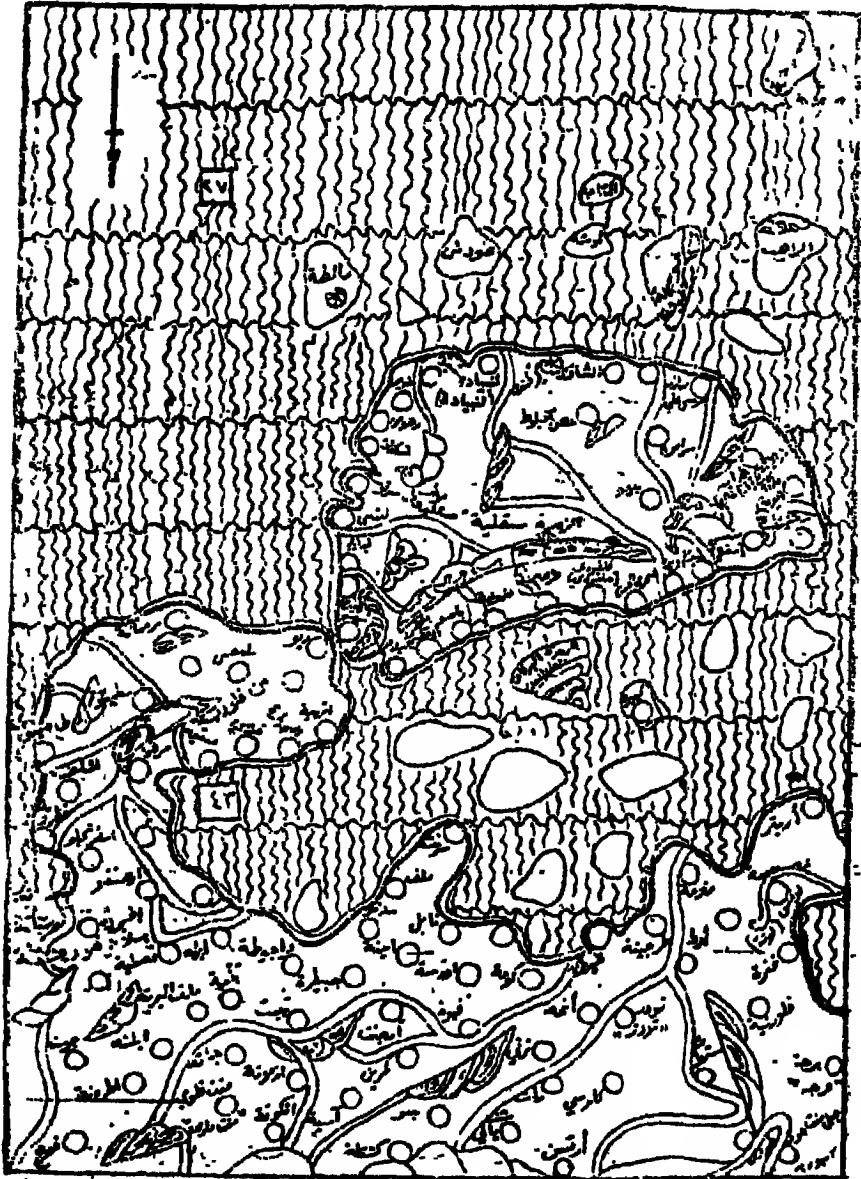
(١٧٨) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٦ ، ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٦٨ ، ابن عسارى ، ج ١ ، ص ١٠٦ .

(١٧٩) ابن عسارى ، ج ١ ، ص ١٠٦ .

(١٨٠) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ص ٢٢٧ . وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٠ ، المكتبة ص ٤٦٩ .

(١٨١) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٧ . ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٦٩ ، ج ٤ ص ٢٠٣ .

(١٨٢) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٨ .



شكل رقم (٣)
صقلية وجنوب إيطاليا كما رسمها الإبريتي

ونشطوا كسابق العهد بهم ، كما تقول الرواية (١٨٣) .
خلاصة ما تم في صقلية على عهد زيادة الله الأول :

وهكذا يكون المجاهدون في صقلية قد أمضوا عشر سنوات من عهد
زيادة الله في الجزيرة ، وطردوا أقدامهم خلالها في الجزء الغربي منها ، ما بين
جرجنت على الساحل الجنوبي وبلرم على الساحل الشمالي . وكانوا قد مدوا
نفوذهم في وسط الجزيرة الى قصريانة ، بينما سرحت سراياهم في كل مكان
من الجزيرة ، ما بين سرقوسة في الجزء الجنوبي من الساحل الشرقي الى ميتاوا ،
قرب لنتيني ، ثم الى جبل النار حتى منطقة مسينا في أقصى ذلك الساحل
نحو الشمال .

الفتح في عهد أبي عقاب الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب :

حملة من افريقية ، وتوسع في داخل الجزيرة ، وفي جنوب إيطاليا :

وفي عهد أبي عقاب الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب ، الذي لم يطل الا
الى أقل من ثلاث سنوات ، استمر نشاط العرب في استكمال الفتح في
الجزيرة . بل وبدأوا في التوسع في جنوب إيطاليا . فتقول رواية ابن الأثير
أن الأمير الأغلب سبر سرية في سنة ٢٢٤ هـ / ٨٣٩ م الى صقلية فغنمت
وسلمت (١٨٤) . وهذا يعني أن تلك السرية سارت في البحر من افريقية ،
وهو الأمر الذي يسترعى الانتباه ، اذ يعني أن قوات الأمير الرئيسية في
افريقية كانت تشارك في الأعمال الحربية في صقلية بأوامر مباشرة من الأمير -
وهذا ما سيظهر بشكل أكثر وضوحا على أيام الفاطميين .

وفي سنة ٢٥٥ هـ / ٨٤٠ م استأنم للعرب ، أي دخل في عهدهم ، عدد
من حصون الجزيرة ، منها : جرجة (Geraci) ، وقلعة البيلوط (Caltabellotta) .
فيما بين جرجنت ومازر ، وابلاطنو (Platani) ، وقلعة قارلون
(Corleone) ، ومريتاوا (Marineo) (١٨٥) .

(١٨٣) ابن الأثير ، حجة ٢٠٦ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٧ . ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٢٢٥ .
المكتبة ، ص ٤٦٩ ، ومن وفاة زيادة الله أنظر ليا سق ، ص ٧٥ .
(١٨٤) ابن الأثير ، سنة ٢٢٣ هـ . ج ٦ ، ص ٤٩٧ ، المكتبة ، ص ٢٢٨ .
(١٨٥) قارن الادريس ، المكتبة ، ص ٤٤ . حيث القراءة حرجة بدلا من حرجة ، وقارن
بدلا من قارلون ، ومريتا بدلا من مريتا . كما في القراءة الجيدة في نهاية الارب للويري =

- ٢٤١ -

الفتح في كلابريا (قلورية) بجنوب إيطاليا :

وفي نفس السنة (٢٢٥ هـ / ٨٤٠ م) ، وسع العرب في صقلية نشاطهم .
 اتي قلورية (كلابريا) في جنوب إيطاليا ، حيث سار الاسطول وفتحها ،
 كما تقول الرواية ، وهزم الاسطول البيزنطي الذي تعرض له هناك ، فانسحب
 عائدا الى القسطنطينية ، وكان فتحا عظيما (١٨٦) .

العرب يوطدون أقدامهم في وسط الجزيرة :

وفي السنة التالية (٢٢٦ هـ / ٨٤١ م) ، وهي السنة التي توفي فيها
 أبو عقاب الألب ، ظهرت سيطرة المسلمين على منطقة وسط الجزيرة ، عندما
 سبوا سراياهم الى منطقة قصر يانة ، ففعلت بها الأفاعيل ، من : افساد
 الرزق ، واحراق الدور ، وأخذ المغانم والسبي . ولم يعترضهم معترض ،
 فساروا الى حصن الغيران السفلى كان يشتمل على أربعين عارا فغنموها
 جميعا (١٨٧) .

وبذلك يكون العرب قد ووطدوا أقدامهم في وسط الجزيرة على عهد أبي
 عقاب القصير ، كما مدوا نشاطهم العسكري الى كلابريا في جنوب إيطاليا ،
 وهو الامر الذي سيجذب انتباههم منذ ذلك الوقت ، مما يعني أن صقلية لم
 تعد - بالدرجة الاولى - أرض الرباط والجهاد ، بعد أن استولى العرب على
 كثير من أجزائها ، وأخضعوا معظم ما كان قد بقي بين أيدي الروم من مدنها
 لعهدهم .

محاولة فتح باري :

ففي سنة ٢٢٦ هـ / ٨٤١ م غزا حياة مولد أبي عقاب الأغلب منطقة
 باري . شمال برتديزي ، التي لم يكن أهلها من الروم ، ولكنه لم يقدر

(١) المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ ب ، المكتبة ص ٤٣٦ ، وقارن ابن الأثير سنة ٢٢٣ هـ ،
 ج ٦ ص ٤٩٤ المكتبة ص ٢٢٨ ر حيث القراء حسن البلوط بدلا لآدم مرسوقلة البلوط ،
 وقولون بدلا من قلعة قاروب ، ورو او مرناو بدلا من مريا ، وانظر ابن خلدون ، ج ٤
 ص ٢٠٠ ، المكتبة ، ص ٤٦٩ (حيث يكتب يذكر كلسية عدة حصون) . وانظر هزير أحمد ،
 تاريخ صقلية الإسلامية ، ص ١٢ .
 (٢) ابن الأثير ، سنة ٢٢٢ هـ : ج ٦ ص ٤٩٤ ، المكتبة ، ص ٢٢٨ ، ابن خلدون ،
 ج ٤ ص ٢٠٠ ، المكتبة ، ص ٤٦٩ .
 (٣) ابن الأثير ، سنة ٢٢٢ هـ : ج ٦ ص ٤٩٤ ، المكتبة ، ص ٢٢٨ ، ابن خلدون ،
 ج ٤ ص ٢٠٠ ، المكتبة ، ص ٢٢٢ هـ



شكل رقم (٤)
صقلية وجنوب إيطاليا

عليها (١٨٨) : والنص هنا على أن أهل باري لم يكونوا من الروم يعني أنهم كانوا من الإيطاليين المستقلين عن البيزنطيين *

فتح نابولی و مسینا :

وفى سنة ٢٢٨ هـ / ٨٤٣ م - على عهد أبي العباس محمد بن الأغلب ،
سار الفضل بن جعفر الهمداني فى الأسطول ، ونزل فى مرضى مسيني وأحاط
به . ورغم امتناع مسيني عليه فإنه أخذ بيت سراياه فى كلابريا وإيطاليا
حيث وصلت الى مدينة نابلى (نابولي) التى طلبت الأمان ، نظراً دفع الجزية .

- ٢٤٣ -

والذين منهم من الرواية أنه كان من شروط صلح نابولي أن يسير بعض أهلها مع العرب لمعاونتهم على اخذ مسيني فكان مملكة نابولي أصبحت جليلاً للأغالبة في إيطاليا (١٢٩) ، وذلك حرياً على سياسة الخلف التي مارسها العرب في مدحهم والتي قضت بالتحالف مع أهل البلد المتوح من أجل المعاونة على فتح ما وراءه من البلاد . وفعلاً بينما كان أهل مسيني مشغولين بقتال جعفر استدار العرب وحلفائهم من أهل نابولي خلف الجبل (جبل النار) المطل على المدينة ، وصعدوا إليه ثم انهم نزلوا منه اليها ، فانهمز أهل مسيني وفتح العرب البلدة (١٩٠) ، كما فتحوا أيضاً مسكان (١٩١) . وفتح مسيني سيطر العرب على المضيق وأصبح أسطولهم في موقف استراتيجي ممتاز بالبسيطة للأسطول البيرنطي وسط البحر المتوسط .

استئساد العرب ، وانهايا مقاومة الروم :

الإخاح على مدينة لنتيني (Lentini) :

وأمام هذه الفتوح العظيمة قويت نفوس العرب واستأسدوا ، بينما دلى الروم في صقلية ، حتى أنه عندما سار أبو الأغلب العباس بن الفضل في سرية ، في سنة ٢٢٩ هـ / ٤٣ - ٨٤٤ م التالية ، الى مدينة بثرية (Butera) اسبى القتال الكبير باهزام الروم هزيمة فاحشة ، اذ تركوا في أرض المعركة أكثر من عشرة آلاف رجل ، بينما لم يستشهد من المسلمين سوى ثلاثة نفر - ولا بأس من مبالغة الرواية العربية التي تقول انه لم يكن بصقلية قبلها

(١٨٩) اسار أحمد المدني ، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا ، ص ٧١ - حيث الإشارة الى الأوضاع المضطربة في جنوب إيطاليا حيث كان النزاع قائماً بين مملكة نابولي وحارتها مملكة بنيفنتو (Benevento) اللومباردية . وان تحالف أهل نابولي مع العرب كان بهدف مقاومة الخطر الذي تهددهم من جانب أهل بيفنت . وهكذا فبعد هذا الوقت استقر العرب المغاربة في قلب إيطاليا وكونوا مملكة مستقلة هي الأخرى عن صقلية الأغلبية ، وهذا ما تشير اليه النصوص بشكل مجمل فيما بعد . أنظر فيما بعد ، من فتح بلرى وبغية تلك المملكة العربية الإيطالية الى خلافة بغداد ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(١٩٠) ابن الأثير ، سنة ٢٢٨ . ج ٧ ص ٢ من المكتبة ، ص ٢٢٩ (حيث النص : ولما قتل الفضل في مدينة مسيني - بدلا من مدينة لنتيني - فهي القراءة الصحيحة الموجودة في النسخ) ، وقانون تابعي خلدون من المكتبة ، ج ٤ ص ٤٢٤ - ٤٢٥ (حيث يكتب بذكر فتح مسيني: فون. ذكر صلح أهل نابولي)

(١٩١) نفس المصدر

مئثلها ، بعض التى (١١٢) •

واستمر المهذء فى صقلية فى سنتى ٢٣٠ و ٢٣١ هـ (٨٤٤ - ٨٤٦ م) ، ولا بأس أن يكون ذلك المهذوء بسبب غموض الأحوال فى القيروان ، لا انقلاب الذى دبره أحمد بن الأغلب ضد أخيه الأمير محمد ، اذ لا يستعيد العرب نشاطهم فى صقلية الا فى سنة ٢٣٢ هـ / ٤٦ - ٨٤٧ م . بعد أن يستعيد محمد سلطانه من أخيه أحمد • أما عن السلم الذى كلنت الامبراطورة تيودورا قد عقدته وقتئذ مع العباسيين فى المشرق (١١٣) ، فأغلب الظن أنه لم يكن يقيد نشاط الاغالبية أو البيزنطيين ضد بعضهم البعض •

أخذ لتينى :-

ففى تلك السنة (٢٣٢ هـ / ٤٦ - ٨٤٧ م) سار الفضل بن جعفر على رأس قواته الى مدينة لتينى على الساحل الشرقى لصقلية ، شمال سرقوسة ، وضرب عليها الحصار وراسل أهل لتينى بطريق صقلية الرومى ، المقيم فى سرقوسة ، وطلبوا منه النجدة ، فاتفق معهم على أن يحضر اليهم بزعجالة على حين غرة من العرب الذين يقعون ، عندئذ ، بين شقى الرحا • وتم الاتفاق على أن تكون علامة وصولهم اليهم ، هى : ايقاد نار فى بعض جبال المنطقة لمدة ثلاثة أيام ، ويكون وصولهم اليهم فى اليوم الرابع • وعرف الفضل ، عن طريق جواسيسه تلك الاشارة ، ورد على أهل لتينى كيدهم فى نحرهم ، فأوقد هو النار فى الجبل المبرعود ، وأعد الكائن لاستقبال حامية لتينى فى اليوم الرابع من ايقاد النار •

وعندما خرج أهل لتينى لاستقبال النجدة ، انهزم العرب الذين كانوا يحاصرونهم نحو الكمين ، فلما جازوه وقعوا هم بين شقى الرحا ، ووضع السيف فيهم ، فلم ينج منهم الا القليل • وبذلك انتهت المعركة بأن سلم أهل لتينى مدينتهم الى العرب فى ظنير الأمان ، فى : نفوسهم وأموالهم (١٩٤) •

(١٩٢) ابن الأثير ، سنة ٢٢٨ هـ ، ج ٧ ص ٢ . المكتبة . ص ٢٢٩ - حيث التراءة شرة . سورة . والنصح . « بختة » لأعلى •

(١٩٣) اطر عزيز أحمد ، تاريخ صقلية الاسلامية ، ص ١٣ •

(١٩٤) ابن الأثير ، سنة ٢٢٨ هـ ، ج ٧ ص ٢ . المكتبة ، ص ٢٢٩ - ابن خلدون ، المكتبة ، ج ١ ص ٢٧٠ : « فى تاريخ جندون تفت » . تاريخ المسلمين فى صقلية حسب تاريخ المعالي لتغنى الروم . المكتبة ، ج ١ ص ١٦٦ (حيث ينص على أخذ الثانية فى سنة ٦٣٥ هـ ، وهو الامر الصحيح اذا عرفنا انها فتحت بعد عشرين سنة من نزول العرب فى الجزيرة) . وذات على سنة ٦٣٥ حسب نفس لتاريخ (ص ١٦٥) •

الاستيلاء على طارنت في لمبارديا :

وفي نفس السنة (٢٣٢ هـ / ٨٤٧ م) ، اجتاحت العرب جنوب إيطاليا واستولوا على مدينة طارنت من إقليم لمبارديا (انكبردة) ، ويسكنوها (١٩٥) ، كما وصلوا في غاراتهم حتى مدينة زوما نفسها (١٩٦) . وفي سنة ٢٣٣ هـ / ٨٤٧ - ٨٤٨ م التالية ، أتت عشر شلنديات للسرور وأرست في مرسى الطين ، على بعد ١٠ (عشرة) أميال غرب يلرم (١٩٧) . وعندما خرجت للاغارة على العرب ضلت الطريق ، وغرق منها ٧ (سبع) شلنديات ، وهي في طريق العودة (١٩٨) .

أخذ أرغوس ، وهدمها :

وفي السنة التالية (٢٣٤ هـ / ٨٤٨ - ٨٤٩ م) أرغم العرب أهل مدينة أرغوس على بعد ١٣ ميلا من مدينة شكلة في الركن الجنوبي الشرقي من الجزيرة ، و ٥٠ ميلا من بشيرة (١٩٩) ، على طلب الصلح نظير تسليم مدينتهم التي هدمها العرب ، وأخذوا منها ما أمكنهم حمله (٢٠٠) . وهذا يعني أن فتوحات العرب في الجزيرة كانت أكبر مما يحتمله توزيع الجند عليها ، وكانوا يتخلصون منها بالهدم والتخريب .

أما في سنة ٢٣٥ هـ / ٨٥٠ - ٨٥١ م ، فكانت منطمة قصريانة هدفا لغارات العرب الذين أفسدوها ، وبشروا الذعر بين أهلها ، قبل أن يعودوا بالمغانم والأسلاب (٢٠١) ، مما يعني أن أهل قصريانة كانوا قد أدخلوا بالعهد ، وأن تلك الحملة كانت تأديبية لردعهم .

(١٩٥) ابن الأثير ، سنة ٢٢٨ هـ ، ج ٧ ص ٣ ، المكتبة ، ص ٢٣٠ ، وانظر ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٢ ، المكتبة ، ص ٤٧٠ - الذي يجعل ذلك في السنة التالية ٢٣٣ هـ . ولو أنه لا يذكر اسم المدينة .

(١٩٦) أنظر موندريد هيدن ، الأغلبية (بالفرنسية) ، ص ٢٧٨ .

(١٩٧) الادريسي ، المكتبة ، ص ٦٦ -

(١٩٨) ابن الأثير ، سنة ٢٢٨ هـ ، ج ٧ ص ٣ .

(١٩٩) الادريسي ، المكتبة ، ص ٣٨ .

(٢٠٠) ابن الأثير ، سنة ٢٢٨ هـ ، ج ٧ ص ٣ ، المكتبة ، ص ٢٣٠ . ابن خلدون

ج ٤ ص ٢٠٢ ، المكتبة ، ص ٤٧٠ .

(٢٠١) ابن الأثير ، سنة ٢٢٨ هـ ، ج ٧ ص ٣ ، المكتبة ، ص ٢٣٠ .

وفاة أبي الأغلب ابراهيم بن عبد الله :

- وبعد هذه الانتصارات اللامعة ، توفي والى صقلية أبو الأغلب ابراهيم ، في ١٠ من شهر رجب سنة ٢٣٦ هـ / ١٠ يناير ٨٥١ م ، بعد ولاية استمرت أكثر من خمسة عشر عاما ، منذ سنة ٢٢٢ هـ / ٨٣٧ م (٢٠٢) . والحقيقة انه رغبت ما قد يظهر من الخلط بين أبي الأغلب ابراهيم بن عبد الله هذا ، وأخيه أبي فهر محمد بن عبد الله الذي كانت له الولاية من قبل (٢٠٣) ، مما يمكن أن يهتّم منه أنه ربما حدث خطأ في الاسم ، وأن المقصود بالاسمين شخصية واحدة فقد رأينا ترجيح رواية ، ابن عذارى ، التي أنهت ولاية أبي فهر محمد سنة ٢٢٢ هـ / ٨٣٧ م ، وختمت ولاية أبي الأغلب ابراهيم في سنة ٢٣٦ هـ / ٨٥١ م . وبناء على ذلك فقد أخذنا رواية ابن الأثير ، ومن نقلها عنه من الكتاب ، وهي خاصة بوفاة أبي فهر محمد ، أمير صقلية ، في سنة ٢٣٦ هـ / ٨٥١ م على أنها خاصة بأبي الأغلب ابراهيم . وتشير تلك الرواية الى أنه كان لا يفرّو بنفسه ، بل أقام في بلرم ، من حيث كان يسير الجيوش والسرايا مع نوابه ، فتفتح وتغنم (٢٠٤) .

ولاية العباس بن الفضل بمعرفة الجند : قيادة قوية حازمة :

واجتمع قواد العسكر بعد وفاة أبي الأغلب ابراهيم ، وتظروا فيمن تكون له القيادة بعده ، وتم اتفاقهم على أن تكون قيادتهم الى العباس بن الفضل ابن يعقوب ، وكتبوا بذلك الى أمير إفريقية محمد بن الأغلب الذي أقر العباس في ولاية صقلية ، وكتب اليه العهد بالجزيرة ، ولم ينتظر العباس الى أن يصله عهد الميروان له ، فبدأ يمارس سلطاته ، فكان يقود الجيوش بنفسه أو يبعث السرايا ، وهو مقيم في بلرم ، تشير وتعود اليه بالمغانم والأسلاب (٢٠٥) .

(٢٠٢) ابن عذارى . ج ١ ص ١١١ .

(٢٠٣) انظر فيما سبق . ص ٢٣٣ .

(٢٠٤) ابن الأثير . سنة ٢٢٨ . ج ٧ ص ٣ ، المكتبة ، ص ٣٠ - ٢٢٩ ، أبو الفدا لحصر . المكتبة . ص ٤٠٤ ، ابن خلدون . ج ٤ ص ٢٠٢ (حيث النص : « وكان من قبل مرو (بدون لا) وبعث السرايا ») ، المكتبة ، ص ٤٧١ ، التويري . المخطوط . ج ٢٢ ص ٢٢٨ ب .

(٢٠٥) ابن الأثير . سنة ٢٣٧ هـ . ج ٧ ص ٢٣ . المكتبة . ص ٢٣٢ . ابن خلدون . ج ٤ ص ٢٠٢ ، المكتبة ص ٤٧١ (حيث اسم العباس : العباس بن الفضل بن جعفر بن يعقوب ابن نزار) ، التويري : المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ ب .

وعندما وصل كتاب الولاية الى العباس بن المصّل (٢٠٦) ، بدأ بتسجيل نشاط عظيم جعل من عهده فترة مميزة في تاريخ صقلية العربية ، وهذا ما خبر عنه ابن عذارى ، اذ يقول : « فجاهد كثيرا ، وعزا طويلا . وكان له في الروم موافق آدلهم بها » (٢٠٧) - فقد خرج العباس بنفسه في سنة ٢٢٧ هـ / ٨٥١ م ، على رأس قواته التي جعل على مقدمتها عنه رباح (بن يعقوب) ، الذي وجهه نحو قلعة آبي نور ، بينما اتجه هو نحو قصر يانة (٢٠٨) ، التي كان قد اتخذها الروم عاصمة لهم بدلا من سرقوسة المعرضة للغارات البحرية . وذلك بعد استيلاء العرب على يلرم (٢٠٩) .

وآدى رباح المهمة فأغار على قلعة آبي نور ، وأسر وغنم ، ولحق بالعباس حيث قتل الأسرى . وعانت القوة العربية في اقنيم قصر يانة ، وهي تفسد وتحرق وتخرب ، وتأسر وتسيى . ولما تم إخراج البطريق قائدها للقاء العرب عادوا الى يلرم (٢١٠) .

الإلحاح على قصر يانة وسط الجزيرة ، واجتياح الساحل الشرقي :
وواضح من تتبع العمليات الحربية التي قام بها العباس بن الفضل ، أنه كان يرمى الى تحقيق أهداف أبعد بكثير من أهداف سابقه من الولاة ، وأنه كان يطمح في إنهاء الوجود البيزنطي في الجزيرة ، وأنه كان قد قرر الاستيلاء على قصر يانة ، كهدف أول له .

ولكنه لما كان من الصعب اقتحام المدينة الحصينة في قمة جبلها المنيع ، فإنه رأى الإلحاح عليها بالقتال والتخريب حتى ينتهى أمرها بالارهاق ثم السقوط . فقد قام العباس بأثارة على منطقتها في سنة ٢٢٨ هـ / ٨٥٢ م التالية في عسكر عظيم ، فغنم وخرب وقتل ، وبعث برؤس القتلى الى يلرم . ومن قصر يانة سار العباس ليووسع عملياته في نواحي الساحل الشرقي مبتدئا

(٢٠٦) ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٧١ . أبو الفدا ، المختصر ، المكتبة ، ص ٤٠٥

(٢٠٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١١ .

(٢٠٨) ابن الأثير ، سنة ٢٢٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٢ ، المكتبة ، ص ٢٢١ (حيث اسم :

رباح بن سفر بدلا من ابن يعقوب) .

(٢٠٩) النويرى ، المغرور ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ ب .

(٢١٠) ابن الأثير ، سنة ٢٢٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٢ ، المكتبة ، ص ٢٢١ ، ابن خلدون ، ج ٤

ص ٢٠٢ ، المكتبة ، ص ٤٧١ . وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١١١ (الذي يقول بشكل عام أنه

غنم فنانم عظيمة ، وسبى سبيا كثيرا ، وأدناج يلادم) .

من قطنانيا ، في اتجاه الجنوب ، نحو سرقوسة ونوطس ، ثم أرغوس في الطرف الجنوبي الشرقي للجزيرة ، ، فضم من جميع هذه البلاد وخرّب وأحرق ، ، قبل أن ينزل على بشيرة التي ضرب عليها الحصار لمدة خمسة أشهر - فكان أخذها في سنة ٢٣٩ هـ / ٨٥٣ م الثانية - ولم يرمعه عنها الا بعد أن صالط أهلها على خمسة آلاف رأس من الماشية (٢١١) .

واستمر العباس ينج بالصوائف على مدن الروم وحصونهم في الجزيرة خلال السنوات التالية ، كما يتضح من الحوليات الصقلية في ابن عذارى ، الذي يكتفى بالإشارة إلى أعمال الانسداد والتخريب والنكابة في الروم ، في سنوات ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م و ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م . وهو يشير إلى إقامة الفضل في تلك السنة الأخيرة في بعض الجبال لمدة ثلاثة أشهر . يصرب كل يوم حول قصر يانة ، فيقتل ويصيب ، وتضم سراياه في كل جهة . كما أنه سير أخاه علي بن الفضل في البحر فأصاب وغنم ، وعاد بأعداد كبيرة من الماشية (٢١٢) .

أما في سنة ٢٤٢ هـ / ٨٥٦ م ، وهي السنة التي توفي فيها الأمير الذغبي أبو العباس محمد بن الأغلب ، وولي ابنه أبو إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب ، فقد استولى فيها العباس على عدد من حصون الروم (٢١٣) .

الاستيلاء على الحصن الجديد :

واستمر الحاج العباس على قصر يانة (عاصمه الروم) فخرج إليها في

(٢١١) ابن الأثير ، سنة ٢٣٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٢٤ المكتبة ، ص ٢٣١ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٢ ، المكتبة ، ص ٤٧١ - الذي يلخص الرواية تلخيصا أحسنه باليتر ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١١١ - الذي يكتفى بالإشارة إلى أعمال القتل وبعث الرؤس إلى بلرم وسف الزدوع وسبي السبايا في سنة ٢٣٨ هـ . ثم يجعل تلك الحملة ضمن أحداث سنة ٢٣٩ هـ / ٨٥٣ م ، وقارن تاريخ المسلمين في صقلية حسب تاريخ العالم عند الروم ، المكتبة الصقلية ، ص ١٦٦ (حيث يجعل أحد بشيرة في سنة ٦٣٦٢ . أي بعد ٢٧ سنة من الفتح ، وهو ما يكاد يتفق مع تاريخ ابن عذارى) .

(٢١٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١١ - ١١٢ .

(٢١٣) ابن الأثير ، سنة ٢٣٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٤ ، المكتبة ص ٢٣١ - حيث القراءة ما بين خمسة وخمسة . بينما أخذ ابن خلدون (المكتبة ، ص ٤٧١) بقراءة الكلمة « حصون جمة » ، التي صححها أثنائى إلى « حصون نخبة » ، لأنه فضل خمسة على جمة في نص ابن الأثير . وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٢ - حيث يقول أن العباس كان ينتقل من حصن إلى حصن ففتح أكثرها ، وصالحه بعض أهلها .

سنة ٢٤٣ هـ / ٨٥٧ م ، وهزم أهلها عندما خرجوا الى لقائه ، ثم انه قابع مسيرته من جديد الى سرقوسة وطبرمين حيث نشر النهب والتخريب والاحراق على طول الطريق . ونزل العباس على الحصن الجديد الذي كان قد بناء الروم في طبرمين ، جنوب مسيني على الساحل الشرقي رضيع الحناق على الحامية الرومية التي كانت به حتى أنهم فاضوه على أن يشتروا رحيله عنهم بخمسة عشر ألف دينار ، ولكنه لم يقبل منهم ذلك .

وأمام الحاح العباس على حصن طبرمين الجديد يقول ابن الأثير ان الروم عرضوا على العباس الاستسلام له في نظير شروط مجحفة بهم ، تقضى بأن يسلموا له الحصن ومن فيه على أن يطلق مائتي نفس منهم فقط . ووافق العباس وملك الحصن ، وباع كل من وجده فيه ، بعد أن وفى لهم بشرطهم فأطلق المائتي شخص الذين عينوهم ، ثم انه هدم الحصن . ويظهر شك ابن الأثير في تلك الرواية عندما يتبعها بكلمتي والله أعلم (٢١٤) . ونحن نرى أنه ربما كان المقصود بشرط اطلاق المائتي نفس هو الا يأخذ منهم فدية ، بينما كان على الآخرين أن يفتدوا أنفسهم بالمال أو أن يسترقوا .

والى حاسب ذلك نجح العباس في ارغام أهل حصن « شلنودة ، (جلفودي) على مصالحته ، شريطة أن يخرجوا من الحصن (٢١٥) .

فتح قصريانة :

وأخيرا صارت الظروف عواتية لفتح قصريانة في سنة ٢٤٤ هـ / ٥٨٩ م . فعندما حسنت الأحوال الجوية بعد فصل الشتاء ، سار العباس في جيوشه من بلرم قاصدا قصريانة ، حيث نشر الرعب والحراب في اقليمها . ثم انه اتجه نحو مرقوسة حيث كان قد سير أسطولا بحريا بقيادة أخيه على ، ليتم حصار المدينة من جهتي البر والبحر جميعا . والتقى أسطول على بن الفضل بأسطول رومي يتكون من أربعين شلنديا ، على رأسه قائد تسميه رواية النويرى بالاقريطشى أى الكريتى (الكريتلى) (٢١٦) . وانتهى

(٢١٤) ابن الأثير ، سنة ٢٣٧ هـ ج ٧ ص ٢٤ ، المكتبة ، ص ٢٢٢ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٢ - الذى يسمى المكان بـ « قصر الحديد » (بدلا من القصر الجديد) ، ويقول ان العباس وافق على فدية الـ ١٥ ألف دينار .
(٢١٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٢ .
(٢١٦) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٩ . المكتبة ، ص ٤٢٢ ، وقارن ابن عذارى .

القتيـال البحري العنيف بائـصار المسلمين وأسر عشر شـلنديـات رومـية
برجالها . ولكن الجيش البري ، وكذلك الأسطول عاـا الى قواعدهما في بلرم
بما أخذ من المقائم والسبي والاسلاب (٢١٧) .

والظاهر أنه أمام عدم تمكن العباس من تحقيق ما كان يـرجـوه من
الاستيلاء على قـصريانة خلال ما كان يقوم به من الصوائف ، فكر في معرفة
ما يمكن أن يقدر لذلك من السـجـاح خلال فصل الشتاء ، وقت البرد والثلج ،
على غير المعتاد .

وقام العباس فعلا بتسيير شاتية الى قـصريانة ، نهب رجالها وخـزـنـوا
في الإقليم ، وعادوا الى بلرم ومعهم رجل من وجهاء الروم . وتقول الرواية
أن العباس أمر بقتل الرجل الذي انزعج للأمر ، وعرض أن يشتري حياته
نظير أن يدل العرب على عورة لقـصريانة ، يمكن لهم الدخول منها والاستيلاء
على المدينة ، والقوم آمنون غير محتـرسـين ، بسبب الشتاء والثلوج .

وانتخب العباس حوالى ألفى رجل من انجاد فرسانه وأبطالهم ، وسار
بهم في شهر كانون (ديسمبر - يناير) مع الرجل الى أن قرب من قـصريانة
حيث كن معهم مستترا ، بينما سير عمه رباحا مع شـجـمان هؤلاء الرجال ،
فساروا مستخفين في الليل ، ودليلهم الرومى مفيد بن يدى رباح (٢١٨) .
ودلهم الرجل على المكان الذي يمكنهم عن طريقه دخول المدينة . وكان الموقع
الضعيف في تلك العصور ، هو حيث الثغرة في أسوار البلدة التي كان يخرج
منها ماء نهرها محملا بالأرساخ ، وكان في منطقة وعرة من الجبل . وهكذا

ج ١ ص ١١٢ - الذي استنتج من اسم « الاقريطس » ، وهو قائد الأسطول الرومى ان المعركة
دارت بين العرب والروم قرب سواحل كريت .

... (٢١٧) ابن الأثير ، سنة ٢٣٧ . ج ٧ ص ٢٤ . المكتبة ، ص ٢٤٢ (ابن خلدون .
ج ٤ ص ٢٠٢ حيث يجعل ذلك في سنة ٢٣٧ هـ وهي السنة التي خصصها ابن الأثير لكل
تلك الفتوح ، المكتبة ، ص ٤٧١) . وقارن ابن عـذارى ج ١ ص ١١٢ - الذي يذكر أنه حدث
ذلك « دارت على المسلمين جولة ، وقتل منهم ، وأخذت لهم عشرون مركبا . وهذا ما تشير
اليه رواية كتاب التاريخ حسب تاريخ العالم عند الروم - المكتبة العـسـكـرية . ص ١٦٦ - إذ
تقول روايته أنه أخذت مركب لعل (ابن الفضل) في تلك السنة . والنظر ص ٢٥٢ .
(٢١٨) ابن الأثير ، سنة ٢٣٧ هـ ج ٧ ص ٢٤ . المكتبة ص ٢٣٣ . وقارن النويرى ،
المملوك ، ج ٢٢ ص ٢٢٩ . حيث تنص الرواية على أن رجال العباس كانوا ألف فارس
وسبعمائة رجل وأله جبل على كل عشرة منهم مقدما .

تطلب الأمر استخدام السلالم لارتفاع ذلك الموضع من الحبل ، والوصول الى السور حيث النخلة أو الخوخة - وقبيل الفجر ، وأثناء استغراق الحراس في النوم ، تسلمت جماعة الاستطلاع الى داخل السور ، ووضعت السيف في حراس الأبواب وفتحوها ، لكي يأتى العباس ورجاله على عجل ، ويدخلوا المدينة على حين غرة من أهلها مع آذان صلاة الصبح من يوم الخميس منتصف شوال/ ٢٥ يناير ٨٥٩ م - وقتل العباس عن وجد في المدينة من المقاومة ، وأخذ بنات البطارقة بحليهن وأبناء الملوك ، وأصاب في المدينة من الكنوز والكنائس ما يصجز عنه الوصف (٣٦٩) . وكان للخليفة المتوكل الذي أخرج بهذا العصر الكبير ، نصيبه من السبي الجليل (٢٢٠) .

وتقول الرواية أن العباس بنى في قصر يانعة مسجدا في الحال ونصب فيه منبرا ، وخطب فيه يوم الجمعة (٣٢١) . وهو اليوم التالي : ولا بأس أن يكون العباس قد حول كاتدرائية المدينة الى مسجد جامع بعد أن زودها بمنبر أمكن اعتاده في يوم وليعة .

رد الفعل لدى الروم :

حملة بحرية الى الجزيرة. تنتهى بالفشل :

وكان استيلاء العرب على قصر يانعة ضربة شديدة للروم لم يكن من المقبول أنه يتلقاها ساكتين - فلقد أرسل القيصر (ميخائيل الثالث) - في السنة الهجرية (٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م) ، حسبما يقتضى تنسيق الأحداث - من القسطنطينية أسطولاً في ثلاثمائة شلندي نحو صقلية ، يحمل الجنود والمتاد ، في محاولة للتصدي للعرب واسترجاع المدينة الهامة . وعندما علم العباس برمسول تلك الحملة - التي كانت بقيادة قيسطنطين كوندوميتيس (Constantine Kondomytes) (٢٢٢) - الى سرقوسة ، خرج بنفسه

(٢١٩) ابن الأثير . سنة ٢٢٧ هـ . ج ٧ ص ٢٤ . المكتبة ر. ص ٢٢٢ - ٢٢٣ ، ابن خلدون ، ج ٢ ص ٢٠٢ . المكتبة . ص ٤٧١ - ٤٧٤ ، النويري ، المخطوط ، ج ٢ ص ٢٢٩ ، ١ ، أبو القاسم ، المكتبة . ص ٤٠٥ . تاريخ المسنين في صقلية حسب تاريخ العالم عند الروم ، المكتبة . ص ١٦٦ (سنة ٦٢٢٧ هـ) ص ٢٢٢ سنة من الحج) .
(٢٢٠) أنظر فوندر هيدن (بالفرنسية) ، ص ٢١ (من ابن خلدون) .
(٢٢١) ابن الأثير ، سنة ٢٢٧ هـ ج ٧ ص ٢٤ . المكتبة . ص ٤٧٢ ، ابن خلدون . المكتبة . ص ٤٧٢ .
(٢٢٢) فوندر هيدن . تاريخ صقلية الإسلامية . ص ١٢ .

في رجاله وأساطيله ، والتقى بهم عند أحواز سرقوسة ، ونجح في هزيمتهم حتى ألجأهم الى مراكزهم ، كما أنه تمكن من الاستيلاء على ٣ (ثلث) من مراكزهم .

وتشير الرواية الى تفوق المسلمين على الروم في فن الحرب وقتئذ ، حتى قبل إنه في الوقت الذي كثر القتل في الروم لم يصب من العرب بالشباب - أي من بعيد - الا ثلاثة نفر (٢٢٣) ، وهو الأمر المستغرب فعلا .

انتفاضات للروم :

ولا بأس في أن يكون الروم قد استطاعوا النأر لتلك الهزيمة البحرية الماجئة . فهذا ما تشير اليه حوليات ابن عذارى ، بعد الانتصار الذي حققه على بن الفضل في البحر على الروم سنة ٢٤٤ هـ / ٨٥٨ م ، اذ تقول : « ثم دارت على المسلمين جولة ، فقتل منهم ، وأخذت لهم عشرون مركبا » (٢٢٤) .

وهذا ما ترجحه الحوليات الصقلية في سنة ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م ، عندما سجل نكت عدد كبير من القلاع الصقلية ، وخرجنا على طاعة المسلمين ، مثل : سطر ، وأبلا (Avola) ، وأبلاطنو (Platani) وقلعة عبد المؤمن ، وقعة البلوط ، وقلعة أبي ثور (Caltavuturo) ، وغيرها من القلاع مما اضطر العباس الى الخروج اليهم في حملة تاديبية ، ألحق فيها الهزائم بعساكر الروم ، وحاصر قلعتي عبد المؤمن وأبلاطنو .

وفي أثناء الحصار بلقته أنباء عن وصول قوات رومية الى الجزيرة فترك حصار القلعتين ، وسار الى لقاء الروم قرب قلعة جلفودي (Cefalu) شرق بلرم . وانتهى القتال بانهزام الروم الى سرقوسة ، وعودة العباس ابن الفضل الى بلرم (٢٢٥) .

(٢٢٢) ابن الأثير ، سنة ٢٢٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٤ . المكتبة ، ص ٢٢٣ : حيث النص على الاستيلاء على « ثلث مراكزهم » (أي مائة شلندي) وهو الأمر المستبعد ، وقارن ابن خلدون . المكتبة ، ص ٤٧٢ ، ج ٤ ص ٢٠٢ : حيث النص ، « وأقلع المهمل الى بلادهم بعد أن غنم المسلمون من أسطولهم ثلاثة أو أكثر » .

(٢٢٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٣ ، وانظر فيما سبق ، ص ٢٥٠ هـ ٢١٧ .
(٢٢٥) ابن الأثير ، سنة ٢٢٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٤ ، المكتبة ، ص ٢٢٤ ، ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٧٢ - حيث تصرف في الرواية وجعل مسير العباس الى سرقوسة لقتال الحملة الرومية ، وعودته الى قصريانة وليس الى المدينة « بارم » .

اعمار قصر يانة ، و وفاة العباس بن الفضل :

واهتم العباس بقصر يانة فعمرها وحصنها وشحنها بالمقاتلة . وفي السنة التالية (٢٤٧ هـ / ٨٦١ م) ، وبينما كان العباس يحول برجاله في منطقة سر قوسة ، يركب في الروم ويغنم أموالهم ، اعتل في موضع غيران قرقة (Caltagirone) غلته التي مات فيها بعد ثلاثة أيام . وذلك في ٣ جمادى الآخرة سنة ٢٤٧ هـ / ١٥ أغسطس ٨٦١ م ، ودفن هناك - غير بعيد من قبر أسد بن المرات - ولكن الروم نيشوا قبره وأحرقوه (٢٢٦) .

تقييم أعمال العباس :

وهكذا تيسرت ولاية العباس بن الفضل التي استمرت إحدى عشرة سنة ، داوم فيها الجهاد صيفا وشتاء ، بتحقيق انجازات لم يسبقه الى مثلها من تقدمه من الولاة . فكان من أهم أعماله غزو أرض قلورية (كلابريا) وأنكردة (لومبارديا) التي أسكنها المسلمين (٢٢٧) . وكان تنويع أعماله في صقلية بالاستيلاء على قصر يانة التي أصبحت من أهم مسكن العرب في الجزيرة . وهكذا حتى لا ين عذارى أن يقول : انه « حاهد كثيرا ، وغزا طويلا ، وكان له في الروم مواقف أذلهم بيا » (٢٢٨) . وهكذا لم يكن من الغريب أن يعبر الروم عن حقدهم على العباس أو عن خوفهم منه ميتا ، كما كان حيا ، بنش قبره ، و « احراق شلوه » ، كما يقول ابن خلدون .

-
- (٢٢٦) ابن الأثير ، سنة ٢٢٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٥ ، المكتبة ، ص ٢٢٤ ، ابن خلدون ، ص ٢٠٢ ، المكتبة ، ص ٤٧٢ . وعن دس العباسي في « كالتاجيون » ، انظر ، عزيمه تاريخ صقلية الاسامية ، ص ١٤ -
- (٢٢٧) ابن الأثير سنة ٢٢٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٥ ، المكتبة ، ص ٢٢٤ ، ابن خلدون ، ص ٢٠٢ ، المكتبة ، ص ٤٧٢ .
- (٢٢٨) البيان ، ج ١ ص ١١١ -

- ٢٥٤ -

قأمر قوى فى مستوى العباس بن الفضل وابنه عبد الله :

خفاجة بن سفيان (٢٤٨ - ٢٥٥ هـ / ٨٦٢ م - ٨٦٩ م) وابنه محمد :

فترة إنتقالية :

أحمد بن يعقوب ، وعبد الله بن العباس (جمادى الآخرة ٢٤٧ هـ / جمادى الأولى ٢٤٨ هـ) :

عندما توفي العباس بن ميدان العتات ، اجتمع قادة العسكر ، كما كانت تجرى العادة فى مثل هذه الظروف ، وتناقشوا فيما يخلقه فى قيادة الجيش ، وإمارة صقلية بالتالى . وببعض نص رواية ابن الأثير على أن العباس ولوا عليهم اسمه عبد الله بن العباس ، وكتبوا بذلك الى الأمير الأعلى بن القيروان (٢٣٩) ، يصح ابن عذارى على أن الذى ولى بعد العباس هو عمه أحمد بن يعقوب ، وأن أهل صقلية الذين ولوه : « كتبوا بذلك الى صاحب إفريقية أبى إبراهيم أحمد بن محمد بن الأعلم ، فجاء كتابه باثباته » (٢٣٠) .

والظاهر أن الأمرين جميعا صحيحين مع اختلاف الترتيب الزمني ، فهذا ما يظهر من رواية التويرى التى تقول ان العباس ولوا « على أنفسهم أحمد بن يعقوب » ثم ولوا عبد الله بن العباس ، وكتبوا الى أمير القيروان ، فولى خمسة أشهر (٢٣٩) . إذ لما كان الوالى التالى ، وهو خفاجة بن سفيان ، قد وصل من القيروان الى الجزيرة فى شهر جمادى الأولى من السنة الثانية (٢٤٨ هـ / يولية ٨٦٢ م) ، فكان الفترة ما بين وفاة العباس ووصول خفاجة بلغت ١١ (احد عشر) شهرا ، ولى منها عبد الله بن العباس خمسة أشهر ، فتكون ولاية عمه أحمد بن يعقوب قبله - التى لا نعرف الظروف التى انتهت فيها ، وهل كانت بسبب وفاته أم بسبب عدم رضا الجند عنه - قد استمرت لمدة ستة أشهر ، من جمادى الآخرة سنة ٢٤٧ هـ / أغسطس ٨٦١ م الى ذى الحجة من نفس السنة (فبراير ٨٦٢ م) ، وتكون ولاية عبد الله بن العباس - التى لا نجد لها فى حوليات ابن عذارى - قد بدأت من ذى الحجة وانتهت فى

(٢٣٩) ابن الأثير ، سنة ٢٤٧ هـ ، ج ٣ ص ٤١٠ - المكتبة ، ص ٢٢٤ ، ابن خلدون .
ج ٤ ص ٢٠٢ ، المكتبة ، ص ٤٧٢ .
(٢٣٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٢ .
(٢٣١) التويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٦ ب .

- ٢٥٥ -

جمادى الأولى سنة ٢٤٨ هـ / يولية ٨٦٢ م . ونخص ابن الأثير على أنه خلال الإمبراطورية الخمسة التي ولي فيها عبد الله بن العباس ، سار على نفس سياسة إمبرو القوية التي إبعها والده ، والتي كان يشاركه في تنفيذها ، فأخرج السرايا ، وفتحت قازعا عدة ، منها : قلعة جبل أبي مالك وقلعة الارمنيين ، وسعة الشبرقة (٢٣٢) .

اختيار خفاجة بن سفيان :

أما لماذا لم يترك الأمير أبو ابراهيم أحمد بن محمد القائد عبد الله . ابن العباس في منصبه ، وهو الذي خبر أحوال الجهاد في صقلية وفي إيطاليا طوال الاحدى عشرة سنة التي ولي فيها والده ، وكان فيها بمثابة الشريك له ، بلا ندرى ان كان الأمر خاصا بمزاج أمير القيروان أم أنه كان قد حدث خلاف بين أفراد أسرة عبد الله بن العباس بن الفضل ، شارك فيه الجند ، مما أدى ان عزلهم لعمه أحمد بن يعقوب وتوليته ، وهو الأمر الذي يجعل اختيار أمير القيروان لقائد آخر من لدنه ، وهو خفاجة الذي كان له شأنه بين قواد الدريقية ، أمرا مقبولا .

والهم أن خفاجة وصل الى الجزيرة في جمادى الأولى سنة ٢٤٨ هـ / يولييه ٨٦٢ م ومعه ابنه محمد . وتسلم مقاليد الأمور في بلرم ، وانتهج سياسة عسكرية قوية ، تعتبر استمرارا لسياسة العباس بن الفضل .

انتوسع في اقليم سرقوسة والركن الجنوبي الشرقي : فتح نوطس :

فلقد بدأ خفاجة نشاطه في التو واللحظة ، فسير ابنه محمدا على رأس سرية قصدت منطقة سرقوسة ، حيث غنمت وخربت وأحرقت ، وظهرت بمن تعرض لها من الروم . وقبل أن يعود الى بلرم عرج على أرغوس وضيق عليها حتى طلب أهلها الأمان (٢٣٣) . ، أي أنهم تعادوا الى الخضوع لدفع الجزية .

(٢٣٢) ابن الأثير ، سنة ٢٤٧ هـ . ج ٧ ص ٤٠ .

(٢٣٣) ابن الأثير ، سنة ٢٤٧ هـ ج ٧ ص ٤٠ ، المكتبة ، ص ٢٣٥ - ولما كانت الحوليات.

المستقلة تذكر أن العرب قد عادوا الى أرغوس مرة أخرى في سنة ٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م . فان ابن الأثير يتساءل عما اذا كان قد حدث خلط بين التاريخين أم أن الأمر يتعلق بعزوتين مختلفتين - بعد نكس أهل أرغوس - وهو الأمر الذي نراه مقبولا في حرب الصوائف المنيوية . وهذا ما تؤكد رواية تاريخ المسلمين في صقلية بحسب تاريخ العالم عند الروم (المكتبة . ص ١٦٦) حيث أخذت أرغوس للمرة الأولى في سنة ٦٣٥٦ هـ . ولما كانت المرة الثانية في سنة ٦٣٧٥ هـ - وان كانت المسافة بين التحين كبيرة تبلغ حوالي ١٩ سنة .

يوظل خفاجة - الذي أمره في ولاية صقلية الأمير زياده الله (الثاني) بن محمد ابن الأعناب ، وأرسل إليه بالخلع رمز الامارة ، عندما ولي امارة الاغالبة في ذي القعدة سنة ٢٤٩ هـ / ديسمبر ٨٦٣ م ، عقب وفاة أخيه أحمد (٢٣٤) - يلح بالصوائف على اقليم الركن الجنوبي الشرقي من الجزيرة حتى تمكن من فتح مدينة نوطس جنوب سرقوسة ، في المحرم من سنة ٢٥٠ هـ / مارس ٨٦٤ م ، وذلك بالاستعانة ببعض أهل المدينة الذي دل العرب على الموضع الذي أمكنهم الدخول منه ، وأخذ العرب في نوطس أموالا عظيمة - ومن نوطس سارت القوات العربية غربا حيث فتحت شكنة (Scithi) في جنوب أرغوس ، بعد أن ضربوا عليها الحصار مدة (٢٣٥) .

وعندما توفي زياده الله الثاني في ذي القعدة من سنة ٢٥٠ هـ / ديسمبر ٨٦٤ م ، أي بعد سنة واحدة من الولاية ، أقر خفاجة في ولايته الأمير الجديد محمد بن أحمد أبو الغرابيق .

خصائص الفتوح في الجزيرة حتى سنة ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م :

والواضح من عرض أحداث هذه الحرب العجيبة التي كان يشنها العرب على مدن الروم في صقلية منذ حوالي أربعين سنة ، أن صب الأمان من جانب حصون الروم ومدنهم ، كان يعني الصلح ، وكذلك كانت معنى كلمة «الفتح» في معظم الأوقات ، الا اذا كان هناك نص صريح على امتلاك العرب للحصن أو المدينة ، فصلا على الإشارة الى اقامة العرب فيه . ما عدا حسم المدينة أو الحصن أو احراق الواحد منهما أو الآخر . بهذا يعنى - انه سيعودون اليه عما قريب ، لكي تعود الطويات الصقلية لتتكرر الحرب في نفس الموضع من جديد .

وهكذا كانت منطقة سرقوسة هدفا لغارة شديدة في سنة ٢٥١ هـ / ٨٦٥ م التالية ، حيث نصب خفاجة للروم كميناً بقيادة ابنه محمد نجح في أن يقتل منهم ألف فارس ، حتى سميت سرية محمد هذه بـ « سرية ألف

(٢٣٤) ابن الأثير ، سنة ٢٤٩ هـ ج ٧ ص ٤٧ ، المكتبة ، ص ٢٣٨ ، ابن عذاري . ج ١ ص ١١٣ - ١١٤ .

(٢٣٥) ابن الأثير ، سنة ٢٤٧ هـ ج ٧ ص ٤٠ ، المكتبة ، ص ٢٣٥ ، وقانون تاريخ المسلمين في صقلية حسب تأريخ العالم ، ص ١٦٦ (من فتح الناطس سنة ٦٧٤) ، ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٧٣ .

فارس ، كسسا يقول ابن عذارى (٢٣٦) . وفي ضوء فكرة حرب الصوائف المتواليه هذه ، يمكن لنا أن نفهم الحاح العرب بالحرب على نفس الموضع أكثر من مرة . رغم الأمان أو الصلح أو الفتح .

صلح طبرمين :

مفاوضات طريقة تشترك فيها النساء :

وهذا ما حير ابن الأثير في صوائف سنة ٣٥٢ هـ / ٨٦٦ م (٢٣٧) ، حيث سار خفاجة الى سرقوسة ، ومنها اتجه الى أقصى الشمال الى منطقة جبيل النار ، حيث أتاه رسل مدينة طبرمين يطلبون منه الأمان .

ونص ابن الأثير هنا بحوى عبارة غريبة ، اذ يقول : « فارسل (أي خفاجة) امرأته وولده في ذلك ، فتم الأمر » (٢٣٨) ، مما يعنى إن مسألة الأمان أو الصلح كانت تتطلب نوعا من المفاوضات المتعارف عليها في ذلك الوقت . وفكرة إرسال خفاجة لابنه محمد ليفاوض أهل طبرمين نيابة عنه معقولة ، فقد كان محمد بمثابة المساعد الأيمن له في أعماله أو الشريك له في ولايته . وأما إرسال امرأته التي نطن أنها كانت أم محمد أيضا ، فربما كانت لمباهاة الروم المسلمين كانوا يعتزون بنسائهم ، بل ويصحبونهن معهم في حروبهم ، كما رأينا في أكثر من معركة .

وهذا يعنى أنة العرب في صقلية بدأوا يتأثرون بعبادات الروم في الجزيرة ، ومنها ما يتعلق بتشريفهم للنساء واعتزازهم بهن . ولا توضح الرواية الأسباب التي دعت أهل طبرمين للفرار أو نقض الصلح الذي أبرمته محمد بن خفاجة والسيدة والدته مع أهل طبرمين ، وهو الأمر الذي جعل خفاجة يرسل ابنه محمدا من جديد الى طبرمين ولكن لحربها ، هذه المرة . فتقول الرواية أن محمد بن خفاجة فتح طبرمين وسبى أهلها - والفتح ، كنا قلنا ، لا يعنى هنا أكثر من الحرب أو املاء الصلح .

صلح أرغوص والقبران :

وفي نفس هذه السنة طلب أهل أرغوص الأمان من جديد ، - يعنى أنهم

(٢٣٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٤

(٢٣٧) انظر فيما سبق ، ص ٢٥٥ وما ٢٢٣

(٢٣٨) ابن الأثير ، سنة ٢٤٧ هـ ج ٧ ص ٤٠ ، نسخة ٢٣٥ هـ

كانوا قد نكثوا صلح سنة ٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م (٢٣٩) . وهذا ما يفسر قسوة شروط الأمار هذه المرة ، إذا اضطر أهل أرغوس الى أن يعرضوا على حماحة السماح لعدد معين من أهل الحصن (سقط من النص) - كما حدث لى طيرمين أيام العباس ، حينما طلبوا اطلاق مائتى نفس عيوهم (٢٤٠) - يطلقون بأموالهم ودوابهم ، على أن يفتح الباقي . وهذا ما حدث فعلا إذ أخذ حماحة جميع ما فى الحصن من مال ورقيق ودواب ، عبر ذلك (٢٤١) .

وتشير الحوليات الصقلية فى نفس السنة (٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م) الى أن أهل الفيران - القرية من سرقوسة - هادنوا حماحة (نظير الجزية) ، وأنه انتتج حصونا كثيرة ، ثم انه مرض مرضا شديدا حتى انه عاد الى بلرم محمولا فى محفة (محمل) (٢٤٢) .

اللاح مستمر على أقاليم سرقوسة ، وقطانيا :

ولم يطل مرض حماحة فى بلرم ، إذ أنه عاد فى السنة التالية (٢٥٣ هـ / ٨٦٧ م) الى أقاليم سرقوسة وقطانيا حيث خرب البلاد وأفسد المزروعات . وبث سراياه فى أرض غير المعاهدين من الروم ، فظفرت وعادت بالمفسانم الكثيرة (٢٤٣) . وظل اللاح على منطقة سرقوسة فى سنة ٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م التالية ، حيث بعث حماحة سراياه للاستكشاف قبل أن يسير اليها بنفسه ليمسد زروعها فى ربيع الأول (مارس) . وكذلك سير فى البحر ابنه محمدا فى الحراقات عندما علم بوصول حملة من القسطنطينية ، فيها الكثير من الجنود . وكان الظفر فى البحر وفى البر جميعا لحماحة ، إذ انهزم الروم أمام القوات العربية ، وقتل منهم آلاف كثيرة ، وأخذ لهم سلاح وخيل كثير ، عاد بها المسلمون الى بلرم ، فى أول شهر رجب (أواخر يونيه) (٢٤٤) .

(٢٣٩) أنظر ليا سيق ، ص ٢٥٥ وهـ ١٢٣ .

(٢٤٠) أنظر ليا سيق ، ص ٢٤٩ .

(٢٤١) ابن الأثير سنة ٢٤٧ هـ ج ٧ ص ٤٠ . المكتبة ، ص ٢٣٥ . ابن خلدون ، المكتبة .

ص ٤٧٣ ، ج ٤ ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٢٤٢) ابن حذى ، ج ١ ص ١١٤ . ابن الأثير . سنة ٢٤٧ هـ . ج ٧ ص ٤٠ .

المكتبة ، ص ٢٣٥ ، ابن خلدون ، المكتبة . ص ٤٧٣ ، ج ٤ ص ٢٠٣ .

(٢٤٣) ابن الأثير ، سنة ٢٤٧ هـ ج ٧ ص ٤٠ . المكتبة ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ . ابن خلدون .

المكتبة ، ص ٤٧٣ ، ج ٤ ص ٢٠٣ .

(٢٤٤) ابن حذى ، ج ١ ص ١١٥ .

سجود عودة خفاجة الى بلرم سير ابنه محمدا على رأس الأسطول لفيو
مدينته عبطة . في أرض ايطاليا على ما يظهر ، فحاصر محمد المدينة في البحر ،
وبث سراياه حولها في البر لمدة زادت على شهرين ، قبل أن يعود بمراكبه
منسحونة بالمغام الى بلرم في شهر شوال (سبتمبر) (٢٤٥) .

محاولة لم يقدر لها النجاح لاختطط طبرمين :

وكانت مدينة طبرمين - التي توصف بأنها من أحسن مدن صقلية -
والتي لا تعرف ان كانت قد تقضت ثانية بعد فتحها على يدى محمد بن خفاجة ،
بعد صلح سنة ٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م - هدفا لخفاجة في السنة التالية (٢٥٥ هـ /
٨٦٩ م) ، وذلك عندما عرض عليه بعض أهلها تسهيل مهمة دخول العرب
اليها ، عن طريق غير مطروق ، كان يعرفه الرجل - ففي شهر صفر (يناير
- فبراير) سير خفاجة ابنه محمدا مع جماعة من الفرسان وبصحبه ذلك
الرجل الدليل الطبرميني . وعندما اقتربت الجماعة من طبرمين توقف محمد
بوأمر بعض عسكره أن يقدموا رجاله مع الدليل ، على أن يلحق بهم الى داخل
المدينة عندما يفتحوا أبوابها . ودخلت المجموعة من المغاور (الكوماندوس)
المدينة فعلا ، وامتلكت بابها وسورها . ولكنها بدلا من أن تعطى إشارة
الهجوم النهائي لمحمد وبقيّة العسكر ، شرعت في السبي والغنيمة . وانظّاهر
أن محمد بن خفاجة كان هو الآخر مترددا أو غير واثق من نجاح العملية في
وقتها المحدد ، فتأخر عن ذلك الوقت الذي كان قد ضربه لرجال تلك الطليعة ،
حتى ظن هؤلاء أنه ربما كان العدو أوقع به وبرجاله .

وهكذا أوقفت الجماعة السبي ، كما تقول الرواية ، وخرجوا منهزمين -
والغلب الظن أنهم فعلوا ذلك عندما حاجت المدينة وماجت بعد أن شعرت بما
يحدث داخل أسوارها .

هذا ولا بأس في شرح ابن خلدون الذي قال: ان محمدا أبى من ناحية
أخرى غير التي كان قد تم الاتفاق عليها ، فكان وصوله المفاجيء من تلك
الناحية سببا في ذعر جماعة الطليعة الذين ظنوه ورجسالة مددا للروم .
فجفّلوا ، ملجأه هو الآخر الى الجفول خلفهم .

(٢٤٥) ابن الأثير . سنة ٢٤٧ هـ ج ٧ ص ٤١ . المكتبة . ص ٢٣٦ ، ابن خلدون .
المكتبة . ص ٤٧٣ .

والهم أن محمد بن خفاجة عندما وصل الى باب المدينة في رجائه التقى بأصحابه وقد خرجوا منها ، فلم يكن أمامه الا العودة وراهم (٢٤٦) . وهذا يؤيد فكرة تنه حامية المدينة وأهلها ، وأخدم بالأهبة للمقاومة . وهكذا لم تتحقق أمنية عزيزة على خفاجة كان يسكن أن يوازن بها ما قام به من أعمال بما قام به سلفه العباس بن الفضل ، عندما استولى على قصر ياقبة بطريقة مشابهة ، قبل ذلك الوقت بأحدى عشرة سنة .

الضبط على سرقوسة :

ولم يثبط هذا الفشل من عزيمته خفاجة الذي خرج من بلرم في الشهر التالي (ربيع الأول/فبراير مارس) على رأس قواته الى برسة ، بينما سير ابنه محمد في عسكر كبير الى سرقوسة . ودار قتال شديد بين عسكر محمد وبين جيش رومي كبير ، انتهى لغير صالح محمد الذي عاد مفلولا الى والده ، بعد أن فقد كثيرا من رجاله . وهنا خرج خفاجة بنفسه على رأس قواته نحو سرقوسة وضرب عليها الحصار ، وضيق على أهلها ، بينما كانت سراياه تفسد الاقليم وتهلك الزرع (٢٤٧) .

مقتل خفاجة بيد رجل من عسكره :

وعندما رأى خفاجة أن حملته التأديبية ضد سرقوسة حققت أغراضها ، رفع عنها الحصار وأمر بالعودة الى بلرم عن طريق وادي الطين . والظاهر أن خفاجة كان يخشى من مكيدة يقوم بها الروم ضده ، وهو في طريق العودة ، فقرر الرحيل من وادي الطين ، وهو مدلج ليلا . وأثناء المسيرة الليلية ، وقع ما كان يحذر خفاجة ، إذ اغتاله رجل من عسكره بطعنة قاتلة مات منها . وذلك في أول شهر رجب سنة ٢٥٥ هـ / ١٥ يونية ٨٦٩ م .

والغريب في الأمر أن القاتل نجح في الهرب ولجا الى سرقوسة (٢٤٨) ، مما يقتضي أن الأمر حدث ، في غالب الظن ، بتدبير من الروم .

- (٢٤٦) ابن الأثير ، سنة ٢٤٧ هـ ، ج ٧ ص ٤١ ، المكتبة ص ٢٣٦ ، ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٧٣ (ج ٤ ص ٢٠٣ - حيث القراة طرميس بدلا من طبرمين) .
(٢٤٧) ابن الأثير ، سنة ٢٤٧ هـ ، ج ٧ ص ٤١ ، المكتبة ، ص ٢٣٧ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٣ ، المكتبة ، ص ٤٧٣ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٥ - الذي يقول ان سبب الهزيمة كان مقتل شجاع من حشبان المسلمين ، فالتكبروا لقتله .
(٢٤٨) ابن الأثير ، سنة ٢٤٧ هـ ، ج ٧ ص ٤١ ، المكتبة ، ص ٢٣٧ ، ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٧٣ ، أبو الددا ، المكتبة ، ص ٤٠٥ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٥ .

اختيار محمد بن خلفا للولاية :

ولاية قصيرة لمدة سنتين ، تم خلالها فتح مالطة :

وحمل خلفا قتيلا الى بلزم حيث دفن ، واحتج قسود العسكر في العاصمة ، واتفقوا على أن يمهّدوا بالقيادة الى ابنه محمد ، وكتبوا بذلك الى الأمير أبي الفرائق محمد بن أحمد ، الذي وافق على اختيارهم ، وكتب الى محمد بن خلفا عهده بالولاية على صقلية ، وسر الىه الملابس الرسمية ، المعروفة بالحلج ، وهي رمز الولاية (٢٤٩) .

ولم تستمر ولاية محمد بن خلفا الا مدة سنتين ، تم في الاولى منهما الاغارة على اقليم سرقوسة بمعرفة عمه عبد الله بن سفيان ، الذي اهلك رروعها في سنة ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م (٢٥٠) ، وأخذ جزيرة مالطة بمعرفة أحمد ابن عمر بن عبد الله (٢٥١) . وفي السنة الثانية (٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م) تشير الحوليات الى هزيمة الأسطول البيزنطي ، الذي حاول استرجاع الجزيرة ، وفك الحصار عن مالطة (٢٥٢) . ثم يأتي مقتل محمد بإحدى بعض خدمه الحصيان ، من الصقالبة ليضع نهاية نمسة لأعماله المجيدة في صقلية ، وذلك في نهاية اليوم الثالث من رجب سنة ٢٥٧ هـ / ٢٨ مايه ٨٧١ م . وكتم الحصيان قتله الى أن هربوا ليلا ، فلم يعرف قتله الا من الغد ، وعندئذ طلب الخدم ، وقتل الذين اغتلبوه منهم (٢٥٣) .

-
- (٢٤٩) ابن الأثير ، سنة ٢٤٧ هـ ، ج ٧ ص ٤١ . وسنة ٢٥٥ هـ ، ج ٧ ص ٨٦ ، المكتبة ص ٢٢٧ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٢٣ ، المكتبة ، ص ٤٧٣ ، ابن عسكاري ، ج ١ ص ١١٥ ، النويري المخطوط ، ج ٢٤ ص ٢٢٩ .
- (٢٥٠) ابن الأثير ، سنة ٢٤٧ هـ ، ج ٧ ص ٤١ ، المكتبة ، ص ٢٢٨ .
- (٢٥١) النويري ، المخطوط ، ج ٢٤ ص ١١٦ .
- (٢٥٢) تاريخ المسلمين في صقلية حسب تاريخ العالم عند الروم ، المكتبة الصقلية ، ص ١٦٦ ، وقارن فيما سبق ، ص ١٠٦ .
- (٢٥٣) ابن الأثير ، سنة ٢٤٧ هـ ، ج ٧ ص ٤١ ، وسنة ٢٥٧ هـ ، ج ٧ ص ٩٩ ، المكتبة ، ص ٢٣٧ ، النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٩ ، ج ٢٣٠ ، أبو الفدا ، المكتبة ، ص ٤٥ ، ابن عسكاري ، ج ١ ص ١١٥ .

فترة قلقة :

خلفاء محمد بن خفاجة :

وتختلف الروايات عند كل من ابن الأثير ، وابن عذارى ، والنويرى ،
قيمن خلف محمد بن خفاجة في ولاية صقلية ، ونرى أن رواية النويرى التي
تتصف بالاتساق وانتظام الأحداث أولى بالتقديم على غيرها . فحسب
النويرى ، اجتمع قواد العسكر وولوا على أنفسهم محمد بن أبى الحسين ،
وكتبوا الى أبى الغرائيق محمد بن أحمد فى إفريقية بذلك (٢٥٤) . ولكن
الأمير الأغلبى عهد بولاية صقلية الى رباح بن يعقوب ، كما عهد بولاية الأرض
الكبيرة ، أى قلورية والكبردة وما وراءها من إيطاليا ، الى أخى رباح ، وهو
عبد الله بن يعقوب (٢٥٥) . وهذا يعنى أن الممتلكات الأغلبية فى إيطاليا كانت
قد أصبحت من الاتساع والأهمية بحيث تكون ولاية يمكن أن يكون لها
كيانها المستقل عن الولاية الأم فى صقلية .

ولم تطل ولاية رباح بن يعقوب الذى توفى فى المحرم سنة ٢٥٨ هـ /
نوفمبر - ديسمبر ٨٧١ م ، وكذلك مات أخوه عبد الله فى إيطاليا ، بعده
فى شهر صفر التالى من نفس السنة (يناير - فبراير) . وعندما اختار
قواد العسكر أبا العباس بن عبد الله بن يعقوب لامارتهم ، لم يلبث الا أشهراً
ثم مات ، فعهدوا بقيادتهم الى أخيه ، الى أن وصلهم عهد الأمير أبى الغرائيق
بالولاية الى الحسين بن رباح . ولكنه لم يلبث أن عزله ، واستعمل عبد الله
ابن محمد بن عبد الله التميمي ، قريبه ، الذى كان « أدبياً شاعراً ، طالباً
للحديث والفقه ، وذلك فى شوال سنة ٢٥٩ هـ / أغسطس ٨٧٣ م (٢٥٦) .

(٢٥٤) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٣٠ .

(٢٥٥) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٣٠ ، وقارن رواية ابن عذارى ، ج (ص
١١٥ - التى جعل ولاية صقلية لأحمد بن يعقوب والأرض الكبيرة لأخيه عبد الله بن يعقوب -
أما ابن الأثير ، سنة ٢٥٧ هـ ، ج ٧ ص ٦٩ ، المكتبة ، ص ٢٢٨ ، فيقول أن أبا الغرائيق
(محمد بن أحمد) استعمل على صقلية أحمد بن يعقوب ابن الفضل بن سلمة الذى لم تطل
أيامه ، ومات فى سنة ٢٥٨ هـ . وتذكر حركات المسلمين فى صقلية حسب تاريخ الروم
(المكتبة ، ص ١٦٦) أن المسلمين لفوا - هزيمة كبيرة فى سالرنة (سالرنو) فى إيطاليا وقريب
تلك الفترة . وفى سنة ٦٢٨٠ التى تعادل سنة ٨٦٣ م تقريباً .

(٢٥٦) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٣٠ ، (حيث أقر الاسم « ابن إبراهيم بن
الأغلب » بدلاً من « ابن الأغلب بن سالم » كما يوضح ذلك ابن الأثير فى الحلة السيرة ،
ج ١ ص ١٨١ . المكتبة ، ص ٣٢٧ ، الذى يعرف بأنه كان والياً على طرابلس . ويذكر بعض
شعره مناسية عزله عن طرابلس) .

وهذا يسمى نوال أربعة أمراء على صقلية في أقل من سنتين (٢٥٧) .

وسلال فترة السنتين تلك ، تشير الحوليات الى حملة قام بها المجاهدون في صقلية ضد سرقوسة . سنة ٢٥٩ هـ / ٧٢ - ٨٧٣ م في عهد الحسين ابن رباح ، انتهت بالصلح على أن يطلق أهل سرقوسة ٣٦٠ (ثلاثمائة وستين) من أسرى المسلمين الذين كانوا لديهم (٢٥٨) .

ومنذ سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م والى سنة ٢٦٤ هـ / ٨٧٧ م ، حينما فتحت مدينة سرقوسة في عهد الأمير الأغلبى ابراهيم بن أحمد الذى خلف أخاه أبا الفرائيق محمد بن أحمد في جمادى الأولى سنة ٢٦١ هـ / ١٧ فبراير ٨٧٥ م ، لا نجد ذكرا لأحداث ذات بال في حوليات صقلية التي رأيناها حافلة بالصوائف والشواتي في البر والبحر على السواء ، مما يمكن أن يفسر بأن الجزيرة كانت تمر بفترة مضطربة بعد مقتل خفاجة ثم ابنه محمد (٢٥٩) . والحقيقة انه لا يفسر فترة الاضطراب التي نراها حتمية وقتئذ الا قائمة النويرى التي تحتوى على سبعة ولاه تداولوا حكم صقلية وإيطاليا الجنوبية فيما بين سنة ٢٥٧ هـ / ٨٧٠ م وسنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م (٢٦٠) .

بارى ولاية عربية مستقلة : خروج المفرج بن سسالم في إيطاليا على أبي الفرائيق :

والحقيقة أن العرب كانوا قد بدأوا يتطلعون نحو جنوب إيطاليا اعتبارا من سنة ٢٢٢ هـ / ٨٣٧ م عندما وسعوا نشاطهم الحربى الى مسينا وسيروا أسطولهم الى جزائر الايوليان المتاخمة لكلابريا (٢٦٠ م) . ولم تأت سنة ٢٢٥ هـ / ٨٤٠ م حتى كان الأسطول الأغلبى يوطد أقدام العرب في كلابريا

(٢٥٧) ونلاحظ أن النويرى (نفس المصدر) يذكر أن ذلك حدث قبل أن يل أبو مالك أحمد بن عمر بن عبد الله بن الأغلب المعروف بحبشى ، الذى بلى مثوليا عليها ٣٦ (سستا وعشرين) سنة ، وهو الأمر الذى لا يتفق مع واقع الأحداث . إذ نجد النوال سنة ٢٦١ هـ / ٧٤ - ٨٧٥ م هو جعفر بن محمد في كل من ابن الأثير وابن عسارى .
(٢٥٨) انظر اس عسارى ، ج ١ ص ١١٦ . الذى يجعل النوال الحسين بن أحمد بن يعقوب حسب روايته التي رجحنا عليها رواية النويرى . وقارن ابن الأثير . سنة ٢٥٥ هـ . ج ٧ ص ١٠٥ . المكتبة - ص ٣٣٨ - حيث لا يذكر اسم النوال .
(٢٥٩) انظر أحمد المدنى . صقلية الإسلامية . ص ٨٣ .
(٢٦٠) النويرى . المخطوط . ج ٢٢ . ص ٢٣٠ .
(٢٦٠ م) انظر فيما سبق . ص ١٨٩ .

(قلورية) نفسها ، مما اعتبر في افريقية وقتئذ فتحا عظيما (٢٦١) ، ولا بأس في اعتبار سنة ٢٢٥ هـ / ٨٤٠ م علامة مميزة في تاريخ الفتوح العربية في البحر المتوسط ، تماما كما هو الحال بالنسبة لسنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ حيث كان فتح كل من كريت وصقلية . وفي السنة التالية (٢٢٦ هـ / ٨٤١ م) بدأت أول محاولة عربية لغزو واحدة من عواصم جنوب إيطاليا ، وهي . مدينة باري الواقعة شمال برنديزي على ساحل البحر الادرياتي ، وان لم تكمل تلك المحاولة بالنجاح . وبعد ذلك بسنتين (في ٢٢٨ هـ / ٨٤٣ م) كان العرب يضفطون على امارة نابولي ، على المتوسط ، التي لم تعقد الصلح مع العرب فقط بل حالفتهم نكاية في امارة بنيفنتو اللومباردية - جارتها الداخلية - وقدمت لهم العون في عزو اقليم مسينا ، بل وربما سهلت لهم طريق سياحتهم نحو روما والماتيكان (٢٦٢) .

وفي سنة ٢٣٢ هـ / ٨٤٧ م كان العرب يستولون على مدينة طارنت اللومباردية ويقيمون فيها (٢٦٣) ، ثم يتبعون ذلك بالاستيلاء على باري مما كان يقتضى فتح برنديزي على نفس الطريق . وهكذا ، فقل أن ينتصف القرن الثالث الهجري (منتصف القرن ٩ م) كانت كسل اراضي جنوب إيطاليا - من سيبونتو (Siponto) شرفا الى مستوى مصب نهر التيبر غربا - بين أيدي جماعات مختلفة من العرب والمسلمين (٢٦٤) .

والظاهر أن الموقع الجغرافي المتطرف للأقاليم الادرياتيكية الإيطالية التي استقر فيها العرب ، بالنسبة الى صقلية و افريقية ، كان يسمح للمسؤولين المباشرين عن تلك الأقاليم بحرية العمل ، سواء على المستوى الحربى أو على المستوى السياسى أو الادارى . هكذا تنص رواية ابن الأثير على أن القوات الأغلبية لم تنجح في فتح مدينة باري سنة ٢٢٦ هـ / ٨٤١ م وان الذى فتحها بعد ذلك هو « خلفون البربرى » الذى تحقق له ذلك على عهد الخليفة المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ - ٨٦١ م) . وبعد ذلك تذكر الرواية ، التي جمعت بتلخيص شديد أحداث الفتوح في إيطاليا بهذه المناسبة ، ان من يسمى المقرج بن سالم الذى لا تعرفنا بهويته ، استطاع أن يفتح ٢٤ (أربعة

(٢٦١) انظر فيما سبق . ص ١٩٢ .

(٢٦٢) انظر فيما سبق . ص ١٩٣ .

(٢٦٣) انظر فيما سبق . ص ١٩٤ .

(٢٦٤) انظر عزيز أحمد ، تاريخ صقلية الاسلامية بالاحذية . ص ١٩ .

وعشرين) حصنا استولى عليها (٢٦٥) في منطقة أبوليا (Apulia) (٢٦٦) وكان المخرج بن سالم يعمل لحسابه الخاص مستقلا عن أمير القسبروان .
٧. بأس أن يكون ذلك صحيحا ، فالغزاة من الأندلسيين والمغاربة الذين كانوا يعملون لحسابهم الخاص في أوروبا التي يمكن أن يشملها اصطلاح « الارض الكبيرة » ، كانوا يمثلون طلائع القوات النظامية ، في تلك الفترة التي انتابت جماعة المسلمين في الجناح الغربي من المتوسط موجة من الحماس من أجل الجهاد الذي لا ينتقص من قدره ما صاحبه من الرغبة في الخاتم الثمينه والنسبي الجميل .

وهذا ما يفهم ما تذكره رواية ابن الأثير بعد ذلك ، من أن المخرج بن سالم كتب الى والى مصر يعلمه خبره ، « وأنه لا يرى لنفسه ، ومن معه من المسلمين صلاة الا بأن يعتمد له الامام على ناحيته ، ويوليها ايماها ، ليخرج من حد المتغلبين » . وهذا النص يدل على أن المخرج كان يعمل في إيطاليا لحسابه الخاص ، بمعنى أنه كان خارجا فعلا على سلطان الأمير الأغلبى ، وكان يطمح في أن يكون ولاءه مباشرة الى خلافة بغداد ، عبر والى مصر أحمد ابن طولون . وما تضيفه الرواية من أن المخرج بن سالم ، الذي بنى مسجدا جامعا في باري ، انتهى بأن شغب عليه أصحابه وقتلوه ، وذلك قبل وفاة الأمير الأغلبى محمد بن أحمد أبى الفرائق ، وولاية ابراهيم بن أحمد (٢٦٦ هـ / ٨٧٥ م) ، يدل على أن المخرج قام بخروجه على الإغلبة في نفس تلك الفترة التي نعالجها (٢٦٧) . هذا ولا بأس أن يكون سقوط باري بين

(٢٦٥) اس الاثير . سنة ٢٢٦ (ط . بيروت ١٩٦٥ . ج ٦ ص ٥٢٠ - ٥٢١) ، المكتبة .
ص ٢٣٩ . واذا كانت النصوص العربية لم تقدم لنا التفاصيل الخاصة بفتح تلك الحصون فان الحوليات الغربية يمكن أن تساعد في حد هذا النص ، وهو ما اتجهت اليه الدراسات الحديثة . وعن فتوح العرب في منطقة الادرياتي . كما حدث في استريا (Istria) وجزيرة شرسو (Cherso) وسيبونتو (Siponto) وأبوليا (Apulia) وراجوسا (Ragusa) الى جانب استعمارة الامارات الإيطالية واللومباردية بالعرب في صراعاتها الداخلية . كما حدث في بينيفنتو (Benevento) وباري وكذلك علاقات العرب بحلفائهم أهل نابولي وغيرهم من أهل أمالفي (Amalfi) وجايتا (Gaeta) وشريتو (Sorrento) وموقف الباسايوية منهم ، انظر عزيز أحمد ، تاريخ صقلية الاسلامية ، بالانجليزية ، ص ١٨ - ٢١ .
(٢٦٦) انظر عزيز أحمد ، تاريخ صقلية الإسلامية . ص ١٩ (حيث الإشارة الى ان عدد الحصون هو ٤٨ وليس ٢٤) .
(٢٦٧) اس الاثير . سنة ٢٢٦ (ط . بيروت ١٩٦٥ . ج ٦ ص ٥٢٠ - ٥٢١) ، المكتبة .
ص ٢٣٩ . والحقيقة أن سعى العرب في إيطاليا للاعتراف بخلافة بغداد كان يثنى - الى جانب التخلص من سواده الاغالة - محاولة الاسماحة بالشرق الاسلامي لمواجهة ما كان يهددهم في

أبدي الفرنج سنة ٨٧١ م (٢٥٧ هـ) هو السبب في تلك الثروة التي راح ضحيتها المخرج بن سالم مما سمح للأمير أبي العرابي بتعيين عبد الله ابن يعقوب واليا على « الأرض الكبيرة » (سنة ٢٥٨ هـ) الى جانب أخيه رباح والي صقلية ، مما سبق ذكره .

فتح سرقوسة : حصارها برا وبحرا :

والهم أن الوالي على صقلية في سنة ٢٦٤ هـ / ٧٧ - ٨٧٨ م كان جعفر ابن محمد ، الذي تابع سياسة الإلحاح على سرقوسة بالصوافف والشواتي التي أصبحت تقليدية ، فغزا إقليمها في تلك السنة وأفسد زروعها ، ثم وشنح عملياته العسكرية بحيث شملت أرض قطانية وطيرمين ورمطة ، في شمال الساحل الشرقي للجزيرة . والظاهر أنه أمام سهولة تلك العمليات،

= ذلك الوقت من أخطار . فبعد منتصف القرن ٩ م كان قد تم احياء البحرية البيزنطية بفضل جهودات الأسرة المقدونية ، ونجح البيزنطيون في استعادة بعض أملاكهم في جنوب إيطاليا . كما نجحت املة نابولي بالتعاون مع عناصر من أمالي وجايتا وسورينتو في طرد العرب من بعض مواقعهم جنوب خليج ساليرنو الى جانب توقعهم في منطقة الادرياتي رغم تسللهم لباري وبرنديزي ، ومع ذلك فقد كانوا يستطيعون الرد على ما كان يهددهم من تلك الأخطار . ففي سنة ٨٤٦ م كانوا يستطيعون الاقتراب من روما ، ويقتحمون تحصينات البابا جريجوري الرابع . ويستولون على فنانسي كندراتية القديس بطرس . وهريمة لويس الثاني قبل أن يصبح إمبراطورا لفرنسا . وبفضل محافظة العرب على مواقعهم في الجنوب الإيطالي بفضل ارتكازهم على محور طارنت - باري ، تمكن المخرج بن سالم من احتلال ٢٤ حصنا في منطقة أبوليس (Apulia) . أما عما قام به الإمبراطور الفرنسي لويس الثاني - بالتعاون مع باسيل الأول البيزنطي - من أعمال حربية غير موفقة في أول الأمر (سنة ٨٦٦ م) فاقها منعت . على كل حال ، سقوط المزيد من الأراضي الإيطالية بين أيدي العرب . أما عن نجاح لويس في فتح باري على العرب ، سنة ٨٧١ م (٢٥٧ هـ) فانقلب الظن انه كان السبب في الثروة بعد المخرج وعمره جنوب إيطاليا الى الحكم الأغلب عندما وليها عبد الله بن يعقوب الذي حاصر ساليرنو ولكنه توفي أثناء الحصار . وبعد وفاة لويس الثاني صعد العرب الى أعالي الادرياتيك ، كما قامت سراياهم من طارنت بالسيادة على إمارة بيلينتو التي عقدت الصلح معهم خشية البيزنطيين الذين نجحوا في احتلال باري آخر الأمر . وهكذا فبعد سنة ٨٧٥ كان العرب في طارنت يقفون موقف الدفاع بينما كانت لهم اليد العليا في خليج نابولي مما جعل أسقف نابولي يطلب معاونتهم في سنة ٨٨٠ ، وهو الأمر الذي جعل لاما يوحنا الثامن يصدر ضد العربان . انظر عزيز أحمد ، تاريخ صقلية الإسلامية ، بالانجليزية ، ص ١٨ - ٢١ . وقارن فيما يتعلق ماخذ باري ، محمد الطالبي ، الأغلبية ، في كتاب تاريخ تونس في العصر الروماني ، بالفرنسية ، ص ١٥٣ .

وجد أن الفرصة أصبحت مواتية ليقتطف ثمرة جهود خمسين سنة وأكثر ، بالاستيلاء على سرقوسة ، التي كانت تمثل حينئذ عاصمة الروم في الجزيرة . فلقد نزل جعفر برجاله حول المدينة وحصرها من جهة البر ، بينما سير أسطول بلرم ليحصرها من جهة البحر ، وأخذ يضيق الخناق عليها حتى نجح في الاستيلاء على بعض أرياضها .

ولما كان الحصار قد طال لعدة أشهر بلغت تسعا عند سقوط المدينة ، فقد كانت هناك فسحة من الوقت لكي يأتي أسطول من القسطنطينية (يبعثه الإمبراطور باسيلئوس بقيادة الأميرال ادريان) ، في محاولة يائسة لفك الحصار عن المدينة الرومية الهامة . ولكنه عندما وصل الأسطول البيزنطي لم يستطع الوقوف أمام أسطول صقلية العربي الذي حطبه . وبذلك تم تطويق المدينة تطويقا تاما (٢٦٨) .

ولم تستطع سرقوسة مواصلة الدفاع عندما انتهى الشهر التاسع من الحصر . فدخلها المسلمون عنوة ، وقتل من أهلها أكثر من أربعة آلاف رجل ، وأصيب فيها من الخائف ما لم يصب بمدينة أخرى ، حتى أنه لم ينج من رجالها الا الشاذ الغد ، كما تقول رواية ابن الأثير ، وذلك في ١٤ رمضان سنة ٢٦٤ هـ / ٢١ مايو ٨٧٨ م (٢٦٩) .

هزم المدينة :

وبعد أن أقام العرب مدة شهرين في سرقوسة هدموها في منتصف ذى القعدة (٢٠ يولييه) . والظاهر أن العرب هدموها عندما وصل أسطول بيزنطي في محاولة جديدة لانتقاذ المدينة أو لاستعادتها - نظفروا به ، وأخذوا منه أربع قطع ، قتلوا من فيها - حتى يقطعوا الأمل على الروم في العودة إليها . وعاد العرب الى جنوم في آخر ذى القعدة (٣ أغسطس) (٢٧٠) .

(٢٦٨) ابن الأثير . سنة ٢٦٤ هـ . ج ٧ ص ١٢٧ ، المكتبة . ص ٢٤٣ .
(٢٦٩) ابن الأثير . سنة ٢٦٤ هـ . ج ٧ ص ١٢٧ ، المكتبة . ص ٢٤٣ . النويري ، المختلوط . ج ٢٢ ص ١١٧ . ابن خلدون ، ج ١ ص ١١٧ ، وانظر تاريخ المسلمين في صقلية .
تسبب تاريخ العالم عند الروم . المكتبة . ص ١٦٦ - (أخذه في ٢١ مايو ٦٢٨٦) .
(٢٧٠) ابن الأثير . سنة ٢٦٤ هـ . ج ٧ ص ١٢٧ ، المكتبة . ص ٢٤٣ . ولقد ابن خلدون ، ج ١ ص ١١٧ . ومن الجانب المسيحي فإن قصة سقوط سرقوسة البيزنطية وحرق حصونها . وسلب أحيائها يروينا الراهب ثيودوسيوس الذي كان بين الأبرار الذين أقيدها الى بلرم .
انظر محمد طالع ، الاغالية . في كتاب تاريخ تونس في العصر الوسيط ، بالفرنسية ، ص ١٤٥ ، عزيز أحمد ، تاريخ صقلية الاسلامية ، بالانجليزية ، ص ١٥ .

المقتل جعفر بن محمد في مؤامرة اغلبية :

ولم يكتب لجعفر بن محمد أن يستمع طويلا بالنصر العظيم الذي حققه في سرقوسة ، وذلك أنه راح ضحية عذر علمانه الصقالة الذين استجابوا لأغراء كل من الأغلب بن محمد الأغلب الملقب بـ « خرج الرعونة » ، وأبى عقاب للأغلب (بن محمد) بن أحمد ، ولي العهد السابق ، اللذين كانا محبوبين عنده بأمر من الأمير إبراهيم بن أحمد . ونجح « خرج الرعونة » في الاستيلاء على بلرم وضبطها بمعاونة أبى عقاب ، ولكن أهل بلرم لم يطمشوا اليهما خوئبوا بهما وبين اتصال بهما ، فأخرجوهم من صقلية الى افريقية . وآلت ولاية صقلية الى الحسن بن رباح (٢٧١) .

الحسن بن رباح :

محاولات ضد طبرمين ، وصراع غير موفق ضد الأسطول البيزنطى :

وبسقوط سرقوسة لم يبق من المدن الهامة فى صقلية بين أيدي الروم سوى مدينة طبرمين التى بدأ العرب يتطلعون الى الاستيلاء عليها ، وان كان ذلك لن يتم الا بعد حوالى ٢٥ سنة . ففي سنة ٢٦٥ هـ / ٧٨ - ٨٧٩ م سار الحسن بن رباح على رأس الصائفة لغزو طبرمين ، حيث التقى بالروم . وكانت الحرب سجالا بين الفريقين ، فبعد أن دارت الدائرة على العرب عادوا واسترجعوا شجاعتهم المفقودة ، فكانت لهم الكرة على الروم فهزمهم وقتلوه ، وقتلوا قائدهم البطريق (٢٧٢) .

وتقول رواية ابن عذارى ، فى سنة ٢٦٦ هـ / ٧٩ - ٨٨٠ م «التالية ، لأن صاحب صقلية (الحسن بن رباح) أغزى البروم ، فالتقى فى البحر بمراكبهم ، مما يعنى أن الغزوة كانت فى ايطاليا الجنوبية . والظاهر أن عدد المراكب الصقلية العربية كانت قليلة إذ لم تستطع الوقوف أمام الأسطول البيزنطى المكون من نحو ١٤٠ (مائة وأربعين) مركبا . فرغم أن المراكب العربية قاتلت قتالا شديدا الا أن الأمر انتهى بأن سلم البحارة العرب عددا من مراكبهم الى الروم الذين أخذوها . وفى الوقت الذى عاد المنهزمون الى بلرم ، فانتقموا بشن الغارات على من يجاورهم من الروم لعدة شهور ، وهم

(٢٧٢) ابن عذارى . ج ١ ص ١١٧ .

(٢٧٣) ابن عذارى . ج ١ ص ١١٧ .

- ٢٦٩ -

يفنمون ويفسدون أرضهم (٢٧٣) . كان الروم ينزلون جيشا بریا فی کلابریا
يقدر بحوالی ٣٥ ألف رجل لكي يحاصروا طارنت برا بينما كان الأسطول
يحاصرها بحرا حتى اضطروها الى الاستسلام بعد مقاومة عنيدة فی أواخر
سنة ٨٨٠ م . وبذلك لم يبق للأغالبة فی ايطاليا نفسها الا ثلاثة مواقع
حصينة أهمها سبرينة (٢٧٤) .

الحسن بن العباس : قيادة غير موفقة :

وهكذا ظهر ضعف الحسن بن رباح ، فی ولاية صقلية وقيادة جيوشها
واساطيلها ، فعهد ابراهيم بن أحمد بالجزيرة فی سنة ٢٦٧ هـ / ٨٠ - ٨٨١ م
التالية ، الى الحسن بن العباس ، الذي بث السرايا ضد الروم فی نواحي
صقلية ، كما خرج بنفسه الى نواحي قطانية وطبرمين ، فاقصد الزرع وقطع
الأشجار ، وكذلك فعل بتاحية « بقارة » قبل أن يعود الى بلرم محملا
بالمخافات .

هذا وتشير الرواية الى أن الروم نجحوا بدورهم فی تسير سراياهم
ضد المسلمين ، فی أيام الحسن بن العباس ، وأنهم نجحوا فی إصابة كثير
منهم (٢٧٥) . والظاهر أن الروم فی الجزيرة كانوا قد انتهزوا فترة الاضطراب
التي أشرنا اليها بعد مقتل خفاجة وابنه محمد فاستأسدوا . وذلك انهم فی
سنة ٢٦٨ هـ / ٨١ - ٨٨٢ م التالية ، نجحوا فی مواجهة سرية كان قد
سيرها الحسن بن العباس بقيادة رجل يعرف بأبي نور ، ربما كان صاحب
القلعة المعروفة بهذا الاسم . وأنزلوا بها هزيمة منكرة ، اذ تقول الرواية :
ان المسلمين أصيبوا كلهم غير سبعة نفر فقط (٢٧٦) .

-
- (٢٧٣) ابن عذارى . ج ١ ص ١١٧ . ابن الأثير : سنة ٢٦٦ هـ ، ج ٧ ص ١٢٣ .
المكتبة ، ص ٢٤٣ . وانظر محمد طالبي . الأغالبة . فی تاريخ تونس فی العصر الوسيط .
ص ١٥٣ (حيث كانت قيادة الأسطول البيزنطي الى أمير البحر نزار (Nasar) السويدي
الأصل وحيث تمديد موضع الحركة البحرية فی عرض البحر أمام ميلازو (Milazzo) .
(٢٧٤) انظر محمد طالبي ، الأغالبة . فی كتاب تاريخ تونس فی العصر الوسيط . ص
١٥٣ (والمواقع الثلاثة التي بقيت للمسلمين فی ايطاليا بعد سقوط طارنت ، هي : منتبية
(Amantea) ، وسبرينة (Santa Severina) وتروپيا (Tropea) .
(٢٧٥) ابن الأثير . سنة ٢٦٧ هـ . ج ٧ ص ١٤٤ . المكتبة ، ص ٢٤٤ . أبو القاسم
المكتبة . ص ٤٠٦ . أما ابن عذارى فيكتفي بالإشارة الى ولاية الحسن فی سنة ٢٦٧ هـ
(ج ١ ص ١١٧) .
(٢٧٦) ابن الأثير . سنة ٢٦٨ هـ . ج ٧ ص ١٤٨ . المكتبة . المكتبة . ص ٢٤٤ .

محمد بن الفضل : عود الى عهد القوة :

غزو اقليم قطانيا وطبرمين :

وهكذا كان من الطبيعي أن يعزل الحسن بن العباس ، بعد هذا العشل ، في نفس السنة (٢٦٨ هـ / ٨٨١ م) ، وأن يعهد الأمير ابراهيم بن أحمد بولاية جنقلية الى محمد بن الفضل (٢٧٧) ، الذي نجح في تقويم الموقف من مواجهة الروم ، وجدد ذكريات أعمال العباس بن الفضل ، وخفاجة بن سفيان - فقد بث محمد بن الفضل السرايا في كل النواحي التي يسكنها الروم ، وعاد بالالحاح بالحرب والاستعداد في منطقة الساحل الشرقي الشمالي حيث قطانيا وطبرمين .

فلقد خرج بعد ولايته مباشرة في جيوش عظيمة ، واتجه نحو قطانيا حيث إهلك زروعها . ووجه محمد بن الفضل مراكبه الى الشلديات التي كانت في ميناء المدينة ، ونجح في تدمير كثير منها وقتل بحارتها . ومن قطانيا إتجه محمد بن الفضل شمالا الى اقليم طبرمين حيث أفسد زرعها ، وعندما خرجت قوات الروم ألحق بها هزيمة منكرة حتى قيل ان المعركة انجلت عن مقتل ثلاثة آلاف رجل من الروم ، وأنه أرسل رؤسهم الى يلرم ، إعلانا عما حققه من الظفر .

اقتحام القلعة الجديدة : « مدينة الملك » :

وهاجم المسلمون ، في منطقة طبرمين ، القلعة الجديدة التي كان قد بناها الروم ، وسموها « مدينة الملك » ، ونجحوا في اقتحامها عنوة ، فقتلوا المقاتلة ، وعادوا الى يلرم محملين بمن سبوه ممن كان فيها من النساء والذاري (٢٧٨) . واستمر الحاح محمد بن الفضل في السنة التالية (٢٦٩ هـ / ٨٨٣ م) على نفس المنطقة فخرج في عساكره الى ناحية روطه ، وبلغ في مسيرته الى قطنانية حيث خرب نواحيها ، وقتل وسبى وغنم ، وعاد الى يلرم في شهر ذي الحجة (يونيو ٨٨٣ م) (٢٧٩) .

(٢٧٧) ابن الأثير ، سنة ٢٦٨ هـ ، ج ٧ ص ١٤٨ ، المكتبة ، ص ٢٤٤ ، ابن خلدون ج ١ ص ١١٩ .

(٢٧٨) ابن الأثير ، سنة ٢٦٨ هـ ، ج ٧ ص ١٤٨ ، المكتبة ، ص ٢٤٤ ، تاريخ المسلمين في حقلية حسب تاريخ العالم عند الروم ، المكتبة ، ص ١٦٧ ، (حيث يذكر ان اسم القائد الرومي المهزوم في طبرمين هو برسامس : (Barsamius)) .

(٢٧٩) ابن الأثير ، سنة ٢٦٩ هـ ، ج ٧ ص ١٥٩ ، المكتبة ، ص ٢٤٤ .

الحسين بن أحمد واليا :

ولا نعرف كيف انتهت ولاية محمد بن الفضل ، وذلك أن الحوليات للصقلية لا تشير الى أية أحداث في سنة ٢٧٠ هـ / ٨٢ - ٨٨٤ م ، ثم تفاجئنا بعد سرد ما قامت به صائفة سنة ٢٧١ هـ / ٨٤ - ٨٨٥ م في منطقة رمطة ، من : التخريب ، وما عادت به من الفخيمة والسبي والأسر الكثير ، بوفاة أمير صقلية ، وهو الحسين بن أحمد (٢٨٠) ، مما يعنى وفاة محمد بن الفضل أو عزله في سنة ٢٧٠ هـ / ٨٢ - ٨٨٤ م ، وتولية الحسين بن أحمد الذي ينبغي إذن أن تنسب له غزوة سنة ٢٧١ هـ / ٨٤ - ٨٨٥ م .

سودة بن محمد بن خطاجة :

لقيادة حازمة تبعا لتقاليد الأسرة : غارات على قطنيا وطبرمين :

وهكذا صارت اماره صقلية في سنة ٨٤ / ٢٧١ - ٨٨٥ م الى سودة ابن محمد بن خطاجة (التميمي) ، الذي أعاد سيرة والده وجده العظيمين في الجزيرة . فقد خرج في نفس السنة في عسكر كبير الى مدينة قطنية حيث بث الحراب والذعر في أرجائها ، واتبع ذلك بالمسير الى طبرمين والح على أهلها بالقتال وافساد الزروع ، حيث أرغم قائد الحامية الرومية ، وحاكم المدينة المحلى على طلب الهدنة . وانتهت المفاوضات بين سودة ورسول الروم الى تقرير الهدنة لمدة ثلاثة أشهر في نظير فداء ثلاثمائة أسير من المسلمين ، دفع بهم الروم الى سودة الذي رجع الى بلرم (٢٨١) .

ومع اقبال ربيع سنة ٢٧٢ هـ / ٨٨٦ م ، كانت هدنة الثلاثة أشهر قد انصرفت ، فأعاد سودة تسيير سراياه الى مواطن الروم في الجزيرة ، تفسد وتمود بالغانم والسبي .

(٢٨٠) ابن الأثير ، سنة ٢٧١ هـ ج ٧ ص ١٦٧ ، المكتبة ، ص ٢٤٥ ، ابن عسارى ، ج ١ ص ١١٩ .
 (٢٨١) ابن الأثير ، سنة ٢٧١ هـ ج ٧ ص ١٦٧ ، المكتبة ، ص ٢٤٥ . ويذكر تاريخ المسلمين في صقلية حسب تاريخ العالم محمد الروم ، المكتبة ، ص ١٦٧ ، أن الذي أتى بالافتداء طسه البوليطي وأنه أخرج سبي سرقوسة . ومن ولاية سودة بعد وفاة الحسن بن أحمد ان ابن عسارى ج ١ ص ١١٩ .

عناد الأسطول البيزنطي والعمل على إنهاء الوجود العربي في إيطاليا :

والغريب في أمر الصراع بين العرب والروم في صقلية ان البيزنطيين لم يياسوا ، ولم يهتوا كثيرا من طول القتال ، ومما كان يرسل بهم من الهراثم . ففي نفس السنة وصل أسطول من القسطنطينية ، منسحرون بالعساكر بقيادة قائد اسمه انجفور (نففور أو نيقفوروس) الى بلاد العرب في ايطاليا ، وضرب الحصار على مدينة سبرينة (Santa Severina) ، وضيق على من بها من المسلمين حتى أنهم سلموها اليه على الأمان ، وعادوا الى أرض صقلية (٢٨٢) . واتبع نففور ذلك بحصار مدينة منتينة (Amantea) حتى أرغم أهلها على تسليمها ، هي الأخرى ، والعودة الى بلرم (٢٨٣) . وبذلك فقد العرب معظم فتوحاتهم في ايطاليا ، فكان ذلك نذيرا بسوء المصير لصقلية العربية نفسها رغم محاولات ابراهيم الثاني بن أحمد (٢٨٤) .

ومما يؤسف له أن الحوليات الصقلية في كتاب ابن الأثير ، وهي التي عليها المعمول الأول في دراسة تاريخ فتوح العرب في صقلية ، تنقطع بعد سرد أحداث سنة ٢٧٢ هـ / ٨٥ - ٨٨٦ م تلك ، فلا تظهر من جديد الا بعد ١٥ (خمسة عشر) عاما ، مع أحداث سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م . ولحسن الحظ ، فإن حوليات ابن عسداري تعاون الى حد لا بأس به في سد تلك الشفرة ، بتكملة ما يمكن اكماله من هذا الفراغ .

ثورة اهل بلرم على سوادة :

فابن عسداري يعرفنا في أحداث سنة ٢٧٣ هـ / ٨٦ - ٨٨٧ م ، ببهاية امارة سوادة بن محمد بن خفاجة على صقلية ، اذ وثب عليه اهل بلرم ،

(٢٨٢) ابن الأثير ، سنة ٢٧٢ هـ ، ج ٧ ص ١٦٩ ، المكتبة ، ص ٢٤٥ ، ابن عسداري . ج ١ ص ١٢٠ . اما عن القائد البيزنطي فهو ثيوفيلوس لوكاس القديم الذي سبى حليمة الذي حمل نفس الاسم عرش ييزنطة فيما بعد . انظر محمد طالع ، الاغالية ، في تاريخ تونس في العصر الوسيط ، ص ١٥٤ .

(٢٨٣) ابن الأثير ، سنة ٢٧٢ هـ ، ج ٧ ص ١٦٩ ، المكتبة ، ص ٢٤٥ .
(٢٨٤) والحقيقة ان البيزنطيين بمساعدة حلفائهم من الصرب والكروات والمقدونيين كانوا قبل ذلك قد استعادوا طارنت (Tarente) قبل ذلك بحوالي ست سنوات (٨٨٠ م) . مما كللهم بمجزى عن مقاومتهم لكثير من الأسباب الداخلية والخارجية مما كانت تعاني منه دولة الاغالية (انظر محمد طالع ، عن الاغالية ، في تاريخ تونس - العصر الوسيط ، بالفرنسية ، ص ١٥٣ - ١٥٤) .

ومعظمهم من البربر وعلى أخيه وبعض رجاله - ربما بسبب ما أنزله الروم في العام السابق بأهل كل من سبرينة ومننتينه في إيطاليا - ورجهوه من قبل إلى إفريقية . « واجتمع وجوه أهل البلد على أن يرأسهم أبو العباس بن علي ، فولوه على أنفسهم » (٢٨٥) .

- والظاهر أن الأمير إبراهيم بن أحمد لم ترقه أحداث صقلية ، ففكر في رجل قوى من بطانته ، يمكنه أن يضبط الأمور في الجزيرة ، ويقف بقوة أمام تهديدات الروم وانتقاضات أهل البلاد . ووقع اختياره على قريبه أبي مالك أحمد بن عمر بن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب المعروف بحبشي (٢٨٦) ، الذي عرف بأنه كان من أبطال الرجال وشحمان القواد .

ولاية حبشي : أحمد بن عمر بن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب :

ولاية حبشي (أحمد بن عمر) موضع خلاف بين الكتاب . لبينا بضعها ابن عذاري هنا في سنة ٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م ، نجد أن النويري يضعها سنة ٢٦٦ هـ / ٨٧٤ م على أن تستمر ٢٦ سنة أي إلى سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م ، في الوقت الذي نجد فيه توالي غيره من الولاة في حكم صقلية ، مما يجعلنا نظن أنه ربما كانت ولاية حبشي لصقلية ، وهو القائد الكبير ، شرفية ، وأنه ربما كان قد بقي بإفريقية ، وهو ينسب عنه في إمارة الجزيرة ، وقبادة عسكرها ، ففي العمليات العسكرية التي دارت في الجزيرة في سنة ٢٧٥ هـ / ٨٨٩ م لا تذكر رواية ابن عذاري اسم حبشي ، بل تقول أن أهل صقلية حققوا انتصارات عظيمة : فكانت لهم على الروم صولة في البر والبحر جميعا ، في ساحل ريو ، قتل فيهما من الروم أكثر من سبعة آلاف رجل . وغرق لهم نحو من خمسة آلاف ، وأخذت مراكب الروم في ميلاص ، وهرب أهل ريو .

وكان من نتيجة هذا الظفر العظيم أن أدخل الروم كثيرا من المدن والحصون التي تجاوز المسلمين . وظهرت سطوة أهل صقلية أيضا في إيطاليا (الأرض الكبيرة) التي تناهت عليها السرايا تغنم وتسبي ، وتمود

(٢٨٥) ابن عذاري . ج ١ ص ١٢٠ . وانظر تاريخ المسلمين إلى صقلية حسب تاريخ الروم ، المكتبة ، ص ١٦٧ - حيث جرد الحادث عنوان : « الحرب الأولى بين الجند والبربر » . (٢٨٦) ابن عذاري . ج ١ ص ١٢٠ . وانظر النويري . ج ٢٢ ص ١٢٣ - الذي يجعل ولاية حبشي لصقلية لمدة ٢٦ سنة ابتداء من ٢٦٦ هـ / ٨٧٥ م

ياحمالها الى بطرم (٢٨٧) .

والظاهر أن الانتصارات السهلة التي حققها الأغلبة في جنسوب
إيطاليا ، وخاصة في وقعة ميلاص (٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م) ، جعلت الأمير ابراهيم
ابن أحمد يستهين ، هو وبطافته ، بتلك الحرب حتى أنه عهد إلى قريبه مجبر
ابن ابراهيم بن سفيان ، الذي كان ينادمه لحذقة القناه ، بقيادة عسكر
حسيني وكلايريا (قلورية) . وثناء عبور القائد المغني في أحد الشوانى
الى الشاطيء الايطالى أسر الروم ، وحملوه الى القسطنطينية حيث مات من
السجن هناك (٢٨٨) .

حواصة بن محمد :

وفي نفس تلك السنة (٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) كانت الصائفة الصقلية
على طبرمين . وتذكر الرواية أن الغزوة كانت بقيادة حواصة بن محمد الذي
خرب الحصار على المدينة (٢٨٩) ، وهو الأمر الذي اذا صح فانه يعنى أن الأمير
ابراهيم بن أحمد كان قد رد حواصة الى صقلية على أن يعمل تحت امره
حبشى أو أن يكون مثالا له هناك .

محمد بن الفضل ، وصلح بين مع الروم :

وبعد ذلك بسنة ، أى فى سنة ٢٧٨ هـ / ٩٠١ م ، نجد أن محمد بن
الفضل يعود واليا لصقلية من جديد (٢٩٠) ، ولكن يظهر من النصوص بعد
ذلك أنه لم يصل الى صقلية الا فى السنة التالية (٢٧٩ هـ / ٩٠٢ م) ،

(٢٨٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٠ . تاريخ المسلمين فى صقلية حسب تاريخ العالم عند
الروم ، المكتبة ، ص ١٦٧ (سنة ٦٣٩٧) .

(٢٨٨) انظر الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٨٥ ، المكتبة ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ . ومجبر هذا
هو الذى قال فى أسره قصيدة طويلة بعث بها من محبته عند الروم . وراحت فى الفريقية حتى
دواها - لرقتها - منظم الناس . وفيها يقول :

ألا ليت شعري ما الذى فعل الدهر
ولمى آخرها يقول :

لعل الذى نعى من الحب يوسف
وشلى ابراهيم من فار قومه
يصبر أهل الأسر فى طول أسره
على محضلات الأسر . لا سلم الأسر

(٢٨٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢١ .

د- (٢٩٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٢ .

حيث دخل حصرة بلرم في اليوم الثاني من شهر صفر/ ١٧ يناير ٩٠٢م (٢٩١) .
والظاهر أنه بسبب اضطراب الأحوال في إفريقية على إبراهيم بن
أحمد خعت وطأة العرب على الروم في الجزيرة ، حتى اضطّر الأمير الأغلب
إلى الموافقة على أن يعقد أهل صقلية ، في سنة ٢٨٢ هـ/ ٨٩٥ م ، صلحا
مع الروم لم تكن شروطه ، كما عهدنا ، في صالح المسلمين . فلقد تم الصلح
لمدة ٤٠ (أربعين) شهرا ، وإذا كان الروم قد وافقوا على فك أسر ألف رجل
من المسلمين ، فإن المسلمين في صقلية وافقوا على أن يقدموا رهائنهم إلى
الروم ، ضمانا للوفاء . « في كل ثلاثة أشهر ثلاثة من العرب ، وثلاثة من
البربر » (٢٩٢) .

الفتنة بين العرب والبربر :

ولا شك في أن الاضطرابات التي عرفت في إفريقية في ذلك الوقت كانت
لها أصدأؤها في صقلية التي حاجت فيها الفتنة بين العرب والبربر ، في
سنة ٢٨٥ هـ/ ٨٩٨ م . ووضح من النصوص أن صاحب البريد كان يوالى
الأمير إبراهيم بن أحمد بأخبار الفتنة وأسماء المتسببين فيها . فقد أرسل
إبراهيم إلى المستولن في الجزيرة الكتب يطلب منهم دعوة الناس إلى الرجوع
إلى الطاعة ، ويعطيهم الأمان أجمعين ، حاشى بعض زعماء الفتنة ، وهم :
أبو الحسن يريد وولده ، وزعيم عربى آخر لا يعرف إلا لقبه ، وهو :
الحضرمي .

وتم القبض على هؤلاء المطلوبين الذين سيروا إلى إفريقية في نفس
السنة ، حيث انتحر منهم أبو الحسن بالسهم ، مات لساعته في حضرة الأمير
إبراهيم بن أحمد . وأمر إبراهيم عقب ذلك بقتل ولدى أبي الحسن ، كما
أمر بقتل الحضرمي ضربا بالمقارع بين يديه (٢٩٣) .

(٢٩١) ابن عذارى . ج ١ ص ١٢٢ .

(٢٩٢) ابن عذارى . ج ١ ص ١٢٩ . تاريخ المسلمين في صقلية حسب تاريخ العالم عند
الروم ، المكتبة . ص ١٦٧ (حيث يجعل الهدنة بين المسلمين والروم في أيام (الوال) أمير
على سنة ٩٠٤ . التي تمادى سنة ٧٠ من بدء الفتح بالصقلية الرومية) .

(٢٩٣) ابن عذارى . ج ١ ص ١٣١ . تاريخ المسلمين في صقلية حسب تاريخ العالم
عند الروم ، المكتبة . ص ١٦٧ (حيث تولب البربر على الجند واسلمهم إلى الحسن وأولاده
إلى أهل إفريقية سنة ٣٤٠٦) .

أبو العباس بن إبراهيم بن أحمد :

أبو العباس ، ولي العهد ، واليا والفتنة على أشدها :

والذي يفهم من ابن الأثير أن والي صقلية خلال تلك الفترة المضطربة ، كان أحمد بن عمر الأغلبى المعروف بحبشى ، الذى رآه واليا فى سنة ٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م ، حسب رواية ابن عذارى - مما دعانا الى الظن أن ولايته كانت شرقية ، إن لم يكن قد عزل بعد فترة قصيرة ثم عاد أخيرا الى ولايته - وإن الأمير إبراهيم بن أحمد استضعفه ، فعهد فى سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م بولاية صقلية الى ابنه رولى عهد أبي العباس ، الذى كان قائدا محترفا ، مارس الحروب وأطفا الفتن فى افريقية وغيرها .

ووصل أبو العباس الى صقلية فى غيرة شعبان (١ أغسطس) فى أسطول مكون من ١٢٠ (مائة وعشرين) مركبا ، وأربعين حربية (٢٩٤) ، فى وقت كانت الفتنة على أشدها . فقد كان جيش العاصمة بلرم ، حيث العرب ، يهاجم أهل جرجنت ، حيث البربر ، فى بلدهم . ويتضح من مسار الأحداث أن الأمير الأغلبى أبا العباس كان على دراية بتلك الفتنة التى كانت تعنت المسلمين فى الجزيرة ، ولهذا نزل بأسطوله على مدينة طرابنش الرومية ، وحاصرها (٢٩٥) .

وكانت تلك سياسة حكيمة منه اذ أظهر أنه حضر من أجل الجهاد - الذى يمكن أن يحتج عليه المتقاتلون فيما بينهم من المسلمين - قبل أن يحضر من أجل اصلاح الأحوال فى البلاد .

عصيان أهل العاصمة :

والمهم أنه عندما علم قواد عسكر بلرم بوصول أبي العباس، عادوا من جرجنت

(٢٩٤) ابن الأثير ، سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠٠ ، المكتبة ، ص ٢٤٦ . وعار
النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٠ ب (حيث ينص على أن ولاية أبي العباس لصقلية كانت
حتى سنة ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م ، وأنه سار اليها فى جمادى الآخرة / يربيه) ، وابن خلدون ، ج ١
ص ٢٠٤ (حيث النص على انه وصل اليها فى ١٦٠ (مائة وستين) مركبا) .
(٢٩٥) ابن الأثير ، سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠٠ ، المكتبة ، ص ٢٤٦ . وقلوب تاريخ
المسلمين صقلية حسب تاريخ المسالم عهد النور . المكتبة ، ص ١٦٧ (حيث النص
على أن أبا العباس نزل فى مازد فى ٢٤ يوليو سنة ٤٨٨ هـ) ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٠٤
(حيث القراءة : طرانة بدلا من طرابنش) .

إلى العاصمة ، وأرسلوا جماعة من شيوخهم ، وعلى رأسهم قاضي المدينة ،
يعلنون إليه الطاعة ، ويمتدرون عما بدر منهم ، من قصد جرجنت وقتال
أهلها ، فاستمع إليهم ثم أنه سمح للقاضي بالعودة ، بينما احتجز جماعة
المشايع لديه (٢٩٦) . ثم إن ولدا من أهل جرجنت وصل إلى أبي العباس ،
وشكوا من البلرميين ، « فأخبروه أنهم معالفون عليه ، وأنهم ألبا ينبروا
مشايخهم خديعة ومكرا ، وأنهم لا إيمان لهم ، ولا عهد » ، وسألوه أن يقتبر
صدق كلامهم ، إذا شاء ، بأن يرسل في طلب بعض زعماء أهل بلرم ممن
حددوا له أسماهم ، لعلمهم أنهم لن يلبوا طلبه (٢٩٧) .

وأرسل أبو العباس إلى بلرم ثمانية من مشايخ أهل الرقية يطلبون
حضور من سباهم الجرجنتيون من زعمائهم إلى حضرة الأمير ، فاستمع
البلرميون ، بل أنهم حبسوا المشايخ الأتريقيين ، « مكانة للمله في
مشايخهم » (٢٩٨) .

وهكذا أظهر أهل بلرم الخلاف على الأمير الأغلبين ، وحشدوا حشودهم .
ولم ينتصف شعبان (١٦ أغسطس) كانوا يزحفون نحو طرابنش طربة ،
ومقدمهم مسعود الباجي وأصحابه من زعماء الفتنة ، وعلى رأسهم وجعل
يسمى ركموية ، تصفه الرواية ، بأنه : « أمير السهلاء » .

ولم يكتف البلرميون بجيشهم البري ، بل أرادوها حربا كلبية - كما
نقول الآن - فسيروا إلى طرابنش أسطولا في البحر مكونا من نحو ثلاثين
قطعة ، ولكنه لم يقدر له أن يتم مهمته إذ « هاج البحر على الأسطول ، فغلب
أكثره وعاد الباقي إلى بلرم » .

هزيمة الثوار في طرابنش :

ووصل الجيش البلرمي إلى طرابنش حيث التقى بقوات أبي العباس .

(٢٩٦) ابن الأثير ، سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠٠ ، المكتبة ، ص ٢٤٦ . ابن طهاري ،
ج ١ ص ١٢١ .
(٢٩٧) ابن الأثير ، سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠٠ ، المكتبة ، ص ٢٤٦ . وفاروق ابن
خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٤ .
(٢٩٨) ابن طهاري ، ج ١ ص ١٢١ ، وفاروق ابن الأثير ، سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠٠ .
المكتبة ، ص ٢٤٦ - حيث يقول أن أبا العباس احتل شيوخ بلرم بعد أن علم بحبس وفد
جشايخ أهل الرقية . بمعنى أن زعماء بلرم لم يكونوا في جيشه بل كانوا محبوسين في
مكتبه بالسيوف منهم بالرهائن أو المختطفين .

ولم يكن اللقاء الأول حاسماً ، رغم أنهم اقتتلوا أشد القتال ، فقتل من الفريقين جماعة وافترقوا . أما اللقاء الثاني الذي وقع في يوم ٢٢ شعبان (٢٢ أغسطس) ، فاستمر من الصباح الى وقت العصر ، عندما انهزم جيش البلرميين ، بعد أن قتل منهم عدد كثير ، وتبعهم أبو العباس الى بلرم في البر والبحر (٢٩٩) .

هزيمة ثانية للعصاة علي أبواب بلرم :

ورغم الهزيمة فلم يستكن الثوار المجاهدون الذين اتخذوا الحرب صناعة وطنية لهم ، إذ أنه عندما اقترب أبو العباس من بلرم نفسها عادوا الى قتاله ، بعد أن جيشوا أهل البلد ، في العاشر من رمضان / ٨ سبتمبر ٩٠٠ م . واستمر القتال من الصباح الباكر الى العصر عندما انهزم البلرميون ، ووقع السيف فيهم الى المغرب (٣٠٠) .

النجوء الى بلاد الروم :

وهكذا انتهت فتنة بلرم بدخول أبي العباس المدينة وسيطرته على أرباعها التي وزع عليها قواده في عشرين من رمضان (١٨ سبتمبر) . ولكنها كانت نهاية تعسة بالنسبة للفرقة الصقليين من أهل العاصمة ، الذين انتهبت أموالهم ، كما هرب كثير من رجالهم ونسائهم لاجئين لدى الروم . وكذلك هرب زعماء الفتنة مثل : « ركمويه » وأقاربه من رجال الحرب الى بلاد النصرانية كالقسطنطينية وغيرها (٣٠١) . والمقصود بذلك أنهم لجأوا الى الأرض الكبيرة في إيطاليا ، عبر مضيق مسينا ، على ما ظن ، حيث كانت هناك مجالات واسعة لنشاطاتهم الحربية ، مع العرب أو الروم ، أو مع غيرهم من الفرنج .

(٢٩٩) ابن الأثير . سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠٠ . المكتبة ص ٢٤٦ . ولقد ابن عسكري ج ١ ص ١٢٦ .
 (٣٠٠) ابن الأثير . سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠٠ . المكتبة ص ٢٤٦ . ٢٤٧ . والظاهر ، تاريخ المسلمين في صقلية ، المكتبة ، ص ١٦٧ - حيث النص على أن أبا العباس ، أخذ بلرم بعد معركة كبيرة في ٨ سبتمبر سنة ٣٤٠٩ .
 (٣٠١) ابن الأثير . سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠١ . المكتبة ، ص ٢٤٦ - ٢٤٧ . ولقد ابن عسكري ج ١ ص ١٢٦ . الفوري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٠ ب ، وابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٦ .

أبو العباس في طبرمين وقطانيا :

وبعد أن ملك أبو العباس المدينة ، وعمل على إقرار الأمور فيها : فأمن أهلها ، واكتفى بأخذ جماعة من أعيانها وجههم إلى والده في إفريقية ، بدأ ولايته العملية بالمسير إلى طبرمين التي كانت ترونوا إليها أصحاب المجاهدين منذ مدة طويلة ، فقطع كرومها ، وشن الحرب على الروم فيها .

ومن طبرمين سار أبو العباس جنوبا إلى قطانيا ، وضرب عليها الحصار ، ولكنه لما لم ينل منها غرضا ، رجع إلى المدينة ، أي بلرم ، حيث قضى فصل الشتاء (٣٠٢) .

حصار دمنش ، وأخذ ريو :

وعندما تحسنت الأحوال الجوية وطاب الزمان في مطلع صيف سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠١ م ، تجهز أبو العباس للغزو فغمر الأسطول وسيره في أول ربيع الآخر (٢٥ مارس) ، ليحط على مدينة دمنش ، التي تحصنها عليها المجانيق وأخذ يضرب أسوارها بالهجارة - والظاهر أنه لم يرد أن ينهك قواه على أسوار دمنش ، فانصرف عنها بعد أيام إلى مسيني ، من حيث عبر البحار في « الحربية » إلى مدينة ريو المقابلة ، حيث كان قد اجتمع فيها جيش رومي كبير .

وعندما نزل عسكر أبي العباس إلى البر الإيطالي في شهر رجب (يونيو) ، لقبهم الروم على باب المدينة ، ولكن العسكر الأغلب تمكن من هزيمتهم هزيمة تامة ، ودخل المدينة عنوة ، وحصل فيها على مغانم عظيمة . وإلى جانب ما غنمه أبو العباس في ريو من أحمال الذهب والفضة ، فإنه شحن مراكبه بالدقيق والامتعة ، وعاد راجعا إلى مسيني . ورواية ابن الأثير هنا لا تذكر ، فإذا كان من أمر ريو ، وإن كانت قد بقيت فيها حاميات اسلامية ، مما يرجح أنه تم الصلح بين أهلها وبين العرب ، فلم تقح العنوة . وهذا ما يمكن أن يفهم من رواية ابن عذارى التي تذكر أيضا أنه استعانت له حصون ، وأعطوه الجزية (٣٠٣) .

(٣٠٢) ابن الأثير ، سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠١ ، المكتبة ، ص ٢٤٧ ، ابن خلدون ،

ج ٤ ص ٢٠٦ .

(٣٠٣) ابن الأثير ، سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠١ ، المكتبة ، ص ٢٤٧ ، ولقد ابن

عذارى ، ج ١ ص ١٣٦ ، والنويري ، ج ٢٢ ص ١٢٠ ب . تاريخ المسلمين في صقلية ، ص ١٠٠ ،

المكتبة ، ص ١٦٧ (حيث النص على أخذ ريو في ١٠ من شهر يونيو سنة ٢٨٩ هـ) .

وفي مسينى التقى أبو العباس بأسطول رومى كان قد وصل لثوه من القسطنطينية ، فهاجمه وأخذ منه ثلاثين مركبا . وبعد أن هدم سور مسينى رجع الى المدينة بلرم ، ليقضى فصل الشتاء (٣٠٤) .

استعداد أبي العباس الى افريقية :

وهكذا تنتهى ولاية أبي العباس بن ابراهيم بن أحمد لصقلية التى استمرت حوالى سنتين ، ملاها بأعمال البطولة والفتوة ، ومزج فيها أعمال السيف بأعمال القلم . وفي ذلك أنشد أبو العباس فى دواء شره بصقلية : فقال :

شربت الدواء على غربة بعيدا عن الأهل والمنزل
وكننت اذا ما شربت الدواء تطلبت بالمسك والمنبدل
فقد صار شرى بحار الدماء ونقع المعجاجة والقسطل (٣٠٥)

وبذلك قطع أبو العباس دابر الفتنة ، وأقر الأمور فى الجزيرة ، وأعاد للجهاد فى صقلية وإيطاليا ، أيام عزه ومجاهده . وكان والده ابراهيم بن أحمد ، الذى أظهر التوبة والنسك فى أواخر أيامه ، قد قرر أن يهب ما تبقى من عمره للجهاد فى صقلية ، قريبا لله وزلفى ، وكتب اليه يأمره بالخودة سريعا الى افريقية . واستجاب أبو العباس لأمر والده ، وترك العسكر مع ولديه أبي حضر (زياد الله) وأبي معد ، ورجع الى افريقية « جريدا » ، فى خمس قطع من المراكب المعروفة بالشوانى . وعند وصوله استخلفه أبوه ابراهيم ابن أحمد كنائب له على البلاد ، بينما تجهز هو الى الجهاد ، فأخرج ما كان قد أدخره من المال والسلاح ، وهو يظهر العزم على أن يتبع الجهاد بالحج (٣٠٦) .

ابراهيم بن أحمد مجاهدا فى صقلية :

وسار ابراهيم بن أحمد من القيروان الى سوسة ، أرض الرباط وقاعدة العمليات العسكرية فى صقلية وإيطاليا ، فدخلها وعليه فرو مرقع فى زى الزهاد ، وذلك فى مطلع سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠١ - ٩٠٢ م (٣٠٧) ، وكان قد تم تجهيز الأسطول الذى لم يدخر وسعا فى سبيل اعداده .

(٣٠٤) ابن الأثير ، سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠١ ، المكتبة ، ص ٢٤٧ .

(٣٠٥) انظر الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٧٥ .

(٣٠٦) ابن الأثير ، سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠١ ، المكتبة ، ص ٢٤٨ ، سنة ٢٦٦ هـ .

ج ٧ ص ١١٣ ، المكتبة ، ص ٢٤٠ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٢ ، انظر فيما سبق ، ص ١٤٦ - ١٤٥ .

(٣٠٧) ابن الأثير ، سنة ٢٦١ هـ ، ج ٧ ص ١١٣ ، المكتبة ، ص ٢٤٠ .

وعندما اطمان الأمير الى أن كل شيء متعلق بإعداد الحملة وتجهيزها على ما يرام ، سار من سوسة في الأسطول الى صقلية حيث نزل في أواخر شهر رجب سنة ٢٨٩ هـ (أوائل يولييه) على مدينة نرطونا (Neritimum) وملكها . وفي صقلية أظهر ابراهيم بن أحمد العدل وأحسن الى الرعية - في سبيل تهيئة كل امكانات الصقليين للجهاد . وفي ذلك تقول الرواية انه فرق الخيل والسلاح على أصحابه وأمر بالعطاء ، فأعطى الفارس عشرين دينارا والراجل عشرة . ومن هناك سار في البحر الى طرابنش حيث أقام ١٧ (سبعة عشر) يوما يعطي الأرزاق لمن معه . ومن طرابنش رحل الى بلرم فوصلها في ٢٧ شعبان (٨ أغسطس) . وفي بلرم أقام ابراهيم بن أحمد أربعة عشر يوما ، أمر فيها برد المظالم ، وأعطى أهل المدينة (بلرم) ومن كان بها من الغزاة البحرين الأرزاق (٣٠٨) .

الاستيلاء على طبرمين :

وبعد أن أتم ابراهيم جهازه ، سار الى طبرمين التي كانت هدفا عزيزا على ولاية صقلية ، وقواد جيوشها ، منذ سنوات وسنوات . وعرف أهل طبرمين قصد الأمير الأغلبى ، فكابوا على أتم الاستعداد للقائه بمجرد وصوله أمام أسوار مدينتهم .

وأعد ابراهيم بن أحمد قواته في هيئة القتال ، وأخذ القراء في قراءة الآيات القرآنية التي تحض على الجهاد ، فقرأ القارى : « انا فتحنا لك فتحا مبينا » ، ولكن الأمير أمره بأن يقرأ الآية التي تقول : « هذان خصمان اختصموا على ربهم » . وعندما انتهى القارى دعا ابراهيم ربه ، وقال : « اللهم انى اختصم أنا والكفار اليك فى هذا اليوم » ، فكان هذا الدعاء بمثابة إشارة البدء بشن الهجوم على قوات طبرمين الرومية . وكان الأمير ابراهيم نفسه أول المهاجمين : « فحمل ، ومعه أهل البصائر فهزم الكفار ، وقتلهم المسلمون كيف شاءوا » .

ويفهم من الرواية أن هجوم القوات الأغلبية كان من العنف والشدة بحيث أنه لم يسمح للروم بالعودة الى المدينة والإعتصام بأسوارها . إذ عندما

(٣٠٨) النويرى : المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢١ ب - ابن الأثير ، سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٢

ص ٢٠٩ ، المكتبة ، ص ٢٤١ .

كان الروم يتهزمون الى الداخل عبر الأبواب كان المسلمون يدخلون معهم المدينة عنوة ، وهكذا اندثمت جماعات من العسكر الرومي الى المراكب الموجودة في الميناء ، وهربوا فاجتنب بأنفسهم بينما التجأت جماعات أخرى الى حصن المدينة واعتصموا به . وهؤلاء احاط بهم الجند الأغلب ، وقاتلهم فاستنزلوهم قهرا ، وغنموا أموالهم ، وسبوا ذراريهم ، وذلك في يوم ٢٢ شعبان من نفس سنة ٢٨٩ هـ / ٢ أغسطس ٩٠٢ م . وبذلك فتحت طبرمين عنوة ، وأمر ابراهيم بن أحمد بقتل المقاتلة ، وبيع السبي والغنيمة (٣٠٩) .

صدى سقوط طبرمين في القسطنطينية :

وكان للتح عاصمة الاقليم الشمالي المشرق من صقلية رنة حزن شديد في القسطنطينية ، حيث أعلن الامبراطور الحداد ، كما كانت تقضى رسوم المملكة أو كما رأى الملك رسمه في تلك المناسبة : « فبقى سبعة أيام لا يلبس التاج ، وقال : « لا يلبس التاج محزون » (٣١٠) .

ابراهيم بن أحمد وفكرة الحج عن طريق القسطنطينية :

ولا شك أن الرواية العربية تبالغ عندما تقول ان الروم الذين حالهم الأمر قرروا ارسال حملة كبيرة لحفظ ما كان قد تبقى بأيديهم من الجزيرة ، ولكنهم خشوا أن يقصد ابراهيم بن أحمد ، بعد ذلك النصر الكبير ، القسطنطينية نفسها ، حتى أن الملك احتاط للأمر فترك في عاصمته قوات كبيرة قادرة على حمايتها (٣١١) . وأغلب الظن أن هذه الفكرة هي أصل الرواية التي قالت ان ابراهيم بن أحمد ، عندما تنسك وترك المملكة كان يفكر في الذهاب الى الحج ، ولكنه عاد وقرر أن يجمع بين الحج والاجهاد ، ورأى أن يكون

(٣٠٩) ابن الأثير ، سنة ٢٦١ هـ ، ج ٧ ص ١١٣ ، المكتبة ، ص ٢٤١ ، ولقارن النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢١ ب ، التتاج الدعوة للقاضي النعمان ، ص ٩٢ ، تاريخ صقلية من حين دخلها المسلمون حسب تاريخ العالم عند الروم ، المكتبة ، ص ١٦٨ (حيث النص على اخذ طبرمين في أول يوم من شهر أوسه سنة ٣٤١٦) ، وانظر عزيز أحمد ، تاريخ صقلية الإسلامية ، بالانجليزية ، ص ١٧ - حيث الإشارة الى ما نص عليه بطي الكتاب البيزنطيين من التماس قوادحهم وبفسهم قائد البحر الأصملي يوستاثيوس ارججرس (Eustathius Arggrus) بالتقصير الاجرامي ، بل بالخيانة والقدر ولم ان يوستاثيوس اعيد الى منصبه مباشرة بمرعة الامبراطور ليو الرابع .

(٣١٠) ابن الأثير ، سنة ٢٦١ هـ ، ج ٧ ص ١١٣ ، المكتبة ، ص ٢٤١ .

(٣١١) انظر ابن الأثير ، سنة ٢٦١ هـ ، ج ٧ ص ١١٣ ، المكتبة ، ص ٢٤٢ .

حجة عن طريق صقلية ، مما يعنى أن صقلية كانت محطة في الطريق الى
القسطنطينية والمشرق ، وهى الفكرة التى أثارت خيال الكتاب العرب ، وهما
ربط الحرب والسياسة أيضا ، منذ فتوح المغرب أو فتح الأندلس .

فتوح ابراهيم بن أحمد بعد طبرمين :

والهم أن ابراهيم بن أحمد ، بعد أن ملك طبرمين ، بث سراياه فى مدن
صقلية وقلاعها التى كانت ما زالت بين أيدي الروم فى المنطقة ، فوجد بعضها
قد تركها أهلها ، وجلوها عنها ، مثل : ميقش ، التى هاجمها حفيده زيادة الله
ابن أبى العباس ، ودمشق ، التى سار اليها ولده أبا الأغلب ، بينما أذهن
بعضها وعرض الصلح على دفع الجزية ، ولكن القادة العرب لم يقبلوا إلا تسليم
الحصون نفسها ، مثل : رمطة التى سار اليها ابنه أبو مضر ، وألياج ، التى
سار اليها سعدون الحلوى (٣١٢) .

حصار كسنته (Cosenza) ، ومرض ابراهيم :

وسار ابراهيم بن أحمد الى مسيني ، حيث أقام بها يومين ، ثم انه أمر
عسكره بالتمعية الى قلورية (كلايريا) فى يوم ٢٥ رمضان (٣ سبتمبر) .
وسار حتى قرب من مدينة كسنته . ورفض ابراهيم ما عرضه عليه أهل
كسنته من طلب الأمان ، وأمر عسكره بالتقدم الى المدينة ، بينما بقى هو فى
الساقية ، إذ ألم به الضعف من المرض الذى مات فيه . ونزلت العساكر فى
الوادى ، وأحاطوا بالمدينة . وفى ٢٥ من شوال (٢ أكتوبر) فرق أبنائه
وحفدته وكبار قواده على أبواب كسنته ، وأمر بالزحف عليها ، بينما بدأت
المجانيق تضرب الأسوار بجاراتها (٣١٣) .

وفى نفس هذا الوقت زاد بالأمير المرض ، وهو علة الذرب ، أو البطني ،
الذى اشتد عليه ، واضطره الى الانفراد بعيدا عن المسكر . وكان غياب الأمير
أثره فى هبوط معنويات الجنود الذين لم يجتهدوا فى قتال كسنته ، كما تقول

(٣١٢) ابن الأثير ، سنة ٤٦١ هـ ، ج ٧ ص ١١٣ ، المكتبة ، ص ٢٤٢ ، النويرى ،
المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٢ .
(٣١٣) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٢ . ابن الأثير ، سنة ٤٦١ هـ ، ج ٧ ص
١١٣ ، المكتبة ، ص ٢٤٢ . وابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٤ (حيث القراءة : كسنة بدلاً من
كسنته) .

رواية ابن الأثير . وزاد اشتداد المرض بإبراهيم حتى منعه النوم ، وأخيراً عندما أصابه الفواق ، كان ذلك يعنى إعلان وفاته التي وقعت في ليلة السبت ١٨ من ذي القعدة سنة ٢٨٩ هـ / ٢٥ أكتوبر ٩٠٢ م (٣١٤) .

زيادة الله بن أبي العباس واليا :

واجتمع قواد المسكر ، وبعد أن تشاوروا فيما بينهم ، قرروا أن تؤخذ القيادة الى حفيد إبراهيم بن أحمد ، وهو أبو مضر زيادة الله بن العباس ، الذي عرضها بدوره على عمه أبي الأغلب الذي لم يتقدم على زيادة الله ، لأنه كان يخشى السلامة . وهنا عرض زيادة الله على أهل كسنته الأمان الذي كانوا له طلبوه ، وهم لا يعرفون بوفاة الأمير ، فأجابوا .

وعندما عادت سرايا التي كانت قد سارت الى نواحي كسنته ، عاد المسكر بأجمعه ، وهم يحملون تابوت إبراهيم بن أحمد الى بلرم ، ومنها أرسل الى القيروان ليدفن هناك (٣١٥) .

عزل زيادة الله :

ولم تطل ولاية زيادة الله لصقلية الا الى أقل من ستة أشهر ، إذ استدعاه والده أبو العباس الى الفريقية بسبب : « اعتكافه غسل اللهو وادمانه شرب الخمر » ، كما تقول رواية ابن الأثير (٣١٦) ، ولو أننا نفضل رواية ابن عدي ، التي نصت على أنه : « وشى به اليه أنه يريد الانتزاع عليه » ، ويرجع ذلك ما تضيفه الرواية من أن زيادة الله عندما عاد الى الفريقية في ٢٠ جنادى الأخيرة من سنة ٢٩٠ هـ / ٢٣ مايو ٩٠٣ م ، أخذ أبوه ما كان معه من الأموال والعدة وحبسه داخل القصر ، كما حبس جماعة من أصحابه الذين كانوا معه (٣١٧) .

(٣١٤) ابن الأثير سنة ٢٩١ هـ ، ج ٧ ص ١١٢ ، المكتبة ، ص ٢٤٢ ، أبو الفيداء ، المكتبة ، ص ٤٠٦ ، النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٢ (حيث ولا إبراهيم بن أحمد في ١٢ من ذي القعدة / ١٩ أكتوبر) . وانظر انتاج الدهرة للغاضى النعمان ، ص ٩٢ (حيث وفاة إبراهيم في ١٢ من ذي القعدة .

(٣١٥) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٢ - ١٢٣ هـ . حيث يقول ان إبراهيم دفن في بلرم ، وانظر انتاج الدهرة ، ص ٩٢ . أما ابن الأثير (سنة ٢٨٩ هـ) ج ٧ ص ١١٣ ، المكتبة ، ص ٢٤٢ (الذي أخذ بإبراهيمه هنا فيصير على أنه دفن في القيروان) وهو الأمر الذي لم يفت عن ابن خلدون (ج ٤ ص ٢٠٤) .

(٣١٦) ابن الأثير ، سنة ٢٨٩ هـ ، ج ٧ ص ٢٠١ ، المكتبة ، ص ٢٤٩ .

(٣١٧) ابن عدي ، ج ١ ص ١٣٤ ، وانظر فيما سبق ، ص ١٥٩ .

محمد بن السرقوسي واليا لصقلية :

وعهد أبو العباس بولاية صقلية الى القائد محمد بن السرقوسي (٣١٨) ، الذي يتضح من اسمه أنه صقلّي أصيل ، من أبناء جيل المجاهدين الأول في الجزيرة . وهذا الأمر له أهميته ، من حيث أنه يعني أنه ، بعد ثمانين سنة من غزو الجزيرة ، أصبح من الممكن أن تؤول ادارة شئون صقلية ، من : جهاد وغيره الى أبنائها ، بعد أن كان حكامها من رجال الأغلبة الوافدين من افريقية . ولا شك أنه كان في ذلك ترصّصية للصقليين المعترزين بأنفسهم ، بصفتهم المجاهدين أولا وقبل كل شيء ، دون غيرهم من أهل المملكة الأغلبية ، والذين كانوا قد بدأوا يسيئون المتاعب لأمير القيروان منذ مدة ، كما رأينا ، وخاصة في ذلك الوقت الذي كان الشيعي يشكل خطرا داهما على الأغلبية في افريقية .

فكان تولية السرقوسي كانت تعني - الى حد ما - ترك جبهة صقلية لأهلها ، فهم أدري بما فيها ، ولو لفترة من الوقت تسمح بتوجيه كل الجهود الى الشيعي ومن معه من كتامة . وذلك ما يرجحه سكوت حوليات ابن الأثير وغيره عن أحداث صقلية طوال عهد زيادة الله تقريبا ، باستثناء الإشارة ، في سنة ٢٩٤ هـ / ٩٠٧ م ، الى عودة السفارة التي كان قد أرسلها الى بلد الروم ، ومعها رسول صاحب القسطنطينية ، والتي ربما كان هدفها اقرار الهدنة بين الطرفين (٣١٩) .

أحمد بن أبي الحسين بن رباح واليا :

وفي السنة التالية (٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م) ، عزل زيادة الله واليا صقلية : محمد بن السرقوسي ، واستعمل بدلا منه أحمد بن أبي الحسين بن رباح ، وهو أيضا سليل قواد الجزيرة وولاتها (٣٢٠) .

الصقليون يغلبون طاعة الأغلبة ويعترفون بأبي عبد الله الشيعي :

ولم يبق الوالي الجديد في منصبه الا حوالى سنة واحدة ، وذلك انه عندما

٢٨

(٣١٨) ابن الأثير . سنة ٢٨٩ هـ ، ج ٧ ص ٢٠٦ . المكتبة ، ص ٢٤٩ ، وانظر البريري - المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٣٠ - حيث اللزاة الخاطئة : « محمد بن أبي الفوارس » .
(٣١٩) انظر قيسا سبق ، ص ١٧٧ .
(٣٢٠) البريري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٣٠ - ٢٣٠ ب .

فاز الشيعي بإفريقية في السنة التالية (٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م) ، ونبأ أهل صقلية عليه ، وانتهبوا ماله وجبسوه ، وولوا على أنفسهم على بن أبي الفوارس حتى ١٠ من رجب سنة ٢٩٦ هـ / ١٥ أبريل ٩٠٩ م . وبعث الصقليون بأحمد ابن أبي الحسين بن رباح إلى أبي عبد الله الشيعي وكتبوا إليه أن يبقى على « ابن أبي الفوارس » ، فأجابهم إلى ذلك ، وكتب إليه أن يغزو بسرا وبحرا (٣٢١) .

وبذلك كان أحمد بن أبي الحسين بن رباح آخر ولاية الأغالبة في صقلية، وكان على بن أبي الفوارس أول من حكم الجزيرة باسم الفاطميين .

الحسن بن أحمد بن أبي خنزير ، أول ولى فاطمي :

ولكنه عندما دخل المهدي رقادة ، تعود أخبار صقلية متواترة على طول الحوليات . ولقد بدأ ذلك بتعيين الحسن بن أحمد بن أبي خنزير والياً على صقلية في أواخر سنة ٢٩٧ هـ / ٩١٠ م ، وهو ما سنعود إليه - انشاء الله - عند دراسة العصر الفاطمي في إفريقية والمغرب .

الفصل الثالث

الدولة الرسمية

في قاهرته وجبل نفوسة
(١٦١ هـ / ٧٧٧ م - ٤٩٦ هـ / ١٠٨٠ م)

قيام الرستميين في تاهرت :

رغم أن دولة الأغالبة كانت مثلة الخلافة ، صاحبة الحق الشرعي في حكم بلاد المغرب من أقصاها الى أقصاها ، إلا أن استقلالها كان نتيجة طبيعية للأوضاع السياسية في المغرب في ذلك الحين . فالرستميون كانوا قد اقتطعوا المغرب الأوسط بينما كان الإدارة في طريقهم الى تثبيت أقدامهم في المغرب الأقصى بمعنى أن الرشيد عمل على إيجاد نوع من توازن القوى عندما هب عبد الأفرقية الى ابن الأغلب . ومؤسس أسرة الرستميين هو عبد الرحمن بن رستم ابن بهرام الفارسي ، وكان بهرام جده من موالى عثمان بن عفان ، ولو أن الكتاب يجعلون له نسباً يرتفع به الى ملوك الفرس القدماء (١) أما عن كيفية هجرته الى الأفرقية فتقول الرواية أن أباه رستم قدم من العراق الى مكة وبصحبته زوجته وابنه عبد الرحمن ، لأداء فريضة الحج فمات ، فتزوجت امرأته برجل من أهل القيروان حملها وابنها عبد الرحمن معه عند عودته الى بلده (٢) . وتربى عبد الرحمن بن رستم في القيروان وأخذ العلم عن فقهاءها وعال الى تعاليم الخوارج ، ووقع تحت تأثير سلامة بن سعيد الذي كان يدعو الى مذهب

(١) يقال أن جده هو بهرام بن ذي شرار بن سابور بن دايكان بن سابور ذي الإكتاف (الملك الفارسي . انظر الكرى . ص ٦٧ وابن خلدون . ج ٦ ص ١٢١ ، الأندلسي ، طبقات الأمازيغية ، المخطوط ورقة ٩ (ط الجزائر ، ص ١٩) من نسب عبد الرحمن . ص ٢٠ - ١ (ط الجزائر ، ص ٤٢) من نسب ميمون حفيد عبد الرحمن .

(٢) الأندلسي ، طبقات الأمازيغية ، المخطوط ، ورقة ٩ (ط الجزائر ص ١٩ - ٢٠) حيث تقول الرواية المتقدمة الطابع أن رستم والد عبد الرحمن عندما سار الى الحج كان يقصد الذهاب الى المغرب عن طريق مكة حيث أنه كان خبيراً بعلم النجوم وأنه كان يعرف اندلجته سبل بلاد المغرب ، وانظر الشماخي ، سير عظمة جبل نفوسة ، ص ١٤٢ .

الاباضية (٢) - ولما بلغ مبلغ الشباب رحل الى البصرة حيث درس على ائمة المذهب هناك ، ومنهم أبو عبيدة مسلم بن أبي سريمة التميمي ، مع بعض اخوانه من المغاربة - وبذلك أصبح واحدا من خمسة هم « حملة العلم » ، كما ذكرنا من قبل (٤) .

وعندما عاد عبد الرحمن أدراجه الى المغرب جد في تحقيق أمنية شيخه سلامة بن سعيد الذي كان يقول : « وددت أن يظهر هذا الأمر يوما واحدا فما أبالي أن تضرب عنقي » (٥) ، فاشترك في ثورة طرابلس بقيادة أبي الخطاب ، وعندما استخلص هذا الأخير مدينة القيروان من صفورية ورفجومة عهد اليه يولايتها . وبقي عبد الرحمن بن رستم بالقيروان الى أن قدم محمد بن الأشعث بالقوات العباسية فخرج تلبية لنداء أبي الخطاب ، ولكنه عاد من قايس عندما رأى هزيمة الاباضية قبل أن يفر من القيروان خفية نحو المغرب الأوسط سنة ١٤٤ هـ / ٧٦١ م (٦) . ورغم ما تقوله بعض الروايات من أن ابن رستم بنى مدينة تاهرت عقب فراره أى في سنة ١٤٤ هـ أو بعدها بقليل (٧) ، فالأقرب الى الصحة أن ابن رستم لم يفكر في ربط مصيره وأتباعه بالمغرب الأوسط الا بعد أن فشلت محاولاته في العودة من جديد الى أفريقية . ففي سنة ١٥١ هـ / ٧٦٨ م اشترك ابن رستم مع بقية الخوارج من أباضية وصفورية في حصار عمر بن حفص في طبنة ، وانتهى الأمر بالانهزام الى تاهرت (٨) . ولظاهر أن المقصود بتاهرت هنا ليست المدينة بل أرض تاهرت أى اقليمها . فابن عذارى يحدد اختطاط تاهرت الرستمية في سنة ١٦١ هـ / ٧٧٧ - ٧٧٨ م (٩) ، وهو

(٣) انظر الدرجي (الطقات ، المخطوط ، ورقة ٦ ، ط الحرائر ، ص ١١) السدي يحمل رواية الاباضية التي ترجع الى الامام الملح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم عن مده انتشار مذهبي الاباضية والصفورية ، والتي تقول ان اول من دعا الى هذين المذهبين في القيروان افريقية هما - سلامة بن سعيد وعكرمة مولى ابن عباس اللذان قداما من البصرة ، وان سلامة كان يدعو الى مذهب الاباضية بينما كان عكرمة يدعو الى مذهب الصفورية .

(٤) انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٤١ وهامش ٥ .

(٥) الشماخي ، ص ١٢٣ ، والدرجيني ، طقات الاباضية ، ورقة ٦ (ط الجزائر ، ص

١١ - ١٢) حيث النص « وددت أن لو ظهر هذا الأمر يوما واحدا من أول النهار الى آخره فلا أسف على الحياة بعده » . وانظر فيما سبق ، ج ١ ص ٣١٩ و ٣٠ .

(٦) انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٤٥ .

(٧) انظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٢٣ والترجمة ، ج ١ ص ٢٤٢ ، النويري ، ص ٩٢ .

لوترجمة (ابن خلدون) ج ١ ص ٢٧٥ .

(٨) انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .

(٩) البيان ، ط . كولان . ص ١٩٦ .

الامر الذي تؤيده روايات الاباضية عن اقامة ابن رستم فيها بين سنة ١٦٠ هـ و سنة ١٦٢ (١٠) ، أى بعد أكثر من خمس عشرة سنة من فرار عبد الرحمن من القيروان وعشر سنوات من انهزامه في طيبة ، وذلك امر منبوهل .

وهذا لا يمتنى أن تاهرت لم تكن موجودة قبل ذلك التاريخ ، فالمدينة قديمة يرجع الى العصر الروماني ثم البيزنطي (١١) ، ولقد جاء ذكرها أيام الفتوح الأولى سنة ٦٤٢ هـ / ٦٨١ - ٦٨٢ م في حملة عقبة بن نافع التي استشهد فيها (١٢) . فلما استقر ابن رستم وأتباعه الذين جاءوا من بلاد إفريقية وطرابلس في المغرب الأوسط كان لابد لهم من تنظيم دعابة واسعة النطاق لنشر تعاليم المذهب الاباضى بين قبائل المنطقة ، ونداء هذه القبائل الى تأييد ابن رستم ، وهذا امر طبيعى تطلب تنفيذه حوالى خمسة عشر عاما . ولقد ساعد على نجاح دعوة ابن رستم أن المنطقة التي نزلها تعتبر امتدادا لبلاد الراب ، وأن كثيرا من قبائلها من لوائه وهوارة وزواعة ومطاطة (١٣) أصلها من أقاليم المغرب الشرقية في طرابلس ونوازة وبلاد الجريد - مهد الدعوة الاباضية . ولقد سهّل هذا الامر مسير كثير من اباضية تلك الأقاليم الى ابن رستم حيث أقاموا بين بنى جلدتهم في المغرب الأوسط . (انظر شكل ٥ ص ٢٩٢) .

أما عن السبب في اختيار منطقة تاهرت مركزا للدعوة فيرجع أولا الى أنها منطقة داخلية منطوية على نفسها . فرغم أن تاهرت على رأس الطريق الموصل من منطقة التلول الى أسافل وادى شلف المؤدى الى البحر ، ورغم أنها معلقة في أعلى المنطقة الجبلية (تلول منداس) على ارتفاع ١٠٠ متر الى أنها تقع على السفح الجنوبي للجبل - جبل كرو - (الذى يرتفع الى ٢٠٠ متر) (١٤) بمعنى أنها توجه أنظارها نحو الداخل ، وتدير ظهرها للبحر . وهذا يمثل موقعا استراتيجيا ممتازا بالنسبة لجماعة يحيط بها الأعداء من كل جانب ، وترجو أن تعيش في أمان - في حاضرها على الأقل - بعد أن فشلت في الاحتفاظ بانتصاراتها في عواصم المغرب الشرقية .

(١٠) أبو زكريا . كتاب السير وأخبار الأئمة . المخطوط ، ص ١٣ - ١٤ . الدريجي

حليقات الاباضية . المخطوط ، ص ١٩ - ٢٠ (ط - الجزائر ، ص ٤٠ - ٤١) .

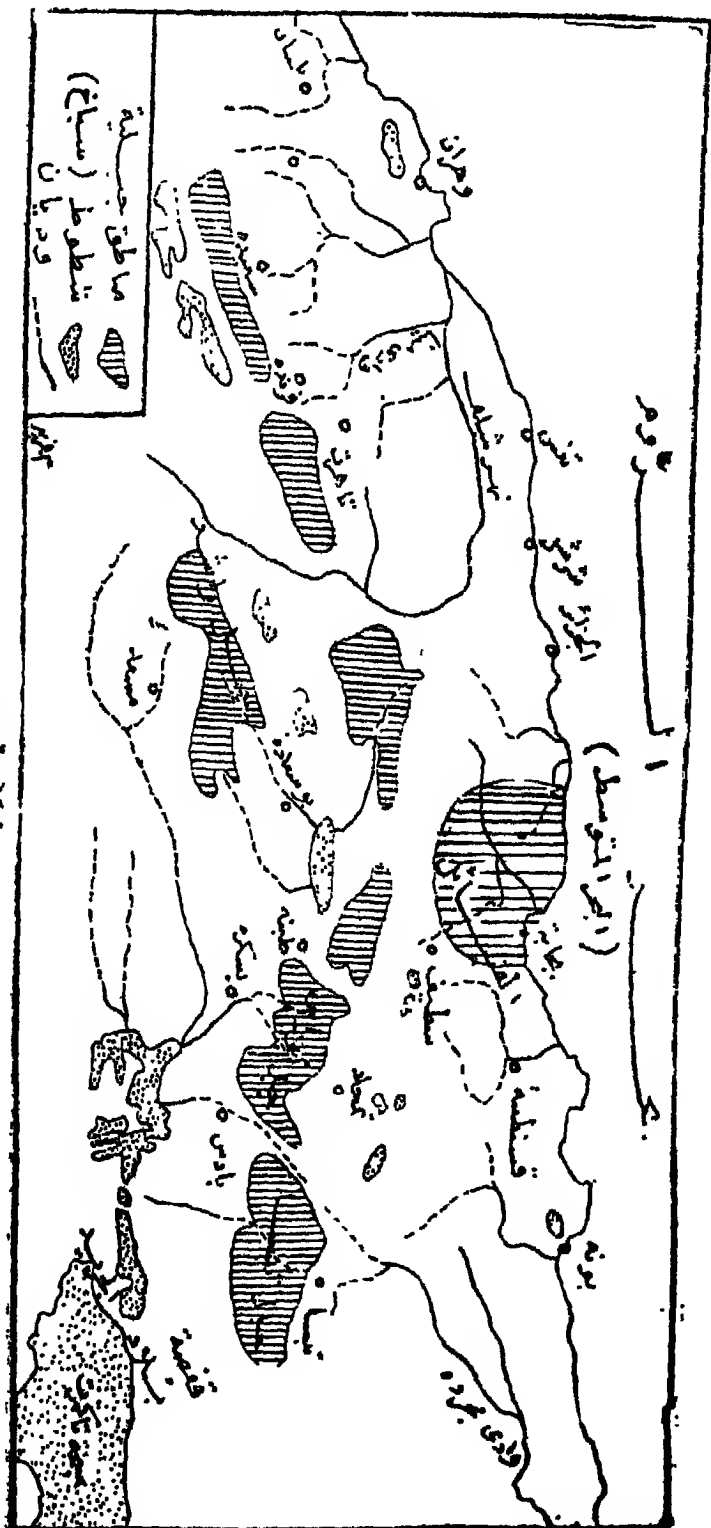
(١١) من خرافات قاصرات الرومانية والبيزنطية انظر :

Gautier : Le passé de l'Afr du Nord, p. 322

(١٢) انظر فيما سبق ، ج ١ ص ١٩٧ .

(١٣) انظر البكرى ، ص ٦٧ (يكتب لوائه بالهاء : و لواطه) .

(١٤) انظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٢١ ، وانظر ايضا Gautier: op. cit., p. 328



ورغم وعورة المنطقة وقسوة طقسها وخاصة في فصل الشتاء حيث يفرز
الغيوم والأمطار ، وتسقط الثلوج وتشتد البرودة ، ويعز الدفء ، مما كان
موضوعاً لتكث الظرفاء وشعر الشعراء (١٥) ، فإن المنطقة عرفت بثروتها الزراعية
وكثرة مراعيها الفنية على وجه الخصوص ، وهي مدينة بذلك لكثرة مياهها .
صارت « على نهر كبير يأتيها من ناحية الغرب يسمى مية (مياس) ولها
نهر آخر يجري من عيون تجتمع يسمى فانس ، ومنه تشرب أرضها وبساتينها ،
وبالقرب منها نهر سيرات ، وهو نهر كبير مشهور يقع في البحر عند مدينة
أزواوا ، وهي مدينة قديمة رومية » (١٦) . وينوء كل الجغرافيين بكثرة ذروعها
وبساتينها ، ولكنهم يؤكّدون شهرتها كإقليم للمراعى والانتاج الحيواني .
وفي ذلك يقول ابن حوقل عن تاهرت : « وهي أحد معادن الدواب والماشية
والغنم والبغال والبراذين الفراهية » (١٧) . والحقيقة أن صفة الرعى هي الغالبة
على بلاد المغرب الأوسط ، فهي كثيرة الخصب والزرع ، كثيرة الغنم والماشية .
طيبة المراعى ، ومنها تجلب الأغنام إلى بلاد المغرب وبلاد الأندلس لخصها وطيب
لحومها (١٨) وعلى أساس طبيعة المنطقة يفسر جوتييه (استناداً إلى ابن خلدون)
طبيعة الامارة الرستمية : فهي مملكة بترية أي بدوية (١٩) ، على عكس الممالك

(١٥) من ذلك ما يقال من أن أحد أهل تاهرت سئل كم عدد شهور الشتاء عندكم ؟
فأجاب ثلاثة عشر شهراً (ابن عسّادى ، ج ١ ص ١٩٨) . كما يقال ان بعض التاهرتيين ذهب
إلى مكة لقضاء فريضة الحج فلما رأى توقد الشمس بكّة نظر إليها وقال : « احرقى ما شئت
فواضدك بتاهرت للذيلة » . وفي بردها قال أبو بكر بن حماد (تولى سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ -
٩٠٩ م) :

ما أصعب البرد وريسته	وأظرف الشمس يصارحه
تبدو من العيم إذا ما بدت	كأنها تنشر من قصع
فمن في بحر بلا لجة	تجرى بنا الريح على السمت
تفسح بالشمس إذا أشرقت	كلوحة النوى بالسبب

(انظر السكري ، ٦٧ . كتاب الاستبصار ، ص ١٧٨ . الدرجيني ، طبقات الأماشيّة ،
المختلوط ، ص ١٩ - ب (ط الجزائر ، ص ٤٢ - ٤٣) ، وعن ابن حماد انظر مباحث الجبل ،
تاريخ الجزائر ، ج ٢ ص ٣٦) .

(١٦) انظر كتاب الاستبصار ، ص ١٧٨ . وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ٢١٢ . ولقد
كانت كثرة مياه تاهرت سبباً في كثرة الشعراء بها ، لمقال بعضهم :
يسمى الله تاهرت الماء وسويقة
باحتها يحيا يطيب في الحليل

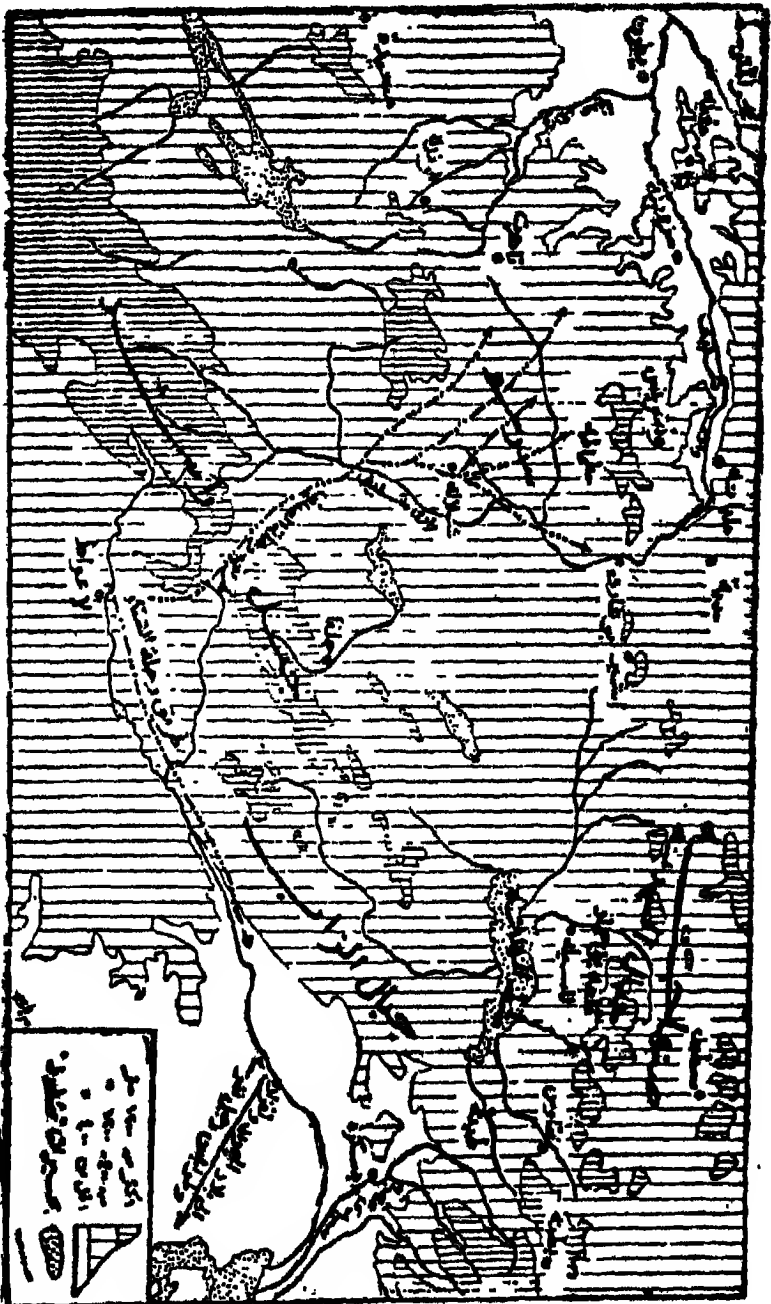
(ابن عسّادى ، ج ١ ص ١٩٨) .

(١٧) ابن حوقل ، طبع بيروت ، ص ٨٤ .

(١٨) كتاب الاستبصار ، ص ١٧٩ .

(١٩) Gautier, Le Passé de l'Afr du Nord ..., p. 326-330.

وانظر شكل ٦ ص ٢٩٤ .



شبكة الطرق (الترسيم)
الطريق الرئيسي: طريق دلتا النيل في الشتاء والصيف
الطريق الثانوي: طريق دلتا النيل في الشتاء والصيف

الحضرية في القيروان وفي فاس .

قيروان جديد في المغرب الأوسط : بناء تاهرت الرسمية او تاهرت الجديدة :

نجحت العناية التي قام بها عبد الرحمن بن رستم وأتباعه فانصبت اليه قبائل المغرب الأوسط التي استجابت للدعوة الأباضية ، كما انضم اليه كثير من الخوارج الصفرية ، بل ومن جماعة تسمى بالواصلية السذين يعتبرهم البكرى من الأباضية (٢٠) - رغم أن المعروف عن الواصلية أنهم من المعتزلة وهو الأمر الذي تقره الروايات الأباضية . فابو زكريا يعرف الواصلية بأنهم قوم من البربر أكثرهم من قبائل زقاته (٢١) ، والدرجيني الذي يسميهم بالواصلية يعرفهم أيضا باسم المعتزلة (٢٢) . والظاهر أن الفرقتين تحالفتا نتيجة لأخذهما بموقف الوسط بالنسبة لمرتكبي الكبائر (موقف للمنزلة بين المنزلتين) ، وأنه لهذا السبب اعتبر معتزلة المغرب من الأباضية أو اعتبرت بعض جماعات الأباضية من المعتزلة ، واعترف الجميع بإمامته (٢٣) ، وعلى رأسهم أبو حاتم الذي خلف أبا الخطاب في طرابلس . فابو حاتم - في نظر أئمة الأباضية - كان أمام دفاع (٢٤) ولم يكن أمام ظهور كآبي الخطاب ، وعلى ذلك كان « يرسل مازاد على ما يحتاج إليه مما جمع من الزكاة لعبد الرحمن بن رستم قبل أن يتولى الأمور وولاية الظهور » (٢٥) والحقيقة أن اجتماع هذه الفرق المتنافرة في دعوة واحدة يمكن أن يفهم منه أن المسألة لم تكن مسألة إصلاح ديني يسمي إليه البعض أو الآخرون ، بل مسألة سياسية هدفها مدافعة حكم مبتلى بالخلافة والاستقلال عن الدولة : بمعنى أن الدين لم يكن إلا ستارا لاخفاء هذا

(٢٠) انظر البكرى ، ص ٧٢ .

(٢١) كتاب السير واختيار الأئمة ، المخطوط ، ص ١٩ - ١ ، الدرجيني ، المخطوط ، ص

٢٦ - ١ (ط - الجزائر ، ص ٥٧) .

(٢٢) طبقات الأباضية ، المخطوط ، ص ٣٦ - ١ ، ط - الجزائر ، ص ٥٧ (الواصلية) .

ص ٢٧ - ب ، ط - الجزائر ، ص ٦٠ (المعتزلة) .

(٢٣) انظر البكرى (ص ٦٧) الذي يقول : « كان مجمع الواصلية قريبا من تاهرت ... »

وإن عددهم نحو ٣٠ ألفا في بيوت كبيوت العرب يحصلونها . » بمعنى أنهم يندو طوامن .

وانظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٢١ . وعن الأباضية وعلاقتهم بالفرق الأخرى انظر فيما سبق .

ج ١ ص ٢٨٤ ، ٣١٨ . وانظر مبارك بن محمد الميل ، تاريخ الجزائر طبعة قسنطينة سنة

١٣٥٠ هـ ، ج ٢ ص ٧ - ٩ ، ١٢ .

(٢٤) الدرجيني ، طبقات الأباضية ، المخطوط ، ورقة ١٧ (ط - الجزائر ، ص ٣٧) .

(٢٥) الدرجيني ، طبقات الأباضية ، المخطوط ، ص ١٧ - ١ (ط - الجزائر ، ص

٣٦ - ٣٧) . وانظر التمامي ، السير ، ص ١٣٨ .

الهدف أو لاعتلاء موقف الانفصال نوعاً من الشرعية .

وبعد أن بويج عبد الرحمن بن رستم بالامامة في سنة ١٦٠ هـ / ٧٧٦ - ٧٧٧ م ، وهو التاريخ الذي رجحته كتب الأباضية ابتداء من أبي زكريا ومن نقل عنه (٢٦) ، كان من الطبيعي أن يتخذ مقراً له يكون مركزاً للدولة الناشئة . ووقع الاختيار على منطقة تاهرت للأسباب التي بينها . من « استراتيجيات » المكان الجبلي ، وتوفر العصبية البترية ، وعلى الموقع بالماء والمرعى . هذا ولا بأس من أن يكون ابن رستم قد ارتاد المكان من قبل ، وأنه استحسنه بعد أن أقام فيه عقب فراره من القيروان ، كما يقول الكتاب .

ويصفى كتاب أهل المذهب من الأباضية على فرار عبد الرحمن بن رستم إلى جبل تاهرت ، وعلى بناء المدينة ، لونا قصصياً مثيراً كذلك الذي سببه من سبقهم من الكتاب الذين أرخوا لبناء الاسكندرية والفسطاط والقيروان وكذلك القاهرة إلى هذه المدن عند بنائها . فابن رستم قبل أن يفر من القيروان وقع بين يدي عبد الرحمن بن حبيب (الفهرى) ولكن أحد القيروانيين شفع له فأطلقه ابن حبيب (٢٧) . وخرج الامام ومعه ابنه عبد الوهاب وغلام له ، وفي الطريق مات فرسه في قسطنطينية من بلاد الجريد فمشى على رحليه حتى ضعف عن المشي ، فكان ابنه وغلامه يحملانه (٢٨) . وبعد جهد جهيد وصل إلى جبل سوفجج (٢٩) حيث اعتصم قبل أن يلحق شيوخ أهل الدعوة من طرابلس ،

(٢٦) انظر السير لأبي زكريا ، المخطوط . ص ١٣ - ١ الذي يسجل هنا أن ابن رستم بويج سنة ١٦٠ هـ / ٧٧٦ - ٧٧٧ م ، ثم يعود ليقول وقيل انه بويج في سنة ١٦٢ هـ / ٧٧٨ - ٧٧٩ م . وانظر الدرجي ، طبقات الانامية ، المخطوط . ص ١٩ - ٢٠ والمطبوع . ص ٤٠ - ٤١ . الشاسي ، السير ص ١٣٩ . ولقد احدها بالرواية الأولى نظراً لأن احتفاظ تاهرت تم في سنة ١٦١ هـ ، كما يحدد ذلك ابن عذاري (انظر فيما سبق ، ص ٢٩١) .

(٢٧) الدرجي ، طبقات الأباضية ، المخطوط . ص ١٦ - ب (ط - الجزائر ، ص ٣٥) : الذي يقول ان ابن رستم كان يكره عبد الرحمن بن حبيب ، وأنه وصله ذات مرة « بأنه شيطان عليه بشر ابن آدم » فحدهما عليه ابن حبيب . وانظر الشاسي . ص ١٣٢ . وعن فرار ابن رستم من القيروان انظر فيما سبق . ج ١ ص ٢٤٢ وكذلك ص ٢٤٥ . وعن مشاركة الفهرى في ثورة الخوارج انظر فيما سبق . ج ١ ص ٣٥٢ - ٣٥٥ .

(٢٨) الدرجي ، الطبقات ، المخطوط . ص ١٦ - ب ، ١٧ - ١ وتقول الرواية أنهم دفنوا الفرس حتى لا يقتصروا أثره فسمي الموضع بقبر الفرس (وانظر ط - الجزائر ، ص ٣٥ - ٣٦) .

(٢٩) الشاسي ، ص ١٣٣ . ولا عرف ان كان المقصود بهذا الجبل هو جبل تاهرت الذي يسميه صاحب كتاب الاستبصار (ص ١٨٧) « قرقل » ، وابن خلدون (ج ٦ ص ١٢١) « كزول » (جزول) أم غير . وانظر الدرجي ، الطبقات ، ص ١٧ - ١ (ط - الجزائر ، ص ٣٦) ، الذي يسمي الجبل المتبع « وادي اجج » .

الذين بلغوا ستين شيخا وأكثر ، مع أعوانهم من غير شك (٢٠) . وحسب هذه الرواية تبع ابن الأشعث الامام الى الجبل وضرب عليه الحصار كما احتاط للامر . فحندق حول عسكره خشية هجوم مفاجئ . يقوم به ابن رستم ، وفي خلال ذلك دحرج الجبل بأهله ، ومات من أصحاب عبد الرحمن بشر كثير فآيس منه ابن الأشعث وعاد الى القيروان ، كما يقول التماسخي (٢١) ، ولو أنه من المقبول أيضا أن يكون الجدرى الذي أصاب الجبل قد وقع أيضا في عسكر ابن الأشعث والحق به خسائر كبيرة مما جعل ابن الأشعث يتشاور مع قواده ويقرر الرحيل ، كما يقول الدرجيني (٢٢) .

لما عني بناء المدينة فله قصة عجيبة أشبه بقصة عقبة وبناء القيروان . فبعد أن اتفق رؤساء العابدين وكبار الراهدين وجماعة المؤمنين على بناء مدينة ، أرسلوا الرواد من أهل المعرفة في اختيار الجهات ليختاروا المكان الذي يصلح لبناء مدينة تكون حرزا للمسلمين وحسنا لهم ، فطافوا أطراف البلاد واستحسروا موضع تيهرت . وكانت تيهرت غياضا (٢٣) وأشجارا ملتفة يسكنها أنواع السباع والوحوش . وهكذا ، وكما فعل عقبة بن نافع أمام شعراء القيروان ، فعل عباد الأباضية ، فأرسلوا مناديا فنادى بأعلا صوته سمعها ووحوشها وهوامها أن أخرجوا وارتحلوا ، فانا مريدون عمارتها ونازلين بها ، وأجلوها ثلاثة أيام . ويذكر أبو زكريا الذي ينقله الدرجيني والتماسخي : وذكروا أنهم راوا بها وحوشا تحمل أولادها في أفواحها بمعنى سباحا - والله أعلم (٢٤) . ثم أنهم عمدوا الى تنظيف المكان مما كان فيه من الأعشاب والشجيرات فأطلقوا فيها النيران ، وهو الأمر المقبول الذي رأينا أنه ربما كان سببا معقولا لهروب السباع والهوام ، مما اعتبره البعض كرامة لعقبة بن نافع بالنسبة لبناء القيروان ، وبذلك أصبح لتاهرت - في نظر

(٢٠) الدرجيني ، الطبقات ، المخطوط ، ص ١٧ - ١ (المطبوع ، ص ٣٦) .

(٢١) التماسخي ، ص ١٢٣ .

(٢٢) طبقات الأباضية ، المخطوط ، ص ١٧ - ١ (المطبوع ، ص ٣٦) .

(٢٣) الكبرى ، ص ٦٨ (غيبة أشبه) ، ابن عسدي ، ج ١ ص ١٩٦ (غيبة) ، وانظر

الدرجيني ، الطبقات ، ص ١٩ - ١ (المطبوع ، ص ٤١) رياض لا عمارة بها الا السباع

(الهوام) ، ص ٣٠ - ١ (المطبوع ، ص ٤٤ (غيبة أشبه) ، وانظر التماسخي ، السير ،

ص ١٣٩ (غياثليل ٢) .

(٢٤) انظر أبو زكريا ، كتاب السير واخبار الأئمة ، المخطوط ، ص ١٢ - ب . الدرجيني

الطبقات ، المخطوط ، ص ١٩ - ١ (المطبوع ، ص ٤١) ، التماسخي ، السير ، ص ١٣٩ .

الإباضية كرامينا ، ملها في ذلك مثل القبروان بالنسبة لأهل السنة (٣٥) .

هذا عن القصة أو الأسطورة الشعبية التي ظهرت في وقت متأخر والتي تحمل في ثناياها بعض الحقائق من غير شك . أما أقدم نص تاريخي عن بناء تاهرت فنجد في البكري الذي يقول - نقلا عن محمد بن يوسف - أنه يعد اتفاق الجماعة للإباضية على إمامة عبد الرحمن بن رستم وبتيان مدينة تجمعهم ، نزلوا موضع تاهرت وهو غيضة (٣٦) على خمسة أميال غربى المدينة (٣٧) . واختار ابن رستم موضعا مربعا لاشعراء فيه ، ولهذا شبهه البربر بالدف لتربيعه فوسوه تاقدمت (٣٨) . ورغم أن الموضع كان لقوم مستضعفين من مراسة وصنهاجة ، فإن عبد الرحمن بن رستم فأوضحهم في بيعة ، ولما رفضوا اتفق معهم على أن يبيعوا للجماعة البناء على أن يكون لهم الحق في جباية خارج الأسواق (٣٩) .

وكما هي العادة في بناء المدن الإسلامية بدء بتخطيط المسجد الجامع ، وقطع الخشب اللازم للبناء من شجر الشعراء . أما عن تخطيط الجامع فيذكر البكري أنه ظل على حاله إلى أيامه أو إلى أيام محمد بن يوسف الذي ينقل هو عنه (٤٠) مكونا من أربعة بلاطات (٤١) .

(٣٥) انظر أبو زكريا ، السير وأخبار الأئمة ، المخطوط ، ص ١٣ - ب ، وقارن الدرجيني ، طبقات الإمامية ، المخطوط ، ص ١٩ - أ حيث تضيف الرواية إلى ذلك أن أصول الأشجار القوية التي لم تات عليها الذيران عولجت بال وضع الخث والصل في أصولها ماتت الخنازير ليلا وسمرت أصولها حتى قلمتها مما يعنى أن المنطقة كانت معروفة بخنازيرها الروسية وقارن المطبوع ، ص ٤١ (حيث كلمة حيس بدلا من خث) - أما عن قصة بساء القبروان المسألة ، انظر فيما سبق ج ١ ص ١٨٥ - ١٨٦ .

(٣٦) البكري ، ص ٦٨ ، وانظر الدرجيني ، الطبقات ، المخطوط ، ص ٢٠ - أ (المطبوع ، ص ٤٢) حيث ينقل نص البكري .

(٣٧) البكري ، ص ٦٧ (تاهرت القديمة شرقي الحديثة على خمسة أميال منها) . وانظر الدرجيني ، الطبقات ، المخطوط ، ص ٢٠ - أ (المطبوع ، ص ٤٣) .

(٣٨) البكري ، ص ٦٨ ، قارن الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٠ - أ ، حيث كلمة الدف بالبربرية = « بالمراسم » . وقارن المطبوع ، ص ٤٤ ، والشماخي (ص ١٣٩) الذي ينقل هنا ما سبق أن قيل من أنهم أحرقوا الأشجار في الموضع .

(٣٩) انظر البكري ، ص ٦٨ الذي ينقله الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٠ - ب (المطبوع ، ص ٤٤) ، والشماخي ص ١٤٥ .

(٤٠) البكري يكتب حول سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م . أما عن محمد بن يوسف فهو متولى سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٤ م . انظر مقدمة Le Siane لكتاب الكرى ص ١٦ .

(٤١) البكري ، ص ٦٨ ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٠ - ب (المطبوع ، ص ٤٤) ، ابن عذاري ، ج ١ ص ١٩٦ .

ورغم ما يقوله البكرى من أنهم اختلطوا وبنوا - حول المسجد كما جرت العادة - ورغم ما يقوله أبو زكريا ومن نقل عنه من كتاب الأباضية مثل الدرجيني والشماسي من أنهم اختلطوا دورا وقصورا وبيوتا ، فالمعروف أن تاهرت الجديدة - مثلها مثل قيروان عقبة - لم تكن تعني في أول أمرها أكثر من معسكر للجماعة الأباضية . ولقد ظلت صفة المعسكر هذه لاصقة بالمدينة مدة طويلة ، وذلك ما يسجله البكرى ، عندما يقول : « وسمى الموضع معسكر عبد الرحمن بن رستم الى اليوم » (٤٢) ، وهي التسمية التي ينقلها الدرجيني ثم يضيف بعدها ما ينقله من أبي زكريا من أن تاهرت سميت بـ « المعسكر المبارك » (٤٣) .

امامة عبد الرحمن بن رستم ، وتطور الأفكار الخارجية :

والظاهر أنه بعد أن تم بناء تاهرت الجديدة لتكون « حرزا وحصنا للاسلام » أخذت وفود القبائل تأتي من الأقاليم المجاورة لبيعة الامام . فهذا ما ينص عليه كتاب الأباضية الأوائل عندما يجعلون مبايعة ابن رستم بعد بناء تاهرت والرواية الأباضية تقول : أنهم نظروا فيمن يصلح للولاية من رؤساء القبائل فوجدوا في كل قبيلة رأسا أو رأسين يمكن أن يكونوا من بين المرشحين ، وأخيرا اتفق رأيهم على عبد الرحمن للأسباب التي لخصها الشماخي في قوله : لفضله ، وكونه من حملة العلم ، وكونه عامل أبي ؟ لخطاب على الفريقية ، ولأنه لا قبيلة له تمتعه اذا تغير عن طريق المدل (٤٤) . والواضح

(٤٢) البكرى . ص ٦٨ . أما ما يذكره البكرى عن اسوار المدينة وابوابها التي يذكر منها باب الصفا وباب المنازل وباب الاندلس وباب المطاحن وقصبتها المسماة بالمصومة ، لذلك من وصف تاهرت بعد أن تمدنت وعظمت وامرأ الناس من كل مكان ، كما وصفها ابن الصغير (أخبار الأئمة ص ١١ . ص ١٢) في أواخر القرن الثالث الهجري/٩ م . وهو مصدر البكرى ومن نقل عنه مثل الدرجيني ، المخطوط ، ص ١٩ - ب (المطبوع ، ص ٤٢) .

(٤٣) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ - ١ . الدرجيني ، المخطوط ص ٢٠ - ب .

٣١ - أ (المطبوع ، ص ٤٤) .

(٤٤) الشماخي ، ص ١٣٩ - ١٤٠ ، وانظر ابن الصغير ، ص ٩ ، الذي يجعل سبب طلبهم اختيار الامام خفيثتهم من « جيرة كثير من رؤساء القبائل الذين يمكن أن يطغروا في الولاية فيؤدى ذلك الى الفتنة » وانظر الدرجيني ، طبقات الأباضية ، المخطوط ص ١٩ - ب «

أن هذه الرواية لا يقصد بها تحديد وقت اختيار عبد الرحمن بين رستم للإمامة .
يعد بناء المدينة الجديدة فذلك مالم يقل به أحد من قبله إذ كانت له الرئاسة فهو
أباضية القيروان منذ أيام أبي الخطاب ، بل حتى قيل أنه عرضت عليه الإمامة
تقبل تولية ابن الخطاب فأعرض عنها (٤٥) ، ثم أصبحت إمامته على الجبيلي
بعد وفاة هذا الأخير ، وذلك مايقوله فقهاء الإباضية كما أشرفا (٤٦) . وبناء
على ذلك يعتقد أن هذه الرواية تعني مبايعة رؤساء القبائل الدجاني أنها تبين
ظروف انتخاب عبد الرحمن التي أراد فقهاء الإباضية أن يجعلوا منها مبادئ
أساسية لانتخاب الامام . فلقد توفرت في الامام الأول شروط أربعة ذوات
طبيعة مختلفة : أولها أخلاقي ، وثانيها علمي ، وكل من تألفها وبناها سياسياً .
أما عن البرنامج الذي تمت على أساسه البيعة ، فكان العمل بكتاب الله وسنة
رسوله وآثار الراشدين ، وعلى هذا الشرط قبل عبد الرحمن أماناتهم (٤٧) ،
بواشترط عليهم هو الآخر « الطاعة في الحق » (٤٨) .

ولا ينس من أن يكون ذلك الترتيب الخاص باختيار الامام صحيحاً .
فالمبدأ أن الأولان من المبادئ المطلوب توفرها في اختيار الامام أو الخليفة كما
اتفق على ذلك الفقهاء : « فالفضل » في هذا النص أو حميد الأوصاف عند
الدرجيني أيضاً هو ما يورث « العدالة » التي تعني الكمال الأخلاقي ، من حيث
سلامة الاعتقاد وسلامة الجوارح ونزاهة التصرفات الشخصية (٤٩) . وأما كونه
من حملة العلم ، فالعلم شرط أساسي ليس بالنسبة للمرشح لتولي الإمامة
أو الخلافة فحسب بل هو ضروري أيضاً بالنسبة لطبقة أهل الاختيار ، أي
أصحاب الحق في انتخاب الامام أو الخليفة . هذا ولو أن العلم بالنسبة للطبقة
الثانية هو العلم الذي يوصل إلى اختيار الأصلح ، أما بالنسبة للأمام فهو .

= (المطبوع ، ص ٤٣) الذي يشير إلى ما سبق : لدينه ، وعلمه ، وسابقته ، ومكانته .
وحسيد أوصافه .

(٤٥) أبو ذكريا . المخطوط ، ص ١٢ - ب ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٩ - ب
(المطبوع ، ص ٤٢) .

(٤٦) أنظر فيما سبق ، ص ٢٩٥ وهاش ٢٤ .

(٤٧) أبو ذكريا ، كتاب السير وأخبار الأنسة ، المخطوط ، ص ١٢ - ب ، وقارن
الدرجيني ، طبقات الإباضية ، المخطوط ص ١٩ - ب (المطبوع ، ص ٤٢) .

(٤٨) ابن الصغير أخبار الأنسة ، ص ٩ .

(٤٩) أنظر لماوردى . الأحكام السلطانية . طبعة القاهرة ١٩٢٧ ، ص ١١٩ ، م . ففصل
في حقه الإمارة ، ص ٤ . ابن خلدون ، المقدمة . الفصل ٢٦ في اختلاف الأمة في حكم مصلح
الخلافة والإمامة ، ص ١٣٨ -

العلم الذي يوصل الى مصلحة الجماعة في الدنيا وسعادتها في الآخرة (٥٠) .
أما الشرط الثالث وهو « كونه عامل أبي الخطاب على أفريقية » ، أو أنه
كان قاضيا له وناظرا (٥١) ، فيمثل فكرة التعيين أو الوصية التي تحولت الى
مبدأ الوراثة . وهذا يعني تحول الجماعة الأباضية عن مبدأ الاختيار . فعند
أهل السنة قبل مبدأ التعيين أو الوصية على أنه حقيقة تاريخية : بعد أن عهد
النبي لأبي بكر بأمانة الصلاة ، وبعد أن أوصى أبو بكر بخلافة عمر ، وبعد
أن حدد عمر أهل الخلافة في ستة نفر ثم أتى معاوية وجعل العهد لابنه يزيد ،
وبعد الأمويين طبق العباسيون أيضا مبدأ الوراثة . حدث كل ذلك مع الاحتفاظ
بالشكليات من حيث تطبيق مبدأ الاختيار الممثل في البيعة . ولقد انتهى الأمر
بإشتراط صفة الفرشية في المرشح للخلافة (٥٢) .

والمعروف أن الخوارج لم يوافقوا على مبدأ التعيين أو الوراثة ، وأنهم
طالبوا بتطبيق مبدأ الشورى أى الانتخاب ، وألا تقتصر طبقة المرشحين على
طائفة من الطوائف ، بل يكون الترشيح مفتوحا أمام الجميع دون أية تفرقة
عنصرية حتى أجازوا إمامة العبد الأسود طالما يتمتع بالأهلية (٥٣) . وهذا يعني
أن الأصل السياسى عند الخوارج هو تطبيق مبدأ الجمهورية التي تكون السلطة
أعليا فيها للشعب جميعا دون تمييز . أما المبدأ الرابع ، وهو « أنه لا قبيلة
له تمنحه إذا تغير عن طريق العدل ، فهو شرط سياسى يتنافى مع نظرية العصبة
التي تقوم عليها الدولة ، كما لاحظ ابن خلدون في أنهار وقيام الدول
الإسلامية (٥٤) » . ومبدأ عدم استناد الإمام الى قبيلة أو عصبية يهدف الى دفع
ما يمكن أن تتعرض له الجماعة الأباضية من الاستبداد ، كما يطمح الى تحقيق
الإمامة ، أو الحكومة المثالية ، التي يكون العدل عصبيتها . وهذا الأمر يمثل
مرحلة من مراحل تطور الأفكار الخارجية ، إذ سيقول بعض مفكرى الخوارج

(٥٠) الماوردى ، نفس الفصل ، ابن خلدون ، المقدمة ، الفصل ٢٥ (فى معنى الخلافة
والإمامة) -

(٥١) ابن الصغير ، ص ٩ .

(٥٢) الماوردى ، نفس الفصل ، ابن خلدون ، الفصل ٢٦ (اختلاف الأمة على حكم منصب
الإمامة والخلافة) -

(٥٣) انظر ابن خلدون . فصل اختلاف الأمة على حكم منصب الخلافة وشرطه - ص

١٩٤ ، الشيرازى ، الملل والنحل ، ص ٨٧ -

(٥٤) ابن خلدون ، المقدمة ، الفصل ١٨ (فى أن الغاية التي تجرى اليها العصبية هي

الملك) ص ١٣٩ .

- ٢٠٢ -

انه اذا تحقق العدل بين افراد الجماعة فلن تكون هناك حاجة الى الامامة اى الى الحكومة (٥٥) .

ومن الواضح ان اصحاب هذه الافكار كانوا نظريين اكثر مما يجب . فعندما اقام الاباضية امامتهم في تاهرت لم يستطيعوا تطبيق نظرية الانتخابية الجمهورية في اختيار الامام ، فاصبحت امامتهم وراثية في بنى رستم - مثلهم في ذلك مثل العباسيين في المشرق والامويين في الأندلس . وهذا يعنى أنهم لم يتمكنوا من التخلص من تأثير مبدأ الوراثية الذي أصبح تاريخيا تقليديا عند أهل السنة أو أنهم لم يستطيعوا التخلص من أفكارهم الأولى عندما كانوا شيعة بطلانيون بأن تكون الامامة وراثية في آل البيت .

حقيقة ان الجماعة الاباضية في تاهرت بدأت في الانقسام على نفسها منذ ان خلف عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم والده في الامامة سنة ١٦٨ هـ (٧٨٤ - ٧٨٥ م) ، عندما أنكر البعض ان يرث عبد الوهاب والده في الرئاسة ، ولهذا السبب أطلق عليهم اسم النكار أو النكارية ، بينما تمسكت الغالبية بصحة امامة عبد الوهاب على أساس اختيار الأفضل (٥٦) ، وربما كائى ذلك صحيحا . ولكننا سنصبح امام أسرة من الأئمة الأفاضل تورث الحكم لابنائها الأفاضل - دون غيرهم من الناس - وربما كان ذلك شبيها بما عرف عند الشيعة رغم أنه لا يبنى على مبدأ الوصية .

اعمال عبد الرحمن بن رستم :

والحقيقة ان عبد الرحمن بن رستم كان عند حسن ظن الجماعة فيه ، فقد أحسن السيرة وجلس في مسجده للأرملة والضعيف فلم ينقم عليه أحد في حكومة ، ولم يكن في أيامه اختلاف (٥٧) . وفي هذا المقام يؤكد كتاب

(٥٥) الشهرستاني ، الملل والنحل ، طبة ليزج ص ٦٧ . الماردي ، الفصل الأول في عقد الامامة ، ابن خلدون ، المقدمة ، الفصل ٢٦ (وبشير الماردي وابن خلدون هنا الى اتفاق بعض فرق الخوارج في هذا الرأي مع الاسم فقيه المتفرقة) ، وانظر أحمد بن أبي خيثاف ، المحافل أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان تونس ١٩٦٣ ج ١ ص ٦ .
(٥٦) عن صفات عبد الوهاب بن رستم انظر فيما بعد ص ٣١٥ .
(٥٧) ابن الصبغ ، السير وأخبار الأئمة ، ص ١٠ . وانظر أبو زكريا ، السير وأخبار الأئمة ، المخطوط ، ص ١٣ ب ، الترجيبي ، الطقات المخطوط ص ١٩ ب (المخطوط ص ٤٢) .

الاباضية فصل عبد الرحمن وعدالته التي كانت سبباً في الاعتراف به ليس
كإمام لجماعة الاباضية في تاهرت والمغرب فقط بل وكذلك لاباضية المشرق ،
وذلك في الوقت الذي كان أبو عبيدة حياً في البصرة ، وكان لعنان أمامها
ذوالها (الاباضية) الذي يسمى عبد الوارث (٥٨) .

فعندما وصلت أخبار عدل ابن رستم إلى مدينة البصرة - مركز المنصب
في العراق - قال أهل الدعوة : « ظهر في المغرب أمام ملأه عدلاً وسوف يملك
المشرق (٥٩) » . وجمعوا ثلاثة أحمال من المال سيروها إلى المغرب مع بعض
الرسول ، وطلبوا منهم أن ينظروا في أمره فإن كان حاله على ما بلغهم أعطوه
المال (٦٠) . وعندما وصل الرسول إلى تاهرت ، نزلوا خارج المدينة ، في بعض
المصليات هناك ، حيث تركوا أحمال المال ثم دخلوا المدينة من بابها المعروف
بباب الصفا ، كما يقول ابن الصغير ، وهم يسألون عن دار الإمارة (٦١) .

وعندما وصلوا إلى الدار وجدوا صاحبها في أعلى بيت يعمل يده السقف
وعبد له يعجن الطين في أسفل الدار ويتناوله إياه . وعندما سألوا الغلام أن
يستأذن لهم على سيده ، طلب عبد الرحمن إلى غلامه أن يهلهم بعض الوقت
حتى ينزل ويفسل جسده من الطين (٦٢) .

وعندما دخل البصريون على الإمام وجدوه جالساً على حصير فوقه جلد ،
ولا شيء في بيته سوى وسادته التي ينسج عليها سيفه ورمحه وفرسه
المربوط خارج البيت (٦٣) . وعندما أمر الغلام بأن يقدم لهم الطعام أتت
المائدة وعليها قرص خبز وسمي وشيء من ملح . فهشمت القرص ، ولثت

(٥٨) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ - ١ ، وانظر الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٠ - ب
(حيث النص : وأبو عبيدة بن وتوفي في إمارة عبد الرحمن ، وقارن المطبوع ، ص ٤٥ -
حيث النص : وأبو عبيدة بن في إمارة عبد الرحمن) .
(٥٩) ابن الصغير ، ص ١٠ .
(٦٠) ابن الصغير ، ص ١٠ ، أبو زكريا المخطوط ، ص ١٤ - ١ ، الدرجيني ، المخطوط ،
ص ٢٠ - ب (المطبوع ، ص ٤٥) .
(٦١) ابن الصغير ، ص ١١ (يقول عن الحسل أنه الذي كان به غير مسألة « مسألة ») .
(٦٢) ابن الصغير ، ص ١١ ، أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ - ١ ، الدرجيني المخطوط .
ص ٢٠ - ب (المطبوع ، ص ٤٥) .
(٦٣) ابن الصغير ، ص ١١ .

بالسمن وأكل الجميع (٦٤) .

وهكذا لم يختلف الامام الشعبي في حقيقته عن تلك الصورة التي صورتها أخباره لهم في المشرق ، فاجتمع رأيهم على أنهم رضوا عنه ، « فقال بعضهم لبعض يكفينا من السؤال عنه ما رأينا منه : من اصلاحه لداره بنفسه ومطعمه وملبسه وحليته بيته فما نرى الا أن ندفع اليه المال ولا نشاور أحدا فيه (٦٥) ، ونادى عبد الرحمن الناس الى الصلاة الجامعة ، وشاور أصحاب الرأي وزعماء القبائل فيما يفعل بالمال فأشاروا عليه أن يفرقه في وجوهه المشروعة ، على أن يكون الثلث لشراء الكراع ، والثلث لشراء السلاح ، والثلث لباقي الفقراء وذوي الحاجات (٦٦) ، وتم ذلك بمحضر الرسل (٦٧) . ولقد ترتب على ذلك أن قويت جماعة الإباضية في تاهرت وانتعش فقراؤها وحسنت أحوالهم .

وبذلك تحقق الأمن لتاهرت وأصبح يخافها من كان يحيط بها من القبائل . وعندئذ أخذ التاهريون يشربون في العمارة والبناء ، وأحياء الأرض الموت وغرس البساتين ، بفضل أعمال الري ، من : شق القنوات وإجراء الانهار واتخاذ الارحاء عليها لطحن الخلال .

وهكذا فعندما قرر إباضية المشرق أن يساندوا إمام أهل الدعوة الذي تحقق ظهوره في المغرب ، على أساس أنه الخليفة الحقيقي للائمة الأولى ، مثل : أبي بلال مرداس وأبي حمزة الشاري ، كما تقول رواية ابن الصغير ، فبعثوا اليه من جديد بعشرة أحمال من المال ، رفض عبد الرحمن بن رستم قبول المسال وطلب رده الى أهله ، رغم الحاح الرسل وتملعل بعض وجوه أصحابه . ولقد فعل ذلك الامام عندما سأل عن أحوال اخوانه بالمشرق وعرف

(٦٤) ابن الصغير ، ص ١١ . وقارن الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٠ - ب (المطبوع . ص ٤٥) .

(٦٥) ابن الصغير ، ص ١١ . وقارن أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ - ١ - الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٠ - ب (المطبوع ، ص ٤٥) .

(٦٦) ابن الصغير ، ص ١٢ . وقارن أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ - ١ - الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٠ - ب (المطبوع ، ص ٤٥) - حيث النص « ولي الاسلام » بدلا من « ولهم السلاح » .

(٦٧) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ - ١ ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٠ - ب (المطبوع ، ص ٤٥) .

- ٣٠٥ -

أبهم « مستترون غير ظاهرين ، وأنهم « مستضعفون غير قاصدين ، وأنهم « جماعتهم .
مثل ما بجماعة الناس من الغناء والعقر » (٦٨) .

وهذا النص الأخير يبين أن عبد الرحمن بن رستم لم يكن ليكتفى من
الناسية النظرية على الأقل - بما تحقق من استئصال « أهل البيت » في تاهرت
بأعمالها ، بل كان يرمى إلى تحرير الجماعة الإباضية في المشرق من الحكم
العباسي ، وهذا لا يمس فكرة ملموح الجماعة الإباضية في زهير ، إنما في كل
دولة الخلافة . وذلك ما يشير إليه كتاب الإباضية عندما يقولون يومنا هذا :
« فتعجب أهل المشرق من زهدهم في الدنيا ورأوا أن إمامته فرض عليهم ، واعترف
كل أباضي بإمامته ، وواصلوه يكتبهم ووصاياه » (٦٩) ، طوال مدة إمامته التي
استمرت ثمانى سنوات ١٦٠ - ١٦٨ هـ / ٧٧٦ - ٧٨٤ م (٧٠) .

٣٠٦ : حياة الإمامة تأخرت على عهد عبد الرحمن بن رستم :

وهكذا نجحت الجماعة الإباضية في المغرب الأوسط في إقامة دولة
مستقلة لها ، وأصبحت تاهرت العاصمة لها حكومتها المستقلة عن دول المغرب
المعاصرة ، وعن دولة الألف في المشرق . فلقد حمل عبد الرحمن بن رستم
لقب الامام أي رئيس الجماعة جريا على تقاليد الخوارج ، وهو اللقب الخلافي
ذو الصبغة الدينية بصفة أن الامام هو الذي يؤم جماعة المؤمنين في الصلاة
مما ترتب عليه أن ابن رستم حمل أيضا لقب أمير المؤمنين ، كما برى ذلك عند
كتاب الإباضية (٧١) . ورغم أن لقب أمير المؤمنين كان اللقب الخلافي المميز -

(٦٨) ابن الصغير ، ص ١٣ - ١٤ . وقارن أبو زكريا ، المازل ، ص ١٤ - ١٥ ،
الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٠ - ب ، ٢١ - أ (الملبوع ، ص ٤٥) ، الشماخي ، ص ١٤٠
(ثلاث أهل بلاده يتمتعون بالعدل ، وأصحاب المسال في حاجة إلى أن يدعوا به من أفقهم .
العلم) .

(٦٩) ابن الصغير ، ص ١٥ ، أ ، زكريا ، المازل ، ص ١٤ - أ ، الدرجيني ، المخطوط ،
ص ٢١ - أ (الملبوع ، ص ٤٥) .

(٧٠) المعروف أن عبد الرحمن بن رستم ترقى سنة ١٦٨ هـ . ومن أساس أنه يرجع
بالامامة سنة ١٦٦ هـ ، كما سبق ص ٢٩١ (أنظر ، مسكوي ، قسمة ابن السكيت -
(بالفرنسية) ص ٦) ، وهو التاريخ الذي رجناه على سنة ١٦٢٢ هـ ، تكون إمامته ثمانى
سنوات .

(٧١) أنظر الدرجيني ، المخطوط ، ص ١٧ - ب : حيث يقول أن والي طرابلس « فلتعلمنا
خرج إلى جماعة أمير حاتم وطلب منهم الطاعة لأمير المؤمنين وألقوا وهم يتسلسلون إمامهم
(والملبوع ، ص ٢٧) .

على اعتبار أن الامام هو أمير المؤمنين فإن ابن رستم لم يحمل لقب الخليفة رغم اعتراف أهل الدعوة بامامته في المشرق ورغم طموحه في أن يظهرُوا هناك أيضا ، كما ظهرُوا في المغرب . وإذا كان الرستميون قد حملوا لقب « الخليفة » ، فلا بأس أن يكون ذلك قد حدث بعد أن استفحلت الدولة على عهد عبد الوهاب ابن عبد الرحمن (٧٢) .

ورغم أن عبد الرحمن بن رستم قام بمهمة الامامة حسبما قضت البيعة . من : سلوك سبيل العدل من جهته والتزام الجماعة بطاعته في الحق من جانبهم ، ورغم الاجماع على أنه : لم يبدل في سيرته ولم يغير وأن الجماعة لم تكترض عليه في أمر ولم تخلفه في حكومة ، فلقد مارس ابن رستم سلطاته ممارسة ديموقراطية ، كما نقول الآن ، أي حسب اصول الشورى المتعارف عليها عند جماعة المسلمين الأوائل ، على عهد الرسول والراشدين وآثار الصالحين : حقيقة انه كان يمارس وظيفة امام الصلاة والقاضي بين الناس في مسجد تاهرت ، كما كان مستعدا لقيادة المجاهدين من أهل الدعوة في كل وقت اذ كان سيفه ورمحه في متناول يديه بينما كان فرسه مربوطا الى عضادة بابه ، فان ذلك لا يعنى أنه كان يحكم الجماعة حكما استبداديا ، وان كان صالحا . فقد كان يجتمع بالناس في مسجد المدينة عقب كل صلاة ، كما كان يشاور وجوه أهل الدعوة عقب انصراف عامة الناس في كل مناسبة . وهذا ما تنص عليه الروايات الخاصة باستقبال رسل أهل البصرة عندما ساروا اليه بأحمال المال ، في المرتين جميعا ، وان كانت نفس الروايات تشير الى أن اعيان الجماعة من مستشارية - وان كانوا قد قدموا له المشورة في المرة الأولى ، فانهم تركوا له اتخاذ القرار النهائي في المرة الثانية عندما رفض أخذ أى شيء من المال ، وأمر برده الى أهله . وهكذا ظهر زهد الامام - الذي لم تتبدل أحواله رغم تغير أحوال أهل بلده الى ما هو أحسن - وغفائه ، وضرب لأهل بلده ولاخوانه من أهل البصرة المثل في المحافظة على سنن السلف الصالح ، وهي التي كانت تقضى بعلم خروج صدقة أهل بلد من البلدان الى أهل بلد غيره طالما كان فيهم المستحقون لها من الضعفاء والمساكين (٧٣) .

(٧٢) هنا ما قد يفهم من رواية ابن حطون (ج ٦ ص ١٢١) الذي يقول عن عهد الوهاب : « ول بعد أن جعل والد عبد الرحمن واه ول ابنه ميسورا » وكان رأس الاباضية والصفرية والواصلية وانصرف الى نفوسة (نفوسة) والصفرية والواصلية ، وكان يسلم عليه بالخلابة . »

(٧٣) انظر التلويح : الاسكاف ، الباب ١١ في ولاية الصدقات ط : مصر ١٩٠٩ م ص ١٠٩ - « ولا يجوز أن تنقل زكاة بلد الى غيره الا عند علم أهل البهتان فيه » .

وفى إطار هذا الحرص على تطبيق الكتاب والنسبة وأثار الصالحين حاول فعهاء الإباضية فيما بعد الاجتهاد فى تفسير كيفية قبول عبد الرحمن بن رستم لما قدمه أهل البصرة من المال فى أول مرة ، ورفضه أخذ ما حملوه اليه منه فى المرة الثانية . وفى اجتهادهم هذا قالوا انه ربما عرف الامام انه كان فى أحال المال الثانية أموال أتت عن غير طريق الصدقة ، مما يمكن أن يشكك فى سلامة مصدرها ، بمعنى أن ذلك كان سبب رفضها (٧٤) . بينما الرواية صريحة فيما تنسبه الى الامام من أنه قبل الأموال فى أول مرة لأن أهل تاهرت كانوا فى حاجة اليها للدفاع عن أنفسهم بينما كانت أحوالهم قد تحسنت واستغنوا عندما أتت دفعة الأموال الثانية ، لمكان غيرهم من ضغفاء أخوانهم أولى بها منهم ، وهذا ما رفع من شأن الرجل وزاد فى تعظيم معاصريه له .

دولة المشاركة والمساواة :

وعن طريق العدالة فى توزيع الأموال والأرزاق حققت اعامه تاهرت الرستمية على عهد عبد الرحمن ما كان يصبو اليه الكثيرون من المساواة فى الحقوق والواجبات ، وخاصة ما يتعلق منها بالأموال وهى المشكلة التى فجرت الفتنة الكبرى بمقتل الحليفة عثمان بن عفان الذى يقف منه الخوارج وبضمنهم الإباضية موقفا عدائيا مرا (٧٥) .

التنظيم المالى :

وفى جمع الأموال وانفاقها يقول ابن الصغير عن عهد عبد الرحمن بن رستم : « والسيرة واحدة ، وقضاته مختارة ، وبيوت أمواله ممتلئة ، وأصحاب شرطته والعائثون به قائمون فيقبضون أعشارهم فى هلال كل (شهر) من أهل الشاة والبعر . لا يظلمون ولا يظلمون . فاذا حضر جميع ذلك صرف الطعام الى الفقراء وبيعت الشاة والبعر . فاذا صارت أموالا دفع منها الى العمال يقدر ما يستحقون على عملهم ، ثم نظر فى باقى سائر المال فاذا عرف مبلغه أمر بإحصاء من فى البلد وقيماً حول البلد ثم أمر بإحصاء الفقراء والمساكين ، فاذا علم عددهم أمر بإحصاء ما فى الأهرام من الطعام ثم أمر بجميع مابقى من مال الصدقة فاشترى منه اكسبة صوقا وجبايا صوقا وفراء وزيتا ثم دفع فى كل أهل بيت بقلد ذلك . ويؤثر باكثر ذلك أهل الفاقة من مذهبه . ثم ينظر الى

(٧٤) انظر الدرر السنية ، المخطوط . ص ٢١ - ١ ، المطبوع ، ص ٤٦ .

(٧٥) الو - ص ٤٢ ، المخطوط ، ص ٤٢ .

ما اجتمع من مال الجزية وخراج الارضين ، وما أشبه ذلك فيقطع لنفسه وحشمه وقضاة وأصحاب شرطته والقائمين بأموره ما يكفيهم في سنتهم ، ثم أن فضل صرفه في مصالح المسلمين (٧٦) -

تنظيم دولة رعاة :

من هذا النص الفريد في الموضوع ، والذي يعتبر أقدم النصوص التي وصلتنا عن الإمامة الرسمية في تاهرت ، يتضح لنا أن تنظيم إمامة تاهرت كان تنظيم دولة بدوية تعيش على الرعى أولاً وقبل كل شيء ، فاهم مورد لخزائن مال الإمام عبد الرحمن هو ضريبة الأعشار ، من الشاة والبعر التي كانت تجبي في أول كل شهر قمرى - ولما كان من المفهوم أن ضريبة الأعشار التي تعنى العشر تمثل الزكاة أو الصدقة ، وهى الواجب المالى الوحيد الذى يقع على عاتق المسلمين ، فالمفروض أن الضريبة المقررة كانت ربع العشر - فى مجتمع تاهرت المتمسك بالسنة الأولى - لا تتجاوزه بأى حال من الأحوال ، وأن تسميتها بالعشر كان نوعاً من التخفيف لكلمتي ربع العشر ، على ما نظن . وكلمتي « لا يظلمون ويظلمون » تعنى التمسك بشكل لا يقبل الجدل فى تحديد قدر الضريبة دون زيادة أو نقصان . والمفهوم أيضاً من ثنايا النص أن الضريبة لم تكن تجبى على قطعان الماشية وحدها ، بل كانت تجبى على ناتج الأرض من الحب ، من : القمح والشعير ، الذى يعرف بالطعام ، والذى كان يصرف عينا بمجرد جمعه على الفقراء - وذلك أن أرزاق العمال (من جامعى الصدقات) كانت تصرف لهم نقداً بعد بيع غنم العشر وحماله - وكانت الأوراق تصرف لهؤلاء العمال تبعاً لنوع الوظيفة التى يقوم بها كل منهم .

معاونو الإمام :

والماخوذ من ترتيب الموظفين الرئيسيين ، من عمال الإمام وأعوانه ، أنهم يتوالون على الوجه الآتى : القضاة ويمثلون الطبقة الأولى ، ويتلوهم أصحاب الشرطة الذين يمثلون قواب القاضى ، من المحتسبين المشرفين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فى الأسواق وعلى القبائل ، ويعدهم تاتى طبقة العمال من جباة الأموال المعروفين بالطائفين أو الطوافين . والتسمية مشتقة من طبيعة الوظيفة التى تتمثل فى الطواف على القبائل والبلدان وتجميعات أهل الدعوة لحياة الصدقة أو العشر .

أموال الصدقة :

وبعد توزيع الطعام ورواتب عمال الصدقة السنوية من الزكاة كان على أعوان الإمام أن يحصوا ما تبقى في الأهرام من الطعام (الحبوب) وما تبقى من أموال الصدقة . وكانت هذه البواقي من نصيب أهل الدعوة في تاهرت وفيما حولها من الضواحي والظواهر ، وكان للفقراء والمساكين نصيبهم الوافي فيها مرة أخرى ، فكان على العمال أن يحصوا الجميع . وعندما يتم ذلك الإحصاء السكاني الدقيق كان الإمام يأمر بشراء الملابس اللازمة لفصل الشتاء ، من : الأكسية الصوف والجباب الصوف وكذلك ملابس القرو ، ويوزع كل ذلك على أهل كل بيت حسب حاجته وحسب ما تسمح به الأموال . والنصي على أن عبيد الرحمن بن رستم كان « يؤثر بأكثر ذلك أهل الفاقة من مذهبه » ، يعني أن القاطنين في حيز تاهرت من غير أهل المذهب كان لهم نصيبهم في ذلك التوزيع الجماعي السنوي .

وهكذا كانت توزع أموال الزكاة أو الصدقة على المستحقين من الفقراء والمساكين ، وكان المشرفون على الجباية من الطائفتين لهم أجرهم من نفس المال الذي جمعه . أما كسوة الشتاء والزيت اللازم للطعام أو لآلئ المشاعل والقناديل فكان يصرف لجميع أهل البلد من فاقض الأموال في الأهرام وفي الخزائن .

رواتب الإمام وأعوانه :

أما الإمام وأعوانه من الحشم والقضاة وأصحاب الشرطة وسائر معاونيه فكانت أرزاقهم السنوية تقطع من مال الجزية وخراج الأرضين وما أشبهه . ويفهم من ذلك أنه كان من بين رعايا تاهرت أهل ذمة ، من : اليهود ، على وجه الخصوص ، والنصارى . ولا بأس من أن نضيف ، إلى ما كان يجمع منهم ، المال الذي كان يجبي من غير أهل المذهب من السنة أو من الصفرية أو الشيعة . وهو الأمر الذي نكتفي بالإشارة إليه .

وبعد ذلك كان إذا فضل من المال فضل حرفة الإمام في « مصالح المسلمين » ، في المرافق العامة : كالمساجد والمصليات ودور العلم والضيافة والحمامات ، وكذلك فيما تقوى به الجماعة من أمور الدفاع كشراء الكراع والسلاح والخيل ، أو تحصين العاصمة وتوسيع أسوارها ، أو غير ذلك مما يصلح به شأن الجماعة .

ازدهار تاهرت على عهد عبد الرحمن بن رستم : العاصمة الإباضية سوق عالية :

وهكذا عاشت الجباعة الإباضية في تاهرت في ظل إمامة عبد الرحمن ابن رستم في نظام مثالي يحقق العدالة والمساواة بين جميع أهل الدعوة . فالإمام كان القدوة الطيبة لرعيته في الزهد والعفاف والتفاني في مصلحة الجباعة ، وعلى الجملة في حسن السيرة وإقامة الحق والعدل - ولقد ظهرت العدالة في شكلها الملموس في أحكام الإمام المنصفة بين المتخاصمين ، وأكثر من ذلك في المسألة الشائكة الخاصة بتوزيع الأموال . ولكنه لما كانت إمامة تاهرت دولة رعوية ، كما رأينا ، فإن ناتج دخلها الوطني ما كان يمكن أن يهيء حياة الرخاء التي يتحدث عنها ابن الصغير والتي لا تكتفي بالنص على انتعاش فقرائها بل ترسم لمدينة تاهرت صورة زاهية بفضل دورها وقصورها وبساتينها وطواحينها وكثرة خيراتها - وكل ذلك على عهد الإمام عبد الرحمن الذي لم يتجاوز نمائية أعوام ، كما قلنا .

والحقيقة أن ابن الصغير المالكي الذي عاش في تاهرت على أواخر أيام الرستميين والذي يقر بأنه لم يعرف ما سبعه من الإباضية ولن يزيد أو ينقص - يشرح أسباب انتعاش التاهرتيين وازدهار المدينة بفصل أنها أصبحت قلة الرفاق من التجار الذين أتوا من كل الأمصار - ففي خلال سنوات قليلة لم يعد يزل تاهرت أحد من الغرباء إلا استوطن معهم « وابتنى بين أظهرهم ، لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة إمامه ، وعدله في رعيته ، وأمانه على نفسه وماله » . وبصرف النظر عما يقوله ابن الصغير من أن ما طرأ على المدينة قد حدث خلال السنوات القليلة التي ولي أمرها عبد الرحمن بن رستم ، فمن المقبول أنه مع مرور الوقت ، وعلى عهد خلفاء عبد الرحمن ، صارت تاهرت مدينة عالمية ، كما نقول الآن : « حتى لا ترى داراً إلا قيل هذه لفلان الكوفي ، وهذه لفلان البصري ، وهذه لفلان القروي » وهذا مسجد ألقرويين ورحبتهم ، وهذا مسجد البصريين ، وهذا مسجد الكوفيين » (٧٧) ، مما يعني أن رواد تاهرت الأوائل كانوا من أهل العراق الحواري حيث مركز الدعوة الأول ، ومن قيروان إفريقية حيث نشأ أقطاب الدعوة الأوائل وجاهدوا في سبيل إقامة المذهب .

وتنص رواية ابن السفر هذه على أن تاهرت دانت بتحضيرها هذا إلى ازدهار تجارتها بعد أن أصبحت سوقاً دولية « فاستعملت السبل إلى بلد

السودان ، وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة ؛ ضروب الامتعة ، فأتوا على ذلك (سنتين أو أقل من ذلك أو أكثر) والعمارة زائدة والناس والتجار من كل الاقطار تاجرون (٧٨) . ويفسر السماخي ذلك فيقول ان التجار ساروا الى تاهرت بتجاراتهم وأموالهم من مصر وأفريقية والمغرب (٧٩) . ولا ندرى أن كان الاندلسيون الذين كان لهم نشاطهم في بدء الحركة الخارجية في المغرب قد ساهموا في ازدهار مدينة تاهرت في ذلك الوقت ؟ وذلك أن البكري يذكر أنه كان من بين أبواب تاهرت الأربعة الأولى باب يسمى باب الاندلس (٨٠) مما يعنى وجود طائفة من الاندلسيين في المدينة حتى نسب اليهم ذلك الباب ؛ وإذا صحت رواية ابن الصغير من أن باب الصفا الذي يذكره البكري كان من أبواب المدينة على عهد عبد الرحمن بن رستم فلا بأس من أن يكون باب الاندلس هو الآخر من أبواب المدينة الأولى ، وهذا يعنى أن الاندلسيين ساهموا في بناء المدينة ، وفي إقامة مجتمع تاهرت الأول (٨١) . وهو الأمر الذي يؤكد عدد من كبار المشايخ من أصحاب عبد الرحمن من الاندلسيين ، كما سنرى حالا .

والهم من كل ذلك أن تاهرت بدأت ترقى وتزدهر منذ أيام عبد الرحمن ، وإن التجارة - وخاصة تجارة بلاد السودان حيث الذهب - كانت من الأسباب الرئيسية التي احتذبت الباحثين عن الربح من المشرق والمغرب والاندلس . ولا شك أن طبيعة التنظيم الأباضي الذي لا يقبل جباية الضرائب على المتاجر ، على اعتسار أنها من المغارم ، كان من الأسباب الإضافية التي شجعت التجار على ارتياد تاهرت ، إلى جانب ما ساد المدينة من الأمن واجتماع الكلمة وحسن سيرة الامام عبد الرحمن الذي توفي في سنة ١٦٨ هـ / ٧٨٤ م ، تاركا لكبار أصحابه اختيار خلف له على سنة السلف من الراشدين .

امامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم : (١٦٨ هـ - ٧٨٤/٨١٩٨ م)

هكذا نجح عبد الرحمن بن رستم في توطيد أركان الامامة الأباضية

(٧٨) لبي الصغير . ص ١٢ - ١٣ .

(٧٩) السير . ص ١٥٨ .

(٨٠) الكرى . ص ٦٨ .

(٨١) ابن الصغير . ص ١١ (عن باب الصفا) ، وانظر إلى بناء المدينة ، فيما سبق ،

ص ٣٩٣ وما ١٨ .

في تاهرت ، بفضل عدلته وحسن سيرته الى أن توفي سنة ١٦٨ هـ / ٨٤ - ٧٨٥ م ، وأصبح النموذج الصحيح للامام الاباضي ، ولم يكن من الغريب أن يستفيد ابنه عبد الوهاب من سمعته الطيبة ، وأن يفوز على منافسيه ويتولى الامامة . وابن الصغير الذي يمثل أقدم وثيقة وصلتنا عن اباضية تاهرت يقول فعلا أنه لما مات عبد الرحمن بن رستم قامت الاباضية وعقدت الامامة لابنه عبد الوهاب (٨٢) ، و ن المتأخرين من الاباضية أرادوا للامام عبد الرحمن أن يسير على نهج عمر بن الخطاب . فمتدما مرض عبد الرحمن مرضه الذي مات فيه ، جعل الأمر شورى في ستة نفر من كبار أصحابه وسابعهم ابنه عبد الوهاب (٨٢) ، وهم : مسعود الأندلسي ، أبو قدامة يزيد بن قندين اليفرنى ، عمران بن مروان الأندلسي ، أبو الموفق سعدوس بن عطية ، شكر ابن صالح الكتاني ، مصعب بن سلمان ، عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم . كما انتهى أمر السبعة هنا بعد جدل ومناجاة طالت الى شهر عند أبي زكريا وزادت الى شهرين عند الدرجيني بعده ، وانتهت أزاء ضغط العامة ، الى المفاضلة بين اثنين هما : مسعود الأندلسي ، وعبد الوهاب بن رستم . وكادت كفة مسعود ترجح - كما تقول الرواية الاباضية - ولكنه عندما علم بميل الجماعة الى سباعته أختفى زهدا في الولاية (٨٤) ، ولو أنه ظهر وكان أول المبايعين عندما تم الأمر لعبد الوهاب . والظاهر أنه الى جانب ما اتصف به عبد الوهاب من العلم والشجاعة والتقوى واللين (٨٥) ، كان للعصبية دورها في اختياره : إذ أن الزعيم اليفرنى أبو قدامة يزيد بن قندين لما أيقن أنه لن يصل الى الامامة مال الى عبد الوهاب لصلة الرحم لأن أمه يفرنية من بنى يفرن مثله ، وأنه رجاً من وراء ذلك أن يؤثرهم في الأمر (٨٦) .

(٨٢) ابن الصغير ، ص ١٦

(٨٣) انظر أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ - ب ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٦ - ا (المطبوع ، ص ٤٦) ، وقارن الساسي ، ص ١٤٥ . أما ما يورده الكرى ص ٦٧ : ٦٨ ، وكذلك ابن عذارى . (ج ١ ص ١٩٧) من أمة المستقيين فهو مقتضب ، كما أنه مختلط فيه من الأحيان - لئبينا يجعل الكرى تاهرت لميمون بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن رستم بمعنى تقديم عبد الوهاب على عبد الرحمن . يجعل ابن عذارى الامامة بعد عبد الرحمن لابنه عبد الوارث وليس عبد الوهاب .

(٨٤) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ - ب ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٦ - ا (المطبوع ، ص ٤٦) ، الساسي ، ص ١٤٤ .

(٨٥) الساسي ، ص ١٤٤ .

(٨٦) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ - ب ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٦ - ب (المطبوع ، ص ٤٧) ، الساسي ، ص ١٤٥ .

ابن فندين ، زعيم بنى يفرن ، يطالب بمجلس للشورى :

والهم من كل ذلك أن عبد الوهاب استفاد من رصيد والده الضخم ، فى : الزهد والعدالة وحسن السيرة ، ونجح فى انتزاع إمامة الإباضية من كبار منافسيه ، من رؤساء القبائل وشيوخ المذهب ، بعد جدل استمر حوالى الشهر أو أكثر . وكان من الطبيعى أن يطالب هؤلاء الشيوخ بأن يكون لهم رأى فى إدارة شئون الدولة ، كما كان قد عودهم الامام عبد الرحمن ، بصفتهم أهل الشورى أو أهل الحل والعقد ، كما هو الحال عند السنة ، وأن يكون على رأس المطالبين بذلك يزيد بن فندين زعيم بنى يفرن ، وهى القبيلة المغربية (البربرية) القوية التى صاهرها عبد الرحمن ، فكانوا سنداً له ، وخاصة بعد أن صاروا أخوال عبد الوهاب ، والظاهر أن ابن فندين نادى بإقامة مجلس استشارى من الزعماء يعاون الامام فى الحكم وذلك أثناء مداورات مجمع المشايخ الذين تفاقلوا عن مطلبه ، ولو أن مسعودا الأندلسى كان ضد تقييد الامام بشرط من الشروط (٨٧) .

إمامة قوية على عهد عبد الوهاب :

وسارت الأمور على ما يرام على عهد الامام الرسمى الثانى عبد الوهاب ، فقويت إمامة تاهرت حتى قال ابن الصغير : انه « اجتمع له (عبد الوهاب) من أمر الإباضية وغيرهم مالم يجتمع للإباضية قبله ، ودان له مالم يدن لغيره ، واجتمع له من الجيوش والحفدة ما لم يجتمع لاحد قبله » (٨٨) . ويضيف صاحب أخبار الأئمة الرستمين مما حكاه له مشايخ الإباضية : « أنه بلغت سمته (قوته) الى أن حاصر مدينة طرابلس وملك المغرب بأسره الى مدينة يقال لها تلمسان ، فلم يزل كذلك وعلى ذلك ، وأمور الناس مجتمعة ... الى

(٨٧) أنظر إير زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ - ب ، ١٥ - ١ : حيث يقول أن ابن فندين اشترط ألا يقضى عهد الوهاب أمراً دون جماعة معلومة ، وأن مسعودا الأندلسى رفض هذا الشرط . وقارن الدررختى (المخطوط ، ص ٢١ - ب والطبوع ، ص ٤٧) الذى يقول أن يزيد بن فندين رفض البيعة ما لم يستجب لشرطه وأن الامام عبد الوهاب حوّن من أمر مايعتبه سبباً ما يهبها من السبب ، وأن مسعودا الأندلسى قال : لا تعلم لى الإمامة شرط غير العمل بالكتاب والسنة وأتار الصالحين ، وأن جماعة المتعصبين وانفكروا وتركوا الشرط . ولذلك تمت البيعة وحصل عهد الوهاب الى دار الإمارة .

(٨٨) أخبار الأئمة ص ١٦ .

ان حدثت الفرقة « (٨٩) » .

وحصار عبدة الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم لمديه طرابلس ، الذي انتهى بعد وفاة ابراهيم بن الاعلب سنة ١٩٦ هـ / ٨١٢ م بالاتفاق بين ولي العهد الاغلبى عبد الله بن ابراهيم الذي حلف والده وبين امام تاهرت على ان تظل المدينة واقليمها الساحلية تحت حكم الاغالبة ، وأن تصير الاقاليم الظاهرية الأخرى الى حكم عبد الوهاب معروف لنا (٩٠) - والقصد من الاشارة اليه عند كتاب الاباضية هو النص على أن المملكة الرستمية كانت تمتد غربا الى طرابلس . وفي اطار هذا المعنى يريد ابن الصغير ، بإشارته الى ملك المغرب بأسره الى تلمسان ، النص على أن امامة تاهرت نشرت سلطاتها على كل المغرب الأوسط الذي تعتبر مدينة تلمسان حده الغربى حيث تبدأ وراها حدود المغرب الأقصى . ورغم أن اشارته « الى مدينة يقال لها تلمسان » تعنى انه لم تكن لديه فكرة واضحة عن عاصمة المغرب الأوسط الغربية التى ستكون كما سرى ، مجال صراع بين الرستميين وبين الادارة التى سيستولون عليها (٩١) ، فالهم أن انتشار سلطان عبد الوهاب من طرابلس الى تلمسان هو الذى دعا ابن خلدون الى القول أنه « كان يسلم عليه بالخلافة » (٩٢) ، الأمر الذى يسميه ابن الصغير : الانتقال من حال « الامامة الى حال الملك » (٩٣) .

وهكذا تستمر امامة عبد الوهاب من سنة ١٦٨ هـ حينما بويغ والى سنة ١٩٧ هـ / ٨١٢ م حينما انتهى حصاره لطرابلس بمعاونة هوازة وزناته ونفوسة ، أى لمدة حوالى ثلاثين عاما ، لا بدنا خلالها حوليات أفريقية والمغرب التاريخية بمعلومات عن النشاطات السياسية والعسكرية للدولة الرستمية . أما كتاب الاباضية : من أبى زكريا ومن نقل عنه مثل الدرجينى والوسيانى وأخيرا الشماخي - ودون استثناء ابن الصغير المالكى رغم اشاراته التاريخية - فإنهم لا يمدوننا بغير المعلومات ذات الطبيعة المنقضية الا فيما يتعلق بالانقسامات

(٨٩) ابن الصغير . ص ١٧ . وارب أبو زكريا . المخطوط . ص ١٥ - ١ : الذى لا يشير الا الى مجتمع تاهرت ، فيقول « ولم يلق عليه امره أحد في حكمة ولا في حكمة حتى يحرم من فديين وأصحه » وهو النص الذى تكفى الدرجينى نفسه المخطوط . ص ٢١ - (المخطوط . ص ٤٧) .
 (٩٠) انظر فيما سبق ص ٤٠ .
 (٩١) انظر فيما بعد ص ٤٤٤ .
 (٩٢) انظر فيما سبق ، ص ٣٠٦ وهـ ٧٢ .
 (٩٣) انظر فيما بعد ، ص ٣٢٦ وهـ ١٢١ .

المذهبية التي عرفت بها جماعة أهل الدعوة . وفي هذه الأثرية الضيقة يكتفى ابن الصغير ، كما أشرنا ، بتلخيص الأعمال السياسية الخارجية لعبد الوهاب : حصار طرابلس وبسط سلطانه الى تلمسان ثم يشير الى افتراق الاباضية بعد ذلك ، أى بعد سنة ١٩٧ هـ / ٨١٣ م . أما أبو زكريا فيلخص فترة الثلاثين سنة السابقة على الانقسام من عهد عبد الوهاب بقوله : « ولم ينعم عليه فى أمره أحد فى حكومة ولا خصومة حتى نجم ابن فندين وأصحابه » (٩٤) .

الفترة بين اباضية المغرب :

الانشقاق الأول : التكاثر (أو النكارية) :

كان من الطبيعي وقد ثبت عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم طوال هذه الفترة الطويلة وتؤكد سلطانه شرقا فى جبل نفوسة وأحوال طرابلس وغربا حتى أحوال تلمسان أن يزداد استنثاره بالأمور مع تضخم ملكه . وكان من الطبيعي أيضا ألا يرضى المعارضون لمبدأ استمداد الامام بالسلطة ، وعلى رأسهم يريد بن فندين - صاحب هذا الشرط - وأن ينازعوا عبد الوهاب فى أن يكون له السلطان المطلق . ومن هنا ارتفعت أصواتهم تطالبه ألا يقطع أمرا دون مشورة . وكان رد عبد الوهاب ومسانديه منذ البداية ، مثل ابن مسعود الأدلسي - كما رأينا - : أنه لا شرط للإمامة الا الحكم بالكتاب والسنة وآثار الصالحين قبله . ولم يقف الاختلاف الفقهي الدستوري - فى الدولة التى اتسعت وازدادت رفاهيتها وانتشر العلم بين أبنائها - عند المطالبة بالمشاركة فى ادارة شئون البلاد وعدم الاستبداد بالأمور ، بل انه اتسع عندما أثار المعارضون مسألة نظرية جديدة سبق لأهل المشرق ، من المعكرين ، الكلام فيها ، وهى : مسألة شرط العلم عند الامام ، وهل يجوز أن يبقى الامام فى السلطة اذا ما ظهر بين أفراد الجماعة من هو أعلم منه ؟ وعن هذا الطريق شككوا فى صحة استمرار عبد الوهاب فى الإمامة (٩٥) . والحقيقة انه اذا كان الامام الأول عبد الرحمن بن رستم قد عرف بأنه امام دفاع أى رجل حرب يجلس ، كما رأينا ، ومسيله ورمحه قرب يده وفرسه غير بعيد من بابه ، وأنه لم يكن له كتاب معروف من تأليفه ، كما يقول ابن الصغير ، فإن عبد الوهاب كما كان له كتاب معروف بمسائل نفوسة الجبل ، لأن نفوسة كتبت اليه مسائل

(٩٤) أنظر فيما سبق ، ص ٢١٤ وما ٨٩ .

(٩٥) النجاشي ، ص ١٤٦ .

اشكلت عليها ، وهذا الكتاب أطلع عليه ابن الصغير بنفسه (١٦) .

دور سدراتة ومزاةة في الخلاف :

هذا عن النظر الى مسألة المعارضة من الناحية النظرية الصرفة التي أعطاها إياها المتأخرون من الإباضية . أما عن واقع الحال ، كما يظهر عند ابن الصغير المالكي التاهرتي الذي حافظ على ماسمعه من أبناء بلده من الإباضية ، فيدل على أن المسألة كانت سياسة وأنه شارك فيها قبائل الإباضية المغربية (البربرية) من سائر بوادي المغرب الأوسط . فقد جرت العادة على أن ترحل قبائل مزاةة وسدراتة في فصل الربيع من بواديهم الجنوبية نحو تاهرت وأحوازا طلبا للنجدة لشيائهم وبعيرهم ، وبينما كانت قطمان الماشية ترعى الكلأ في حراسة الرعاة من أبناء القبائل ومن العبيد كان رؤساؤهم وجوهرهم يترددون على المدينة حيث يكرمهم مشايخها ويحسنون إليهم . ويشير ابن الصغير إلى أنه في « سنة الفرقة » كان الربيع طيبا ، وأن المزاتيين والسدراتيين انتجعوا أكمل انتجاع انتجعوه قط (١٧) ، مما يعنى طول المدة التي قضوها حول تاهرت في ذلك الموسم . والظاهر أن طول مدة البجعة كانت كافية لتجاذب أطراف الحديث بين المعارضين من التاهرتيين : ممن يكتفى ابن الصغير بالإشارة إليهم دون تسميتهم بينما يجعلهم أبو زكريا ومن تقل عنه ، على وجه التحديد : يزيد بن فندين وأصحابه ، وهم الذين كانت قلوبهم قد تغيرت على الإمام عبد الوهاب ، فعادوا يطالبون بشرط مشاركة الجماعة المعلومة في إدارة الأمور ، وأخذوا يشيرون أن الإمام حاجي عليهم بعض الناس فعهد إليهم بالولايات دونهم . وتضيف الرواية أن دعوة المعارضة التي قالت تارة : نحن ولينا ، وتارة : كيف يلينا وقينا أعلم منه ، وتارة : إنما كانت ولايته على شرط ، لقيت أذانا صاغية من طوائف من الناس ممن تصفهم بالجهال والعلفام حتى إنتشر الخلاف (١٨) .

في هذا الجو المكفهر استمع الضيوف من المزاتيين والسدراتيين الى ما أسره إليهم مضيفوهم من المعارضين الذين قالوا لهم ، حسب رواية ابن الصغير : « أن الأمور قد تغيرت ، والأحوال قد تبدلت : قاضينا جائر ،

(١٦) أخبار الأئمة الرستميين ، ص ١٧ .

(١٧) أخبار الأئمة ، ص ١٧ .

(١٨) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٥ - ١ الدريحي ، المخطوط ، ص ٢٢ - ١

(المخطوط ، ص ٢٨) .

صاحب بيت مالنا خائن ، وصاحب شرطتنا فاسق ، رأعنا لا يغير من ذلك شيئا . وقد جاء الله بكم ، فادخلوا الى هذا الامام واسألوه عن قاصيه وصاحب بيت مالنا وصاحب شرطتنا ، وأن يولى علينا حيارنا ، فأجابوهم (١٩) .

ورغم ما يقوله كتاب الاباضية من أن سياسة الامام عبد الوهاب فيما يتعلق باستخدام العمال والاعوان تتلخص في : رغبته في أهل الخير ، واستعمال أهل العلم والبصيرة والدين ، وخاصة ممن ليست لهم رغبة في الولاية (١) ، فان رواية ابن الصغير ، فيما يتعلق بالحوار الذي دار بين المراتيين والسدرانيين وبين الامام عبد الوهاب بهذا الصدد ، مقبولة - حسب تقاليد أهل ذلك العصر - ان لم نقل معقولة . فوجوه زناتة عندما فاتحوا عبد الوهاب في أمر عماله الذين أثاروا المعارضين ، أجابهم قائلا : « جزاكم الله من وفد حيرا ، فقد تم من الاسلام ما يقتضيه من كان مثلكم . الأمر اليكم . قدموا من رأيتم وأخروا من رأيتم » ، فدعوا له وأثنوا عليه .

وعندما أنصرف المراتيون أخبر الامام وجوه رجاله بما حدث من كلام المراتيين وجوابه عليهم ، فلم يوافقوه على ما فعل : على أساس أن ذلك يسيء اليه ، كما يسيء الى اخوانه ورجاله . ولفتوا نظرة الى أن رضوخه لمطالب المراتيين سيجرئهم عليه وعلى أولاده فيما بعد ، وأن الأمر قد يصل في سلسلة مطالبهم التي قد تتوالى الى حد مطالبتهم بخلعه ، عندما يقولون له : « ان المسلمين في ابتداء أمرك لم يجتمعوا عليك فانخلع واردد اليهم أمرهم ، فان اجتمعوا عليك جملة ، فزت بخطك وكان ذلك زيادة لك في شرك (١.١) » .

وانتهت المداولات بين الامام وبين مستشاريه الى تعديل وعده للمراتيين بان يطلب اليهم استشارة اخوانهم في المسألة ، كما سيستشير هو الآخر اخوانه ، وأنه يجب أن يكون حلح من يخلعونه وتقديم من يقدمونه في حضور الجميع ، على أن يستدعى عبد الوهاب وجوه رجاله هؤلاء اذا ما وافق المراتيون على ذلك .

(١٩) ابن الصغير ص ١٨ .

(٢٠) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٥ - ١ ، الدريجي ، المخطوط ، ص ٢٢ - ٩ .

(المخطوط ، ص ٤٨) ، الشامي ص ١٤٨ .

(٢١) ابن الصغير ص ١٨ - ١٩ .

وعندما حضر الزائتون استدعى عبد الوهاب مستشاريه الدين شكروهم على حسن صنيعهم ، ولكنهم لفتوا نظرهم إلى المبدأ القانوني الذي يقصيه : « لا يجب عزل قاض ولا صاحب بيت مال إلا بجرعة يظهر عليه ، ولا يجب عزل القضاة ببعي البغاة وسعي السمات » . ورغم أن جماعة مشايخ البدو المراتية أخذت بهذا المطلق الذي لم تعتد عليه ، فاميم قالوا : « ما هكذا كان عقدنا مع الامام بالأمس ، ما هذا الا رأى حدث أو أمر أبرم » (١٠٢) . وكان من الطبيعي أن يعتبروا ذلك اخلافا بالوعد من جانب عبد الوهاب ، وأن يخرجوا من مجلسه غاضبين . ويدلك يكون الاختلاف قد راد بين جماعة الاباضية ، اذ انضمت قبائل مزاة وسدراتة الى جانب المعارضين من اصحاب ابن فندين .

تجمع المعارضين والمطالية بمحاكمة عيد الوهاب :

وتجمع المعارضون لعبد الوهاب من أهل تاهرت وخاصة من اليفرنيين أنصار ابن فندين ، ومن القبائل الواقعة الى بوادي العاصمة الاباضية ، في موضع جبلي في ظاهر المدينة عرف عند الاباضية بـ « كدية النكار » (١٠٢) ، تسمة الى النكار أو الكارية ، وهو الاسم الذي أعطى للمخالفين على عبد الوهاب لأنهم أنكروا امامه ، كما ساءهم خصومهم أيضا بالنكات لكنهم يبعصة الامام (١٠٤) - وتم نوع من الحلف بين النكار على انهم لا يدخلون الغرب (أي تاهرت) « أو يعزل ما سألوا عزله ، ويحاكموا عبد الوهاب ومن معه » (١٠٥) . وكان من الطبيعي ، أن تبدأ المناوشات الحربية بين النكار وبين عبد الوهاب وأنصاره من أهل تاهرت ، طالما ان المفاوضات بين الجانبين انتهت الى عدم الاتفاق -

ورغم ما يقوله ابن الصغير من أن عبد الوهاب قضى على خصومه بسهولة بعد أن أعذروهم وأنذروهم (١٠٦) ، فان أبا زكريا ومن نقل عنه من كتاب الاباضية لا يريدون للامام أن يكون متسرعاً في قتال خصومه ، اخوة الأمس ، قبل أن

(١٠٢) ابن الصغير ، ص ١٩ .

(١٠٣) ابن الصغير ، ص ١٩ .

(١٠٤) الشماخي ، ص ١٤٨ ، ابن الصغير ، ص ٧٩ .

(١٠٥) ابن الصغير ، ص ١٩ - ٢٠ والقراءة في النص لا يدخلوا العرب بدلا من العرب

والتي تمنى أن يسلكهم كانت في شرقها .

(١٠٦) أخبار الأئمة الرستينيين ، ص ٢٠ .

يستنفد كل الأساليب القانونية المتعارف عليها ، وليس الاعذار والانتذار فقط .

فلقد عرض عبد الوهاب على خصومه أصحاب ابن فدين أن يضعوا أوزار الحرب حتى يستشيروا اخواتهم في المشرق فيما أثير من مسألتى : شرط الحكم بمشورة جماعة معلومة ، وجواز امامة من يوجد أعلم منه . وفى هذه المرة لم يكن الاخوة الذين طلبت مشورتهم فى البصرة ، كما كان الحال قبل ذلك ، بل فى مصر وفى مكة : مما يعنى أن مركز الثقل الخارجى الاباضى ، من الناحية النظرية أو الايديولوجية ، كما يقال الآن ، كان قد انتقل من العراق الى مصر والحجاز ، وهو الأمر الذى يسترعى الانتباه ، اذ يعنى انحسار المدارس الفكرية الخارجية من مركز الخلافة ، جنوبا نحو الجزيرة العربية ، وغربا نحو مصر .

وتم الاتفاق على ارسال رسولين لقياء فى مصر : شعيب بن المرف وشيعته ومتهم شخص يعرف بأبى المتوكل (١٠٧) ، وفى مكة التقيا بأبى عمر والربيع بن حبيب وأبى غسان مخلص بن المعرد الغساني (١٠٨) . ولقد أجاب زعماء أهل الدعوة فى مكة ببطلان الشرط وجواز امامة العالم اذا وجد من هو أعلم منه ، وأن الامامة لا تبطل الا بحدث فى الاسلام بعد الاعذار والانتذار من جانب الجماعة ، والأصرار والاستكبار من امامهم (١٠٩) ، أما شعيب بن المرف

(١٠٧) أبو ذكريا ، المخطوط ، ص ١٥ - ب ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٢ - ب (المطبوع ، ص ٤٩ - حيث : شعيب بن المرفوف بدلا من بن المرف) .
(١٠٨) أبو ذكريا ، ص ١٥ - ب ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٢ - ب (المطبوع ، ص ٤٩) .

(١٠٩) انظر أبو ذكريا ، السير واخبار الأئمة ، المخطوط ، ص ١٥ - ب ، ص ١٦ - ٦ حيث يورد نص كتاب أهل المشرق على الوجه التالى : « سب الله الرحمن الرحيم . أما بعد . يا اخواننا قد بلغنا ما كان قبلكم ولهنا ما كتبتمونا (كاتبتمونا) به من أمر الشرط ، فليس من سيرة المسلمين أن يحملوا الشرط فى الامامة : أن لا يقضى أمر دون جماعة معلومة ، فالامامة صحيحة والشرط باطل ، فلو صح بالامامة شرط لما قام شيء حق ولا اقيم له حد . ولعلت الصدود ولعلت الأحكام وضاع الحق . والجماعة يتصدر اتفاقها على أن الامام ان قسم اليه سابق فلا يصيب أن يقيم عليه الحد فيقطع يده حتى تحضر الجماعة ، ولا يجاهد الامام صوا ولا ينهض عن فساد الا بحضرة الجماعة المعلومة فالامامة صحيحة والشرط باطل . وما ذكرتم من قولية دجل وفى جماعة المسلمين من هو أعلم منه لذلك جائز (جاز) اذا كان فى القناعة والفضل منزلة حسنة ، وقد روى أبو بكر الصديق رضى الله عنه وزيد بن ثابت اقرضا . وعلى بن أبى طالب اقضى منه ، ومعاذ بن جبل رضى الله عنه . أعلم منه . وهذا ما ليس »

يرأس الجماعة في مصر ، فإنه قرر المسير الى تاهرت (١١٠) للنظر في مسألة
على مسرح الاحداث ، كما يقال ، أو بنظر شاهد العيان .

والحقيقة انه لا بأس في أن يكون أهل الدعوة في مصر قد ما رأوا
رأى المعارضين للامام عبد الوهاب . فهذا ما يمكن أن يذهب من رواية أبي
ذكرى التي تقول إن شعيبا عزم على المسير الى تاهرت و فخرج في نفر من
أصحابه بغير مشورة من مشايخ مصر طمعا في الامارة . وقد كان بها جماعة
المسلمين : مشايخ ذوو فضل وعلم ووزع ، وقد نهاء بعضهم عن الخروج الى
تاهرت ، وقالوا له : تقدم الى بلد اختلف أهلها ولم يشتغل (بكلامهم)
واستعمل هو وأصحابه طمعا في الامارة ، فمضوا مستعجلين حتى أنصوا
رواحلهم فصاروا يسوقونها سوقا ، وحكى عنهم أنهم وصلوا من مصر الى
تاهرت في عشرين يوما (١١١) . ورغم ما تقوله الرواية من أن شعيب دخل

= فيه خلاف لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم . أعرصكم زيد وأقصاكم علي وأعلم أمتي
بالآل والحرام معاد بن حنبل ، وقول صلى الله عليه وسلم : معاد بن جبل سيد العلماء ،
هو ابنه سيحتر هذا يوم القيامة (القبة) أمام العلماء بنده . ويضيف أبو ذكرى بعد ذلك
انهم ردوا الابواب بأثبات ولاية عبد الوهاب وذكروا ان الامامة لا تبطل الا بحدث في الاسلام .
وقارن الدرجيني (المخطوط ، ص ٢٢ ب ، والمطبوع ، ص ٤٩ - ٥٠) اندي ينقل النص
ويضيف بعد البسلة والتصلية والحدية (قد اتصل بنا ما وقع قبلكم وما كتبتم فيه . فاما
ما ذكرتموه من امر الشرط . . . ان يجعلوا في الامامة شرطا ان لا يقطع الامام . . . الامانة
صحيحة . . في الامامة الشرط . . ولطلت الحدود والاحكام . . يعتبر اتفاقهم . . فلا يمكنه
ان يقيم عليه الحق فيقطع . . او زنا أحد علم يرمي أو يحل حتى تحضر الجماعة . . و .
يحاهد . . ولا يسعى من حكر الا ينحصر الجماعة فيكونوا كلهم اذا اماما وكلهم للامام بعد
ابطال الامامة وتبطل غير الاستقامة ، ورمي الامامة به يفي والسؤال عن هذا غي . واما ما
ذكرتم من تولية . . . جائز اذا كان مستكملا لشروط الامامة ، وكان من أهل الفضل والدين
والعمال والسياسة والمرلة الرسمية ، فقد ولي أبو بكر . . . وانظر السماخي ، ص ١٤٨ .
وقارن الماوردي ، باب عقد الامامة ، ص ٥ (فلو تمين لأهل الاختيار واحد هو أفضل الجماعة
ليأبوه على الامامة وحدث بعده من هو افضل منه انعقدت بيعتهم امامة الاول ، ولم يجز
المدول منه الى من هو افضل منه) . وبمثل هذا قال الزيدية من فرق الشيعة المعتزلة .
شريطة أن يكون الأئمة من اولاد فاطمة بطبيعة الحال (انظر الشهورستاني : الملل والنحل ،
ص ١١٥) . وقارن ابن خلكان (طب محيي الدين ، ج ٢ ص ٢٣٥) الذي يقول ان الامام يزيد
ابن علي بن الحسين « كان يجوز امامة المفضول مع قيام الأفضل للصحة » .
(١١٠) أبو ذكرى : المخطوط ، ص ٦٥ ب ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٢ ب .
المطبوع ، ص ٥٠) .

(١١١) السير وأخبار الأئمة ، للمخطوط ، ص ١٦ (انضاء الايل يعني اهرالها من كثرة

السفر - انظر لسان العرب ، الفضل نفا ، ج ٢٠ ص ٢٠٢ - ٢٠٤) .

على الامام عبد الوهاب وما كان يمكنه الا أن يفعل ذلك ، وأنه أفتاء بنفسه فتوى أهل مكة التي وصلت فيما بعد بضعة أمانته ، الا أن ألقم هو أنه انقسم إلى جانب يريد بن فندين وأصحابه ، فكان ينابجهم ويؤازرهم .

تسميات جديدة للنكار :

وعن هذا الطريق اكتسب النكار تسميات جديدة عند خصومهم اتباع عبد الوهاب ، منها : النجوية ، والشيعية الذين عرفوا بالشفعية والملحدة ، والنكائة (١١٢) .

علاقة المعارضين بأهل تاهرت الذين عرفوا بالوهبية :

ومع أن المعارضين لعبد الوهاب من النكارية كانوا يعيشون خارج تاهرت الا أنهم كانوا يدخلون المدينة جماعات حيث احتفظوا بمساكنهم القديمة ، مما أثار حشبه اعداء الامام الذين طلبوا منه أن يمنعهم من ذلك . وتشير رواية أبي ركريا إلى أن عبد الوهاب عندما كلمهم في الخروج نهائيا من المدينة لم يهتموا كثير بكلامه اذ قالوا له : « هذه مدينتنا وتلك منازلنا » . وسأله عن اذا كانوا قد اقترحوا جرما يستحقون عليه الخروج . ومع ان الامام تركهم سحرون المدينة ويخرجون منها . فالظاهر أن العلاقات سادت بين النكارية وبين أتباع عبد الوهاب الذين صاروا يعرفون عند الكتاب باسم الوهبية نسبة إليه (١١٢) .

(١١٢) انظر أبو ركريا (المخطوط . ١٦ - ١٦٠ - ب) حيث يشرح الجرية : لانهم صاروا يجتمعون ويتناجون . اما الشيعية فهي على الص في شكل « الشفعية لادخالهم في الاسلام الشنق » . والظاهر أن هذا تحريف مقصود من جانب الوهبية لتجريح خصومهم ينسبهم الى الشنق . بينما المفهوم من سياق الرواية أن المقصود هو شعيب الحمري والنسبة اليه الشيعية . وأما الملحدة : فلانهم « الحدوا في أسماء الله لقوله تعالى : الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يصلون » والمقصود بذلك من مسألة نفى الصفات عند المعتزلة . أما النكائة : « للنكمت بيعة الامام بغير حدث » . وانظر الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٢ - ب ، ٢٣ - أ (المطبوع ، ص ٥٠ - ٥١) .

ملاحظا بأن من الاشارة إلى أن الدرجيني يشير فيما بعد (المطبوع ، ص ١٦١) إلى أن النكارية من الخصوم الوهبية قبلوا صفة « النكار » على أنها تشمل الخوارج جميعا لأنها نسبة إلى انكار حكم الحكمين بصلتين . فكان هذه التسمية تعادل اصطلاح « الحكمة » الذين كانوا : لاسمك الله .

(١١٢) انظر ابن الصنبر (ص ١٦) الذي يصرح على التناقض الاباحية على وجه الوهبية حتى : نكار . ووهبية . ولكنه يشير إلى أنه لا يعرف اسم الوهبية . بينما يعرف باسم قرطبي .

تأزم الموقف بين الفريقين :

وانتهى الأمر الى تأزم الموقف بين الجماعتين عندما اعتاد النكار على دخول تاهرت وهم يحملون السلاح ، فحمل أهل المدينة بدورهم السلاح بأمر عبد الوهاب خشية الغدر . ولقد تحقق غدر النكار في مغامرة قصصية قاموا بها ، كما يقول أبو زكريا ، للمتخلص من الامام .

مؤامرة قصصية لاغتيال الامام :

فقد تظاهر النكار بأنهم يتنازعون على صندوق (تابوت) وضعوا فيه رجلا معه سيفه وحملوه الى دار عبد الوهاب حيث وضعوه الى أن يحكم بينهم ، وكان هدفهم أن يخرج الرجل لاغتيال الامام ليلا . وفشلت المؤامرة بسبب سهر الامام من أجل الصلاة والقراءة والدرس من جهة ، ثم بسبب فطنته وحرصه . حيث وضع زقامنوخا في فراشه ، وجلس يترقب الخائن الى أن خرج من تابوته وضرب الزق ، فقدمه الامام بسيفه نصفين ، وأعاده قتيلا الى التابوت (١١٤) . وهكذا اتضحت نية الغدر لدى النكارية ، وأمر عبد الوهاب أن يكون أهل تاهرت على أهبة الاستعداد دائما بسلاحهم . وآسهن خصوم الامام ، من : ابن فندين وأصحابه ومنهم شعيب المصري ، خروج الامام من تاهرت في بعض حاجاته واستغلوا أهل المدينة وحاولوا الدخول عليهم على حين غرة ، « فقامت الصيحة في المدينة من كل مكان » (١١٥) .

احداهما هي البريدية اتباع عبد الله بن يزيد والآخرى هي العميرية اتباع عيسى بن عمر ثم أحمد بن الحسين ، وأن من يسمى بالوهابية يحملون الى هذين المذهبين ، مما يعني تطوروا او تقسيمات جديدة بين اتباع عبد الوهاب الذين لم يعودوا يعرفون باسم الوهبية على أيام ابن السمير ، على أواخر الرستميين ، حيث كانوا يسمون في ذلك الوقت أيشسا باسم العسكرية الذي كان يعرف به معظم قائل نفوسة في تاهرت . هذا ، كما ظن ابن حوقل أن تسمية الوهبية في جبل نفوسة نسبة الى عبد الله بن وهب الراسبي أول أئمة الحرورية في العراق ، ويقول انه وصل مع عبد الله بن امام الى الحبل وماتا فيه (ط . بيروت ، ص ٩٣) . (١١٤) أنظر أبو زكريا ، المحفوظ ، ص ١٧ - ١ ، ١٧ - ب (وقارن الدرجيني ، المطبوع ، ص ٥٢ - ٥٣) . حيث كان التركيب أن يؤخذ القاتل بعد أن يقتل الامام فيأتى أصحابه الى دار الامارة . فلما لم يسمعوا الأذان أتوا صاحبها وحملوا قلوبهم ووجدوا صاحبهم فيه قتيلا . فخرجوا من المدينة خوفا من صبيحهم من المسلمين ، وقارن الشماخي (ص ١٤٩) . حيث يقول ان أصحاب الامام هم الذين هربوا بالمتأمرين ووصعوا الرق المنفوخ . (١١٥) أنظر أبو زكريا ، المخطوط ، ١٧ - ب حيث تقول الرواية أن السبب في تسجل ابن فندين وشعيب بالقيام بتلك المحاولة أنهم كانوا يخشون وصول فتوى أهل المشرق في ذلك الخلاف خشية بادائتهما ، وهو ما سيحدث بعد قليل (وقارن الدرجيني ، المطبوع ، ص ٥٤) .

بلاء ولى العهد أفلح ، ومقتل ابن فندين :

وترجع رواية أبى زكريا فضل أنقاذ تاهرت مما كان يدبره لها خصومها إلى شجاعة ولى العهد أفلح بن عبد الوهاب الذى عاجلته الحادثة وهو يتزين مخرج يأخذ شقى رأسه مضفرا والآخر دون تضفير ، ووقف وحده يدافع عن باب المدينة حتى أنسلخت رجله إلى العرقوب وحتى تحطمت درقته ، فاقتلع الباب الضخم يتقى به ضربات الأعداء . وكان من بين ضحايا أفلح يزيد بن فندين الذى لم تمنع البيضتان اللتان كانتا على رأسه من أن يضربه أفلح على أم رأسه ضربة ، ففقدته والبيضتين والرأس ، ونسب السيف فى عمود باب المدينة ، وحس أفلح بن عبد الوهاب فى يده الشدة فظن ذلك كله رأسه فقال له : ما أقوا رأسك يا بربرى يامشوم ، (١١٦) .

خلاف شعيب فى حيز طرابلس :

وبمقتسل يزيد بن فندين انهزم أصحابه بعد أن تركوا من قتلاهم ١٢ (اثنى عشر) ألفا كانت دماؤهم تجرى كالسيل ، كما تبألف الرواية ، على باب المدينة . وزعم أن الامام عبد الوهاب أمر عندما رجع بجمع القتلى ، وصلى عليهم ودفعهم . « طمعا فى العافية لعامة المسلمين من بقية أصحاب ابن فندين » ، فان شعيبا الذى فر إلى حيز طرابلس ، ربما فى المنطقة الواقعة بين المدينة وجبل نفوسة ، وظل يظهر الخلاف للامام ويعلن البراءة منه ، وينشر دعايته المناهضة لامام تاهرت بين الحجاج الوافدين من المشرق (١١٧) . فكان وأصحابه يقولون : « قتل المسلمين » (١١٨) . ولم تتمر دعاية شعيب ضد عبد الوهاب ، اذ عندما وصلت أنباء تلك الفتنة إلى أهل الدعوة بالحجاز من جماعة المسلمين ، وعلى رأسهم الربيع بن حبيب ، دبروا من شعيب ويزيد بن فندين وأصحابه الذين قتلوا معه ، ومن كان على سبيلهم إلا من تاب . وكان الربيع بن حبيب يقول فى مجالسه : عبد الوهاب أماننا وتقيتنا وإمام المسلمين أجمعين ، (١١٩) .

(١١٦) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٧ - ب ، ١٨ - أ ، الدرجيني ، المطبوع ، ص ٥٢ .

(١١٧) انظر أبو زكريا ، ص ١٨ - أ ، ٢٨ - أ (الدرجيني ، المطبوع ، ص ٥٥) .

أما ابن الصغير (ص ١٩) فانه يقول ان الامام عبد الوهاب هو الذى أخرج اليهم وصريهم فى فتح البصر .

(١١٨) التسناسي ، ص ٢٥١ .

(١١٩) انظر أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٨ - أ : حيث قبل الربيع كيف تبرأ من

شعيب من غير حدث ، فقال رأى حدث أعظم من برأته من عبد الوهاب أمير المؤمنين (الدرجيني ، المطبوع ، ص ٥٥) .

اعتزال المخالفين الذين عرفوا بالواصلية ، وتحول الامامة الى ملكية اى خلافة :

وبذلك تمت القطيعة تماما بين تاهرت وبين خصومها من أصحاب ابن فندين الذين بقيت في نفوسهم حزازات وصعائن فتسحوا بإجبيهم بالقرب من تاهرت التي لم يعودوا يدخلونها ، وتظن أن ذلك هو السبب في تسميهم أيضا بالمعتزلة (١٢٠) لاعتزالهم أهل تاهرت ، وأن ذلك هو السبب في تسميهم فيما بعد بالواصلية ، ولو أن كتاب الاباضية يفرقون بين النكار وبين الواصلية من الخارجين على امامة تاهرت ، كما سنرى . هذا ، كما يمكن التفكير في أن يكون المقصود بالاعتزال وبالواصلية هنا نوعا من الفكر الشيعي الزيدي الذي كان قد امتزج بالاعتزال عن طريق تلمذة الامام زيد لواصل بن عطاء حتى قيل انه صار « وجميع أصحابه معتزلة في المذهب والاعتقاد » (١٢١) وهذا ما قد يعتبر من مقدمات قيام الدولة الادريسية (١٢٢) وحق لابن الصغير أن يقول : انه بعد انتصار عبد الوهاب هذا على خصومه اشتد أمره ، « وانتقل من حال الامامة الى حال الملك » (١٢٣) ، أي من حال الدولة الدينية الى حال الدولة السياسية - شبيها بما حدث في دولة الخلافة أيام معاوية (١٢٤) .

ومع أن ابن الصغير يبدأ تاريخه لمرحلة « الملك » في تاهرت بالافتراق الثاني الذي عرفته الاباضية على عهد عبد الوهاب أيضا ، ويجعل سبب الافتراق هو الخلاف مع قبائل هواة ، فالأقرب الى المنطق أن تكون تلك المرحلة بعد الانتهاء من الصراع مع الواصلية في أحوار تاهرت ، كما يفصل ذلك أبو زكريا ومن نقل عنه . وذلك أن هواة كانت تسكن في حيز طرابلس

(١٢٠) انظر أبو زكريا (ص ١٨ - ١) الذي يعود فيكرر انهم تسحوا بالريوة أو الكدية التي سببت كدية النكار ، الضماحي ، ص ١٥٤ (حيث يسميهم معتزلة) .

(١٢١) انظر ابن خلكان (عن الامام زيد المتوفى سنة ١٢٣ هـ) ، ج ١ ص ٣٢٥ .

(١٢٢) انظر فيما سبق ، ص ٣١٩ وهـ ١٠٨ ، هذا ، ولو أنه من الغريب أنه ينكر تسليم البربر عبد نسابتهم ، مع مرور الوقت ، الى معتزلة وأباضية وسنية ، بل وأن تسمي غالبية رباته في أواخر القرن الخامس الهجري/ ١١ م الى المعتزلة باستثناء بعضهم . مثل : يس برزال ونسي واسين الاناضية ، وكذلك بنى معاوية ونسي يلون السنية - انظر ابن حزم جبهة إنساب العرب ، ص ٤٦٣ ، حيث يسبب ابن حزم تلك الرواية الى معاوية أي محمدا بويكني الرزالي ، الناسك الاباضي ، الذي كان عالمًا بالنسابهم) .

(١٢٣) احبار الائمة المرسنين ، ص ٣٠ .

(١٢٤) انظر فيما سبق ، ص ٢٠٦ وهـ ٧٢ .

حيث كان النزاع الذي أدى الى الانشقاق الثاني بين الاباضية (١٢٥) .

الصراع ضد النكار والواصلية :

وحسب رواية ابي زكريا ينقسم الصراع بين عبد الوهاب وبين خصومه الى مرحلتين الاولى ضد النكار والثانية ضد الواصلية ، وهو الامر الذي يتضمن في ثناياه أن يكون هناك فرق زمني معقول بين الصراعين .

النكار :

وكان سبب الصراع ضد النكار هو اغتيال « ولي العهد » ميمون بن عبد الوهاب الذي قتل غدرا بليل ، ومثل به قمزق لحمة اوبا خارج تاهرت (١٢٦) . ومع أن عبد الوهاب دفن ابنه دون أن يدري من قتله ، فإنه لم يلبث أن يتيقن أن النكار هم الذين قتلوه ، وذلك عندما مر ابن ليمون بهم ، وهو يسعى في بعض حاجاته ، فصاحوا به : « يا ابن المهذور دمه » . وهنا قرر عبد الوهاب الانتقام من قاتلي ولده فجهز جيشا أنفذه اليهم ، ولكن يتم الثار جعل قيادته الى واحد من أبناء القتل . وعلى بعد أيام من تاهرت التقى جيش عبد الوهاب بخصومه ، وهزمهم هزيمة مكررة حتى قيل انه عد من اسمه هارون ، وهو أقل الاسماء شيوعا بين القتلى ، فكانوا ٣٠٠ (ثلثمائة هارون) قتيلا (١٢٧) .

الواصلية :

أما عن الصراع ضد الواصلية فأتى بعد ما نزل بالنكار من الوهن والضعف ، مما يعنى أن جماعة الواصلية تختلف عن جماعة النكار ، وهو الامر الذي يشير اليه أبو زكريا عندما يعرف الواصلية بأنهم « قوم من الربير

(١٢٥) انظر ابن الصغير ، ص ٢٠ ، حيث يحمل حوارة ولواته في حيز تاهرت ، وهو الامر الذي لا يتفق مع واقع الحال وان كان الامر لا يمنع من وجود عشائر مهاجرة عن طرابلس الى تاهرت .

(١٢٦) انظر أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٨ - ب (الدرجيني ، المطبوع ، ص ٥٦) الذي يقول ان الامام حزع عندما وآه وقال . « أي بني احتشمت عليك ثلاثة أمثال للامة في قولهم : ويؤى لمن مرت الخيل بكساء . ويح لم أصيب بليل . وقال التسائل : اذا مسست ابن السلطان فامسه مسا عنيقا » . وعن ولاية ميمون العهد . انظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٢١ ، وانظر فيما سبق ، ص ٣٠٦ وه ٧٢ .

(١٢٧) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٨ - ب (الدرجيني ، المطبوع ، ص ٥٦) .

أكثرهم قبل زل زلته ، (١٢٨) . ويضيف الدرجيني الى ذلك أنهم كانوا يعيشون قريبا من تاهرت ، وأكثرهم أهل البادية (١٢٩) وأن عددهم كان - على أيام ميمون - نحو ثلاثين ألفا في بيوت كبيوت الاعراب يحملونها (١٣٠) ، مما يعني أن الحصومة حملت هذه المرة طابعا عرقيا شعوبيا وليس مذهبيا ، كما في حالة الكار . ويعطى أبو زكريا لخصومه الواصلية لونا سياسيا عندما يشير الى أنهم تحركوا « حين أحسوا ببعض الغربة في الاباضية ، وأرادوا أن ينتهزوا بعض الفرصة » (١٣١) . وواضح من النص أن زعماء الواصلية هؤلاء كانوا يحسنون الجدل في المسائل التي كانت موضع خلاف بين أهل المذهب ، مما جعل الكتاب ينسبونهم فعلا الى المعتزلة بعد أن كان اعتزالهم سياسيا بمعنى الانحياز عن مجتمع تاهرت والابتعاد عنه . فهذا ما تشير اليه الرواية التي تقول : أن ابن سيدهم كان فارسا مغوارا صعب المثال ، وأنه كان فيهم أيضا رجل مناظر يجيد فنون الكلام ، وكثيرا ما ناظر الامام : وكان شديد المعارضة حديد المعارضة ، مما يفهم منه أن عبد الوهاب لم يكن له طاقة به في هذا الفن (١٣٢) .

الاستعانة بنفوسة في الصراع ضد الواصلية :

وهكذا نفهم من قصة الفارس الواصلى المغوار وصاحبه المناظر الشديد المراس أن جماعة الواصلية كانت قد قويت من الناحيتين العسكرية والمذهبية ، وأن الأمر كان سينتهى بالصراع بينهم وبين امام تاهرت عندما اشتدت معارضتهم له . وتقول رواية أبى زكريا أن عبد الوهاب أنذرهم وأعذرهم قبل أن يلتاقهم في عدة معارك . ويفهم من الرواية التي تنص على أن الامام استنجد في آخر الأمر بقبائل جبل نفوسة أنه لقي منهم شدة . فقد طلب من نفوسة ، « أن يبعثوا له جيشا نجيبا يكون فيهم رجل عالم بفنون الرد على المخالفين ، ورجل عالم بفنون التفسير ، ورجل شجاع بطل يبارز الفتى المعتزلى الموصوف

(١٢٨) السيرة واخبار الأئمة ، المخطوط ، ص ١٩ - ١ (الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٦ ، المطبوع ، ص ٥٧) .

(١٢٩) الطلقات ، المخطوط ، ص ٢٦ - ١ (المطبوع ، ص ٥٧) .

(١٣٠) الطلقات ، المخطوط ، ص ٢٠ - ١ : المطبوع ، ص ٤٣ . وانظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٢١ .

(١٣١) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٩ - ١٠ .

(١٣٢) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٩ - ١ ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٦ - ١ : المطبوع ، ص ٥٧ .

بالشجاعة» (١٢٣) . واختار عامل عبد الوهاب على جبل نفوسة أربعة رجال
أرسلهم إلى عبد الوهاب ، وهم : مهدي الويفري الخير بنى المناظرة ، ومحمد
بن يانيس العابد الزاهد العالم بتفسير القرآن ، وأيوب بن العباس الفارس
الذي لا يشق له غبار . أما الرابع فاختلف في أمره فهو إما محمد أبو محمد
أو أبو الحسن الأيدلاني (١٢٤) .

ومع أن الامام الذي كان ينتظر عسكريا كثيفا من نفوسة ، حتى أنه
وعد من يبشره بوصولهم من عبيده بالحرية ، عجب من غير شك لوصول
الرجال الأربعة وحدهم ، فإن هؤلاء لم يلبثوا أن اكتسبوا ثقته في أنهم أكفاء
للقيام بالمهمة التي كان يرجوها من نفوسة . فبعد أن أنزلهم في دار الضيافة
وأجرى عليهم ما يلزمهم إلى أن استراحوا ، ناقشهم في أمر مواجهة الواسلية
في المناظرة والحرب . فعرف مهديا بأسلوب الفتى الواسلي المنتحل للمناظرة ،
وفهم مهدي كيف كان المعتزلى يزوغ عن الحجة ويحيد عن الجواب ، وكيف
كان يلبس على الامام ويسرق منه السؤال (١٢٥) . أما عن أيوب بن العباس
فقد أذهل القوم بقوته الأسطورية حتى أنه عندما أراد اختيار فارس من دار
الدواب في تاهرت لم تعجبه جميع الافراس التي كانت تكاد تقع بين يديه ،
عندما كان يجذبها (يجندها) محاولا احتبار قوتها . حتى انتهى به الأمر

(١٢٣) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٩ - ١ ، الدرجي ، المخطوط ص ٢٦ - ١ (المطبوع ،
ص ٥٧) ، التساحي ، ص ١٥٤ .
(١٢٤) أبو زكريا ، ص ١٩ - ١ الدرجي ، ص ٣٦ - ١ (المطبوع ، ص ٥٧ - ٥٨) .
وتقول الرواية ان الأربعة عندما خرجوا في هيئة السمر إلى تاهرت أسر محمد بن يانيس على
أن يكون حادما لهم ، فكان يجهز طعامهم ويعلف حيلهم ثم يقص قصة ليلا قائما يصل . وأنه
تمادى في ذلك رغم اعتراضهم عليه والحاحهم في أن يرفق بنفسه ، حتى أنه عندما أخبرهم
أنه لن يصل إلا ركعتين لم يسته مبهما إلا مع طلوع الفجر ، لأنه قرأ نصفًا من القرآن مسح
كل من الركعتين . وطلع أمر ابن يانيس من الاجتهاد في الصلاة ليلا حتى في الأيام الباردة
المشيرة إلى أن قالوا له : « ان كان لا يدخل الجنة الا من كان مثلك يا بن يانيس سبببك
فيها الوحشة » (وقارن الدرجي ، ص ٢٦ - ب ، ٢٧ - ١ ، المطبوع ، ص ٥٨ - ٥٩) .
(١٢٥) انظر أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٠ - ب وتضيف الرواية هنا أن مهديا كان
يترك أصحابه ويخرج لمناظرة المخالفين وأنه أعاد منهم إلى اللذبة تسعين عالما . أما عن سلمت
مهدي الذي أكل غداء وملائه ليلا وهو صبي لم يطبخ فكانت ثلاث إذا قدم إليه أى طعام
قضى منه حاجته ولا يسأل ، والثانية إذا أخذ فمرة من الليل اكتفى بها ولا يزال . والثالثة أنه
كان لا يخاف محالما على نفسه أن يغلبه في الحجة . وقارن الدرجي ، المخطوط ص ٢٧ - ١ ،
٢٧ - ب ، المطبوع ، ص ٥٩ - ٦٠ .

الى علاج فرسه الذى كان قد أصابه الحفا ، وذلك بالرمل المحمى الذى كانه
على الفرس أن يطاة بحوافره لمدة ثلاثة أيام (١٣٦) .

مناظرة حربية تنتهى بهزيمة الواصلية :

وهكذا عندما استعد الامام عبد الوهاب ، ضرب الموعد لخصومه
الواصلية بعد ثلاثة أيام حيث خرج بعسكره ومعه جماعة نفوسة الأربعة .
وتم اللقاء العجيب بين الأخوة المنشقين ، ودعا عبد الوهاب الواصلية الى الحق
وأعذرهم ، ولكنهم طلبوا المناظرة . وهنا صف كل من الطرفين صفوفه ،
وكان على المتناظرين أن يتباريا بين الصفيين ، ومع كل منهما وجوه أصحابه .
وخرج الفتى المناظر من المعتزلة ، وخرج اليه مهدي الذى قدمه محمد بن يائيس .
وأحسن الفتى المعتزلى بشبح الهزيمة أمام مهدي وعرض عليه أن يستر كل
منهما على صاحبه اذا تمت له الغلبة . ومع أن مهديا وافق على ذلك الا أنه
قال لأصحابه أن علامة انتصاره على المعتزلى أن ينزع شاشيته عن رأسه ، ويضعها
تحت ركبته .

وهكذا بدأ الجدل الفقهي بسيطا معيوبا من الحاضرين ، « فلم يفلح
منهم أحد على صاحبه ، ثم أنهما دخلا فى فنون العلم ، فخفى ذلك عن
حضرهما » ، دون الامام بطبيعة الحال . ولو أن الجدل بين العملاقين العالمين
لم يلبث أن صار غير مفهوم من الجميع ، فكانه « الصفق بين الحجرين » .
وعلى حين فجأة نزع مهدي شاشيته من على رأسه ، فكان ذلك علامة انتصاره ،
فعلا التكبير والتهليل فى صفوف الوهيبية (١٣٧) .

وكان على المبارزة أن تبدأ بعد المناظرة ، فخرج الفارس المعتزلى المعروف
بالشجاعة وخرج أيوب بن العباس للقاءه . ولم تكن الا حولة بالخيول أو
بعض جولة حتى حمل أيوب على خصمه فقتله بسيفه القصير ذى الحد
الواحد أو سلكه فى رمحه ، فكانت تلك اشارة ببدء المعركة الحامية الوطيس .
وكان بطلا تلك الملحمة : أفلح بن الامام الذى صار يضرب فى ناحية ، وأيوب

(١٣٦) أبو زكريا . المخطوط . ص ٢١ - ١ . وقارن الدرجينى ، المخطوط ص ٢٧ - ب
(المطبوع . ص ٦٠ - ٦١) .

(١٣٧) أبو زكريا . المخطوط . ص ٢١ - ب . هذا . سيما احتج الفتى المعتزلى على مهدي
وقال له عدسى بامهدي وقارن الدرجينى . المخطوط . ص ٢٧ - ب ، المطبوع . ص ٦١
(حيث الغلطة على رأس مهدي بدلا من الشاشية) .

ابن العباس الذي كان يضرب في الناحية الاخرى . واثبتت الحركة الدامية
بهيمنة الواسلية بعد أن بقي معظمهم مجندلين في ميدان القتال (١٢٨) .

وبذلك يكون الامام عبدالوهاب قد كسر شوكة خصومه المذهبيين في
الجزائر تاهرت . وعن هذا الطريق تصح مقالة ابن الصغير من أنه « انتقل من
حال الامامة الى حال الملك » .

مقدمات الانشقاق الثاني :

اضطراب منطقة طرابلس :

وتبدأ حال الملك السياسية بالافتراق الثاني بين الاباضية ، وذلك
في الجناح الشرقي من الامامة ، في منطقة طرابلس حيث يبدأ الصراع مع
قبائل هواره ، كما يقول ابن الصغير ، وهو الامر الذي تؤيده رواية أبي زكريا
التي تمهد للانشقاق بحصار مدينة طرابلس التي كانت تابعة للأغالبة . وإذا
كانت الرواية الاباضية تقول ان عبد الوهاب عندما اتخذ طريق المشرق كان
يقصد الحج ، فإنه مما يشكك فيها أنها تشبه الرواية الأغلبية الخاصة بالأمير
ابراهيم بن أحمد ، عندما ترك الامارة وسار للجهاد في صقلية (١٢٩) فقبل.
انه كان يقصد الحج . فعندما وصل الامام الى جبل نفوسة رفض أهل الجبل
أن يتركوه يواصل طريقه خشية المسودة « فتعطل أمور المسلمين وحدود
الله » . ومما يؤيد الشك في أمر الحج أن اقامة الامام عبد الوهاب في جبل
نفوسة (في بني زمر) التي طالت الى سبع سنوات ، لا يكفي لتفسير طول
أمدما أنه كان ينتظر وصول الفتوى من علماء المذهب في مكة - وهم : أبو عمرو

(١٣٨) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٢ - ١ : حيث يقول ان عدد من قتلهم أفلح ثاد
ولمدا فقط من عدد من قتلهم أيوب . كما أن أيوبا ضرب بسيفه عمودا وهو يظنه رجلا فصار
السود صعب . وترى الرواية الاباضية ان الواسلية أرادوا القدر بأيوب بعد يومين فدعوه
هزار اليهم فلم يصح الناصحين له نالا يفعل . ومضى الى الواسلية ظهر أيوب بمطر الرجل
والخارق ، كما يقال الآن ، مهر يأكل قصعة الثريد والشاة التي عليها حتى عظامها ، ويشرب
وطلب اللبن كله ثم يقضى ليله مكتئا يقرأ القرآن ، ويصل الصبح يوضوء العشاء الآخرة .
وعند طلوع الشمس يلعب فتبان الحي على الخيل ، وعندما حاول البعض انتهاز الفرصة فشق
على أيوب بالرمح كان يصيبه القتل مع سبعة من أصحابه ، ولم يتوقف أيوب عن القتل الا
عندما صاحبت به ساء الحي برجونه الكف . وفي طريق عودته الى تامرت قطع أرجل سبع
ولجزة ويتأذى من يربيد اكل اللحم من أهل الوادي من الربر ، فاكل من ياكل الكرو (وقارن
الدرجيس ، المطبوع ، ص ٦٢ - حيث : شكك بالرمح واحتله كالجرادة بدلا من سلكه في
الرمح) .

(١٣٩٦) الخطير فينا سبق ، ص ١٤٩ .

والربيع بن حبيب - وابن عباد - بأنه يمكنه بعث مال ليحج به من ينوب عنه ، وبأنه « ليس عليه حج لأن أمان الطرق من الشروط التي يجب بها الحج على من استطاعه » (١٤٠) ، والحقيقة أن خصوم الامام عبد الوهاب في منطقة طرابلس كانوا يسببون له المتاعب ، منذ أن لجأ الى هناك شعيب المصرى حليف يزيد بن فندين بعد مقتل هذا الأخير ، كما رأينا (١٤١) .

الحرب مع هوارنة :

ومع أن رواية ابن الصغير عن الافتراء الثاني لا تتعلق بهذا الانشقاق مباشرة فانها تصلح كمقدمة منطقية له رغم ما يكسبها من الأخطاء مثل اقامة هواره ولواته في حيز تاهرت . فالذى يفهم منها أن مصاهرة كادت تتم بين بعض مقدمى قبائل هواره من بنى مسالة الذين يعرفون بالأوس ، وبين بعض زعماء قبائل لواته ، عندما خطب الأول ابنة الثانى التي عرفت بحسنها وجمالها ، وأن بعض المقربين من الامام عبد الوهاب حذره من مغبة تلك المصاهرة أو ذلك الحلف ، مما دعا عبد الوهاب الى خطبة الصبية الهوارية الجميلة لنفسه . وكان من الطبيعى أن يفضض مقدم الأوس ، وخاصة عندما مشيت السمعة بين الفريقين ، مما أدى الى الحرب واغارة هوارنة على أعوان عبد الوهاب ، قرب نهر يقال له نهر أبى سعد الله .

والذى يفهم من الرواية أيضا أن المسألة كان يمكن أن تنتهى عند هذا الحد ، لولا ما قيل من أن هوارنة أخلت بمبادئ المذهب ، عندما سمح بعض رجالها بأخذ خاتم من أصبح قتيل فى تلك المعركة رغم أنه لم يسلب : فلم ينزعوا له ثوبا ولا أخذوا له فرسا ولا سرحا ولا نجما . ادلسا عرف الامام أن هوارنة قد استحلوا الاموال أعدت للقتالهم ، فخرج اليهم فى ألف فرس أبلق وحشود من العسكر لا يعلم عددها الا الله ، وكانت نفوسة تمثل جزءا كبيرا منهم ، مما يؤيد أن اللقاء كان غير بعيد من جبل نفوسة ، ان لم يكن قد وقع فى الجبل نفسه .

وتم اللقاء بين الامام وبين بنى أوس وهوارنة ومن معهم من القبائل على مجرى نهر جاف يقال له أسلان ، وانتهى القتال العظيم ، الذى ثبت فيه

(١٤٠) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٣ - ٢٢ ، ب ، وقارن الدجيني ، المطبوع ، ص ٦٥ - ٦٦ (حيث الاشارة الى الاخوان فى المشرق ، والمقيم فى ذلك العصر : أبو الترييح حبيب ، وابن عباد المصرى) ، السامى ، ص ١٥٩ .
(١٤١) انظر فيه ، سبق ، ص ٢٢٣ .

الناس : « لا يولى بعضهم لبعض الدبر حتى سال الوادى ذلك اليوم دما » ،
بانهمزام الهواريين ، ولكن بعد أن هلك خلق كثير ، وان « كان القتل فى
هوازء أفضح وأشع » . واثبت أفلح بن عبد الوهاب من حديد بطولة نادرة
فى المعركة ، فكان يجول فى ميدان القتال ذات اليمين وذات اليسار وفى
القلب ، مما لفت نظر عبد الوهاب الذى كان جالسا فى محمل والى جابه
رجل من نفوسه ، وهو يدير المعركة بحماس أثار الفزع فى قلب عديسلة
الموصى . ولو أن الرواية تعود لتقول أن عبد الوهاب هو الذى مضى جميع
القوم بكتيسته .

وهكذا انتهت الواقعة بأهرام هوزاء الى حل ببجان (ابكجان ؟) ،
وبترشيح أفلح بن عبد الوهاب لولاه عهد امامة تاهرت بعد والده « قانقطع
إليه المنقطعون ودارت اليه الحوائج والمطاء من تحت يديه . » (١٤٢) .

عبد الوهاب فى جبل نفوسة وحصار طرابلس :

والظاهر أن توتر الأحوال فى منطقة طرابلس هى التى جعلت الامام
عبد الوهاب يقيم فى جبل نفوسة ، وهو أحد مواطن الدعوة الرئيسية ، تلك
الاقامة التى طالت الى سبع سنوات كما تقول الرواية . وعندما استقرت
الأمور فى الاقليم رنا عبد الوهاب بانظاره نحو مدينة طرابلس العاصمة نفسها ،
على أمل انتزاعها من الأغالية . ولا نعرف أن كان يمكن الربط بين أحداث
بلاد الراب حيث قام الصراع بين الأغالية وبين القبائل الإباضية هناك ، وبين
محاولة عبد الوهاب الاستيلاء على طرابلس أم لا . والمهم أن عبد الوهاب سار
لحصار المدينة ، كما يقول أبو زكريا ، ومعه أهل الاقاليم المتاخمة لها وأهل
جبل نفوسة وعامة من يجبالهم . وأنه دار مع أهل المدينة ومن معهم من الجند
الأغلبى قتال شديد ، « استشهد » فيه عابد جبل نفوسة وزاهداه مهدي (١٤٢)
الذى قال فيه ابن خالته ، عندما تخاصما فى حضرة عبد الوهاب انه اشتغل
بآخرفته حتى أضر بدنياه .

وهذه الشهادة هى التى أقرها الامام أثناء اقامته تلك بجبل نفوسة ،
عندما لحا فى يوم مطر وقر الى دار مهدي فلم يجد فيه شيئا مما أشعره فعلا

(١٤٢) ابن الصغير ، ص ٢٠ - ٢٣ .

(١٤٣) أبو زكريا ، ص ٢٣ - ب (الذى كان وجهه يعبس أو ينبس وهو قتيل عندما

يسمع حرم الموصى أو حزم المسودة) .

بالضرر ، بينما وجد في دار ابن حالة مهدي المتروفة ما كان يلزمه من الثياب
المنظيفة ، والعرش والطعام ، فضلا عن النار التي بعثت الدفء في اوصال
الجماعة ، وهذا ما جعل الامام يرجع في حكمه ، ويقيم الحجة لابر حالة
مهدي (١٤٤) . وهذا يعنى تطور في افكار الاباضية نحو التحفيف من التزم
في مسائل الزهد ، والتسامح التدريجي في مسائل الدنيا وما يتعلق بها من
المعاملات ، حتى انتهى الامر بأن اصبح « الرخص » سنة من سمات فقههم .

ازمة علم ثقة بين عبد الوهاب وآتباعه :

والغريب في الامر أن ابن الصغير لا يذكر شيئا عن حصار عبد الوهاب
لطرابلس ، بينما لا يعرف أبو ركريا الاتعاقية السياسية التي انتهت بها
حرب طرابلس مع الأغالبة في سنة ١٩٦ هـ / ٨١٢ م ، وذلك باعتراف عبد الله
ابن ابراهيم بن الاغلب بالسيادة للاباضية على الاقاليم السداحلية من
طرابلس (١٤٥) ، وان كان ما يقوله بشأن تلك الحرب يمكن أن يكون إضافة
الى ما تسجله الحوليات الافريقية . فأبو زكريا يشير الى أنه حدث نوع من عدم
الثقة بين الامام عبد الوهاب وآتباعه بلغ حد أنه ، عندما كان يتناجى معهم
عن حرب الأغالبة (كيد العدو) كان يخرج سرهم رغم ما اتخذ من الاحتياطات
التي انتهت بتقليل عدد من كان يتناجى معهم ، حتى ارتاب في الامر هو ووزيره
ابن عمران الذي لم يعد يتناجى مع أحد سواه . وحتى قال عبد الوهاب انه
لا يستطيع أن يحاصر طرابلس برجل واحد ، فعاد أدراجه الى حسل
نفوسه ، « وقد آيس (يأس) من فتح المدينة » ، رغم حلمه واحتماله وصبره .
وفي الجبل أقام عبد الوهاب لبعض الوقت وهو ينشر العلم بين أهله ويحكم
بين المتخاصمين من أهل المذهب (١٤٦) .

والذى يفهم من الروايات الاباضية أن الامام عبد الوهاب كان يقيم
في جبل نفوسة في منطقة بنى زمور حيث عرف الجبل هناك باسمهم ، وحيث
كان للامام مصلى في قرية تلالت (١٤٧) . وأثناء مقام الامام عبد الوهاب هناك

(١٤٤) أبو زكريا ، ص ٢٢ - ١ .

(١٤٥) انظر فيما سبق ، ص ٤٠ وهاشم ٦١ .

(١٤٦) أبو زكريا ، ص ٢٢ - ب .

(١٤٧) وكان في المكان الذى يصل فيه ملاحه يتكره عليها ويبلغ ارتفاعها الى اوتلاع
أسه وهو جالس . وكانت على امام أبو زكريا « تلغ للواقف الى الصدر » ، مما يعنى عظم
نامة عبد الوهاب . السير وأخبار الأئمة ، المخطوط ، ص ٢٢ - ب . أما بنى زمور فهي
مسخة لى شكل دمر . وقارن الشماشي ، السير ، ص ١٥٩ .

استعمل رجلا على المنطقة يقال له مدرار (١٤٨) •

الخلفية : الانشقاق الثاني :

وبسبب الولاية على حيز طرابلس ، وهل يجب أن يستمع الامام الى رغبة أهل المنطقة في اختيار واليهم ، أم أنه صاحب الحق المطلق في تولية من يشاء وحجب ولاية من يشاء ، مما يذكر بمسألة الشرط التي كان يطالب بها يزيد بن فنديس ، كان الانشقاق الثاني أو الافتراق بين اباضية الرستمين •

السمح بن ابي الخطاب : وولاية طرابلس :

فعندما قرر عبد الوهاب العودة الى تاهرت طلب اليه أهل حيز طرابلس ان يولي عليهم ابا عبد الأعلى السمع بن ابي الخطاب عبد الأعلى • وتظهر رواية ابي زكريا أن عبد الوهاب لم يكن راضيا عن ذلك ، ولكن على أساس أن السمع وزيره ، وأحب الناس اليه وأنصحهم له ، وأنه لكل ذلك لا يجب مفارقتها • وأمّام الحاج الناس وافق عبد الوهاب على تولية السمع على حيز طرابلس التي نزل أن يعنى المنطقة الواقعة بين المدينة وبين جبل نفوسة ، على أساس أنه آثرهم على نفسه (١٤٩) • وأحسن السمع السيرة في رعيته وفرق أعوانه في أرجاء البلاد ، وهو مقر بامامة عبد الوهاب ، ناصح له الى أن مرض مرضه الذي مات فيه • واجتمع أعيان أهل الاقليم يطلبون اليه النصية ، فأوصاهم ، كما يقول أبو زكريا ، بتقوى الله واتباع أمر الامام عبد الوهاب وطاعته • ما دام مستقيما على الحق الذي عليه سلفكم وجهاد من خالفكم •

خلف بن السمع ، وولاية طرابلس :

ولكنه عندما توفي السمع كان لموته صدى عظيم في نفوس الناس الذين أحبوه وعظموه حتى أنهم ائتمروا بأمر العامة من الناس • ممن ليس له بصيرة ، بأمور الدين ولا علم بأمور المسلمين • : فولوا على أنفسهم ابنه ، وهو : خلف ابن السمع (١٥٠) • ونحن لا ندرى أن كان خلف هو اسمه الحقيقي أم أنه اسم تجريح أطلقه عليه الكتاب من خصومه ، كما سيطلقون عليه لقب الخبيث

(١٤٨) أبو زكريا ، ص ٢٣ - ١ •

(١٤٩) أبو زكريا ، ص ٢٤ - ب وقارن الدجيني ، المطبوع ، ص ٦٧ ، الانشقاق

ص ١٦٢ •

(١٥٠) أبو زكريا ، ص ٢٤ - ب •

ابن انطيب (١٥١) ، تماما كما فعل أهل السنة بمحمد بن أبي بكر الذي اتهم في مقتل عثمان ، وكما فعل كتاب الامويين بانان بن عثمان عندما اتهم في قتله ابن الزبير .

ورغم اعتراض علماء المذهب مثل : أبي المنيب اسماعيل بن دراز والغدامسي ، وأبو الحسن أيوب عامل الامام علي جيل نفوسة ، على هذا الاجراء ولعنتهم الانظار الى أنه لا يجوز أن يسبقوا امامهم الى شيء من أمورهم ، رد الرأعيون في تولية خلف بأنه اذا لم يرض الامام عنه عزلوه . وبعد أن أعلنوا ولايته حلف عليهم كبوا بذلك الى الامام .

عبد الوهاب لا يوافق على ولاية خلف :

وكان رد عبد الوهاب الذي يحمل في كتابه لقب أمير المؤمنين (١٥٢) على أهل حيز طرابلس ان من ولي خلفا بغير رضا امامه فقد أخطأ سيرة المسلمين . وان من أبي توليته فقد أصاب ، ثم انه أقر كل العمال الذين استعملهم السمع الا خلف بن السمع الى أن يأتيه أمره ، كما أمرهم بالتوبة من هذا العمل . وتمسك أنصار خلف به وراجعوا عبد الوهاب فيما كتب به اليهم ، وطلبوا اليه أن يستجيب لرغبتهم في تولية خلف . ورفض الامام ذلك مستندا الى أنه لا يسعه ذلك فيما بينه وبين ربه ، وطلب اليهم من جديد أن يتوبوا ، كما أرسل كتابا خاصا الى خلف يعرفه فيه بأنه حرام على من يقدم اليه صدقات ماله أن يفعل ذلك ، وأنه حرام عليه أن يأخذها ، وأمره بأن يعزل أمور المسلمين .

خلف يرفض الاعتزال :

ولم يكن من الغريب أن يرفض خلف ، وهو حفيد الامام الأول أبي الخطاب الاعتزال ، وأن يعتز ويأبى ويستكبر ، في الوقت الذي تصادى الجهال في توليته ، بينما تركه المسلمون في غيه وزيفه ، كما يقول أبو زكريا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين (١٥٣) .

(١٥١) أبو زكريا ، ص ٢٥ - ب (الدويجي ، المخطوط ، ص ٢١ - ب ، المطبوع ، ص ٧٠) -

(١٥٢) أبو زكريا ص ٢٤ - ب .

(١٥٣) السيرة وأشجار الأئمة ، المخطوط ، ص ٢٥ - ب . وتقول الرواية ان الامام عبد الوهاب كتب كتابين الى خاصة حير طرابلس أحدهما فيه عزل خلف والثاني فيه تعيينه =

- ٣٣٥ -

استفتاء علماء المشرق والاحتجاج بالاستقلال :

وكما جرت العادة من قبل ، بعث المخالفون لعبد الوهاب كتابا إلى غشايخ المذهب في المشرق وكان رأسهم في ذلك الوقت هو أبو سفيان محبوب ابن الرحيل (١٥٤) .

ورغم أن ابن الرحيل كتب اليهم يخطئ من لم يوافق عبد الوهاب ويحضهم على طاعة الامام ، فانهم صرفوا النظر عن جوابه الذي لم يصادف هواهم ، وأعلنوا أن عبد الوهاب ليس امامهم ، واعتلوا بأنهم يسكنون في اقليم منقطع عن بلاده ، مما يسمح لهم بأن يكون لهم امامهم الخاص ، وهو خلف بن السمح . وعلى هذه المسألة وعد أبو زكريا بأن يرد في كتاب خاص يكرسه لافتراق الاباضية ، ولكن الظروف لم تمكنه من ذلك على ما نفيه من الدرجيني (١٥٥) . وكان ذلك يعنى اعلان استقلال اباضية حيز طرابلس الذي كان تابعا لجبل نفوسة عن امامة تاهرت ، وقبل ذلك عن ولاية جبل نفوسة ، وعلان امامة خلف .

أبو عبيدة عبد الحميد الجناوي واليا لجبل نفوسة : والنزاع بين اباضية طرابلس واباضية نفوسة :

توفي عامل جبل نفوسة أبو الحسن أيوب الذي كان مناهضا لخلف ابن السمح ، وأرسل أهل الدعوة في الجبل إلى عبد الوهاب يطلبون تولية عامل جديد عليهم ، حسبما كانت تقضى تقاليد الجماعة والمحافظة على

= واليا اذا قل كتاب المرل الاول ولم تكن له رغبة في الأمور ، وان خلفا رفض كتاب المرل فتركه الخاصة من أهل طرابلس في حية الى أن يحكم الله بينه وبين الامام (وقارن الدرجيني ، المطبوع ، ص ٦٩) -

(١٥٤) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٥ ، ١ - ٢٥ - ب حيث يعتبره تابعا لطبعة الربيع ابن حبيب ، وأبي هسان بن مخلد بن المرد ، وأبي المهاجر ، وأبي أيوب وأهل -

(١٥٥) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٥ - ب : حيث يقول أنهم فعلوا ذلك من غير حجة وانه لم يكن بينهم مسائل الا الاقرار بامامة عبد الوهاب - رضى الله عنه . وقارن الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢١ - ب ، ٢٢ - أ (المطبوع ، ص ٤٧ - ٤٨) :

حيث يذكر أن الشيخ استاعيل بن صالح سأل الشيخ أبا لروح بن يوسف عن الكتاب الذي وعد به الشيخ أبو زكريا ، فرد عليه بأن الذي قام به عنه هو الشيخ أبو صابر عبد الكافي وهو الكتاب الموجز . وعن اعلان امامة خلف ، قارن الشماخي . ص ١٨١ حيث يقول : « واعتلوا بأن حوزة طرابلس منقطعة عن حوزة تيهرت ومعدة منها » -

الشكليات . وقد أرسل الامام بدوره الى قادة أهل الدعوة يطلب اليهم ترشيح من يرضون عنه من أفاضلهم وأولادهم بإدارة أمور المسلمين ، ووقع الاختيار على أبي عبيدة عبد الحميد الجناوى ، وهو رجل من ناحية ايجاوز عرف بالصلاح والتقوى والعفاف والزهد فى طلب الدنيا وتولى المناصب .

وهكذا فعندما عرضوا الولاية على أبي عبيدة ، قال : « أنا ضعيف لست أقدر على القيام بأمور المسلمين » . وكان زهد أبي عبيدة فى الولاية سببا فى تشبث الامام عبد الوهاب - الذى كان يميل الى من ليست لهم رغبة فى الولاية ، وهو الرأى المعروف عند كثير من الفقهاء المسلمين وقتئذ - به . وفى ذلك يقول أبو زكريا : ان الامام عبد الوهاب حلف لهم بالعربية والبربرية ، وبالحضرية ، وبالحنسية : انه لا يقلد أمور المسلمين الا رجلا يقول « أنا ضعيف » (١٥٦) .

واذا صح هذا الأمر فان مجتمع الاباضية فى تاهرت يكون مؤلفا فى ذلك الوقت من العرب والبربر والسودان ، من أهل البادية ومن أهل الحضر أيضا . وهكذا لا يكون « الضعف » فى الفكر السياسى الاباضى مانعا من تقلد الولاية . ففى رأى عبد الوهاب أن الشخص المرشح لتقلد مصالح المسلمين يمكن أن يكون ضعيفا من ثلاثة أوجه : ضعف البدن ، أو قلة العلم ، أو الفقر فى المال ، مما يعنى بطريقة عكسية ، أن شروط الولاية هى : صحة البدن وكثرة العلم ووفرة المال . وفيما يتعلق بأبي عبيدة عبد الحميد قال الامام : انه ان كان ضعيف البدن قواه الله بالدخول فى أمور المسلمين ، وان كان ضعيفا فى العلم فعليه بالاستعانة بأبي زكريا يصلتن التوكيتى أوحد أهل الجبل فى العلم والفضل ، وفيما يتعلق بالفقر ، لو كان ، فيمكنه الاستغناء ببنت مال المسلمين (١٥٧) .

وهكذا ولى أبو عبيدة عبد الحميد على جبل نفوسة وأحسن السيرة (١٥٨)

. (١٥٦) أبو زكريا ، ص ٣٦ - ١ . الدرجينى . ص ٣٦ - ب (المطبوع ، ص ٧٦) . وقارن الشاشى ، ص ١٨٢ .

(١٥٧) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٦ - ١ . وقارن الدرجينى ، المخطوط ، ص ٣٢ - ١ . المطبوع ، ص ٧٦ ، الذى يقول من ضعف البدن ان « الحق » يعزبه ، ويسمى أبا زكريا بالالومى .

(١٥٨) أبو زكريا ، ص ٣٦ - ١ : حيث تأخذ الرواية طابعا قصصيا لتقول انه لم يقبل الا بعد أن استشار عسوزا معروفه بالصلاح والورع والتقوى ، وبعد أن حددته بتفسيخ عظامه فى جهنم اذا لم يقبل . وقارن الدرجينى ، ص ٣٦ - ب (المطبوع ، ص ٧٦) .

بفضل من كان حوله من علماء الجبل وفضلائه وزهاده ، مثل أبي زكريا النقي
قيل فيه « الجبل هو أبو زكريا ، وأبو زكريا هو الجبل » ، وأبي مرداس
العابد الزاهد الذي اشتغل بأمر آخرته حتى أصبح أمر دنياه ، وأبي العباس (١٥٩) .

معارضة خلف لولاية عبد الحميد :

وعندما علم سيف بن التمسح بتولية أبي عبيدة عبد الحميد أخذته
العزة بالاثم واستكبر ، كما يقول أبو زكريا ، وعمل على أن يفرض أمر
ولايته الواقع « فندس الفارات واللصوص على أهل الدعوة » - دعوة المسلمين .
من رعية أبي عبيدة (١٦٠) . ورد أبو عبيدة على استفزات أفلح بطلب
الكف عن اذية المسلمين ، والاكتفاء بكون الخلاف نظرياً أو تركه على مستواه
القانوني . ولكنه أمام أصرار خلف على أعماله العدائية أرسل يطلب الاذن
من تاهرت بمناجزته . وكان رد الامام عبد الوهاب أن يستخلم أبو عبيدة
المدارة والملاطفة مع خلف والا يحاربه الا حرب دفاع عن النفس والمال .
وهكذا كانت أوضاع امامة تاهرت وعلاقتها بجبل نفوسه وحيز طرابلس .
عندما توفي الامام عبد الوهاب في سنة (١٩٨ هـ) .

عهد أفلح بن عبد الوهاب (بن عبد الرحمن بن رستم) (١٩٨ - ٢٤٧ هـ /
٧٨٤ - ٨٦١ م) :

صفات الامام الجديد : الشجاعة والعلم :

كان من الطبيعي أن تؤول الخلافة ، كما يقول ابن الصغير ، الى أفلح بن
عبد الوهاب ، بعد وفاة والده الذي كان قد رشحه للامارة - فلقد كان أفلح
مؤهلاً لولاية امامة تاهرت ، لما عرف عنه من الشجاعة التي أظهرها في أكثر
من لقاء مع الخصوم ، والعلم الذي نبغ فيه وهو بعد شاب يافع ، حتى قيل :
« انه قعد بين يديه أربع حلق يتعلمون عنده فنون العلم قبل أن يبلغ
العلم » (١٦١) .

(١٥٩) أبو زكريا ، ص ٢٦ - ١ ، ٢٦ - ب أما عن تاهرت ، كما قال أهل المتنق لم
يكن يعد فيها إلا الامام عبد الوهاب ووزيره مزور بن هيران -
(١٦٠) أبو زكريا ، ص ٢٦ - ب (الدرجيني ، المخطوط ، ص ٣٠ - ب ، المطبوع ،
ص ٧١) .
(١٦١) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٩ - ١ ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٣٤ - ٩ -
(المطبوع ، ص ٧٧) . وقال جانب علوم الدين قبل ١١٩٠ وكذلك أخته بلقاء في حساب القبار
والجماعة سلفاً عظيماً حتى أنه كان يعرف عدد ما سيذبح في السوق من البقر في اليوم التالي .

وهكذا وجد رؤساء الجماعة الإباضية بتاهرت في ولى عهد الامام عبد الوهاب اهم صفين لارمتين للامام ، وهما الشجاعة اللازمة للامام في وقت الخوف من الاعداء الذين تدانوا من تاهرت طمعا في الاستيلاء عليها (١٦٢) ، وما يتبعها من العزم والحزم (١٦٣) ، ثم العلم اللازم لمعالجة الخصوم المذهبيين بعد أن أخذت الانشقاقات تدب بين أبناء أهل الدعوة ، مما تطلب مناجزتهم بالمناظرات قبل السيوف . وهكذا حدا فقهاء الإباضية حذو مشرعي أهل السنة الذين يشترطون في اختيار الامام : العلم وقت السلم والشجاعة وقت الحرب (١٦٤) ، وان كان الإباضية يصرون على خصلة التواضع وضرورة المشورة فيمن يلى أمور الجماعة ، من الامام الى أعوانه (١٦٥) .

والمعلومات الخاصة بامامة أفلح ابن عبد الوهاب تنقسم ، كما يبدو لنا في المصادر الاناصية الى قسمين : أحدهما خاص بأحداث تاهرت ، وهذه توجد في كتاب ابن الصغير ومن نقل عنه ، والآخر خاص بأحوال جبل نفوسة وحيز طرابلس ، وتلك توجد في كتاب أبي زكريا ومن أخذ عنه . ولكنه مما يؤسف له أن عهد أفلح الذي طال الى حوالي ٥٠ سنة أو يزيد (١٦٦) ، كان من المفروض أن تعج بالأخبار التاريخية الهامة ، لا يظهر لنا في كتب أهل المذهب الا في شكل السيرة المنقبية المعتادة ، دون تواريخ الوقائع أو علامات مميزة تبين العلاقات الرسمية بين الأحداث المتوالية بطريقة عفوية من غير ضابط وقنى أو رابط .

= بل وانه كان يعرف أنه ستدبح بكرة صفراء في ملطها عجل له عزة في جيبته . وان أخته كانت تستطيع أن تصحح له ذلك فتعرفه ان ما تروعه غرة في جيب العجل الذي لم يولد بعد ، انما هو طرف ذنب الأبيض الذي انقلب على جيبته .
(١٦٢) الدرجيني ، ص ٣٢ - ب (المطبوع ، ص ٧٢) ، وأطر الشماخي ، السير ، ص ١٩٢ .

(١٦٣) ابن الصغير ، ص ٣٣ .

(١٦٤) أنظر الماوردي ، الفصل الحامس بمقد الامامة .

(١٦٥) أطر الشماخي (ص ١٩٢) الذي ينقل عن ابن الصغير روايت لا نجدها في حلبة موتيلينسكي من كيفية امتحان نفوسة لأفلح وثبوت تواضعه لهم . فقد كان يحل لهم المصباح يستضيئون به وهم ياكلون ليلًا ، وعندما أعطوه لمة من الطعام جعل المصباح على مركبته فآخذها بيديه مع كالمملوك .

(١٦٦) أنظر ابن الصغير ، أخبار الأئمة ص ٢٦ (٥٠ سنة) ، وقاوان أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٣١ - ب (٦٠ سنة - والدرجيني ، المطبوع ، ص ٨٢) .

تاهرت على عهد افلح :

ويلخص ابن الصغير عهد افلح الطويل فيقول انه تميز بسياسة الأخذ بالعرف والحرم فطار صيته واستقرت أمور دولته ودان له الجميع : من أهل المذهب ، ومن الخارجين عليهم من الشراة الذين لم يطعنوا عليه في شيء من أحواله ، ولا في صدقاته ولا في أعشاره (١٦٧) ، فكانت النتيجة الطبيعية لذلك ، هي : ازدهار تاهرت ، ذلك الازدهار الذي نسبته نفس الكتاب إلى عهد المدينة الأول أيام عبد الرحمن بن رستم .

رضاء « الشراة » عن افلح الذي كان يشاورهم في الأمر :

أما عن رضاء الإباضية الذين يسميهم ابن الصغير بالشراة عن إمامة افلح ، فقد أتت نتيجة سياسته المتزنة التي لم تنكر عليهم المشاركة بالرأي في تدبير أمورهم . فلقد بدأ « الشراة » بامتحانه عندما توفي قاض من قضاة والده عبد الوهاب ، فسألوه أن يولى عليهم قاضيا يستحق القضاء ، فطلب اليهم أن يتفقوا على من يريدون من بين خيارهم وأنه سيعينه ، ويماضه في إتيانهم بأمره .

اختيارهم لمحكم الهواري قاضيا :

ولم يجد « الشراة » بينهم من يستحق القضاء ، بل وقع اختيارهم على أحد مشاهير أهل الورع والدين ، وهو محكم الهواري الساكن بعيدا بجبل أوراس (١٦٨) . وعندما أخبروا الإمام افلح بذلك لفت نظرهم إلى أن الرجل « نشأ في بادية ، ولا يعرف لدى القدر قدره ، ولا لدى الشرف شرفه » . وإمام تمسك الجماعة برأيهم وافق افلح ، وخاصة أن أخاه أبا العباس كان من أشد المحبذين لولاية محكم .

وظهرت مشاركة الجماعة في تدبير أمورهم عندما « خرجت الرسل بكتاب من افلح وكتاب من « الشراة » إلى محكم ، في داخل كل كتاب منهما ، بعد اثبات بسم الله العظيم : » أما بعد فقد نزل بالمسلمين أمر لا غنى بهم عن حضورك ، وهم منتظرون لقدمك ولا يسمعك التخلّف فيما بينك وبين الله عن اللّجوق بهم والاجتماع معهم ليجتمع رأيك ورأيهم على ما فيه صلاح

(١٦٧) ابن الصغير ، أخبار الأئمة ، ص ٢٣ .

(١٦٨) ابن الصغير ، ص ٢٣ .

المسلمين» (١٦٩) •

بدوى بين مرفهين ، لا يفرق بين المتخاصمين :

وأخذ محكم كساء وعصاه ، وركب دابته متجهاً نحو البلدة (تاهرت) حيث نزل في المسجد الجامع • وأتى القوم اليه وسألوه أن يقبل القضاء والا كان مستولاً عما يحدث من الفتن وازدحام الدماء ، بل انهم ابتغوا ذلك بالتهديد بأنهم سيجبرونه على تقلد المنصب ، وأن الأولى به أن يقبل حتى يكون جزاءه للشكر منهم • وأمام الحاحهم قبل الرجل البدوى الخشن ولاية القضاء بعد أن حذرهم ، من : « ان الحق مر أمر من الدواء ، ولا يشرب الدواء إلا كرها » ، وبعد أن عرفهم بأنهم مرفهون أبناء نعم ، وإن غيره ربما كان أحب اليهم منه (١٧٠) • وهكذا انزل القوم محكما الهوارى في دار القضاء ، واشتروا له خادماً صغيراً ، وأجروا عليه من بيت المال قوته (١٧١) •

وسار محكم في قضائه السيرة التي أملوها منه فلم يفرق في أحكامه بين غنى وفقير أو شريف ووضيع • فعندما تنازع أبو العباس ، وهو أخو أفلح الذى كان من الراعبين فى تولية محكم ، مع أحد أصحاب الامام بسبب قطعة من الأرض ورفعا أمرهما الى أفلح ، أمرهما الامام بالمسير الى محكم الهوارى • وعندما رأى محكم أن أبا العباس يسمح لنفسه بطلب آلاء ، وهو فى مجلس القضاء فى سقيفة داره بينما خصمه واقف بالباب ، غضب لذلك وأمر بأن يقدم الماء الى الخصم حتى يساوى بينهما مما أثار حفيظة أبى العباس • وعندما اشتكى أبو العباس من معاملة محكم قال له الامام أفلح ان الحق كان فى جانب محكم وإنه لو فعل غير ذلك لكان مدهنا ، مما زاد فى إعجاب الإباضية بأمامهم الذى لا يعرف الهوادة فى الحق ولا يخشى فيه لومة لائم (١٧٢) •

توطد أركان المملكة وزيادة ازدهار تاهرت :

وهكذا توطدت أركان الامامة الرستمية وازدهرت تاهرت على عهد أفلح الذى طال ملكه حتى نشأ له النون وبنون البنين ، وشمخ فى ملكه ، وأبنتى القصور واتخذ بابا من حديد ، وبنى الجفان ، وأطمع فيها أيام

(١٦٩) ابن الصثير ، ص ٢٤ -

(١٧٠) ابن الصثير ، ص ٢٤ -

(١٧١) ابن الصثير ، ص ٢٥ -

(١٧٢) ابن الصثير ، ص ٢٥ - ٢٦ •

الحقان (١٧٣) وفي ازدهار تاهرت على أيام افلح يضيف ابن الصغير :
« وعمرت معه الدنيا وكثرت الأموال والمستغلات وأتته الرفاق (التجار)
والرفود من كل الأمصار والآفاق بأنواع التجارات » (١٧٤) .

قصور تاهرت :

هذا ، كما تنافس الناس في البنيان داخل العاصمة وخارجها ، فبنوا
القصور وعمروا الضياع وأجروا خلالها الانهار . ومن أشهر المباني التي أقيمت
في أرباض تاهرت قصر عبد الواحد الذي كان مشهورا على أيام ابن الصغير ،
وكذلك القصران اللذان عرفا باسم بانيهما : أبان وحمويه . وكان سكان
هذين القصرين على قدر طيب من الرفاهية وسهولة الحياة بفضل عنايته
صاحبيهما بهما ، كما سمع ابن الصغير من بعض شهود العيان . فعندما كان
أبان وحمويه يذهبان لزيارة القصرين ، كان أهلها يستقبلونهما في شرفات
منازلهم ، وعليهم الثياب الملونة ، من : أحمر وأصفر ، كأنهم البدر على
الجدران (١٧٥) .

بوادى تاهرت وعناصر السكان :

وبفضل سياسة أفلح الرشيدة ورجال دولته المجتهدين انتشرت القبائل
حول تاهرت ، وعمرت العماثر ، وكثرت الأموال بأيديهم ، في الحنواضر
والبوادي .

ويفهم من رواية ابن الصغير أن عناصر سكان إقليم تاهرت النشطة
كانوا من الفرس الذين ابتنوا القصور ، ومن نفوسة الذين ابتنوا العدو ،
ومن الجند القادمين من أفريقية الذين ابتنوا المدينة التي كانت عامرة عندما
كان ابن الصغير يدون مذكراته هذه (١٧٦) .

تنظيم تاهرت على عهد افلح :

والظاهر أن الفرس كانت لهم ، على عهد افلح ، مكانة ممتازة في تاهرت
حتى أن بعض الكتاب سمي امامة تاهرت الاباضية بالدولة الفارسية . وفي

(١٧٣) ابن الصغير ، ص ٣٦ .

(١٧٤) ابن الصغير ، ص ٣٦ .

(١٧٥) ابن الصغير ، ص ٣٦ .

(١٧٦) ابن الصغير ، ص ٣٦ - ٣٧ .

ذلك يروى ابن الصغير ، مما سمعه ، انه كان للعجم (الفرس) مقدم يقال له « ابن وردة » ، وأنه كان قد ابتنى سوقا عرف باسمه ، « فكان صاحب شرطة أفلح اذا تغلغل المدينة لافتقادها لم يجسر أن يدخل سوق ابن وردة ولا يتخلله هيبة » (١٧٧) . أما عن النفوسيين فلم تكن بلادهم تمثل فقط مركز النقل الشرقي من الامامة الرستمية فيما وراء بلاد الأعاليبة ، بل كانوا هم أنفسهم يمثلون عصب الدولة في تاهرت نفسها : « فكانت نفوسة تلي عقد تقديم القضاة وبيوت الأموال ، وانكار المنكر في الأسواق ، والاحتساب على الفساد » (١٧٨) . أما الاجناد من بطانة السلطان فكانوا من أهل امريقية ، كما سبقت الاشارة ، وكان قوادهم ، كما يتضح من الرواية ، من أولاد أفلح وحشمه (١٧٩) .

هكذا ازدهرت أحوال تاهرت على عهد أفلح بن عبد الوهاب وأخذت شكل العاصمة العالمية بفضل تنوع سكانها من الفرس والنفوسيين والأفارقة . ولقد عم الرخاء القبائل المنتشرة حول المدينة ، بفضل ما اكتسبوه من الأموال وما اقتنوه من العبيد والخيول الى أن نالهم من الكبر ما قال أهل المدينة : « حتى خاف أفلح أن تجتمع الأيدي عليه فتريل ملكه » (١٨٠) وهكذا رأى أفلح في أواخر سنوات امامته أن يتبع بين القبائل سياسة « فرق تسد » ، وهذا ما سنعود اليه بعد استعراض الأحوال في بلاد نفوسة .

جبل نفوسة وحيز طرابلس :

خلف بن السمح يحمل لواء المعارضة -

على عكس ابن الصغير الذي انفرد بقصة تاهرت على أيام أفلح ، خصص أبو زكريا ومن نقل عنه ، مثل : الدرجيني كل روايته على عهد أفلح لأحوال جبل نفوسة وحيز طرابلس ، حيث كان حلف بن السمح يحمل لواء المعارضة ضد أفلح وواليه أبي عبيدة عبد الحميد الجناري بعد أن رفض التعايش السلمي الذي أقترحه عليه هذا الأخير أيام الامام عبد الوهاب ، على أساس أن يتفرد

(١٧٧) أنظر ابن الصغير ، ص ٢٧ ، الذي يضيف ان ابن وردة كان من وجوه المعجم وأنه كانت قد بقيت منهم بقية على أيامه في مدينة ميجانة .

(١٧٨) ابن الصغير ، ص ٢٧ .

(١٧٩) ابن الصغير ، ص ٢٧ .

(١٨٠) ابن الصغير ، ص ٢٧ .

كل مهما بناحيه (١٨١) . فقد رفض خلف الاعتراف بالامام أفلح ، واسحاو
بمن انصم اليه من الرجال الى موضع يعرف بـ « تيمتى » (١٨٢) ، وما يليها من
المشرق . وهو رافع راية العصيان ، غير مقر بامامة أفلح ولادان بطاعته .

الحرب بين خلف وأبى عبيدة عبد الحميد :

ومن تيمتى (تمتى) اخذ خلف يشن الغارات على رعايا الامام المقيمين
فى حيز أبى عبيدة عبد الحميد ، ويستبيح أموالهم ويخرب ديارهم ويقتل
رجالهم دون تمييز ، كما يقول كتاب الاباضية ، حتى أنه قتل خطأ فى بعض
الاحيان بعض اولئك الدين كانوا قد دانوا له بالطاعة ، وهو يحسب أنهم
من رعية أبى عبيدة عبد الحميد (١٨٢) . وهكذا عظمت شوكة خلف الذى
استخدم الترغيب ايضا الى جانب التهيب ، فاستمال الرجال بمعاياهم من
الاقطاعات والأموال ، وصارت اليه الخيل والى أهل بيته ومواليه وماليكه ،
وساعده على ذلك أن ما كان تحت حوزته من الأرض كان خميبا بينما كانت
أرض أبى عبيدة جدبة (١٨٤) .

وكتب عبد الحميد الى الامام أفلح يستشيريه فى أمر الخبيث بن الطيب ،
كما تقول رواية الدرجيني ، ويستأذنه فى الدفاع ، ولكن الامام كتب إليه
بمثل ما كان قد كتب به والده من استخدام اللين والمدارة (١٨٥) . واستمر
خلف فى أعمال العدوانية ضد رعية عبد الحميد فبعث بسرية من أربعمائة رجل
نهبت قرية تعرف بـ « تسمات درف » فأخذ رجاله ما قدروا عليه من أموالها ،
وفكروا ما قدروا عليه من الجمال بعد أن كان قد أخذ أكثر الخيل ، كما قتلوا
عددا من أهل القرية . وأصابوا عشرة أنفس من أصحاب أبى عبيدة
عبد الحميد (١٨٦) . وتقول الرواية الاباضية أن عبد الحميد الذى كان واقفا

(١٨١) أنظر فيما سبق ، ص ٣٣٧ .

(١٨٢) أنظر أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٦ - ب حيث الكلمة تمتى . ولان الدرجيني

الذى اخذنا نكتاته ، المخطوط ، ص ٣٢ - ب (المطبوع ، ص ٧٢) ، الشماخي ، ص ١٨٣ .

(١٨٣) أنظر أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٦ - ب ، الدرجيني المخطوط ، ص ٣٢ - ب

(المطبوع ، ص ٧٢) ، الشماخي ، ص ١٨٣ .

(١٨٤) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٧ - أ ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٣٢ - ب

ص ٣٢ - أ (المطبوع ، ص ٧٢ - ٧٣) .

(١٨٥) الدرجيني ، المخطوط ، ص ٣٢ - ب (المطبوع ، ص ٧٢) ، وما سبق ، ص ٣٣٧ .

(١٨٦) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٧ - أ ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٣٣ - أ

(حيث يسمى القرية ايدوف) والمطبوع ، ص ٧٣ (حيث تسمى القسرية ويدوف . وحيث

وقتلوا ما قدروا عليه من الرجال يدولا وفكروا الجمال) .

على رأس عسكره ببعد من الجبل كان قد مع أصحابه - بناء على تعليمات
الامام أفلق - من النعرض لرجال حلف (١٨٧) ، ولكنه لما استبان له نصيبهم
أمر رجاله (المسلمين) بمنابذتهم ، فهرموهم وقتلوا منهم كثيرا ، ولكن
عبد الحميد منع عسكره من اتباعهم . وبذلك عاد كل من حلف وعبد الحميد
الى موضعه : الأول الى تيمتى والثانى الى موطنه وكذلك أصحابه (١٨٨) .

معركة تعادل غزوة بفر :

وعاد عبد الحميد الى مداراة خلف فأرسل اليه يطلب منه السلام على
أن يكون كل منهما فى حيزه ، ولكن خلفا أبى من ذلك واستمر فى شن الغارات
على أهل طاعة أبى عبيدة واعداد العدة لاستئصالهم . وهكذا عندما اجتمع
الى خلف عدد كبير من الرجال خرج للملاقاة عبد الحميد فى معركة فاصلة ،
ودلك بعد سنة من لقاء « قسما درف » . ومع أن عبد الحميد خرج الى هذا
اللقاء فى عدد قليل من أصحابه « عددهم هو عدد أصحاب بدر » أى ٣١٣ رجلا
أو سبعمائة بينما كان خلف فى ٤ (أربعة) آلاف فارس ، فانه كان مطمئنا
الى أن رجاله كانوا من أهل البصائر الذين يموتون على ما أبصروا ، وهذا
مالم يشاطره اياه خلف (١٨٩) .

المناظرة قبل القتال :

وذلك أنه قبل القتال بدأت مناظرة بين الفريقين حاول كل منهما فيها
أن يشت صحة موقفه ، فلقد أرسل خلف الى أبى عبيدة رسولين طلبا منه
خلع الامام أفلق واثبات ولايته هو ، وكانت الحجة فى ذلك أن حيز جبل
نفوسة منقطع عن تاهرت . ويعرض أبو زكريا الأسانيد التى ارتكز عليها
اتباع الامام أفلق فى تفنيد حجج خلف وأتباعه على الوجه الآتى : فقد بدأ
أبو عبيدة عبد الحميد بأن سأل رسول خلف عما اذا كان الامام عبد الوهاب
ثم ابنه أفلق قد أحداثا أمرا يحل به خلع ولايتهما ؟ واحتج لذلك بطاعة

(١٨٧) الدرجيسى ، المخطوط . ص ٣٣ - ١ (المطبوع ، ص ٧٣) ، الشماخى ، ص ١٨٣ .

(١٨٨) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٧ - ١ ، الدرجيسى ، المخطوط ، ص ٣٣ - ١ (المطبوع ،

ص ٧٣) .

(١٨٩) انظر أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٧ - ب ، حيث يسجل أن رجال أبى عبيدة
كانوا ٣١٣ رجلا وأن رجال خلف كانوا اربعين ألفا (وقارن الشماخى ، السرد ص ١٨٦) .
بينما يقول الدرجيسى ان رجال عبد الحميد رسا بلغ سبعمائة رجلا وان رجال خلف كانوا ٤
آلاف فارس وهو ما رجحناه فاختارنا به (المخطوط ، ص ٣٣ ب ، المطبوع ، ص ٧٤) .

السمح اى والد حلف لعبد الوهاب . وعندما اعتل رسل خلف بالحورات
واقطعها رد عليهم من جديد بطاعة السمع لعبد الوهاب رغم اختلاف
الحورات .

وعندما اجاب رسولا خلف بالخوف من اراقة الدماء ان لم يطع عبد الحميد
خلفا ، سألها : ايها أعظم ، اراقة الدماء أو ترك القيام بدين الله ؟ ولما قالا
له ان اراقة الدماء أعظم احتج عليهما بأعمال السلف الصالح من رؤساء
الخوارج ، وقال لهما : لو صح ذلك لافترق أصحاب النهر (النهروان)
وغيرهم ، وذعنوا لطاعة الظلمة المسودة ، وأصحاب النخيلة ، وأبو بلال
وأصحابه ، وعبد الله بن يحيى ، وأبو حمزة وأصحابهما ، من روادهم فى
المشرق ، ثم أبو الخطاب ومن تبعه من المسلمين ، وأبو حاتم ومن تبعه من
رؤسائهم فى المغرب . فكل أولئك لم يتركوا القيام بحق الله مخافة اهراق
الدماء ، بل انهم حبذوا الجهاد فى سبيل الله وفضلوه . وأضاف عبد الحميد
الى ذلك أنه اذا كانت اراقة الدماء أعظم من القيام بدين الله تعالى ، فعلى ما
يقتلون الناس ؟ (١٩٠) .

المباهلة بعد المناظرة :

وانتهت المناظرة فى يوم خميس دون الاتفاق ، وكان على السيف أن
يقرر لمن يكون الحكم . فهكذا طلب أبو عبيدة عبد الحميد من الرسولين أن
يرجعا الى صاحبيهما ، وأن يكون الابتهاال الى الله مرجحا ثانيهما لهم قبل الالتجاء
الى الحرب . وكان الابتهاال ، كما قال لهما عبد الحميد ، يقتضى من الخصمين -
خلف وعبد الحميد - الصيام يوم الجمعة ثم الطلوع مع أحد كبار اهل الثقة
وهو أبو المنيب اسماعيل بن درار الغدامسى ، فكأنه الحكم ، على شعب
الجبيل : « فنتبتهل ، فنجعل لعنة الله على الكاذبين ، وأن يفتح بيننا وبينكم ،
وهو خير الفاتحين » (١٩١) .

وأغلب الظن أن المباهلة المقترحة لم تتم اذ تشير الرواية مباشرة الى
استعداد خلف للقاء أبى عبيدة وأمره لرجاله بالتهيؤ لهذا اللقاء ، وأن أبا عبيدة

(١٩٠) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٧ - ب ، وقائى الدرجينى المخطوط ، ص ٣٣ - ب
(المطبوع ، ص ٧٥) .
(١٩١) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٨ - ب ، الدرجينى ، المخطوط ، ص ٣٤ - ب
(المطبوع ، ص ٧٥) .

أمر رجاله عندما اقتربوا من حصومهم - بناء على نصيحة من أحد اصحاب خلف - بالتراجع الى سفح الجبل ليكونوا في موقع استراتيجي جيد ، حيث يمكنهم أن ينالوا من عدوهم اذا كانت الجولة لهم ، وليصبحوا في مأمن منهم لو دارت الدائرة عليهم . وعندما تراجع أصحاب أبي عبيدة الى سفح الجبل ظن خلف أنهم حبنوا وخافوا فأمر رجاله بالهجوم عليهم .

وهنا قام أبو عبيدة بالانتقال الى الله ، وبعد أن توضأ وصلى ركعتين - فدعا الله وابتهل اليه أن يفل شوكتهم (١٩٢) . وذلك قبل أن يرغب أصحابه في القتال ، ويدعو لمن يموت تائباً من العاملين الصالحين منهم (١٩٣) .

معركة أجناون ، وهزيمة خلف (٢٢١ هـ / ٨٣٦ م) :

وهكذا تم اللقاء غير بعيد من أجناون بالجبل ، كما يقول الشماخي (١٩٤) ، عشية الخميس ١٣ من رجب عام ٢٢١ هـ / ٤ يولية ٨٣٦ م ، وأصحاب أبي عبيدة يقاتلون للدفاع في سبيل الله - دفاع أهل النقي . وانتهى القتال الشديد الذي أبلى فيه العباس بن أيوب بن العباس بلاء حسناً ، فكان يكشف خيل خلف يميناً وشمالاً ، بانتهزام أهل البغي من أصحاب خلف هزيمة منكرة ، بعد أن قتل منهم مقتله عظيمة . ورغم نفى الخلعين من النكار فقد أمر أبو عبيدة عبد الحميد رجاله بالآلة بتبعوا مديبرهم ولا يجهزوا على جريحهم ، وأحس السيرة فيهم (١٩٥) .

(١٩٢) أبو ذكريا المخطوط ، ص ٢١ - ب ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٣٤ - ٢ (المطبوع ، ص ٢٧٥) .

(١٩٣) الشماخي ، السير ، ص ١٠١ : حيث يقول انه دعا بالجنة لمن مات تائباً « الا من كان على فراش حرام أو قتل به » ، أو عصب مالا » . (١٩٤) السير ، ص ١٨٩ .

(١٩٥) أبو ذكريا ، المخطوط ، ص ٢٨ - ب ، حيث تقول الرواية المتقبة أن العباس ابن أيوب ضرب رجلاً قطار رأسه ، فقال الناس للرائي : « الى النار » فقال له الرأس مجيباً وبس الصبر » . هذا ، كما تشير الرواية الى أن الرجل من أصحاب أبي عبيدة كان يرمى بالزوائد ليخرج من ظهر خصمه ويكرر خله . وقانون الدرجيني ، المخطوط ص ٣٤ - ١ (المطبوع ، ص ٧٦) .

خلف يهجر خصومه :

وهكذا عاد خلف مهزوما الى موضعه في تيمتى ، ولكنه بدلا من أن يتعظ
نمن درس الهزيمة تهادى فى أعماله العدوانية ضد اتباع عبد الحميد وأفلح .
فنقول رواية أبى زكريا أنه أخرج من اقليم تيمتى من كان هناك من نفوسه
وغيرهم ممن لم يكونوا متعاطفين معه ، « وأجل لهم ثلاثة أيام ، فمن وجد بعد
ذلك فمهدور دمه وماله » ، لم يفرق فى ذلك بين اليتامى والمساكين والأرامل
ومن ليس له ذنب ، ممن أخرجوا على كره منهم . وصار هؤلاء يتوافدون
على أبى عبيدة ويعلمون التوبة ويرجعون عن خلف ، الذى وهن بعد ذلك
« حتى مات فى زيفه وغيه » ، وحتى ان ابنه اضطر الى الانحياز بأعوانه فيما
بعد الى جزيرة جربة (١٩٦) . وبذلك انتهت قصة الافتراق الثانى ، وهو افتراق
الخلفية ، فى امامة تاهرت الرستمى ، وتمكنت امامة أفلح الذى « ألغا بيده
يمينا وشمالا ، وتمكن فى امامته واطردت له الأمور واستقامت له الأحوال » .
أما أبو عبيدة عبد الحميد فقد ظل ملازما الطاعة الى أن أدركته منيته ، فاستعمل
الامام أفلح مكانه ، على نفوسة ، العباس بن أيوب بن العباس الذى أحسن
السيرة على سبيل أصحابه الى أن توفى (١٩٧) ، وكانت وفاته ايذانا بالانشقاق
الثالث بين اباضية تاهرت .

النفائية ، والافتراق الثالث فى الاباضية على عهد الامام أفلح :

تسمية النفائية :

إذا كانت نفوسة وجبلها قد مثلت مركز الثقل فى امامة تاهرت الرستمى ،
فان مدينة قنطرة وحيزها كانت بمثابة مركز الثقل فى جبل نفوسة (١٩٨) .
وبسبب التنافس على ولاية اقليم قنطرة كان الانشقاق الثالث بين الاباضية

(١٩٦) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٨ - ب ، ٢٩ - ١ ، وقارن الدوجينى ، المخطوط ،
ص ٣٤ - ١ (المطبوع ، ص ٧٦) : الذى يذكر أن حفيد خلف هو الذى التحز بأمران جده الى
جربة حيث أقاموا بعيدين عن المشاركة فى أمور الدولة الرستمى .
(١٩٧) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٩ - ١ ، الدوجينى ، المخطوط ، ص ٣٤ - ١
(المطبوع ، ص ٧٧) .

(١٩٨) انظر البارونى ، كتاب الأزهار الرياضية فى أئمة وملوك الاباضية ، قسم ٢
ص ١٩٦ - ١٩٧ : حيث يقرر المؤلف أن قنطرة هي المدينة المرولة حاليا بـ « تيجى »
وكانت ذات عمادة واسعة ولماار متنوعة ، وحيون جارية فى ذلك العهد ، وان لم يبق فيها الآن إلا
قليل من النخيل وبعض العيون التى لا ينتفع بها .

على عهد الامام أفلح بن عبد الوهاب ، وهو الانشقاق الذى عرف أصحابه بالنفاثية نسبة الى نفث ، وهو اسم الشهرة الذى عرف به قائد الحركة فرج ابن نصر النفوسى (١٩٦) . ومع أن الباروى يسجل اسمه فى شكل نفث ويقول انه ربما كان من القرية المعروفة الآن بتماته ، والتي ربما كان أهلها المالكية من سلالته (٢٠٠) ، فالواضح من النصوص أن أصحاب الامام أفلح هم الذين أطلقوا اسم نفث على فرج : كلقب تجريحي ، كما فعلوا مع النكار ، وهو الاسم الذى يكاد يعادل اسم الخوارج الذى أطلق على أسلافهم الأوائل . وإذا صح ذلك فأغلب الظن ان اسم نفث مشتق من الفعل نفث ينفث ، والمقصود به هو نفث سموم الخلاف والفرقة .

نفثات : فرج بن نصر النفوسى : تكوينه العلمى :

وكان فرج بن نصر النفوسى ، الذى اشتهر بنفثات ، من علماء الاباضية المشهورين بغزارة العلم والاجتهاد وصواب الراى . اعترف له بذلك خصومه من شيوخ المذهب ، وسجلوا الحقائق والاساطير حول علمه ورجاحة عقله وقوة فكره . فقالوا انه أخذ العلم عن الامام أفلح نفسه (٢٠١) الذى كان قد ظهر ببوغه قبل أن يبلغ الحلم . ونصوا على أنه لم يكن يكتفى بالعلم النظرى بل كان يسعى الى اثبات النظرية بالتجربة ، كما حدث عندما سأله امرأة عن بيضة طاهرة طبخت فى قدر مجوس . « فدخل الدار فأخذ بيضة ونيلا ، وطبخها ، ونزع القشر فوجد النيل قد سود القشرة وتغير داخل البيضة حتى صار كلون النيل ، فعلم أن القشر لا يمنع النجس » (٢٠٢) .

هذا ، كما قيل انه سار الى المشرق ما بين الحجاز والعراق - لطلب العلم على شيوخ المذهب هناك - وأنه دخل بغداد ، حاضرة الخلافة ، وبلغ به الأمر الى حد أنه تحدثى العلماء والفقهاء من بطانة أمير المؤمنين وناظرهم فى مجلسه ، وأجاب على أسئلتهم ، « حتى عيوا فلم يقدرُوا له على شيء » ، وحتى « تعجب السلطان من علمه مع سخافته ونسبه وقلة أدبه ، وقال نعم العسل فى ظرف

(١٩٦) أبو زكريا ، ص ٢٩ - ب ، الدرجى ، ص ٢٤ - أ (المطبوع ، ص ٧٧) .

(٢٠٠) الأزهار الرياضية ، قسم ٢ ص ١٩٦ .

(٢٠١) أبو زكريا ، ص ٢٩ - أ (الدرجى ، المطبوع ، ص ٧٨) .

(٢٠٢) أبو زكريا ، المطبوع ، ص ٣٠ - أ ، وقارن الدرجى ص ٣٥ - ب (المطبوع)

ص ٧٩) .

سوء (٢٠٣) .

ديوان جابر بن زيد :

وكانت فرصة انتهزها نفاث لكي يسمح له الخليفة بنسخ ديوان جابر ابن زيد (٢٠٤) الذي كان محصورا في خزائن دار الحلافة لا ينتفع به أحمد (٢٠٥) .

اسباب دينية للخلاف :

وتشير الرواية الى أن نفاثا عندما وصل معه ديوان جابر الى طرابلس الغرب أخذ يضعف أهل مذهبه ، وساء ظنه بهم ، مما يؤكد أن رحلة المشرق قد كانت اكسبته من العلم ما لم يكن معروفا لدى أهل المذهب في المغرب ، وأن ذلك كان من الأسباب الرئيسية للخلاف بينه وبين الامام أقليح . أما ما تقوله رواية ابى زكريا من أن نفاثا خاف أن يصير ديوان جابر الى أهل دعسنة المسلمين ، فيزدادوا به علما ، وأنه فضل أن يدفن الديوان في بعض المواضع ،

(٢٠٣) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٠ - ١ ، ٣٠ - ب . حيث تقول الرواية ان نفاثا كان حائسا في حايات بعض لبعثاديين عندما سمع المادى . فقال له صاحب الحانوت : ان من احباب لامير المؤمنين مسألة فله سؤاله والا قطعت رأسه ، فأصر نفاث على التمسك للاجابة ، وأنه عندما أدخله الأعران على أمير المؤمنين الذي قرره وسأله عن احواله وبطله ونسبه بدأ نفاث كلامه قائلا : يا أمير المؤمنين ، أنا رجل من البربر ، والبربر ليس معهم أدب فأريد أن أتكلّم في مجلسك بما بدى لي . وقارن الدرجيني ، ص ٣٦ - ١ ، ٣٦ - ب (المطبوع ، ص ٨٠) .

(٢٠٤) عن جابر بن زيد الأزدي صاحب الديوان (٢١ هـ - ٩٦ هـ) الذي يعتبر من مؤسسى المذهب الاباضى وشيخ أبى هبيرة مسلم بن أبى كريمة ، انظر على يحيى معمر ، الاباضية في موكب التاريخ ، ج ١ ص ١٤٣ - ١٥١ .

(٢٠٥) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٠ - ب . ٣١ - ١ . وتضيف الرواية ان وزراء الخليفة اعترضوا على السماح لثلاث بنسخ ديوان جابر وخروجه من دار الخلافة ، واستدلوا بذلك على علم نفاث وعقله وما سيصير اليه بعد أن ينسخ ديوان جابر ، وأنهم فكروا في حيلة تمنع من ذلك فعرضوا على نفاث أن يستعير الديوان لليلة واحدة عندما يريد . وواجه نفاث المذوق بأن اختار أطول ليالى السنة ، وبذل المال بسخاء لعدد كبير من الوراقين ، من : نساخ وحملين وإيدهم بالورق والحبر الكثير حتى نجحوا فعلا في نسخ ديوان جابر في تلك الليلة الا كتابا واحدا من عشرة كتب ، أبى عليه السلطان أن ينسخه ، ولكنه سمح له أن يقرأ مرة واحدة بين يديه ، كانت كافية لان يحفظه نفاث عن ظهر قلب . وتضيف الرواية ان السلطان حاول ان يحتال على نفاث حتى لا يخرج بالديوان من بغداد عن طريق تعجيزه بالاجابة لهم عند من المسائل ، ولكنهم لم يقتدروا له على شيء ، ثم انه خرج على مكة قبل أن يأخذ طريق المغرب حتى يصلهم . وقارن الدرجيني ، ص ٣٦ - ب (المطبوع ، ص ٨١ - ٨٢) .

« وأنه لم يعرف موضعه الى يومنا هذا » ، وهذا كله بغيا وحسدا (٢٠٦) ، فالمتصود به تأكيد أن رحلة المشرق كانت بعد الافتراق ، وهو الامر الذى يجافى المنطلق السليم الذى يرجح أن الانشقاق كان بعد رحلة نفاث الى المشرق حيث تفقه فى المذهب ، ورأى أن ينشر اجتهاداته التى أشرنا اليها .

أسباب سياسية للخلاف :

ومع أن أبا زكريا يصح حياة نفاث العلمية الحافلة هذه عقب خلافه مع الإمام أفلق ، الأمر الذى أدى الى ذلك الافتراق الثالث فى الاباضية بالملكة الرستمية ، فالواضح أن أبا زكريا أراد بذلك - وهذا ما فعله أهل المذهب الذين نقلوا عنه - أن يجعل أساس الانشقاق الثالث سياسياً ، وإن كان الافتراق قد أصبح مذهبياً . فهو يجعل المنافسة على ولاية قنطرة والحاح نفاث فى الوصول الى منصب الوالى هى السبب فى ذلك الانشقاق . وفى ذلك ينص أن الإمام أفلق كان قد استعمل على قنطرة أبا يونس وسيم بن يونس النفوسى الذى أصلح ما كان يدور فى المنطقة الزراعية الغنية من افسنسداد للزروع (٢٠٧) ، كما انه اشتد فى جمع الزكاة من مستحقى دفعها ، حيث أعلن أنه « لافرار من الصدقة » (٢٠٨) .

ولاية قنطرة : منافسة بين نفاث وسعد بن وسيم :

وعندما توفى أبو يونس وسيم كان ابنه سعد يطلب العلم لدى الامام أفلق وبصحبه فرح بن نصر وهو نفاث . وعندما نظر أفلق فيمن يستعمله على قنطرة ، فاختر الناس وميرهم ، « وجد سعد بن يونس لأمور المسلمين أصلح ، ولأمور الدين أحسن ، ولحدود الله أصلب » . فكتب سجلاً باستعماله ، ودفع السجل بعد ختمه الى سعد ونفاث ، ولم يبين لهما من العامل ، وأمرهما ألا يفضا السجل الا فى قنطرة . وخلال الطريق « استخف الشره وسوء الخلق وحب الرياسة » نفاثا ، « ففتش وراء الكتاب وفض خاتمه وقراءة » . وأستاء

(٢٠٦) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٣١ - ١ ، ٣١ - ب ، وقارن الدرجينى ص ٣٧ - ١ (المطبوع ، ص ٨٢) .

(٢٠٧) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٩ - ١ : حيث يصح على أن سبب خروج أبي يونس الى قنطرة أن الخدم كن يحتلن من أجرة الناس نادا جاء المطر فى الموضع التى احتلن عنها فتهدم الجسور من ذلك - وقارن الدرجينى ، ص ٣٤ - ب ، ٣٥ - ١ (المطبوع ، ص ٧٧) .

(٢٠٨) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٩ - ١ .

نفث لأن الامام أفلح فضل عليه سعد بن وسيم لولاية قنطرة : « فاضمر في قلبه الفس والعداوة » . وهكذا فرغم أن سعدا ولى قنطرة فاحسن السيرة ، وقام بحق الله ، وأقام له منبرا وجمعه ، بمعنى أنه كان يؤم صلاة الجمعة ويدعو للامام أفلح في الخطبة ، فإن نفثا أظهر الطعن في الامام (٢٠٩) .

نفث يعطن في الامام ويشير خلافاً فقهية ، ما بين التقليد والتحديث :

والى هنا ورؤية أبو زكريا تسجل أن سبب خلاف نفث سياسى دنيوى، من أجل ولاية قنطرة . ولكنه يأتى بعد ذلك بأسباب أخرى ذات طبيعة فقهية مذهبية ترجع أن الخلاف كان دينيا من حيث الشكل على الأقل ، أو أنه صار هكذا . من ذلك ما ينسب الى نفث من أنه قال في الامام أفلح : « أضاع أمور المسلمين ، ويزيد في الخلقة ويلبس الطرطور ، ويخرج الى الصيد ، ويطلب بالأسير » (٢١٠) . مما يعنى أن نفثا كان متمسكا بسنن أهل الدعوة القديمة ، وأنه كان ضد مظاهر التطور التي أخذ به الامام أفلح ، من التجديد في الزى وتقليد خلفاء بغداد وعما لهم في لبس القلانس ، والعناية بالملبس والمظهر ، وانفاق بعض الوقت في الرياضة والقنص . ثم تتسلسل الخلافات المذهبية والفقهية في عدد من المسائل التي يظهر فيها اجتهاد نفث ، والتي انكرت عليه حتى نسب بسبب بعضها الى الكفر .

فمن المسائل التي ابتدعها نفث : زعمه أن خطبة الجمعة بدعة . ومن أخطرها فتواه بأن أبناء أخى الرجل من الأب والأم (أى الشقيق) أولى بوراثته من أخيه من الأب فقط . ويعلق أبو زكريا على هذه الفتوى ، فيقول : ان نفثا راد بها ضللا ، وان المشايخ قالوا : « لو لم يفت الا هذه المسئلة لكفريها » (٢١١) .

(٢٠٩) أبو زكريا ، ص ٢٩ - ب ، وقارن الدرجيني ، ص ٣٥ - ١ ، ٣٥ - ب (المطبوع -

ص ٧٨) .

(٢١٠) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٩ - ب ، وقارن الدرجيني ، ص ٣٥ - ب

(المطبوع ، ص ٧٨) ، وانظر البادوي ، الأزهار الرياضية ، قسم ٢ ص ١٩٨ : حيث يشرح « ويزيد في الخلقة » بمعنى أنه عظيم العمامة كبير الوجه بطول اللحية جدا ، كما يقرأ « ويصل بالأسير » من الدرجيني ، بدلا من « ويطلب بالأسير » التي تشبه : ويصنع شعره بالحناء .

(٢١١) أبو زكريا للمخطوط ، ص ٢٩ - ب ، وقارن الدرجيني ، ص ٣٥ - ب

(المطبوع ، ص ٧٩) . ويذكر أبو زكريا بعد ذلك (ص ٣٠ - ب) بعض الروايات التي يدلل بها على ضلال نفث ، ليقول ان ابن اخته رأى على المنام يحمل الصغير على رأسه ، وقد وضع عليه منور وهو فوق رأسه ، ويفسر ذلك أن الشيطان استولى عليه وهو يجمع العلم -

وهكذا كانت شقة الخلاف للمذهبي تتسع بين نفاث وأعرانه في حبل
تفرسه وبين أصحاب الإمام أفلح ، وعلى رأسهم سعد بن أبي يوسف وسيم
والقطرانية . ولضطر سعد إلى ترك مقر ولايته والحروج إلى حبل نفرة
حبل مقام نفاث مخالفة أن يضل الناس . وبني سعد دارا بجبال نفاث . الذي
كان بناء عظيما ، فأسرع لملاوته في البناء . ويقول أبو زكريا أن سعدا خشي
« أن يتوهم الناس أنه رضى عن نفاث فكان يقول له : إلى متى نترك كفرك
يانفاث ، فيقول له نفاث : معاذ الله من الكفر ياشيخ » . وكان سعد يقول
لأخصائه في ذلك : « ليس جزاء من يساعدني الشتم إنما تخوفت العنة
وجراؤه اللحم والخيز » (٢١٢) -

ويضيف الباروني في الازهار الرياضية في أئمة وملوك الانصارية عدة
من مسائل الخلاف التي أثارها نفاث ، منها قوله ان الله هو الدهر الدائم
وانكاره استعمال للإمام العمال والسعاة لجباية الحقوق الشرعية ومطاب بيت
مال المسلمين من الرعايا . وقوله أن المضطر بالجوع لا يمطى بيع ماله إذا باعه
لأجل ذلك وعلى من شهد مصرته تجيته . بقوله ان العقد لا يتحقق إلا بمر
تجاوز السحر إلى غير ذلك من المسائل التي ينحل فيها الخلاف (٢١٣)

هذا كما يسجل الباروني ثلاث رسائل مسبوقة إلى الإمام أصبح في حق
نفاث وبى الرد على بدعه ومسائله . والأولى منها موجهة إلى وإلى نفاث وهو
حيال بن يوسف ، يدعو فيه إلى تنبيه رعيته إلى ضلال نفاث ويحث من تردده
على مجالس أهل الدعوة حتى يرجع إلى سنة المسلمين وذلك قبل الرد على
خلافته (٢١٤) . بالرسالة الثانية التي لا يعرف اسم من أرسلت إليه من
العمال ، وكان يشكو للإمام من أعمال نفاث تشير إلى ضلال نفاث وبدعه ومخالفة
شريعة السلف الصالح بالأئمة المرصيين ، وتدعو إلى إقامة الحق عليه وهجره
وأبعاده (أى البراءة منه) أن تمادى في خلافه . ثم تنص الرسالة على أن من

كما يذكر أن ر : أفراد الدخول في مذهبه فلقه في الطريق قسمه ، وهو يقول : « ضللت
واضللت يانفاث » . ويختتم أبو زكريا بقوله وبلغنا أنه أعطى في العلم منزلة عظيمة والفقهاء
والعلماء . ولكنه أفسد ذلك كله بالعصا وحسب الأمور بمعنى أن أسباب الخلاف المذهبي كانت
شخصية سياسية -

(٢١٢) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٩ - ب ، ٣٠ - أ ، وقارن الدرجيني ، ص ٣٥ - ب

٣٩ - (المطبع ، ص ٣٩ م -

(٢١٣) الباروني ، الأرقام الرياضية ، قسم ٢ ص ١٩٥ - ١٩٦ .

(٢١٤) الباروني ، الأرقام ، قسم ٢ ص ١٩٦ - ٢٠١ .

- ٣٥٣ -

ينكر شيئا - علي عامل من العمال فعليه أن يكتب بذلك إلى الامام ، كما تنص
على منع الوثوب على العمال (٢١٥) أما الرسالة الثالثة فقد وجهها الامام أفلح
إلى نفاث نفسه يحذره فيها من ابتداء غير الحق ، ويدعوه إلى العودة إلى الرشد
ويكرر خلق كل من خالف سيرة المسلمين وثقته وتهجره وإقصائه ، وكذلك البراءة
منه ، مع إشارة خاصة إلى من يزعم أن عمال الامام أساقفة ، وأنهم لاطاعة لهم
في حال كتمانهم - "وقى نهايتها يطلب من نفاث أن يعود إلى حظيرة الجماعة"
وأن يترك المحالفة ، وما كان يطالب به من التصحيح ، الأمر الذي يقتضيه أن
يعلن أفلح توبته حتى يرضى عنه (٢١٦) .

ورغم ما يقوله الباروني ، من : أن نفاثا تاب ورجع عن مسأله التي خالف
فيها ، مستندا إلى أنه لم يرو أحد أنه ذكر الامام أفلح بسوء أو تكلف لاثارة فتنة
أو سعى في فساد ، وذلك بعد رجوعه من المشرق ، إذ استقامت الأمور لأفلح (٢١٧) ،
فالمعروف هو أن النفاثية ، مثلها مثل : النكارية والخلفية ، ظلت من الفيرقي
المنشقة على المجتمع الاباضي إلى ما بعد نهاية امامة تاهرت الرستمية . وفي
ذلك يقول الدرجيني : انه : « لم يبق ببلادنا من يقول بقول نفاث ، وينصرجه
إلا فريق من مطماطة ، فمنهم بالحمة ، ومنهم بالجبل ، واليه ينسبون ، فيقال
لهم النفاثية » (٢١٨) .

ازدهار المملكة على عهد أفلح ، وسياسة « فرق تسد » :

هكذا تكون الأمور قد استقرت للامام أفلح - رغم انشغال الخليفة ثم
النفاثية خلال ملكه الذي دام إلى أكثر من نصف قرن (إلى حوالي ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م)
حسب رواية كل من ابن الصغير وأبي زكريا . وخلال تلك المدة توطأت أمور
المملكة في تاهرت ، واغتنت القبائل حول تاهرت وتحضرت ، وبدأ يظهر فيها
الفساد والبطر ، مما جعل الامام يخشى على مملكته ، كما يقول ابن الصغير ،
حتى انه بدأ يطبق مبدأ « فرق تسد » بين القبائل كي يلهيها بالصراع فيما
بينها ، حتى يظل محتفظا لنفسه بموقف الحكم .

(٢١٥) الباروني ، ص ٢٠١ - ٢٠٤ و -

(٢١٦) - الباروني ، الأزهار النفاثية ، قسم ٤ - ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٢١٧) - الأزهار النفاثية ، قسم ٢ - ص ٢١١ - ٢١٢ .

(٢١٨) الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٧ - أ (المطبوع) ص ٨٢ - حيث التزادة بالجمة

جدلا من الحمة) .

وقى ذلك ينعد ابن الصغير بالقول ان الامام افلح « أرض بين لوانة وزفانة » من جهة ، « وما بين لوانة ومطاطة » من جهة أخرى ، كما اثار المعرات بينه الجند وبين العجم حتى تنافرت النفوس وقامت الحروب ، « وصارت كل قبيلة ملاطقة لافلح خوفا من أن يعين صاحبيتها عليها (٢١٩) » .

اعتقال ولى العهد أبى الیقطان محمد فى بغداد الى وفاة المتوكل :

وبفضل تلك السياسة التى أدت الى انفاق حماس القبائل العسكرية فيما بينها اطمان افلح الى ملكه حتى نهاية عهده ، « فاستلقى على ظهره أمنا ومد يديه ورجليه مطمئنا وعلم أنه قد كفى أمرهم » . ولم ينقص عليه عيشه الا افتقاده لابنه الأكبر وولى عهده الأمير أبى الیقطان محمد الذى كان قد سار الى المشرق لاداء فريضة الحج ، وربما للتعقه أيضا على شيوخ المذهب هناك . اذ تقول الرواية أن رسل بنى العباس الوافدين فى قافلة الحج المغربية كشمسهم فى مكة وأخبروا انه جاء لبث الدعاة فى المشرق فحمل الى دار السلام بغداد . وذلك على عهد الخليفة العباسى « المتوكل » (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) على ما يظن . وجلس أبو الیقطان فى سجن المتوكل مكرما مع أبى الخليفة كما يقول ابن الصغير ، وظل فى الحبس الى مقتل المتوكل (سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م) حيث أخرجته الخليفة الجديد زميله فى السجن (٢٢٠) ، وهو المنصور بن المتوكل (الذى لم يمكث فى الخلافة الا ستة أشهر فقط) الذى أحسن جائزته ، وأحرى عليه العطاء الى حين عودته الى تاهرت (٢٣١) . وكانت عودة أبى الیقطان الى تاهرت بعد وفاة والده افلح الذى « اشتد حزنه عليه وطال غمه به فلم يزل مهموما محزونا الى أن وافته منيته (٢٢٢) » . وكانت امامة تاهرت قد آلت الى أخيه أبى

(٢١٩) ابن الصغير ، ص ٢٧ .

(٢٢٠) ابن الصغير ، ص ٢٧ - ٢٨ (حيث القراءة فى النص انه سجن مع ابن الخليفة التى عدلتها الى ابن الخليفة) .

(٢٢١) انظر ابن الصغير ، ص ٢٨ - ٣٠ . حيث تقول الرواية انه عندما سمح لأبى الیقطان بالانصراف من بغداد طلب منه أهل الديوان أن يوصى لمن يقضى جازيته التى بلغت ١٢٠ درهما يوميا ، لئلا يلعب رسمه من دفاتر ديوان الخلافة ويمع دكره . وعرض أبو الیقطان على خادمه النفوس أن يقيم فى بغداد ويقضى جازية ال ١٢٠ درهما يوميا ، ولكن الخادم رفض ، وطلب اعطاهما الى الخياط الذى كان يجلس عنده ويشاوره فى أمر أبى الیقطان وهو فى السجن . ويضيف ابن الصغير قائلا : وكان النفوس بعد ذلك يتاهرت اذ ذكره امر أو نزل به شقيق ، يقول لاسى الیقطان : لم أقبل منك ، ولو قبلت لكنا العثرون والماتة دهم اخذ على ما أمانه .

(٢٢٢) ابن الصغير ، ص ٣٠ .

بكر الذي كان مميّرا بين أبناء أفلح بعد أبي اليقظان محمد .

أبو بكر بن أفلح (امام تاهرت الرابع) : ٢٤٧ هـ = ٨٦١ م / ٣٦٠ هـ = ٨٧٣ م
اختياره : ما بين الرضي والكراهية :

رغم ما يقوله ابن الصغير من أنه عندما وافق أفلحاً منيته : « اجتمعت الاباضية قلم يصيبوا في أولاد أفلح » ، إذ فقدوا إبا اليقظان ، أرجح عندهم من ولده أبي بكر (٢٢٣) ، فالواضح من تكملة الرواية أن مسألة اجتماع الاباضية للمشاورة في اختيار الامام كانت شكلية ، وإن زعماء نفوسة كان يبدونهم مقاليد الأمور حقيقة ، وكانوا يكونون من يقع اختيارهم عليه من أبناء الامام الراحل . هذا ما يفهم من نص ابن الصغير أيضاً الذي يقول انه عندما قدم الناس أبا بكر ابن أفلح ، بعد وفاة والده « كان عبد العزيز بن الأوز ينادي بأعلى صوته الله سائلكم معاش نفوسة إذا مات واحد جعلتم مكانه آخر ، ولم تجعلوا الأمر للمسلمين وتردوه اليهم فيختارون من هو أتقى وأرضى ، فلا يلتفتون الى كلامه ولا يشتغلون بمآلاته (٢٢٤) » . ومن الممكن أن يكون المقصود بهذا الكلام هو المطالبة بتطبيق مبدأ الاختيار بشكل عام ، كما يمكن أن يكون احتجاجاً خاصاً بالنسبة لاختيار أبي بكر بمعرفة نفوسة (٢٢٥) .

وقد يرجح فكرة أن أبا بكر بن أفلح لم يكن الامام المنشود ، ما يذكره ابن الصغير من أنه « لم تكن فيه من الشدة في دينه ما كان فيمن كان قبله من آبائه » أو ما نصيبه من أنه « كان سمحاً حواداً لبس المريكة ويسامح أهل المروات ويشايح على مرواتهم ويحب الآداب والأشعار وأخبار الماضين » (٢٢٦) . وهو الأمر المقبول بالنسبة للامامة الرستمية السائرة في طريق التطور والرقى مما لا يجعل أمر المقارنة بين صفات الائمة الاوائل و خلفائهم المتأخرين خير موازين للمفاضلة بينهم : هذا ، ولو أن ما وقع من الأحداث في امامة أبي بكر لتدل عملاً على ابن الامام وتباهله في أمور السياسة والحكم .

(٢٢٣) ابن الصغير . ص ٤٠ .

(٢٢٤) ابن الصغير . ص ٣٦ .

(٢٢٥) وحقق ما اخذ به الباروني في الإلهام الرياضية (قسم ٢ ص ٢٢٢) إذ قرر اللطفي قائلا : « ولما تم أمر البيعة وعلن للامة أكثر رضى الناس ذلك به وولوا به فلق أهل فها ، وعابوا نفوسة باستقلالهم بهذا الأمر واحصاهم به ثم سكتوا » .

(٢٢٦) ابن الصغير . ص ٣٦ .

غلبة محمد بن عرفة على أبي بكر :

وأول ما تشير إليه النصوص في هذا المقام هو عليه صهره محمد بن عرفة على أمور الدولة . والذي يفهم من تلك النصوص أن محمد بن عرفة هذا كان يتمتع بصفات عظيمة جعلته في مصاف رجال تاهرت المرموقين ، متد أيام الامام أفليح الذي أوفده بهدية من قبله على ملك السودان فحاز رضا ، وأعجب بعروسته وحسن خصاله وجماله . والظاهر أن الجمال الباهر لم يكن وحده أهم تلك الصفات ، فقد كان ابن عرفة يتمتع أيضا بالوسامة والحواد والسماحة الى جانب الهيبة والفروسية وحسن الأفعال . ولم يكن من الغريب على الامام أبي بكر ، الذي عرف بسماحته ولين عريكته أن يقدر للجمال والوسامة قدرهما ، فتزوج أخت ابن عرفة وكلف بها ، كما زوج هذا الأخير أخته هو في المقابل .

وأصبح محمد بن عرفة أقرب المقربين الى الامام أبي بكر حتى أصبح أشبه بما نسميه الآن بالممثل الشخصي للرئيس أو الملك . ولا شك أن رابطة النسب ساعدت على تقوية أواصر القربى بين أبي بكر وابن عرفة ، حتى كان الأخير يستطيع الدخول على الامام في أي وقت يشاء ، وفي أي مكان كان دون موعد سابق أو إذن ، حتى انتهى الأمر ، كما يقول ابن الصغير ، الى أن : « كانت الإمارة بالاسم لابي بكر ، وبالحقيقة لمحمد بن عرفة (٢٢٧) » .

عودة أبي اليقظان محمد بن أفليح :

تأثره بالنظم البغدادية :

في هذه الظروف عاد الى تاهرت أبو اليقظان محمد بن أفليح عقب مقتل المتوكل (أي قبيل سنة ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م) ، وبعد أن عرّكته تجربة السجن في دار الخلافة ، وتقريب من ولي العهد المنتصر الذي آلت اليه الخلافة ، وصار على دراية بالنظم الادارية والعسكرية المتقدمة في بغداد . من ذلك ما رآه من اجراء الرزق اليومي على أهل الوجاهة واعيان الناس من ديوان الخلافة ، وامكان التوصية بهذا العطاء الجارى لمن يريد صاحب الشأن . ومن ذلك ترتيب الجيش في طبقات من النقباء يتلو بعضهم بعضا ، وكل رجل من الطبقة الاعلى

٢٢٧- اخبار الأئمة الرستمين ، ج ٣٦ ، ٣٣ . ويضيف الى ذلك أن محمد بن عرفة « كان اذا ركب من حاربه يفرّد اما يكرمش بين يديه ومن خلفه ومن يمينه ومن يساره أهم من الأمم ، وشرفت بذلك الرستمية وغارت به » .

يرأس عشرة رجال من الطبقة التي تليه حتى أن ألفواد العشرة الكبار يمكنهم جمع عشرة آلاف فارس خلال يوم واحد ، وهو الأمر الذي لم يكن أبو اليقظان يصدقه لولا أن عاينه بنفسه في صحن قصر الخلافة (٢٢٨) .

اعترافه بالأمر الواقع وإمامة أخيه أبي بكر

وهكذا ، رغم ما يعرف به أبو اليقظان من أنه كان أكثر أبناء أئمة أهل البيت للإمامة ، ورغم التجارب التي حنكته في المشرق وفي دار السلام ، حتى قيل أن القوم هناك أطلقوه لأنهم عرفوا أن ستكون له دولة في المغرب ، كما قيل أنه بلغ النهاية والغاية في العلوم وخاصة علم النجامة (٢٢٩) ، فإنه عندما رجع إلى تاهرت وعرف بوفاته والده وولاية أخيه أبي بكر قيل الأمر الواقع ، فلم يغير شيئا ولم ينكره ، ولا ادعى إمارة ولا نازع فيها أخاه ، بل أظهر القيام له والحجبة بين يديه (٢٣٠) .

أبو اليقظان نائبا للإمام في الحكم أو وزيرا :

ولما كان الإمام أبو بكر يحب اللذات ويميل إلى الشهوات ، كما يقول ابن الصغير فإنه « استعان بأخيه أبي اليقظان محمد في الحكم فعهد إليه بالنظر في أمور تاهرت وأحوالها » وأظهر أبو اليقظان ما كان يتمتع به من الكفاية في شئون الإدارة بالإضافة إلى ما اكتسبه من أدب المشرق ، والأخذ بالحزم فيما رآه من ولاية بني العباس وسيرهم (٢٣١) . وهكذا ، فبينما كان أبو بكر معتكفا في دار الإمارة كان أبو اليقظان يجول في المدينة ، ويركب إلى أعلى مسجد فيها ، حيث يجلس للنظر في شئون الناس وحوله الأعمال والقضاة وأصحاب الشرطة وينظر في ذلك نظرا شاقيا ، ويجري الحق على الكبير والصغير حتى حمد له « الشراة » ذلك ، حبس رواية ابن الصغير ، وحمد له أخوه فعله . وفي آخر النهار كان يأتي بأب أخيه أبي بكر ، « فإن وجده جائلا دخل عليه وأعلمه بما حدث في يومه من خبر وحكم » ، وأن لقيه مشتغلا طلب من

(٢٢٨) ابن الصغير ، ص ٢٨ - ٣٠ .

(٢٢٩) انظر ابن تيمية ، المخطوط ، ص ٣١ ، حيث « قال ذلك ، يقول الرواية أنه احتال على علماء يهود وعلماء الموحدين بالمرحبة بالمرحبة حتى لا يخرج منه ما لا يوافقهم عليه » حاولوا تنبيهه وحسبوا الوقت الذي يخرج فيه من بغداد وجده في « المار » فقتلوا . أنه فقتل الجاني . انظر ابن تيمية .

(٢٣٠) ابن تيمية ، المخطوط ، ص ٣٢ .

(٢٣١) ابن تيمية ، المخطوط ، ص ٣٢ .

حجابه أن يبلغوه ما عليه المدينة من هدوء وسلام . ولم يزل أبو اليقظان مجتهداً في شغله ليلاً ونهاراً « حتى جلب قلوب الناس » (٢٢٢) .

الصراع بين محمد بن عرفة وبين أبي اليقظان :

وبذلك آلت أمور الامام أبي بكر إلى فائبيه القومين : محمد بن عرفة صهره ، ومحمد أبي اليقظان أخيه الأكبر ، وكان من الطبيعي أن ينتهي الأمر بصراع خفي - في أول الأمر - بين الشخصيتين العارمتين ، قبل أن ينقلب إلى نزاع علني تكون له آثاره السيئة في المملكة الرستمية . ويلقى ابن الصغير بتبعة انفجار الموقف المتأزم على صهر أبي بكر عندما يقول : إن محمد بن عرفة كان مشغولاً بما كان فيه من « دوى وصيت عال » ، لا ينظر أباً اليقظان في حزبه ولا في طائفته ولا في الناحية التي هو بها ، ولا ينظر ببينة له أو اجلال أو حذر منه . « هذا ، وبينما كان أبو اليقظان وعمومته وأخوته لا يصلون إلى أبي بكر إلا بعد الاستئذان ، كان محمد بن عرفة لا يحجبه عن الوصول إليه حاجب .

الرستميون يتربصون بأبن عرفة ، ويعرضون الامام على التخلص منه :

وهكذا أخذ أبو اليقظان وقرابته يتربصون بمحمد بن عرفة ، ويترقبون له الفلتات إلى أن نجحوا في إثارة أبي بكر عليه عندما خوفوه من سلطانه وما صار يتمتع به من هيبة بين الناس كادت تطمس هيبتهم للامام نفسه (٢٢٣) . وعندئذ أخذ أبو بكر يراقب صهره ، وما يتمتع به من حول وسلطة حتى تأكد له الأمر ، وهاله ما رأى من سلطان أبي عرفة فدير مقتله غدراً عندما دعاه إلى خلوة في بعض متنزهاته ، وأغرى أحد خدمه بقتل الرجل طعناً بالرمح بين كتفيه ، وهو يتنهداً لرفع يديه بالتكبير لأداء صلاة المغرب (٢٢٤) .

(٢٢٢) ابن الصغير ، ص ٢٢ - ٢٣ .

(٢٢٣) ابن الصغير ، ص ٢٣ - وتضيف الرواية هنا أنه قيل إن الذي سمى «عمر» ابن عرفة ، ولكن لم يبق . حقه كان أبو اليقظان وحده . . . وأنظر تلخيص . الدريجيني ص ٧ - ٨ (المطبوع ، ص ٨٣) .

(٢٢٤) ابن الصغير ، ص ٣٤ - ٣٥ - هذا ويشير ابن الصغير بعد ذلك إلى أن أبا بكر علم بعد فوات الأوان أن الحسد والبغى أداما إلى ما أدام لا التضيعة . . ولكنه لذلك ما كان قد عزم عليه ، ومحمد بن عرفة في ذلك كله أسلم الناس صدراً وأكبرهم له حياء . . .

أصله مقتل ابن عرفة :

ورغم أحكام الجريمة ومحاولة طمس معالمها فقد نجح أهل محمد بن عرفة وأصحابه في كشف خباياها ، فمرفقوا الموضع الذي قتل فيه والمكان الجبلي البعيد الذي القيت الجثة فيه . وكان للنبا أصداء محزنة بين العامة والخاصة والنساء والصبيان في تاهرت ممن كانوا يعرفون لمحمد بن عرفة أياديه البيضاء عليهم ، إذ « لحق الناس من الخزع بالم يلحقهم في قتل قبله » . وهكذا ، فبمجرد أن نادى المنادي : « ألا أن القتل المظلوم يأمركم بطلب ثأره ودمه » ، حتى حاجت الفتن بتاهرت (٢٣٥) . وكان يحرك الثورة رجلا يعرف بمحمود بن الوليد الذي انتهز الفرصة ، فصعد إلى أعلى موضع بالمدينة يعرف بالكنيسة ، « فضرب الطبل فبادر الناس إليه ، وأمرهم بأخذ السلاح والزحف إلى أبي بكر » (٢٣٦) .

وعندما بلغت أبا بكر أنباء ثورة العامة ضده ، بادر باستنفاذ أعوانه ، من المسيحيين (٢٣٧) ولرستميين وغيرهم . وهكذا تجمع الثوار من العامة في أعلى المدينة من ناحية الشرق بينما حشد أبو بكر أعوانه وشيعته في جهة الغرب ، واستعد كل فريق للحرب بالدروع تقي الصدور والبيض فوق الرؤس ، وكان لكل جماعة راياتها المميزة ترفرف فوق رؤسها . وزحف أبو بكر برجالها نحو الثوار وتم اللقاء الذي شارك فيه معظم أهل تاهرت قرب أحد المساجد . وكانت ملحمة مروعة صبر الناس فيها حتى تطايرت أيدي المقاتلة وأرجلهم وانقلعت هاماتهم ، وعندما تعبوا من الضرب تماسكوا بالأيدي وتقاذفوا بالسباب (٢٣٨) .

أطراف الصراع : العجم ، والعرب ، ونفوسة :

ولما بلغ القتل والتعب غايته تطور الأمور بتدخل جماعة يسميها ابن الصغير بـ « العجم » ، والمقصود بهم الفرس من أعوان الرستميين الأوائل .

(٢٣٥) ابن الصغير ص ٣٥-٣٦ .

(٢٣٦) ابن الصغير ص ٣٦ .

(٢٣٧) القراءة في « ابن الصغير » (ص ٣٦) . المسيحيين . وهو الأمر الذي يجب فيه . في مجتمع الإباضية بتاهرت والذي أدى إليه تسمية ذلك الموضع بـ « الكنيسة » على ما نطق ، أما المسيحيين فهي قراءة النادوس (الرياض قسم ٢ ص ٢٣٦) التي أخذنا بها بسبب أن أبي الخطيب السمعاني من قبله الأعلى ، وهو الأمر المقبول .

(٢٣٨) ابن الصغير ص ٣٦ - ٣٧ .

ومن سى جلدتهم • كما يمكن أن يكون العرس أيضا من سلالة الجند الأغلى
الذى هجر أفريقية الى تاهرت، وقد يكون النص على أنه في أثناء القتال بين
العرب والعجم قبض العرب على مولى من موالى الأغلب يقال له حلف الخادم (٢٣٩)
قرينة على ذلك •

ومع أن المفهوم من رواية ابن الصغير أن العجم أو الفرس أرادوا استغلال
الموقف لمصلحتهم الخاصة ، فلا بأس من أن يكون هؤلاء العجم ، الذين لم يدخلوا
في الصراع إلا بعد أن انهكت قوى الفريقين المتحاربين ، من المتعاطفين مع
الأمير أبى اليقظان محمد وأعوانه ، إذ تقول الرواية : إن أبا اليقظان اعتزل
الفريقين ، كما وعد نفوسة . التى بقيت معترلة عن الفريقين أيضا • ومن
الواضح أن النفوسيين كانوا من أعوان أبى اليقظان ، هذا كما يشير النص
إلى أن العرب ، وهو الاسم الذى صار يطلق على المتحاربين الأوائل من أنصار
أبى بكر وخصومه من العامة ، كانوا لا يشقون فى حياذ أبى اليقظان ويقولون :
إنه يعين عليهم فى الباطن • وهذا ما أكدته الأحداث فيما بعد عندما انضم
النفوسيون الى جانب العجم •

ومنذ تدخل العجم اندمج المتحاربون من عامة التاهرتيين وأعوان أبى بكر ،
الذى بقى فى داره لا يأمر ولا ينهى وقد تشاءم الناس به ، جبهة واحدة تصبح
جبهة العرب والجند من أنصار أبى بكر ، فى مقابل جبهة العجم التى تعمل
لمصلحتها الخاصة • وذلك قبل أن تظهر حبة ثالثة هى جبهة نفوسة : أنصار
أبى اليقظان الصرحاء •

شريط الأحداث :

ولقد دارت أحداث الصراع على الوجه التالى ، حسب رواية ابن الصغير :

العجم يعملون لأنفسهم :

أراد العجم انتهاز فرصة تعب المتقاتلين من العامة وأعوان أبى بكر من
الجند ، فظنوا أنه يمكنهم القضاء على العرب والجند ومواليهم وأتباعهم وأخبار
ديارهم ، وبذلك يصفو لهم البلد والسلطان • وبدأ العجم فى التمرکز فى
بعض أطراف تاهرت استعدادا للهجوم على الناحية المعروفة بموقف الدّوّب ،

ولكن لسوء حظهم فإن أهل تلك الناحية كانوا يتوسسون منهم خيفة ، فاستعدوا لهم وأخذوا حذرهم . فما أن وافاهم العجم حتى بدروا اليهم وقتلوعهم قتالا شديداً - وكان غدر العجم بالجماعتين المتقاتلتين من الجند والعرب سبباً في تلاحمهما : إذ تركوا قتال بعضهم وتعاقوا ، ثم أنهم قاموا بأجمعهم قوة رجل واحد ضد العجم ، فقتلوا كثيراً منهم ، كما أخذوا بعض الأسرى (٢٤٠) .

يوم حربة : وتحالف نفوسة مع العجم :

واستمرت الحرب بين أنصار أبي بكر من الجند والعرب وبين العجم ، وكان العرب يضغطون على العجم ، ويخرجونهم من بعض ديارهم في حال انتصارهم . وظل الحال على هذا المنوال إلى أن وقعت المعركة المعروفة بـ « يوم حربة » في جوار درب النفوسيين في تاهرت . ففي هذا اليوم استمع العرب إلى نصيحة خلف الخادم ، وهو المولى الأغلبى الذى كان يحلب في عداد العجم قبل أن يقع أسيراً في أيدي العرب فيعاون أنصار الامام أبي بكر بماله ونصائحه ، بأن لا يكتفوا بإخراج العجم من ديارهم ، بل أن يطلقوا النار في كل ما يغلبون عليه منها (٢٤١) . وهكذا فعندما استولى الجند والعرب على موضع العجم المجاور لدرب النفوسيين ، أضرموا النار فيه مما تسبب في الأضرار ببعض النفوسيين المقيمين هناك . وكان هذا الحادث سبباً في تحالف نفوسة مع العجم ، بعد أن وقفوا موقف الحياد ، ولم يكن من الغريب أن يجذبوا إلى جانبهم الأمير أبا اليقظان ، وكان النفوسيون أخلص حلفائه .

انتهاء الحياض : انشقاق الأسرة الرستمية : العرب في صف أبي بكر والعجم ونفوسة في صف أبي اليقظان :

وهكذا شاركت جميع الأطراف في فتنة محمد بن عرفة ولم يعد هناك متحاربون ومحايدون ، إذ كون المتحاربون الأوائل من الجند والعاملة من العرب جبهة مؤيدة للامام أبي بكر ، بينما انضم المحايدون من العجم ونفوسة وبعض الرستمية وكونوا جبهة مؤيدة للأمير أبي اليقظان . وبذلك انشقت الأسرة الرستمية على نفسها ودارت الحرب الأهلية باسم أفرادها .

وفي بداية الأمر حقق العجم ونفوسة انتصارات قوية على الجند والعرب

(٢٤٠) ابن الصغير ، ص ٣٧ .

(٢٤١) ابن الصغير ، ص ٣٧ .

فى عدد من الوقائع ، مثل وقعة قسرة الدمس ، وقنطرة سنيس حيث فزع صناديد العرب ، وانتهى الأمر بغلبة العجم ونفوسه على أكثر تاهرت بعد أن ردوا خصومهم إلى أطرافها . وبعد ذلك دارت الدائرة على العجم ونفوسه منذ حقق الجند والعرب انتصارهم الكبير في الوقعة المعروفة « بيوم الرد المعوج » ، حيث : « ذكر أن نفوسة فروا بعضها على بعض » (٢٤٢) ، مما جعلهم يقررون فيما بعد أن يشدوا أرحلهم فيما بينهم بالحبال ، حتى يثبتوا فلا يفروا من أمكتهم ولو قطعت السيوف هاماتهم (٢٤٣) .

تفوق العرب على العجم ونفوسة . وحرب الحصون :

واستمرت فتنة ابن عرفة « وأمور العرب والجند تقوى ، وأمور العجم ونفوسه تضعف » ، إلى أن انتهى الأمر باحلالهم عن ديارهم التي أضرت فيها النيران في أحواز تاهرت ، باستثناء موضع واحد في ناحية النهر الصغير المعروف بعدوة نفوسة حيث بنوا لهم حصنا قويا . وفي مقابل حصن عدوة نفوسة بنى العرب والجند حصنا لهم بأموال قدمها لهم من كان في حيزهم من التجار ، مثل : أبى محمد الصيرفي ، وابن الواسطي ، وغيرهما من زجوة التجار أصحاب الأموال . ويشير ابن الصغر إلى أنه لم يكن يفصل بين الحصنين إلا مقدار رمية سهم ، وأنه : « ربما كان البناءون يبنون والنبل تصيبهم فيجعلون لهم ستاره ، حتى استدار الحصن وركبوا أبوابه وعلته أبرجته ، والحرب لا تعتر ليلا ولا نهارا ، وحملت فيما بينهم حمية الحاهلية ، وجرت بينهم الحرب سمعة ورياء » (٢٤٤) . ومن أبطال حصن عدوة نفوسة رجل من العجم يعرف بابن وردة كان مبارزا من الطراز الممتاز حتى طبقت شهرته الآفاق (٢٤٥) . وأغلب الظن أن ابن وردة هذا هو صاحب السوق في تاهرت الذي كان لا يدخله عمال الامام من المحتسبين ، كما سبق الإشارة (٢٤٦) .

تفرق الاخوة المتناحرين في البلاد :

خروج أبى بكر من تاهرت ، ونزول أبى اليقظان في كنف لواتة :

وانتهت فتنة ابن عرفة بتفرق العجم ونفوسة والرسامين في أقاصى

(٢٤٢) ابن الصغر . ص ٣٨

(٢٤٣) ابن الصغر . ص ٣٨

(٢٤٤) ابن الصغر . ص ٣٨ - ٣٩

(٢٤٥) ابن الصغر . ص ٣٩

(٢٤٦) انظر فيما سبق ، ص ٣٤٢

البلاد، على الوجه الآتي : نزلت العتجيم بموضع يقال له « تنابفيلت » ، وهو على بعد مرحلتين من مدينة تاهرت اما الرستمية ومن انضاف اليهم ، فقد لحقوا بالأمير أبي اليقظان محمد بالموضع الذي يقال له « اسكدال » ، وهو بقبلّة تاهرت على مسيرة يوم وأزيد قليلا في مجمع الاباضية . هذا ، ونزلت قفونة بقلعة مائة تعرف الى اليوم بقلعة نفوسة . وعندما نزل محمد بن مسالة تاهرت خرج منها الامام أبو بكر مع من خرج « لا حيا ولا ميتا » ، كما يقول النص (٢٤٧) ، مما يعني أنه لم يعرف ماله ؟

ولم تنزل أمور الناس في تاهرت هادئة الى أن وقعت الوحشة بين قبائل هواراة وقبائل لواتة . وذلك أن قبائل لواتة كانت من بين سكان تاهرت عندما أتت هواراة وتسلطت على لواتة بمعونة أهل المدينة . وعندئذ رأت لواتة أن ترحل عن تاهرت فخلت عنها ، ونزلت بحصنها المعروف بحصن لواتة ، ومن هناك ارسلت الى أبي اليقظان تدعوه الى الإقامة معها ، فنزل في نجوارهم على مسيرة أميال بموضع يقال له « تساونت » ، وهو الموضع الذي يخرج منه عيون نهر ميتة الذي يجري من قبلّة تاهرت حيث تنصب عليه الأرحاء .

نشاط أبي اليقظان في شراء الأعوان : والاعداد لغزو تاهرت على محمد بن مسالة :

وواضح من رواية ابن الصغير أن الأمير أبي اليقظان محمد أخذ في استخدام بريق الذهب لجذب الأنصار ، بعد أن انتهت الفتنة التي شارك في تدبيرها نهاية لا ندرى في مصلحة من كانت . فابو بكر ترك تاهرت الى حيث لا ندرى ، وأبو اليقظان نزل بالقرب من لواتة . ومن مقره في جنوب تاهرت أخذ أبو اليقظان يستخدم ما كان معه من الأموال التي قدم بها من بغداد ، إذ كان كثير من أهل تاهرت متعاطفين معه ولم يكن يلزمهم للحركة واتخاذ جانبه صراحة إلا التلويح لهم بالذهب والفضة ، وهذا ما حدث فعلا : « إذ صارت الدعوة والامامة كلها لابي اليقظان » (٢٤٨) . ولكن الأمير لم يصف تماما لأبي اليقظان إذ ظل لمحمد بن مسالة كثير من الأعوان في تاهرت ، بيولوخه ولايرون رأى أبي اليقظان لأسباب لم يعلمها ابن الصغير . وبذلك عادت الحرب من جديد حتى تاهرت إذ أعد أبو اليقظان العدة لغزو المدينة بعد أن أسقط

(٢٤٧) ابن الصغير ، ص ٣٩ .

(٢٤٨) ابن الصغير ، ص ٤٠ .

والدعوة لأبي بكر - الذي لا نعرف ما إذا صار إليه أمره - كما أنكر أمر محمد بن مسالة ، ودعا لنفسه بالامارة والامامة (٢٤٩) .

أبو اليقظان اماما ، بعد حرب السبع سنوات وخراب تاهرت :

واستمرت الحرب بين أبي اليقظان والتاهريين طوال سبع سنوات قاسمت منها المدينة كثيرا من الأهوال حتى حرب وعادت عجورا شمطاء بعد أن فقدت بهجتها ونضارتها . ولما طال الحرب وامتنت تاهرت على أبي اليقظان اتجه نحو نفوسة في حلهم وطلب منهم العون وتجديد البيعة (٢٥٠) .

شروط الصلح :

واستجابت نفوسة لطلب أبي اليقظان فبعثوا اليه جموعا من رجالهم سار بهم لنزال تاهرت التي هاجمها من حية العرب . وطلب الفوسيون أنذار اخواتهم في تاهرت قبل قتالهم ، ودعوهم الى الرجوع الى الطاعة ، قيل أن ينزلوا معهم على حكم الله ، وهو حكم السيف . ووافق خصوم أبي اليقظان في تاهرت على الصلح شريطة أن يؤمنهم أبو اليقظان ، وأن يسوغهم ما أصابوا من دم أو مال فلا يتبع أحدا منهم . ووافق أبو اليقظان على هذا الشرط فتم عقد الصلح بين أهل تاهرت وعسكره ، وفي ذلك قالت نفوسة : « نحن انما جئنا لاصلاح بيضتنا ، وتاليف امرنا وقوام ديننا ، ولم نأت بطلب علو في الأرض ولا فساد » (٢٥١) .

الأثر المشرقى في بلاط أبي اليقظان :

والظاهر أن رحلة أبي اليقظان الى المشرق واقامته في بغداد عاصمة الخلافة العباسية كان لها أثر عميق في نفوس الناس . يظهر ذلك في أحاطة كتاب الإباضية للامام الجديد بهالة من الجلال والعظمة التي لم يتسبب لغيره التمتع بمثلها ، باستثناء نفاث بن نصر صاحب الانشقاق الثالث في الإباضية . فابن الصغير ينهى على أن يرأس الصلح بين أبي اليقظان وأهل تاهرت تمت في السراشق العظيم الذي كان رأبوا اليقظان قد أتى به من بغداد ، والذي خبر به في ظاهر تاهرت في الموضح المشرف على المدينة ، الذي عرف بقلة

(٢٤٩) ابن الصغير ، ص ٤٠ .

(٢٥٠) ابن الصغير ، ص ٤٠ .

(٢٥١) ابن الصغير ، ص ٤٠ - ٤١ .

نفوسة . وكان هذا السراق أول سراق مضرب يراه أهل المنطقة ، إذ كانت لهم مضارب وقباب يقيمونها في مثل تلك المناسبة (٢٥٢) .

تاهرت تنفض عن نفسها غبار الحرب:

وتتمام الصلح بدأت تاهرت تنفض عن نفسها غبار أيام الخسرب والتماسة ، فقام أهل المدينة وهدموا بقايا دار أبي اليقظان التي كانت مزينة وكدية من الكدا ، فكتمسوها في يومهم فابتنوها في أسرع الأيام . وبذلك تهيأ لأبي اليقظان النزول في المدينة حيث بدأ يمارس سلطانه ، كما نزلها الناس (٢٥٢) .

إمامة أبي اليقظان محمد بن أفلح في تاهرت (٢٦٠ هـ - ٢٨١ هـ / ٨٧٣ م - ٨٩٤ م) :

مع إمامة أبي اليقظان تأخذ رواية ابن الصغير شكل المذكرات اليومية الخاصة ، أو طابع أحاديث المعاصر شاهد العيان . فمؤرخنا عاش شاباً أيام الأخيرة من إمارة أبي اليقظان في تاهرت ، وسمحت له الظروف بحضور مجلسه مرتين على الأقل (٢٥٤) . وإذا كان ابن الصغير يسجل أن إمامة أبي اليقظان دامت نحواً من ٤٠ (أربعين) سنة (٢٥٥) ، وأن وفاته كانت في سنة ٢٨١ هـ / ٩٤ - ٨٩٥ م (٢٥٦) ، يكون وصول أبي اليقظان إلى الإمامة في نحو سنة ٩٤٠ هـ / ٩٥٤ م ، وهو الأمر غير المقبول ، إذ المفروض أن وصوله من بغداد كان بعد سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م (٢٥٧) . وبناءً على ذلك ، فإذا أخذنا سنة ٢٨١ هـ / ٩٤ - ٨٩٥ م كتاريخ لوفاة أبي اليقظان - وهو الأمر المقبول - لا تطول إمامة أبي اليقظان إلى أكثر من ثلاثين سنة إذا أدخلنا في الحساب

—————

(٢٥٢) ابن الصغير ، ص ٤٩٠ .

(٢٥٣) ابن الصغير ، ص ٤٩١ - وقارن أبو زكريا - المخطوط من ٣٦٠ - ج ١ الفقه يقول عن إمامة أبي اليقظان : أنه اجتمع عليه عامة المسلمين فلولوه على أنفسهم دون اختلاف . (٢٥٤) ابن الصغير ، ص ٤٤ : حيث يقول : وقد لقيت أنا بعض أيامه وحضر مجلسه . وقد جلس للعلم خارج المسجد الجامع ورايته يوماً قائماً في أصل الجنازة .

(٢٥٥) ابن الصغير ، ص ٤٤ ، أبو زكريا ، ص ٣٦ - ب ، الدجيني ، ص ٣٧ - ١

(المخطوط . ص ٨٣) ، الشافعي ، ص ٢٢٢ .

(٢٥٦) ابن الصغير ، ص ٤٩ .

(٢٥٧) أنظر فيما سبق ، ص ٣٥٤ .

- ٣٦٦ -

تلك الفترة. التي استولى فيها على زمام الأمور إلى جانب ابن عرفة ، أو إلى وقت انفجار فتنة ابن عرفة وحرب السبع سنوات . أما إذا اعتبرنا إمامة أبي اليقطان الحقيقية ، أي بعد الصلح مع أهل تاهرت ، فمن الواضح أنها لا تطول إلى أكثر من عشرين سنة ، وهذا ما جعلنا نأخذ سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م . كتاريخ لإمامة أبي اليقطان الخالصة - دون مزارع .

وأبو اليقطان الشيخ الذي كان يناصر التسعين من عمره عندما رآه ابن الصغير ، كان مربع القامة ، أبيض الرأس واللحية ، وكان إذا جلس حيمت هيئته على الحضور فلا ينطق أحد بين يديه إلا أن يكون صاحب علامة (٢٥٨) .

دولة نفوسية في تاهرت :

ترتيب الدولة ، وتقدم نفوسة :

وكان أول ما بدأ به أبو اليقطان عندما استقر في تاهرت . هو اقرار قواعد الدولة بانتخاب حبر الأعوان والعمال . وكان أول شيء نظر فيه من أمور الناس في تاهرت ، هو البحث في أصلح من يلي وطيمه القضاء . وبعد أن شاور جماعة من أعيان المدينة استقر رأيه على أن يكون أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ قاضيا . ثم أنه ولي على بيت المال رجلا من نفوسة . أما في إمامة الصلاة وخطة الجمعة فقد قدم لها من ارتضاه هو نفسه (٢٥٩) ، مما يعني أن اختيار القاضي وصاحب بيت المال كان محددًا في نفوسة أو مشروطًا بموافقتها .

أهمية الحسبة :

وهذا ما يؤكد أن أبا اليقطان « أمر قوما من نفوسة يمشون في الأسواق فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ، مما يعني أن النفوسيين كانوا أقرب أعوان الإمام . ويشير ابن الصغير إلى بعض اختصاصات هؤلاء المحتسبين من نفوسة ، كان يروون قصابا ينفخ في شاة فيعاقبونه ، أو أن يروا دابة حملت فوق طاقتها فينزلون حملها ، ويأمرون صاحبها بالتخفيف عنها ، أو أن يروا

(٢٥٨) ابن الصغير . ص ٤٤ .

(٢٥٩) ابن الصغير . ص ٤٦ .

قد راخى الطريق فيأمرون من حول الموضع أن يكتسه وينظفه (٢٦٠) .

وأتى جانب هذه الأعمال الخاصة بأداب الأسواق والطريق العام ، يشير ابن الصغير الى بعض أعمالهم المنهية ، ومنها : أنهم كانوا « لا يمتعون أحدا من الصلاة في مساجدهم ، ولا يكشفون عن حالة ولو رأوه رافعا يديه ، ما خلا المسجد الجامع : ان رأوا فيه من رقع يديه متعوه وزجروه ، فان عباد خربوه » . أما عن خطب الجمعة على منابرهم ، فيقول : إنها « خطب إمام المؤمنين على بن أبى طالب ، ما خلا خطبة التحكيم » (٢٦١) التى كانوا ينكرونها .

قضاء لا يفرق بين الأمير والرعية :

تلك كانت نظم الحكم فى تاهرت على عهد أبى اليعتقان ، وكانت أهم الخطوط هي خطة القضاء التى ظل يشغلها محمد بن عبد الله بن أبى الشيخ الذى عرف بحسن السيرة وبأنه لا تأخذه فى الله لومة لائم ، الى أن استعفى عندما نما اليه سوء سيرة الأمير أبى زكريا بن أبى اليعتقان ، فسار الى الامام ، « فرمى اليه خاتمة وقمطره ، فقال له : ول على قضائك من تريد » (٢٦٢) .

امام يعيد سيرة الراشدين من أئمة الرستمين :

- ولم تنقص هذه الحادثة التعسة التى أدت الى استقالة القاضي الحازم من تقدير ابن الصغير لأبى اليعتقان - التى لحق بعض أيامه وحضر مجلسه مرتين -

٢٦٠-١ ابن الصغير ، ص ٤١ .

٢٦١-١ ابن الصغير ، ص ٤٢ .

٢٦٢-١ انظر ابن الصغير ، ص ٤٢ : حيث تشير الرواية الى جانب معنى العاصدين الذين أعربوا عن مروهم عندما قال القاضي لهم : « والله لا وليت له قضاه ابله ان ابن الصغير استطاع ان يعرف حقيقة القضية من سليمان مولى محمد بن عبد الله القاضي ويعوله . ويتلخص الأمر فى ان امرأة دقت باب القاضي ليلا (بعد المشاء الأخيرة) معها غلام مقل يحمل لها سراجا ، وأخبرت القاضي ان خدام الأمير أبى زكريا دخلوا عليها الباعة وأخذوا ابتها من بين يديها . وان ابنتها خافت خبايتهم خشية القتل من قبل بعض عمالهم أو من خصوصهم . وعندما افتاح القاضي الذى سقط كالكتفى عليه ، امر مولاة سليمان بقتله سيف وحمل سراج بينما أخذ حر صلاه وسار الى - دار الزكاة حيث استجبت المرأة - ان يكون الجنة قد لجأوا اليها . وهناك لاحظ القاضي اوتياح أهل الديار التى لم يطمعوا فيها . ولم انه لم يجد شيئا فان شكوكه فادت حتماسا عن ابن الأمير أبى زكريا يعرف مكانه كان فى الدار أثناء النهار ، وانه ركب فرسه فى الليل .

اذ يقول : انه « كان زاهدا ، ورعا ، ناسكا ، سكيئا (٢٦٢) » . اما أبو زكريا فيقول عن أبي اليقظان أنه « بلغ في العدل والفضل غاية عظيمة » ، وان نفوسة كانت « لا تعدل بولايته الا ولاية جده عبد الرحمن » ، فقد كانت « نفوسة تجعل باب داره كالمسجد يسهرون حوله : طائفة يصلون ، وطائفة يترأون القرآن ، وطائفة يتحدثون في فنون العلم (٢٦٤) » .

مجلس أبي اليقظان ، في الجامع :

وفى مجلس أبي اليقظان ينص ابن الصغير على أنه « كان اذا جلس في المسجد الجامع جلس على وسادة من آدم مستقبل الباب البحري وله سارية تعرف به يجلس اليها ، ولم يكن غيره يجلس اليها » . وكان يقابله نصب عينييه رجل من نفوسة يعرف بعيسى بن فرناس ، وكان عندهم من الورع بمكان . ويلي عيسى رجل من هواره يقال له ابن الصغير لشأه في الفقه ، ولم يكن في ورع عيسى . وكان عن يمينه وعن يساره وبين يديه وجوه الناس (٢٦٥) .

والى جانب العلماء من نفوسة وهواره ، « كان أحسن الناس به رجل من العرب يعرفون بمحمود بن بكر » (٢٦٦) . ولكنه على عكس ما سبق أن أشار اليه ابن الصغير من أن خطب الرستميين على عهد أبي اليقظان كانت خطب على بن أبي طالب ماخلا خطبة التحكيم (٢٦٧) ، فإنه ينص هنا على أن محمود بن بكر « كان غالبا فيهم ، تذكر عنه البراءة من أمير المؤمنين على بن أبي طالب » . وكان محمود هذا « مدارهم الذي يذب عن بيضتهم ، ويدافع عن دينهم ، ويرد على الفرق مقالاتهم ، ويؤلف الكتب في الرد على مخالفينهم (٢٦٨) » .

تاهرت تعود مركزا علميا مرموقا : ازدهار علم الكلام :

والظاهر أن سوق العلم كانت قد نفقت في تاهرت بعد فترة الاضطراب التي عرفت بها العاصمة الرستمية على عهد أبي بكر ، وفي السنوات الأولى

(٢٦٢) ابن الصغير ، ص ٤٤ .

(٢٦٤) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢١ - ب ، الدرجيني ، ص ٢٧ - أ (المطبوع) .

ص ٤٨٢ .

(٢٦٥) ابن الصغير ، ص ٤٤ .

(٢٦٦) ابن الصغير ، ص ٤٤ .

(٢٦٧) الظرفي ، ص ٣٦٧ ، وفيما بعد ، ص ٢٨١ .

(٢٦٨) ابن الصغير ، ص ٤٤ .

من عهد أبي اليقظان . فهذا ما يفهم من المناظرات التي كانت تقام بين الإباضية وخصومهم النكار الذين عرفوا بالمعتزلة ، والتي كانت تعقد بنهر مينة ، وكان يحضرها علماء الرستمين من مختلف القبائل ، وخاصة من هوازة . ومن بين متكنمي الرستمين يذكر ابن الصغير رجلا يقال له عبيد الله بن اللطفي ، وكان حيرا بعمون المنطق وعلم الكلام بدرجة أثارت إعجاب خصومه المتخصصين في هذا اللون من فنون الفلسفة (٣٦٩) الذي كان غريبا على الكثيرين من علماء المغرب في ذلك الحين (٢٧٠) .

أبو عبيدة الأعرج - نموذج للعالم الأمر بالمعروف :

وكان من علمائهم الذين رآهم ابن الصغير رجل يعرف بابي عبيدة الأعرج : كلهم مقرون له بالفضل معترفون له بالعلم مسلمون له في الورع ، إذا اختلفوا في أمر من الفقه أو من الكلام صدروا عن رأيه ، وكان أبو عبيدة الأعرج معتزا بنفسه ، قليل الدخول على أبي اليقظان ، ولم يكن يجمعه أيام سوى المسجد الجامع . وكانت عادة الفقهاء والقراء وغيرهم الخروج إلى أبي اليقظان عندما يضرب سرادقه لحدث يريد فيضربون أبنيتهم حول سرادقه خلا أبي عبيدة ، الذي لم يكن يدخل على أبي اليقظان إلا من أجل أمر معروف أو نهي عن منكر ، مثل : طلب إطلاق محبوب من جيرانه أخذه صاحب حرس الامام وسجنه لغير ذنب يستحق ذلك ، مما كان يثير «عجب الناس من صدقه وتركه التصنع ، وأظهاره على لسانه ما أسر في قلبه (٢٧١) » .

. وكان أبو عبيدة الأعرج عالما بالفقه والكلام والوثائق والنحو واللغة . وكان مع ديانتته حسن الادب والمروءة ، حتى ان ابن الصغير المالكي : كان يترك مكانه الذي كان يبيع فيه ويشترى في حي الرهادنة ليقرا عليه في اللغة والنحو . ولو أنه لم يستفد كثيرا من العالم الذي كان كثير الشغل ، اذ كان الناس يأتونه كثيرا يطلبونه للشهادة أكثر من مرة في الجلسة الواحدة ، فيأخذ

(٣٦٩) انظر ابن الصغير ، ص ٤٤ - ٤٥ : حيث يورد نماذج من الأسئلة التي دارت في مجلس المناظرة ، مثل : هل تستطيع الانتقال من مكان لميت فيه إلى مكان لميت فيه ، وكان رد اللطفي لا . ومثل : هل تستطيع الانتقال من مكان أنت فيه إلى مكان لميت فيه ، وكان رد اللطفي : إذا كنت ، مما جيل سألته يقول له : « خرجت منها يا بني اللطفي » . (٢٧٠) وقارن مجلس زيادة الحق للإمامين للمناظرة بين الأوبى التي جرت في المجلسين (٢٧١) أو اسحق الاسرائيلي ، فيما سبق ، ص ١٧١ . (٢٧١) ابن الصغير ، ص ٤٥ .

نَعْلته وعصاه ويسير معهم ، دون أن ينسى الاستئذان من طالبيه ، الذي كان قد
لُفِت نظره إلى أنه يترك مضالجه من أجل العلم (٢٧٢) . ويؤكد ابن الصغير :
أن المغرب كله « كان مفتونا بهذا الرجل حتى أن من كان من الأياضية يسجل ماسه
يمشون إليه يزكياتهم يصرفها حيث شاء » (٢٧٣) .

مهدي خارجي - الفتنان نفوسة بابي اليقظان :

ويختتم ابن الصغير كلامه في عهد أبي اليقظان بالحديث في مناقب
هذا الإمام فهو يعود إلى تأكيد افتتاح قبائل نفوسة الجبل بابي اليقظان ،
ويبالغ في ذلك إلى حد القول : أن نفوسة « أقامته في ذينها ، وتحليلها وتخزينها ،
مثل ما أقامت النصراني عيسى بن مريم » ، وهو الأمر الذي لم يسجله مؤرخو
الرستميين من أهل المذهب . ويتبع ذلك بالقول : « وكان أكثرهم لا يحج
إلا باستئذانه ، وكانت المرأة تبعث باينها أو ابنتها يأخذ لها الإذن منه . وكان
إذا ضرب سراحه وأنته وفودهم لا ينامون الليل حول فسطاطه ، شأنهم التهليل
والتكبير من أول الليل حتى الفجر ، فإذا صلوا الفجر معه خرجوا بأنفسهم إلى
الأرض فناموا » (٢٧٤) .

وهكذا لم يكن من الغريب أن يكون النفوسيون عصب دولة أبي اليقظان ،
وأن يطيعوه طاعة لم يطيعوا مثلها غيره من الأئمة ، حتى أنهم عندما كانوا يأتونه
تليقدهم عليهم أميرا من أنفسهم ، كان يسمح باختيار من يريد ، ويأمر كاتبه
بتدوين السجل المعتاد ويطويه ويختمه (يطبعه) ، ويطلب منهم ألا يفتحوا
السجل إلا بالجبل ، دون أن يعلم أحدا من الناس من المقدم عليهم ، حتى من
كبار أخصائه النفوسيين المقيمين معه في تاهرت ، مثل : حمود بن بكر ،
وعيسى بن فرناس (٢٧٥) .

وحق لنفوسة أن تفتتن بالإمام الورع المتقشف الذي كان لا يسمح لحائمه
بأن يقدم علها لفرسه من بيت المال وقد جن الليل وعز الطلب ، فيقول له :

(٢٧٦) ابن الصغير ٧٠ ص ٤٦ -

(٢٧٧) ابن الصغير ، ص ٤٦ -

(٢٧٨) ابن الصغير ٧٠ ص ٤٦ - ٤٧ -

(٢٧٩) ابن الصغير ٧٠ ص ٤٧ : « حيث يقول أن محمد فقهائهم » وهو عبد العزيز بن الأوز
الذي - ولم عليه - كان شقيقه السلطان شقيقه الملقب « مولى من اختاره أبو اليقظان لولاية
جبل نفوسة بالفراسة ، وذلك بما بدا على وجه الإمام . عندما ذكر له اسم الفلاح بن العباس
(ابن يعقوب بن العباس) الذي وقع عليه الاختيار بين أسماء غيره من المرشحين .

« والله لإقام محمد (أبو اليقظان) ولا أكل ولا شرب حتى تمضي وترد في بيت المال ما أخذته منه » (٢٧١) .

نهاية ناسك : وفاة أبي اليقظان :

ولم يكن من الغريب إذن أن يموت الامام المتقشف في سنة ٢٨١ هـ / ٨٩٤ م ، بعد أكثر من عشرين سنة من الامامة ، فلا يوجد له من العين في تركته إلا سبعة عشر ديناراً (٢٧٧) . ولا بأس من أن تكون تلك الدنانير التي لم تتبلع العشرين هي قيمة الكتب التي وجدت عنده ، والتي كانت من تأليفه في الرد على المخالفين ، كما يفهم من رواية أبي زكريا (٢٧٨) .

وخلف أبو اليقظان عددا من الأبناء الذكور ، منهم : يقظان ابنه الأكبر الذي كنى باسمه ، ويوسف وهو المكنى بأبي حاتم ، وأبو خالد ، وعبد الوهاب ، ووهب . وغيرهم ممن يشير إليهم ابن الصغير دون أن يذكر اسمهم . وكانت الامامة من بعده من نصيب أبي حاتم يوسف وهو ثاني أبنائه .

امام من طراز جديد : « ققيب » للعلامة وأهل الحرف :

أبو حاتم يوسف بن محمد أبي اليقظان امام تاهرت الخامس (٢٨١ هـ - ٢٩٤ هـ / ٨٩٤ - ٩٠٧ م) :

يبرر ابن الصغير ولاية يوسف وتقدمه على أخيه الأكبر يقظان ، بأن هذا الأخير كان قد خرج لاداء فريضة الحج عندما توفي والده (٢٧٩) ، مما يعني أنه لم يكن من الممكن ترك الامامة شاغرة لحين عودة يقظان . ولكن الروايات المكملة لذلك يمكن أن يفهم منها أن أباحاتم يوسف كان نشيطاً طموحاً يرفو بأبصاره الى الامارة منذ حياة والده . وهكذا نجد رواية تقول : « لما مات أبو اليقظان قامت العوام ، وأهل الحرف ومن لفهم ، فقدموا ابنه أباحاتم بلا مشورة أحد من الناس لا من القبايل ولا من غيرهم » (٢٨٠) . بينما تقول

(٢٧٦) ابن الصغير ، ص ٤٨ - ٤٩ .

(٢٧٧) ابن الصغير ، ص ٤٩ .

(٢٧٨) انظر أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٦ ب - حيث يقول إن قبيبها يلقب

بـ : تسعة عشر ديناراً .

(٢٧٩) ابن الصغير ، ص ٤٩ .

(٢٨٠) ابن الصغير ، ص ٤٩ .

أخرى : إن أبا حاتم كان فتى شاباً معتزاً بنفسه ، يجمع الفتيان حوله فيطعمهم ويكسيهم ، وأن أمه « غزالة » التي كانت مسيطرة على أبي اليقظان كانت تدله ، حتى أنه انتهاز فرصة غياب والده عن المصلى في يوم عيد وسمح للعوام بأن يحملوه على درقة وهم ينادون بظاعته ، مما جعل أبو اليقظان يقول لأمه : أحذري يا غزالة فقد أصبح اليوم ابنك يا غياة (٢٨١) . فكان أبا حاتم كان يشتاق إلى الامارة ، ويعمل على الوصول إليها منذ صباه .

والظاهر أن أبا حاتم لم يكن شاباً وصولياً ، بل كان رجلاً مجتهداً حتى أن والده كان يهتد إليه بالنيابة عنه في الأمور العظيمة ، مثل : قيادة الجيوش . فعندما توفي أبو اليقظان لم يكن يقظان وحده غالباً في الحج ، بل كان أبو حاتم يوسف أيضاً خارج تاهرت يقود جيشاً من وجوه زناتة « ليحوزوا قوافل قد أقبلت من المشرق ، وفيها أموال لا تحصى ، قد خافوا من قبائل زناتة » (٢٨٢) . وبينما أبو حاتم في مهبة القوافل تلك ، إذ وافته رسل من تاهرت تفيد به وفاة أبيه وعقد الامارة له . « وذلك أن إياه لما مات اجتمعت العوام والعربان دون القبائل فنادوا لا طاعة لأحد إلا لأبي حاتم » ، وكان أبو حاتم حينئذ على مسيرة يومين المدينة أو أكثر (٢٨٢) . « ثم ووضح من النص أن إياحاهم قبول في تاهرت بتظاهرة شعبية عظيمة ، إذ : « لما وصل إلى باب المدينة ازدحم الناس بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه وعن يساره ، فبايعوا ، فما وصل المسجد الجامع إلا وقت الظهر ، فاصعدوه المنبر وبايعوه وكبروا حوله وحملوه على الأيدي والأعناق حتى أوصلوه إلى داره ، ثم أرسلوا إلى القبائل فيبايعته » (٢٨٤) .

ترتيب جديدة تتأسب شعبية الأمير ، واتجاهات غير إباضية في علاقاته مع الآخرين :

وظهرت شعبية أبي حاتم التي اكتسبها أيام فتوته عندما حاول أهل بيته ووجوه الرستمية « أن يجعلوا له حجاباً وغيبة » ، وأبت العوام من ذلك ، وأرادت الدنو إليه في كل الأوقات على ما كانت تعرف قبل اغارته (٢٨٥) . وهذا الأمر يكون مقبولا فعلاً إذا عرفنا أن عقد البيعة لأبي حاتم تم بمعرفة

(٢٨١) ابن الصنبر ، ص ٤٩ - ٥٠ .

(٢٨٢) ابن الصنبر ، ص ٥٠ - ٥١ .

(٢٨٣) ابن الصنبر ، ص ٥٠ .

(٢٨٤) ابن الصنبر ، ص ٥٠ .

(٢٨٥) ابن الصنبر ، ص ٥٠ .

رجلين من خاصيته من أهل الحرب والنجدة ، هما : محمد بن رباح ، ومحمد ابن حماد اللذان عرف عنهما من الجرأة ما بلغ حد ان اقتربا ذات يوم على : أبي حاتم ، عندما شكيا لهما من والده الذي نازعه في بعض أشياء ، أن يخلي بينهما وبين والده فيقتلانه ويصير الأمر إليه ، مما أثار الهلع في قلبه (٢٨٦) . وفي علاقاته القوية بغير أهل المذهب وبالعوام ، يقول ابن الصغير أن بعض مشايخ تاهرت من غير الاباضية كانوا قد استولوا عليه ، مثل الفقهاء الكوفيين : أبي مسعود وأبي ذنون ، وكثنا على مذاهب الكوفيين في الفقه العلويين أو معتزلة ؟ ، ومثل علوان بن علوان الذي لم يكن من أهل الفقه ، ولكن كانت له رئاسة في البلد ، ومحبة عند العوام . والغريب أن ابن الصغير المالكي هو الذي يشير إلى أن تلك الجماعة كانت تهدف إلى الكيد للاباضية ، ويطمعون به في القضاء على مذهبهم ، وأن يكن غدرًا . وهو الأمر الذي لا نجد أصداً له عند كتابهم ، مع أنه كان يمثل مرحلة تطور غربية في تاريخ تاهرت الرستمية ، تنذر باضمحلال المذهب الاباضي قبل ظهور الفاطميين .

انهيار حلف المتناقضات :

فالتجاء مذهب الكوفيين العراقي إلى تاهرت ، كما يشير ابن الصغير ، بل وجود ابن الصغير نفسه وهو المالكي المذهب في عاصمة الرستمين ، إلى جانب تدخل العامة في شئون الإمارة بتشجيع أبي حاتم ، كل ذلك يمثل قرائن مقبولة توضح أن المذهب الاباضي لم يعد كافياً للاستجابة إلى متطلبات مجتمع تاهرت ، وأنه كان يتآكل داخلياً قبل أن يواجه المذهب الفاطمي آتياً من الخارج ، وأنه لم يعد كافياً وحده . كما كان الحال من قبل - لكي يشد أركان الدولة الرستمية . وهكذا تكون إمارة أبي حاتم بين أبي اليقظان قد حملت بذور ضعفها في ثنايا بدايتها . وذلك أن محمد بن رباح ومحمد بن حماد ، اللذين كانا من خاصية أبي حاتم ، كما عرفا بالحرب والنجدة والجرأة الزائدة ، بدأ يسيثان السيرة ، ويهددان بعض مشايخ تاهرت ، مما أثار الأمير أبي حاتم فأمَرَ بأحراجتهما من المدينة .

فترة القتال بتاهرت :

ولما كان لمحمد بن حماد منزل عظيم على مسافة أميال من تاهرت يعرف بـ «الثلث» فيه أنواع الأشجار والمزارع والنخل ، وتجرى فيه الأنهار بين

«القصور» - فإن الرجلين خرجا جميعا الى ذلك المنزل حيث عاشا . كما يقول ابن الصغير «عنى اقم عيش وارغده» (٢٨٧) . والظاهر أن الرجلين الفاتكين ساءلها ان يكون جزاءهما النفي من قبل ابي حاتم بعد ما قدماه اليه مسن الخدمات قبل ان يصل الى الامارة ، « فأخذا في الاتصال باتباعهما ، في المدينة : يشكوان كيف ينفيان من المدينة بلا جنائة » - ونجح تدبير الرجلين في العودة الى تاهرت « على رضا الراعى وسخط الساخط ، فمأ شعر أبو حاتم الا والتكبير عليهما في المدينة ، ففزغ لذلك وإرتاع ، وعلم أنها (تاهرت) ليست بدار قرار » (٢٨٨) .

أبو حاتم يلجأ الى حمى لواتة :

هكذا وجد أبو حاتم نفسه غريبا في عاصمة مملكته ، فجمع أهل بيته وشاورهم في الأمر ، وتم الاتفاق على أن يخرج الرستمية من تاهرت لكي يعتصموا في حصنهم الذي كانت به مواشيهم وعبيدهم ، وهو حصن يعرف بنماليت . وكان يقع في طرف أرض لواتة حيث كان يمكنهم جمع لواتة وغيرها من القبائل ، وحشد يدعونه للخروج اليهم . وعندما خرجت الرستمية من تاهرت تبعهم العجم الساكنين بتاهرت فخرجوا الى حصنهم ، كما فعلت نفوسة ، بدورها ، مثل ذلك . ولم يلبث أبو حاتم في المدينة الا اياما قليلة بعد ذلك ، ثم انه خرج في نحو مائة رجل من وجوه أعوانه من السمحيين ومن حماة البلد ، وعلى رأسهم مقدما كل جماعة ، وهما بكرى ابن يبيدي وبكر بن عبد الواحد ، وكانا فارسي الغرب في ذلك الزمان (٢٨٩) .

محاولة استعادة تاهرت بالقوة :

وبذلك ثمت القطيعة مرة أخرى بين تاهرت التي بقي فيها العامة ومشايخ البلد ، في جمع عظيم وبين الرستميين ومن معهم من العجم ونفوسة ولواتة وغيرها من القبائل ، وأخذ كل من الطرفين يستعد للحرب المنتظرة . فلقد أسرع عامة تاهرت في بنيان حصنهم وترميم ما تصدع منه ، بينما اجتمعت لواتة على أبي حاتم فأعطاهم الاموال وحملهم على الخيل . كما وقّدت عليه قبائل الصنحراء ، لم يتخلف منهم الا أهل حصن تالغمت : لأنهم كانوا من

(٢٨٧) ابن الصغير ، ص ٥١ .

(٢٨٨) ابن الصغير ، ص ٥١ - ٥٢ .

(٢٨٩) ابن الصغير ، ص ٥٢ .

الصقرية • وعندما أتم أبو حاتم استعدادده قسّم قواته الى ثلاثة جيوش هاجم بها تاهرت من ثلاثة مواضع • هي

١ - القبلة حيث تولى القيادة بنفسه ، ومعه لواتة والرستنية ومن شايعهم -

٢ - المشرق حيث تقدم العجم ومعهم صنهاجه ومن شايعهم •

٣ - المغرب حيث احتشدت نفوسة مع طوائف من الناس •

وكانت نتيجة القتال الأولى على الجبهات الثلاث في غير صالح أهل تاهرت الذين فقدوا بعض القتلى في مواجهة لواتة في القبلة ، وفي مواجهة العجم في المشرق ، بينما لم يصيب لهم أحد من جهة المغرب حيث نفوسة (٢٩٠) •

ورغم أنه من الواضح أن القتال الذي وصف بالشدة لم يكن حاسماً فإن الأمور تطورت من جراء ذيوله في داخل تاهرت بشكل جعل أهل المدينة يفضلون الاتفاق مع أبي حاتم على مواصلة القتال الذي رآوه عقيماً لا يؤدي الى الغرض منه • وذلك أن ابن رجل قتله العجم في ناحية المشرق ثار برجل من العجم من سكان المدينة فقتله غيلة أخذاً بثأر والده • وعندما علم التاهرتيون بذلك بادروا اليه ليقتلوه به ، فولى هارباً فلم يقدرُوا عليه ، ولم يعرفوا له مكاناً • واثارت ثائرة أهل المدينة الذين اجتمعوا فقالوا : « نحن إنما قمنا لمحاربة هؤلاء القوم لتأمر بالمعروف ونهني عن المنكر ، وإذا كان يقتل بين ظهرائنا رجل بغير حق ، فامضوا بنا الى أبي حاتم لندخله يقتل هذا وأشياعه ، ويحكم فيمن بقي كيف يشاء » (٢٩١) •

الانقسام في صفوف الرستميين : يعقوب بن أفلح أميراً منافساً لأبي حاتم :

وهكذا فشل التاهرتيون وبشايعهم في إقامة الحكم المثالي الذي كانوا يحلمون به بعيداً عن تسلط الرستميين ، وأرسلوا بما استقر عليه رأيهم الى أبي حاتم الذي اشترط عليهم ألا يدخل المدينة الا بعد أن يدفعوا اليه ببشايعهم والمسؤولين عن إثارة تلك الفتنة • ورغم أن هذا الشرط كان سبباً في تجدد

(٢٩٠) ابن الصغير ، ص ٥٢ •

(٢٩١) ابن الصغير ، ص ٥٢ - ٥٣ •

القتال الا ان وجوه اهل تاهرت رأوا الا قبل لهم بمواصلة القتال ضد تحالف القبائل والاباضية الذين كلبوا عليهم ، ورموهم عن قوس واحد . ثم ان المشايخ رأوا ان خير وسيلة لدفع خصومهم هي ان يبحثوا لانفسهم عن رئيس من الرستيميين ، ينحل مذاهب الاباضية « - ووقع اختيارهم فعلا على يعقوب ابن أفلح ، وكان على غير اتفاق مع ابن أخيه أبي حاتم حتى أنه رحل منذ ولايته عن تاهرت ، ونزل بزواغة « فلم يدخل للرستمية جمعا ، ولا أعان ابن أخيه برأى ولا غير ذلك » (٢٩٢) .

فشل الاسرة الرستمية وانشقاقها : انصراف بين المطالبين بالامامة :

ولما تم اجماع اهل المدينة على ولاية يعقوب بن أفلح ارسلوا اليه وادخلوه المدينة حيث عقدوا له الولاية ، وبذلك تحقق لهم ما كانوا ياملون فيه من شرح الوحدة الرستمية . فبمجرد اعلان امارة يعقوب بن أفلح انكسرت شوكة الاباضية ، كما يقرر ابن الصغير ، « ودخل عليه جماعة منهم ورجعت اليه جماعة من لواقه ، ووقيت الحرب متماسكة بين يعقوب بن أفلح وابن أخيه أبي حاتم » . وهكذا تكون الاسرة الرستمية قد انقسمت على نفسها في سبيل الحكم ، وكان ذلك يعنى استمرار الحرب وان كانت قد ضعفت عن دى قبل وانكسرت حدتها (٢٩٢) .

فشل ابي حاتم في دخول تاهرت :

ولكنه رغم ما اصاب ابا حاتم من الضعف فانه ظل متمتعا بولاء جمهور الاباضية : وكان يمكنه ان يتناجز تاهرت القتال وأن يزحف عليها . وأمر يعقوب بن أفلح باغلاق ابواب المدينة الا بابا واحدا ، وقف هو عليه بجمهور الناس للدفاع . ويصف ابن الصغير قتال الاخوة غير المرغوب فيه ، فيقول : ان الناس ظلوا يواجهون بعضهم بعضا الى أن حضرت صلاة الظهر . فأذن المؤذنون في مصافهم ذلك . وصلى الناس صلاتهم ثم أخذوا ينظرون إلى بعضهم فيسقط في أيديهم وتحولت قياتهم على المحاربة ، وألقوا على قلوبهم (٢٩٤) . وبناء على ذلك لم يكن من الغريب أن يفشل أبو حاتم في فتح من العجم فتحنا أرادوا انتهاز الفرصة وتغاياة المدينة من جهة المشرق

(٢٩٢) ابن الصغير ، ص ٥٣ .

(٢٩٣) ابن الصغير ، ص ٥٣ .

(٢٩٤) ابن الصغير ، ص ٥٤ .

لعلهم يصيبوا غرة ، أذفتح من كان بناحية الباب الشرقى من المدينة الباب
وخرجوا اليهم خجلة واحدة ، وأرغموهم على الفرار منهزمين . وهنا انصرف
القائد وانودين الذى كان أكبر معاوني أبي حاتم بمساركه ، وبذلك ضعفت
الحرب ، وتطلع الناس الى السلم والعافية (٢٦٥) .

**تكريس الانقسام بين الرستميين ، تقييم يعقوب بن افلح : قديس يتر في
سيرته سيرة الأئمة الأول :**

وهكذا يكون انقسام الرستميين قد تكرر ، ويكون يعقوب بن افلح
قد حقق حسن ظن تاهرت ومشايخها فيه . ويصف ابن الصغير يعقوب بن
افلح فيقول : انه كان بعيد الهمة نزيه النفس ، ماجس بيده ديناراً ولا درهما ،
فكانه أعاد سيرة الامام الاول فى ورعه وتقشفه . فقد كان اذا أتى وكيله
بفلاته أمره بأن يجعلها تحت بردعة له يجلس عليها ، واذا أراد اخراج شيء
منها دفعه بقضيب من يده . « وكان يعقوب اذا سافر ونزل يقوم لم يأكل
لهم طعاما ، وكانت له بقرات يأمر بحلبها بين يديه فى اثناء جديد ، فاذا امتلا
شربه أجمع ثم يقوم عليه ثلاثا لا يأكل طعاما ولا يشرب شرابا ولا يخرج
لبراز » .

ويستمر ابن الصغير فى وصف مناقب يعقوب فكانه يضعه فى مصاف
كبار الأولياء : فقد كان وضوءه طاهرا فى الموضع الذى يكون فيه ، وكانت
له أخلاق فى لباسه وركوبه يخرج عن طبع البشر . والى جانب ذلك فهو أحد
الفرسان الشجعان ، « وكان له فرس أشقر لم يكن بالمغرب مثله ، لا قبله ولا
بعده » ، وكان يضرب به المثل الى الوقت الذى كان يكتب فيه ابن الصغير فى
أواخر ايام الرستميين (٢٦٦) .

**اضطرابات تهلك الحرث والنسل لا ينهيها الا توسط زعيم مزاتى فى اقوال
الهدنة :**

والهم أنه لا مناقب يعقوب بن افلح ولا فروسيته حققت مما كان يطمح
فيه الناس من الامن والعافية سمعنا ان طالت الحرب عياله وبين ابن تغية
« وقطعت السبل وفرقت من أيدى الناس الحرث والنسل » ، الى ان قبض الله

(٢٦٥) ابن الصغير ، ص ٥٤ .

(٢٦٦) ابن الصغير ، ص ٥٤ .

لهم إيا يعقوب المزاني الذي نزل بجميع مزاته حول تاهرت ، « وكان رأس القوم وملكهم ، فمشت إليه القبائل ، وقالوا : لو جعلت الهدنة بين هذين الفريقين إلى مدة مقلومة يأمر الناس إليها ٠٠٠ ، وانتهى مسعى الزعيم المزاني في الهدنة التي اشتهاها الفريقان إلى النجاح .

التحكيم :

وتم الاتفاق على أن يختار كل من الطرفين المتحاربين مثالا لعهدة الهدنة : فقدم يعقوب بن أفلح لتمثيله الفقيه عبد الله بن اللطفي ، الذي عرفناه مناظرا واسخا في فن الكلام والجدل ، بينما قدم أبو حاتم رجلين ، هما : منكود وابن أبي عياض اللواتيين .

وانتهى مؤتمر التحكيم الجديد بحكم أشبه بالحكم الشهير في تاريخ الاسلام الذي أنكره سلف الإباضية الأوائل ، والذي ظل الرستميون ينكرونه حتى هذا الحين ، إذ تم عقد الهدنة على : « أن يرفعوا أيدي كل من أبي حاتم ويعقوب عن النظر أربعة أشهر ، ويسئ الناس إلى الناس ، ويدخل بعضهم على بعض ، وتأمين الساحات . فتم العقد على ذلك وتطامح الناس العافية (٢٩٧) » .

عودة أبي حاتم يوسف إلى تاهرت أمرا دون منافس ، بعصبية الشعبية من غير الرستمية :

وأحسن أبو حاتم استغلال فترة الهدنة لصالحه فاستمال وجوه أهل تاهرت وشبابهم بالوعود الحسنة وبالعطاء الجزيل . وبذلك مال أصحاب الدنيا إليه ، ولم يبق إلى جانب يعقوب إلا الراغبين عن سفك الدماء واكل الأموال ، بينما ظل أبو يعقوب المزاني قائما بمساعيه الحميدة لاصلاح ذات البين (٢٩٨) ، وكان الطيفعي بعد أن تطور مجتمع تاهرت إلى ما تطور إليه من عدم التمسك بتقاليد الرستميين الأوائل أن ترجع كافة أبي حاتم وما نزلنا يفرى به من أمور الدنيا وعرض الحياة . ففي يوم عيد من أعياد تاهرت أقبل أخوان من وجوه أهل تاهرت ، هما أحمد ومحمد ابنا دبوس ، وأعلنا أن من يريد العافية من أهل المدينة ليعليه المصعود إلى علي المعروف باسم الكنيسة ،

(٢٩٧) ابن الصنبر . ص ٥٤ - ٥٥ .

(١٩٨) ابن الصنبر . ص ٥٥ .

حيث كانا يسكنان . واستجاب الناس للدعوة ، عدا يعقوب بن أفلح وبعض المشايخ ممن كانوا يكرهون أبا حاتم وعلى رأسهم شيخ البلد ومقدمه ابن مسعود الذي حاول أن يشن الرجلين عن غرضهما دون جدوى . وهكذا سار ابنا دبوس تحت جناح الليل يتبعهما كثير من الناس قاصدين قصر أبي حاتم في نهر ، بينما ركب يعقوب بن أفلح وشيعته خيولهم وخرجوا من المدينة نحو زواغه حيث كان يعيش يعقوب قبل دعوته الى تاهرت . وهكذا نتحت تاهرت أبوابها من جديد لأبي حاتم الذي دخلها في صباح اليوم التالي وحده ، وليس معه أحد من عشيرته ولا من رجاله ، وبادر اليه الناس جميعا (٢٩٩) .

اعادة تنظيم الحكومة في تاهرت : حكم حازم يقضى على أوكار الفساد :

بمجرد دخول أبي حاتم العاصمة الرستمية جمع مشايخ البلد من الاباضية وغير الاباضية وشاورهم في ترتيب الحكم والادارة . من : القضاء وبيت المال والشرطة وغيرها . وطلب أهل العقد والحل منه أن يسير عليهم بسيرة والده محمد الذي كانوا لا يعدلون بولايته الا ولاية جده الأكبر عبد الرحمن بن رستم . فقيما يتعلق بولاية القضاء أشادوا بقاضى والده وهو محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ ، وطلبوا تعيين ابنه عبد الله الذي ليس دون والده في الورع والعلم ، فولاه القضاء . وفي ادارة بيت المال ولى عبد الرحمن بن صواب النفوسى الذي اشاروا به . وفي الشرطة عرضوا عليه أحد رجلين ، وهما : زكار الذي عرف بجودة فكره وبالتفانى في الخدمة ، أو ابراهيم بن مسكين المعروف بصلابته ، فى الحق ، فاستصوب ان يوليها جميعا (٣٠٠) . وقام الرجلان بعملهما خير قيام ، فقضيا على أوكار الفساد الذى كان قد استشرى في المدينة نتيجة الحروب والضيقة ، من : انتشار المنكر والمبت بالقلمان . فحملا الناس على عمل المعروف والابتعاد عن المنكر ، حملا ، ولم يثوروا عن انزال العقوبة الصارمة بالمخالفين . من : الضرب والسجن والقيود ، حتى قطعوا كل ذلك فى أنزع من طرفة العين . كما يقول ابن الصغير ، لم يفرقوا فى ذلك بين العظيم والصغير . هذا ، كما اهتموا أيضا بالقضاء على السراق قطعاع الطريق حتى أمنت السبل وأطمأن المسافرون (٣٠١) .

وهكذا حسنت سيرة أبي حاتم فى ولايته الثانية لتاهرت ، ولم ينقم

(٢٩٩) ابن الصغير ، ص ٥٥ .

(٣٠٠) ابن الصغير ، ص ٥٦ .

(٣٠١) ابن الصغير ، ص ٥٦ - ٥٧ .

عليه الناس شيئا ، لولا ما غمقوه عليه من أخذ بعض الناس بالمشبهة . وانزال عقوبة الضرب بالسوط على بعضهم على الظنة (٢٠٢) .

ازدهار مجالس العلم والمناظرة :

ونتيجة لثقل هذا الحكم الحازم وما أدى إليه من انتشار الأمن والعافية كان من الطبيعي أن ينصرف الناس إلى أمور دينهم بعد أن اطمأنوا إلى أمور دنياهم فعمرت المساجد ، واهتمت الجمعة والخطبة في الجامع ، ولم يتكر الناس شيئا سوى ما أنصرف إليه الفقهاء من المناقشات الفقهية - وهذا أمر طبيعي في أوقات الأمن والسلام - وما أقاموه فيما بينهم من المناظرات بين أعلام الفرق المختلفة ، مما كان يشنب بعض المنازعات ، كما هو معروف . ولكن الكلف بالجدل العلمي والمناظرات الفقهية أدى إلى أن أصبحت كل فرقة تسعى إلى المزيد من العلم عن طريق معرفة آراء مخالفيها . وفي سبيل ذلك استخدم الجميع اللطف في المناقشة وإكرام للمخالفين سواء كانوا من الإباضية أو من غيرهم ، دونما حقد أو تعصب (٢٠٢) . وهو الأمر الذي لم يكن معهودا من قبل .

مناظرات المؤرخ ابن الصغير :

وابن الصغير المالكي يشير إلى ما كان يقوم بينه وبين رجل يسمى سليمان ويكنى بابي الربيع من وجوه الإباضية من هوارة ، وذلك في بعض مساجد الرهادنة حيث كان يقيم مؤرخنا ، من المناظرة في بعض المسائل المختلف عليها بين المالكية والحنفية (الحجازيين والعراقيين) وبين الإباضية . من ذلك ما يتمسك به أهل السنة من أن الرجل إذا زوج ابنته البكر ، وهي صغيرة ، وأدركت أن لا خيار لها في نفسها ، بينما يقولون أن الرجل إذا زوج أمته ، وعتقت فإن لها الخيار . وجنا يلفت سليمان الهواري الإباضي نظر ابن الصغير إلى أنه لا فرق بين الأمة وبين الصغيرة (٢٠٤) .

م (٢٠٢) ابن الصغير ، ص ٥٧ ، وقارن التبليغي ، ص ١٦٢ .

(٢٠٣) ابن الصغير ، ص ٥٧ .

(٢٠٤) ابن الصغير ، ص ٥٧ . وشرح ذلك : « لأن الأمة لم يكن لها حكم . فو نفسها وانما كان الحكم لسيدها ، فلما عتقت وصار الحكم اليها جعلتم لها الخيار ، والصغيرة لم يكن لها حكم في نفسها وأن الحكم لا يبيها ، فلما أدركت صار الأمن اليها - فلما عتقت نفسها ما اجزمت للأمة والمعنى واحد » . ويقول ابن الصغير انه ناقش هذه المسألة مع كثيرين وأنه رد على ذلك بقوله : « انا انما اجزنا نكاح الصغار لأن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج عائشة بنت أبي بكر » .

ومن موضوع المناظرة وما يحدث فيها من اختلافات فقهية ولفوية .
ينتقل ابن الصغير الى موضوع الخطبة على منابر الاباضية ، فينص على أن
خطباءهم ربما حرفوا اللفظ عن موضعه ليقيموا الأمر الذي يريدونه . وهو
يعدد خطباءهم الذين حضر لهم ، وأولهم ابن أبي إدريس ، وبعده : أحمد التيه
وأبو العباس بن فتحون ، وعثمان بن الصقار ثم أحمد بن منصور (٢٠٥) .
ويذكر أن الثاني منهم وهو أحمد التيه حاول في شرحه للكلمات القرآنية :
« الرحمن على العرش استوى » ، أن يجعل ذلك بابا من الحلول على
العرش (٢٠٦) .

ويؤكد ابن الصغير أن كل من رآهم من خطبائهم على منابرهم لا يستعملون ،
الاخطب أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، باستثناء خطبة التحكيم . وكان
الخطيب إذا فرغ من خطبته الأولى وقام الى الخطبة الثانية بدأها بالتحكيم (٢٠٧)
أي : « لا حكم الا لله » ، وهو نفس شعار جماعة الخوارج من الشراة القديمة .
عندما رفضوا حكم عمرو وأبي موسى - وهذا ما تشير اليه خطبة التحكيم التي
ينقلها ، ابن الصغير ، ففيها : « فتبارك الله أحسن الخالقين » ، تعالى أن تطلق
في وصفه آراء المتكلمين أو أن تحكم في دينه أهواء المتقلدين ، بل جعل القرآن
ماما للمؤمنين ، وهدى للمؤمنين . . وحكما بين المتخالفين (٢٠٨) وكذلك
يأتي بعد الحمد لله : « الله ربنا ، ومحمد نبينا ، والاسلام ديننا ، والكعبة

= بنت سبع سنين ونى بها وهي بنت سبع سنين » . ورفض الرجل ذلك وطلب منه إن يكلمه
س القرآن أو من باب النظر ، بعد أن أشار اليه أن الله أحل لرسوله من النساء ومن عدد من
أكثر مما أحل لأمته ، ويستمر الجدل فيذكر كاتبنا أنه ذكر من القرآن الآية التي تقول :
« واللاني ينسن من المحيض من نسائكم (آل) » . . . واللاني لم يحضن » . فقال عجبا منك
أما أسالك عن عقد الكاح وفسخه وانت تخبرني عن عدة المويسات وعدة اللاني لم يحضن .
وهنا أهم ابن الصغير مناظرة سليمان عندما شرح له كيف غاب عنه المراء « من الأمر متعلق
الطلاق ، والطلاق لا يكون من غير زواج - فسكت ولم يرد جوابا . هذا ولو أن شخصا آخر
قال له : « واللاني لم يحضن » : المراد « لم يَحْضَنْ » أي لم يَحْضَنْ . ومن الكثائر لأصحابنا
فكان رده : « هذا غلط في اللمة » .

(٢٠٥) ابن الصغير ، ص ٥٩ .

(٢٠٦) ابن الصغير ، ص ٥٩ . - وربما يظهر ذلك الحلول المتصور في هذا الجواب .
ابن الصغير بعد ذلك في خطبة التحكيم ، وفيها : « الذي لم يزل صفاته واسمائه ، لا يستحل
عليه زمان ولا يحيط به مكان . خلق الأماكن والأزمان ثم استوى الى السماء وهي هائلة » .

(٢٠٧) ابن الصغير ، ص ٥٩ .

(٢٠٨) أخبار الإمامة ، ص ٦٠ .

تقبلتنا ، والقرآن ايماننا : لا حكم الا لله اتباعا لكلام الله وسنة نبيه عليه السلام ، وخلافا لأهل البدع وأشهد أن من لم يحكم بما أنزل الله : فاولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون ، وفي الدعاء : قبيل الختباء يطلب الرحمة - بعد ذكر النبي وآله والصحابه والتابعين - للشرقة ، كما يدعو بالصلاة على أبي بكر وعمر : وأخيرا الدعاء بالصالح للامير يوسف بن محمد (أبو حاتم) (٢٠٩) .

والظاهر أن مجتمع تاهرت ظل في تطور مستمر ، وهو الأمر الذي يحمد للاباضية الذين ظهروا ، على عكس ما كان يظن ، بمظهر التساهل والتسامح على كثير من أمور الفقه والأحكام . فعندما ولى الخطابة رجل من الاباضية ، يقال له : أحمد بن منصور ، وسمعه ابن الصغير وهو ينشئ بخطبة التحكيم ، أثار ذلك انتباهه حتى أنه لفت نظر الخطيب الى أن هذه لم تكن سنة أسلافه . ورد الخطيب على ملاحظة ابن الصغير بأن أحد زعماء الجماعة ، واسمه : عثمان بن أحمد بن يحيى هو الذي جملة عليها ، إذ كان الرجل مقدما عندهم ولا يكادون يخالفونه فيما استحسن لهم ، فخطب الخطيب بها (خطبة التحكيم) لأنه استحسنها له (٢١٠) .

وبخطبة التحكيم تلك ينهى ابن الصغير كتابه في سير الرستميين على أيام الأمير أبي حاتم يوسف بن أبي اليقظان ، ولا بأس في أن يكون ذلك حوالي سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م ، إذ أن عدم وجود أي ذكر في الكتاب لموقعة « مانو » التي تحطم فيها اباضية نفوسة أمام القوات الأغلبية ، قبل ذلك بسنوات ، لا تعنى بالضرورة أن تأليف ابن الصغير قد تم قبل تلك الوقعة (أي قبل ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م) . والحقيقة هي أن ابن الصغير لم يهتم الا بأحوال تاهرت بلده ، أما جبل نفوسة الذي كان يمثل الدعامة الرئيسية للامارة الرستمية ، فكان موضوعا بعيدا عن اهتمامه وإن كان له المعنيون به من مشاهير الكتاب النفوسيين .

أحوال جبل نفوسة على عهد أبي حاتم يوسف :

أبو منصور إلياس بن منصور وأبناؤه :

والنفوسيين وعلى رأسهم أبي زكرياء ، لم يهتموا في تاريخهم لامامة

من نفوسة

أبي حاتم يوسف بن أبي اليقظان إلا بأحوال جبل نفوسة • فأبو زكريا الذي يقول عن يوسف أنه مكث في إمامته ١٤ (أربعة عشرة) سنة ، يذكر : « أنه أطردت له الأمور ولم ينقم عليه من رعيته أحد » ، ويتبع ذلك بالحديث في سيرة أبي منصور الياس بن منصور وإلى جبل نفوسية على أيام أبي حاتم (٢١١) ، وهو واحد من أشهر الشخصيات النفوسية في تاريخ إمامة تاهرت الرستمية على وجه العموم • فلقد ولي أبو منصور جبل نفوسة على عهد كل من أفلح وأبي اليقظان ثم أبي حاتم يوسف (٢١٢) •

عمروس بن فتح النفوسى قاضيا :

وواضح من النصوص أنه رغم ما كان يتصف به أبو منصور الياس من الفضل ، حتى قيل إنه كان مستجاب الدعاء (٢١٣) ، فقد كان من أسباب شهرته وذيع صيته بين كتاب الأباضية هو عهده بالقضاء إلى عمروس بن فتح النفوسى ، الذى كان من الشخصيات العارمة التى عرفها جبل نفوسة بسبب : علمه وفضله وحذقه وفطنته وحضور حجته (٢١٤) • ففى علمه قيل أنه كان عالما كبيرا له كتب فى الأصول والفقه (الفروع) ، وأنه كان قد عزم على تأليف كتاب جامع يعالج فيه مسائل الفقه على أساس القواعد التشريعية الثلاثة : المعروفة ، وهى : الكتاب والسنة والرأى ، ولكن أجله لم يمهله لكى يتم مشروعه هذا (٢١٥) •

وفى شدة عمروس فى الحق وعدم خوفه فى الله لومة لائم ، يذكر أبو زكريا من مناقبه أنه كان يطأ الرجل الذى يمسك عن الإجابة على أسئلته برجليه فى حضرة الوالى أبى منصور الياس • وعندما لفت الياس نظره إلى أنه عجل على الرجل ، لم يتردد فى أن يبين له الحجة فيما فعل • بل أنه عرض استقالته من القضاء إن لم يقبل حكمه بالمعقوبة العظمى ، وهى الإقتل ، نى ثلاثة : الطاعن فى دين المسلمين إلى المعارضين للمذهب الأباضى (من الإنكار

(٢١١) المخطوط ، ص ٣٢ - ١ • وقارن الدرجين الذى يجعلها (١٢) (اثنى عشرة) سنة فقط ، المخطوط ، ص ٣٧ - ١ (المطبوع ، ص ٨٤) •
(٢١٢) انظر الدرجين ، المخطوط ، ص ٣٧ - ١ (المطبوع ، ص ٨٤) •
(٢١٣) أبو زكريا • ص ٣٢ - ١ • الدرجين ، المخطوط ، ص ٣٧ - ١ (المطبوع ، ص ٨٤) •
(٢١٤) أبو زكريا ، ص ٣٢ - ١ •
(٢١٥) أبو زكريا ، ص ٣٢ - ١ • الدرجين ، ص ٣٧ - ١ (المطبوع ، ص ٨٤) •

ومن نهج تهجم^(٣١٦) ، والماتع الحق ، والدال على عورات المسلمين (أهل المذهب) (٣١٦) .

الياس وعمروس رجلا الجبل :

وهكذا أكملت مناقب كل من الرجلين سنجايا الآخر ، وعمل كل منهما على الزفع من شأن صاحبه : عمروس بعلمه وفطنته وشدته في الحق ، والياس بتقواه وورعه وشجاعته التي بلغت مبلغ الأسطورة ، مما ضمن لذريته استمرار الولاية والحكم في جبل نفوسة . ففي الحروب كان أبو منصور اذا خرج في العسكر « ينطح العدو نطحة من غير صفوف » ، مما يذكره بالحيلة الخارجية ، التي صارت مضرب المثل . وفي الحرب كان يقود رجاله وهو راكب بغلة ليكون قدوة للعامة من رجاله للثبات في المعركة ، وعدم التفكير في الهزيمة أو الفرار (٣١٧) ، وهو الامر الذي بالغ فيه المتأخرون ، حتى جعلوه كرامة من الكرامات . اذ ليست البغلة مما يركبه مفتحمو الحرب ، فقالوا ان نبال الأعداء كانت تنحاد عنه ، رغم أنه كان هدفا ثابتا قريب المنال ، وهو فوق بغلته (٣١٨) .

مطاردة حفيد خلف بن السمح :

ومن أهم الأعمال الحربية التي تذكر لأبي منصور الياس مطاردته بقاء الخلفية بقيادة حفيد خلف بن السمح في آخر ولاية الرستميين . وكان الخلفية قد وهنوا بعد صراعهم مع أبي عبيدة عبد الحميد والى افلح على جبل نفوسة ، ولكن فلولهم ظلوا متشبثين بأبن خلف ، أو حفيده ، الذي ظل متمسكا بمذهب أبيه (٣١٩) . والرواية لا تشير الى أعمال عدائية قام بها الخلفية ضد أبي منصور أو رعيته ، بل تقتفى بالقول أن والى جبل نفوسة الشهير خرج على أيام أبي حاتم يوسف لطلب ولد خلف الذي لا تذكر لنا اسمه ، وان هذا الأخير هرب لاحقا لدى قبائل زواغة ، خارج طرابلس في ساحل جزيرة جربة . والتف الزواغيون حول زعيم الخلفية ، وأجمعوا على أن

(٣١٦) أبو ذكريا . ص ٤٢ - ٤١ .

(٣١٧) أبو ذكريا . ص ٢٢ - ٢١ .

(٣١٨) الدرجيني . ص ٢٧ - ب (المخطوط . ص ٨٤) : حيث يقول أيضا انه كان قاتلا

مستجاب الدعاء ذا كرامات .

(٣١٩) انظر فيما سبق . ص ٢٤٧ -

يمنعوه من النفوسيين : اذ « كانوا على مذهب أبيه فسمعوا قوله واطاعوه
وقبلوا دعوته (٢٢٠) » .

الوساطة ، وشروط الصلح :

ومكذا وصل أبو منصور الى حيز زواغة ، ووجد أعدادا كبيرة منهم
محدقة بحميد حلف . وقبل أن يبدأ القتال تدخل أحد زعماء بني يوراسن
(أو يهراسن) الذي يعرف بأبي سلامة لحقن الدماء ، وعرض على زواغة
أن نقل واحد من ثلاثة حلول ، وجدها كفيلا بواد الفتنة وهي في مهدها :

١ - أن يترك الزواغيون من الخلفية البرية ، وأن يعبروا الى داخل
حزيرة جربة حيث يمكنهم أن يجتمعوا باخوانهم في المذهب هناك وأن يمنعوا
زعيمهم الخلفي ، وبذلك يكونون قد ابتعدوا عن حيز أبي منصور .

٢ - أن يرسلوا وفدا منهم الى الامام أبي حاتم يوسف يطلبون منه ان
يولي عليهم واليا منهم ، وبذلك يخرجون عن طاعة نفوسة . فكان الاستقلال
عن حكم النفوسيين كان مطلبيا من مطالب الزواغيين .

٣ - أن يدفع الزواغيون زعيمهم الخلفي الى أبي سلامة اليوراسني
ينطلق به الى نفوسة ، وهو يضمن لهم أمنه وسلامته . وهو الحل الذي يعنى
أن الزواغيين ربما كانوا قد تورطوا ، عن غير قصد ، مع حميد خلف ، وأنه
يمكنهم التوافق مع النفوسيين اذا ضمنوا لهم ألا يصبوا الخلفي بضرر ما .

فشل الوساطة ، وهزيمة زواغة :

وفشلت وساطة الزعيم اليوراسني عندما قام بعض الزواغيين فندد
بحسن نواياه ، وهو يقول : « أن اليوراسني يريد الوقيعة بزعيمهم الخلفي
الذي تسميه الرواية بـ « الخليفة » ، مما أثار أبا سلامة ، فأعرض عن
الاستمرار في وساطته ، رغم نداء بعض العقلاء من الزواغيين ، فأنصرف
عن محفلهم (٢٢١) » .

(٢٢٠) أبو ذكريا ، ص ٢٢ - ١ ، وقارن الدرجيني ، ص ٢٧ - ب (المخطويع ، ص

٨٤ - ٨٥) .

(٢٢١) أبو ذكريا ، ص ٢٢ - ب ، الدرجيني ، ص ٢٧ - ب .

وبذلك تحسم القتال بين المريقين ، وانتهى بانهرام زواغة بعد قتال شديد فتدوا فيه كثيراً من رجالهم ، الذين لم يتمكنوا من الفرار ، بسبب وقوعهم فى الحبال التى كانت ممدودة فى المنطقة بين الأشجار الصغار المفروسة لمنع الوحش من الافساد فيها . ولم يسرف أبو منصور الياس فى قتل زواغة اذ رجع عنهم ، وتمكن الباقون منهم من الدخول الى جزيرة جربة (٢٢٢) ، كما نصحبهم أبو سلامة اليوراسنى أول الأمر .

دخول الخلفية فى جربة ، وغزو زواغة بأمرهم :

وفى جربة استجار حفيد خلف برجل من زواغة يسميه أبو زكريا بمقل من بنى مزانت ، فادخله فى قصر من قصور جربة يقال له غردانت (٢٢٢) . وهنا لجأ أبو منصور الذى وصل الى ساحل جربة الى وسيلة الاغواء بالمال ، فارسل رجلا من يوراسن (يهراسن) الى الزواغى الذى آوى حفيد خلف بصرة فيها مائة دينار من الدراهم . وما أن شعر الزواغى بالدراهم تنصب من كم اليوراسنى الى كمه ، حتى قال له : « لو أتيت الى أولادنا دفعناصم اليك (٢٢٤) » . وبناء على ذلك فلم يكن من الغريب عندما وصل أبو منصور الى ساحل جربة بعد يومين أو ثلاثة أيام ، اذ كان من عادته أن يوقف جيشه عند وقت كل صلاة ليصلى بهم ركعتين ، أن يقوم بمقل الرواعى برد جوار حفيد خلف ، اذ توجه اليه ، فقال له : « انزل أيها الأمير فعد طال ما أرملت نساء زواغه على يدك » . وكان جواب الخلفى : « ليتكم لم تسموني أميراً يامشومات » ، وذلك باللغة البربرية التى كان لا يحسنها لأنه رجل عربى . وهنا دفعه الزواغيون الى أبى منصور الياس الذى سار به (٢٢٥) .

أبو منصور يسجن حفيد خلف فى الجبل :

وهكذا استقرت الأمور ، فى جزيرة جربة فلم تعرف بها فتنة تسبب

(٢٢٢) أبو زكريا ، ص ٣٢ - ب ، الدرجيسى ، ص ٣٧ - ب ، ٣٨ - أ (المطبوع ، ص ٨٥ - ٨٦) .
 (٢٢٣) أبو زكريا ، ص ٣٢ - ب ، وقارن الدرجيسى ، ص ٣٧ - ب ، الذى يسمى قبيلة الرجل تالستارت ، ويسمى القصر غردان (المطبوع ، ص ٨٦) .
 (٢٢٤) أبو زكريا ، ص ٣٢ - ب ، وقارن الدرجيسى ، المخطوط ، ص ٣٨ - أ (المطبوع - ص ٨٦) .
 (٢٢٥) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٢ - ب ، ٣٣ - أ ، الدرجيسى ، المخطوط ص ٨٦ - أ (المطبوع ، ص ٨٦) .

عليها الخلفية أو قتال . أما رئيس الحركة ، حفيد خلف ، فقد صحبه أبو منصور الياس الى مقره قتي جبل نفوسة حيث سجنه . وكان الرجل مكرما في سجنه معززا لشرفه وعلمه وفقهه ، فقد كان مرجع القوم عندما تنزل بهم نازلة أو تعرض لهم قضية وعرة أو معضلة ، مما جعله يتساءل متعجبا : يسجنوني ويسئلوني (٢٢٦) ؟ .

وينهى أبو زكريا قصة الخلفي قائلا : « وذكر بعض أصحابنا أنه رجع الى مذهب أهل الحق وحسنت أحواله ، والله أعلم » (٢٢٧) ، وهو الأمر الذي لا يبدو أن يكون أمنية من أمنيات خصومه العزيزة .

أما أهم الأحداث التي عرفها جبل نفوسة على أيام الامام أبي حاتم يوسف حبي الكسرة الخطيرة التي لحقت بقوات نفوسة أمام القوات الأغلبية بقيادة الأمير ابراهيم بن أحمد ، وذلك في وقعة مانو الشهيرة ، بعد وفاة أبي منصور الياس وولاية أفلق بن العباس على نفوسة (٢٢٨) .

وقعة مانو سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م واضمحلال جبل نفوسة كقوة مساندة لامامه تاهرت (٢٢٩) :

وأول ما يسترعى الانتباه ، أن كتاب الاباضية متفقون على أن الهزيمة الكبيرة لنفوسة ، في حيز طرابلس ، كانت السبب المباشر لاضمحلال امامة تاهرت الرستمية وانقراضها (٢٣٠) . فقباثل نفوسة كانت تؤيد « السلطنة » الرستمية ومذهبها الاباضي بشكل لا نظير له بين قبائل المغرب . ولهذا السبب قل الاباضية هناك . « قام هذا الدين بسيوف نفوسة ومال مزانة » ، كما

(٢٢٦) أبو زكريا ، ص ٣٣ - ١ ، وقارن الدرجيني (ص ٣٨ - ب (المطبوع ، ص ٨٦ - ٨٧) الذي يصيف أنهم سألوه في قضية قطع رجل رجل غاختلفوا ، فقال : قطع الرجل دون العقب . وعندئذ قال مقاله جابر بن زيد لا استفتي في السحن . وخبره مشهور . وهذا يعني أن مقاله « يسجنوني ويسئلوني » هي أصلا لجابر بن زيد الذي رأينا كيف أن نفاذا احتال الى أن كتب ديوانه في بغداد . ولو ان الرواية قالت ان نفاذا عاد ودفعه حتى لا يستطيع منه خصومه - انظر فيما سبق ، ص ٣٥٠ .

(٢٢٧) أبو زكريا ، ص ٣٣ - ١ ، الدرجيني ، ص ٣٨ - ب (المطبوع ، ص ٨٧) .

(٢٢٨) أبو زكريا ، ص ٣٣ - ١ ، الدرجيني ، ص ٣٨ - ب (المطبوع ، ص ٨٧) .

(٢٢٩) انظر فيما سبق ، ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٢٣٠) أبو زكريا ، ص ٣٣ - ١ : حيث يجمل عنوان المعركة : « وقعة مانو وانقراض الامامة ، وهو العنوان الذي ينقله الدرجيني ، ص ٣٨ - ب (المطبوع ، ص ٨٧) .

قالوا ان احراز نعرسة انتشرت لدى المسودة (العباسيين) فى المشرق على أنهم المناصرين والقائمون بدولة العرس الرستمى فى بلاد طرابلس و تاهرت وغيرهما ، وذلك بفضل المكاتبات التى كان يبعث بها الى بغداد أهل كل من مدينتى القيروان وطرابلس (٢٢١) .

ومما يسترعى الانتباه أيضا ، ما أخذ به كتاب الاباضية من أن ذلك حدث على عهد الخليفة المتوكل العباسى الذى قتل فى سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م ، مع أنهم يعرفون أن وقعة مامو كانت على أواخر أيام الرستميين سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م . وادأ لا حظنا أنهم عرفوا قبل ذلك ان أبا اليعقظان بن افلح كان قد قبض عليه فى مكة وسير به الى بغداد ، حيث حبس على عهد المتوكل قبيل مقتله سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م ، فانه يكون من المقبول ان القصد من ذكر عهد المتوكل هنا هو تحديد بداية اهتمام بغداد بأمور الرستميين فى تاهرت وطرابلس ، وليس تحديد وقت الواقعة ، وان ظهر التعبير بغير هذا المعنى ، كما فى أبى زكريا الذى يظهر الامير الاغلبى وكأنه يرحف بقواته من شرق طرابلس (فى المغرب) ، قاصداً تاهرت بناء على أوامر بغداد (٢٢٢) .

فى أسباب الواقعة :

ومع أنه لا بأس فى أن نكون حلالة بغداد لها دورها فى تحريض الامير الاغلبى ابراهيم بن أحمد ضد اباضية طرابلس ، أو أن يكون الاغلبى أراد أن يكتسب رضا الخلافة عنه بعد سحقها عليه اثر أعمال العنف والقسوة التى قام بها ضد رعاياه ، فى اقليمى تونس وطرابلس ، فلا بأس أيضا فى أن تكون أعمال القهر التى قام بها ضد الاباضية من قبائل هوارا وغيرهم فى اقليم الزاب وطرابلس ، هى السبب فى قيام نفوسة على الاغلبة فى اقليم طرابلس ، كما سبقنا الاشارة (٢٢٣) . وهكذا سار ابراهيم بن أحمد من رقادة فى اثر ابنه أحمد نحو طرابلس حيث اعترضته قبائل نفوسة فيما بين قابس وطرابلس (٢٢٤) .

(٢٢١) أبو زكريا ، ص ٣٣ - ا ، الدرجينى ، ص ٣٨ - ب (المطبوع ، ص ٨٧) .
 (٢٢٢) السير وأخبار الأئمة ، المخطوط ، ص ٣٣ - ا ، وقانون الدرجينى ، المخطوط .
 ص ٢٨ - ب (المطبوع ، ص ٨٧) . وعن سخن أبى اليعقظان فى بغداد انظر فيما سبق ، ص ٢٥٤ .
 (٢٢٣) انظر فيما سبق - ص الاغلبة - ص ١٤١ .
 (٢٢٤) انظر فيما سبق ، ص ١٤٢ .

وإذا كانت الرواية الاباضية تقول أن الأمير الأغلبى طلب من النفوسيين أن يتركوا له مبراً على شاطئ البحر لا تزيد سعته عن مقدار نشر عمامته ليجوز منه إلى طرابلس (٣٣٥) ، فإن من الممكن أن يكون الأمر متعلقاً بواحد من احتمالين :

١ - إما أن تكون الرواية الاباضية تخلط هنا بين ما حدث قبل ذلك مع عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب عندما حاصرت الاباضية في طرابلس أيام الامام عبد الوهاب ، وانتهى الأمر بالصلح على أن يكون شاطئ البحر للأغلبية والدواخل لعبد الوهاب .

٢ - وأما أن يكون هدف إبراهيم بن أحمد هو الاكتفاء بتهدة الأحوال في طرابلس التابعة له ، دون رغبة في التدخل في شئون الاباضية فسي الدواخل .

مكان الواقعة :

والهم في الرواية أن الاباضية عزموا على ألا يسمحوا لإبراهيم بالمرور بينما قرر هذا الأخير الجواز على ساحل البحر دون أن يتعرض أصحابه لنفوسة إذا تركوهم ورأى العقلاء من الشيوخ مثل سعد بن أبي يونس ، الذي رأيناه عالماً كبيراً ووالياً لقنطرة التي كان من مشاهير أبنائها ، أن يتركوا الأغلبة يجوزون ، ولكن الكثرة الغالبة من الشباب المتحمس رفض ذلك ، بل وعبر بعضهم سعداً بالجبن والخوف من القتل . وكان رد سعد بن أبي يونس مقالته المشهورة : « خفت أن تذبح البقرة في تبعها عجلها » ، يعنى بالبقرة نفوسة وبالعجل قنطرة (٣٣٦) ، بله . وهكذا اعترضت نفوسة قوات الأغلبة في موضع لا يذكر مؤرخو المغرب اسمه (٣٣٧) بينما يعرفه كتابه الاباضية باسم « مافو » ، وفيه يقول أبو زكريا : انه « قصر من قصور الأولين » على ساحل البحر .

(٣٣٥) انظر أبو زكريا . ص ٣٣ - ١ : والرواية هنا تقول انه كان يريد الجواز من طرابلس إلى تلمذت ، وقارن الدرريني . ص ٣٦ - ١ (المطبوع . ص ٨٧ - ٨٨) .
(٣٣٦) أبو زكريا . المخطوط . ص ٣٣ - ب ، الدرريني ، المخطوط . ص ٣٩ - ١ (المطبوع . ص ٨٨) .
(٣٣٧) انظر فيما سبق . عن الأغلبة ، ص ١٤٦ وما بعدها والهوامش .

المعركة وتفشى القتل في نفوسة :

أما عن القتال الشديد بين الفريقين فيصفه بأنه « لم يسبق منه قى أرض المغرب » . وبصرف النظر عن الطولات الشخصية التي أظهرها بعض الفرسان من الجانبين ، فقد استشرى القتل في الفريقين ، ولحق سموسة إلى جانب ذلك كبير من الجراح حتى أنهم هموا بالانهزام (٢٣٨) .

وهنا طرات على بال أفلح بن العباس ، وإلى الجبل وفارس نفوسة . فكرة حث الناس على الثبات عن طريق تركيز البند أو الراية ، شعار الجيش ، في الأرض ، وهو الأمر الذي لم يفعله صاحب البند أى حامل الراية إلا على مضض . ولكنه إذا كان غرس البند في الأرض قد جعل الناس يسرعون بالالتفاف حوله للدفاع عنه ، فقد جعلهم احتشادهم هذا هدفا سهلا للعسكر الأغلبى الذى أوقع بهم وقتل منهم الكثيرين ، بينما فر أفلح ابن العباس عندما رأى سوء موقفه وتفشى القتل في أصحابه (٢٣٩) . ولا شك في أن فشل خطة الصمود حول البند المركز في الأرض ، وما تبعه من فرار أفلح بن العباس كان السبب في أن القيت تبعة مقتل نفوسة وحلفائهم في مانو على عاتق هذا الأخير . ففي ذلك يقول أبو زكريا : « أفلح كان قد كره الخروج للقاء الفاسق وكذلك فعل بهم ما فعل » ، فكانه كان من المعارضين لتحدى إبراهيم بن أحمد الاغلبى ، مثله في ذلك مثل سعد بن أبى يونس ، وأنه انتقم منهم بتدبير مسألة البند الذى كساد الرجال جميعا يستأصلون حوله ، لولا أن قبض الله له رجلا من أهل البصائر ضربه بالسيف فاسقطه . فعند ما وقع البند « انهزم من يقى من المسلمين ، وأفلت من أفلت من أهل دعوتنا من أهل الجبل » ، كما يقول أبو زكريا (٢٤٠) .

قائمة الخسائر الاباضية :

وتدل قائمة الخسائر على أن هزيمة « مانو » كانت كارثة حقيقية بالنسبة لنفوسة وحلفائهم من قبائل إقليم طرابلس . فقد بلغت عدة القتلى

(٢٣٨) أبو زكريا ، ص ٢٣ - ب ، الدرجيني ، ص ٣٩ - أ (المطبوع ، ص ٨٨)
(٢٣٩) انظر أبو زكريا ، ص ٢٣ - ب : حيث يقول ان الهزيمة وقعت حول البند بعد انهزام أفلح ، وقارن الدرجيني ، ص ٣٩ - ب (المطبوع ، ص ٨٨ - ٨٩)
(٢٤٠) السير ، واخبار الائمة ، المخطوط ، ص ٢٣ - ب وانظر الدرجيني ، المخطوط ، ص ٣٩ - ب (المطبوع ، ص ٨٩)

١٢ (اثنى عشر) ألف رجل ، منهم : ٤ (أربعة) آلاف من نفوسة ، و ٨ (ثمانية) آلاف من كان معهم من البربر وغيرهم ، الى جانب ما سبى منه نسايتهم أكلاتي كن خرجن معهم . وربما كان الاخطر من كل ذلك فقدان ٤٠٠ (أربعمائة) عالم فقيه ، أشهرهم عمرو بن فتح (٢٤١) الذي كان له قضاء جبل نفوسة منذ ولاية أبي منصور الياس (٢٤٢) .

وأغلب الظن أن الرواية الاباضية لا تبالغ كثيرا عندما تقول ان الأمير الاغلبى ابراهيم بن أحمد انتقم من مشايخ الأسرى انتقاماً مروعا يصير عن الحق الذي لا حدود له والتشفي . فالى مثل هذا تشير روايات مؤرخي المغرب التي عرضناها عن تلك الواقعة في تاريخ الأغالبة ، إذ تنص على القسوة اللاإنسانية التي مارسها الأغلبى ، عندما كان يأمر بشق صدر الرجل ثم يقطع يده في موضع القلب مباشرة . أو ما قيل من أنه نظم قلوب العشرات منهم في الخيوط كأنها قلائد النصر أو عقود الظفر . ولا شك أن ما قيل من أن مشايخ الاباضية هؤلاء كانوا يعتبرون من الامام على بن أبي طالب لا يصح أن يكون ذريعة مقبولة تبيح كل ذلك (٢٤٢) .

مقتل القاضي عمرو بن فتح :

فأبو زكريا يذكر أن القاضي عمرو بن فتح كان مشاركا بشخصه في القتال ، وأنه كان في مؤخرة العسكر ، على فرس سابق ، يحمي الناس ويذب عنهم ، وعسكر الأغالبة لا يدرون ماذا يصنعون معه . فلما أعياهم نصبوا له حبالا تمشي بها فرسه « السابق » فأخذوه أسيراً الى « الفاسق » . وطلب ابراهيم بن أحمد من عمرو أن يطلب العفو ، ولكن القاضي الشديد في أحكامه والذي كان لا يخاف في الله لومة لائم أبي من استجداء العفو ، « وطلب فقط الا يكشفوا عن سراويله » . وكانت العقوبة الشنيعة التي أنزلت به هي تقطيعه بالحديد من إبهامه الى عضده حيث استشهد « (٢٤٤) » أما عن اخته العاملة الفقيهة مثله ، والتي أخذت مع نسوة نفوسة ، فإنها « طلبت من النساء أن تستحلف كل واحدة منهن أن يتزوجها من يريد بها سوا » (٢٤٥) .

(٢٤١) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٤ - ١ ، الدرر الجني ، المخطوط ، ص ٢٩ - ب

(المخطوط ، ص ٨٩ - ج)

(٢٤٢) انظر فيما سبق ، ص ٢٨٢ -

(٢٤٣) انظر فيما سبق ، ص ١٢٣ -

(٢٤٤) أبو زكريا ، ص ٢٤ - ١ ، الدرر الجني ، ص ٣٦ - ب (المخطوط ، ص ٨٩ - ج)

(٢٤٥) أبو زكريا ، ص ٢٤ - ١

وبذلك قصت الوقعة المشنومة على مشايخ الاباضية في جبل نفوسة فلم يبق من علمائهم الا أبو القاسم البقطورى وعبد الله بن الحير ، اللذان بقيا يفتيان لاهل الجبل نوازلهم من تلك الوقعة ولولاهما لعطلت (الفتوى) الى يوم القيامة (٢٤٦) .

الانتقام من قنطرة ثم من اباضية نفزاوة :

ولم يكتف ابراهيم بن أحمد بما ألحقه بالنفوسيين في مانو من القتل والتنكيل ، بل انه اتجه نحو قنطرة ، حيث عرف من أعوانه انها المعقل الثانى فى المنطقة من معازل الاباضية ، فاجأ اهلها فى الصباح المبكر . ويقول أبو زكريا انه ، الى جانب قتله لاهل قنطرة ، « اختار من فقهاءهم وعلمائهم ثمانية عالما فشهدهم وثاقا » (٢٤٧) .

ومن قنطرة تابع الأغلبى مسيرته الدامية ضد الاباضية الى نفزاوة للقضاء على من بقى هناك من أهل الدعوة ، وكان أشهر مشايخهم فى ذلك الوقت « رجلا عالما فقيها » . يقال له : أبو بكر يوسف النفوسى . وعندما بعث ابراهيم بن أحمد رحاله للقضاء عليه أظهر الرجل كرامة منعتة من خصومه ، اذا استمهلهم الى أن صلى ركعتين اتبعهما بالدعاء ، « فبعث الله اليهم ريحا عاصفا مظلما فحال بينهم وبين الشيخ ، فأخذ ابنه يوسف . وكان الشيخ اذ ذاك قد كف بصره - ومضى الى تناوت » ، من قبائل نفزاوة (٢٤٨) .

(٢٤٦) أبو زكريا ، ص ٢٤ - ١ . وبصل متلة العلماء الفقهاء ، صاغ الاباضية حول مرقمة مانو وشهادتها الأساطير ، كما فعلوا بكان الموقمة التى قتل فيها أبو حاتم الامام ، خليفة أبى الخطاب قبيل تأسيس الامامة الرستية (انظر فيما سبق ص ٢٨٧) . ففى مناقب شهداء الاباضية فى مانو ومثالب حصومهم ، يقول أبو زكريا : انه عندما جن الليل بعث الفراق المتحارين جاء رجل من العسكر الاغلبى ليحمل اخاه القتل ، فاذا يشخص يطوف بين القتل وينادى الاباضية معهم : كبروا يا اهل الجنة فيكبرون ، وينادى على المسودة منهم : ابصروا يا كلاب النار فينبهون ، وكان آخر الرجل ينجح معهم وهو قاتل على الدابة . انظر أبو زكريا ، ص ٣٤ - ١ ، ٣٤ - ٢ ، الدرجينى ، ص ٤٠ - ٤١ (المطبوع ، ص ٩٠) . (٢٤٧) أبو زكريا ، ص ٣٤ - ٢ ، الدرجينى ، ص ٤٠ - ٤١ (المطبوع ، ص ٩٠) . حلفا ، ولا بأس من أن تكون وقعة قنطرة قد حدثت فى السنة التالية ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م ، كما يمكن أن يفهم من رواية ابن عذارى - انظر فيما سبق ، من الأغالبة ، ص ١٤٣ وهـ ٤٦١ . (٢٤٨) انظر أبو زكريا ص ٣٤ ، ٢ (حيث اسم القرية «ماوته ») ، وقلون الدرجينى ، ص ٤٠ - ٤١ (المطبوع ، ص ٩١) : حيث يقول انه « مضى الى تناوت ، وهم أهل القرية المروفة بشيطان من قرى فزاوة ، منجاء الله » .

ومن الزاب عاد ابراهيم بن أحمد ، وبصحبته أسراء الشمانين من فقهاء
قنطرة ، الى القيروان حيث قتلهم بأجمعهم (٢٤٩) .

وهكذا حطم ابراهيم بن اغلب مقاومة الاباضية الرستميين في كل من
جبل نفوسة ونفزاوة ، قبل أن يعود تبعا مرهقا الى القيروان . والحقيقة
لا تتجاوز كثيرا ما يقوله كتاب الاباضية من أن وقعة مانو وما اتصل بها كان
سببا في القاء الوهن والضعف في نفوسة مما أدى الى انقراض الدولة
الرستمية وانقطاع الدعوة الاباضية ، « وذلك لأن نفوسة كانوا عمدتها :
قامت بقيامهم وانقطعت لانقطاعهم (٢٥٠) » .

**عزل افلح بن العباس من ولاية الجبل : والسنوات الأخيرة للإمامة الرستمية
بعد وقعة مانو :**

بعد الهزيمة المنكرة عادت بقية نفوسة من مانو الى جبلهم ، وتحصنوا
خفيه ، ثم انهم تشاوروا في عزل واليهم افلح بن العباس الذي اعتبروه مسئولا
عن الكارثة ، وقولية ابن بجم له بدلا منه ، واخطار الامام بذلك ليصدر سجل
الولاية . وتم اتفاق رموس الجماعة على هذا الأمر ، لم يخالف في اقراره
الا الشيخ أبو معروف الذي « أبا ذلك خضية الاختلاف » . وهكذا عزل افلح
الذي حقق على هذا الفعل واستنكره الى حد أنه رام الخروج على جماعة
اصحابه ، والقيام بمخالفتهم (٢٥١) . وعندما بلغ الشيخ ابا معروف ما يضره
افلح بن العباس سار اليه خفية ، « وقبح عليه الخلاف وسوء عواقبه ووعظه ،
فبركن الىه ، ولم ينهم قوله لما تقدم منه أيضا من كراهية خلع افلح ، « فأراد
الله به خيرا ، كما يقول الدرجيني (٢٥٢) » .

(٢٤٩) أبو ذكريا ، ص ٣٤ - ب : حيث يفهم من النص أن الأخير لا يخلو قتل هؤلاء
الرجال كمقولة جماعة لهم لأن اسمهم ويذكر باين توب. كان مقطوع العروق مما سمح له
يسجل رجله عن القيد والفرار ، ولو أن الرواية المنقوبة تنص على أن الرجل استأذن اخوانه في
المهربون وانهم لمذنوا له . وقارن الدرجيني ، ص ٤٠ - ب . الذي يسمى الرجل للمقطوع
المعروق باين تبيت (المطبوع ، ص ٩١ : ابن تبيت) .
(٢٥٠) الدرجيني ، ص ٤٠ - ب (وقارن المطبوع ، ص ٩١ : حيث النص على انقراض
الدعوة بدلا من « انقراض الدولة وانقطاع الدعوة ») .
(٢٥١) الدرجيني ، ص ٤٠ - ب (المطبوع ، ص ٩٠) : وتقول الرواية منا انه عرض
الخلاف على أحد اصدقائه ولكن هذا الأخير لم يستجب له . واستنح عن صباهته .
(٢٥٢) المطبوع . المخطوط ، ص ٤٠ - ب (المطبوع ، ص ٩٠) ، أبو ذكريا ، المخطوط ،
ص ٣٤ - ب .

- ٣٩٤ -

ويظهر عزل أفلح من ولاية جبل نفوسة وكأنه بدء النهاية بالنسبة للدولة الرستمية إذ يقول أبو زكريا : ان إيوالي الجديد ، ابن عمه ، لم يسكت في الحكم الا حوالي ثلاثة أشهر ، ولم يتمكن خلالها من احسان السيرة ، فتركه الناس ورجعوا الى أفلح . وبذلك يكون بدء قصة قيام الدولة الفاطمية في المغرب الأوسط وكيف تهيأ لها القضاء على دولة تاهرت الرستمية منسذ حوالي سنة ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م .

وهكذا تنتهي الدولة الرستمية عند ابن الصغير في دوامة الاضطرابات التي عرفتها تاهرت والخلافات التي عرفها افراد الاسرة المالكة على عهد الامام ابي حاتم يوسف بن افلح ، دون ذكر لموقعة مانو في سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م . أما أبو زكريا ومن نقل عنه من كتاب الاباضية فقد اعتبروا وقعة مانو ، كما رأينا ، وكأنها نقطة الختام بالنسبة لتاريخ الرستميين ، وبذلك ضاعت في روايتهم معالم تاريخ الفترة الأخيرة من عهد امامة تاهرت الرستمية التي تقدر بأكثر من اثنتي عشرة سنة ، الى فتح تاهرت واستباحتها على يد أبي عبد الله الشيعي سنة ٢٩٦ هـ / ٨ - ٩٠٩ م ، وقتل آخر أمرائها وهو يقطان بن محمد أبي يقطان بن أفلح .

أبناء الامام ابي حاتم يعرضون ابا عبد الله الشيعي :

يقطان بن محمد ابي يقطان آخر الائمة الرستميين في تاهرت (٢٩٤ هـ - ٩٠٧ م / ٢٩٦ هـ - ٩٠٩ م) :

يتضح من القطع المتناثرة في اخبار السنوات الأخيرة لامامة تاهرت ، التي خصصها أبو زكريا لتاريخ بدء الدعوة الشيعية في كتامة وقيام الدولة الفاطمية في المغرب والتي رأى الدرجيني ان يختزلها ان الامام ابا حاتم يوسف واج ضحية مؤامرة قام بها افراد أسرته وشارك فيها بعض الفقهاء ، مثل : أبي الخطاب وسيم (ابن سنتين الزواحي) أحد حفدة أبي الخطاب (الكبير) المافري ، وذلك في سنة ٢٩٤ هـ / ٩٠٧ م (٢٥٣) . وانتهت بولاية ابن أخيه يقطان ابن يقطان . فعندما صار أبو عبد الله الشيعي - الذي يعرف عند كتاب الاباضية بالايكجاني ، نسبة الى قلعة آيكجان التي اعتصم بها في نظر مدينة

(٢٥٣) انظر أبو زكريا . ص ٤٤ - ب : حيث يقول ان ثلثة الجبل ماتت على انه الزم الامر ليقطان . وانه اعتذر من ذلك بأنه فعله احتساباً له . وانظر الباروني ، الاذهار الرياضية ، قسم ٢ ص ٢٩١ .

ميلة من بلاد كتامة (٣٥٤) من رقادة في طريقه الى سجلماسة لطلب الامام المهدي (٣٥٥) ، حرحت اليه دوسر بنت يوسف مع واحد من اخوتها تشكو اليه مقتل أبيها ، وتطلب منه الانتقام من عمومتها بنى أبي يقظان الذي غدروا به ، مما يفهم منه ان السيدة دوسر كانت المحرصة للشيعي على فتح تاهرت (٣٥٦) . والواضح من الرواية انه ما ان اقبل الشيعي على تاهرت حتى خرج اليه وجوه أهلها يعلنون الطاعة ويطلبون الامان . أما زعماء الجماعات المعارضة (المخالفين) ، من . المالكية والواصلية والشيعة والصفريه ، فقد « نافقوه » ، كما يقول أبو زكريا ، وشكوا اليه اماره الفرس ، وواعدوه العون من أنفسهم على جميع الرستميين ، وأمروا باستئصال شأفتهم وتوهين شوكتهم ، (٣٥٧) ، مما يفهم منه ان المقصود بجماعة وجوه أهل تاهرت ، الذين طلبوا الامان ، هم من أفراد الأسرة الرستمية المالكة وأنصارهم . وهذا لا يمنع من أن يكون أبناء عمومتهم من أولاد يوسف ، وعلى رأسهم دوسر ابنته ، قد انتهزوا الفرصة لتحريض الشيعي عليهم ، مما كان يهيئ لهم النجاة من انتقامه ، وفي نفس الوقت تحقيق النار للمقتل والدهم .

مجتمع غير متناسق في تاهرت :

وكل هذا يعني أن عاصمة الرستميين تاهرت كانت تعاني من الانشقاقات المتوالية التي عرفتها جماعة الاباضية منذ وفاة عبد الرحمن الأول بن رستم ، وانها كانت ثمرة ناضجة في انتظار من يأتي ليقطفها . ولا أدل على الانقسام الذي كان قد وقع بين الأسرة المالكة وبين شعب تاهرت ، مما تقوله النصوص

(٣٥٤) انظر الدرجي ، المخطوط ، ص ٤١ - ب (المطبوع ، ص ٩٢) : حيث اسم القلعة ايكجان بينما لقب أبي عبد الله الشيعي الكجاني ، وقارن أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٥ - ب ، الذي يسمى الشيعي بأبي محمد وسيم ويلقبه بالكجاني ، مما يطن اليه من أخطاء السامع أو تصحيقاتهم .

(٣٥٥) انظر فيما بعد ، ص ٥٤٩ .

(٣٥٦) انظر أبو زكريا ، ص ٣٦ - ب . الذي ينص على ان دوسر أخيرته بقصة أبيها ، وما انتهك من حرمتها ، وان حرصها على الانتقام من قتلة أبيها بلغ الي حد أن « أوعده من نفسها اذا هو أخذ بثأرها أن تزوجه من نفسها » ، ولو أنها أشللت بالوحد بعد ذلك : « فتفبت وهرمت من الكجاني (الابكجاني) مخافة أن يتزوجها » ، وأنه يطلبها فلم يقبلها عليها . وقارن الدرجيني ص ٤٢ - ب : حيث اسم « دوسر » منسوخ في شكل « دوس » ، وانظر المطبوع ، ص ٩٤ و ص ١٠٠ حيث الإشارة الى أن صاحب الأزهار الرياضية بيثب الاسم في شكل « دوسر » .

(٣٥٧) أبو زكريا ، ص ٣٦ - ب .

الإباضية من أن الشيخ أبي الخطاب وسيم الذي كانت إليه الزعامة فسي
للمدينة والذي قام بدور رئيسي في تولية يقظان ، كان يفرم اليتامى والأحرار
للظلمة ، ويستفتى نكاريا ، ويقدم في الصلاة خلفيا وفي الأذان نفائيا (٢٥٨) ،
وإذا كان ذلك يعنى نوعاً من المداينة والمداواة من أجل التعايش السلمي
بين الجماعات المتنافرة مذهبياً ، كما يفهم من رد أبي الخطاب على منتقديه (٢٥٩) ،
فلا شك أن هذه الفيفساء الإباضية كانت من الرقة بحيث لا تتحسس أية
مقاومة ، وهذا ما يفسر استسلام المدينة بالأمان ، ودون مقاومة ..

الشيعية يدخلون تاهرت ويقتلون يقظان :

والهم أن أعيان تاهرت خرجوا وعلى رأسهم يقظان لاستقبال أبي عبد الله
الايكجاني - بناء على طلبه أو مبادرة من أنفسهم - ، وذلك على بعد أميال
من المدينة . وينص أبو زكريا على أنه بعد حوار قصير سأل فيه الشيعي
الأمير الرستمي عن اسمه ورد فيه بجفاء عليه ، قائلاً له : بل اسمك حيران بدلا
من يقظان ، قل أن يتبع ذلك بتعنيه على سوء السرة وقتل أخيه أبي حاتم
يوسف ، إذ قال له : « وكيف قتلتم أميركم ، وسلبتم لأنفسكم ملككم ،
فاطفيتم نور الاسلام بغير سبب ، وألقيتم بأيديكم إلينا بغير قتال ؟ » وبعد
ذلك أمر بقتل يقظان وأبنائه الذين نفذ فيهم الحكم فقتلوا عن آخرهم (٢٦٠) .

تغريب تاهرت وأخذ ذخائرها :

ومع أن الرواية تنص على أن أبا عبد الله الشيعي دخل تاهرت بالأمان
فأنها تشير إلى أنه عذر : فانهت مدينة الأئمة وانتهاك حرمتها ، وأحلا كثيرا
من أهلها ، وحمل أعزة أهلها أذلة (٢٦١) . ولم يكتف الشيعي بقتل يقظان
وأبنائه بل أنه أتبع ذلك بقتل « أهل بيت الإمامة من الرستميين ، وأهل
الملك ، وأهلك الحرث والنسل (٢٦٢) » .

وكان من الذخائر التي وقع عليها الشيعي في تاهرت صومعة مملوءة .

(٢٥٨) أبو زكريا ، ص ٤٤ - ب .

(٢٥٩) أبو زكريا ، ص ٤٤ - ب .

(٢٦٠) أبو زكريا ، ص ٣٦ - ب ، الدجيني ، ص ٤٢ - أ (المطبوع - ص ٩٤) .

(٢٦١) أبو زكريا ، ص ٣٧ - أ ، الدجيني ، المخطوط ، ص ٣٢ ب (المطبوع ،

ص ٩٤) .

(٢٦٢) الدجيني ، ص ٤٢ - ب (المطبوع ، ص ٩٤) .

بالكتب الثمينه ، فأمر باخراج تلك الكتب من مكنها ، كما نزل الرواية ،
واخذ منها كل ما يصلح للملك والحساب (أى للإدارة المدنية) ، والقى بقيتها
فى النار (أى كتب المذهب) (٣١٢) .

خروج بقايا الرستميين الى وارجلان :

وإذا كانت رواية أبى زكريا نمرى انتقال الشيعى من تاهرت الى هرب
السيدة دوسر بنت يوسف التى لم تف بوعدها بالزواج منه ، بعد أن حقق
لها أميتها وثار من بنى عمومتها قاتلى أبيها ، فلا بأس من أن يكون الشيعى
قد شملها بعفوه بعد أن وقفت الى جانبه . ولا بأس من أن يكون العفو قد
شمل أيضا يعقوب بن أفلح ، عم يوسف ويقظان الذى كان له حظ المناقشة
على الإمامة ، من قبل (٣١٤) . وذلك أنه بينما تقول بعض روايات أبى زكريا
أنه خرج من تاهرت متوجها الى وارجلان لما سمع بأقباله الإيكجاني (٣١٥) ،
يذكر الدرجيني « أن يعقوب بن أفلح وابنة أخيه دوسر خرجا فى خفاء الى جهة
وارجلان حتى نزلاها (٣١٦) . فإذا كان الأمر كذلك يكون يعقوب قد وقف
الى جانب ابنة أخيه دوسر فى طلب الثار لأبيها ، وحينئذ يصح ما نريد
استنباطه من أن يكون عفو الشيعى قد شمل كلا من دوسر ويعقوب ، وتكون
مسيرتهما الى وارجلان قد تمت بموافقتة .

يعقوب بن أفلح فى وارجلان :

ولا يضعف من هذا الافتراض ، الذى نراه منسجما مع واقع الحال ،
ما تشير اليه رواية تالية ، لأبى زكريا ، يقول فيها : أنه عندما سار الإيكجاني
متوجها الى تاهرت « خرج يعقوب بن أفلح فى خيل من أصحابه مع عيالاتهم
وأنهاليهم » . اذ الواضح ان الرواية المنقبية تهدف الى إحاطة يعقوب بهالة
من الهيبة والشجاعة غير المعادة : فعندما تبعت عساكر العدو القافلة التى
كانت تحوى الذرية والأهل الى جانب الرجال وقع عبء حمايتها على يعقوب

(٣١٢) انظر أبو زكريا ، ص ٧ - ٢ ، وقارن الدرجيني ، ص ٤٢ - ب حيث يقول :
« ان صعوبة الكتب هذه كانت مشتتة على ديوان تاهرت أى سجلات المدينة الرسمية . كما
ذكر المزابة (المتنازع من ملحة العلم) » (والمطبوع ، ص ٩٤ - ٩٥) .
(٣١٤) انظر فيما سبق ، ص ٢٧٦ .
(٣١٥) أبو زكريا ، ص ٢٧ - ١ .
(٣١٦) الدرجيني ، ص ٤٣ - ب (المطبوع ، ص ٩٤ - واسم الأميرة دوسر ، كما
سبق الإشارة) -

وحده ، اذ « كان له حصان عظيم فكان يقف للعدو حتى يسير أصحابه » ،
« وكان فرسه (هذا) يضرب به الامثال في المغرب ، فاذا نظروا اليه وعرفوه .
وقفوا له من هيئته ... » وهكذا كان يعقوب يسير خلف قافلة أهله وأصحابه
الى أن يلحقهم العدو فيقف وحده - والرجل سائر - ويقب العدو دهشة
وعجبا - وهكذا دواليك على طول الطريق ، « حتى آيسوا منه . ورجعوا عنه ،
هو وأصحابه » ، ومضى يعقوب بعد أن تفسرق عنه معظم أصحابه الى
وارجلان (٣٦٧) -

وهكذا يظهر من رواية تلك المطاردة الطريفة أنها متقبية أكثر منها
تاريخية ، مما يرجح دعوانا في أنه ربما كان من الأرجح أن يكون يعقوب
ابن أفلح قد خرج من تاهرت الى وارجلان بصحبة ابنه أخيه دوسر ، وأن ذلك
كان بموافقة أبي عبد الله الشيعي بعد أن وقفوا الى جانبه مع من وقف من
الكارية والواصلية والمائكية والخلمية وغيرهم . وتكون تاهرت الرستميين
قد سقطت بالأمان دون قتال بين أيدي الفاطميين ، وبذلك تبدت قسوى
الإباضية هناك في واحات الصحراء ، مثل : وارجلان التي صارت منذ ذلك
الوقت من أهم مراكز الإباضية في صحراء المغرب الأوسط (بلاد الجزائر
الحالية) ، بعد محاولة فاشلة للاستيلاء عليها من جانب عبيد الله المهدي
في رحلة عودته من سجن ساسة الى رقادة . وستشهد وارجلان منذ ذلك
الحين مجتمعا أباضيا مزدهرا يعيد - نشأ من الحياء - سيرة تاهرت الرستمية
على مستوياتها الاجتماعية والحضارية . وكان من أوائل الأحداث الهامة
التي عرفتھا وارجلان الإباضية هو الانقسام المدهش الرابع الذي ينسب الى
أبي سليمان بن يعقوب بن أفلح .

وارجلان وريثة تاهرت الرستمية في المغرب الأوسط :

يعقوب بن أفلح يجدد سيرة الأئمة الأوائل :

عندما وصل يعقوب بن أفلح - بعد سقوط تاهرت - الى وارجلان ،
كان حكم الواحة الصحراوية الكبيرة الى رجل يعرف باسم صالح بن جنون
ابن يمران الذي خرج لاستقباله في جموع أهل وارجلان . وبسبب مركزه

(٣٦٧) أبو زكريا ، المخطوط . ص ٤١ - ب : حيث تقول النصوص ان يعقوب بن أفلح
مضى وأصحابه الى وارجلان ، وأنه « نظر الى الطالع في طريقه ذلك فقال لأصحابه : لا يفتح
منكم ثلاثة الا كان عليهم الطلب فامشوا » ، وقارن الدرجيني ، المخطوط ، ص ٤٧ - أ
(المطبوع ، ص ١٠٤ - ١٠٥) .

للاجتماعي وشرفه وعلمه اقتضت أصول الآداب في ذلك العصر أن يعرض عليه أهل وارجلان - وبضمنهم أميرهم صالح بن جنون ، على ما نظن - أن يكون أميراً عليهم . وكان من الطبيعي ، أيضاً ، أن يرفض يعقوب هذا العرض الذي ، وإن كان كريماً ، لم يكن مناسباً للامام الأسبق الذي قال للناس وهو يمتنع : « لا يستتر الجمل بالغنم » ، فذهبت تلك الجملة المعبرة مثلاً (٣٦٨) .

واشتهر يعقوب في وارجلان بالعلم والتقوى وبأنه كان حافظاً للقرآن مجيداً له ، وفي ذلك قيل انه عندما سأل بعض الوريثين عما اذا كان يحفظ القرآن كله ! رد عليهم قائلاً : « معاذ الله أن ينزل على موسى وعيسى عالم أحفظ وأعرف معناه ، فكيف يكتب الله ؟ » ، بمعنى أنه : كان يعرف التوراة والانجيل الى جانب القرآن . أما عن ورعه وعبادته فكان مجتهداً في الليل . وفي ذلك يروي أنه قام ذات ليلة يصلي : « فخر عليه السقف » ولكن الله نجاه اذ لم تسقط خشبة السقف التي تقابل رأسه ، مما سمح بانقاذه من تحت الأتقاض (٣٦٩) .

والى جانب العلم والورع ترك يعقوب بن أفلح كثيراً من الآثار ، وذلك بفضل بنيه خاصة . فقد كان له ابنتان وابنتان أخوة أشقاء صاحبهما معه من تاهرت ، ولكنه رغم بقاءه في وارجلان لمدة طويلة فانه حبس ابنتيه عن التزويج ، مما يفهم منه أنه ربما لم ير في أهل وارجلان من هو كفه لهما . وهذا ما قد يرجحه تزويج يعقوب - في آخر الأمر - إحدى ابنتيه لرجل صالح ، هو : حمو بن اللؤلؤة ، والأخرى لرجل من أهل الدنيا ، اسمه : العز بن محمد . وتضيف الراوية انه كان عند حمو امرأة أخرى ، فلما عرفت بزواجه من ابنة يعقوب « خالطها الهم حتى ماتت (٢٧٠) » . ولا ندرى ان كان لهذا الحادث أثره في قبيلة المرأة المتوفاة وهو الأمر المحتمل - أم لا .

(٣٦٨) أبو زكريا ، ص ٤٢ - ١ ، قانون الدرجيني ، ص ٤٧ - ١ (المطبوع ، ص ١٠٥ : حيث اسم الشيخ الوريثاني « أبو صالح جنون بن يريان » الذي هو والد صالح) ، الميل ، ج ٢ ، ص ٢٥ .

(٣٦٩) أبو زكريا ، ص ٤٢ - ١ ، وقانون الدرجيني ، ص ٤٧ - ب ، الذي ينص على أن يعقوب كان صاحب كرامات وأن تلك الحادثة كانت احداهما (المطبوع ، ص ١٠٥ - ١٠٦) . (٣٧٠) أبو زكريا ، ص ٤٢ - ١ ، وانظر الدرجيني ، ص ٤٧ - ١ ، ٤٧ - ب ، حيث النص على انه كان مع يعقوب ابنتاه وابنة ابن أخيه ، واسم الرجل الذي من أهل الدنيا هو العز بن محمد ، وقانون المطبوع ، ص ٢٠٥ - حيث اسم الرجل من أهل الدنيا « حمو بن اللؤلؤة » ، والرجل من أهل الدين « العز بن محمد » .

الافتراق الرابع فى الاباضية بوارجلان : أبو سليمان بن يعقوب مرجع الاباضية فى وارجلان :

أما أهم آثار أبناء يعقوب بن أفلح فى وارجلان ، فهو الاشفاق (الانفراق) الرابع فى الاباضية هناك ، وينسب الى أبى سليمان بن يعقوب . والمعروف أنه أبا سليمان كان محبا للدرس ، مثلما كان والده مغرما بالعلم . وكان من أهم الكتب التى درسها فى شبابه أحد الدواوين الذى كان يشك المتمسكون من أهل الدعوة فى أصالته ، حتى قالوا ان يعقوب والده أخذ على ابنه أبى سليمان ذلك ، وحذر منه أهل وارجلان فقال لهم : « لا تلمسوا اليه (أبى سليمان) فانه درس من ديوان أحمد بن الحسن » ، وهى العصة التى ينفى إلا تأخذها على عواهنها . وبعد وفاة يعقوب بن أفلح الذى دُفن فى المقبرة الأميرية فى وارجلان - وهى المقبرة التى بناها جتو بن يمرىك والد الأمير صالح ، والتى كانت حراتها فى أيام أبى ركريا كالكرونة ، والتى يقول الدرجيني أنها من المشاهد المرورة - اجتمع أهل وارجلان على ابنه أبى سليمان واتخذوه مرجعا لهم فى فتاواهم ونوازلهم . وكانوا يجرون عليه وتلامذته الضيافة الى أن حدث الخلاف بينه وبين بعض كبار المشايخ ، مما أدى الى الانشقاق الرابع الجديد (٢٧١) .

ميل أبى سليمان بن يعقوب الى التشدد فى فتاواه ، والنزاع مع شيخ وارجلان الكبير أبى صالح جتو :

والظاهر من فتاوى مشايخ الاباضية التى وصلت إلينا أنها كانت تميل الى الرخص - على عكس ما كان يظن - وخاصة ما يتعلق منها بأمور الطعام والشراب ، فى الأقاليم شبه الصحراوية التى تمثل أوطان الاباضية ، وان أبا سليمان بن يعقوب كان يميل الى التشدد فى تلك الأمور . وفى هذا المجال كانت أول مسألة أثارها أبو سليمان هى تنجيس الفرس ، وهى المسألة التى عارضها الشيخ أبو صالح جتو ، والد الأمير وصاحب المقبرة التى دُفن فيها يعقوب ، حتى أنه سمح لنفسه - وهو صائم - أن يفطر على العصب فيها فرث خوفا من الفتنة فى وارجلان . واستمر الجدل والمناظرة بين أبى سليمان والشيخ جتو فى تلك المسألة حتى تحولت الى مشاجرات ومنازعة ، ثم

(٢٧١) أبو ذكرى ، ص ٤٢ - ١ ، وقارن الدرجيني ، ص ٤٧ - ب (المطبوع ، ص ٦٠-٥٠)

(٢٧٢) أبو ذكرى ، ص ٤٢ - ب . وقارن الدرجيني ، المطبوع ، ص ١٠٧ .

انتهت إلى المباحلة بين الرجلين . أى . طلب حكم الله عن طريق الاستخارة (٢٧٢) .

المباحلة بين الزعيمين :

وكما كانت العادة في المباحلة : اتفق الرجلان على أن يتباهلا يوم الجمعة ، وأخذ الشيخ جنون في العبادة والابتغال إلى الله أن يتصر أحب الفريقين إليه . ولما كان يوم الجمعة اقترعوا في موضع بين الكدية العظيمة المعروفة هناك باسم كريمة ، وبين الموضع المعروف باسم تسرسرين . وانتهت المباحلة في مصلحة الشيخ جنون ، كما يقول أبو زكريا ، إذ بعد أن تم الدعاء على البطل فضح الله بإسليمان ، مما دعا الشيخ جنون إلى إقامة مصلى - شكرا لله - بتسررسرين ، كان موجودا على أيام أبي زكريا (٣٧٣) .

مسألة الخلاف بين السليمانية والوهبية في وارجلان :

ورغم ما تقوله الرواية الإباضية من الانتصار على تحريف السليمانية ، فالظاهر أن تلك الممازعة انتهت بتكريس الانشقاق وخروج فرقة رابعة في وارجلان خالفت أهل المذهب من الوهبية في سبع مسائل تشددت فيها إلى حد التحريم ، وهي :

أ - ثلاث تتعلق بالطعام ، من :

- ١ - تحريم الفريث
- ٢ - تحريم الجنين بعد ما ذبحت أمه (٢٧٤) .
- ٣ - تحريم العروق التي استبطنت الظهر بعد ما ذبحت الششاء .

ب - واثنتان تتعلقان بالطهارة ، من :

- ٤ - تحريم عرق الجنب .
- ٥ - تحريم عرق الحافض .

ج - وواحدة خاصة بالصوم ، وهي :

- ٦ - تحريم صوم يوم التشك .

←

(٢٧٣) أبو ذكري . ص ٢١ - ب . وقلوب الدويجي . المجلد ، ص ١٠٧ .
(٢٧٤) وعن الأئمة التي تعرف بالسفال ، انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٨٢ و ١١٨ .

- ٤٠٢ -

د - والاخيرة خاصة بالزكاة : وهي :
٧ - تحريم الزكاة للقراية (٣٧٥) .

وهكذا لم تنته خلافات الاباضية الفقهية بسقوط تاهرت ، بل انهم حملوها معهم في مهاجرهم الجديدة ، رغم عدم وجود الامامة الرسمية التي ظهرت الانشقاقات السابقة وكأنها نوع من المعارضة لها ، باستثناء الافتراق الرابع الذي ظهر في وارجلان ، وكأنه محاولة من يعقوب بن اقلح وابنه ابي سليمان للم التمثل حولهما . أما الانشقاق الخامس فقد قام في حيز جبل نفوسة في بلدة قنطرة .

الافتراق الخامس في الاباضية بقنطرة :

ظهر الانشقاق الخامس في الاباضية - مثله في ذلك مثل الانشقاق الرابع - كرد فعل للرخص والتساهل الذي ظهر في المجتمع الاباضى ، والذي كان نتيجة طبيعية للمماناة التي كابدها المجتمع في المناطق الانعزالية التي عاش فيها بعد سقوط تاهرت ، وخاصة من الناحية الاقتصادية ، بعد عصر الازهار الذي عرفه الاباضية على أيام الائمة الاوائل .

وصاحب الانشقاق الخامس رجل من أهل قنطرة اسمه عبد الله ، ويكنى بأبد الله ، واشتهر بلقب السكاك . وعرف والد أبد الله بالصالح

(٣٧٥) ابو زكريا ، ص ٤٢ - ب . حيث يقول ان تعصيل الخلاف في هذه المسائل وارد في كتاب أخبار ابي الربيع سليمان بن روتون النفوسى - الذى لا سر ، للأسف ، عن حصيرة شيئا ، ولو ان ابا زكريا يشير الى ان بعض معاصريه ادرك ديوان ابي الربيع سليمان ، وكتبه بقرية « تاديوت » . وفي سيرة ابي الربيع - الذى كان يفتى في مسائل الرخص كثيرا ، اذ ينص ابو زكريا (ص ٤٣ - ب) على انه كان يرقع جيبه برقعة منجوسة بعد ان ينزع بعض أطرافها ، كما كان يسبح لنفسه بشرب كل ما كان من الماء في كوز قدمته له عيوز وهي تقول له اشرب قليلا ، وذلك بناء على تفسيره للآية التي تقول : « قل متاع الدنيا قليل » ، مثله في ذلك مثل ابي الخطاب وسليم الزواغى . معاصر ابي الربيع ، الذى كان لا يرى منازعة رجل ادعى عليه دينار وهو لا يعرفه . كما كان يفتى رجلا من اغنياء بني يهراسن أن يعطى الزكاة الى أخ فقير له (ص ٤٤ - ب) - ينص كاتبنا على انه كان معاصرا وزميلا لأبي يزيد مخلد بن كيداد المعروف عند مؤرخي المغرب بصاحب الحمام الذى قام بالثورة على القائم والمنصور الفاطميين (ص ٤٢ - ا) . والذى تعتبر دعوته انحرافا جديدا من منحأ أهل الحق من الوهبية (ص ٤٣ - ب) . وقارن البرجيني ، المخطوط ص ٤٣ - ب والمطبوع ، ص ١٠٩ : حيث قرأه باسم قرية « بن زوقون » « تاديوت » ، وهو ما سنعود اليه عند كلامنا في الدولة الفاطمية .

والتقوى ، ووجه ابنه السكاك الى طلب الغلم الذى نبغ فيه ، فكانت له اجتهداته الخاضعة التى خالف فيها أهل المذهب . والحقيقة أن المسائل السبعة التى خالف فيها مشايخ قنطرة تختلف كثيرا عن مسائل الانشقاق الرابع التى نادى بها أبو سليمان بن يعقوب ، مما جعل خصومه من الوهبة الذين سموا أنفسهم بأهل العدل يقفون منه موقفا عدائيا شديدا ، حتى قالوا : انه - عندما ولد أهد الله (عبد الله السكاك) فى قنطرة ، بينما كان والده يؤدى فريضة الحج ، رأى هذا الأخير : « انه رأى فيما يرى النائم أنه توالد عنده شيطان » (٢٧٦) . والحقيقة أيضا أن مسائل السكاك الخاصة بالجاسة والطهارة إذا كانت مقبولة فإن المسائل الأخرى الخاصة بأصول التشريع والصلاة تدل على تمصّب غير مقبول ، يسمح بالوقوف منها موقف المعارضة الشديدة . ومسائل السكاك السبعة هي :

- ١ - ابطال السنة والرأى - مما يعنى أنه لا يقبل إلا القرآن كمصدر وحيد للتشريع .
- ٢ - صلاة الجماعة بدعة .
- ٣ - الأذان بدعة .
- ٤ - الصلاة لا تجوز الا بالمفهوم من القرآن .
- ٥ - الاجنة نجسة .
- ٦ - الصلاة لا تجوز بثوب فيه القمل .
- ٧ - اذا بالت الدواب فى الأندر (القمح أثناء الدرس) لا يطهر الا بالغسل (٢٧٧) .

وهكذا يظهر تشدد السكاك ، فى : أمور التشريع ، والعبادات ، ومسائل الطهارة والنجاسة فى الثياب وفى الطعام ، بشكل يخالف ما اتفق عليه جمهور المشايخ ، سواء فى تاهرت الرستمية ، أو فى مراكز الأباضية المتفرقة فى صحاروات المغرب ، أو فى جبل نفوسة فى العصور التالية ، كما يظهر فى سير المشايخ وطبقاتهم .

وبهذا التعريف المقتضب بالافتراقين الرابع والخامس عقب سقوط تاهرت بين أيدي الفاطميين ، وبعد ذلك بفترة زمنية لا بأس بها ، تكون قد

(٢٧٦) إجم زكريا ، ص ٤٥ - ب . وقارن الدرجيني ، المطبوع ، ص ١١٨ .
(٢٧٧) نفس المصدر . ويلاحظ أن الدرجيني يضع بدل نجس الأجنة نجس البقول التى تنبت فى الجنات فى ساد بنى آدم ، وذلك لنجاسة ما ثبت عليه .

• انتهينا من موضوع الدولة الرستمية في المغرب الاوسط ، فلا يبقى لنا قبل عرض تاريخ المغرب الأقصى حيث الدولة الادريسية الى حين قيام الدولة الفاطمية الا محاولة رسم خريطة لامامة تاهرت .

• حدود اماره تاهرت :

رغم ما رأيناه من أن امامة تاهرت كانت تمتد بمودها الى طرابلس وجبل نفوسة ، فانه من الصعب رسم خريطة محددة لامارة الرستمين ، وذلك لأنها كانت مملكة بدوية أو صحراوية تبسط سلطانها على قبائل البادية أو الصحراء . فمع أن هذه القبائل اتخذت بعض المراكز في القرى الجبلية أو الواحات الصحراوية الا أنها ظلت في حالة ميومة لا يستقر لها قرار ، فكانت تنتقل من مكان الى مكان حسب الظروف الطبيعية أو السياسية . والمثل لذلك هو ما اشرنا اليه من انتقال (الكار) الى طاهر تاهرت ثم الى حيز طرابلس ، وانتقال عبد الوهاب بن رستم الى جبل نفوسة وخروج أبي حاتم يوسف من تاهرت نفسها الى حصن لواته وأخيرا التجاء يعقوب بن افلح الى وارجلان (٢٧٨) . وهذا يعني أن مساح الرعي للقبائل التي ساندت الدعوة الخارجية في المغرب الاوسط ، والتي كانت تنتشر جنوبا في كل بلاد الزاب ، دخلت في نطاق الامامة الرستمية .

وإذا كانت الاقاليم الساحلية القريبة من تاهرت مثل أسافل وادي شلف قد خضعت للمغرب الأقصى حيث قام الأدارسة في فاس ، فإن القبائل الخارجية امتدت في الصحراء غربا حتى فجيج (٢٧٩) وجنوبا بغرب حتى سجلماسة ، حيث أقامت جماعة الصقرية امامة لها هي الاخرى . أما من جهة الشرق فقد رأينا أن خوارج تاهرت أصلا من اقليم طرابلس ، مهد الاباضية في المغرب (٢٨٠) . ولما كانت صحراوات طرابلس الجنوبية امتدادا طبيعيا لصحراوات الأريقية والمغرب الاوسط ، حيث تلتقي الطرق الصحراوية في الاقاليم الثلاثة ، فإن هذا يعني ان اماره تاهرت امتدت الى منطقة طرابلس وجبل نفوسة ، أو أنها كانت متصلة بها بشكل من الاشكال (٢٨١) :

(٢٧٨) انظر فيما سبق ، ص ٢١٥ ، ٢٢٥ ، ٢٧٣ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ - ٢٩٩ .

(٢٧٩) انظر جوتييه ، ماضي شمال اريقية (بالفرنسية) ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

(٢٨٠) انظر فيما سبق ، ص ٢٩٠ وهـ ٧ .

(٢٨١) انظر فيما سبق ، ص ٣٢٦ ، ٣٥١ وانظر فيما بعد ، ٤٠٦ .

وإذا كانت المصادر التي بين أيدينا لا تبين حدود الإمامة الرستمية والبلدان الداخلة في نطاقها ، فإنه يمكن القول أن كل إقليم من الأقاليم والقرى التي كانت تدين بمذهب الخوارج وخاصة الإباضية - كانت داخلة في سلطان تاهرت . وفي هذا المجال تكون كتب الجغرافية والرحلة أهم مصادرنا ، ولو أن معظمها تم تأليفه بعد انتهاء تاهرت على أيدي الفاطميين وانتشار آماديتهم في واحات الصحراء ، مما يمكن أن يكون قد ترتب عليه ازدياد انتشار المذهب في الواحات الجنوبية ، بالشكل الذي يشير إليه الكتاب (٢٨٢) .

وإذا ما قبلنا هذا المنهج على علته يكون امتداد مملكة تاهرت ما بين جبل نفوسة شرقا وتاهرت غربا . فأهل جبل نفوسة كانوا إباضية متعصبين إلى مذهبهم ، مفضلين إياه على سائر المذاهب (٢٨٢) ، وما زالوا على ذلك إلى اليوم .

وهكذا كان تاريخ هذا الجبل طوال حياة إمامة تاهرت جزءاً من تاريخ تلك الإمارة ، وهذا ما ينص عليه اليعقوبي (٢٨٤) . ولقد كان جبل نفوسة مركز إشعاع للمذهب الإباضي في كل الأقاليم المجاورة ، كما يتضح من كتب أهل الجبل التي وصلت إلينا ، من : أبي زكريا والدرجيسي والوسيانى ومن نقل عنهم مثل الشماخي (٢٨٥) ومن أتى بعده من المحدثين كالبازوني ، فالمقبوم

(٢٨٢) انظر البكري ، ص ٧٩ (عن انتقال أهل تاهرت إلى مدينة فكان على مسيرة ٤ مراحل سنة ٢٢٨ هـ وتدينها على أيديهم) . وانظر ص ٣٩٨ وما بعدها .
(٢٨٢) الشماخي ، ص ٣٦٦ .

(٢٨٤) انظر البلدان ، ص ٣٤٦ (حيث يقول عن نفوسة وهم قوم عجم اللسان إباضية كلهم ، لهم رئيس يقال له الياس لا يخرجون عن أمره ، ومنزلهم في جبال طرابلس في شيباع وقرى ومزارع وعمارات كثيرة لا يؤدون خراجاً إلى سلطان ولا يسطون طاعة إلا إلى رئيس لهم بتاهرت ، وهو رئيس الإباضية ، يقال له عند الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم - فارسي) وقارن ابن حوقل (ط بيروت) ، ص ٩٣ : حيث يقول أن جبل نفوسة كان دار هجرة الخوارج من قديم الأيام . بل ويص على أن عبد الله بن إباض وقبيلة عبد الله بن وهب الراسبي ما لا به ، وأنه لم يدخل أهل هذا الجبل في عهد الإسلام أي سلطانه ولا سكنه غير الخوارج منذ أول الإسلام . بل مذ حروجه على علي بن أبي طالب ووقطة النهروان .

(٢٨٥) ونكتفي هنا بالنظر في الشماخي ، ص ٢٦ (عن تطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جبل نفوسة وإصلاح الإسواق : ٠٠٠ عاقبوا التصاب على قلع الشاة . ومنهم الجمال أن يحصل على دابته فوق طاقتها ٠٠٠ . ص ٢٢٨ (رجع الفضل إلى قاضي الجبل - همروس بن فتح في قتل ملوثة أبي غاتم الخرساني ، وهي في ١٢ جزءاً ، ولولاها لبقى له المذهب من غير ديوان المغرب يمتدحون عليه - وذلك بعد سقوط تاهرت وإحراق كتبها) . ولو أنه ينقل بعض هذه المعلومات عن مؤرخ تاهرت مثل ابن الصغير (انظر فيما سبق ص ٣٦٦) .

- ٤٠٦ -

ان المنهب انتشر منه الى الصحراوات الجنوبية في فزان وودان (٢٨٦) ، وفي غرب نفوسة انتشر الخوارج في أرض نفزاوة (٢٨٧) . وفي الاقليم الساحلى انتشروا ما بين طرابلس وقابس ، وكانت أشهر مراكزهم الساحلية جزيرة جربة (٣٨٨) . وانت واحات قسطنطية وبلاد الجريد - في الاقاليم الجنوبية لافريقية من قواعد الخارجية الهامة (٢٨٦) . وفي الغرب من افريقية كان جبل أوراس من أقوى معاقل الخارجية (٣٩٠) .

وبعد ذلك تأتى بلاد الزاب - المؤدية الى ورجنة (وارجلان) - التى كانت تعتبر من أعمال مملكة تاهرت (٢٩١) . أما من جهة المغرب الاقصى فلقد سيطر الخوارج على الصحراء حتى سجلماسة التى عرفت كمركز للصفرية - وعن طريق الواحات وسجلماسة ، وأودغست فى جنوبها ، نقل الخوارج نشاطهم الى بلاد السودان فى تادمكت (تادمكة) وغانة ثم مالى - فيما بعد - حيث نشروا الاسلام وجمعوا كثيرا من الثروات فى العصور التالية للإمامة (٣٩٢) .

-
- (٢٨٦) الشماخي ، ص ١٩٠ (حيث يخصص فصلا لتراجم اباضية أهل فزان) -
 (٢٨٧) عن خواوح نفزاوة انظر ابن حوقل ، طيبة بيروت ، ص ٩٣ .
 (٢٨٨) الكرى ، ص ٨٥ ، الشماخي ، ص ١٦١ . وانظر ص ٤١٦ حيث يقول ان أهل حرمة نكلر ، وعن عقيدتهم ، ص ٥٦٢ . وعن حرمة يقول ابن حلقون (ج ٦ ص ١٢٢) انهم من بطون قبائل لماية - حلفاء الرستينيين - وبهم سويت الجزيرة البحرية تجاه قابس .
 (٢٨٩) ابن حوقل ، ص ٩٣ (يذكر وجود الخوارج فى قصبة ونفطة والحمامة وسماطة وبشرى) والشماخي ، ص ٣٤٧ (الحمامة) ، ص ٣٥٠ (الجريد) ، ص ٤٠٣ (توزر) ، وعن قسطنطية (يكتبها حى شكل قسطنطية) ص ٢٨٠ .
 (٣٩٠) الكرى ، ص ١٤٤ (تسكنه قبائل مرارة وقريسة وكلهم اباضية) -
 (٣٩١) من مدن الزاب القريبة من أوراس باغااية وكلهم اباضية على أيام البكرى (البكرى ، ص ١٤٤) ، وكذلك أهل طيبة وددس (ابن حوقل ، ص ٩٣) ، وتهودة - حيث كان يسكن فى جوفها حرارة ومكناسة وهم من الاباضية (البكرى ، ص ٧٢) - وبسكرة (ابن حوقل ، ص ٩٣) ، وعن ورجلان وخوارجها انظر الشماخي ، ص ٣٥١ ، ٣٦٥ ، ٣٧٢ ، ٤١٨ .
 (٣٩٢) انظر الواسطاني ، المخطوط ، ص ٢٦ - ١ (غانة وتادمكت) ، ص ٥٣ - ١ (طريق القبلة) ، ص ٨٢ - ب (تادمكت) الخ . وقارن الشماخي حيث نجد خلال تراجم الشيوخ أمثلة لهذا النشاط ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ (عن نشاط الاباضية بسجلماسة) ص ٤٧٨ (عن رحلاتهم الى اودغست) . ص ٣١٢ عن تبشير ملك السودان ودخوله الاسلام) ، ص ٤٥٧ (عن نشاطهم فى جمع التبر والدعوة الى الاسلام فى غانة) ، وعن نشاطهم فى جمع الأموال فى تادمكت ، ص ٤١١ .

الفصل الرابع

إمامة بنى واسول الضُّفيرة في سِجْلَمَاسَة

(١٤٠ هـ / ٧٥٧ م - ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م)

موضع سجلماسة :

تقع سجلماسة في شمال وادي درعة ، على طرف الصحراء جنوبا في آخر بلاد العمران ، وتليها المفازة الكبرى التي تؤدي الى غانة من بلاد السودان ، وكان يسكن تلك المفازة قبائل الملتمين الصنهاجية من مسونة ولتونة (١) . ومنطقة سجلماسة تعرف الآن باسم تافللت (٢) . أما المدينة القديمة (الريساني حاليا) فلم يبق لها الا الذكر . والمعروف ان مدينة سجلماسة لم تكن قديمة ، بل محدثة : مثلها مثل تاهرت ، وان بناتها كانوا من الصفرية من قبيلة مكناسة . ولقد كانت قبيلة مكناسة من أهم قبائل البربر التي أيدت ثورة ميسرة في اقليم طنجة (٣) .

والحقيقة أنه يوجد طريق قديم هام ، سلكته الهجرات والقوات الفاتحة ، يربط شمالا بين مدينة فاس ومدينة مكناسة - التي مازالت تحمل اسم تلك القبيلة - وبين اقليم تافللت أي سجلماسة جنوبا (٤) .

بناة المدينة :

ويتسبب ابن عذارى بناء المدينة الى أبي القاسم سمفون بن واسول المكناسي ،

(١) كتاب الاستبصار . ص ٢٠٠ - ٢٠١ والهوامش .

(٢) انظر فيما سبق (تافللت) ، ج ١ ص ٧٣ .

(٣) انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٨٦ ، وابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٠ (التوصل الخاص

بمكناسة ودولة بني واسول) .

(٤) انظر جوتييه ، هافى شمال افريقية (بالفرنسية) ، ص ٣١٧ (هذا الطريق يسمى

« طريق السلطان » كما يقول جوتييه)

الذي « كان صاحب ماشية كثيرة ، وكان ينتجع موضع سجلماصة » (٥) ،
والحقيقة أن ابن واسول هو مؤسس الأسرة التي ستسود سجلماصة الى قيام
الدولة الفاطمية ، نظرا لفناء ، ولأنه كان يرتاد تلك المنطقة التي كانت سوقا
يجتمع فيه بربر تلك النواحي (٦) . أما عن باني المدينة الحقيقي أو مؤسس
الجماعة الخارجية في سجلماصة ، فهو - كما ينص البكري وابن خلدون وكما
يشير ابن عذاري أيضا - رجل سوداني الأصل من الموالي ، اسمه عيسى بن
يزيد الاسود (٧) . ويتفق صاحب الاستبصار وابن عذاري وابن خلدون على
أن جماعة من الصفرية يبلغ عددها ٤٠ (أربعين) رجلا اجتمعوا ، في سنة
١٤٠ هـ / ٧٥٨ م ، في موضع سجلماصة حيث تناولوا في أمرهم ، وبعد
أن قدموا على أنفسهم عيسى بن يزيد الاسود - الذي كان له شأن بين الخوارج -
شرعوا في بناء سجلماصة (٨) .

والمفهوم ، بطبيعة الحال ، أن جماعة الصفرية هؤلاء من قلول اصحاب
ميسرة . واختيار دجل من السودان للامامة هنا يبين اتجاه الجماعة الصفرية
الى تطبيق مبدأ اللاعنصرية و (اللاعصبية) للامام ، وهو الشرط الذي أشرنا
اليه عند اختيار عبد الرحمن بن رستم (٩) . وذلك حتى يمكن التخلص من
الامام اذا ما حاد عن العدل ، وهذا ما ستعمله جماعة سجلماصة بامامها عيسى
ابن يزيد . ومع ان البكري يذكر ان بناء سجلماصة من الصفرية ، الا أنه
يجعل عيسى بن يزيد الاسود من اصحاب أبي الخطاب الاباضي ، وينسب

(٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ٥٦ . وقارن ، ابن خلدون (ج ٦ ص ١٣٠) الذي يسميه
مسكو : مسكو) بن واسول بن مصلح بن أبي يزول .

(٦) الاستبصار ، ص ٢٠٩ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ١٥٦ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٠ .

(٧) البكري ، ص ١٤٩ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٠ والترجمة ، ج ١ ص ٢٦١ ،
ابن عذاري ج ١ ص ١٥٦ .

(٨) نفس المصادر السابقة . ونلاحظ هنا أن صاحب الاستبصار (ص ٢٠٩) يخطئ
عندما ينسب بناء مسجد سجلماصة الى سنة ١٤٠ هـ الى مدوار بن عبد الله ، وينسب اليه انه
كان رجلا من أهل الحديث وأنه لقي عكرمة مولى ابن عباس رجع منه (عن عكرمة البربري
الاصل والمتوفى سنة ١٠٧ هـ / ٧٢٢ م انظر ترجمة ابن خلدون ، هامش ٢ ص ٢٠٣ ،
والظاهر انه يقصد والد سمعون بن واسل كما يصح من ذلك ابن خلدون (ج ٦ ص ١٣٠)
والترجمة ج ١ ص ٢٦١) . أما عن مدوار فيكون له دوره في عمران المدينة كما سنرى
فيما بعد .

(٩) انظر فيما سبق ، ص ٣٠١ .

عزل عيسى بن يزيد والتخلص منه الى مقالة قالها أبو الخطاب في حقه (١٠) .
وهذا يعني أن قيادة جماعة سبلماسة كانت إباضية الأصل .

ومع أن البكري يخطئ عندما يجعل مقالة أبي الخطساب سببا في عزل عيسى الذي ولى ١٥ (خمسة عشر) عاما ، أي أنه عزل في سنة ١٥٥ هـ / ٧٧٣ م بعد أكثر من عشر سنوات من مقتل أبي الخطاب ، فإن ذلك لا يعني نفى أن عيسى كان من أصحاب أبي الخطاب . فمن الممكن أن يكون قائل المقالة التي أودت بعيسى هو أبو حاتم خليفة أبي الخطاب (١١) ، وليس الأخير نفسه . هذا . كما يمكن التفكير في أن تكون المقالة لعبد الرحمن بن رستم الذي كان له زعامة الخوارج في المغرب في ذلك الوقت . ويمكن أن يزيد وجهة نظرنا هذه أن صغرية سبلماسة كانوا على علاقة وثيقة بإباضية تاهرت مما جعل التفرقة صعبة بين الإباضية والصغرية ، حتى أن ابن خلدون يقول عن سمغون (سمكو) بن واسول أنه كان إباضيا صغريا (١٢) . وهذا الأمر مقبول ، فالحركة الخارجية كانت قد انتهت منذ سنة ١٢٣ هـ أو ١٢٤ هـ في المغرب الأقصى ، وتسلمت أقاليم المغرب الأدنى قيادة الحركة بعد أن غيرت تعاليمها، وجعلتها إباضية أكثر اعتدالا تحت قيادة أبي الخطاب .

سبلماسة الأولى وتطورها العمراني :

والذي يهمنا هنا هو أن سبلماسة في أول أمرها ، عندما كانت منزلا لسمغون بن واسول ، لم تكن بأكثر من مجمع للخوارج الصغرية يضربون فيها خيامهم (١٣) . وأخذ المنزل البدوي يتطور مع تطور الأحداث ، فبعد انتخاب عيسى بن يزيد الأسود اماما « شرعوا في البناء » (١٤) . ولكنه كان بناء ساذجا بطبيعة الحال ، يتفق مع بساطة الجماعة في ذلك الوقت : بمعنى أن سبلماسة لم تكن بأكثر من قرية صحراوية . وظلت المدينة ، بعد التخلص من عيسى بن يزيد ، على شكلها هذا على أيام أبي القاسم سمغون

- (١٠) انظر البكري ، ص ١٤٩ (قال أبو الخطاب يوما لأصحابه في مجلس عيسى : السردان كلهم سراق حتى هذا . وأشار الى عيسى فأخذه وشدوه وعلقوه الى شجرة في رأس جبل وتركوه حتى قتله البعوض ، لمسى الحل جبل عيسى الى اليوم) . ولارن ابن خلدون ج ٦ ص ١٣٠ وعن أبي الخطاب انظر فيما سبق ، ص ٤٠١ وما بعدها .
(١١) عن أبي حاتم انظر فيما سبق ، ص ٣٧١ وما بعدها .
(١٢) المعبر ج ٦ ص ١٣٠ والترجمة . ١ ص ٣٦٢ (هذا وإن ابن خلدون يذكر هذا ذلك أن بعض الأئمة كان صغريا وبسطهم كان إباضيا) .
(١٣) ابن هداري . ج ١ ص ١٥٦ (وسكنوا منه هناك في غيمات) .
(١٤) ابن هداري . ج ١ ص ١٥٦ .

ابن واسول (٢٥٥ - ١٦٨ هـ / ٧٧٣ - ٧٨٤ م) (١٥) ثم ابنه الياس بن ابي القاسم (١٦٨ - ١٧٤ هـ / ٧٨٤ - ٩٠ - ٧٩١ م) (١٦) :

وعلى أيام الرابع من أمراء سجلماسة ، وهو اليسع بن ابي القاسم ، الذي خلق أخاه الياس والذي عرف بأبي الوزير ، وطالت امارته الى ما يزيد على ثلث قرن (١٧٤ - ٢٠٨ هـ / ٨٩٠ - ٨٢٣ م) ، اتخذت سجلماسة شكل العاصمة . فلقد عرف اليسع بن سمفون بنشاطه وجده في سبيل تقوية الامارة الصفرية ، وتوسيع رقعتها ، حتى وصفه الكتاب بأنه كان جبارا عنيدا (١٧) . اخضع اليسع قبائل البربر المحيطة بسجلماسة ممن لم تكن قد خضعت لهم وادخلها في طاعته ، فكان صاحب الفضل في نشر المذهب الصفرى (١٨) . وانتشر سلطان اليسع حتى وادى درعة ، وبفضل ما كان يأتية من الأموال وخاصة ما كان مفروضا على مناجم درعة (خمس معادن درعة) ، ازداد العمران في سجلماسة . ويرجع الفضل الى اليسع - كما قلنا - في أن اتخذت المدينة شكل العاصمة اذ جعلها مقرا له ، وبني فيها القصور والدور ، وخزانات المياه (المصانع) ، وبذلك اتم بنائها وتشبيدها ، كما يقول ابن خلدون (١٩) .

وكان من الطبيعي أن يحيطها - بعد ذلك - بسور قوى حتى يأمن فيها من عدو يطرقة . ولما كانت المنشآت ذات المنافع العامة تعتبر من أعمال البر والتقوى ، رأى أمام سجلماسة أن يكون السور ، الذي يحمي المدينة والجماعة ،

(١٥) انظر البكري ص ١٤٩ (يقول انه مات فجأة في صلاة العشاء بعد ١٣ سنة) ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٦ (يقول فلم يزل واليا عليهم الى أن مات سنة ١٦٨ هـ) ، وقارن ابن خلدون (ج ٦ ص ١٣٠ والترجمة ج ١ ص ٢٦٢) الذي يقول انه حكم ١٢ سنة ومات فجأة سنة ١٦٧ هـ .

(١٦) انظر البكري (ص ١٥٠ الذي يقول ان الياس كان يلقب بأبي الوزير) ، وقارن ابن خلدون (ج ٦ ص ١٣٠ والترجمة ج ١ ص ٢٦٢) الذي يلقبه بالوزير ، والاصل ينحل وفاته سنة ١٩٤ هـ وهي في الترجمة سنة ١٧٤ هـ . وقارن ابن عذارى (ج ١ ص ١٥٦) الذي يقول ان حكمه سنتان فقط ويجعل خلفه يلى أخيه اليسع في سنة ١٧٠ هـ ، ويظهر خطأ ابن عذارى هنا عندما يجعل وفاة اليسع سنة ٢٠٨ هـ ويحسب سن حكمه ليصلها ٢٤ سنة (ص ١٥٧) . للكى يكون هذا الرقم صحيحا ينبغي أن تكون ولاية اليسع سنة ١٧٤ هـ .

(١٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٧ .

(١٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٧ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٠ (وكان صفرى ٢٠٠٠) .

(١٩) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٠ - ١٣١ ، والترجمة ج ١ ص ٢٦٢ .

- ٤١٣ -

من عمله هو لا يشاركه فيه أحد (٢٠) . ويضيف صاحب الاستبصار الى ذلك .
ان حملة السفقة على السور بلغت ألف مد من الطعام (٢١) ولقد بنى السور
بالحجارة من أسعله وبالطوب من أعلاه (٢٢) .

كما يقول صاحب الاستبصار أنه كان لمدينة سجلماسة ١٢ (اثنا
عشر) بابا ، ولكننا نظن أن ذلك كان على أيامه هو ، بعد أن عظمت المدينة دور
عيد المرابطين الذين وجهوا جهودهم نحو بلاد السودان التي كانت سجلماسة
بابها . ولهذا السبب اعتبرها صاحب الاستبصار « من أعظم مسكني
المغرب » (٢٣) .

أما عن تاريخ بناء السور فيحدده ابن خلدون بالسنة ال ٣٤ (الرابعة
والثلاثين) من ولاية الياسع (٢٤) ، أي في السنة الأخيرة من حكمه ، وهي
سنة ٢٠٨ هـ / ٨٢٣ - ٨٢٤ م . وهذا يعني أحد شيئين : إما أن السور قد
تم بناؤه خلال سنة واحدة (سنة ٢٠٨ هـ) ، وإما أن يكون الياسع قد بدأ
البناء وأكماله بعده ابنه مدرار (سنة ٢٠٨ - ٢٥٣ هـ / ٨٢٣ - ٨٦٧ م) الذي
اتخذ اللقب الحلفي « المنتصر » (٢٥) . وذلك ما يؤيده اليبس الذي وقع
فيه الكرى ، وتبعه فيه صاحب الاستبصار ، عندما نقل بعض الروايات
التي تسبب بناء سجلماسة نفسه في سنة ١٤٠ هـ / ٥٧ - ٧٥٨ م الى مدرار بن
الياسع (٢٦) . ولما كان المعروف أن مدرار المقصود كان رجلا حدادا ، من ريفية قرطبة ،
خرج من الأندلس عند وقعة الربيض فنزل منزلا بغرب سجلماسة ، وموضع
سجلماسة اذ ذاك سوق البربر بتلك التواحي ، فأنشأ مدرار خيمة وسكنها
مسي الناس حوله ، فكان ذلك أصل عمارتها ، وكان رجلا أسود وأولاده
هجووا بذلك (٢٧) - وواضح من تلك الرواية ان المقصود بمدرار فيها هو

(٢٠) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٥٧ .

(٢١) الاستبصار ، ص ٢٠١ .

(٢٢) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٥٧ .

(٢٣) الاستبصار ، ص ٢٠١ .

(٢٤) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٠ والترجمة ج ١ ص ٢٦٢ .

(٢٥) عن تلميذه بالمنتصر أنظر البكري ، ص ١٥٠ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ١٥٧ .

ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٦ والترجمة ج ١ ص ٢٦٢ ، ولقد الاستبصار ، ص ٢٠١ .

(٢٦) البكري ، ص ١٤٩ . الاستبصار ، ص ٢٠١ .

(٢٧) الاستبصار ، ص ٢٠١ . البكري ، ص ١٤٩ .

نعيسى بن يزيد الأسود أول امام لسجلماسة ، وهذا يعني أن تلك الرواية خاطئة ، كما ينص على ذلك البكري نفسه (٢٨) .

ورغم خطأ تلك الرواية فالظاهر أنها تحوى شيئا من الحقيقة . ففي سنة ٢٠٢ هـ / ٨١٧ م أى قبيل الوقت الذى بدأ اليعسج ينشئ فيه السور (سنة ٢٠٨ هـ) ، وقعت فى قرطبة الفتنة المشهورة « بوقعة الرضى » ، والتى انتهت بأن خرب الحكم ابن هشام الحى الجنوبى الكبير من قرطبة ، المعروف بالرضى أى الضاحية ، وطرد أهله من الأندلس ، فسار كثير منهم الى المغرب . كما اشتركت أعداد منهم مع الغزاة فى مغامرات كبرى عبر البحر انتهت بهم الى الاسكندرية ثم الى كريت (أقريطش) (٢٩) . والمعروف ان أولئك الرضيين الذين ساروا الى المغرب وصلوا فى الوقت الذى كانت فيه تنشأ مدينة فاس ، وأنهم اشتركوا فى اعمارها ، واتخذوا لهم حيا فيها سمي باسمهم فهو « عدوة الاندلسيين » (٣٠) .

وبناء على ذلك نرى انه ربما كانت مدرار الرضى أصلا من الصحة ، ولا يستبعد أن يكون بعض هؤلاء الرضيين ، الذين أوغلوا فى المغامرة حتى شرق البحر المتوسط قد اتخذوا طريق الهجرات القديم المؤدى من منطقة فاس الى سجلماسة (٣١) ، وأن اليعسج بن ابى القاسم سمفون رحب بهم واستعان بهم فى بناء السور سنة ٢٠٨ هـ ، ولكنه مات فى نفس السنة قبل أن يتم السور ، فأكملوه على عهد ابنه مدرار المنتصر ، وعن هذا الطريق يمكن تفسير التصاق اسم مدرار بالرضيين .

ونعتقد أن حركة العمران الكبيرة التى عرفتها سجلماسة أيام اليعسج ، من بناء القصور والدور والمصانع ، والتى جعلت المدينة بحق عاصمة الجنوب ، تمت بمشاركة الاندلسيين من أهل قرطبة ، وذلك انه كانت قد وقعت عدة اضطرابات فى رضى قرطبة قبل ثورة سنة ٢٠٢ هـ . والحقيقة ان انتقال سجلماسة من قرية صحراوية الى عاصمة من عواصم المغرب لابد له من تفسير مثل هذا ، مثل سجلماسة فى ذلك مثل مدينة فاس .

(٢٨) البكري ، ص ١٤٩ .

(٢٩) أنظر ليلي بروفنسال . تاريخ اسبانيا الاسلامية (بالفرنسية) ، طبعة ١٩٤٤

ص ١١٩ - ١٢١ ، وأنظر للمؤلف . تاريخ الاسكندرية من التتج العربى الى قيام الفاطميين .

فى كتاب تاريخ الاسكندرية منذ أقدم العصور ، الاسكندرية ١٩٦٣ ، ص ٢٦٧ . ٢٧٥ .

(٣٠) أنظر فيما بعد فى جزء مدينة فاس ، ص ٤٤٩ .

(٣١) أنظر فيما سبق ص ٢٢٨ .

مدرار بن اليسع : مرحلة أولى (٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م - ٢٢٤ هـ / ٨٣٩ م)

الاضطراب فى سجللماسة يعقبه فترة ازدهار :

والظاهر أن سجللماسة عرفت فترة من الاضطراب فى السنة الاخيرة من حكم اليسع أو بعد وفاته فى سنة ٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م بسبب التنافس على الملك بين الأمير السابق الياس وبين ابن أخيه ولى العهد مدرار بن اليسع .
فيما ما يمكن أن يكون حلا للمشكلة التى يثيرها ابن عذارى فى حولياته سنة ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م عندما يقول انه بعد وفاة اليسع فى تلك السنة : « قدم أهلها (سجللماسة) على أنفسهم أخاه الياس المنتصر بن أبى القاسم الذى كانوا خلعه (٣٢) » ، وهو الأمر الذى يخالف ما يذكره فى الفصل الخاص بالتحريف بسجللماسة عندما يذكر ان اليسع توفى سنة ٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م « ثم ولى ابنه مدرار بن اليسع ، وهو المنتصر بن سمفون المتقدم ذكره » (٣٣) .

والواضح من نكت النصوص التى وصلتنا ، هو أن سجللماسة واصلت عهد الرقى والازدهار على أيام مدرار بن اليسع ، الذى كان يزمو بمصاهرته لائمة تاهرت اد كان قد تزوج منذ أيام والده بإحدى الاميرات الرستميات التى كان لها شأنها فى سجللماسة حتى انها أعطت اسمها ، وهو أروا الى ابنها ميمون بن مدرار ، فاشتهر باسم ابن أروا وبابن الرستمية (٣٤) . ولما كانت النصوص تقول ان أروا هى ابنة عبد الرحمن بن رستم الذى توفى سنة ١٦٨ هـ / ٧٨٤ م فان ذلك يعنى أن مدرار بن اليسع لم يكن فى مقتبل العمر عندما ولى الامامة الصغرى سنة ٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م ، بل كان شيخا مسننا . وهذا ما يؤيده الاضطراب الذى حدث فى سجللماسة سنة ٢٢١ هـ / ٨٣٦ م أى بعد حوالى ١٣ (ثلاثة عشر) سنة من ولاية مدرار ، وذلك بسبب الصراع على السلطنة بين ولديه ميمون بن أروا الرستمية والآخر الذى عرف بابن بقية ، نسبة الى والدته هو الآخر ، كما نظن (٣٥) .

(٣٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٦٧ (فى ذكر ولاية ريادة الله بن الأغلب الريقية وبعده .

اخبرله) .

(٣٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٧ .

(٣٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٧ .

(٣٥) انظر بن عذارى ، اجبار سنة ٢٢١ ، ج ١ ص ١٠٦ ، والتحريف بسجللماسة .

ص ١٥٧ ، وقارن الكرى (ص ١٤٩) ، الذى ينقله ابن عذارى ، كما نظن ، حيث القراحت

تقية بدلا من بقة ، كما يقول ان اسم ابن بقية هو ميمون ايضا .

الصراع على السلطنة في سجلماسة بين ولدى مدرار ، ميمون وابن بقية :

والذي يظهر من الرواية هو أن مدرار بن اليسع ، وهو الامام ، كان يقف موقف المتفرج على ولديه اللذين ظلا يتقاتلان طوال ثلاثة أعوام ، من سنة ٢٢١ هـ / ٨٣٦ م إلى سنة ٢٢٤ هـ / ٨٣٩ م . وفي السنة الأخيرة وقف مدرار الى جانب ابنه ميمون بن الرستمية ، فمال اليه أهل سجلماسة وبذلك رجعت كفته ، ونجح في اخراج أخيه ابن بقية من سجلماسة .

استيلاء ابن الرستمية ، وعودة الأمر الى مدرار :

وما إن استقرت الأمور لميمون حتى رأى أن يستقل بالأمر تماما ، فأمر باخراج والده مدرار ووالدته أزوا الى بعض قرى سجلماسة التي لا يذكر النص اسمها ، والتي يمكن أن تكون بلدة درعة التي ساهمت بحط وافر في الاضطراب الذي عرفته سجلماسة حينئذ (٢٦) . إذ يتضح من النصوص المقتضية أن ميمون بن مدرار لم يحسن السيرة أو أنه لم ينجح في اكتساب قلوب أهل سجلماسة لوقت طويل ، إذ لم يلبثوا أن ثاروا به وخلعوه من الامارة ، وبذلك مهد الطريق من جديد امام والده مدرار ، بمعونة أخيه : ابن بقية ، لكي يعود الى الامامة (٢٧) .

ابن بقية أميراً : الى سنة ٢٦٣ هـ / ٨٧٦ م :

والظاهر أن مدرارا ظل ماليا لابنه ميمون بن الرستمية الذي كان مقيما في درعة ، وأنه أراد أن يتقوى به في سجلماسة فأرسل اليه يستدعيه هو وأعوانه من درعة . وهنا ثارت ثائرة أهل العاصمة الذين توجهوا الى قصر مدرار وضربوا عليه الحصار الذي انتهى بخلعه وأعلان امامة ابنه « ابن بقية » الذي اشتهر بلقب « الأمير » (٢٨) . وعلى عهد ابن بقية الذي لا نعرف تحديدا زمنيا لبدائته توفي مدرار بن اليسع والده ، أي قبل سنة ٢٦٣ هـ / ٨٧٦ م ، وهي سنة وفاة ميمون « الأمير » بن بقيه . وهو في الامامة (٢٩) .

(٢٦) انظر ابن هادي ، الحواريات سنة ٢٢٤ هـ ، ج ١ ص ١٠٧ ، والتعريف بسجلماسة ص ١٥٧ ، وقارن البكري ، ص ١٤٩ .

(٢٧) انظر ابن هادي ، ج ١ ص ١٥٧ حيث يقول ان أهل سجلماسة بعد أن خلعوا ميمون « أرادوا خلع أخيه وتقديم أخيه بن بقية ، فابى أن يمار على أبيه ، فاعادوا إياه مدرارا بعد خلعهم . وقارن البكري ص ١٤٩ .

(٢٨) البكري ، ص ١٤٩ .

(٢٩) ابن هادي ، ج ١ (التعريف بسجلماسة) ص ١٥٧ ، وقارن البكري ، ص ١٤٩ .

- ٤١٧ -

وخلف « الأمير » ابنه محمد بن ميمون الذي لا يذكر البكرى عنه الا سنة وفاته ، وهي سنة ٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م حينما آلت الامامة الى عمه اليسع بن مدرار المنتصر في صفر من نفس السنة / أغسطس - سبتمبر (٤٠) .

واليسع بن مدرار ، الذي ولى في صفر سنة ٢٧٠ هـ / أغسطس - سبتمبر ٨٨٣ م ، واتخذ لقب المنتصر وهو لقب والده مدرار وربما جده اليسع الأول أيضا ، هو آخر أئمة سبلماسة من المدراريين ، اذ بقى في الحكم ٢٧ (سبعا وعشرين) سنة ، اى الى سنة ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م عندما دخل أبو عبدالله الشيعي - بعد استيلائه على رقادة وتاهرت - سبلماسة ، واستخلص عبيد الله المهدي في تلك السنة ثم ظفر باليسع فقتله ، وهو الامر الذي سئموا اليه بعد الفراغ من دولة الادراسة في المغرب الأقصى (٤١) .

(٤٠) أنظر البكرى ، ص ١٤٩ ، وقارن ابن عذارى - ج ١ (التتريف بسبلماسة) ، ص ١٥٧ - الذي يسقط في روايته امامة محمد بن ميمون الأمير ، ويجعل اليسع الأخير ابنا لميمون بن مدرار (ابن الرستمية) بن اليسع بن سفيون بن عدلان المكناشي .
(٤١) أنظر فيما بعد ، في ليام الدولة الفاطمية ، ص ٥٩٤ / ٥٩٥ هـ و ٢٢٧ .

الفصل الخامس

الدولة الإدارية

في قاس والمغرب الأوسط -

» ١٧٢ هـ / ٧٨٩ م - ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م (

قيام الادارة في المغرب الأقصى وبناء مدينة فاس :

اصول خارجية للدولة العلوية :

بينما كانت تقوم الامارات الخارجية في المغرب وسجلها ساهد المغرب الأقصى قيام إمارة علوية جديدة هي دولة الادارة في ماس . والاختلاف هنا لا يقتصر على اللون القبلي لكل من المالك الثالث بل يتخطاه الى طبيعة كل منها . فبينما كانت الاوليان مملكتين صحراويتين كانت مملكة الادارة حضيرية مدنية صميمة ، وهذا ما يمثل في عاصمتها فاس التي مازالت تحتفظ بلونها الحضاري الاصيل بعد اكثر من ألف عام ، بينما ضعفت تاهرت وهان أمرها ابتداء من القرن الرابع الهجري (١) . ودالت دولة سبلماسة ، بعد ازدهار استمر الى القرن الثامن الهجري نتيجة للدور الهام الذي قامت به صحراوات المغرب الجنوبية ابتداء من عهد المرابطين ، واصبح اقليمها لا يعرف الا بتناقلات . وحتى القيروان نفسها فقدت أهميتها بعد أن استعادت قرطاجنة ممثلة في توليها مركزها كعاصمة لافريقية .

والغنى يستحق الملاحظة لأول وهلة في قيام مملكة الادارة العلوية (أي الشيعية من الناحية الشكلية على الأقل) هو ان الاسم الذي اتخذته قاعدة لها كان بالامس القريب مهدا للحركة الخارجية ولا حاجة الى الاشارة الى

(١) انظر ابن حوقل طبعه مروت ص ٩٣ . وقانون البكري ص ٧٢ حيث يذكر انه كان من ماس هقروا مدينة فكان وهو من اقال تلمسان . عندما مدتها بل من محمد ابن صانع البكري ص ٢٣٨ هـ . ابن حوقل مروت من اهل تاهرت الذين ارتحلوا اليها .

ما آل إليه أمر اخوة الأئمة - وقصد الخوارج والشيعية - من العداء المرير الذي بلغ حد التكفير والاتهام بالخروج عن الدين . أما كيف انقلب خوارج المغرب الأقصى من الضد الى الضد ، أى من مناصرين لميسرة الصغرى وأعوانه الى أتباع لادريس « العاطى » (٢) وحلفائه ، فلدلك أسباب تختلف فى طبيعتها وتباين فى كنهها ، وتتراوح ما بين السياسة والدين .

وأول هذه الأسباب بطبيعة الحال هو المشاركة فى الخروج على الدولة ، إذ ظل كل من الفريقين - رغم انشغالهما - معارضا للخلافة سواء أكانت أموية أم عباسية . فلقد وجدت هذه المعارضة هوى فى نفوس بربر المغرب الذين ضاقوا ذرعا بفساد الادارة الأموية ، والذين كانوا يسعون الى حكم يحقق لهم المساواة بالمغرب ، ويجرى حسب مبادئ الاسلام (٣) وإذا لم يكن من الغريب أن يتمسك بربر المغرب الأقصى بموقفهم هذا إزاء الخلافة العباسية ، فإن العجيب فى الأمر هو التغافل حول الأمر أمام علوى يمارس مبدأ احتكار السلطة ، ويمثل قانون الوراثة الملكى الذى يناقض مبدأ السورى والانتخاب الجمهورى ، الذى صار الأصل السياسى لدى الخوارج . وهنا نجد أن الخوارج ينمسون بالتمنع والشكل فقط دون المضمون . فهم عندما تمنح لهم الفرصة لتطبيق مبادئهم عمليا ينحرفون عن المبدأ الجمهورى فى تنصيب الامام ، ويمارسون مبدأ الوراثة الملكى ، وإن كان مغلفا فى شكله الانتخابى المثل فى البيعة - وهذا ما فعله الأمويون تماما وما سار عليه العباسيون بعدهم . ففى تاهرت أصبحت الإمامة الاباضية وراثية فى نبي رستم ، كما رأينا ، مما تسبب فى حركات الانشقاق التى ذكرناها (٤) .

وكان الأمر كذلك بالنسبة لإمامة سجلماسة الصغرى ، فقد تخلصت القبائل من الاثم الأول السودانى الأصل ، والذى لم يكن له عصبية ، لكى يتوارث بنو واسول لإمامة . وهنا يمكن التفكير فى أن الجماعات الخارجية لم تكن لتستطيع الخروج على الأصول التى أصبحت تقليدية تاريخية فى

(٢) انظر كتاب المصحح (ص ٦٨٠) الذى يلقب ادريس - فعلا بالعاطى ، وكذلك ابن أبى دينار (ص ٩٩) الذى يسمى الادارسة - « العواطم » .

(٣) انظر فيما سبق ، ص ٣٠٦ .

(٤) انظر فيما سبق ، ص ٣٢٤ وما ١٢١ - حيث تسمية المشركين على امام تاهرت يبرلون بالمعتزلة وبالوإصليية . مما دعا إلى التفكير فى أنه ربما كان القصبود الشيعيين بعض الجماعات المغربية التى اعتنقت الأفكار الزيدية الشيعية التى احتلقت تماما بالكفر المعتزلى . أو أن يكون المصود بالاعتزال هو موقف الحياء بالنسبة للفتنة أو الانشقاق .

احتيال الخليفة وهو الامم ، كما يمكن التفكير انص - في ان شيعة الامس - تقصد حواجز اليوم - لم يمكنهم التملص من مبادئ الاولى التي تجعل الامامة تركة من نصيب العلويين من آل البيت ، فطبقوا مبدأ الوراثه ، وان لم يكن في آل البيت . ولما سمحت الفرصه لتقديم احد العلويين . سارع قبائل المغرب الاقصى من خوارج وغيرهم في الالتفاف حوله ، وتطبيق نظام الوراثه في ابنائه ، كما تقضى اصول الشيعة .

ولكنه ينبغي أن نساخر -بالإشارة هنا إلى أنه- رغم أن إدريس علوي ، وإن الدولة الإدريسية كانت ملكية وراثية ، إلا أنها لم تكن دولة شيعية بالمعنى المعروف . وهي أن كانت كذلك فتكون شيعية زيدية أي من النوع المعتدل القريب من أهل السنة . ولهذا فهي في نظر الكتاب « الدونسية الهاشمية » (٥) . وهذا أمير طيعي فالدولة الإدريسية ظهرت فجأة ، دون تمهيد أو دعاية سابغة كذلك التي مهدت لإعلاء الدولة العباسية من قبل والدولة الفاطمية من بعد . أو حتى بالنسبة لامامة تاهرت . وبناء على ذلك فهي لم تقم حسب مبادئ سياسية أو دينية معينة ، بل قامت على إكتاف رجل واحد يمثل فيه الأسره العلوية العظيمة ، كما يمثل مثاقب آل البيت .

دخول ادريس المغرب - ما بين الحجاز ومصر والمغرب :

ومؤسس الأسرة هو ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (١) أم عن سبب مسيره الى المغرب فهو اشتراكه في الثورة التي قام بها الحسيور في مكة بقيادة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن (السيوط) ، والتي انتهت بانفشل بعد ان اوقع بهم العباسيون في موضع فخ ، أثناء موسم الحج سنة ١٦٩ هـ/ يونيو ٧٨٦ م ، على ايام الخليفة

(٥) أغفره ابن - عذاري ومعه (ص - ٨٢ -) لما أشرنا إليه من أن صاحب كتاب الاستيعاب
يعتق أن دريس القضي بالفاطمي (الفاطر - الصفحة ٤٤٤) وهو في الحقيقة لا يحمل أكثر من
معناها الأول ، وهو الإتيان بال - فاطمة الزهراء - ولا يقتضي معناه الثاني ، أو اتجاهها سياسيا
معيئا كما سيحدث في أيام الفاطميين - وهي الزيدة فاطمة بنت عبد الله - ٤٢٩ هـ .
- (٦) فاطمة الكبرى ص ٢١٨ ، وابن عذاري ، ١٠١٠ ، ص ٤١٠ ، ولقد لاحظنا في الأجزاء
الحلة السيرة ، ج ١ ، ترجمة رقم ١١ ص ٥٠ ، حيث ينقل عن الوكيل (أبو عبد الله محمد
ابن سعيد) أن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الله والد دريس كان شيخ بني حاشم
عز فيهم . ونحن ادريس يقول أن ثمة عاتكة بنت عبد الملك بن الحارث الخزرجية . وأن أخواه
عيسى وسليمان معا .

البإدى (٧) . فقد قتل الحسينيون فى فخ قتلًا ذريعًا ولكن عندما منهم تمكن من الفرار ، ومن هؤلاء يحيى بن علال الذى هرب نحو المشرق الى بلاد الديلم ونجح فى إثارة أهل البلاد هناك على الخلافة ، الى أن تخلص منه الرشيد بالسياسة على يدى الفضل بن يحيى البرمكى (٨) . أما أشهر الفارين من وقعة فخ فهو ادريس بن عبد الله الذى اتجه نحو المغرب . ويضفى كتاب الادارسة على بداية أمر ادريس لونا قصصياً طريفاً ، تختلط فيه الحقيقة التاريخية بالرواية الشعبية ، والمثل لذلك كتاب روض القرطاس الذى يجمع فيه ابن أبى زرع هذه الروايات حنبا الى جنب ، وهدفه فى ذلك اظهار مناقب أهل البيت .

خرج ادريس من الحجاز متخفياً بين قوافل الحاج السائرة نحو مصر ، وبصحبه أحد مواليه الذى يتصف بالشجاعة والعقل ، وهو راشد الذى يقال انه يبرى الأصل ، وانه لهذا السبب اصطحب ادريس نحو المغرب ليثويه فى قومه (٩) . والذى يفهم منا اتفق عليه الكتاب ان الفضل يرجع الى راشد هذا فى وصول ادريس سالماً الى المغرب الأقصى ، وكذلك فى الدعاية له بين القبائل . وهذا أمر هام ليس بالنسبة لقيام دولة الادارسة فقط ، بل بالنسبة لمعظم الدول المغربية التى اقتطعها من الخلافة أمراء أتوا من المشرق ، مثل الدولة الأموية فى الأندلس التى تدين بقيامها الى مجهودات بدر مولى

(٧) انظر الطبرى . أحداث سنة ١٦٩ . ابن الأثير . أحداث سنة ١٦٩ . ج ٦ ص ٣٦ ، - ٢٨ ابن خلدون ، ج ٤ ص ٦ . البكرى . ص ١١٨ ، الاستبصار . ص ١٩٤ ابن الأبار . الحلة السيرة ج ١ ترجمة ١١ ص ٥٩ ، ابن عسار . ج ١ ص ٨٣ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٨ (فقه بدلا من فخ) وص ١٢ (عجه) وج ٦ ص ١٤٧ (حيث القراءة الصحيحة) (بلج) والترجمة ج ٢-ص ٥٥٩ . هذا ويلاحظ أن الأمر يختلط على بعض الكتاب ليجعلوا اشتراك ادريس فى ثورة محمد النفس الزكية فى المدينة سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م أو يحصلون ثورة محمد النفس الزكية . لى سنة ١٦٩ هـ (انظر المسعودى . مروج الذهب . ج ٣ ص ٣٠٨ ، روض القرطاس ، ج ٤ ص ١٠٠ ابن عسار ، ج ١ ص ٢١٠) .

(٨) انظر ابن الأثير . أحداث سنة ١٧٦ هـ ج ٦ ص ٥٠ . ابن الأبار ، الحلة السيرة ج ١ ص ٥١ .

(٩) الاستبصار (رواية المؤلف) ، ص ١٩٤ . وانظر البكرى ص ١٢٢ . والحلة السيرة لابن الأبار ج ١ ص ٥٣٤ . حيث نجد رواية طخوفل تقول ان شايها كان مولى لأخى ادريس وهو عيسى بن عبد الله . وكذلك ص ٩٨ فى ترجمة ابراهيم بن الاغلب .

عبد الرحمن بن معارية (١٠)، والدولة الفاطمية التي تدين بقيامها في أفريقية إلى جهود أبي عبد الله الشيعي مولى عبيد الله المهدي (١١) .

والظاهر ان الخلافة كانت نشطة في تتبع آثار الحسينيين ، إذ سرعان ما عرف أمر ادريس والى مصر في ذلك الحين ، وهو علي بن سليمان العباسي (١٢) . وتتفق معظم الروايات على أن الفضل في نجات ادريس يرجع إلى صاحب البريد أبي مصر . وهو واضح مولى صالح بن الخليفة المنصور ، الذي يسميه ابن خلدون بواضح المسكين ، وكان شيعي المذهب (١٣) . وهذا لا يناقض رواية الكندي التي تقول صراحة ان والي مصر العباسي علي بن سليمان هو الذي سهل لادريس الخروج من مصر ، بعد أن علم بمكانه ولقيه سرا فسأله بالله وانرحم الا ستر عليه فانه خارج إلى المغرب (١٤) ، فلا بأس من صحة الروايتين جميعا أي اتفاق صاحب البريد الشيعي والوالي العباسي على ستر العلوي . إذ تفسر رواية الكندي تستر العباسي على قريبه وعدوه العلوي بأنه أي الوالي . كان طامعا هو الآخر في الخلافة . وأن ذلك كان سببا لاستزله بالرشيد له (١٥) . وهذا ما تبينه رواية القرطاس التي تنص على أن علي بن سليمان أمين الرجل الشيعي الذي كان قد آوى ادريس وراشد ، وطلب إليه أن

-
- (١٠) انظر كتاب اختيار مجبوعة ، ص ٥٣ ، ٦٧ ، ٧٤ الخ .
 (١١) انظر الاستبصار ، ص ٢٠٢ والهامش وما بعده ، انما الحنابلة باخبار الآلة الخلافة ، ص ٧٤ وما بعدها ، وانظر فيما بعد ، ص ٤٤١ وما بعدها .
 (١٢) انظر الكندي ص ١٣١ - ١٣٢ ، ولايته من شوال سنة ١٩٦ هـ / ابريل ٧٨٦ م ، أيام الهادي . راجع الأول - سنة ١٧١ هـ المحصر ٧٨٧ م أيام الرشيد) .
 (١٣) انظر الكندي (الذي نقل روايته التوفل) ص ١٢١ ، ابن الأثير ، أحداث سنة ١٦٩ هـ ج ٦ ص ٢٨ ، ابن عسار ، ج ١ ص ٨٢ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٧ ، ١٢ والترجمة ج ٢ ص ٥٥٩ . الحلة السيرة لابن الأبار ، ج ١ ص ٥١ - ٥٢ ، وقانون يوسف القرطاس (ص ٥) الذي يعبر عنه الكندي (ص ١١٨ - ١١٩) التي تفرد بتفاصيل طريقة منسوبة إلى ادريس وراشد كان يجهلان شوارع القسطنطينية فاستلقت نظرهما دار حنيفة البناء والزخرف . فحضر حديث بينهما وبين صاحب الدار المسمى بلق عوف ، لهما من شيعة الحسينيين . وطعما استوثق منه راشد عرفه ناديس فأتبعه إلى الرجل من الشيعة لأحسن منزلاهما . ولا بأس من أن يكون الشيعي هو واضح صاحب البريد . ولكنه يذكر أنه ولي مصر مدة تتبلغ ثلاثة أشهر من سنة ١٢٣ هـ / ٧٨ - ٧٧ م . انظر الكندي ، ص ١٢٩ .
 (١٤) الكندي للمؤلف الرواية ، ص ١٣١ ، وقانون الميزان ، ص ٢١٩ .
 (١٥) الكندي ، الرواية ، ص ١٣١ - ١٣٢ .

يخرجنا من عمه . ولو أنها تفسر ذلك بأن الوان كان لا يحب اراثة دم إهليل
البيت (١٦) .

حكدا دبرت مؤامرة على مستوى عال - كما يقال - لهربه ادريس نحو
الغرب . ويفهم من رواية البكري وابن عذارى أنه تقرر أن يخرج راشد من
مصر ويتخذ الطريق العام مع قوافل الحاج والتجار (الرفقة) ، بينما يسير
ادريس مع واضح في «طريق غامضة» - نعتقد أنها خاصة بالبريد - على أن
يكون نقاؤهم في برقة (١٧) . وفي برقة اطمأن واضح على سلامة ادريس
وراشد فودعهما بعد ما أمددهما بما يلزمهما من مال ومتاع ، وظاهر أنه تم
الاتفاق على أن يتخفى ادريس في زى تخشن ، ويظهر بمظهر غلام في خدمة
راشد (١٨) . وهنا تختلف الروايات في تحديد الطريق الذي اتخذه ادرينتن
وراشد . ونحن نميل الى الاخذ بالرواية التي ينقلها البكري وصاحب الاستبصار ،
والتي تقول انه راشد لم يدخل بلاد افريقية (خشية حمائل الخلافة لدى
المهليين) ، وأنه سار به الى بلاد البربر (١٩) (أي التي لا تخضع لامير القيروان) -
وبعد أن استراح ادريس بتلمسان عدة أيام خرج به راشد نحو الغرب ،
فعبرا وادي ملوية ودخلا بلاد السوس الأدنى ، حيث أقاما بعض الوقت فسى
طنجة التي كانت يومئذ أعظم مدن المغرب الأقصى (٢٠) ، وذلك قبل أن يستقر
في مدينة ويلي ، كما يتفق على ذلك معظم الكتاب (٢١) ، بعد رحلة استغرقت
حوالي سنتين (٢٢) .

(١٦) روض الرمس ص ٦ .

(١٧) البكري ص ١١٩ . روض القرطاس ص .

(١٨) البكري ص ١١٨ . الاستبصار ص ١٩٤ .

(١٩) البكري ص ١١٩ . الاستبصار ص ١٩٤ . أما روض القرطاس (ص ٦) .

فيقول ان راشد دخل بادريس القيروان حيث أقام بها مدة ولا يحتال لذلك بأن البس ادريس
لباسا خشنة وصورة كالغلام له خوفا عليه في ذلك الوقت .

(٢٠) القرطاس ص ٦ .

(٢١) البكري ص ١١٨ . الاستبصار ص ١٩٤ . انما السيرة ص ١٠٤ .

ابن عذارى ص ١٠٨ (وليلة) ، ابن خلدون ص ٤٠٧ (ليل) ، (دولة) .
وصحبتها (وليلة) ، انظر شكل ٧ ص ٤٢٧ .

(٢٢) انظر البكري ص ٦ الذي يقول انه يزول ليل كان في محرقدين الإذول
سنة ١٧٢ م / ٢٠ أغسطس ٧٨٧ م ، وقارن الرحلة للسيرة ص ١٠٤ ص ١٠٤ . فوجد
رواية أم بكر الرازي التي تقول ان ادريس بن عبد الله دخل المغرب سنة ١٧٢ م في شهر
وطمان ، البكري ص ١١٨ ، ابن خلدون ص ٤٠٧ (سنة ١٧٦ خلا) وص ٧٢ (سنة
١٧٢) و ص ٦ ص ١٤٧ . وقارن ابن عذارى الذي يقول (ص ١٠٤) ان دخول ادريس



شكل (٧)
للمغرب الأقصى

التزول في ولبلي :

ورغم ما يقوله صاحب القرطاس من أنه لما لم يجد أدريس بطنجة مراده رجع مع موته راشد حتى نزل مدينة ولبلي ، فانا نعتقد أنه لم يضيع وقته سدى في عاصمة المغرب الأقصى بل أخذ يستقصى أخبار القبائل ، ويعرف ما هي عليه من الرأى ومن القوة الى أن اهتدى الى قبائل ولبلي . ووليلي مدينة قديمة (Volubilis) تقع على طرف جبل ررهون (٢٢) ، بين فاس ومكناسة حاليا (٢٤) . وهي عاصمة تلك المنطقة الفنية بخصبها وكثرة مياهها وزروعها ، والتي سكنتها قبائل أوربة البرنسية في ذلك الوقت (٢٥) . وأوربة هي التي رأيناها في المغرب الأوسط تعترض عقبة بن نافع يزعمه رئيسها كسيلة وتقتله قرب تهودة ، والظاهر ان القبيلة غيرت مواطنها بعد الحملات التاديبية التي قام بها العرب ضدها فسكنت السوس الأدنى ، فيما بين وادي ملوية ووادي ام الربيع (٢٦) .

ومزل أدريس في ولبلي علي زعيم أوربة وهو سحق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي ، الذي أكرمه وأحسن وفادته (٢٧) . وتصف بعض

= المغرب كان سنة ١٧٠ هـ / ٨٦ - ٨٨٧ م ، ولكننا نعتقد انه يقصد بذلك خروجه من مصر الى المغرب ، إذ أنه يجعل اجتياح القبائل على أدريس في سنة ١٧٢ هـ / ٧٨٧ م (ج ١ ص ٨٣) . (٢٢) أنظر الجزائى رهرة الأس (بشر الفرد بيل ، الجزائر ١٩٢٢) ، ص ٩ - حيث يقول « وهذه البلدة قديمة البناء - من بنيان القبط ، وهي معروفة الآن بقصر مرعون من أرض أولاد تملو - كان لها سور عظيم قد بقي بعضه » .

(٢٤) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤٧ والترجمة ج ١ ص ٢٩٠ ، وأنظر شكل ٧ ص ٤٢٧ .

(٢٥) البكري ، ص ١١٨ ، الاستبصار ، ص ١٩٤ . القرطاس ، ص ٦ .

(٢٦) ترجم السوس الأدنى (وحده عن وادي ملوية الى وادي ام الربيع) أنظر القرطاس ،

ص ٦ . ومن سكنت أوربة المغرب الأقصى بعد هزيتهم أمام زهير بن قيس أنظر ابن خلدون ، ج ١ ص ٢٩٠ والترجمة ج ١ ص ٢٩٠ .

(٢٧) الاستبصار ، ص ١٩٤ . ابن خلدون (عن تاريخ أوربة) ج ٦ ص ١٤٧ والترجمة

ج ١ ص ٢٩٠ ، ومن الأدارة ، ج ٤ ص ١٢٧ والترجمة ج ٢ ص ٥٩٩ (والاسم في الترجمة أبو ليل اسحق ، ولا نعرف ان كان المترجم أخطأ لحمل كلمة بوليل « بوليلة » أم بمدينة ولبلي كنية للزعيم الأوربي (Abou Laila = Bou Laila) ؟) . إذ الحقيقة أن البكري يكتبه لئلا بأبي ليل (ص ١٢٢) القرطاس ، ص ٦ - ٧ (يسميه عبد الحميد الأوربي) .

المصوص الرعيم الأوربي بأنه كان معتزلي المذهب (٢٨) . ونحن لا نعرف ماذا يعنى بالاعتزال هنا اذ لا نعرف للاعتزال أصولا سياسية اللهم الا اعتزال الأوائل الفتنة ، وموقفهم منها موقف الحياد ، ثم مشاركة القدرة في بعض الاضطرابات السياسية على أواخر أيام الأمويين في عهد هشام والوليد بن يزيد ، وكذلك على أيام الأميين عندما أثاروا محنة خلق القرآن ، الى جانب أصول الاعتزال المذهبية المعروفة من التوحيد والعدل والوعد والتوحييد والأمر بالمعروف (٢٩) . ولو كانت هذه الأصول هي المقصودة ، لكان ذلك يعنى ان الحركات الفكرية التي ظهرت في مركز الخلافة في المشرق كان لها صديها البعيد - ليس في القيروان فقط ، كما سبقت الإشارة (٣٠) ، بل وفي قلب بلاد آيربر التي يقول بعض الكتب ان كثيرا من قبائلها كانت - ونحن ذلك الوقت - على المجوسية واليهودية والتصرانية ، كما سنرى . وربما كان المقصود بالمعتزلة هنا تلك الطائفة من الخوارج التي يسميها البكري بالواصلية وينص على أنها إباضية ، كما سماها كتاب الإباضية صراحة بالمعتزلة (٣١) . اذ الحقيقة أنه يوجد نوع من القرابة أو التوافق بين أفكار المعتزلة وأفكار الخوارج (٣٢) .

وحسب الأصول الفنية التي يعرفها الدعاة لم يظهر راشد دعوة سيده في أول الأمر ، اذ تقول رواية الاستبصار ان إدريس وافق اسحق بن محمد على مذهبه المعتزلي (٣٣) . وهذا ما يعبر في نظرنا عن بداية التوافق بين الفكر الشيعي الزيدى وبين مبادئ الاعتزال التي أضيف إليها رأى الزيدية على الامامة . ولما كان ذلك النوع من الاعتزال السياسي قد ظهر لدى الخوارج الإباضية ، فيمكن القول ان الاعتزال افتتج بأحزاب المعارضة مع مطلع الدولة العباسية ، قبل ان يصحح مذهب بغداد الرسمي على أيام المأمون .

(٢٨) البكري . ص ١١٨ . الاستبصار . ص ١٩٤ ، القرائن . ص ٣ .
(٢٩) من أصول الاعتزال - انظر للمسعودي ومروج الذهب . ج ٣ ص ٢٢٤ .
(٣٠) انظر فيما سبق ج ١ ص ٢٨٧ ، ٣١٨ - ٣١٩ ، ٣٦٩ .
(٣١) انظر فيما سبق ، ص ٤٢٢ هـ ٤ .
(٣٢) انظر فيما سبق ، ص ٢٧٥ و ٢٦٦ ، وانظر فيما سبق في أمارة كاهنت ، ص ٢٨٩ .
عن الواصلية والمعتزلة ، وعن أصول الخوارج التي تتناول التوحيد والوعد والوحيه وهي من أصول المعتزلة . انظر للمسعودي ، ج ٣ ص ١٤٦ . وعن آراء إباضية المغرب في مسألة الصفات .
جودس كره للاشعرية في عدم خلق القرآن ، وكذلك في الوعد والتوحييد ، انظر ص ١٦٠ .
Allouche, Deux épîtres de théologie abadites, Hespéris, t. 22, 1936, fasc. I, p. 57.

(٣٣) البكري . ص ١١٨ . الاستبصار . ص ١٩٥ .

جبهة ادريس :

ومع مرور الوقت أظهر ادريس امره للزعيم الأوربي وأعلى أجهيته في الامامة ، فواته دون تردد . وبطبيعة الحال كانت هذه فرصة مواتية لاسحق : فنزول أحد رعماء انصريين عليه كان يعلى من شأنه بين أفراد قبيلته . كما كان يحقق له نوعا من التفوق على رعماء العشائر الأخرى . وهكذا نزل ادريس في منزله ، وتولى اسحق خدمته بنفسه ، وذلك في أول ربيع الأول من سنة ١٧٢ هـ / ٢٠ أغسطس ٧٨٧ م . وجمع اسحق زعماء اورية وعرفهم مادريس وبسبة فاستقبلوه بالترحاب وقالوا : « الحمد لله الذي أتى به وشرفنا بجواره ، فهو سيدنا ونحن عبيد نموت بين يديه » . وانتهى الأمر بأن بايعوا لادريس بالامامة ، وذلك في منتصف رمضان سنة ١٧٢ هـ / ١٥ فبراير ٧٨٩ م (٢٤) ، فكان ذلك بداية الدعوة العلوية الأولى بالمغرب الأقصى . وتبع ذلك حركة دعائية بين قبائل الأقاليم المحيطة ، فدخلت في دعوة الامام ادريس قبائل زناتة وزواغة وزواوة ولماية وسدراتة ومسراتة وعيانة وفرة ومكناسة وغمارة ، كما قصد اليه الناس من كل مكان (٢٥) .

العمل الايجابي :

بانضمام كل هذه القبائل الى الدعوة العلوية بدأت المرحلة الايجابية في تأسيس الدولة الادريسية ، وذلك حسب الاهداف التي أخذ الامام على عاتقه القيام بها والتي تتفق مع رسالة آل البيت ، وهي العمل على نشر الاسلام والجهاد في سبيل الله . أما عن مجال هذا العمل فكانت الأقاليم التي لم ترسخ اقدام الاسلام فيها بعد أو التي عرف أهلها بالزيغ وانحراف العقيدة .

الصراع ضد بني طريف ملوك برغواطة في تامسنا :

وحقّ لالمام ومستشاريه أن يختاروا إقليم تامسنا - حيث قبائل برغواطة - للقيام بأول نشاط لهم . فلقد عرف إقليم تامسنا بميولهم الانفصالية والحرمانه العقائدية منذ وقت مبكر ، ونسب هذا الانحراف

(٢٤) القرطاس - ص ٨٠ ، ابن أبي حنبل . المجلس ، ص ٩٩ (في رمضان سنة ١٧٢) ، وقارن ابن هداري (ج ٩ ص ٨٣) الذي يحدد السنة فقط (١٧٢ هـ / ٨٨ - ٧٨٩ م) .
(٢٥) القرطاس ص ٧ . وقارن من حلدون (ج ٤ ص ١٢٠) ج ٦ ص ١٤٧ ، الذي يذكر قبيلة مسراتة في شكل مسراتة . يذكرها القرطاس في شكل مزاولة .

الى قبائل الاقليم فعرف بـ زنديقة برغواطة ، ولقد كانت زنديقة برغواطة هذه ، مثل كثير من الحركات السياسية والدينية في المغرب ، وكيدة الحركة الخارجية الصفرية الاولى . فبعد القضاء على ثورة ميسرة تفرق اصحابه في البلاد ، ولجا أحدهم ، ويسمى طريف - والظاهر انه طريف بن ملوك الذي بدأ بأول غارة على ساحل الأندلس قبل طارق من زياد ، والذي سميت باسمه جزيرة طريف (طريف) (٢٦) - الى بلاد تانسنا التي كانت ملكا لقبائل زناتة وزواغة (٢٧) ، وذلك على ساحل المحيط فيما بين مصبي بورجرج (وادي سلا) وأم الربيع ، وهناك تزعم يربر المنطقة الذين عرفوا من حينئذ باسم برغواطة (٢٨) .

ويقول الكتاب نقلا عن الرواية البرغواطية التي ترجع الى زيور بن موسى بن هشام بن واديزن رسول ملك برغواطة أبي منصور عيسى بن أبي الأنصار عبد الله في سنة ٣٥٢ هـ / ٩٦٣ م ان طريفا كان على دين الاسلام ، ولكن ابنه وولي عهده ، صالح بن طريف (ولد سنة ١١٠ هـ / ٢٨٩ م) ، انحرف فتنبا فيهم وسمى نفسه « صالح المؤمنين » ، كما يقولون أكثر من هذا - انه شرع لهم ديانة جديدة ، وأوصى صالح ابنه النجاش بن

(٢٦) انظر البكري ص ١٣٥ (حيث النص على ان طريفا كان من اصحاب ميسرة ، وباليه تست جريرة طريف) ، ص ١٢٨ حيث يذكر في هجاء برغواطة بيتا يقول فيه الشاعر :

فليس اليوم ردتكم ولكن عيال كنتم متيسرينا .
ويعلق قائلا : وهذا البيت يصدق قول زمر البرغواطي ان طريفا كان من اصحاب ميسرة ويشهد له . وقانون ابن خلدون ، ج ١ ص ٢٠٨ (يكتبه بأبي يحيى) ، و ابن عسوى ، ج ١ ص ٢٢٤ ، الاستبصار ص ١٩٧ (الذي يجعل طريفا يهودي الأصل من الأندلس) ، وانظر برونسفال ، تاريخ أسبانيا الاسلامية ، بالفرنسية ، ص ١٣ .
- (٢٧) البكري ، ص ١٣٥ .

(٢٨) وفي نسخة برغواطة ينقل البكري (ص ١٢٧ - ١٢٨) عن أبي العباس الخليل ابن حفطيل بن عمرو الكاسبي ان صاحب الزنقة الحقيقى نى أول من يظفوها - وحسن يونس ابن سليل بن صالح بن طريف ، اصله من شلوة ، من نفاذى يربط (دبريط) - والله لهذا السبب يسمى من اتبعه يربطى ثم عدوه آل لفلهم ، لقواله « برغواطى » ، ابن هذا بن ج ١ ص ٢٢٤ ، وقانون الاستبصار ، الذي يقول (ص ١٩٧) ان يهود تانسنا في ذلك الوقت كانوا قوما جهالا من زناتة ، كما يقول ان الذي دخل عليهم هو صالح بن طريف (Baccuates) وعن الاجتهادات الحديثة في تفسير اسم برغواطة بمعنى « يربط » (Bacchus) القدماء - انظر تفسير كلمة « ياكوش » في ص ٤٢٣ -

يظهر ديانته هذه عند ما يسمته أمره ، بينما وحل هو إلى المشرق ، وقال انه
سيعود بضمه النبي الذي يملأ الأرض عدلا بعد أن ملبثت جورا (٣٩) . وهذا
أمر له أهميته إذ يبين كيف شارك الخوارج خصومهم الشيعة في فكرة نبوي
المنتظر - وهي من أفكار الشيعة الرئيسية - بعد أن شاركهم عمليا في
تطبيق فكرة الوراثة الملكية في نظام الحكم . ومن الناحية السياسية أمر
صالح ابنه بموالاته أمير الأندلس - بمعنى موالاته الأمويين - ومناهضة أمراء
المغرب (٤٠) . وظل بنو صالح بن طريف يتداولون إمارة تلمسان ويسيطرون
بسلطانهم على قبائل برغواطة ، التي كانت تقدم لهم في منتصف القرن الرابع
الهجري (١٠م) أكثر من ١٠ (عشرة) ألف فارس (٤١) ، وعلى غيرها من
القبائل التي كانت متمسكة بالاسلام نقيًا خالصا ، والتي كانت تقدم لهم
أكثر من ١٢ (اثني عشر) ألف فارس (٤٢) واستمر بنو طريف في انحرافهم
وزندقتهم إلى أن قامت عليهم قبائل بني يفرن بقيادة الأمير تميم اليفرنى
فغلبتهم على بلادهم بعد سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩ م ، ونسبهم حتى «جلا من بقي
منهم» (٤٣) . ولكنه رغم ما يقوله البكري من أن تيمما اليفرنى «استوطن
ديارهم» ، وبذلك «انقطع أمرهم» (٤٤) ، فالمعروف أن انحراف برغواطة ظل

(٣٩) البكري . ص ١٣٤ (من زمر) ، ص ١٢٥ (حيث يقول النص ان حوت صالح كان
سنة ١١٠ هـ/٧٢٨ م (سنة ١٠٠ بعد وفاة النبي) وانه حضر مع أبيه حروب ميسرة وهو
صغير . ان في سنة ١٢٢ هـ/٧٤٠ م ، ما جعلنا نرجح ان تكون سنة ١١٠ هـ سنة
مولده . ص ١٣٦ حيث يوصف الياس الذي ملك ٥٠ سنة بالظهر والعفاف) . الاستبصار ،
ص ١٩٨ ، ابن عسار ، ج ١ ص ٢٢٤ ، وقلوب ابن خلدون (ج ٦ ص ٢٠٧) الذي يقول ان
طهور صالح كان في خلافة هشام بن عبد الملك سنة ١٢٧ هـ وانه ملك مدة ٤٧ سنة .
(٤٠) انظر البكري ، ص ١٢٥ ، الاستبصار ، ص ١٩٨ ، ابن عسار ، ص ٢٢٤ .
ابن خلدون ج ٦ ص ٢٠٧ - ٢٠٩ .

(٤١) انظر الرواية في البكري (ص ١٤٠ - ١٤١) حيث تقول : « ان قبائل برغواطة
الذين يدينون لهم ، وحل ملتهم : جروية ، وزواغة ، والبرانس . وبنو أبي ناصر ، ومنجسة ،
وبنو أبي لوح ، وبنو الحمر ، ومطفرة ، وبنو بورغ ، وبنو دمر ، ومطاطة ، وبنو ذؤكسيت ،
ومندحم يدينونهم ، ازيد من عشرة آلاف فارس » .

(٤٢) انظر البكري . ص ١٤١ . حيث تخيف الرواية الى برغواطة : « من يدين لهم من
المسلمين ، ويضاف الى ملكتهم : ذئابة الجبل ، وبنو يليليت ، وبنو جلالقة ، وبنو وارسين ،
وبنو يفرن ، وبنو طاعيس ، وبنو النضار ، وبنو الفرس ، وبنو كوكبة ، وبنو يسكر ، واصافه ،
وبنو كالة ، وبنو زعيم ، وبنو مودة ، وبنو سنيق ، وبنو سابة ، وبنو ناطة ، وبنو مبلج ، وبنو
(اثني عشر) ألف فارس » .

(٤٣) البكري . ص ١٤١ .

(٤٤) البكري . ص ١٤١ .

قائما الى أن غزاهم المرابطون ، واستشهد في بعض ذرئتهم عبد الله بن ياسين
سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٧ م (٤٥) .

(٤٥) ابن خلدون ، ج ٦ ص ٢٠٩ . وابن بطوطة ص ١٠ طريف أمراء برغواطية . انظر
نفس المصادر . فبعد الياس بن صالح (ملك ٥٠٠ سنة) دى يرس بن الياس لمدة ٤٠ سنة
أو أكثر (٤٤ سنة) . وينسب إلى يونس اظهار الزندى وسبى : فلقد سار إلى المشرق
مع زيد بن سنان الزناتى صاحب الواصليّة ، وعباس بن ناصح ، وبرغوث بن سعيد الفراوى ،
جد بنى عبد الرزاق المعروفين ببنى وكيل الصلوية (البكرى ، ص ١٢٧) ، ومناد صاحب
اللغة النادرة ، قريبا من سجلماسة ، وغيرهم . وتلقه يرس من الدين مع ثلاثة منهم وحفظ
كل ما سمع ، وطلب علم الهجوم والكتابة (البكرى ، ص ١٢٧ ، ابن طهاري ، ج ١٠ ص
٢٢٥ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ٧١ - ٧٠ - ٧٠٨) وبعد يونس دى أبو غنبر يبعد إلى المغرب
بالمغف والقنوة إلى إصطخا . خصومه ، لمدة ٢٩ سنة (الذى يجعله البعض ابنا ليونس -
الاستخبار ، ص ١٦٨ - بينما يجعله البعض من فرع آخر من الأسرة فيسبى إيا جبر بن مباد
ابن الياس بن صالح بن طريف (البكرى ، ص ١٢٦ ، ابن طهاري ، ج ١ ص ٢٢٤ ، ابن خلدون ،
ج ٦ ص ٢٠٨) . ثم ملك أبو الانصار عبد الله بن أبي غنبر ، الذى تعرف بالسقاء والطرف
والوفاء بالتهند (صاحب الاستبصار يسميه أبنا جبر طرس - ص ١٦٨) عند تمام المائة الثالثة
د سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م . ، ودام ملكه مدة ٤٣ سنة قضاها في عدة . ثم أبو منصور عيسى بن
أبي الانصار (سنة ٣٤١ هـ / ٩٥٢ م) وهو السابع من أهل بيت صالح بن طريف . وكان يظن
وجعته حسب فكرة المهدى المنتظر من الشيعة على أيام هذا الأمير ، الذى واصل المستنصر بالله
الأموى في سنة ٣٥٢ هـ / ٩٦٣ م . وذلك جريا على السنة التى استنها جدهم صالح بن طريف
(البكرى ، ص ١٢٧) .

ويرى الكتاب أخبارا غريبة من انحراف أبناء صالح بن طريف وقومهم برغواطية : من
التنبيى وتحريف أصول الاسلام ، وابتكار آيات من القرآن . ونعتقد أن فى ذلك كثيرا من
المبالغة من الكتاب الذين يخدمون أغراضا مذهبية وسياسية معادية لبني طريف . وهذا لا يمنع
صحة بعض تلك الانحرافات الخاصة بالصلاة والوضوء والصوم والزكاة أو بعض الرخص
الخاصة بالزواج والطعام وإقامة الحدود ، وذلك تبعا للظروف البيئية المتغيرة ، من اجتماعية
وإقتصادية ونفسية إلى غيرها . من العادات والتقاليد المتوارثة . ونعتقد أن الأصل فيما نسب
اليهم من التحريف هو أنهم كانوا يؤدون شوائب الدين بالبربرية ، كما أنهم ترجموا القرآن
إلى لغتهم هذه . من هذا ما يقال من أنهم كانوا يقولون « ملز ياكش » وتفسيره « الكعب الله »
- أى « الله أكبر » على ما نظن . كما كانوا يقولون « أيسمن ياكش » تفسيره « بسم الله » ،
و « أيسمن ياكش » وتفسيره « الواحد الله » ، و « ودام ياكش » معناه « لا أبعد مثل الله » .
ونظن لهذا ترجمة لـ « لم يكن له كفوا أحد » ، مما معنى أن عليه العبادات من ترجمة سيوة
الإخلاص . انظر البكرى ، ص ١٢٨ - ١٤١ . والاستبصار ، ص ١٩٩ . وابن طهاري ، ص ١٠
ص ٢٢٧ . ومن يلكوش (يلكيش) الذى هو سنان (De Slane) ابنه ياكوش (الذى يلقب
(Bacchus)) الذى يقول باسبه (Basset) أن معناه حقيقة : البطى - أو العاطى - أو
الوهاب ، وانظر ج . مارسى (G. Marcy) الذى حاول - على غير أساس - قطع نحن وأبنا - أن

يقول الله « جيزونس » . Jeuzus . أى المسيح عيسى . (سنو ، ١٩١٤) .
G. Marcy, Le Dieu des Abadites et des Bargwata, Hisperis, t. 22,
1936, fasc. I, p. 33 et suiv.

فتح تامسنا :

جمع ادريس جيشا من زناتة وأوربة وصباحة وهوارة وسار بهم نحو مدينة شالة (شلة - شلا) ، وهي مدينة سلا القديمة ، قبالة مدينة الرباط .
رباط الفتح) الحالية على الضفة الأخرى من مصب النهر ، ففتحها ثم جول في كل بلاد تامسنا فأوسعها . وأتبع ادريس ذلك باخضاع اقليم تادلا .
وفتح حصونه وقلاع ، وأدخل أهل البلاد في الاسلام ، وكانت جماعات منهم على دين الصراينة واليهودية ، كما يفهم من رواية ابن أبي زرع (٤٦) . والظاهر ان ادريس قام بهذه الحملة بعد أن بايعته القبائل مباشرة ، إذ أنه عاد الى وليلى في آخر شهر دى الحجة من سنة ١٧٣ هـ / آخر مايه ٧٨٩ م (٤٧) .
ولم يمكث ادريس في وليلى الا ريثما يستريح رجاله ثم انه خرج لغزو بقايا المجوس والنصارى واليهود من البربر . فهدم الحصون وخرّب المعازل ، وأدخل العصاة طوعا وكرها في الاسلام . وتم له في هذه الفترة الثانية اختضاع قبائل فندلاوة ومديونة وبهلولة وغياطة ، كما اخضع أهل بلاد طازاز ، ورجع الى وليلى في منتصف جمادى الثاني سنة ١٧٣ هـ / أكتوبر ٧٨٩ م (٤٨) .

فتح تلمسان وبناء جامعها :

ولم يسترح ادريس الا مقدار شهر واحد ، اد خرج من وليلى في منتصف رجب سنة ١٧٣ هـ / نوفمبر ٧٨٩ م متجها نحو تلمسان ، بالمغرب للأوسط مارا بمدينة سبتة التي وصلها في شهر شعبان التالي من نفس

(٤٦) أنظر دوس القرطاس ، ص ٧ . ونعتقد ان اس اس روع يببالغ عندما يقول ان تآكفر هذه البلاد كان على دين الصراينة ودين اليهودية ، والاسلام بها قليل . وذلك بعد ثمانية عاما من دخول موسى بن نصير الى المغرب الأقصى . وأنظر البكري (ص ١١٨) الذي يشير لحظ الى فتح طازي في جمادى الثاني سنة ١٧٤ هـ / أكتوبر ٧٩٠ م ، ويقول : وهو موضع من أعمال بطن الباقية والحقيقة انه اذا كان البكري (ص ١١٣) يصف بعض المواقف التي تسمى بها الكنيسة : على طول الطريق ما بين سبتة الى فاس . ، مما يعنى بقايا ذكرىات لها . فحديثة او كنائس في المنطقة . فالظاهر ان رواية ابن زرع تريد ان تمجد الامام ادريس وعظم اعناله (أنظر قيسا بئد ٢٢٠ هـ ص ٤٣٥) . وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٢٠ والبرجلة ج ٢ ص ٢٠٠ .

(٤٧) أنظر القرطاس ، ص ٧ .

(٤٨) القرطاس ، ص ٨٠ - ٨١ . وقارن ابن خلدون (عن الادارة) ج ٤ ص ١٢٠ . والبرجلة ج ٢ ص ٢٠٠ . وابن عدوى (ج ١ ص ٨٤) الذي يضيف الى ذلك : ثمرو ادريس تلمسان في الاقصى وأخوله مدينة تامسة .

السنة/ديسمبر ٧٨٩م (٤٩) . وكانت تلمسان قيلتاً مغراوة وبنو يفرن ، راتيتان ، والسيادة للقبيلة الأولى وزعيمها محمد بن خرو بن صولات ، بصرى . وكانت هبة الامام العلوى كافية لخضوع محمد بن خرو دون قتال : إذ أسرع بطلب الامان ويبيع لادريس هو ومن معه من قبائل زنانة بالامامة . بذلك دخل الامام تلمسان صيلحا ، وكان أهم عمل قام به هناك هو بناء مسجد المدينة الجامع ، وصنع منبر جميل كان يحمل نقشاً يحدد تاريخ انشائه ، وهو : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به ادريس بن عبد الله بن حسن ابن الحسن بن عيسى بن ابي طالب رضي الله عنهم ، وذلك في شهر صفر سنة ١٧٤ (يونية - يولية ٧٩٠م) (٥٠) . وهذا يعني ان ادريس اقام في تلمسان الى سنة ١٧٤ هـ ثم انه عاد الى ويلي . والظاهر انه مر في طريق حروء بمنطقة تازا التي وصلها في جمادى الآخرة من نفس السنة (١٧٤هـ / أكتوبر ٧٩٠ م) حيث اطاعته القبائل هناك ، كما يقول ابن عذارى الذي يصيف انه كملت له الامرة في هذه السنة (٥١) .

وفاة ادريس الأول :

ريفهم من رواية القرطاس ان توجيه ادريس لانظاره نحو المشرق من ويلي - بفتح تلمسان - اثار ذعرا لدى الخلافة بالمشرق . فابن ابي زرع يقول . انه اتصل بالرشيد أن ادريس قد استقام له أمر المغرب وأنه عزم على غزو افريقية ، وان الرشيد اغتم لذلك غما شديدا ، فارسل الى وزيره يحيى ابن خالد البرمكى ، وقال له : « ان ادريس ملك تلمسان وجهى باب افريقية ، ومن ملك الباب اوشك أن يدخل الدار » (٥٢) . وفكر الخليفة لم أن يرسل جيشا لمحاربة العلوى لولا بعد الشقة ، ولكن البرمكى أشار عليه باستخدام الدهاء فى التخلص من ادريس - كما تخلص من واضح الذى سهل له الهرب فقتله (٥٣) . ووكّل الرشيد الى وزيره تدبير الأمر ، فاشتري يحيى

(٤٩) الحلة السراء ، ج ١ ص ١٠٠ .

(٥٠) روض القرطاس ص ٨ ، ولاد بن خلعون ، ج ٤ ص ١٢ والترجمة ، ج ٢ .

ص ٥٦٠ .

(٥١) ابن عذارى ، ج ١ ص ٨٤ ، وانظر الحلة السراء لابن الأبار (ج ١ ص ١٠٠) .

ترجمة ابراهيم بن الألب ، م . البكرى ، ص ١١٨٠ .

(٥٢) القرطاس ، ص ٨ .

(٥٣) البكرى ، ص ١٢٢ ، الحلة السراء لابن الأبار ، ج ١ ص ٥٢ . ابن عذارى .

ج ١ ص ٨٢ .

٢ ابن خالد أحد شيعة العلويين وهو سليمان بن جرير الشماخ ، الذي كان يريدنا معصبا لآل أبي طالب ، وسيره الى المغرب . وتمكن الرجل من التقرب من ادرس وهو يمرض به الى أن تهيأت له الفرصة بغياب راشد ، فسمه تم هرب وأفلت من المطاردة فلم يصبه من سيف راشد سوى ضربة كعنت يده وأحرى شجبت رأسه ، ونجح في العودة الى بغداد (٥٤) .

ومن الجائز أن تكون قصة اغتيال ادرس بهذا الشكل غير صحيحة ، كما يرى جوتييه (٥٥) . فالروايات لا تختلف فقط في الطريقة التي سم بها ادرس (٥٦) ، بل هناك روايات أخرى لا تنسب تدبير ذلك إلى الرشيد يحيى بن خالد البرمكي فقط ، بل تشرك فيه ابراهيم بن الأغلب بصفتة والى الفريفة والمغرب (٥٧) . وبناء على ذلك فليس من الغريب أن يكون أنصار ادرس وشيعته قد أرادوا له أن يموت شهيداً بدلاً من حنف أنه ، ففي ذلك استدراج لعطف الجماهير على الأسرة العلوية التي يهدد دم أفرادها غدرا على المغرب بعد أن أريق ظلما في المشرق . هذا ، كما يمكن أن يكون الأمر من سجع خيال كتاب العباسيين أنفسهم ، الذين حملوا من الرشيد - فيما يعد شخصية أسطورية تحيطها هالات من الغرائب والعجائب - والرشيد يستطيع ، وهو جالس في قصر الخلفاء على ضفاف دجلة ، للتخلص من

(٥٤) انظر البكري ، ص ١٢٠ - ١٢١ (ثلاث صرعات ٢ ، الاستبصار ، ص ١٩٦ .
القرطاس ص ٦٠ ، وابن خلدون ج ٤ ص ١٣ والترجمة ح ٣ ص ٥٦١ .
(٥٥) جوتييه ، ماضي شمال افريقية (بالفرنسية) ، ص ٣٠٠ .
(٥٦) تختلف الروايات في امر الطريقة التي سم بها الشماخ الامام ادرس . وتقول رواية انه دفع اليه قارورة فيها غالية مسمومة : البكري ص ١٢٠ ، الاستبصار ، ص ١٩٥ ، القرطاس ، ص ٩ - ١٠) . وتقول رواية ثانية انه سمه في دلاعة أو فلاحه قطعها بسكين وأعطاه النصف الذي إلى الجهة المسمومة من السكين : البكري ، ص ١٢١ ، الاستبصار ، ص ١٩٥) . وتقول رواية ثالثة ان الشماخ التحل الطب لما شكك ادرس وجها في أسنانه أعطاه سونانا مسموما (البكري ، ص ١٢١ ، ابن عذاري ج ١ ، ص ٨٣ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٧ ، الترجمات ج ٢ ص ٥٦٠) . ويأتي صاحب المحلة السيرة (ج ١ ص ٥٣) برواية اضافية يقول فيها انه سمه في سكة مشوية (وانظر كذلك ترجمة ابراهيم بن الأغلب ج ١ ص ٩٨ - ٩٩) .

(٥٧) يقول ابن خلدون (ج ٤ ص ١٣ والترجمة ح ٢ ص ٥٦٠) ان الشماخ حمل رسالة من الخليفة إلى ابن الأغلب الذي جهز (وانظر ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٩٩) . أما عن الرواية التي نقلها ابن الأبار في المحلة السيرة ج ٢ ص ٩٠ - ٩١ - ٩٢ في ترجمة ابراهيم =

عدوه العلوى فى أقصى المغرب ناهون الأمياف (٥٨) .

٢ - ادريس الثانى (بن ادريس) - مولده وطفولته :

وتتفق الروايات على أن ادريس بن عبد الله لم يحتف له سنة ١٧٥هـ / ٩٠ - ٧٩٢ م ، بمعنى أنه ولى ثلاثة أعوام ونصف عام (٥٩) ، لم يشتد من ذلك الا صاحب روض القرطاس الذى جعل موت ادريس فى أول شهر ربيع الثانى من سنة ١٧٧ هـ / ٢٦ يولية ٧٩٢ م (٦٠) ، بمعنى أنه ولى خمسة أعوام وسبعة أشهر ، هذا ولو أنه يورد التاريخ الأول بعد ذلك (٦١) . ودفن ادريس

(ابن الأغلب) فتقول ان التماسخ بعد أن قام بهبته فى سنة ادريس قدم على ابراهيم بن الأغلب وأخبره بما فعل . فكتب ابراهيم الى الرشيد بذلك ، فولى التماسخ بريد مصر وأجازته . ولقد هجج ابن الأثير هذا فى الحلة السيرة (ج ١ ص ١٠٠) - رواية بعض قدامى الكتاب من قبله الى هذا التماسخ التاريخى . ففحص على أن ابراهيم بن الأغلب هو الذى دس بعض أصحابه - أثناء ولايته للراب - لاختياله ادريس ، ففعلوا وبمقتوا الى ابراهيم برأسه . وتضيف تلك الرواية : ان ابراهيم أخبر ابن العكلى (والى الفريقية حينئذ) بالامر فنسب العكلى ذلك الى نفسه وكتب الى الرشيد به لئلا ان أخبره صاحب البريد بما قام به ابراهيم . فكان ذلك سببا فى عزل العكلى وتولية ابن الأغلب الفريقية . وليس من الغريب أن يكون الرشيد قد أخبر واليه على الفريقية بما كان يدبره لادريس ، وأن يطلب منه تقديم العرش له ، وهذا ما ينص عليه الطبرى (أخبار سنة ١٦٩) . وان كان يعمل كتائب الرشيد الى ابراهيم بن الأغلب . والمعروف ان ابراهيم بن الأغلب لم يل الفريقية الا فى سنة ١٨٤ هـ / ٨٠٠ م ، وأنه كان قبل ذلك واليا على الزلب . كما والى الفريقية فى الوقت الذى تولى فيه ادريس فكان نصر بن حبيب الملقب (من رمضان سنة ١٧٤ هـ / فبراير ٧٩١ م الى المحرم من سنة ١٧٧ هـ / أبريل ٧٩٢ م) .

(٥٨) وهذا ما يصر عنه بعض شعراء العباسيين فى شعر نقله الطبرى ، ولله يقول :

أظن يا ادريس أنك مفلت كيد الخليفة أو يلبد اسرار

ملك كان لموت يتبع امره حتى يقال : تطهيه الأندار

(الطبرى ، أحداث سنة ١٦٩) . وانظر الجزائى ، زهرة الأسر ، ص ١١ - حيث يضيف كرامة للإمام ادريس اذ يقول : « وظهر جسده يكفنه فى سنة ٧١٨ هـ ، وإذ جمع الناس عليه من سائر أقطار المغرب حتى غيبت القبة بسبب ذلك ، فبعث أمير المسلمين أبو سعيد ابن يعقوب بن عبد الحق - لتبليغ الله أماله - بتفريقهم وتحسين القفن من أجل ذلك » . كما هو قلت عليه فى أمر سلطاني يظن بذلك » .

(٥٩) انظر التكرى ، ص ١٢١ ، الاستبصار ، ص ١٩٦ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢١٠ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٢ ، والترجمة ج ٢ ص ٥٦١ ، الحلة السيرة لابن الأثير (ترجمة ابراهيم بن الأغلب ، ج ١ ص ١٠٠) : حيث يجعل ولاته فى سنة ١٧٥ هـ / ٧٩١ م ، ويضيف ج ٢ ص ١٧٤ هـ / ٧٩٠ م .

(٦٠) روض القرطاس ، ص ١٠ . والذى يلفت النظر أن صاحب هذه الرواية يجعل جويلد ادريس الثانى فى سنة ١٧٧ هـ (انظر ص ٤٢٨ وهـ ٧٢ ، ص ٤٢٩ حيث يحسب جويلد ذلك) .

(٦١) روض القرطاس ، ص ١٠ (رواية النوفلى وابن الأثير)

ما قرب من وليلى ، وشغرت الإمامة بعده ، اذ أنه لم يترك وريثا . ولم تستمر الإمامة شاعرة الا لعدة أشهر . اذ كان ادريس قد ترك جارية ليحيى الميرير . تسمى كنزة ، حبلى . فيجمع راشد رؤساء القبائل واتفق معهم على أن ينتظروا ماذا يكون من أمر الجارية ! فان وضعت ولدا كان وريث والده . وان كان المولود جارية أمروا على أنفسهم من أرادوا (١٢) . ويظن حوتيه أن ذلك لم يكن الا مناورة من راشد أو من رؤساء القبائل ، وأنه كان من الطبيعي أن يكون المولود ذكرا . سولو جاء جارية فكان من الممكن تدبير الأمر - أى استبدال ولد بالجارية (١٣) . وهو فى ذلك يرى ان البربر كانوا فى حاجة إلى امام له من الهبة (البركة) ما يملى احترام سلطابه على الجميع (١٤) . ومع وجاهة هذه الحكمة ، فنحن لا نستطيع أن نخوض فى احتمالات قصصية جديدة لئلا يكفينا ملهى الروايات التاريخية من الأساطير التى تجعل الوصول إلى الحقيقة من الصعوبة بمكان (١٥) .

والمهم أن زعماء القبائل استمعوا إلى رأى راشد الذى أخذ على عاتقه إدارة الأمور ، فكان يصلى بالناس ويحكم بينهم (١٦) . وبعد شهرين من وفاة ادريس وضعت كنزة غلاما سمى باسم والده تيمنا ، فهو ادريس بن ادريس (١٧) ، أو هو ادريس الأصغر ، كما يسميه ابن خلدون (١٨) . وظل راشد يشغل

(١٢) القرطاس . ص ١٠ - ١١ . وقارن ابن خلدون . ج ٤ ص ١٢ (الذى يقول ان اورمة تابعوا ادريس الأصغر) حملا ثم رضعا ثم فصيلا الى أن شب (٥٠) .
(١٣) جوتية . ماضى شمال الفريقية (مالفرسية) . ص ٣٠٠ .
(١٤) نفس المرجع .

(١٥) والحقيقة انه توجد رواية يوردها البكرى (ص ١٢٢) تثير موضوع العلاقة بين راشد وبين ادريس بن ادريس . وتجعلها نوعا من التنس ، مما جعل بعض خصوم الإدارة فى المغرب يفتخرون فعلا الى أن ادريس ابن ادريس هو ابن راشد حقا ، كما فعل محمد بن السهمى الذى قال شعرا يهجو به القاسم بن ادريس بن ادريس به .

لما رأيتك للسام صساليا
أيقنت حقا ان جنتك راشد
(١٦) نوحى القرطاس . ص ١١ . البكرى . ص ٢٢٢ . أكلة السراء . لابن الأبار . ج ١ ص ٤٣ . ٤٤٠ .

(١٧) انظر البكرى (ص ١٢٢) الذى يجعل مولده فى ربيع الآخر سنة ١٧٥ هـ / أغسطس ٧٩١ م . وقارن القرطاس الذى يفسر سبب تسميته بادريس ، فيقول انه كان اسمه الناسى بوالده ، حتى قالوا . هذا هو ادريس بميته كانه لم يموت . ويجعل ابن ابي زرع مولده فى قرية اسما كنزة (ولا نعرف ان كان ذلك صحيحا ام ان الامر اشكل عليه فخلقت بين أسمام جدة الوليد واسم القرية) فى ٣ رجب سنة ١٧٧ هـ / أكتوبر ٧٩٣ م (ص ١١) .

منصب الرضى ويرعى الغلام ، فأدبه أحسن الأدب وأقرأه القرآن . فحفظه الصغير وهو ابن ثمانية أعوام - وعلمه السنة والفقه والنحو والحديث والشعر ، وأمثال العرب وحكيها ونير ملوكها ، كما دربه على ركوب الخيل والرمي بالسهم ومكايد الحروب (٦٩) .

أمامته :

وقدر لادريس أن يلي الإمامة وهو صبي صغير لم يبلغ من العمر إلا إحدى عشرة سنة . ويتفق معظم الكتاب على أن تنصيب ادريس للثاني يتم في سنة ١٨٨ هـ / ٨٠٤ م (٧٠) ، رغم أنهم يقولون أنه ولد عقب وفاة ادريس الأول في سنة ١٧٥ هـ / ٧٩١ م . ولو صح ذلك لكان عمر ادريس الأصغر حينئذ حوالي ثلاثة عشر عاماً وليس أحد عشر . وهذا ما يظهر في رواية البكري وابن عذاري التي حددت ولاية ادريس بن ادريس سنة ١٨٧ هـ / ٨٠٣ م ، وأضافت : « وهو ابن إحدى عشر سنة » . ثم أتبع ابن عذاري ذلك بقوله : « وقيل أكثر من ذلك » (٧١) . ولهذا السبب نعتقد أن إجماع الكتاب على أن ادريس الثاني ولي الإمامة وعمره إحدى عشرة سنة هو الذي جعل صاحب روض القرطاس يحدد وفاة ادريس الأول بسنة ١٧٧ هـ / ٩٧٣ م (٧٢) ، حتى يصح الحساب . أما عن مشكلة التوفيق بين ما يكاد يجمع عليه الكتاب من أن ادريس الأصغر ولي الإمامة في سنة ١٨٨ هـ / ٨٠٤ م ، وأنه كان له من العمر إحدى عشرة سنة ، فنعتمد أنها مرتبطة بوفاته راشد مولد ادريس الأكبر ، رغم ما يقوله صاحب القرطاس . وينسب إلى البكري ، من أن راشد لم يمت حتى أخذ النبيعة لادريس بالمغرب (٧٢) ، فإن معظم الكتاب - ومنهم البكري نفسه (٧٤) - يتفقون على أن إمامة ادريس الأصغر تمت بعد وفاة راشد ، وإن اختلفوا في تجديد قدي ذلك . فـ صاحب القرطاس يقول إن راشد اغتيل

(٦٨) العير ، ج ٤ ص ١٣ والترجمة ج ٢ ص ٥٦١ .

(٦٩) القرطاس ، ص ٦١ ، وأنظر البكري ، ص ١٢٢ (رواية النوفلي : هل بن محمد ابن سليمان بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب - الذي ينقل عنه الطبري بعض أخبار العلويين - أنظر الطبري ، سنة ١٦٩ ، طب : ذخائر العرب ، ج ٨ ص ٢٢٠) .
(٧٠) ابن خلدون ج ٤ ص ١٣ والترجمة ج ٢ ص ٦١ ، القرطاس ، ص ١٢ ، وليلين الاستبصار (ص ١٩٦) الذي يحدد وفاة ادريس بن ادريس سنة ١٩٣ هـ / ٨٠٧ م - ٨٠٨ م .
(٧١) البكري ، ص ١٢٢ (يوم الجمعة ٧ ربيع الأول سنة ١٨٧ هـ / ٨٠٣ م) .

ابن عذاري ج ١ ص ٢١٠ .

(٧٢) أنظر ص ٤٣٧ ، وهـ ٦٠ .

(٧٣) أنظر القرطاس ، ص ١٣ .

(٧٤) أنظر البكري (ص ١٢٢) الذي جعل وفاة راشد سنة ١٨٦ هـ / ٨٠٢ م .

بتدبير إبراهيم بن الأغلب قبل مبايعة ادريس الثاني ، وهو يحدد تلك البيعة بعشرين يوما بعد قتل راشد (في غرة ربيع الأول سنة ١٨٨ هـ / ١٧ فبراير ٨٠٥ م (٧٥) . أما عن رواية الاستبصار فتزيد الأمر تعقيدا ، إذ تجعل بيعة ادريس بعد وفاة راشد ولكن في سنة ١٩٢ هـ / ٨٠٧ - ٨٠٨ م (٧٦) . أما ابن خلدون فيذكر - مثل غيره - أن بيعة ادريس بن ادريس كانت في سنة ١٨٨ هـ في مسجد ويلي ، وأن الامام الصغير كان يبلغ من العمر إحدى عشرة سنة ، وأنه كان في رعاية أبي خالد بن يزيد بن إلياس العبدى ، ولكنه يتبع ذلك بأن ابن الأغلب اغتال راشد قبل ذلك بستين (٧٧) .

والحقيقة أنه يمكن أن نجد مفتاح المشكلة في رواية ابن خلدون هذه . فعلى أساسها يكون لادريس بن ادريس أحد عشر عاما عند وفاة راشد (في سنة ١٨٦ هـ / ٨٠٢ م ، كما في البكري) ونعتقد أنه كان من الطبيعي أن تبينه القبائل بعد وفاة مربيها ووصية . ولقد تمت تلك البيعة الأولى تحت إشراف أبي خالد بن إلياس العبدى الذى آلت إليه الوصاية على ادريس الأصغر (٧٨) . ونعتقد أنه في سنة ١٨٨ هـ / ٨٠٤ م ، وبعد أن تخطى ادريس الثالثة عشرة من عمره ، اعتبر راشدا غير قاصر . فبايعته القبائل على أنه الامام الذى يستطيع ممارسة سلطانه دون وصاية . وهذا ما يقوله فعلا ابن خلدون بعد روايته الأولى وأن لم يحدد له تاريخا (٧٩) . أما عن التاريخ الذى يحدده الاستبصار وهو سنة ١٩٢ هـ ، فنعتقد أنه صحيح هو الآخر . وهو متعلق ببناء مدينة فاس ، كما سنرى ، فقد كان لابد من مبايعة الامام في عاصمة البلاد الجديدة ومستقر الامامة .

وبناء على ذلك يكون ادريس الأصغر قد بويع مرات ثلاثة : في سنة ١٨٦ هـ / ٨٠٢ م بعد تخطيه الحادية عشرة ، وكان تحت الوصاية - إذا جاز هنا استعمال هذه الكلمة - ، وفي سنة ١٨٨ هـ / ٨٠٤ م بعد أن تخطى الثالثة

(٧٥) القرطاس ، ص ١٢ : ورواية القرطاس هذه - التى ينقلها عن عبد الملك الوراق - تقول أن عزم راشد على مبايعة ادريس بن ادريس بالامامة كان السبب فى أن دبّر إبراهيم بن الأغلب اغتياله .

(٧٦) الاستبصار ، ص ١٩٦ .

(٧٧) ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٣ والترجمة . ج ٢ ص ٥٦١ (يذكر اسمه : أبو خالد ابن يزيد) .

(٧٨) أنظر البكري ، ص ١٢٢ ، الاستبصار ، ص ١٩٦ ، القرطاس ، ص ١٣ .

(٧٩) ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٣ والترجمة ج ٢ ص ٥٦١ .

عربية وحرس عربي ، نجي بجو مالوف . وكان ذلك يعني - في نفس الوقت - العمل على نشر العزوبة في الدولة الناشئة الى جانب نشر الاسلام . ففي السنة التالية (١٨٩ هـ) وفد على ادريس الأصغر جماعات من عرب افريقية والاندلس : من القيسية والأزد ومدينج وبنى يحصن والصدف وغيرهم ، في نحو الخمسمائة رجل (٨٤) . فرحب بهم الامام الشاب . وجعلهم بطانته دون البربر ، فاعتز بهم لأنه كان فريدا بين البربر وليس معه عربي (٨٥) . وبذلك بدأ التعريب - كما نقول - فاتخذ الامام وزيرا من الأزد هو عمير بن مصعب الملقب بالملجوم - وهو من سادات العرب وكان لأبيه مصعب مآثر عظيمة بافريقية والاندلس ثم مشاهد في غزو الروم . (٨٦) - كما انه اتخذ قاضيا من القيسية - هو حافر بن مخيمر بن سعيد ، الذي كان فقيها صالحا ستمع من مالك بن انس وسفيان الثوري وروى عنهما ، ودخل الاندلس مجاهدا ثم جاز الى العدوة (٨٧) . أما كلبه فكان أبو الحسن عبد الله بن مالك الغزرجي الانصاري (٨٨) . وكان قبله العرب الأول هذا بديه سيتل من الهجرة العربية من الاندلس وافريقية نحو ادريس الثاني . ولقد ساعد على ذلك وقوع اضطرابات في الاندلس وافريقية دفعت الكثيرين من عربها الى الهجرة مثل اضطرابات رضى قرطلة (٨٩) ، وتورات الجند العربي في المرقية على ولاية بغداد (٩٠) وهذا ما ينص عليه ابن أبي زرع عندما يقول : ولم تزل الوفود تقدم عليه من العرب والبربر من جميع الأفاق ، فكثر الناس وضاق

(٨٤) القرطاس ، ص ١٤ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٣ والترجمة ، ج ٢ ص ٥٦١ . ذكره الآسي ، ص ١٣ .

(٨٥) نفس المصدر السابق .

(٨٦) القرطاس ، ص ١٤ ، ولان ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٣ والترجمة ج ٢ ص ٥٦١ . (تيسر للوزير يحيى بن زعيم الأزد ، ويقول ان سبب تسميته بالملجوم هو انه جرح في الفخذ من طربة سيف و يقالها خطام) .

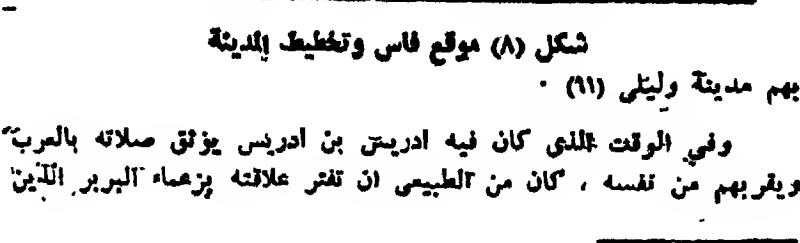
(٨٧) القرطاس ، ص ١٤ (العدوة يعني البر من حيث يجتاز البحر ، واطلمت الكلمة على شاطئ بحر الزقاق بين الاندلس والمغرب ، فهما العدوتان : عدوة الاندلس وعدوة المغرب او المرقية . والكلمة في القرطاس هنا تعني البر المغربي او بلاد المغرب التي أصبحت مركز النقل على امام الكتاج (قرن ١٤ م) ، بعد ان استولى البيهاري على معظم الأندلس فأصبح البر المغربي هو العدوة دون البر الآخر) .

(٨٨) روض القرطاس ، ص ١٣ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٣ ، والترجمة ج ٢ ص ٥٦٢ .

(حيث الاسم أبو الحسن يحيى الملقب بملك الغزرجي) .

(٨٩) انظر فيما سبق عن بناء سجلماسة ، ص ٤٠٩ .

(٩٠) انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٣٤٧ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٣٩٠ وما بعده .



(٩٦) روض القرطاس ص ١٤ .

أخذوا يفقدون بعض ما كان لهم من سلطان منذ فتياننا - والمثل الصريح لذلك هو زعيم أوربة اسحق بن محمد الذي بد ينص بوالى اربيس العباسى ابراهيم بن الأغلب ، فكان جزاؤه للقتل بأمر الامام (٩٢) . وهو هذه الظروف الحاسمة التى بدأت فيها كفة العرب ترجح على كفة البربر ، لم يكن من الطبيعى ان يظل الامام فى ولىلى - مدينة أوربة - التى أخذت تضيق بأهوان الامام الجدد ، وكان لابد له من اتخاذ حاضرة جديدة أكثر اتساعا وأكثر تمثيلا للاتجاه السياسى الجديد : الاتجاه العربى .

ويؤيد وجهة نظرنا هذه رأى جوتيه (٩٢) الذى لا يوافق على فكرة ضيق ولىلى بأهلها ، اذ يقول ان خرائب ولىلى موجودة وان مكان المدينة لا يمنع من اتساعها - هذا ، ولو أننا لا نوافق على تفسيره لانتقال ادريس من ولىلى وبنائه لمدينة فاس ، بأن سهولة انتقال القبيلة من مكان الى مكان هو الذى جعل نقل المدينة الى موضع جديد عملا سهلا بالنسبة لأهل المشرق . أسهل من تجديد المدينة القديمة - والحقيقة ان جوتيه ينظر هنا الى العوامل الجغرافية من طبيعية وبشرية فقط ، ويهمل الظروف السياسية التى كانت بمثابة المحرك بالنسبة لتلك الأحداث -

اختيار موضع فاس :

فى هذه الظروف أعلن الامام ادريس الاصغر ، فى سنة ١٩٠ هـ / ٨٠٥ م - عزمه على الانتقال من ولىلى . واتخاذ مدنه يسكنها هو وخاصته وجنوده ووجوه أهل دولته ، وركب فعلا لاختيار الموضع المناسب للعاصمة الجديدة (٩٤) . ووقع الاختيار على جبل يعرف بزالح ، وأعجب الامام بارتفاعه وطيب تربته واعتدال هوائه ، وقرر ان يختط مدينته فى السفح الشمالى لهذا الجبل . وشيخ فى البناء فعلا ، ولم جزء من بناء السور ، ولكنه اتضح أن

(٩٢) انظر البكرى (ص ١٢٣) ، الذى يصح على أن انا نحاله يزيد بن ابيس الذى قام بأمر ادريس بعد وفاة واحد قتل انا ليل اسحق ، ويحدد ذلك بيوم السبت ٦ من شهر الحجة سنة ١٩٢ هـ / ٢ أكتوبر ٨٠٨ م . ويضيف أنه است ابراهيم الى المشرق مع لهند وسليمان ابن قيد الرحمن . - اى فى نفس السنة التى بدأ فيها تأسيس مدينة لاسر من ابن حلدون . ج ٤ ص ١٣ والفرجة ج ٢ ص ٦١ . وانظر فيه سبق (عن استجابة الزعيم الزناتى بهلول بن عبد الواحد لأمر الرشيد وابن الأغلب) . ص ٣٩ وه ٥٧ .

(٩٣) جوتيه . ماخى شمال إفريقيا . . . (بالفرنسية) . ص ٣٠٧ - ٣٠٨ .

(٩٤) دوى اللطاس . ص ١٤ - ١٥ .

اختيار الموقع لم يكن موفقا : فعندما نزلت البسيول ذات ليلة على الجبل - هدمت ما كان قد بنى من السور ، كما جرفت في طريقها ما كان حوله من حيام العرب ، قرأى ادريس أن يترك البناء في ذلك الموضع (٩٥) . وبذلك شملت أول محاولة لبناء العاصمة الجديدة - حسب روايات القرطاس - وتستعمل محاولة ثانية في العام التالي .

في المحرم من سنة ١٩١ هـ / نوفمبر ٨٠٦ م خرج ادريس في رحلة صيد لتغيير موضع مناسب ، ووصل إلى وادي سبو ، بالقرب من الينابيع الساخنة المعروفة بحمة خولان - التي تسمى حاليا باسم سيدي حرازم على بعد ١٥ كيلو متر شرق فاس (٩٦) - وأعجب بالموضع لقربه من ماء النهر العذب ومن الحجامات الساخنة . وتقول الرواية انه بدأ في العمل ليلا فحفر الأساس وعمل الجير وقطع الخشب ، وابتدأ بالبناء . ولكنه عندما حل فصل الشتاء ورأى فيضان النهر خشي أن تتكرر تجربة العام السابق فيهلكه الناس ، فرفع يده عن البناء وعاد أدراجه الى ويلي (٩٧) .

وعندئذ رأى الامام ان يسند الأمر الى وزيره عمير بن مصعب الذي خرج في نفس السنة (١٩١هـ) كما يفهم من رواية القرطاس ، ونجح في اختيار الموضع المناسب . وذلك في فحصى أسايس حيث الأرض فسيحة معتدلة بين جبلين ، والمياه كثيرة تخرج في هدوء من العيون التي تميز أحد روافد نهر سبو وهو وادي فاس ، وحولها الأشجار من الطرفاء والطخش والعراعر والكلف وغيره (٩٨) . ولم يكن الموضع مهجورا بل كانت فيه مضارب لقبيلتين زناتيتين هما : زواغة - وتعرف ببني الخير - (حول عدوة القرويين) وبني يزغتن (حول عدوة الاندلسيين) (٩٩) ، كل واحدة منهما على ضفة من

(٩٥) انظر القرطاس (الذي ينقل رواية ابن غالب) . ص ١٥ .
(٩٦) انظر ليلى برونسال ، تأسيس مدينة فاس (بالترجمة) Islam d'Occident, La Fondation de Fès, Paris, 1948 ص ٦ وعام ١٤ . والترجمة العربية ، طبعة إدارة الثقافة ، الإلف كتاب . ص ٨ هامش ٢ . وانظر لدورنو الذي يلاحظ بحث برونسال في دراسته عن مدينة فاس :
R. Le Tourneau, Fès avant le Protéctorat, Casablanca, 1941, p: 31 et suiv.

(٩٧) القرطاس ص ٢٥ .
(٩٨) القرطاس ، ص ٢٥ - ٢٦ .
(٩٩) القرطاس . ص ١٦ - ٢٠ حيث نجد قراءتين : بنو يزغتن وبنو يزغتن . ولقد عرفت المرأة الأولى لها أكثر استعمالا في النص وكذلك فعل برونسال في « تأسيس مدينة فاس » (الأصل . ص ٢٦ وإلهام ص ٤٧ ص ٤٠ والترجمة ص ٤١ وإلهام ص ٢٦) وذلك

خضعت النهر الصغير - وعاد الوزير - يخبر الامام بالموضع الممتاز الذى تتوفر فيه كل مزايا موضع المدينة النموذجية - من الماء الجارى ، والمحراث الطيب ، والمحطب القريب (١٠٠) - ووافق الامام واشترى الموضع بستة آلاف درهم . قال منها بنو يزغتن ٤٥٠٠ الفى وخمسائة - درهم وزواجة - ٣٥٠ قلاعة - آلاف وخمسائة) درهم ، واشهد عليهم بذلك . ويفهم من رواية القرطاس - ان شراء موضع بنو يزغتن تم اولا ، وكان محرر العقد ابا الحسن عبد الله بن مالك الخزرجي ، كاتب الامام (وذلك فى سنة ١٩١ هـ / ٨٠٦ - ٨٠٧ م) - (١٠١) .

- وكان معجى - الامام الى مختارب القبيلتين خيرا بوبركة عليهما - اذ كانا صالح بينهما بعد ان كانت بينهما نزاعات وحروب . وهنا نلاحظ ان الرواية تباليغ - من غير شك - عندما تذكر ان البربر فى ذلك الموضع كانوا على النصرانية واليهودية وعلى المجوسية ايضا ، وانه كان لبنو يزغتن - (اصحاب موضع عدوة الاندلس) - بيت - فار هناك (١٠٢) . والرواية هنا يقصدون نسبة اعمال باهرة وخدمات جليلة الى باني مدينة فاس (١٠٢) ، التى ادخل فى الاسلام اشتاتا من اصحاب الديانات والعقائد المختلفة .

= لقرب هذا الاسم من اسم القبيلة المشهورة حاليا فى جنوب فاس ، وهى قبيلة بنو يزغة .
اما ابن خلدون (ج ٤ ص ١٣ والترجمة ج ٢ ص ٥٦٢) فنجد القراءة فيه يزغتن وبرغش . هذا بينما يرى اللردويل فى ترجمته لزهرة الاس (النص ص ١٤ والترجمة ص ٤٠) انه لم يكن من المعلوم لديه وجود قبيلة مراکشية باسم « برغش او برغتن » - حسب ما يوجد فى نص الجزائى - فانه يحيد قراءة الاسم فى شكل « بنو يزغى » الذى هو اسم قبيلة من جنوب فاس .

(١٠٠) القرطاس ، ص ١٣ - ١٧ .

(١٠١) القرطاس ، ص ١٦ (وزهرة الاس ، ص ١٤) .

- (١٠٢) القرطاس ، ص ١٦ . ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٣ والترجمة ج ٢ ص ٥٦٢ ، وانظر البكري (ص ١١٦) الذى يوصل اسم « ابراهيم بن علي » ، وهو « ابراهيم بن علي » - يجل اسم باب الكنيسة -

(١٠٣) وفى مقام مولانا ادريس فى نفوس اهل المغرب . يقول احمد بن ابي الطيب : اتحاف اهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الامان . تونس ١٩٦٢ . ج ١ ص ٢٦ : « والمغرب مسلم الكرامة لهذا السيد حيا ارضيتا . حتى انهم يمتدحون ابي سلطان المغرب حليقة مولانا ادريس بقبضى جا فيهم من الخير والسداجة الاسلامية . من تعظيم الانراف والمسلمين والصالحين » .

البناء : عدوة الأندلس :

وعلى أساس تلك الروايات التي جمعها ابن أبي ررع ، تكون مدينة
دس قد بنيت على دفتين الأولى ابتداء من سنة ١٩١ هـ/٨٠٧ م . عندما
اشترى الامام موضع اليرعتين ، وبني فيه الحرة من المدينة الذي سيعرف
عدوة الأندلس ، على الضفة الشرقية لنهر فاس . في غرة ربيع الأول من
السنة التالية ١٩٢ هـ/٤ يناير ٨٠٨ م (١.٤) . ووصح الامام حير الأساس
نفسه ، بعد أن دعا لمدينته الجديدة بأن يجعلها الله دار علم وفقه يتلى بها
كتاب الله ، وتقام بها حدوده ، ولأهلها بأن يجعلهم الله مستسكين بالسنة
وانجماعة طالما بقيت المدينة (١.٥) . وبده بناء الأساس ثم دور الامام والمسجد
الجامع الذي عرف بجامع الأشياخ ، كما نصبت الخيام ، وأحيط كل ذلك
بسوار (جدر) من الخشب والقصب ، وذلك في الموضع من المدينة الذي
تُعرف بحرواة (كرواة) والذي مازال يحتفظ بهذا الاسم الى اليوم (١.٦) .
وبناء المدينة بهذا الشكل يدل على أنها كانت بسيطة أشبه ما تكون بقرية من
في الحبال الفقيرة فعلا . كما يقول بروفنسال (١.٧) .

عدوة القرويين :

فما أجزء اتاني من المدينة بدأ ببنائه في غرة ربيع الآخر من السنة

-
١٠٥. القوطاس ص ٩ الكرى ص ١١٥ و ص ١٢٣ (ياقوت معجم البلدان -
دس ، من حدود : ص ٣
(١٠٥) القوطاس ص ١٩ . ٢ هـ لأمر ص ١٧
(١٠٦) القوطاس ص ١٦ من حدود : ص ١٤ (ترواه) وفي تفسير اسم
حرواة يقول الحراني . رهبة الأس ص ١٤ . الامام اندريس بعد أن ضرب أخيشة
وعبايه بالموضع . دور على حرواة من الحسب فسمى الموضع حرواة للشمس هنا .
عما يعني ان حرواة باللغة المحلية كانت تعني أشياخ . وهو ما يفسر عليه الجزائلي بعد
ذلك . ص ١٩ ، إذ يقول ان الامام حر بالسور المعروف بالحرواة . وانظر دراسة بروفنسال
د عن تأسيس مدينة فاس (الذي يقبل تفسير كلمة حدر (جمع حدر) عن أنها تعني للأسم
البربري القينيقي أسادير وأنها تعني المعادن الجارية ، او المجلس ومنها اشتقت كلمة أجروا .
التي أطلقت على بعض منازل إقليم الرطب والتي اشتق منها اسم جروادا - موضع فاس -
الأولى - الذي يعني المسكر (الأصل الفرنسي . ص ٢٢ و ص ٤١ ، ٤٤ ، ص ٢٨ ، ٣٩ ،
والترجمة ص ٣٤ و ص ٣٥ و ص ٣٦) .
(١٠٧) انظر بروفنسال ، تأسيس مدينة فاس ، الأصل الفرنسي ، ص ٣٣ ، والترجمة
العربية ، ص ٣٤ - ٣٣ .

الثالثة (١٩٣ هـ / ٢٢ يناير ٨٠٩ م) (١٠٨) ، على الضفة التالية المقابلة لنهر حاس في موضع رواغة ، وهو الحي الذي سيعرف بعدوة القرويين . والذي يفهم من رواية القرطاس هو أنه على عكس عدوة الأندلس التي كانت أشبه بقرية رعوية ، اتخذ بناء عدوة القرويين هذه شكل المدينة فعلا . فقد ترك الامام الموضع الأول واتجه الى الضفة المقابلة لكثرة العيون والأشجار ، ونزل في موضع يعرف بالمقعدة . وبدأ ، كما هي العادة في بناء المدن الجديدة . بإقامة المسجد الجامع الذي عرف ميب بعد بجامع لشرقاء (١٠٩) ، ثم بنى دار الامارة التي عرفت بدار القيطون . أي دار العسقاط . لأن الامام ضرب في موضعها قيطونه أي فسطاطه أو قيته أول ما نزل . وإلى جانب المسجد بنى القيسارية . وهي سوق المدينة المركزي كما أقيمت الأسواق والحوانيت حوالى الجامع من كل جانب (١١٠) .

وحول هذا المركز الذي يمثل المدينة الحكومية ، اتسعت المدينة الناشئة بسرعة . بفضل تشجيع ادريس بن ادريس الذي أمر الناس بالبناء واعمار الأرض ، فوجد بأن من آبتنى موضعاً واغترسه قبل تمام السور بالبناء كان هبة له . ولقد ساعد على سرعة عمران المدينة كثرة الأشجار التي وفرت للناس كل ما يلزمهم من الخشب للبناء (١١١) ، كما ساعد على سرعة نموها جماعات الرافدين على الامام من المشرق ومن الأندلس . فمن العاديين من المشرق جماعة من العراقيين الذين أنزلهم بناحية عين علون (١١٢) ، وربما كان هؤلاء هم الثلاثمائة بيت من أهل القيروان ، الذين أمكنهم ادريس معه فاعطوا اسمهم لهذا الجزء من المدينة أي عدوة القرويين (١١٣) .

الأسوار والأبواب :

ويمدنا ابن أبي زرع بتفصيلات مطولة عن أسوار المدينة وأبوابها ،

(١٠٨) القرطاس ، ص ٢١ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٣ (وفي سنة ٣٠٠ ثلاث ، بعدها ١١٣) ، البكري ، ص ١١٥ (ياقوت ، المعجم ، قاس) .
(١٠٩) يصف البكري (ص ١١٦) جامع القرويين الذي بناه ادريس بن ادريس على أنه يحترق على ثلاثة بلاطات طولها من الشرق الى الغرب ٥٠٠ وله صحن كبير فيه زيتون وشجر بوله سقايف .

(١١٠) القرطاس ، ص ٢١ -

(١١١) نفس المصدر .

(١١٢) أنظر نفس المصدر .

(١١٣) القرطاس ، ص ١٧ .

فيجعل لمدوة القرويين ٦ ستة أبواب هي : باب أفريقية ، وباب سعدون ، وباب الفرس ، وباب الفصيل ، وباب الفرج وباب الحديد - ويجعل لمدوة الاندلس ٥ (خمسة) أبواب هي : باب الفوارة ، وباب مقابل باب الفرج ، وباب أبي سفيان ، وباب الكنيسة ، وباب مدوة الاندلس (١١٤) . والحقبة أننا لا نعرف أن كانت هذه التفصيلات خاصة بفاس الأولى التي بناها إدريس بن إدريس ، أم بفاس العاصمة المغربية الكبرى ، بعد أن اتسعت على مر العصور . ومع أنه ما لا شك فيه أن المدينة ازدادت تنوعاً على أيام الامام فخر بن عبد الملك بن أبي زرغ ، كما يرجح ما يذكره ابن أبي زرغ نفسه عما أصاب هذه الأبواب من الهمم والتجديد وتغيير الأسماء على عهد أسراء فاس حتى أيامه (١١٥) .

سجلات المدينة :

وبعد الفراغ من بناء الأسوار قسم إدريس الأرض المحيطة بالمدينة ، مما يلي الأبواب مباشرة على قبائل العرب والبربر . ويحدد ابن أبي زرغ موضع قبائل العرب ، إذ نزلت القيسية بازاء الأسوار الجنوبية لمدوة القرويين ، ما بين باب أفريقية وباب الحديد ، ونزل اليحصبيون على حذائهم بازاء الأسوار المقابلة من الجهة الأخرى ، بينما نزلت الأزديين فيما بينهما على طول الأسوار الغربية (١١٦) . أما عن قبائل البربر من صنهاجة ولواتة وآشيشان فلا يحدد موضعها ، ويقول أن كل قبيلة منها نزلت بتاحتها (١١٧) .

(١١٤) القرطاس ، ص ٢٩ ، وقارن الكبرى (ص ١١٦) الذي يجعل لمدوة القرويين خمسة أبواب هي : باب الحصن الجديد (قبل) باب السلسلة (شرقي) ، باب القنطرة (شرقي) ، باب سياج يحيى بن القاسم (جولي) ، باب سوق الأحد (غربي) ، وباب الكبرى لمدوة الاندلسيين ستة أبواب هي : باب الفوارة (قبل) ، باب الكنيسة (شرقي) ، باب أبي خروف (شرقي) ، باب حصن سعدون (جولي) ، باب الحوض (غربي) ، باب سليمان (غربي) . وقارن لورنو (Le Tournau) الذي سجل تخطيطاً لجبال (Gallard) من المدينة في أول أيامها فيصف باباً ساجاً لمدوة القرويين هو باب جيسة (Fas, p. 42) والحروب أن هذا الباب يحمل اسم الأمير الزلاني عجيسة الذي بناه ، وأنه تنبع مع مرور الوقت من باب عجيسة إلى باب جيسة (القرطاس ، ص ٢٤) .

(١١٥) القرطاس ، ص ٢٢ ، وانظر ص ٢٣ : حيث رواية ابن غالب التي تقدم بعض الأبواب فاس القديمة مع النص على أن بعضها مثل باب حصن سعدون من بناء إدريس الثاني . (١١٦) انظر القرطاس ، ص ٢٦ . (١١٧) القرطاس ، ص ٢٦ .

والظاهر ان البربر كانوا قد نزلوا من قبل على الضفة الشرقية في عدوة الأندلسيين ، فامن ابي ذرع يذكر أن ادريس بن ادريس أنزل جميع أحواده وقواده ، وكذلك عدده ومعتاده من الخيل والابل والبقر في عدوة الأندلس ، ولم ينزل معه بعدوة القرويين غير مواليه وحشمه ، وسائر رعيته من التجار والصناع والسوقة . وعلى هذا الأساس يفسر صاحب القرطاس بقاء مدينة فاس في شكل مدينتين طيلة أيام ادريس وعلى أيام ولده وحتى ملك الزناتيين (١١٨) .

ما بين العدوتين وفاس :

والحقيقة ان بقاء فاس في شكل مدينتين تحمل كل منهما اسمها الخاص . أمر غريب يسترعى الملاحظة . ولقد نبه بروفنسال ، في دراسته عن تأسيس مدينة فاس ، الى أنه ينبغي توضيح فكرة المدينتين المتجاورتين اللتين اتحدتا نتيجة لعملية تمثيل تاريخية طويلة ، كما انه ينبغي التفرقة بين المعلومات الخاصة ، بكل منهما - وهما في دور النشأة - على حدة ، بدلا من مزجها أو خلطها جميعا بحجة ان العاصمة المغربية الكبيرة من بناء الامام ادريس الأصغر (١١٩) .

وبروفنسال يرى أن المدينة الأولى أي عدوة الأندلسيين من بناء ادريس الأول في سنة ١٧٢ هـ / ٧٨٨ - ٧٨٩ م ، وليست من بناء ادريس الثاني في سنة ١٩٢ هـ / ٨٠٨ م . وهو يستند في ذلك الى بعض الروايات الجانبية ، من الكتب التي لا تعالج مدينة فاس أو تاريخ المغرب نفسه (١٢٠) ، ويرى أنه من السهل أن تكون كلمة « سبعين » قد حُرِفت الى « تسعين » (١٢١) ، والذي دفع بروفنسال الى تبني هذا الرأي هو وجود عملة مضروبة في فاس يُظن

(١١٨) القرطاس ، ص ٣٢ .

(١١٩) انظر تأسيس مدينة فاس ، الأصل الفرنسي ، ص ٩ - ١٠ والترجمة العربية ص

١٣ - ١٤ .

(١٢٠) انظر تأسيس مدينة فاس لبروفنسال الأصل الفرنسي ص ١٣ - ١٧ والترجمة

بها ، ص ٢٠ - ٢١ - ٢٢ حيث يورد بروفنسال نصا للمؤرخ الأندلسي الرازي المتوفى

٣٣٤ هـ / ٩٥٥ م ، قالا عن ابن الأبار في « الحلة السيرة » (انظر تحقيق مؤلف ، ج ١

٥٧) ، وفي هذا النص يجمع الرازي دخول ادريس الأول المغرب في سنة ١٧٢ هـ / ٧٨٨ م

، في موضع وليم : « واستأجر القضاة اليه ، وبناء مدينة فاس جنوبا الى حطب » .

(١٢١) نفس المصدر ، الأصل الفرنسي ص ١٩ والترجمة ص ٢٩ .

انها ترجع الى سنتي ١٨٥ و ١٩١ هـ أى قبل سنة ١٩٢ هـ ، وهو التاريخ المتواتر لبناء فاس (١٢٢) ، بينما تحمل النقود التى ضربها ادريس الثانى اسم: مدينة « العلية » وليس اسم فاس (١٢٢) . وقد حمل ذلك بروفنسال على القول بأن المدينة الثانية أى عدوة القرويين هى التى بناها ادريس الثانى ، وأنها كانت تحمل فى أول الأمر اسم « العلية » (١٢٤) . وبناء على ذلك تكون « فاس » الحقيقية هى عدوة الأندلس وهى من بناء ادريس الأول .

والحق ان رأى بروفنسال مقبول ، رغم انه ليس نهائيا ، فالمعروف ان مدينة الادارسة (أى عاصمتهم) قبل سنة ١٩٢ هـ/ ٨٠٨ م كانت ولى ، وان المدينة التى كانت فى موضع فاس لم تكن بأكتر من قرية فقيرة . ولو صح أنه ضربت فيها السكة قبل سنة ١٩٢ هـ/ ٨٠٨ م ، فهذا لا يعنى بالضرورة ان ادريس الأول بناها ، وأنه اتخذها عاصمة ، إذ كان يمكن لنائبه فيها مثل غيره من النواب أن يضرب السكة . وإذا كان وجود اسم فاس قبل سنة ١٩٢ هـ يمكن أن يعنى ان الاسم سابق على بناء المدينة الجديدة ، لهذا عا قوله احدى روايات القرطاس فعلا من ان الامام الأصغر قال : سموها باسم المدينة البائدة التى كانت فى الموضع ، غير أنه أمر بقلب الاسم الذى كان « ساف » فأصبح « فاس » ، (١٢٥) .

والذى نريد أن نخرج به من هذا ، هو أنه على فرض أن ادريس الأول هو الذى بنى قرية فاس الاولى ، وهذا أمر صعب خلال فترة امامته القصيرة ، فان ذلك لا يقلل من أصالة وعظمة العمل الذى قام به ادريس الثانى ، باني مدينة فاس الحقيقية ، مثله فى ذلك المنصور العباسى باني مدينة بغداد . والإشارة هنا الى بغداد لها مغزاها البعيد ، إذ أن موضعها واسمها لا يرجع اختيارهما الى مزاج المنصور نفسه ، فقد كان الموضع عامرا به قرية قديمة تحمل اسم بغداد .

(١٢٢) نفس المصدر ، الأصل الفرنسى ص ١١ والترجمة ص ١٥ - ١٧ .

(١٢٣) نفس المصدر ، الأصل الفرنسى ، ص ١١ والترجمة ص ١٧ (المألية) .

(١٢٤) نفس المصدر ، ص ١٣ والترجمة ص ١٩ .

(١٢٥) هناك روايات أخرى عن أصل التسمية ولكنها تنطبع بالطابع الأسطوري . من ذلك ما يقال من ان الامام كان يعمل بنفسه مع الصناع والفلّاحين ، لصنع ذلك الفاس من ذهب وفضة كان يبتدىء به «طر» الأسانك . كلما كثر ذكر هذا الفاس ظل السنة الفلة ، سميت المدينة « فاس » لذلك ، ومنها الرواية التى تقول انه عندما بدء حفر الأساس وجد في

ومع ان المنصور بنى مدينته على الضفة الغربية لدجلة ، فان المدينة عندما امتدت عبر النهر الى الضفة الشرقية التي اطلق عليها اسم الرصانة ، ظلت مدينة واحدة تحمل نفس الاسم ، رغم ان النقود المسكوكة فيها حملت اسم « دار السانم » ، وظلت تنسب الى بابنها الحقيقي وهو المنصور ، رغم ازدياد العمران في الضفة الشرقية . وبناء على هذا القياس حق لكاتب المغرب ان ينسبوا فاس الى بابنها الحقيقي ادريس بن ادريس ، فهي من ابتكاره ، لا يقلل من ذلك ان الموضع كان مسكونا ببعض قبائل البربر او ان قرية بانسة كانت تحمل - على أيام ادريس الاول - اسم العاصمة السعيدة .

وجه التجديد والابتكار ، من جانب ادريس الاصغر ، هو انه انشأ عاصمة عربية في بلاد البربر ، تماما كما فعل عتبة بن نافع في افريقية ، فأصبحت فاس قيروان المغرب الاقصى . ومن هذا الوجه كانت فاس العربية في عدوة القرويين ، حيث أنزل الامام العرب معه ، كما رأينا ، ولكن الحي الآخر لم يلبث ان تعرب بدوره ، بعد ذلك بقليل ، عندما وصل اهل ضاحية الربيض من مدينة قرطبة بعد ان طردهم أمير الأندلس الحكم بن هشام حوالي سنة ٢٠٢ م / ٨١٧ م . فلقد وصل هؤلاء في نحو ثمانمائة بيت نزولوا في عدوة الأندلس ، وشرعوا بها في البناء يمينا وشمالا ، فسمى الجزء الشرقي بهم (١٢٦) ، وأغلب الظن أنهم عمروا هذا الحي على الطريقة الأندلسية . وتبالغ الروايات في المدينة واتساعها بسرعة ، وتريد ان تجعل منها مدينة عالمية عقب بنائها مباشرة : فلقد أطمعت الاشجار والكرم من سنتها ، وذلك ببركة الامام (١٢٧) . وكثرت خيراتها فكان الطعام (الزرع) لا يباع بها ولا يشتري

= جهة القبلة فاس كبير طولها ٤ اريمة اشجار ، وسعت شبر ووزنته ستون رطلا ، فسميت المدينة به . ومنها ان المدينة سميت باسم اول رجل مر بها واسمه فارس ، ولكنه لما كان الرجل الشفا فانه نطق اسمه عندما سئل عنه « فاس » . وآخر تلك الروايات ان المدينة سميت باسم جماعة من الفرس نزولوا بها أثناء بنائها وسقط عليهم جرف فماتوا ثم حُف الفاس الاسم فقليل فاس بدلا من فرس (انظر القرطاس ، ص ٢٦ ، وقارن زهرة الأس ، ص ١٨ - حيث يرفض الجزائي ان يكون قد عمل للامام فاس من ذهب وفضة على أساس « ان الامام رضي الله عنه لا يجهل ان استعمال الذهب محرم على الرجال ») .

(١٢٦) القرطاس ، ص ٢٧ (النص يقول « ثمانية بيت » ورأينا ان صحته ثمانمائة بيت) ، ومن هنا جرى الرضى - انظر فيما سبق ، ص ٤٤١ : ويشير ابن حيان في حوادث سنة ١٩٦ هـ ، الى ان الحكم بن هشام ، أمير الأندلس صالح ملك الفرنجة الذي يسميه « قارله ابن حلفش » - ولو انه يبرر ذلك بطريقة عكسية ، اذ ينص على ان الفرنجة - بدلا من المروانيين في قرطبة - سلموا الذين لمزحوا بسبب ظهور ادريس بن عبد الله الحسبي في اوجس المدينة : انظر المقتبس في مخطوط كلية الآداب المنصور بجامعة الاسكندرية ، ص ٢٥ .

« (١٢٧) القرطاس ، ص ٢٦ .

أيام الامام وذريته ، فكان وسق التمح بدرهين ونصف ، ووسق الشعير بدرهم ، والكبش بدرهم ونصف ، أما الفاكهة فلم يكن لها سعر لرخصتها (١٢٨) .

والمدينة لم تحو المسلمين من العرب أو البربر الذين دخلوا حديثا في الاسلام فقط ، بل حوت اليهود أيضا . فيقول ابن أبي زرع انه اجتمع بالمدينة خلق كثير من اليهود الذين أنزلهم الامام يناعية أصلا إلى باب حصن سعدون ، وفرض عليهم الجزية التي بلغت ثلاثين ألف دينار سنويا (١٢٩) . وهذا يعني عددا كبيرا من اليهود يكونون حيا بأكمله ، وهذا ما لم تعرفه فاس - مثلها مثل كثير من المدن العربية - إلا بعد مرور فترة الانشاء ، وعندما أصبحت عاصمة كبيرة . والحقيقة ان هذه الرواية لا تتفق مع الرواية الأولى التي ذكرناها بمناسبة تأسيس المدينة ، والتي نسبت إلى الامام فخر أذخال جماعات البربر التي كانت تعتنق النصرانية واليهودية والمجوسية في الاسلام .

ونشير إلى أنه لا ينبغي المبالغة في عظم مدينة فاس الفنية على أيام ادريس بن ادريس . فمن الصحيح أن ادريس بن ادريس عاش عشرين سنة بعد ان وضع حجر الأساس لمدينته العربية (اذ توفي سنة ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م) ، وان تلك المدة كانت كافية لكي تتسع المدينة وتكبر ، ولكنها لم تكن كافية لكي تصبح على الصورة التي يصفها بها صاحب روض القرطاس ، الذي يكتب في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي ، في الوقت الذي كانت فاس انتهت إلى ما لم تبلغه مدينة في المغرب ، كما يقول هو نفسه (١٣٠) .

والحقيقة انه لن يمكن تنظيم المعلومات المتنوعة ، والتفاصيل المختلفة ، التي يمزجها صاحب القرطاس مزجا ، إلا اذا سمحت الظروف بمعرفة المصادر التي نقل عنها شيء من الدقة . ونحن اذا وافقنا على نسبة أمجاد مدينة فاس - العاصمة الكبرى - إلى بانيها ادريس الأصغر فإننا نفعل ذلك لأنه مبتكرها ، وصاحب فكرتها . أما عن فاس على أيامه فلا نعتقد انها زادت كثيرا عن حدود مدينة ملكية ناشئة ، لم يزد عمرها على عشرين سنة في أواخر أيام الامام . ويرجع هذا الرأي ان بعض الروايات تؤكد أن وفاة ادريس بن ادريس لم تكن في مدينة فاس بل في مدينة ادريس الأكبر :

• (١٢٨) روض القرطاس ، ص ٢٩ .

• (١٢٩) روض القرطاس ، ص ٢٧ .

• (١٣٠) روض القرطاس ، ص ٢٨ .

وليلى (١٢١) •

أهمية بناء مدينة فاس : تأكيد سلطان الادارسة فى المغرب :

وهنا ينبغى الاشارة الى أن أهمية فاس لا تتلخص فى بناء المدينة العجيبة نفسها ، بمساجدها وأرحائها وأسواقها وقصورها وغناها ، بل فى العمل الحضارى الذى قامت به والذى يمثل رسالة الادارسة العلويين فى بلاد المغرب الأقصى • والظاهر ان بناء المدينة استغرق ما بين ثلاث سنوات أو أربعة • فبعد أن أقام ادريس الثانى بها الى سنة ١٩٧ هـ/ ٨١٢ - ٨١٣ م ، خرج فى المحرم من نفس السنة لغزو بلاد المصامدة فأخضع قبائلهم ، ووصل فى لمزيمهم حتى السوس الأقصى ، حيث أخضع مدينة نفيس - التى دخلها عقبة بن نافع سنة ٦٢ هـ - ثم عاد الى فاس (١٢٢) • وأقام ادريس ما يقرب من العام ، ثم انه عزم على تأكيد سلطانه فى أقاليم المغرب الأوسط الغربية ، فخرج فى أواخر سنة ١٩٨ هـ/ يونيه - يوليه ٨١٤ م لغزو قبائل نفزة ، ورجع فى أخضاعهم ، ودخل مدينة تلمسان حيث أتاها محمد بن خزر الزناتى وبأيعه • وأقام ادريس فى تلمسان مدة ثلاث سنوات واصل خلالها أعمال والده هناك : فأصلح أسوار المدينة ، ورسم جامعها الذى بناه والده ، وأقام فيه منبرا جديدا (١٢٢) • وعاد الامام الى فاس ، وقد اطمأن الى انتشار سلطانه من تلمسان الى نفيس •

(١٢١) انظر فيما بعد ، ص ٤٥٦ وهـ ١٢٧ • وعن ابواب المدوتين ، انظر الجزائى ، زهرة الآس ، ص ١٩ - ٢٠ : حيث يمدد فى عدوة الأندلس ٧ (سبع) ابواب ، هى ابواب : القلعة ، وجروادة ، والمخفية ، والتسيبوية ، والفصيل ، وأبى سفين ثم باب الكنيسة ، كما يمدد فى عدوة القرويين • (خمسة) ابواب • هى ابواب • افريقية ، الفصيل ٢ ، الفرنج ، الحديد ثم باب القلعة •

(١٢٢) الكرى ، ص ١٢٣ ، روض القرطاس ، ص ٢٩ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٢ والترجمة ج ٢ ص ٥٦٢ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ٢١١ (الذى يجعل لغزو بلاد المصامدة بعد لغزوة نفزة) •

(١٢٣) انظر القرطاس (ص ٢٩ وتلخيصه فى زهرة الآس ، ص ٢٢) الذى ينقل رواية عبد الملك الوراقى الذى يقول • « دخلت محمد تلمسان سنة ٣٥٥ هـ/ ٨٦٩ م ، فرأيت فى =

والحقيقة أن إقامة ادريس مدة ثلاث سنين في تلمسان وتواجها كان القصد منها تأمين حدود دولته الشرقية إزاء خطر الخوارج بالمغرب الأوسط ، وكانت قبائل نفزة التي هزمها - بمعاونة ابن عمه داود بن القاسم بن إسحق ابن عبد الله بن جعفر (١٢٤) - من أقوى عصابات إمامة تاهرت ، كما رأينا . وهذا ما يشير إليه ابن خلدون عندما يقول أنه بعد أن أخضع البربر وزناتة ، قرى أمره ، وتمكن من القضاء على الخوارج منهم ، واقتطع المغرب عن دعوة المباسين من لدن السوس الأقصى إلى شلف (١٢٥) . وهذا ما يصر عليه جوتييه ، عندما يقول : أن قضاء ادريس الثاني على الخوارج يعبر عن خوف أهل الحضارة والمدنية (رعية الدولة الإدريسية) من تخريب الخوارج (الزناتية البدو) . وهذا يمثل النتيجة التي وصل إليها ، والتي تتلخص في أن الحركة الخارجية التي بدأت في المغرب الأقصى سنة ١٢٢ هـ ، على يد ميسرة ، انقلبت إلى ضدها : إلى حكومة نظامية ، هي الدولة الإدريسية (١٢٦) .

وفاة ادريس الأصفر وبداية سمات تصدع الدولة الإدريسية :

ويقول صاحب القوطاس أن ادريس لم يزل بفاس إلى أن توفي في

= رأس مبرها لوحا من بقية منبر قديم ، قد سحر عليه هناك ، مكتوب فيه : « هذا ما أمر به الإمام ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي - رضي الله عنهم - في شهر المحرم سنة ١٩٩ هـ / أغسطس ٨١٤ م » . وبناء على هذا التاريخ رأينا تعديل خروجه من فاس نحو تلمسان إلى أواخر سنة ١٩٨ هـ / يونيو ٨١٤ م ، بدلا من سنة ١٩٩ هـ كما يقول البكري (ص ١٢٣) . وصاحب القوطاس (ص ٢٩) وابن خلدون (انظر فقط الترجمة ج ٢ ص ٥٦٢) لا نجد هذا التاريخ في النص ولا اسم ابن خنوز كذلك . ونلاحظ هنا أن ابن خلدون (ص ١٢) يذكر أن الإمام أصلح الكثير ولم يصنع منبرا جديدا حسب رواية القوطاس . وفيما يتعلق بدخول الرواق إلى تلمسان في سنة ٢٥٥ هـ نلاحظ أن الرواق هذا يكتب في أواخر القرن السادس الهجري . ولهذا السبب وجد هذا التاريخ في بعض النسخ للقوطاس سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م (انظر برنيسال ، تأسيس فاس ، النص ص ٢١ والهامش ٣٨) . ولقد رجحنا نحن أن تكون سنة ٢٥٥ هـ خاصة بالزوج ابن غالب الذي نسخ الرواق كتابه (انظر التعريف بكتاب روض القوطاس في دراسة المصادر السابقة ، ج ١ ص ٤٨) . (١٢٤) انظر البكري (ص ١٢٣) حيث يقول أن داود بن القاسم خرج لقتال الخوارج مع ادريس بن ادريس فاصحبه منه (أي من ادريس) ثلاث خصال : اجتياح قلبه ، ومعتقه . وحركته وقلة قراره إلى يثني الزعم إلى القتال وليسو البرص . (١٢٥) ابن خلدون ، ج ١ ص ١٤ والترجمة ج ٢ ص ٩٦٢ (حيث قرأنا في السوس) في شكل « الفوس ») . (١٢٦) انظر جوتييه : ماضي شمال إفريقيا . . (بالفرنسية) ، ص ٣١٥ - ٣١٦ .

سنة ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م ، وهو ابن ست وثلاثين سنة ، وانه دفن بمسجده (جامع الشراء) بازاء الحائط الشرقي ، أو الحائط القبلي . هذا ولو أن رواية البرنس - التي يوردها بعد ذلك - ربما كانت أقرب الى الحقيقة من حيث التاريخ ، إذ تحدد وفاة ادريس الثاني ببليلة ١٢ جمادى الثاني من سنة ٢١٣ هـ / ٨٢٨ أغسطس ٨٢٨ م ، وسنه يومئذ ثمانية وثلاثون عاما ؛ وهذه الرواية تتفق مع رواية البكرى التي لا تجعل وفاة ادريس في فاس بل بمدينة ويلي ، في بلاد زرهون ، وتقول انه دفن الى جانب قبة ابيه هناك (١٣٧) . وتحيط بوفاة ادريس الثاني الشاب ، مثله مثل والده ، قصة روائية تقول انه توفي بسبب اكله عنب ، شرق أو «غص بحبة منها» (١٣٨) ، أو انه مات مسموما في حبة العنب تلك (١٣٩) . هذا ، كما يمكن أن يفهم انه كان للاغلبة ، وبالتالي خلافة بغداد ، يد في هذا الامر . يستشعر ذلك من الشعر الذي يتسبب قوله الى ابراهيم بن الاغلب والذي ينص على أن الاغلبى هو الذى دبر اغتيال راشد ، الذى كان قد استفعل امره وعلا حتى انه هم بغزو أفريقية ، وانه كان يترهب يدريس ليتخلص منه هو الآخر (١٤٠) . ولا يستع من ذلك ما تقوله بعض الروايات من أن ابراهيم بن الاغلب كان قد ألب الزعيم المدغرى « البهلول بن عبد الواحد » على ادريس بن ادريس ، وإن هذا الأخير كتب الى بهلول يخطب دعه ، ويدعوه الى الرجوع الى طاعته ، ويحذره من مكر ابن الاغلب (١٤١) . وما تضيفه الرواية بعد ذلك عندما تقول

(١٣٧) البكرى ، ص ١٢٣ . والمص يقول ان ادريس بن ادريس تولى وعمره ٣٣ سنة ، وهذا خطأ من النسخ إذ ينبغي أن يكون ٣٨ سنة بما انه ولد سنة ١٧٥ هـ / ٧٩١ م وتولى سنة ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م ، وقارن الحلة السيرة لابن الامار « ج ١ ص ٥٤ ، حيث تطرق نفس الملاحظة .

(١٣٨) البكرى ، ص ١٢٣ ، القرطاس ، ص ٣٠ (زهرة الأس ، ص ٢٣)
(١٣٩) الحلة السيرة ، ترجمة القاسم بن ادريس رقم ٤٩ ، ج ١ ص ١٣١ .
(١٤٠) انظر الحلة السيرة لابن الايام ، ج ١ ص ٩٨ حيث يقول ابراهيم بن الاغلب :
الم ترمى اوديت بالكيد راشدا واني بأخرى لابن ادريس راصدا
تساولة عزمى على ناي دارة ببخترمة على طيهن المكائد
(١٤١) انظر الحلة السيرة لابن الايام ، ج ١ ص ٥٥ . حيث ينسب الى ادريس شعرا في هذا الامر ، يقول فيه :

كانك لم تسمح بكر ابن الاغلب وما قد رمى بالكيد كل بلاد
ومن دونك ما كنتك نفسك خاليا ومناك ابراهيم شرق قصاد
وانظر نفس المصدر ، ترجمة بهلول بن عبد الواحد المدغرى رقم ٤٠ ص ١١١ حيث النص على انه بعد أن أقصد ابراهيم بن الاغلب بن بهلول وبين صاحبه ادريس بن ادريس :

أن إدريس بن إدريس كتب إلى إبراهيم بن الأغلب يدعو إلى طاعته ، ويطلب منه المك من فاحيته ، ويذكره بقرايته من النبي (١٤٢) - أو أنه صالح ابن الأغلب ، وسكن من غربة ، مما كان سببا في اشتداد ساعد الدولة الإدريسية التي عجزت الإغالبية عن مدافعتها بعد ذلك (١٤٢) .

والقريب في أمر الدولة الإدريسية الفتية أنها لم تكن تبلغ العقد الرابع من عمرها حتى بدأت نصيبها عوارض الشيخوخة والاضمحلال . وكانت العملة هي التفتت والتقسيم - آفة ذلك العصر - الذي ترتب على الصراع بين المراد الأسرة ، من أجل الطمع في عرش المملكة . فلقد حرص العلوي المحروم من الأخوة ، الوحيد في أقصى المغرب ، على أن يترك - وله الحق في ذلك - عددا كبيرا من الذرية ، فخلف ١٢ (أثنى عشر) ولدا ، ما بين راشد وقاصر (١٤٤) .

٣- محمد بن إدريس بن إدريس :

وآلت الإمامة إلى أكبر ولد إدريس بن إدريس ، وهو محمد . وتتفق الروايات على أن كثرة والده إدريس الأصغر وجدة محمد وإخوته ، كان لها

= جرت مكاتبات بين الأغلب والمدرى . فكان ما كتبه الأحمر إلى ابن الأغلب :
 لئن كنت تدعوني إلى الحق بأصحا لتكشف عي قلبي صبر خلاف
 لقدما عندك أنك بأصح لي قال بالصالح الغلاف كال
 (١٤٢) الحلقة السيرة . ج ١ ص ٥٥ . حيث تقول الرواية أن إدريس كتب من همدان إلى أبيه إدريس بن إدريس ، ومنه :
 أذكر إبراهيم حقي محمد وعترته والحق خير مقول
 وأدعوه للأمر الذي فيه وشده وما هو لولا رايه مجهول
 فإن أثر الديب كان أمامه ذلزل يوم للمقاب طويل
 (١٤٢) انظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٤ (حيث يضيف إلى ذلك أن الإغالبية لم يستطيعوا الاعتقاد لخلفاء بغداد عن هزمهم أمام الإدارة إلا « بالفض من إدريس والقدر في سببه إلى أبيه إدريس بما هو أوهى من خيوط المناك ») .
 (١٤٤) أبناء إدريس بن إدريس . كما يورد في الكتاب دون ترتيب منهجي ، هم : محمد والقاسم وعمر وداود وعيسى ويحيى وعبد الله وحزمة وأحمد وزعل وإدريس وجعفر . انظر ابن عسدي (ج ١ ص ٢١١) الذي يكرر عبد الله بدلا من ذكر جعفر ، وقانون القراميس (ص ٣٠) . والظاهر أنه ينقل نفس رواية البكري (ص ١٢٤) الذي يذكر عبد الله بدلا من جعفر . وكذلك الأمر في الحلقة السيرة (ج ١ ص ١٣١) . وانظر زمرة الآسي (الخط ٢٣) الذي لا يذكر عليا ويضيف « الحسن » و « الحسين » .

نفوذها في سبيل أمور الدولة ، أو أنها كانت أشبه ما تكون بالوصية على محمد - فلهذا أشارت على حفيدها الامام بأن يجعل اخوته على رأس أقاليم الدولة وولايتها المختلفة - ومع أن الكتاب يذكر صراحة أن هذا الأمر كان

تقسيمًا لدولة ، أو توزيعها لها على اخوة محمد (١٤٥) ، إلا أن الهداية منه - كان - بطبيعة الحال - هو العمل على تقوية الأسرة ، بأن تكون الولايات والقيادات العسكرية بين أيدي أفرادها ، ولنا في قيام الدولة العباسية خير مثل لذلك ، عندما بنى أبو العباس السفاح كبار قواده ورجال دولته من الدعاة ، وعهد بولاياتهم إلى اخوته وعمومته وقراته من بني العباس واستجلب محمد بن ادريس إلى بصيحة حدثه ، كما تقول الرواية ، فجعل البالغين من اخوته وهم ثمانية على رأس الولايات المحتلة ، وأبقى القصر الثلاثة في كفالة حديقهم ، معه في مدينة فاس - وكان تقسيم البلاد على الاخوة كالآتي (١٤٦) .

١ - القاسم وله ولاية طنجة ، وتشمل سبته وتطوان وقلعة حجر النسر وبلاد مصمودة وما إلى ذلك من البلاد والقبائل (١٤٧) .

٢ - داود : وله بلاد هوازة وبلاد تسول وتارا ومكناسة وبيجالة حياتة وتاملت (١٤٨) .

٣ - عيسى : وله مدينة شالة وسلا وأزمور وبلاد تامسنا . وما إلى ذلك من القبائل (١٤٩) .

(١٤٩) اعطى القرطاس ، ص ٣٠ (قسم المغرب بين اخوته) ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٤٤ والترجمة ج ٢ ص ٥٦٣ (قسم البلاد بين اخوته) ، ابن عداوي ، ج ١ ص ٢١١ : فرق البلاد على اخوته) ، البكري ، ص ١٢٤ ، والاستبصار ، ص ١٩٦ (فرق البلاد على اخوته) . (١٤٦) اتخذوا توزيع القرطاس (ص ٣٠) أساسا ، واشترنا إلى الاختلافات بينه وبين ابن خلدون وابن عداوي والبكري ، كما استمنا بهم في تعديل قائمة الولايات في بعض المواضع -

(١٤٧) يزيد البكري (ص ١٢٤) ، والحلة السيرة ، ج ١ ص ٣١ ، وابن خلدون ، (ج ٤ ص ١٤ والترجمة ج ١ ص ٥٦٣) على ذلك مدينة البصرة التي يجعلها القرطاس في ولاية يحيى -

(١٤٨) لا يذكر القرطاس (ص ٣٠) قازا ، ويضيف ابن عداوي (ج ١ ص ٢١١)

تامليت ، وكذلك البكري ، ص ١٣٤ (تاملت) -

(١٤٩) قازن البكري ، ص ١٢٤ (وأزود وسلي) ، وابن عداوي (ج ١ ص ٢١١) الذي لا يذكر اسم البلاد التي كانت لعيسى -

- ٤٥٩ -

- ٤ - يحيى : وله مدينة البصرة. وأصيلا ومدينة المرائش وأعمالها ،
وبلاد ورغة (١٥٠) .
- ٥ - عمر : وله مدينة تيجساس (تيكساس) وترغة ، وقبائل
صنهاجة الهبط وغمارة ، فيما بينهما (١٥١) .
- ٦ - أحمد : وله مدينة مكناسة وبلاد فازاز ومدينة تادلا (١٥٢) .
- ٧ - عيد الله : وله مدينة اغمات وبلاد نفيس وبلاد المصامدة والسوس
الأقصى وبلاد لمطة (١٥٣) .
- ٨ - حمزة : وله مدينة وليلى وأعمالها ، ومدينة تلمسان وأعمالها (١٥٤) .

خلاف عيسى في سلا وتامسنا وعصيان القاسم في طنجة :

هزيمة عيسى وتجزئته من أملاكه :

ولقد كانت النتيجة الطبيعية لمثل هذا التفتت أن دب الخلاف بين
الأخوة ، فمنهم من استجاب لأغراء الأطماع الأنانية ، فخرج علي سلطان الأخ

(١٥٠) لا يذكر ابن خلدون (ج ٤ ص ١٤ والترجمة ج ٢ ص ٥٦٣) البصرة ضمن بلاد
يحيى بل يضعها في بلاد القاسم .

(١٥١) يذكر القرطاس تيجساس بدلا من تيجساس التي يسجلها في السامس
(ص ٣٠) . وهو لا يذكر مدينة ترغة ، أما ابن عذارى (ج ١ ص ٢١١) وكذلك البكري
(ص ١٢٤) وابن الأبار في الحلة السيرة (ج ١ ص ١٣٣) فلا يذكر سوى صنهاجة الهبط
وغمارة .

(١٥٢) لا يذكر ابن خلدون ولا ابن عذارى ولا البكري ولاية أحمد - وهذا ما يشكك
في رواية القرطاس . خاصة وأن مدينة مكناسة مذكورة ، كما رأينا ، بين البلاد التي أعطيت
للأمير داود . وللتوفيق بين الروايات المختلفة هذه لا بأس في أن يكون أحمد قد ول مكناسة
، وغيرها من الأقاليم بعد أخيه داود وتحت امرته .

(١٥٣) انظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٤ والترجمة ج ٢ ص ٥٦٣ ، وقارن القرطاس ،
الذي يجعل بلاد مصمودة مع القاسم . كما نرى .

(١٥٤) انظر القرطاس ، ص ٣٠ ، الذي يقول إن تلمسان فقط كانت له . وابن خلدون
(ج ٤ ص ١٤ والترجمة ج ٢ ص ٥٦٣) الذي يقول انه كانت له مدينة وليلى وأعمالها فقط ،
كما في البكري (ص ١٢٤) . أما ابن عذارى فلا يجعل حمزة بين الولاة أي انه جعله بين
القصر . والظاهر أن حمزة كانت له الولاية الشرقية فقط ؛ لأن تلمسان كانت اقطاعا لابن
حليمان بن عبد الله وسليمان هذا كان أخا لادريس الأول ، كما سبق أن أشرنا . انظر
فيما سبق ص ٤٤٦ و ٨٧ ، وهذا ما يقول ابن خلدون (ج ٤ ص ١٤ والترجمة ج ٢
ص ٥٦٤) .

الأكثر ، ومنهم من رأى التمسك بأهداب الطاعة ، وانتهى الأمر بسلسلة من المنازعات والحروب بين الاخوة . افتتح ذلك عيسى بالتمرد فى سلا وتامسنا ، وهو أمر مقبول بالنسبة لتلك الأقاليم التى عرفت باتجاهاتها الانفصالية ، وحركاتها الاستقلالية التى تمثلت فيما عرف عند الكتاب باسم زندقة برغواطية تحت قيادة بنى طريف الذين كونوا مملكة لهم عاشت منذ ثورة ميسرة (قرن ٨/هـ م) ، وحتى قيام دولتى المرابطين والموحدين (قرن ٥ ، ٦ هـ / ١١ ، ١٢ م) . وأمر الامام محمد أخاه القاسم ، صاحب طنجة ، بمحاربة عيسى بسبب مجاورة بلاده لبلاد عيسى ، لكنه امتنع . وفى ذلك تقول رواية الحلة السيرة ان القاسم كتب الى أخيه الامام محمد معتذرا عن توقفه عما أمره به ، فى أبيات شعر يفهم منها أن القاسم كان زاهدا فى أرض المغرب رغم ما كان له بها من مركز مرموق ، راغبا فى العودة الى المشرق ، وهو الأمر الذى يسترعى الانتباه ، بعد أكثر من أربعين سنة من استقرار الادارة فى المغرب (١٥٥) . واستجاب عمر ، صاحب بلاد غمارة ، لأمر أخيه الامام ، وجمع بربر غمارة - من ريف طنجة - وأوربة وصنهاجة ، كما أمده محمد بألف فارس من زناتة ، عندما اقترب من أحواز فاس ، فهزم عيسى وأخرجه من سلا وغيرها مما كان بيده من البلاد ، وذلك قبل وصول الملحد ، وضمها الى أملاكه بأمر محمد (١٥٦) .

ناديب القاسم واعتزاله الولاية :

ثم سار عمر - حسب أوامر الامام - لمحاربة القاسم ، ونجح فى هزيمته بعد مواقع عديدة ، وانتهى أمر القاسم الى اعتزاله الحياة العامة ، واقباله على الزهد والتعبد - فى رباط بناء لنفسه على ساحل البحر ، مما يلى مدينة أصيلا (١٥٧) .

(١٥٥) أنظر ج ١ ص ١٢٩ - ١٣٢ حيث يقول القاسم فى بيتين من الشعر :

سأترك للرأغب الغرب لهما وإن كنت فى الغرب قليلا ولدا
واسمو الى الشرق فى حصة يمز بها رتبا من احبا

(١٥٦) الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٣٢ .

(١٥٧) - القرطاس ، ص ٣٠ ، البكرى ، ١٢٤ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٤ والترجمة ج ٢

ص ٥٦٤ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢١١ ، الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٣٣ ، (رباط القاسم أصيلا بموطع يعرف بتماملوت ، حيث قام يتعبد فيه الى أن مات - القرطاس ص ٣٦ - لم ملك أصيلة عقبه الى أن سار أمرها الى حسن العجام ثم ابن أبى المافية - البكرى ص ١١٢)

عمر يهضم الى املاكه اقاليم سلا وتامسنا وطنجة :

وهكذا ضم عمر بلاد اخويه القاسم وعيسى الى املاكه فاصبحت مملكته تحتد من طنجة شمالا الى سلا وبلاد تامسنا وأزمور ، نحو الجنوب الغربي ، حيث مصب وادي أم الربيع ، كما امتدت شرقا من سبتة الى منطقة قبائل غمارة نحو مليلة ، فكانت مملكة عمر امتدت على طول سواحل المغرب الأقصى الشمالية على البحر المتوسط وعلى معظم سواحل المحيطة الشمالية الغربية . واستمر عمر في خدمة اخيه محمد الى أن مات في سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م ، حتى بلاد صنهاجة في موضع يعرف بفتح الفارص ، شمال مدينة فاس في أرض غمارة ، وحمل الى مدينة فاس حيث دفن الى جانب أبيه ، وصلى عليه اخوه محمد الامام (١٥٨) . وسيكون لأبناء عمر بن ادريس هذا شأن ، إذ أنهم سيرثون املاك والدهم بموافقة الامام ، فقد خلف على بن عمر والده (١٥٩) بمعنى تأكيد انقسام الدولة . وعلى بن عمر هو جد الحموديين من الادارسة الذين سيدخلون الأندلس بعد سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م ، عند انهيار الدولة الأموية (١٦٠) .

أما عن الامام محمد الذي تقول عنه رواية للرازي انه « أخذ الى اللهو والشراب والنساء » ، وإن ذلك كان كان السبب في أن خلعه اخوته (١٦١) ، فلم يقدر له ان يعيش بعد اخيه عمر الا سبعة أشهر فقط ، إذ توفي بمدينة فاس ، ودفن بشرقي جامعها مع أبيه وأخيه ، وذلك في شهر ربيع الثاني من سنة ٢٢١ هـ / مارس سنة ٨٣٦ م ، بعد ٨ (ثمانية) أعوام من الحكم (١٦٢) ، وخلفه ابنه على .

٤ - على بن محمد بن ادريس (٢٢١ هـ / ٨٣٦ م - ٢٣٤ هـ / ٨٤٩ م) :

اعتلى على بن محمد عرش المملكة الادريسية بعد وفاة والده وبمعية

-
- (١٥٨) القرطاس ، ص ٢١ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٤ (حيث الموضع : « فتح القرص »)
 ابن عذاري ، ج ١ ص ٢١١ .
 (١٥٩) ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٤ ، والترجمة ، ج ٢ ص ٥٦٤ .
 (١٦٠) القرطاس ، ص ٢١ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٤ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٢١١ .
 « كبرى نص » ١٢٥ ، الاستبصار ، ص ١٩٦ .
 (١٦١) الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٢٣ . ولقد ان تلك الرواية تقول خطأ انه لم يقب
 حواله ولي بعده اخوه القاسم .
 (١٦٢) القرطاس ، ص ٢١ . وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٤ .

وبذلك صار اماما للحسينيين في المغرب ، وهو بعد غلام لم يجاوز السنة التاسعة من عمره الا بعدة أشهر (١٦٢) . والظاهر أن صغر سن الأمير ، مما يجعله من وجهة النظر القانونية غير مؤهل لولاية أمور المسلمين ، هي التي جعلت البكري يقتصب الكلام في عهده اقتضابا ، فيكتفى بالإشارة إلى ولايته ثم إلى وفاته (١٦٤) ، بينما أسقط ابن عذاري عهده كلية فلم يذكر امامته (١٦٥) .

أما المعلومات التي جمعها عنه صاحب القوطاس فتشير إلى أن أم علي هي رقية بنت اسماعيل بن عمير بن مصعب الأزدي ، وأن الأمير الصغير كان له من العمر عندما ولي ٩ (تسع سنوات) و ٤ (أربعة) أشهر فقط (١٦٦) . وتقرير أن والده الإمام الجديد عربية خالصة من أزد اليمن يعني أن مسألة تعريب المغرب الأقصى والدولة الإدريسية ، وهو الأمر الذي كان من أهداف الإدريسيين الأولين ، كان يسير نحو تحقيق أغراضه بخطى حثيثة . ومن الناحية الأخرى فإن وصوله الصبي الصغير إلى منصب الإمامة ، دون وصاية راشد جديد أو أبي خالده ، تعني أن الإمامة الإدريسية كانت قد مدت جذورها قوية في أرض فاس ، وانها كانت تستطيع الوقوف وحدها بعد نصف قرن من قيامها بين قبائل أوربة ، رغم الصراعات التي قامت بين أمراء الأدارسة أنفسهم ، ورغم ما أخذ على الأمير محمد ، والد علي ، من الانصراف إلى الشراب واللهو ، وأنشغاله بالنساء نتيجة لذلك .

وفي تقييم عهد الأمير علي بن محمد ، الذي توفي وهو في ريعان الشباب ، في الثانية والعشرين من عمره ، بعد ملك استمر ١٣ (ثلاثة عشر) عاما فقط ، نعتقد أنه لم يمارس ، حقيقة ، السلطان إلا في أخرياتهما ، لقول الرواية : انه « ظهر منه من الذكاء والتبل والفصل ما يقتضيه شرفه ونسبه الصحيح » (١٦٧) . وفي تفسير ذلك لا يتعدى الأمر الإشارة إلى أنه : « سار بسيرة

(١٦٢) انظر القوطاس ، ص ٣٢ ، وكارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ٤ ، والاستقصا (ط . الدار البيضاء) ، ج ١ ص ١٧٤ (حيث يقول انه لقب بحيدرة على لقب علي بن أبي طالب) .
(١٦٤) البكري ، ص ١٢٤ .
(١٦٥) ابن عذاري ج ١ ص ٢١١ : حيث يجعل الذي يل بعد محمد بن إدريس هي ابنته حبي من محمد أمر على ورقيقه في الملك .
(١٦٦) القوطاس ، ص ٣٢ .
(١٦٧) القوطاس ، ص ٣٢ .

أبنة وجده ، في : العدل والفضل ، والدئين ، والحزم واقامة الحق ، وتأسيس البلاد ، وقمع الأعداء ، وضبط البلدة والثغور ، (١٦٨) . والمقصود بتأسيس البلاد هو عمرانها وزيادة تحضرها . أما عن ضبط البلدة فالمقصود بها مدينة خاص قاعدة الدولة ، وما كان اليها من الأعمال ، مما يقع تحت الحكم المباشر للامام . بينما يقصد بالثغور أقاليم الدولة الادريسية المحيطة بأعمال فاس مما كان يقع عب ادارتها ، وقرار الامور فيها ، وحمايتها ، على من كان في حكمها من عمومة على وأبناء عمومته من أمراء الادارسة ، الذين أطلق عليهم اسم « الحسينين » ، كما عرفوا أيضا « بالقرشيين » (١٦٩) .

وهكذا عرفت البلاد في عهد على نوعا من الاستقرار لم تعرفه من قبل ، وتمتع الناس بالأمن والدعة ، الى أن وافته منيته في شهر رجب من سنة ٢٣٤هـ / يناير ٨٤٩ م ، وولى أخوه يحيى بن محمد بعد ملك دام ١٣ (ثلاثة عشر) عاما (١٧٠) .

٥ - يحيى بن محمد بن ادريس (٢٣٤ هـ / ٨٤٩ م - بعد ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م) :

رغم أهمية رواية البكرى بالنسبة لتاريخ الدولة الادريسية ، فمن الواضح أن البكرى يخطئ عندما يقول ان الذي خلف على بن محمد ، في ملك فاس هو ابن أخيه يحيى بن يحيى بن محمد (١٧١) ، اذ المعروف أن الذي خلف عليا هو أخوه يحيى بن محمد ، وان أين هذا الأخير ، وهو يحيى بن يحيى بن محمد ، خلف والده فكان سادس الادارسة ، وهذا ما يتضح من رواية القرطاس الذي يلخصه ابن خلدون (١٧٢) . أما ابن عذارى فانه الى جانب اسقاطه على ابن محمد ووضعه بدلا منه يحيى بن محمد ، فانه يضع أحداث ابن هذا الأخير وهو يحيى بن يحيى بن محمد ، في موضع والده ، فكانه أسقط أيضا عهد

(١٦٨) القرطاس ، ص ٣٢ .

(١٦٩) عن تسمية الادارسة بالقرشيين ، انظر البكرى ، ص ١٢٢ .

(١٧٠) القرطاس ، ص ٣٢ . وقارن ابن خلدون ، ج ٤٠ ص ١٥ الذي يلخص القرطاس طبعيا يتعلق بتاريخ الادارسة فيقول في عهد على بن محمد : « قام بأمره الأولياء ، والحاشية من العرب ، واوربة ، وسائر البربر ، وصنائح الدولة وبأيسره غلاما متبرعا ، قتلوا بأمره واحسنوا كماله وطاعته فكانت أيامه خير أيام » .

(١٧١) البكرى ، ص ١٢٤ .

(١٧٢) القرطاس ، ص ٣٢ (العبر ، ج ٤ ص ١٥) .

يحيى بن محمد ، وهذا ما سنشير إليه في موضعه (١٧٣) .

وهكذا عهد علي بن محمد لأخيه يحيى بن محمد بن إدريس الدي صار الإمام الخامس . وفي عهده تقول رواية القرطاس انه سار بسيرة أخيه وأبيه وجده (١٧٤) بمعنى انتهاز طريق العدل والفضل والدين وإقامة الحق ، الى جانب الحزم في إدارة البلاد وحماية الثغور . أما أكثر ما يستقطب اهتمام ابن أبي زرع في أيام يحيى بن محمد ، فهو ازدياد تحضر فاس ، وكثرة عمارتها ، وبناء ضواحيها الجديدة . فقد « قصد إليها الناس ، من : الأندلس ، وإفريقية ، وجميع بلاد المغرب ، فضاقت بسكانها ، فبنى الناس الأرباض بخارجها » (١٧٥) . ولقد اهتم الأمير يحيى بتزويد عاصمته بالمباني ذات المنافع العامة ، وخاصة الحمامات التي زعمت بها مدينة فاس ، وكذلك الفنادق التي أقيمت لخدمة الوافدين على المدينة من التجار وغيرهم (١٧٦) .

بناء جامع القرويين (٢٤٥ هـ / ٨٦٠ م) :

أما أشهر المباني التي أقيمت في فاس على عهد الأمير يحيى بن محمد ابن إدريس ، والتي ظلت مفخرة العاصمة الادريسية حتى أيامنا هذه ، فهو جامع القرويين . والحقيقة انه مع اتساع المدينة المزدوجة بعدوتها ، ونشأة الأرباض الجديدة حوالها ، كان من الطبيعي أن يزداد اتساع كل من جامعيها العتيقين ، وهما جامع عدوة القرويين المعروف بجامع الشرفاء ، وجامع عدوة الأندلسيين المعروف بجامع الأشياخ . بل وإن تظهر الحاجة الى بناء مساجد محلية جديدة تلبى حاجة المصلين الذين كانت أعدادهم تزداد مع ازدياد حجم المدينة وكثرة الوافدين على أحيائها من كل انحاء المغرب ، ومن الأندلس . وهكذا تم بناء جامع القرويين في سنة ٢٤٥ هـ / ٨٦٠ م على عهد يحيى بن محمد ، ولكن على أنه جامع « محلي » صغير (١٧٧) .

صاحبة البناء : فاطمة القروائية :

وفي بناء الجامع يقول ابن زرع صاحب كتاب القرطاس ان موضعه ، حين بنيت مدينة فاس ، كان « فضاء » يعمل بها أصناف الجبى ، وبسلا

(١٧٣) انظر فيما بعد ص ٤٦٨ (عن يحيى بن يحيى) .

(١٧٤) القرطاس ، ص ٣٢ .

(١٧٥) القرطاس ، ص ٣٢ . وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٥ .

(١٧٦) القرطاس ، ص ٣٢ . وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٥ .

(١٧٧) نفس المصدر . وقارن ذهرة الأس ، ص ٢٤ - ٣٥ .

أيضا أصناف من الشجر ، نرحل من هواراة عن والده ، وعندما أتى وقد
أهل القيروان إلى الامام ادريس بن ادريس ، بعياهم وأولادهم ، أنزلهم حول ذلك
الموضع من عدوة القرويين (١٧٨) ، التي نسبت إليهم . ويسبب بناء الجامع
إلى سيده قيراوية من هؤلاء الوافدين ، توصف بالبركة والصلاح ، هي أم
الناسم فاطمة بنت محمد الفهرى القيروانى . وكانت السيدة فاطمة قد
استقرت في ذلك الموضع من عدوة القرويين بصحة زوجها وأخت كانت لها .
وواضح من النص أن العائلة القرشية الأصل كانت موسرة ، وأنها كانت
قد حملت معها ثروتها من القيروان . فعندما توفي زوج السيدة فاطمة ، وكذلك
أختها « ورثت منهما مالا جسيما ، حلالا طيبا ، ليس فيه شبهة ، لم يتغير
بيعه ولا شراه ، فأرادت أن تصرفه في وجوه البر وأعمال الخير ، فمزمت على
بناء مسجد ، (١٧٩) » .

المال الحلال الصريف :

ونلاحظ أن اصرار النص هنا على أن المال الذي استخدم في بناء جامع
القرويين كان حلالا طيبا ، لا تشويه شائبة حتى من بيع أو شراء ، مما يسترعى
الانتباه فعلا . إذ الحقيقة أن أهل المغرب ، وكذلك الأندلس ، كانوا متشددين
في أمر سلامة الأموال التي تخصص لبناء المساجد عندهم ، بشكل لا نجد
له نظيرا في المشرق . وكانت أحسن الأموال التي تبني بها المساجد عندهم هي
أموال المغنم المأخوذة في الجهاد ، مما طهرته سيوف الشجعان وزكته دماء
الشهداء في ميادين القتال . وهذا ما سيحدث عندما شرع في توسيع نفس
الجامع ، عند ما غلب عبد الرحمن الناصر على بلاد العدو (المغرب) ، فبعث
« بمال كثير من أخماس غنائم الروم » لهذا الغرض (١٨٠) .

(١٧٨) القرطاس ص ٣٢ - حيث يفرد ابن أبي زرع فصلا كاملا عن تاريخ جامع القرويين
منذ بنائه سنة ٢٤٥ هـ / ٨٦٠ م ، إلى أيام تأليفه لكتابه سنة ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م ، ينتهي في
ص ٤٦ . وقلون تلخيص ابن خلدون ، ط . بيروت ، ج ٤ ص ٣٩ - ٣٠ .
(١٧٩) القرطاس ، ص ٣٢ - ٣٣ . ويضيف صاحب القرطاس رواية أخرى ، تقول إن
أخت السيدة فاطمة - التي عرفت أيضا بأم البني - كانت تسمى مريم ، وأنه كان لها فضل
بناء « جامع الأندلس » ، هو الآخر ، « من مال حلال طيب مودود عن والدها وأختيهما (نفس
الصفحة) ، مما يجعلنا نظن أن تلك الرواية الأخيرة ، ما هي في حقيقة الأمر إلا تحرير
للرواية الأولى ، قصد بها تكريم جامع الأندلس أيضا ، ولا نريد أن نقبح إلى أنها ربما
شكلت في نسخة الرواية الأولى الخاصة بالسيدة فاطمة وجامع القرويين .
(١٨٠) القرطاس ، ص ٣٤ . وفي التبتد والتدقيق في طهارة الأموال اللازمة لأعمال
التجديد والزيادة في المسجد ، ما تذكره الرواية من رفض قاضي قاس القليبي أبي عبد الله =

والهم ان السيدة فاطمة اشترت موضع الجامع بذلك المال الموروث خلافا
حليبا ، وشرعت في حفر الأساس والبناء في يوم السبت مستهل رمضان
المعظم سنة ٢٤٥ هـ / ٣٠ نوفمبر ٨٥٩ (١٨١) ، أي في السنة الثانية عشرة من
إمامة يحيى بن محمد بن آدريس .

مواد البناء الحلال الصرفة :

وفي نطاق فكرة استخدام المال الحلال الطيب ، الذي لا تشويه شائبة ،
ولا تناله شبهة ، تقول الرواية ان حجارة الكدّان التي استخدمت في البناء ،
وكذلك الطابية (الملاط) أتت من نفس أرض الجامع ، حيث « حفرت
» (السيدة) في وسطه فصنعت كهوا ، واقتطعت منها الكدّان ، وأخرجت
منها التراب والحجر والرمل الأصفر الطيب ، فبنت به الجامع المذكور كله
حتى تم ، ولم تدخل فيه من تراب غيره « (١٨٢) . والأمر كذلك بالنسبة للماء
الذي استخدم في البناء فقد حفرت السيدة الصالحة في أرض الجامع بئرا ،
هي الموجودة حاليا في الصحن ، « فكان البناؤون يسقون منها الماء لبناء
الجامع المكرم . . . لم تصرف فيه سواء ، احتياطا منها ، وتحريّا من الشبهة » .
« وظلت فاطمة القروية صائمة الى أن تم تشييد الجامع (١٨٣) » .

حجم الجامع الأول وأقسامه :

وبطبيعة الحال كان الجامع الذي بنته فاطمة القروية صغيرا ، اذ احتوى
على أربع بلاطات أي أروقة عرضية موازية لحائط القبلة وصحن صغير .
وذلك حسب رواية أبي القاسم بن جنون في تفسيره في تاريخ مدينة فاس (١٨٤) .
أما عن درج الجامع فيورد صاحب القرطاس رواية تقول ان طول حائط القبلة ،
وهو طول البلاطات ، ما بين الحائط الغربي والحائط الشرقي للجامع ، كان
يبلغ ١٥٠ (مائة وخمسين) شبرا ، وأن محراب الجامع كان في الموضع

= محمد بن دادر ما عرضه عليه أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين من أن تكون النفقة
من بيت المال ، اذ قال القاضي : « سأل الله أن يثنيها عنه من مالها الذي يجمع من أحباسها
(أو قالها) بأيدي الوكلاء » - القرطاس ، ص ٣٦ -

(١٨١) القرطاس ، ص ٣٣ (زهرة الأس : ص ٣٥) .

(١٨٢) القرطاس ، ص ٣٣ (زهرة الأس : ص ٣٥) .

(١٨٣) البرطاني ، ص ٢٣ .

(١٨٤) القرطاس ، ص ٣٣ .

الذي تطل عاياه الثريا ، على أيام المؤلف (١٨٥) ، في أوائل القرن الثامن الهجري (١٤١ م) ، بمعنى أنه كان في موضع منتصف بين الصلاة حينئذ - وتضيف نفس الرواية أن السيدة فاطمة بنت في الجامع صومعة غير مرتفعة ، أي مناسبة لحجم البناء ، وذلك في الموضع الذي كانت توجد فيه القبلة « التي على رأس العنزة » ، على عهد صاحب روض القرطاس (١٨٦) .

الزيادة في الجامع على عهد زفانة :

وبقى جامع فاطمة محليا إلى أن انقضى ملك الإدارة في فاس . وعندما آل حكم المدينة إلى زفانة تحت رعاية الأمويين في الأندلس ، وضاق مسجد الشرفاء الجامع بالمصلين زيد في جامع القرويين زيادة كبيرة ونقلت إليه الخطبة ، بعد أن « صنعوا به منبرا من خشب الصنوبر ، وذلك في سنة ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م (١٨٧) ، وهذا ما سنعود إليه في موضعه (من الجزء الثالث) ، انشاء الله .

وبعد بناء القرويين لا نجد ذكرا للأمير يحيى بن محمد الذي يمكن تلخيص عهده ، في حسن السيرة ، وانتشار الأمن والسعة بين الناس ، مما أدى إلى نهضة عمرانية طيبة شهدتها فاس التي زهت بمساحدها ، وفنادقها ، وحماماتها . وكان للأمير نصيبه في هذه النهضة . وكذلك أرباب الدولة والمتيسرين من الناس . وعندما توفي يحيى بن يحيى بن محمد بن إدريس خلفه في الإمامة ابنه وسميه : يحيى بن يحيى في تاريخ لا تحدده لنا المصادر الأساسية .

(١٨٥) القرطاس ، ص ٣٣ (زهرة الأس ، ص ٣٥) - ونلاحظ هنا أن الرواية اهتمت بقياس بلاطات الجامع التي تماثل طول صفوف المصلين ، وأصلت ذراع عتق بيت الصلاة الذي يماثل مقياس عرض البلاطات الأربعة ، مما كان يسمح بمعرفة عدد المصلين الذين كان يمكن للمسجد احتوائهم في ذلك الوقت عن طريق حساب عدد صفوفهم .

(١٨٦) ابن أبي زرع ، ص ٣٣ .

(١٨٧) القرطاس ، ص ٣٣ - وقول نفس الرواية أن الزفانية زادوا أيضا إلى جامع الأندلس زيادة كبيرة ، « حدودها ظاهرة باقية إلى الآن » ، وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٥ (حيث النص على بناء الصرمة في سنة ٣٤٥ هـ ، بعد مائة سنة من اختطاط الجامع - وذلك « حسبما هو منقوش في الحجارة في الركن الشرقي منها » - أما عن نقل الخطبة لتجد رواية أخرى تقول أن ذلك تم في سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م ، على عهد حامد بن يحيى الهمداني ، عامل عبيد الله الشيباني على المغرب ، الذي نقل الخطبة أيضا من جامع الأشياخ مدونة الأندلس إلى جامع الأندلس الذي نسبته بعض الروايات إلى السيدة مريم القروية أخت السيدة فاطمة - كيسة - سبقت الإشارة ، هـ ١٧٩ ص ٤٦٥ -

٦ - يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس :

نظرة فاحصة في المصادر :

والحقيقة انه مما يسترعى الانتباه أننا لا نفتقد - منذ الآن - التوثيق الدقيق ، الخاص بولاية الأئمة وبوفاتهم ، وبالتحديد عهد كل أمير بالسنوات والأشهر والأيام ، وهو الأمر الذي اهتم به المؤرخون كثيراً ، بل أننا نفتقد أية إشارة الى التوثيق أو التاريخ فيما يتعلق بوفاة يحيى بن محمد ثم بولاية ابنه يحيى بن يحيى ، وهو الأمير الادريسي السادس وكذلك من أتى بعدهم من الأمراء . وغيباب التحديد التاريخي هذا يدعو ، في أغلب الظن ، الى الشك في صحة ترتيب أمراء الادارسة الذين يلون على بن محمد ، وهو الأمر الذي يؤيده اختلاف كل من البكري وابن عذارى وابن ابي زرع فيمن أتى بعد على بن محمد ، كما سبقت الإشارة . ونحن نظن أن الأمر اختلط على البكري عندما ذكر ولاية يحيى بن يحيى بن محمد بعد ولاية على بن محمد ، بدلا من وضعها في موضعها الصحيح هنا ، ولهذا حاول تبرير هذا اللبس ، فقال : ان يحيى بن يحيى بن محمد الذي قصده هو ابن احمى على ابن محمد ، والصحيح انه أخوه يحيى بن محمد ، كما رأينا .

ولقد سرى اللبس الى ابن عذارى عندما أسقط عهد على بن محمد ، ووضع مكانه أخاه يحيى بن محمد ، ولكن الأمر اختلط عليه ، مرة أخرى ، عندما سجل أحداث المملكة الادريسية في عهد يحيى بن يحيى بن محمد ، على أنها جرت في عهد والده يحيى بن محمد (١٨٨) ، وهذا ما يتضح من المقارنة مع البكري وصاحب روض القرطاس الذي يأخذ عنه ابن خلدون .

تقسيم المملكة :

والذي يسترعى انتباه كل من البكري وصاحب القرطاس هو النهاية القصصية التي ختم بها يحيى بن يحيى حياته السياسية في بعض حكامات خاص . وهكذا لا نجد اشارات الى الحياة السياسية في عهد الأمير الا في ابن عذارى . فغني بديلة إمارة يحيى بن يحيى ، قسم المملكة الفاسية الى ثلاثة أقسام إدارية عهد بها الى أعمامه وأخواله على الوجه التالي :

- ١ - القبلية من مدينة فاس الى أغمات ، وعهد بها الى حسين ، منهم .
- ٢ - المشرق من مدينة فاس الى مكاسة وهوارة وصريته ، رولى عليا داود .
- ٣ - المغرب من مدينة فاس الى لهانة وكتامة ، وعهد بها الى القاسم (١٨٩) .
- ٤ - وبذلك تبقى المنطقة الرابعة الى الجوف أى الشمال من قسبة الديار الإدريسية فاس ، ونظن أنها كانت تابعة لادارة يحيى بن يحيى ، أى لحكم الحكومة المركزية مباشرة .

وتضيف رواية ابن عذارى الى ذلك ان يحيى بن يحيى : « تشاغل عما كان يحق عليه من سياسة أمره » ، وأن أخوته انتهزوا الفرصة ، فملكوا أنفسهم واستأثروا بحكم ولاياتهم ، واستمالوا القبائل ، وقالوا لهم : انما نحن أبناء اب واحد . وانتهى الأمر فعلا باستقلالهم عن فاس ، اذ قدمهم البربر على أنفسهم ، تقديما كلياً ، كما تقول الرواية (١٩٠) .

نهاية يحيى بن يحيى فى مغامرة نسائية فى بعض حمامات فاس :

وواضح من النصوص ان حياة اللهو التى أخذت تعرفها فاس ، تقلا عن عاصمة الخلافة بغداد فى المشرق ، أو عن طريق قرطبة عاصمة الأندلس ، استبدت بالأمير يحيى بن يحيى ، فانصرف الى التمتع ببهاج الحياة ، من الانهماك فى الشراب ، والهيام بالنساء (١٩١) . والظاهر أن الحمامات فى فاس ، مثلها مثل الحمامات فى العواصم العربية الأخرى ، كانت قد أصبحت من المؤسسات الهامة فى حياة المدينة . فقد كانت تقوم بدور رئيسى فى نظافة أهل المدينة والمحافظة على صحتهم ، كما كان لها دورها كمراكز اجتماعية وثقافية يستفيد منها الجميع رجالا ونساء من مسلمين وأهل ذمة . وهكذا كانت هناك أوقات معينة تخصص فيها الحمامات لاستقبال النساء ، وكانت تلك فرصة يحاول فيها العابثون من الشباب ، ممن تستهويهم المغامرات النسائية ، تحقيق بعض مآربهم الخبيثة ، وكان بعضهم لا يتورع

(١٨٩) انظر ابن عذارى ، ج ١ ص ٢١١ .

(١٩٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢١١ .

(١٩١) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢١١ - ٢١٢ . وانظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٥ (حيث

فاساء السيرة وكثر عهته فى الحرم) .

عن استخدام أساليب عربية من التمويه كالتخفى فى زى النساء مثلا - وهو الأمر المعروف .

والظاهر أن أميرنا يحيى بن يحيى بن محمد تشاغل عن سياسة دوله بالاستغراق فى اللهو والشراب والغرام بالنساء الى حد العبث فبعلا ، والخروج عن المألوف . فلقد أساء السيرة ، كما تقول رواية القرطاس ، وهام بفتاة من بنات اليهود ، اسمها حقة ، توصف بأنها كانت من أجمل نساء عصرها . وتهور يحيى فى هيامه بالفتاة حتى دخل عليها الحمام ، فى غفلة من المشرئين عليه . وفشلت المحاولة الحمقاء فى الوصول الى جمال اليهودية الفاتنة ، اذ استغاثت فبادر اليها الناس ، ولم يفلت الأمير العايب الا بشق الانفس ، بعد أن انكر الجميع هذا الفعل الفاضح ، وتغير عليه أهل مدينة فاس (١٩٣) .

تحرك أهل فاس :

ما بين الثورة والأمر بالمعروف :

وكانت المفامرة النسائية المشنومة سببا فى هلاك يحيى بن يحيى . فلقد استغل موجة السخط الشعبى فى فاس أحد زعماء العرب ، وهو عبد الرحمن بن أبى سهل الجذامى ، الذى سار على رأس العامة نحو القصر الأميرى ، وهم يزعمون التخلص من أميرهم الفاسق - والظاهر أن يحيى الذى جلله العار ، لم يجد من يدافع عنه من جنده أو أصحابه ، حتى أن زوجته التى غرر بها وهى قرييته : عاتكة بنت على بن عمر بن إدريس ، اشفقت عليه من القتل ، ونصحته بالفرار الى عدوة الأندلس (١٩٣) .

واذا كانت الروايات تجمع على أن يحيى بن يحيى مات فى عدوة أندلس فى نفس الليلة التى فر فيها ، مما يمكن أن يفهم منه أنه مات أسىامة ، كما يظن صاحب روض القرطاس (١٩٤) ، فأغلب الظن أنه مات متأثرا

(١٩٢) القرطاس ، ص ٥١ ، البكرى . ص ١٢٤ (حيث نجد اسم اليهودية « حقة ») ، عذارى ، ج ١ ص ٢١٢ (حيث ينسب الرواية خطأ ، كما أضربنا ، الى يحيى بن محمد) .
(١٩٣) القرطاس ، ص ٥١ ، البكرى ، ص ١٢٤ - ١٢٥ : حيث تقول الرواية انه فر ، تخرج معه زوجته هاتكة . ودار ابن خلدون (ج ٤ ص ١٥) الذى يتورع عن التصيل نلا : « وثارت به العامة لمركب متبع آتاه » .
(١٩٤) انظر القرطاس ، ص ٥١ ، البكرى ، ص ١٢٥ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢١٢ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٥ (حيث نجد اصطلاحا الى النص اذ يقول : « فتوارى ليلتين ، وماز اسمها ليلته ») .

بحراة ، وهو يفر أمام مطارديه من أهل عدوة القرويين .

عبد الرحمن بن أبي سهل يتغلب على فاس :

وبحوت يحيى بن يحيى في عدوة الأندلس سقطت فاس ، ثمرة ناضجه ، بين يدي عبد الرحمن بن أبي سهل ، الذي بدأ أمرا بالمعروف وصار ما بين ليلة وضحاها متغلبا على عاصمة الحسينيين في المغرب . ولكن عاتكة زوجة يحيى بن يحيى لم تقف مكتوفة الأيدي ، بعد أن فشلت نصيحتها لزوجها بالفرار أمام خصومه ، فكتبت إلى أبيها علي بن عمر بن إدريس ، وإلى بلاد صنهاجة وغمارة في إقليم الريف ، تخبره بما حدث في فاس : من الثورة على زوجها ، وتغلب عبد الرحمن بن أبي سهل على المدينة .

انتقال الملك إلى بيت عمر بن إدريس :

٧ - علي بن عمر بن إدريس أماما :

وكانت فرصة استغلها علي بن عمر ، فجمع جيوشه وحشده ، وقصد إلى مدينة فاس . والظاهر أن عبد الرحمن بن أبي سهل اكتفى بتسليم العاصمة للامير الإدريسي دون مقاومة ، إذ لا تشير النصوص إلى أعمال حربية بين الطرفين ، مما يعني أن التأثير الجذامي لم يعدل في مطالبه ، إلى أكثر من : إقامة العدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهكذا فتحت عدوة القرويين أبوابها إلى علي بن عمر ، كما رحبت به عدوة الأندلس بعد ذلك ، فأصبح سييدا لمدينة فاس شقيقها علي ضفتي النهر (١٩٥) . وباستقرار علي بن عمر في فاس دانت له كل بلاد المغرب ، وخطب له على جميع منابرها ، وبذلك انتقلت إمارة الإدارة من بني محمد بن إدريس إلى بني عمر ابن إدريس (١٩٦) .

وللاسف تفعل مصادرنا الرئيسية كالبكري وابن عذاري الإشارة إلى

(١٩٥) انظر البكري . ص ١٢٥ . ابن عذاري ، ج ١ ص ٢١٢ (حيث يقول النص انه دخل عدوة القرويين) ، وقاؤون القرطاس . ص ٥١ (حيث ينص على دخولهم عدوة القرويين) .

(١٩٦) القرطاس . ص ٥١ . البكري . ص ١٢٥ . ابن عذاري ، ج ١ ص ٢١٢ . ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٥ (حيث يقول ان الذي استندى على بن عمر هم أهم الدولة من العرب والبربر والموالي) .

تواريخ تلك الأحداث ، كما لم يستطع صاحب روض القرطاس ، عندما حاول تحديد ولاية علي بن عمر ، إلا القول : انه يبيع بعد وفاة يحيى بن يحيى ابن محمد ، مع أنه كانت قد حدثت أحداث مهمة فيما بين وفاة يحيى وقدم علي الى فاس . بينما نجد بياضا في موضع التاريخ في عبر ابن خلدون . مما يعني أن المؤرخ كان يرجو أن تمنح له الفرصة ، فيما بعد ، لمعرفة التاريخ وتسجيله . وسيظل الحال على هذا الموال من انتقاد النوايرخ والتحديثات الزمنية الى سنة ٢٩٢ هـ / ٤ - ٩٠٥ م ، وهي السنة التي هلك فيها يحيى بن القاسم ، المشهور بالموام ، الذي خلف علي بن عمر في أمانة فاس ، أثر الثورة الخارجية الجامعة التي عصفت بملكه .

الأندلس والفكر الخارجي :

عبد الرزاق الفهرى الصفرى ، واستمرار هبوب رياح الخارجية من الأندلس الى المغرب ،

فاذا كان علي بن عمر قد وصل الى الملك عبر الثورة الشعبية التي ترعها أحد رؤساء العرب من الحذاميين ، وهو عبد الرحمن بن أبى سهل ، احتجاجا على سوء سلوك يحيى بن يحيى بن محمد ، فإن ملكه هذا قد ضاع في ثورة عارمة أخرى ، قام بها الربير من الخوارج بقيادة أحد رعاء العرب من الفهرين ، هو عبد الرزاق المشهور بالخارجي . والذي يلفت النظر في تلك الثورة ، هو ما يقوله الكتاب ، من : أن صاحبها عبد الرزاق أصله من بلاد الأندلس ، من مدينة وشقة (١٩٧) ، في إقليم الثغر الأعلى ، فيما وراء سرقسطة وحوض الأبره . فذلك يعني أن بلاد الأندلس اذا لم تكن أرضا صالحة لنمو مذاهب الخوارج ، تماما كما كان حالها بالنسبة لمذاهب الشيعة ، فانها نجحت منذ وقت مبكر في بذر بذور الخارجية في أرض المغرب ، بل وكذلك المذاهب لتحرفة التي سميت بالزندقة والكفر .

هكذا يشير الكتاب الى علاقة وثيقة بين طريف ، أول فاتحي الأندلس بن ميسرة المدغرى الصفرى ، أول كبار ثوار الخوارج في المغرب ، ثم الى لاقة بين زندقة برغواطة في السيم تامسنا وبين رجل برباطى أى من وادى باط بجنوب الأنديس ، وذلك قبل مجيء ثائرا عبد الرزاق الوشقى الأنديسى . والذي نريد أن نرج به من ذلك هو أنه ، اذا كان التشيع لآل

البيت من المسنين قد حل بين بربر المغرب الأقصى محل الفكر الخارجي الصغرى ، بفضل هجرة أدريس الأول ، وما تلاها من استمرار هجرة العلويين من أقاربه ، ومن شيعتهم ، فان ذلك لم يعن اندثار الحركة الخارجية والفكر الصغرى تماما من بلاد فاس . فقد كانت الحياة تدب فيه خفية كالجمر تحت الرماد ، وكانت هبة نسيم من هنا أو من هناك تكفى لاشعال جذوته من جديد ، وكانت بلاد الاندلس ، وهى المالكية المتعصبة للذهبها ، تشارك فى اشعال نار الخارجية فى المغرب ، كما نرى .

دعوة عبد الرزاق فى جبال فاس :

وإذا كنا لا نعرف الظروف التى أدت الى هجر عبد الرزاق بلاده فى ثغر الأندلس الأعلى فى النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى (٩ م) ، فمن المعروف أنه استقر فى الاقليم الجبلى الواقع فى قبلى مدينة فاس حيث كانت قبائل مديونة (١٩٨) ، وهو الاقليم الذى كان تابعا للعاصمة الادريسية ، على مسيرة يوم ونصف يوم منها ، ويسميه صاحب القرطاس بجبال وبلاو (١٩٩) . وأغلب الظن أن عبد الرزاق بدأ دعوته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما جرت العادة عند الخوارج ، بل وعند غيرهم من دعاة الإصلاح ، ومن المرجح أن تكون سيرة أمراء الادارسة فى فاس وفى غيرها من البلاد ، تسمح بالاصغاء لمثل تلك الدعوة ، بعدما استهوتهم عيشة الترف وانصهروا للتمتع كلية بمباهج الحياة .

دار هجرة أو ثغر أندلسى فى بلاد الادارسة ، وشقة الجديدة :

والمهم أن دعوة عبد الرزاق لقيت نجاحا فى جبال مديونة ، كما تب خلق كثير من بربر غياتة ، وغيرهم من القبائل . وعندئذ بنى قلعة منيفة كما يقول صاحب القرطاس بجبل سمل بجوار بلاد مديونة ، وسمّاها وشقة (٢٠٠) ، تعبيرا عن حنينه الى بلاده ، ومسقط رأسه فى الثغر || بالأندلس ، وأعلنا عن أن جهاد الفساق من المسلمين لا يقل قدرا عن - الأعداء من المسيحيين .

(١٩٨) الكرى ، ص ١٢٥ ، وقارت ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٥ : حيث القى « عبد الرزاق » التى أخذها بها بدلا من « عبد الرزاق » ، وفى ط - بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٣٠ « بحال متونة » خطأ ، بدلا من جبال مديونة .

(١٩٩) القرطاس ، ص ٥١ .

(٢٠٠) أنظر القرطاس ، ص ٥٨ - حيث يقول ابن ابي - ذرع لها كانت باقية بتلك

الساحية على أيامه . فى أوائل القرن ٨ هـ / ١٢ م .

الزحف من وشقة على فاس :

وعندما اشتد ساعد عبد الرزاق وكثر اتباعه راودته فكرة القضاء على دولة الحسينيين الادريسية ، فسار بقواته نحو الشمال في اتجاه قاعدة الديار ، مدينة فاس . ونجح عبد الرزاق في دخول مدينة صفروا ، على بعد حوالي ٣٠ كم من فاس ، دون صعوبة ، مما شجعه على مواصلة المسيرة . وعندما استشعر على بن عمر بخطورة الثورة الصفرية المقبلة من الجنوب كالمصفاة ، قرر الخروج للقاء عبد الرزاق ، بعد أن حشد له عسكريا عظيما . ودارت الحرب مجالا ، بين الجيوش الادريسية وبين حشود الثوار الصفرية ، في عدة لقاءات عظيمة . وانتهت المعارك الدامية بخسائر جسيمة في صفوف القوات الفاسية ، وبهزيمة شائنة لعل بن عمر الذي فر ناجيا بحياته الى بلاد أوربة (٢٠١) ، مهد الدولة الادريسية الاول ومادة وجودها .

الصفريه يدخلون عدوة الأندلس ، وعدوة القرويين تستنجد يحيى العوام :

والحقيقة انه اذا كان دخول عبد الرزاق الصفري مدينة فاس ، بعد انتصاره على الأمير علي بن عمر ، يبرر عدم التجاء هذا الأخير إلى عاصمته ، وهروبه الى بلاد أوربة ، فإن امتناع القسم الملكي من فاس وهو عدوة القرويين على الثائر الخارجي الذي لم يتمكن الا من دخول عدوة الأندلس حيث خطب له ، يبرر النظر في أن علي بن عمر لم يكن موفقا في قراره بعيدا عن قاعدة ملكه . فلقد أصبح تقاعسه عن مواصلة النضال في حاس بمثابة تسليم أمام خصمه ، وتسليم بالعجز أمام رعيته . وذلك أن أهل عدوة قرويين ، عندما نجحوا في رد الخارجي عن مدينتهم لم يفكروا في عودة هم الهارب ، بل راسلوا أميرا ادريسيا آخر ، هو يحيى بن القاسم بن يس ، المعروف بالعوام ، ودعوه الى تسلم مقاليد أمورهم . ووصل يحيى ، القاسم الى فاس ، ودخل عدوة القرويين حيث تمت له البيعة بالإمامة ، وقع على عاتقه إطفاء نار الفتنة الحارجية (٢٠٢) .

(٢٠١) انظر القرطاس . ص ٥١ . البكري . ص ١٢٥ . ابن عذاري . ج ١ ص ٢١٢ .

(٢٠٢) انظر القرطاس . ص ٥٢ . البكري . ص ١٢٥ . ابن عذاري . ج ١ ص ٢١٢ .

اس حلدون ، ج ٤ ص ١٥ (حيث القراة « الصرام » خطأ مثلا من « الصرام ») .

٨ - يحيى العوام بن القاسم بن اندريس :

استعادة عدوة الأندلس ، والقضاء على ثورة مديونة وعبد الرزاق :

كانت مبايعة يحيى بن القاسم في عدوة القرويين ، وبقاء عدوة الأندلس موالية لعبد الرزاق الخارجي ، تعنى نوعا من تكريس الانفصال بين كل من الحين الكبيرين اللذين يكونان مدينة فاس . ويمكن تفسير وقوف عدوة الأندلس الى جانب عبد الرزاق على أنه نوع من تعاطف أهلها الأندلسيين ، أصلا ، مع ابن بلدهم ثائر وشقة ، فكان قسمي مدينة فاس طلا ، بعد حوالى قرن من بنائها متشبهين بعصبيتها الاقليمية ، من : أندلسية وقيروانية . ومن الواضح أن العصبية الأندلسية كانت تمثل المزاج الثورى العاد ، بينما مثلت العصبية القيروانية المزاج الهادئ الذى يعيل الى الدعة ويركن الى الاستقرار .

وهكذا قاد يحيى العوام أنصاره من أهل عدوة القيروان فى صراع مرير ضد جيرانهم أهل عدوة الأندلس ومن معهم من خوارج مديونة ، ونجح فى هزيمة عبد الرزاق الصغرى وإخراجه من المدينة ، وذلك « فى خبر طويل » رأى ابن عذارى - للأسف - أن يعفينا من سرده (٢٠٢) .

بيعة أهل عدوة الأندلس ، وتركيبهم العنصرى :

وتقول رواية ابن أبى زرع انه عندما دخل يحيى العوام عدوة الأندلس بايعة أهلها وجميع من بها من الأندلس الذين نزلوا بها «من الربضيين» . مما يفهم منه أن أهل عدوة الأندلس لم يكونوا جميعا أندلسيين أصلا . ظلت جمهورتهم من المغاربة البربر ، مما يزيد فى تفسير استجابتهم لعبد الرزاق ومن كان معه من بربر مديونة وغياثه وغيرهم . ولكنه رغم وجود المغاربة

(٢٠٢) البيان ، ج ١ ص ٢١٢ ، البكرى . ص ١٢٥ ، وأنظر القوطاس ص ٩٠ .

(٢٠٤) القوطاس ، ص ٥٢ - حيث القراءة اللربضيين « بدلا من الربضيين » .

فقد كان التفوق في العدو للأندلسيين من غير شك - يؤيد ذلك ما تقوله الرواية من أن يحيى بن القاسم استعمل على عدو الأندلس ثعلبة بن محارب أبو عبد الله ، الذي تصفه بأنه : « من أهل الربيض من شلونة » (٢٠٥) .

ولما كان المعروف أن أهل الربيض الذي استقروا في فاس عند انشائها ، هم قرطبيون ، فإن ذلك يعنى أن ثعلبة بن محارب كان أندلسيا ، وقد على فاس من شلونة في فترة لاحقة وهو الأمر المقبول ، إذ كان نشاط الوافدين من الأندلسيين في المغرب وخاصة في سواحله وفي جزر البحر ، مستمرا منذ مطلع القرن الثالث الهجرى (٩م) ، كما يتضح من النصوص وخاصة في كتاب البكرى .

أسرة أميرية أندلسية ، مهلبية الأصل ، لعدو الأندلس :

والهم أن يحيى بن القاسم عندما اطمأن إلى استقرار الأمور في عدو الأندلس بفضل ثعلبة بن محارب ، خرج من فاس متتبعا أثر عبد الرزاق الخارجى ، إلى أن قضى عليه في حروب عظيمة وقائع كثيرة ، كما يفهم من رواية ابن أبي زرع (٢٠٦) . ولم يزل ثعلبة بن محارب واليا على عسيرة الأندلس في فاس إلى أن توفي في تاريخ لا نعرفه ، وعندئذ عهد الأمير يحيى ابن العوام بحكم العدو إلى ابنه عبد الله بن ثعلبة ، الذي خلفه في الولاية ولده محارب بن عبود بن ثعلبة (٢٠٧) ، مما يعنى أن عبد الله بن ثعلبة كان يعرف بعبود (٢٠٨) ، حسب الطريقة المفريية في تحوير الأسماء .

ولما كان ولاية عدو الأندلس هؤلاء من عرب الأزد الذين ينحدرون من صلب المهلب بن أبى صغرة ، كما ينص على ذلك الكتاب ، فإن هذا الأمر يعنى أن يحيى العوام كان يدبر لاقرار الأمور في عدو الأندلس عن طريق

(٢٠٥) القرطاس ، ص ٥٢ . وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٥ . الذى ينص على أن ثعلبة كان من أهل الربيض بقرطبة .
 (٢٠٦) القرطاس ، ص ٥٢ .
 (٢٠٧) القرطاس ، ص ٥٢ .
 (٢٠٨) انظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٥ .

صسطها بأيدي أفراد من الأسرة العربية الشهيرة التي كان لها شأنها في محاب الخوارج في المشرق ومي المغرب . فقد توالى هؤلاء في تسلسل يمكن أن يشبه بأسرة أميرية أشبه بتلك التي كونوها في إفريقية ، على أوائل أيام العباسيين والتي كان من أبرز أمرائها : عمر بن حفص المعروف بهزار مرد .
١ (الالف ، جل) ، ويزيد بن حاتم الذي ضرب به المثل في الكرم (٢٠٩) .

وطالت أيام يحيى بن القاسم في إمارة فاس ، وما والاها من البلاد والإقطار والقلاع ، إلى سنة ٢٩٢ هـ / ٤ - ٩٠٥ م (٢١٠) ، حيث مات في الحرب . التي شنها عليه ربيع بن سليمان ، والتي لا يمدنا الكتاب بشيء من تفصيلاتها (٢١١) ، وخلفه في الإمامة قريبه يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس الإمام ، حفيد عمه .

عودة الإمامة إلى بني عمر بن إدريس ، ودخول فاس في طاعة الفاطميين :

٩ - يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس (٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م - ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م :

ويمر الكتاب سريعا على تلك الفترة الأخيرة من تاريخ الدولة الإدريسية ، فلا نعرف عن الظروف التي ولى فيها يحيى الرابع بن إدريس إلا أنه تقدم ، بعد مقتل بن عمه العوام ، من مدينة الزيتون (مكناسة) التي كانت قاعدة ملكه (٢١٢) ، إلى فاس حيث بايعه أهل المدينة بشاطينها : عدوة القرويين وعدوة الأندلس ، وتمت له الخطبة على منبريهما . وعن هذا الطريق أصب يحيى الإمام الإدريسي التاسع ، ودانت له أعمال المغرب بالطاعة (٢١٣) .

(٢٠٩) انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٣٥١ .

(٢١٠) انظر ابن عذاري ، ج ١ ص ٢١٢ ، البكري ، ص ١٢٥ ، ابن خلدون ، ج

ص ١٥ ، وقارن القوطاس ، ص ٥٢ ، الذي اخطأ في نسخ هذا التاريخ فجعله في سنة ٢٧٢

٨٥ - ٨٨٦ م .

(٢١١) نفس المصادر .

(٢١٢) البكري ، ص ١٢٥ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٢ ص ١٥٠ .

(٢١٣) انظر القوطاس ، ص ٥٢ .

تقديم يحيى بن ادريس

وإذا كان البكري موافقاً لعداري يمران مروراً خاطفاً على عهد يحيى ابن ادريس فيكتفيان بالاشارة الى بدء ملكه سنة ٢٩٢ هـ/ ٩٠٥ م ، ثم الى زوال سلطانه بقتلهم مصالة بين حيوس قائد عبيد الله المهدي الى فاس سنة ٣٠٥ هـ/ ٩١٧ م ، فان الفصل يرجع الى ابن أبي ررع صاحب كتاب روض القرطاس ، في جرح بعض المعلومات ، التي لخصها ابن خلدون ، عن شخصية يحيى بن ادريس . وتصور تلك المعلومات يحيى الرابع على أنه أعظم ملوك الأدراسة ، فقد جمع بين : علو القدر ، وبعد الصيت وطيب الذكر ، وقوة السلطان ، كما جمع بين : البطولة والشجاعة والحزم ، والصلاح ، والدين ، والورع ، بشكل : « لم يبلغ أحد من الأدراسة مبلغه » . وفوق هذا وذاك : « كان فقيهاً حافظاً للحديث ذا فصاحة وبيان ولسان (٢١٤) » .

وصول الفاطميين الى المغرب الأقصى :

وإذا صح ذلك فلا شك أن بلاد الأدراسة لم تكن حسنة الحظ إذ قدر لها مثل هذا الامام المتألي في تلك الفترة الحرجة من تاريخ المغرب ، حيث كان الفاطميون على وشك القضاء على دول المغرب القائمة وقتذاك ، ابتداء من دولة الأغالبة ، وختاماً بدولة الأدراسة ، وتوحيدها تحت راياتهم المظفرة ، وفي ظل آل البيت من « الحسينيين » ، هذه المرة .

هكذا حكم يحيى بن ادريس في فاس من سنة ٢٩٢ هـ/ ٩٠٥ م الى سنة ٣٠٥ هـ/ ٩١٧ م ، حينما قدم مصالة بن حبوس المكناسي الى بلاد الأدراسة ، خضع له بعض الطامعين في ملك الأدراسة من زعماء زناتة ، مثل : موسى بن أبي العافية الذي قدم له المعوفة وحارب الى جانبه (٢١٥) ، وضعف أمامه البعض . مثل : بني صالح الذين جلوا عن ديارهم في بلد فكور (٢١٦) ، ودالعه البعض بدون جدوى ، مثل : يحيى بن ادريس الذي أنهزم أمامه واضطر الى الاعتراف

(٢١٤) القرطاس ، ص ٥٣ . طاقون ابن خلدون . ج ٤ ص ١٥ .

(٢١٥) القرطاس ، ص ٥٣ .

(٢١٦) البكري ، ص ١٣٥ .

يامامة عبيد الله (٢١٧) ، فلم تقم له قائمة بعد ذلك ٢٠ ، وإن كان قد استمر في الحكم إلى سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م . وهي الأمر التي ستعود إليها عندما نعالج تاريخ الدولة الفاطمية .

أما عن قيام الفاطميين فنرى أن يكون المدخل الطبيعي له هو رسم صورة لبلاد المغرب قبيل مطلع القرن الرابع الهجري (٨٠٠م) ، تبين فيها الدروس المستفادة من البحث في تاريخ الأغالبة والرسامين والمدارين والأداسة على المستويين السياسي والحضاري ، مما يمكن أن يوضح الظروف التي أدت إلى سقوط دول عصور الاستقلال الأولى ، وتوحيد المغرب تحت رايات الفاطميين . وفوق أسنة رماح الكتامين . وهي الدروس التي يمكن أن تكون مفيدة أيضا بالنسبة لمرحلة ما بعد الفاطميين من عصور الدول المغربية حقا والمستقلة تماما .

(٢١٧) الفطاس ، ص ٥٣ (ابن خلدون ، ج ٢ ص ١٦) .

(٢١٨) البكري ، ص ١٢٥ .

الفصل السادس

الخريطة السياسية الحضارية لبلاد المغرب
في أواخر القرن الـ ٣ هـ / ٩ م

من ذلك المرض الذى قدمناه لتاريخ بلاد المغرب خلال القرن الثالث
لهجرى ٩٠ م يتضح لنا ما يأتى :

٤ - الواقع السياسى :

كانت خريطة البلاد السياسية تشتمل ، أساسا ، على أربع دول
هى :

من المشرق إلى المغرب - دولة الأغالبة فى أفريقية (أى البلاد التونسية) ،
ودولة الرستميين فى المغرب الأوسط أو إقليم تاهرت (من البلاد الجزائرية) ،
وامارة المدرايين فى سجلماسة (تفللت) ووادى درعة (فى صحراء المغرب
الجنوبية) ، ودولة الادارسة فى المغرب الأقصى فى منطقة قاس ووادى سبو .
والى جانب هذه الدول الأربعة لا ينبغي أن نغفل كلا من مصر الطولونية فى
المشرق ، والأندلس الأموية فى أقصى المغرب . فقد كانت لمصر حدودها المشتركة
مع مملكة الأغالبة فيما بين برقة وطرابلس ، وكان للأندلس حدودا بحرية
مشتركة مع الادارسة عبر بحر الزقاق (مضيق جبل طارق) الذى كان
يربط بين العدوتين . (الشاطئين) : الأفريقية والأوربية . والذى يمكن ملاحظته
هو أنه رغم استقلال كل من دول المغرب الأربعة فإن الأوضاع السياسية فى
كل منها كانت رهنا بأوضاع البلاد الأخرى ، إذ كانت لأحداث كل إقليم
آثارها المباشرة فى الإقليم المجاور : كرد فعل طبيعى لتلك الأحداث . هذا
كما كان لتدخل خلافة بغداد ، بصفتها صاحبة السلطة الشرعية فى كل
ولايات الدولة الإسلامية ، آثارها المباشرة فى تلك الأحداث السياسية التى عرفت البلاد . بشكل ملموس أو بطريقة خفية ،

موجب منقضى الظروف والأحوال . وهذا ما نحاول الإشارة إليه ، في كل من تلك الدول .

١ - دولة الأغلبية :

فقد كانت دولة الأعمالة في افريقية اماره شرعية تابعة لنولة الخلافة . وعن هذا الطريق كان لها السلطان المطلق على كل بلاد المغرب ، ابتداء من طرابلس التي كانت تبدأ بها الحدود الادارية الفاصلة بين ولاية مصر الطولونية وبين ولاية المغرب الاغلبية التي كانت تمتد الى آخر الشمال الافريقي ، بل والى بلاد الأندلس أيضاً من الوجهة الشرعية أو النظرية . أما عن مظاهر تبعية الدولة الاغلبية للخلافة وارتباطها بالحكومة المركزية في بغداد فقد تمثلت ، كما حرت العادة في الرابطتين التقليديتين وهما : رابطة الولاء الروحية للخليفة أمير المؤمنين ، والتعبير المادى عن ذلك الولاء بدفع أموال الخراج السنوية الى ديوان الخلافة في بغداد . وكانت تلك الرابطة المزودة في طبيعتها الروحية والمادية بين الخلافة وأمر القيروان تقوى وتضعف تبعاً لأحوال كل من خلافة بغداد وامارة القيروان .

فعند تعيين إبراهيم بن الأغلب وألينا على افريقية تعهد الأغلب للخليفة الرشيد بأن يعدل عن تلقى المساعدة التي كانت ترسلها مصر سنوياً وقدرها مئة ألف دينار ، كمعونة لافريقية ، بل وتعهد - على العكس من ذلك - بأن يدفع أربعين ألف دينار سنوياً الى بيت المال ببغداد (١) ، مما يعنى تبعية الواضحة للخلافة ، بصرف النظر عن كون ذلك نوعاً من الاغراء من جانب ابن الأغلب للرشيد حتى يعهد اليه بأمره البلاد أو الاستقلال بها . ولقب « الأمير » الذى حمله الاعالمة يؤيد تلك التبعية للخلافة : فالامارة كما عرفها الفقهاء الذين كتبوا فى نظم الحكم ، مثل الماوردى صاحب الاحكام السلطانية ، تعنى السلطة الدنيوية التى تشمل اختصاصات عسكرية وقضائية ومالية وادارية . يعهد بها الخليفة لثائب عنه فى الاقليم الذى يجعله أميراً عليه (٢) . كما كان الخليفة يمارس بعض تلك الاختصاصات بنفسه مثلما فعل الرشيد عندما ولى ابن غانم ، مباشرة من قبله ، قضاء افريقية فحمله ندا لابن الأغلب (٣) .

(١) انظر فيما سبق ، ص ٢٩ - ٣٠ وم ١٢ .

(٢) انظر الاحكام السلطانية مدخل الباب الثالث فى التقليد للامارة على البلاد .

(٣) انظر ما سبق . ج ١ ص ٣٧٥ وم ١٠٧ .

وبذلك كان الأمير الأغلبى يستمد سلطانه مباشرة من الخليفة ، فكان كل خليفة جديد يجدد العهد للأمير ، كما كان على الأمير ، بدوره ، أن يجدد البيعة للخليفة : فيحلف له يمين انولاء والاحلاص . وتجديد البيعة هو الذى كان يعطى طابع الشرعية لحكم الأمير الذى يستمد سلطانه ، بطبيعة الحال ، من أمير المؤمنين .

هكذا كان شعار أمراء القديوان الرسمى هو اللون الأسود ، شعار العباسيين : لون الألوية أو الرايات والبنود ، ولون الخلع أى الملابس الرسمية للأمير ولكبار موظفى دولته ، من : الوزراء والقضاة وكبار القواد . ولهذا السبب كان أول ما يفعله الثوار حتى افرقية هو التخلص من لبس السواد ، كما فعل خريش الكندى الذى ثار على إبراهيم بن الأغلب (٤) ، تماما كما فعل المعارضون للخلافة فى المشرق ، اذ كانوا يلبسون البياض ويسمون بالمبيضة - على عكس العباسيين الذين لبسوا السواد وسموا بالمسودة (٥) .

أما عن الأموال السنوية التى تعهد بها إبراهيم بن الأغلب ، وهذا ما يمثل الرابطة المادية الأقوى ، فمن الواضح أنها لم تكن تدفع بانتظام . فإبراهيم بن الأغلب نفسه كان ينتظر من الخليفة أن يدفع أرزاق (مرتبات) الجند العربى ، كما حدث عندما قامت الثورة ضده فبعث اليه الرشيد بالأموال التى فرقها فى الجند وهزم الثوار (٦) . هذا ولا بأس من الإشارة هنا الى أن إبراهيم بن الأغلب كان يضرب - بعد ذلك - تقود الخراج هذه خصيصا باسم الخلافة . فهذا ما يفهم من الدينار الذى عثر عليه باسم إبراهيم ابن الأغلب ، والذى ضرب فى سنة ١٩٦ هـ ، ونقش على أحد وجبهته « للخليفة الإمام » (٧) .

والحقيقة إنه فيما عدا رابطة الولاء ودفع الأموال المقررة سنويا ، افرقية ، تم يكن للخلافة أشرف فعلى على أمراء الإغالبية . وهكذا تمت

(٥) انظر فيما سبق ، ص ٢٥ و ٣٧ .

(٥) انظر فلهوون ، تاريخ الدولة العربية واضمحلالها ، ترجمة محمد عبد الهب ابر ديدة ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٥٠٣ - ٥٠٤ . وجامعته ، ٢ ، إلى الصفحتين ٥٠٤ و ٥٠٥ . وكما يلاحظ الأموال فى الأندلس أيضا اذا اتخذوا اللون الأبيض شعارا لهم . (انظر ليني يروفتس ، تاريخ أسبانيا الإسلامية (بالفرنسية) ج ٢ ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٦) انظر فيما سبق ، ص ٢٨ .

(٧) انظر حسن حسنى عبد الوهاب ، الورقات ، قسم ١ ص ٤٢٨ .

افريقية بإدارة مالية مستقلة ، كما حدث في مصر على أيام الطولونيين ، فلم تتدخل الخلافة في أمورهم الادارية ، ولا في نظام توريث الامارة ، الا في بعض الظروف الاستثنائية . فلقد توارث أمراء الأغالبة ملك افريقية ، كما رأينا ، بطريقة تلقائية دون انتظار أوامر بغداد التي كانت تجعل ديوان افريقية والمغرب لولا العهد بها ، وقام بعضهم باصلاحات مالية وأعمال تاديبية ، دون انتظار موافقة الخلافة ، رغم مآثرته من السخط بين الناس (٨) .

ولكن هذا الاستقلال الذي تمتع به الأغالبة لم يمنع الخلافة من التدخل في شئونهم في بعض الأحيان ، كما حدث على عهد ابراهيم الثاني بن أحمد عندما استبد بالرعية وأنزل بالشوار من أهل تونس عقوبات غاشمة سسنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م . فلقد تدخل الخليفة المعتضد في الأمر ، وعنف ابراهيم بن أحمد ، بل وهدده بالخلع (٩) .

وهكذا ، رغم استقلال الأغالبة فإنهم لم ينسوا اظهار ولائهم لبغداد وارتباطهم بالخلافة حتى آخر أيامهم . فقد كانت الانتصارات الكبيرة للجيوش الاغلبية تبلغ أولا بأول الى بغداد ، كما كان للخليفة نصيبه من الغنائم والسبي في بعض الأحيان . وذلك كما حدث عند الاستيلاء على قصر يانة (كاستروجيوفاني) ، إذ بعث الأمير أحمد بالنبا الى الخليفة ، كما أهدى اليه بعض الجاريات الصقليات (١٠) . وكذلك ظهر الامتثال لطاعة الخلافة في وقت الشدة ، عندما أحس آخر أمراء الأغالبة زيادة الله الثالث ، يخطر الفاطميين فارسل هدية للخليفة العباسي فيها عشرة آلاف من المشاقيل الكبار التي تحمل أبياتا من الشعر تعلن الولاء والطاعة للأمير المؤمنين (١١) . هذا كما استخدمت الخلافة الإدارة ، بدورها ، والحذر في اعلان سلطانها . على المملكة الاغلبية . والمثل لذلك أنه عندما تعرضت افريقية في سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م ، الى زلزلة أرضية هدمت الكثير من الحصون والقرى أمر الخليفة المتوكل بتوزيع ثلاثة ملايين درهم على المنكوبين (١٢) . ولقد أدت التنقييات

(٨) انظر فيما سبق ، ص ٤٠ (عن عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب) ، ص ١٢٧ (عن ابراهيم

بن) .

(٩) انظر فيما سبق ، ص ١٤٥ ، ص ٤٧٠ .

(١٠) انظر فيما سبق ، ص ١٠٠ ، ص ٣٥١ .

(١١) انظر فيما سبق ، ص ١٦٦ .

(١٢) ابن الأثير سنة ٢٤٥ ج ٧ ص ٣٣ ، ج مارسية ، ص ٦٣ . وقارن الطبري (ذخائر

لأرب) ، سنة ٢٤٥ ج ٩ ص ١١٢ حيث القراءة « ثلاثة آلاف درهم » خطأ .

الأثرية إلى اكتشاف نقش في داخل قبة جامع الزيتونة بمدينة تونس يسجل أن ذلك للجزء من المسجد الجامع يبنى سنة ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م بأمير الخليفة المستعين ، ولما لم يكن هناك ذكر للأمير الأغلبى زيادة الله الثاني أو أبي الغزاليق في هذا النقش ، الأمر الذى ربما كان نتيجة طبيعية لعناء أهل تونس لامراء القيروان ، فإن جورج مارسيه يرجع أن ذلك يعنى أن البناء تم على نفقة الخليفة كإعلان عن سيادة بغداد على المغرب ، واهتمام الخلافة بمصالح الإسلام فى تلك البلاد (١٢) .

هكذا تمتعت الدولة الأغلبية بالاستقلال مع استمرار ارتباطها بالخلافة بعلاقات معنوية قوية ، إلى جانب روابط مادية لا بأس بها. وإن كانت محدودة . ويرى جورج مارسيه أن نظام استقلال الولايات فى ظل دولة الخلافة ، الذى كانت الدولة الأغلبية أول نماذجه فى تاريخ الدولة الإسلامية يمكن أن يشبه بنظام « الدومينيون » (أو « الكومان ولث ») الذى طبق حديثا (فى الأباطورية البريطانية) ، بل ويرى مارسيه أن الإمارة الأغلبية ، فى إطار دولة الخلافة هذا - الذى كان يشبهه استاذنا الدكتور محمد عبد الهادى شعيرة بالنظام الاتحادى « أو الفيدرالى » كانت تتمتع بوضع أحسن حالا من وضع بلاد الدومينيون الحديثة (١٤) .

والحقيقة أن هذا « النظام الاتحادى » كان حلا سعيديا لمشاكل كل من دولة الخلافة وإمارة إفريقية الأغلبية . فمن ناحية أنزاح عن كاهل الخلافة ما كانت تعانيه من المتاعب فى بلاد المغرب مما وقع على عاتق أمير القيروان ، ومن ناحية أخرى كان استقلال الأغلبية دافعا للولاية المغربية على التقدم العسكرى والسياسى الذى أدى بدوره إلى الازدهار الفكرى والحضارى .

ولكنه إذا كان فتح صقلية وجنوب إيطاليا وضهما إلى أملاك الولاية الإفريقية يمثل ذروة ما بلغت دولة الأغلبية من القوة السياسية والعسكرية ، فمن الواضح أن الأغلبية لم ينجحوا تماما فى إقرار الأمور فى داخل حدود

(١٣) انظر مثلا : بلاد البربر (المغرب) والمشرق الإسلامى فى العصر الوسيط (بالفرنسية) ، ص ٦٣ . وعن نقش قبة الزيتونة انظر له هامش ٢٤ - من المجلد الحى الثامن الإسلامى (بالفرنسية) ، باريس ١٩٩٦ ، ج ١ ، ص ١٣ ، وكرسويل ، الحضارة الإسلامية بالبركة (بالإنجليزية) ، ص ٣٢٣ .

(١٤) ج مارسيه ، بلاد البربر (المغرب) والمشرق الإسلامى فى العصر الوسيط (بالفرنسية) ، ص ٥٩ .

مملكتهم ، بصرف النظر عما كانوا يواجهونه من أخطار متنافسيهم من شرقي البلاد أو في غربيها - اذ الحقيقة أن الحرب فيما وراء البحار في أرض الروم لم تستوعب ، بشكل كامل ، كل الحماس العسكري الذي كان يضطرم في نفوس أهل القبائل من العرب والبربر . وذلك أنه إذا كان الجهاد في صقلية فرصة للأمراء لكي يتخلصوا من العناصر المضطربة والثائرة في البلاد ، فإن ذلك لم يمنع الاضطرابات الخطيرة التي كادت تودى بالأسرة الأغلبية ، كما حدث في ثورة الطنبيين التي شملت البلاد جميعا ، فلم يبق بين أيدي الأغلبية إلا الشريط الساحلي الممتد من سوسة إلى طرابلس (١٥) . هذا ، وإذا كانت صقلية وجنوب إيطاليا قد ظهرت وكأنها أرض المغام والسبي ، أو كأنها مورد لا ينضب بما كانت تمد به بيت المال الأغلبى من خراج المدن والأقاليم الجديدة ، فما لا شك فيه أن الحرب المكلفة فيما وراء البحر طوال العصر الأغلبى - أرهقت البلاد والعباد الذين كانت تضربهم المجاعة والقحط في كثير من الأحيان ، مما شكل أسبابا إضافية لاثارة السخط والثورة . ولا شك أن توالى الاضطرابات من جانب الجند ، وتنازع العصيان من جانب القبائل ، كان وراء الاستبداد الذي ظهر من جانب عدد من الأمراء ، وهو الذي يفسر سياسة العنف والقسوة التي لجأ إليها عدد كبير منهم والتي خرجت عن حدود المعتاد ، فشوهت تاريخ الأغلبية في كثير من الأحيان ، وكانت السبب فيما ظهر منهم من العجز في مدافعة ثورة قبائل كتامة الفاطمية . وهكذا يمكن القول أن عوامل القوة والضعف تشابكت فيما بينها ، وكانت من أسباب ضعف الدولة الأغلبية - سنة الحياة ، وقانون الطبيعة الثنائي الذي يجعل الوجود السوى رهنا بذلك التوازن المعجيب : القائم بين الموجب والسالب ، أى بين القوة والضعف ، أو ما يسمى بالخير والشر .

٢ - دولة الرستميين :

إذا كانت دولة الأغلبية ، بفضل روابطها الروحية والمادية بالخلافة ، هي صاحبة السيادة الشرعية على كل ولاية المغرب من الناحية النظرية على الأقل ، وإذا كانت قد وسعت أملكها فيما وراء البحر في صقلية وجنوب إيطاليا ، فمن الغريب حقا أنها رضيت بأن تزاحمها في قلب بلادها ، إفريقية وما يتبعها من أعمال طرابلس ، دولة منافسة هي دولة الرستميين . ولكن الحقيقة هي أن دولة الرستميين الإياضية في قاهرت كانت أقدم من الدولة الأغلبية ، بل ولا شك أن قيامها نتيجة لثورات الخوارج في المغرب هو الذي

أدى الى قيام الأغلبية . وهكذا كانت الدولة الرستمية الاضية امامة خارجية أو جمهورية شعبية مستقلة ، ذات نظام وراثي كالخلافة ، يقرر وجودها الأمر الواقع - من قبل قيام الأغلبية - المعروف عند الفقهاء « بامساراة الاستيلاء » (١٦) ، ويحدده قانونيا علاقة التعايش السلمى مع الإمارة الاغلبية الشرعية .

والغريب فى أمر الدولة الرستمية أنها كانت دولة بدوية صحراوية شبه هلامية لا تعرف الحدود الواضحة . فمع أن قلب الدولة كان فى إقليم ناهرت ، فإنها ظلت محتفظة بعلاقات وثيقة بمنطقة جبل نفوسة وإقليم طرابلس فى شرق المملكة الاغلبية ، وبإقليم الصحراوات الجنوبي-الغربي-فى منطقة سجلماسة (تأفللت الحالية) ، جنوب المملكة الادريسية ، حيث المدرايين الصفرية الذين ارتبطت بهم بعلاقات قري وشيعة . وبذلك تكون الدولة الرستمية قد فرضت وجودها خلال كيان كل من دولتى المغرب الكبيرتين : الاغلبية والادريسية ، وهذا ما دعانا الى وصفها بدولة هلامية أى متباعدة الحدود .

ولقد استقر واقعها القانونى فى منطقة طرابلس بالاتفاق الذى تم سنة ١٩٦ هـ / ٨١٢ م بين عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب وبين عبد الوهاب ابن عبدالرحمن رستم (١٧) ، وتأكد هذا الواقع بالمجهودات المشتركة التى قام بها الاباضية والأغلبية ضد غزوة العباس بن أحمد بن طولون للمنطقة سنة ٢٦٥ هـ / ٨٧٨ م (١٨) .

ولا شك أن قيام علاقات وثيقة بين الرستميين وبين الأمويين فى الأندلس - بعد فترة من الترقب (١٩) ، حتى أنه عندما قام ثلاثة من أبناء عبدالوهاب ابن رستم بزيارة قرطبة فى سنة ٢٠٦ هـ / ٨٢٢ م لتنهضة الأمير الأموى عبدالرحمن الثانى بن الحكم بالإمارة ، تكلف الأمير ، من أجل استقباليهما وتقديم المال

(١٦) انظر المناردى ، الأحكام السلطانية ، باب ٢ : تقليد الإمارة على البلاد ، فصل إمارة الاستيلاء .

(١٧) انظر فيما سبق ، ص ٣١٣ .

(١٨) انظر فيما سبق ، ص ١٢٤ .

(١٩) يقصد بفترة الترقب عهد عبد الرحمن الداخل حيث كانت كل من الامواتين - كجهد فى تثبيت لقدامها فى بلادها - فعقب وفاة عبد الرحمن الداخل ونورة ابنه - سليمان وعبد الله على أحدهما الأمير هشلم ، لجأ سليمان الى طنجة بينما - ساج عبد الله - فى المغرب - طرابلس - فبقية ثم تمزج على عهد الوهاب - دون رستم - إلى / تاهرت قبل عودته إلى بلنسية - لا سيوفه - فبالبحر - وأدفع أسبابا الإسلامية ، ج ١ ص ١٥٢ - وانظر - « التنيس لابن حيان - » مخطوط كلية الآداب - المنور بجامعة الاسكندرية ، ص ٣ ، ٣ ، ٤) .

والهدايا والمطايا اليهما... حوالي مليون دينار (٢٠) ، لما كان يجب قواعده المملكة الرستمية ، ويزيد في تأكيد واقعها القانوني في نظرية الأغلبية .

هذا ، وإذا كانت قد قامت بين الأغلبية والرستميين صراعات خفية ، مثل : ما يمكن أن يكون قد ساهم به الإباضية في الثورات التي عرفتها الدولة الأغلبية وخاصة في أقاليمها الصحراوية ، أو علنية ، مثل : اللقاء الدامي في وقعة مانوس سنة ٢٨٣هـ/٨٩٦ م التي انتهت بكارثة لقيتل نفوسة (٢٦) . فان تلك الصراعات لم تؤثر بشكل حاسم على ميزان القوى بين الدولتين أو

(٢٠) انظر برونسفال ، تاريخ أمبابة الاسلامية ، ج ١ ص ٢٤٤ - حيث المراد (من...)
حفن بن حيك ومغريب بن سعيد (على أن أبناء عبد الوهاب بن نعمت الثلاثة كانوا : عبد المي ودحيون وبهرام . وان الاثنين الآخرين عرفا فيما في طريق العودة الى المغرب فيما وصل عبد المي الى تاهرت بعد وفاة والده بسبعة أشهر وولاية أخيه أقليل للأمامة . (انظر نفس المرجع ، ج ٣ ص ٢٧٢) . وانظر القنص لابن حيان ، مخطوط كلية الآداب للمسور بجامعة الاسكندرية ، ص ١٧٣ . وكانت العلاقات دائما حسنة بين أمراء قرطبة وبين أميرة تاهرت الاناصية ومجلسها الصغرى بفضل العداة المشتركة للعباسيين أو عظمى الأغلبية على الرقية . وفي ذلك يقول ابن حيان . أن وصل الأمير محمد بن عبد الرحمن (الأوسط) كانت « وكنته تنردد الى هذه الطوائف في البحث عن أخبار بني العباس يدار ملكهم وأخبار دولتهم وعما لهم بالشم ومصر وأفريقية » فلا شكاد شيب عليه شيء من حالها ، وهكذا ظلت علاقة الحدر والتوحش بين فرطه والقبووان الى أن تحسنت العلاقة بين محمد بن عبد الرحمن و إبراھيم الثاني الأعلى ثمادلا الهدايا والطرف بفضل وساطة محمد بن موسى الرازي : والده أحمد وجد عيسى ، المؤرخين الأندلسيين (انظر القنص ، تحقيق محمود مكي ، ط - دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٧٣ ، النص : ص ٢٦٥ وما بعدها والهوامش) . وسيظل الرستميون يصلون على توثيق علاقاتهم بالأمويين في الأندلس الذين كانوا يفتخرونهم بانتصاراتهم على الجوس النورمنديين . في الوادي الكبير سنة ٣٢٩ هـ/٨٥٣ م ، كما كانوا يقدمون لهم الهدايا في المناسبات مثلما حدثت بعد ولاية الأمير محمد الأول حيث تلقى الامام أبلج هدية كبيرة من المال . هذا ، وظلت العلاقات الوثيقة على عهد أبي اليقظان حليفه ثم أقلج ، كما لوحظ وجود قواد من الرستميين في خدمة أمراء قرطبة ، مثل : محمد بن سعيد من عبد الرحمن بن حنتم ، وأخيه عبد الرحمن أو ابنته الذي كان من وزراء عبد الرحمن الأوسط (الثاني) - انظر نفس المرجع ، ج ١ ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

ولا شك ان العلاقات الوثيقة بين الأندلس والامامة الرستمية سواء على المستوى السياسي أم التجاري كانت تسمح لأهل كل من البلدين بالتنقل في البلد الآخر ، وهذا ما يفسر كيف قيل : « ان تارة لا اندلس المشهور بعض بن حصون » « تارة لا تاهرت » « تارة لا تاهرت » حيث عمل في خدمة أحمد المصيطري هناك « وواو واحد من مواطنيه هناك » الذي تصحح بالعودة الى بلده ، ورجع عمر بن حصون الى الوطن في سنة ٢٦٧ هـ/٨٥٥ م ، حيث بدأ عمله كوزير بمصاية من قطاع الطرق . انظر نفس المرجع ج ٢ ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .

(٢١) انظر فيما سبق ، ص ١٤١ .

• تعاضد الاجبارى الذى فرضه الواقع على كل منهما • والحقيقة ان
• كى الداخلية التى عانت منها كل من دولتى الاعراب والرسنيين، والتى
• ست فى النورات القبلية والنزاعات المذهبية ، شغلت كلا منهما عن التدخل
• سنون الاخرى ، وقادتهما معا الى نفس المصير المحتوم ، من التفكك والوهن،
• سمكن الواحدة منهما بحير من الاخرى فى مواجهة الخطر الفاطمى •

• - دولة المذاريين :

• واذا كان الامر كذلك بالنسبة لامامة الاباضية فى تاهرت ، كان من
• عسى الا يكون مصير امامة الصفرية الصغيرة فى سجلماسة ورادى درعة ،
• من امارة الاستيلاء الصحراوية التى ارتبطت بتاهرت بصلات من القربى
• محمية وعلاقات من المصاهرة العائلية ، بأحسن حالا •
• وهذا ما يفسر كيف ان امارة سجلماسة حاولت ان تقف موقفا وسطا
• من القوى المتصارعة فى المغرب • فرغم العلاقات الوثيقة مع تاهرت اعترف
• حازن بسلطان الخلافة • فعملوا على مداراة الاغالبية حتى قيل ان صاحب
• سجلماسة عندما تلقى القبض على عبيد الله المهدي ، وهو لاجئ فى بلده ،
• كى ذلك استجابة لاوامر القيروان او بغداد (٢٢) • ورغم ذلك فقد كانت
• حدة واحدة ، من • الانقسامات المذهبية والصراعات القبلية • ولكل ذلك
• • سجع سجلماسة رعم اعتصامها بصحراء المغرب الجنوبية فى طريق السودان،
• مؤثره سياسيا مع كل من تاهرت والقيروان ، من ملاقة نفس مصير
• رسميين على ايدى الفاطميين •

• - دولة الادارسة :

• ما عن دولة الادارسة الحسنية فى فاس والمغرب الاقصى ، فقد كانت
• حاشمية (علوية) • يقرر وجودها الامر الواقع - اى نفس نظام الاستيلاء
• • قامت على اساسه كل من دولتى تاهرت وسجلماسة • اما الذى كان
• حدد وجودها القانونى فكانت العلاقات الثلاثة مع كل من دولتى الاستيلاء
• اساختين ، فى تاهرت بالمغرب الاوسط ، وقرطبة فيما وراء البحر بالاندلس
• حيث الامارة الاموية المروانية ، الى جانب العلاقة مع دولة الاغالبية الشرعية
• على القيروان •

• لقد كسبت قوة الدولة الادريسية فى المغرب فيما كان يتمتع به الامام
• من الاجلال والشرف بصفته سليل بيت النبوة ، مما جعل قبائل اوزية ثم
• قبائل المغرب الاقصى تلتف حوله وتكون جميعا عصبية دولته ، التى تراءت
• اطرافها ما بين تلمسان وسبواجل المغرب الاوسط حتى بلاد السيوس الاقصى

ووادى نفيس ، مرورا بسواحل بلاد الريف حيث امارة الصالحين قتي نكور (٢٣) والبحر المحيط حيث مملكة البرغواطيين (٢٤) ، وانتشارا فوق الجبال والصحرائات الى تخوم سجلماسة ووادي درعة ، ولكن الالتفاف حول شخص الامام وحده لم يكن كافيا للحفاظ على وحدة الدولة وحفظ الاستقرار فيها .

حقيقة ان وجود امام علوى فى المغرب أزعج الخلافة وأمير افريقيه حتى صار التخلص منه ، بطريقة أو بأخرى ، من أمر الاماني فى قلوب المستولين فى بغداد ، ولكن الأمر انتهى باستقرار الادارة فى البلاد ، كما سبق أن استقر الرستميون فى تاهرت ، ومن قبلهم الامويون فى الأندلس الذين أنزعجوا بدورهم من قيام امانة علوية مجاورة ، وهذا ما يفسر ظهور تلك الرواية المصطنعة التى تقول بقيام تحالف هجومى بين شرلمان (شارل الأصغر) وبين الأمير الحكم الأول لمواجهة احتمال توسع العلويين نحو أوروبا الغربية (٢٥) . وهو ما يعلى أيضا سعى امراء قرطبة للدائب فى سبيل توثيق علاقات الصداقة مع امارات الخوارج المتاخمة للادارة فى المغرب ، سواء فى تاهرت أو نكور وغيرها . ومع مرور الوقت استتبت الأمور واستقرت الحدود فى الشمال الشرقى بين امانة الرستميين وامانة الادارة عند تلمسان التى تعتبر الحد الفاصل بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى ، ولو أن الحدود مع صفرية سجلماسة لم تكن واضحة فى صحراوات الجنوب . ولم تدم فترة الاستقرار طويلا اذ سرعان ما هبت رياح الفتن المذهبية والعصبية وعصفت بالدولة العلوية ففتنتها بين افراد الأسرة الادريسية الى عدد عديد من الولايات ، ما بين مطيعة لغاس وعاصية لها . وهكذا انتهى الأمر فى أواخر القرن الثالث الهجرى بتمزق الامانة الادريسية بين أفراد الأسرة المالكة ، وكان على صاحب

(٢٣) عن امانة بنى صالح بن منصور فى مدينة نكور التى آقيمت سنة ١٤٢ هـ / ٧٦١ م بقرعة سعيد بن ادريس أحد حفدة صالح وأشير امراء نكور على عهد الادارة هو صالح ابن سعيد بن ادريس الذى ولى سنة ١٨٨ هـ / ٨٠٤ م وهو طويلا حتى سنة ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م . وخلال ولايته الطويلة كان على علاقة طيبة بامراء الأندلس . فشارك فى الجهاد على عهد الامير عبد الله الثانى ، وكان من الأحداث المهمة التى عاصرها فى أواخر ايمانه : نزول اليورميين الجوس فى سنة ٢٤٤ هـ / ٨٥٨ م على نكور ونهبها وسعى عبد من الامارات الصالحيات ممن اقتدى بهم امير الأندلس محمد الأول بن عبد الرحمن الثانى ، مما يضى علاقات وثيقة وتبعية مغلصة للأندلس من جانب امراء نكور ، كما يقول بروفيسال : تاريخ اسبانيا الإسلامية . ج ٦ ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٢٤) انظر أيضا الجده حى ٤٣٠ - ٤٣٣ . ص ١٠٥ و ١٠٦ .

(٢٥) انظر بروفيسال تاريخ اسبانيا الإسلامية ، ج ١ ص ٢٤٩ ، ٢٨٢ - ٢٨٣ .

وانظر المختص ، مخطوط كلية الآداب المحور بحامدة الاسكندرية ، ص ٢٥ .

حاس ان يواجه وحده ثورات الخوارج التي هددت العاصمة نفسها ، مثلما حدث في ثورة عبد الرزاق الوشقى (٢٦) ، كما نجحت قباثل زناتة بقيادة ابن أبي العافية ، في اقتطاع مملكة لها ، كانت منافسة لامامة فاس وحليمة للأمويين في الأندلس ، ثم ظهروا للفاطيين عندما تقدموا الى المغرب الأقصى (٢٧) ، قبل أن تعود الى التحالف ضدهم مع الامويين ، فيما بعد .

خلاصة الموقف السياسى :

مكذا كانت دول المغرب الأربعة تعاني في أواخر القرن الثالث الهجرى / ٩ م . ، بشكل عام ، من نفس الآفات التي عانت منها دولة الخلافة ، والتي تمثلت في الصراعات المذهبية والعصبية ، والانقسام بين أفراد الأسرة الحاكمة . حدث ذلك رغم أوجه التباين فيما بينها :

١ - من حيث شرعية الحكم الذى تمتع به الأغلبية ، أو واقع التغلب والاستيلاء الذى أقام عليه الرستميون والمدرايون ولادارسة ملكهم .

٢ - ومن حيث المذاهب الدينية التي اعتنقتها والتي تراوحت ما بين السنة على مذهب مالك وأبى حنيفة ، والتشيع المعتدل على المذهب الزيدى ، والخارجية ، من : إباضية مقبولة وصفرية متعصبة .

٣ - وأخيرا من حيث التركيب الاجتماعى الذى كان يضطرد فيه ظهور العصبية المغربية (البربرية) كلما اتجهنا من الشرق الى الغرب ، من مملكة القيروان الى مملكة فاس .

ولكنه رغم ذلك التباين فى التركيب العرقى لدول المغرب هذه ، مما كان له أثره فى مسار الأحداث التاريخية فى ذلك القرن الثالث الهجرى (٩ م) ، بل وفى كل تاريخ المغرب العربى . ، فقد اجتمعت الدول الثلاث الكبرى ، فى : القيروان ، و تاهرت ، وفاس ، أوجه شبه أساسية تمثلت ، بشكل خاص ، فى كون أسرها المملكة مشرقية الأصل - وهذا ما شاربكتها فيه بلاد الأندلس الأموية .

(٢٦) انظر فيما سبق ، ص ٤٧٢ .

(٢٧) انظر فيما سبق ، ص ٤٧٩ .

والحقيقة ان وجود أسر حاكمة مشرقية الأصل ، في : القيروان ،
وتاهرت ، وقاس ، كما كان الحال في قرطبة ، كان له أهمية خاصة في تاريخ
المغرب في ذلك العهد . فقد كان هؤلاء الحكام المشارقة عاملين في عوالم
الربط بين بلاد المغرب المتطرفة وبين قلب العروبة والاسلام في المشرق .
فكانت كل أسرة حاكمة بمثابة عامل جذب تشد الأعوان والأتباع من المشرق ،
على المستويين العرقي والفكري ، نحو موطنها الجديد في المغرب . وهكذا
سار العرب من بني تميم نحو افريقية حيث بنو عمومتهم الأغالبة ، وبني
الفرس أو العجم ، من : عرب ومستعربة ، من افريقية ومن العراق نحو بني
جلدتهم الرستميين ، كما شد العلويون الحسبيون رحالهم الى قازس والمغرب
الأوسط حيث اخوتهم من الأدارسة . وكذلك فعل محبوبهم من الشيعة
الزيدية . وبذلك كان تيار الهجرة من المشرق الى المغرب عاملا على اقامة
نوع من التوازن الذي عدل من خطورة القطيعة السياسية بين الخلافة ودول
المتعلين ، حفظ الوحدة بين جناحي دولة العروبة والاسلام ، على المستويين:
العرقي ، باستمرار عملية التعريب ، والفكري ، بانتشار ثقافة المشرق العربي
وحضارته على وجه العموم - وهو الأمر الذي يتطلب شيئا من التفصيل -

ب - الواقع الحضاري :

أدت الأوضاع السياسية في بلاد المغرب ، خلال القرن الثالث الهجري /
٩ م اذن ، الى نوع من القطيعة مع المشرق العربي ودولة الخلافة ، ولكن تلك
القطيعة كانت محدودة على المستوى الرسمي . وذلك أن العلاقات ظلت ،
على المستوى الشعبي ، وطيدة بين جناحي دولة الخلافة والاسلام بفضل
تيار الهجرة المتصل من المشرق الى المغرب ، بوجه عام ، وبفضل قوافل الحجاج
السائرة من المغرب الى المشرق ، وما كان يصحبها من قوافل التجار في طريق
الذهاب والعودة . وكل ذلك ساعد على سرعة نقل الأفكار والعلم والثقافة
بين عواصم المشرق وعواصم المغرب ، مما هيا وحدة حضارية كانت أواصرها
تقوى ، مع مرور الوقت وتشتد ، على طول الطريق ما بين بغداد وقرطبة .

هذا ، ولا شك في أن تشجيع أمراء دول المغرب لذلك التبادل الاقتصادي
والثقافي مع المشرق وعاصمة الخلافة ، عمل على دفع عجلة التقدم في بلادهم ،
وعجل بالازدهار الحضاري في أمهات مدنها ، فكانهم عملوا ، من حيث
لا يدرون ، على تأكيد الروابط المادية والمعنوية بين شعوب بلادهم وشعوب
دولة الخلافة ، وبالتالي الحفاظ على وحدة تلك الشعوب وتقوية أواصرها .
فمن الناحية الاقتصادية أي المادية عرفت الدول الأربعة ، بعد أن تمتعت

«لاستقلال عصر نهضة وازدهار ، تمثل في : العناية بالزراعة وتنظيم وسائل الري ، وتشجيع التجارة والعناية بتأمين طرق القوافل ، مما تربى عليه : زيادة الدخل ، ونمو المدن ، واتساع الأسواق ، وانتعاش الحرف والصناعات » .

الفرقية الأغلبية :

ازدهار الزراعة :

ففيما يتعلق بأفريقية (٢٨) يقرر اليعقوبي ، الذي سباح في المغرب وأفريقية على عهد إبراهيم الثاني بن أحمد ، أن المنطقة الممتدة بين قمودة (سيدي بوزيد) والساحل كانت تزدهو بخضرتها وأشجارها . ويعلق جورج مارسيسه على ذلك قائلا : وهي المنطقة التي تمتد لمسافة ١٥٠ كم والتي ما زالت إلى اليوم ، رغم التقدم العظيم الذي تحقق في غراسة الأشجار في منطقة صفاقس ، صحراوية إلى حد ما (٢٩) . فقد انتشرت في تلك المنطقة المعروفة بسهولها الرملية أشجار الزيتون ، وكذلك في كل إقليم الساحل ، كما انتشرت البساتين والقرى التي كادت تلامس بعضها البعض من كثرة ازدهامها ، وكان لكل منها معصرة (طاحونة) الزيت الخاصة بها (٣٠) . وفي جانب الزيتون عرفت المنطقة أشجار الفاكهة المختلفة والكروم التي كان تنبها يؤكل طازجا أو يجفف لعمل الزبيب أو صنع النبيذ الذي كان شربه مباحا في القيروان على أيام اليعقوبي والأمير إبراهيم بن أحمد ، كما سبق أن رأينا في شعر بعض الظرفاء (٣١) .

(٢٨) انظر الدراسة المتأخرة التي قام بها جورج مارسيسه في كتابه عن بلاد البربر الإسلامية (المغرب) والمشرق في المصور الوسطى (بالفرنسية) ، فصل الحياة الاقتصادية ص ٧٦ - ٨٧ .

(٢٩) بلاد المغرب والمشرق الإسلامي في العصر الوسيط ، ص ٧٧ - ٧٨ .
(٣٠) ح مارسيسه ، بلاد البربر ، ص ٧٨ (عن المالكي في رياض النفوس) .
(٣١) انظر فيما سبق ، ص ١١٧ . وفي ذلك يقال ان كثيرا من مشاهير فقهاء القيروان كانوا يحلون التند ويشربونه ، مثل عبد الله بن فروخ الذي قال فيه مالك بن أنس « هذا فقيه المغرب » (الرقيق ، ١٩٨٠) ، وأبي مخزوم القاضي ، وأسد بن الفزاري القاضي ومصر بن منصور لعقيله ، الذي ألف كتابا في تحليل النبيذ يصفى الرقيق بأنه كتاب حسن ، كما يقول ان منصور بن منصور أخذ تحليل النبيذ من معبد الله بن فروخ « للمظهر قلبه » المبرور إلى « آداب الخور » ، ص ٤٨٦ - ٤٨٩ .

- ٤٩٦ -

وفي جنوبه قعدة كانت أحوار مدينة نفصة تزهر ببساتينها المثمرة .
وكانت شجرة الكرم معروفة أيضا في بلاد الجريد التي اشتهرت بكثرة تمرها
ونخيلها الذي اخذت منه اسمها ، فهي بلاد الجريد وبلاد التمر وبلاد النخل .
وفي شمال قمودة امتدت بلاد الحبوب فكانت القروان تفخر بمحاصيلها
الوفيرة .

وفي الصناعة والتعدين :

وفي ميدان التعدين اشتهرت مدينة مجانة ، على أربع مراحل من
القروان ، على الحدود التونسية الجزائرية الحالية ، بأنها مدينة المعادن
(المناجم) دون منازع ، حتى سميت بمجانة المعدن ، فمن مناجمها كانت
تستخرج الفضة والكحل والحديد والمرتك والرصاص وغيرها (٢٢) . ولم
يكن من الغريب ، اذن أن تتقدم الصناعات المعدنية في المملكة الاغلبية بشكر
لم تعرفه البلاد في العصور السابقة على الاسلام . كما يقرر ذلك حوزج
مارسية (٢٣) .

هكذا ازدهرت المصنوعات المعدنية المختلفة ، من حديدية كانت تمد
الجيش والأسطول بما يلزمه من السلاح الثقيل والخفيف وفصية نانت
تمد أسواق الصياغ بالحلى الرقيقة وقصور الأمراء بالآنية الثمينة . كما
ازدهرت المصنوعات الزجاجية الدقيقة والمخارية الرقيقة من اواني الشرب .
وصنع الموازين ، وبلاطات الخزف التي كانت تكسو الحيطان وتزين الأرض
وتضفي الكثير من البهاء على النافورات ومواجه الماء (٢٤) .

تقدم النسيج :

ولقد اشتهرت افريقية كذلك بصناعة البسط التي كان لها قدرها
الجليل في المشرق حتى أنه كان على أمير القروان أن يقدم منها - مع ما كان
مرسوما عليه من المال السنوي - ١٢٠ (مائة وعشرين) بساطا إلى بغداد ،

(٢٢) البلدان لليعقوبي ، ص ٣٤٩ .

(٢٣) بلاد القروان والمشرق الاسلامي ، ص ٧٦ والهامش .

(٢٤) هذا . ولو أن يشور على صنعة ذباجية من أواخر أيام الأيوبيين . فحينئذ فإن بلاد المغرب
لم يهتموا العناية باستغلال ثروات البلاد الطبيعية . قبل الاغلبية . ج . مارسية ، بلاد البربر ، ص ٥٠ .
ج . والهامش ٥٠ .

كما يذكر ابن خلدون (٢٥) ، فكان بلاد الأغالبة كانت منافسا اشداده للمشرق. الايراني العريق في تلك الصناعة المتينة . ومارالت البلاد أدونيس معتدة بحجراتها القايمة في صاعة البسط ، ولكل اقليم ما بين القيروان والساحل. ومدن الجنوب أساليبه الفنية الخاصة به من حيث طريقة النسيج ، وشكل القطع ، ونوع الزخرفة ، وتحديد الألوان وتوزيعها .

واذا كانت افريقية الأغلبية قد اشتهرت بصناعة البسط ، فأغلب الظن أن ذلك ينطبق على صناعة النسيج أيضا التي سينوه بها الكتاب. والجغرافيون فيما بعد العهد الأغلب ، حيث كانت الطرز التي تنسج أنزاعا من الثياب الفاخرة منتشرة في كثير من المدن . مثل : قابس وسوسة (٢٦) وإذا صح ما يسجله رفون جست (R. Guest) من أنه عثر على قطعة من النسيج المصنوعة في طراز افريقية والتي تحمل اسم الخليفة الأموي مروان (بن محمد ؟) (٢٧) ، فإن ذلك يعني اهتمام العرب بصناعة النسيج في افريقيه منذ وقت مبكر . ويفسر ازدهار تلك الصناعة المستمر مع مرور الوقت . واكتساب الخبرة على عهد الأغالبة ثم على عهد الفاطميين والصنهاجيين .

وبذلك أرسى الأغالبة قواعد تلك الفنون الحرفية - وخاصة الزجاج والخزف - التي أينعت في القرنين التاليين (٤ ، ٥ / ١٠ ، ١١ م) ، على عهد الفاطميين . صبهجيين وهي متأثرة مؤثرات مشرقية مستجلبة من العراق ومن مصر (٢٨) .

الازدهار الاقتصادي :

وبفضل نشاط أمراء الأغالبة ، وعملهم على استقرار ذلك الازدهار

(٢٥) المقدمة . ج ٢ ص ٦٧٤ (فصل في أن آثار الدولة كلها على نسبة قوتها في أم حيث الإشارة الى ما وجد بخط أحمد بن محمد بن عبد الحميد عما كان يعمل الى بيتا بيقداد أيام المأمون من جميع النواحي . فقد كان المقرر على افريقية : هو : ثلاثة عشر ألف درهم مرتين (١٢ مليون درهم) . ومن البسط مائة وعشرون (١٢٠ بساطا) ، ج مار بلاد البربر ٠٠٠ ، ص ٨١ .

(٢٦) انظر كتاب الاستبصار ، ص ١١٣ ، ١١٩ .

(٢٧) انظر ماركسيه ، بلاد البربر ٠٠٠ ، ص ٨١ .

(٢٨) انظر ماركسيه ، بلاد البربر ٠٠٠ ، ص ٨٠ . وعن المؤثرات الشرقية والأناض

هي سيجاد (بسط) شمال افريقية البدوي مما يمثل للتوافق بين البدوي والمدني ، ا بوكارت ، الفن الاسلامي . : لغته ومعناه (بالانجليزية) ، ص ١٠٨ .

الاقتصادى الذى ظهر أيضا فيما قاموا به من اصلاحات مالية ، مثل تحسب العملة ورفع مستوى سبيكتها الذهبية ، وتحديد الضرائب المنظمة التى تدخل الخزانة العامة سنويا بصرف النظر عن حالة المحصول ، وتأمين شبكة الطرق التى كانت تمر بالقىروان ، أصبحت القىروان أهم مركز تجارى فى الشمال الغربى على المستويين الداخلى والخارجى . فلقد زاد نشاط أسواقها ، واتسعت حوارها ، وعمرت بمختلف السلع الواردة والصادرة . فكان تجارتها يجذب الرىث من منطقة الساحل (صفاقس) ومن طرابلس وبيعونه فى الأسواق المختلفة ، وكانوا يصدرون القمح الى الاسكندرية ، كما كانت تأتيتهم خيرات بلاد السودان ، من الذهب والعاج والرقيق . هذا ولقد شاركت القىروان ، فى هذا الازدهار الاقتصادى ، كثير من المدن ، مثل قابس وصفاقس وسوسة كما انتعشت عواصم الاقاليم ، مثل قفصة وطبنة والأربس وغيره .

ولا شك فى أن ما عثر عليه من العملات الأغلبية الموجودة فى المتاحف المصرية ، من الدنانير الذهبية التى حافظت على جودة سبيكتها ، وعلى سلامه ورنها (٤٢٠ حرام) طوال عهد الإغالبية - باستثناء عهد الأخير منهم - زيادة الله الثالث - هو خير دليل على تأكيد ذلك الرحاء الذى عرفه إفريقية الأنسية رغم الأزمات السياسية وبعض الموارل الطبيعية التى مرت بالبلاد ما بين رقت وآخر (٢٩) ، مما سبق ذكره .

تأهت الرستمىة :

العناية بالزراعة :

وفما يتعلق بتأهت والمغرب الأوسط فقد عرفا ، هما أيضا ، عهد ازدهار اقتصادى بفضل نشاط الائمة الرستميين ، ومن لاذ بهم من بسى جلدتهم من الفرس الذين كونوا جماعة مرموقة كان لها كيانها الخاص ، كما كان لها نشاطها فى كل من ميدانى السياسة والاقتصاد ، فى منطقة العاصمة

(٢٩) انظر ج- مارسىه ، بلاد البربر ، ص ٨٢ .

(٤٠) وفى زراعة تأهت يقول اليعقوبى انه د لم يكذب زرع البلد قط الا أن يصيبه جوع أو برد (البلدان ، ص ٣٥٨) . هذا ، كما أن السهل الواقع جنوبى تأهت وشرقها ، وهو الذى ما زال ملجأ لفرائل القرى التى يرجع أن يكون كثير منها من العهد الرستمى ، يشهد على ازدهار المنطقة وقتئذ (انظر ج- مارسىه ، بلاد البربر الاسلامية ص ١١٠) .

تاهرت . وإذ كانت إمارة تاهرت قد عانت من الانقسامات المنهجية التي انتهت بالصراعات السياسية والعسكرية التي رأيناها ، فإن الجماعات الخارجية التي شقت عصا الطاعة على إمارة تاهرت كان لها دورها الحضاري في الأقاليم البعيدة حيث نشطت في أعمار البلاد ، وتيارات مع الإمارة في الاهتمام بالتجارة والثقافة ، فكان الجميع عملوا جنباً إلى جنب ، وإن عمل كل طرف لحسابه الخاص ، على نشر الحضارة والعمران .

فيفضل نضاط عبد الرحمن بن رستم وخلفائه الذين اعتنوا بإقليم تاهرت ذي المناخ القاسي فأحسنوا استخدام الأمطار ، ونظموا أعمال الري فاجروا الأنهار ، عمرت المنطقة وعرفت الزراعة وغراسة الأشجار بعد أن كانت منطقة رعوية فقط (٤٠) . كذلك ازداد عمران مدينة تاهرت نفسها وأصبحت تسمى عراق المغرب ، كما يقول اليعقوبي (٤١) ، بفضل المهاجرين إليها من المشرق وخاصة من العراق ، من : الكوفة والبصرة . ممن اغتنوا وبنوا الدور والمساجد والقصور ، كما يذكر ابن الصغير (٤٢) .

الاهتمام بالتجارة :

والحقيقة أن ازدهار تاهرت هذا لا يرجع إلى عملية الإحياء الزراعية وحدها ، وذلك أن أهمية تاهرت الرسمية تمثلت بشكل خاص في أنها كانت الوسيط في تبادل السلع بين الأقاليم الزراعية في شمال المغرب الأوسط حتى الأقاليم الساحلية حيث كان مرسى فروخ معروفًا بأنه مرسى مراكب تاهرت ، كما يقول اليعقوبي (٤٣) ، وبين أقاليم الرعي الجنوبية وما يليها من الأقاليم الصحراوية وبلاد السودان .

وبلغ اهتمام الإمارة بتجارة السودان حتى قيل أن أفلح بن عبد الوهاب كاد يسافر إلى جوجو (كوكو) للتجارة أيام إمارة والده ، ولم يمنعه من ذلك إلا توقفه في مسألة من مسائل الربا التي امتحن بها والده ، رغم ما عرف به من العلم (٤٤) .

(٤١) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٥٣ .

(٤٢) انظر فيما سبق ، ص ٣٠٩ - ٣١٠ .

(٤٣) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٥٣ .

(٤٤) انظر الوسياني ، كتاب السير ، مخطوط ، دار الكتب المصرية ، ورقة ٢٥ ، وجه ٥ .

وهكذا كانت تاهرت ، مثلها مثل القيروان من أعظم أسواق المغرب .
ولا شك في أن الثروات التي جمعها الكوفيون والبصريون والقيروانيون ،
وغيرهم من أصحاب الدور والقصور في تاهرت ، كانت ثمرة عملهم في التجارة ،
وخاصة مع بلاد السودان التي كانت بحق في ذلك الرمان بلاد الذهب (٤٥) .

والى جانب هؤلاء التجار من المشاركة ، من عرب وفرس كان للمغاربة
(البربر) من أهل البلاد جهودهم في تنشيط تجارة تاهرت ، مثل : المراتيين
الذين سكنوها وأصبحت أموالهم إحدى دعائم الدولة الرستمية الى جانب
جند نفوسة (٤٦) ، والهواريين الذين أتوا من إفريقية وسكنوا في أحسد
الأودية غربي المدينة ، وغيرهم من : اللواتيين والمطماطين والزواغيين ، أو من
الصنهاجيين والزناتية ممن سكنوا تاهرت (٤٧) .

حراسة القوافل :

واذا كانت بعض القبائل المغربية المساوئة لائمة تاهرت ، كانت تحاول
العيش السهل عن طريق اعتراض قوافل التجار ، كما فعلت زناتة على عهد
أبي اليعقوب الذي أرسل ابنه أبا حاتم لحماية بعض القوافل الآتية من
المشرق ، فإن كثيرا من القبائل التي سارت بالطاعة ، بل ومن التي رفعت راية
العصيان ، عملت على تقديم العمران في بلادها .

العمران خارج تاهرت :

فعلى مسافة أيام قليلة شرق تاهرت كانت بلاد بني دمر وهم من يربور
ناتة ، تليها بلاد أقاربهم من بني برزال ، وكانوا كلهم خوارج أو شراة ،
ما يسميهم اليعقوبي ، وكانت بلادهم : « بلد زروع ومواشي » (٤٨) . أما عن
الزباب التي كانت في حكم الأغلبة وقتئذ ، فلا شك أن الجماعات الخارجية
متنشرة فيها ، رغم عدم إشارة اليعقوبي الى ذلك (٤٩) . وهذا ما يفسر
أن صارت بلاد الزباب أهم معقل الإباضية بعد العهد الرستمي . كما

(٤٥) انظر فيما سبق ، ص ٤٠٦ .

(٤٦) انظر فيما سبق ، ص ٣٨٧ .

(٤٧) انظر حارسه ، بلاد البربر ، ص ١١٢ - ١١٣ .

(٤٨) البلدان ، ص ٣٥٢ .

(٤٩) انظر البلدان ، ص ٣٥٠ .

كانت جماعات الخوارج مزدهرة في قلب الصحراء في اقليم ورجله حيث قبائل
سدرة : انصار الزستيين الأوائل منذ عهد عبد الرحمن بن رستم (٥٠) .
ومثل هذا يقال عن جماعات الخوارج في جبل أوراس ، جنوب هضبة قسطينة
حيث أقامت جماعات من هواة كانت تحيط بمدينة باغاية (٥١) .

ومن جماعات الاباضية المخالفين لامامة تاهرت الذين يذكرهم اليعقوبي ،
تلك الجماعة التي كان يرأسها ابن مسالة الهواري الذي كان يسكن مدينة
تسمى الجبل غير بعيد من البحر ، وكان له مزارع وقرى وعمارات وأشجار .
وكانت مملكة ابن مسالة هذه تتأخم مملكة محمد بن سليمان العلوي ، كما يقول
اليعقوبي (٥٢) .

عمران جبل نفوسة :

أما أكثر مواطن الخوارج ازدهارا واستقرارا خارج تاهرت فكان ، من
غير شك ، جبل نفوسة ، معقل الاباضية دون منازع . فعلى عهد امامة تاهرت
عرف جبل نفوسة عصر ازدهار حقيقي . فقد زها بضياعه وقراه ومزارعه
وعماراته الكثيرة (٥٣) ، وأثرى تجاره الذين نافسوا تجار تاهرت في نشاطهم
الى قلب الصحراء وحتى بلاد السودان (٥٤) .

وحول جبل نفوسة ، شرقا في منطقة سرت الداخلة في نطاق اقليم
برقة ، وجنوبا في اقليم ودان ، انتشرت قبائل مزاة الذين عرفوا بأنهم كلهم
اباضية ، وان كان اليعقوبي يعلق على ذلك قائلا : « على أنهم لا يفقهون ولا لهم
دين » . وفيما وراء ودان جنوبا كان أهل زويلة أيضا كلهم من الاباضية ،
وكانت لهم تجارتهم مع السودان ، وان كانوا قد تخصصوا في تجارة الرقيق
حيث كانوا يأتون بأنصافهم المختلفة ، من : الميريين ، والزوغاوين ، والمرويين ،
وغيرهم من أجناس السودان (٥٥) .

(٥٠) انظر ج . مارسيه ، بلاد البربر الاسلامية ، ص ١٠٣ .

(٥١) انظر اليعقوبي ، ص ٢٥٠ .

(٥٢) البلدان ، ص ٣٥٦ .

(٥٣) اليعقوبي ، ص ٢٤٦ .

(٥٤) انظر غيتا سبيتي / ص ٤٠٥ .

(٥٥) انظر اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

سجل ماسة المدراية :

وهكذا كانت الجماعات الاباضية في أواخر القرن الثالث الهجري مزدهرة في صحاروات المغرب ما بين تاهرت وبرقة بفضل اشغالها في الرراعة باحياء الأرض ، وفي التجارة ما بين الشمال وبلاد السودان . ومثل هذا يقال عن جماعات الصغرية في سجل ماسة الذين كانوا مرتبطين بتاهرت بطريق بجاري يصفه اليعقوبي : بأنه يخرج من تاهرت في أنجاه بين القبلة والمغرب ، ويمر بعد ٣ (ثلاث) مراحل بمدينة أوركا التي كانت لبعض قبائل زناتة المعروفين ببسى مسرة ، ثم يحرف غربا الى أرض زناتة ، قبل أن يصير الى مدينة سجل ماسة بعد ٧ (سبع) مراحل تقريبا . وإذا وصف اليعقوبي بعض الطريق بأنسه مقارنة أي صحراء فاحلة ، فإن معظم مسيرته كانت في قرى ، وإنه وصف بأنها عر أهلة .

أما مدينة سجل ماسة نفسها ، فكان لها نهر يقال له زيز وكانت زراعة أهلها ، وأكثرهم من صنهاجة ، الدخ والدرة . وإذا كان اليعقوبي يعرف أن وادي درعة يدخل في قرى سجل ماسة ، فإنه يشير الى أن إحدى مدن درعة ، وهي تامدلت ، كانت قاعة لأحد الأدارسة وهو يحيى بن إدريس العلوي . وإذا وصفت تامدلت بأنها لم تكن بالمدينة الكبيرة ، فمن المبه أنه كان « حولها معادن ذهب وفضة . يوجد كالكسات . ويقال إن الرياح تسفيهه » (٥٩٦) . ولا نأس أن يكون استقرار الأدارسة بعيدا في وادي درعة من أجل استغلال تلك المعادن الثمينة .

والذي يلفت النظر هنا هو أن العلويين من الأدارسة كانوا يراحمون الخوارج الصغرية في العمل الحضاري في صحاروات سجل ماسة الجنوبية ، كما زاحموا اباضية تاهرت في تلمسان وسواحل المغرب الأوسط ، فكان الرستميين ولأدارسة عملوا جنباً الى جنب في النهضة المدنية لبلاد المغرب ، في لقرن الثالث الهجري/٩م ، وإن كان عن غير قصد .

ناس الادريسية :

وكما كان للأغاللة والرستميين دورهم في الأخذ بيد النهضة الاقتصادية التي عرفتها افريقية والمغرب الأوسط ، كان للأدارسة نصيبهم في أتعاش

(٥٦) اليعقوبي البلدان ، ص ٣٥٩ ، وأطر فيما بعد ، ص ٢٢٩-٢٣٠ ، ص ٥٩٧ (عن

أحوال . خبر التي حوّل بها عبيد الله من سجل ماسة) .

كل من المغربين : الأقصى ، والأوسط . فقد كان وجود امام علوى فى منطقة فاس سببا فى وصول قبض من المهاجرين العرب ، من : الأقارب العلويين الوافدين من المشرق ، والقيروانيين القادمين من مملكة الأغالبة ، والأندلسيين البائشين لهم عن موطن جديد . ووجد كل هؤلاء بغيتهم المنشودة فى غاصصة الأدارسة التى تضخمتم عدوتها ، حتى أصبحت فى أواخر القرن الثالث الهجرى ، على أيام اليعقوبى وعلى عهد يحيى بن يحيى بن إدريس : المدينة العظمى التى يقال لها مدينة إفريقية ، على النهر العظيم الذى يقال له فاس « (٥٧) » .

وحق لليعقوبى أن يخطئه ويسمى مدينة فاس « بمدينة إفريقية » ، فكأنها صارت اختا « مدينة القيروان العظمى » (٥٨) ، وهو الأمر المقبول من حيث العمل الحضارى ، كما نرى . فمدينة فاس ، كما يصفها اليعقوبى فى أواخر القرن ٣ هـ / ٩م : « جليلة ، كثيرة العمارة والمنازل » . وهو يعد فى الجانب الغربى من نهر فاس ، أى فى « مدينة أهل الأندلس » ثلاثة آلاف رجا تطحن بماء النهر الجارى (٥٩) . فكان مدينة فاس الأدرسية كانت فى أقصى المغرب ممثلة حقيقية لحضارة العرب الناهضة فى ذلك الوقت المبكر ، ومنافسة حقيقية لعواصم المشرق التى لم تأل جهدا فى استخدام القوى المائنة والهوائية لإدارة الطواحين بدلا من الدواب والماشية . وإلى جانب الطواحين كان على نهر فاس : « عمارات جليلة ، وقرى وضياع ومزارع من حافته » ، منذ منابعه من العيون القبلية إلى أن يفيض فى نهر سبو (٦٠) .

شمال فاس ، وبلاد الريف :

أما عن بقية مملكة فاس التى قسمت منذ عهد محمد بن إدريس ، فكان نهر سبو على أيام اليعقوبى ، إقطاعا لحمزة بن داود بن إدريس . وإلى الشمال منه كانت « حصون وعمارات وبلد واسعة » ، لواء من ولد داود بن إدريس ، يلى ذلك قلعة صدينة التى كانت لمحمد بن عمر بن إدريس . وكان آخر حدود مملكة بني إدريس بن إدريس ، فى بلاد الريف شمالا ، بلد يسميه اليعقوبى « منحاص لخانة » ، حيث يجتمع حاج السوس الأقصى وطنجة ، وكان لقلتي

(٥٧) البلدان . ص ٣٥٨ .

(٥٨) البلدان . ص ٣٤٧ .

(٥٩) البلدان . ص ٣٥٨ .

(٦٠) البلدان . ص ٣٥٨ .

ابن عمر بن ادريس ، ثم ببلد غميرة ، الذي نطن أنه غمارة ، وكان نعبد الله
ابن عمر بن ادريس (٦١) -

تلمسان واحوازها :

بلاد بني محمد بن سليمان :

وتأتى بعد فاس مدينة تلمسان ، المدينة العظمى المشهورة بالمغرب ، كما
سميها اليعقوبى بمعنى العاصمة ، وكانت أول معاقل العلويين من بني محمد بن
سليمان ، من حيث انتشاراً في سواحل المغرب الأوسط وبواديته - فتلمسان
التي يصفها اليعقوبى كانت مدينة حصينة عليها سوران من حجارة ، مثل
بغداد ، وبها خلق عظيم وقصور ومنازل مشيدة ، وحولها قبائل من يربر
مكناسة - أما صاحبنا في ذلك الوقت ، فكان محمد بن القاسم بن محمد بن
سليمان (٦٢) -

ما بين بني محمد بن سليمان والاباضية :

وفي شرق تلمسان كانت هناك مملكتان لبني محمد بن سليمان ،
تتبعهما متاخمة لمملكة ابن مسالة البوارى الاباضى ، وعاصمها مدينة تمطلاس ،
وأكثر أهلها من يربر مطاطة (٦٣) ، وثانيتها عاصمتها مدينة مذكرة ، المتاخمة
من حية الشرق لبلد متيجة . وكانت للحسينيين من بني محمد بن جعفر -
ومملكة متيجة هذه كانت بلداً واسعاً ، « فيه عدة مدن وحصون ، وهو بلد
زرع وعمارة » (٦٤) - وإلى الغرب من مدينة مذكرة ، اتصل ملك بني محمد بن
سليمان في مدينة الخضراء بما كان يتبعها من « مدن كثيرة وحصون وقري
ومزارع » . وينص اليعقوبى على أن كل رجل من بني محمد بن سليمان
كان مقيماً متحصناً في مدينة وناحية ، « وعددهم كثير حتى أن البلد يعرف
بهم ، وينسب إليهم » . وآخر المدن التي في أيديهم ، قرب ساحل البحر ، يقال
لها سوق إبراهيم وهي : المدينة المشهورة ، وكان صاحبها هو عيسى بن إبراهيم
ابن محمد بن سليمان (٦٥) -

(٦١) البلدان لليعقوبى ، ص ٣٥٧ -

(٦٢) البلدان ، ص ٣٥٦ -

(٦٣) البلدان ، ص ٣٥٦ -

(٦٤) البلدان ، ص ٣٥٢ -

(٦٥) البلدان ، ص ٣٥٣ -

١٠٠٠ بنى محمد بن سليمان وزنانة :

إذا كان بنو عمومة الأدارسة قد اعتصموا بالأقاليم الواقعة في شرق تلمسان حتى صارت تعرف ببلاد بنى محمد بن سليمان ، فانهم فقدوا في غرب تلمسان مدينة هامة حملت اسمهم ، هي « مدينة العلويين » التي تركوها لجماعة من زنانة ، بقيادة رجل يقال له علي بن حامد بن مرحوم الزناتي (١٦) . وفيما وراء مدينة العلويين من جهة الغرب كان لبني محمد بن سليمان مدينة ثمالة ، وفي غربها كانت تنتهى مملكتهم بمدينة فالوس المتاخمة لمدينة نكور ، قاعدة ملك صالح بن سعيد النفزي . ويصف اليعقوبي فالوس بأنها « مدينة عظيمة أهلها من البربر من مقطاعة وترجة وجزولة وصنهاجة » . أما مملكة صالح بن سعيد ، وهي نكور ، فهي : « مسيرة عشرة أيام في عمارات وحصون وقرى ومنارل وزرع وضرع وخضب » ، وذلك الى حدود مملكة بنى ادريس بن ادريس (١٧) .

١٠٠١ الادارسة في وادي درعة والسوس الأقصى :

والى جانب مملكة فاس ومملكة بنى محمد بن سليمان كان للادارسة اماراتهم في وادي درعة في منطقة سجلماسة ، كما كانت لهم ممالكهم في السوس الأقصى حيث نزل ابو عبد الله بن ادريس بن ادريس ، وكذلك في البلاد الممتدة ما بين السوس الأقصى وأغمات ، التي يصفها اليعقوبي بأنها : « بلد خصب فيه مرعى وزروع وسهل وجبل ، وأهله قوم من صنهاجة (١٨) » .

وهكذا انتشر الادارسة فيما بين المغرب الاوسط وأقصى المغرب الأقصى الى صحرا- سجلماسة وبلاد السوس . وعملوا على تمدين البلاد وبنوا المدن والأسواق ، مثل : مدينة العلويين وسوق ابراهيم في المغرب الاوسط ، واستغلوا مناجم الذهب والفضة ، كما فعلوا في تامدلت بوادي درعة ، قسلا عما قاموا به في سبيل اعمار منطقة وادي فاس ومدينة فاس بمدينة افريقيا العظمى ، كما يسميها اليعقوبي .

١٠٠٢ خلاصة الموقف العمراني :

وهكذا تكون بلاد المغرب لقد عرفت نوعا من الازدهار الاقتصادي والمادى

(١٦) البلدان لليعقوبي ، ص ٣٥٦ .

(١٧) البلدان لليعقوبي ، ص ٣٥٦-٣٥٣ .

(١٨) البلدان ، ص ٣٦٠ .

في القرن الثالث الهجري/٩م بفضل مجهودات كل من -الاعالبة- والروستمين والادارسة ، وذلك بعد فترة الاضطراب التي شهدتها البلاد على عهد ولاية دمشق والعباسيين الأوائل . فقد كان استقلال كل أسرة بملكيتها حافزا لها على تنمية مواردها المالية ، فانفقت دخلها في العناية بالزراعة وأعمال الري ومد المدن بأنحاء ، وثابن طرق المواصلات اللازمة للتجارة ، مما عاد على أهل البلاد بالرخاء ، وعلى الحكام بالتمكن من الأمر واستفحال الملك .

ولقد اضطردت هذه القاعدة عندما دب ديبب الفتنة في كل من الدول الثلاث فاختلف أمراء الأسر الحاكمة فيما بينهم ، وقام المتغلبون في المدن والأقاليم ، اذ نشط كل متغلب منهم في تنمية موارده اقليميه ، وعمل على أن تكون مدينته منافسة للمدينة العظمى أي العاصمة ، وهذا ما يفسر انتشار المدن العظمى ، في وصف أليعقوبى للبلاد على طول الطريق من الفريقية الى أقصى المغرب . والمدن التي توصف بالعظمى ١٢ (اثنتا عشرة) مدينة هي : القيروان ، وتونس (٦٩) ، وسيبطة (٧٠) ، وتوزر (عاصمة قسطنطينية) ، وبشرة (عاصمة نفراوة) ، وطبنة (عاصمة الزاب) (٧١) ، وميلة (٧٢) ، وتاهرت (٧٣) ، ونمطلاس (٧٤) ، وتلمسان (٧٥) ، وفالوس (٧٦) ، وأخيرا فاسي (٧٧) .

هذه المدن - دون ذكر غيرها من العواصم المحلية التي كان ينزلها الولاة ، والمتغلبون من القواد ورؤساء القبائل - التي زهت بأسواقها ، ومتاجرها وحرفيها ، وحماماتها ، وقصورها ، ومساجدها الجامعة والمحلية ، والتي جمعت أخلاطا من الناس ، من عرب المشرق : الصرحاء والموسومين بالفرس وبالأخراسانية ، عرب المغرب : الوافدين من افريقية والأندلس ومن المغاربة

-
- (٦٩) مدينة عظيمة . البلدان ، ص ٣٤٨ .
 (٧٠) المدينة القديمة العظمى . البلدان ، ص ٣٤٩ .
 (٧١) البلدان ، ص ٣٥٠ ، ٣٥١ .
 (٧٢) مدينة عظيمة حليمة : البلدان ، ص ٣٥١ .
 (٧٣) البلدان ، ص ٣٥١ . المدينة العظمى . عراق المشرق .
 (٧٤) من عواصم بلاد بني محمد بن سليمان المتاخمة لمملكة تاهرت غربا : البلدان ، ص ٣٥٦ .
 (٧٥) البلدان ، ص ٣٥٦ .
 (٧٦) من عواصم بني محمد بن سليمان غرب تلمسان . البلدان ، ص ٣٥٧ .
 (٧٧) المدينة العظمى التي يقال لها مدينة الفريقية . البلدان ، ص ٣٥٧ .

(البربر) على اختلاف قبائلهم : الصرحاء منهم والمتنسيين الى عرب اليمنية والقيسية ، عرفت أيضا ازدهارا ثقافيا وروحيا ، مما كان نتيجة طبيعية لهذا الازدهار المادي ، وذاك التنوع في الاجتماع البشرى .

الازدهار الثقافي والحياة الروحية :

الاطار المادي :

والحقيقة ان كل عاصمة سياسية كانت على قدر اهميتها به كبرت أم صغرت - سوقا تجارية ومركزا علميا في نفس الوقت . وهنا نجد ازدهار التجارة وثيق الصلة بتقدم العلوم والثقافة . فعلى قدر تراكم المال والثروة يكون الاهتمام بالمدينة والحضارة . فتكديس الثروات في كل من العواصم أو (المدن العظمى) هي التي تفسر بناء الدور والقصور ، وتشييد المجموع والمساجد التي صارت معارض للفنون التشكيلية ومراكز للعلوم والثقافة ، من : دينوية ودينية .

في افريقية :

متحف جامع القيروان :

ففي افريقية الأغلبية كان جامع عقبة - مفخرة مدينة القيروان ومتبع زهوها الى اليوم ، الذي كان أعيد بناؤه أكثر من مرة بمعرفة ولاة الأمويين والعباسيين ، قبل أن يجده بالشكل الذي وصل اليه الآن زيادة الله الأول ومن أتى بعده من أمراء الأغلبية - متحفا للفن الاسلامي في افريقية ، كما كان مركزا للعلوم الدينية . فهو ، بفضل اتساع مقاييسه ، وبسطة خطوطه ، وزخرفته الضخمة القديمة ، وتخطيطه المعمارى العربى الاصيل ، المستوحى من تخطيط مسجد النبي في المدينة ، يعتبر آية من آيات الفن الاسلامي المبكر . واول ما يشد النظر عند الدخول الى المسجد الجامع هو الصحن الفسنيح ، الذي يوحى للزائر بأنه في ميدان رئيسي لبعض المدن الفخمة ، بفضل مجموعات السقائف البديعة المحيطة به ، التي ترفعها الأقواس نصف الدائرية الجميلة ، المحملة على رؤس الأعمدة الرشيقة ذات النقوش المختلفة والأصول المتنوعة . مما تم صنعه بأيدي الفنانين المعاصرين من أهل البلاد . ومن الوافدين ، ومما يرجع الى ما قبل الاسلام - الأمر الذي يجعل من عناصر الجامع متحفا حقيقيا .

وينفتح على الصحن الواسع بيت الصلاة الذي تقسمه صفوف من الأعمدة

الرئمة ، دوات التيجان الثمينة المأخوذة من العماائر القديمة ، الى : ٦٧
(سبعة عشر) رواقا عمودية على حائط القبلة ، و ١٠ (عشرة) أروقة عرضية
موازية لحائط القبلة ، مغطاة بسطح مستقف تحمله حوائز خشبية مزخرفة
بأنواع الزوايا . والرواق الأوسط ، كما هي العادة في المساجد العربية
الطرار ، أكثر اتساعا وأعلى ارتفاعا من بقية الأروقة على الجانبين (٧٨) ، وعلى
كل من طرفيه تقوم قبتان رشيقتا الأضلاع . وفي معادل الرواق الأوسط .
وعلى سمت قتيه المضلعين ، تقوم - في طرف الصحن - مارة الجامع
العريقة ، بشكلها المربع وهيكلها المهييب .

ويكاد الأثريون يتفقون على أن الأثر الشامى يظهر فى تخطيط هذه
المنارة وفى موقعها من الجامع ، بينما تدل هيئة السوارى وكذلك شكل
الأقواس على أنها منقولة من مصر . وإلى جانب ذلك فابهم يجنون فى بعض
تفصيلات الشباب تقليد للعمائر العراقية المعاصرة . أما عن الزخارف المنحوتة
فى الحجر أو فى الرخام فهم يرون أنها تتفق مع تقاليد المصانع المحلية .

والمهم فى كل ذلك هو أن اختلاف المؤثرات ، هذا ، لا ينعى ناسق
المجموع : فالعناصر الوافدة من العراق ، والمستجلبية من مصر ، وكذلك العناصر
الأفريقية المحلية القديمة وهى التى تكاد تمثل أخلاط الناس من سكان ألدن ،
من : العرب وأخراساية والمعاربة أو السرب ، اشركت جميعا فى التعبير
الكللى الجميل ، وهو ما يمثل عبقرية الفن العربى الإسلامى .

وأخيرا فإن ما قيل عن مسجد عقبة الجامع يمكن أن يقال عن جامع
الزيتونة بتونس ، وعن رباطات سوسة والساحل ، التى جمعت فى مبانيها

(٧٨) وهذا الأمر جعل الأثريين الأوربيين يشبهونه بالرواق الرئيسى فى البازيليكية
(الكنيسة) المسيحية ويقولون انه مستوحى منها - انظر ح - مارسيه ، الفن الإسلامى ،
ط ١ لاورس (بالفرنسية) ، ص ٥ ، وقاؤن كرسويل ، الفن الإسلامى المبكر ، ط ١ بليكان
(بالانجليزية) ، ص ٢٥٦ - ٢٥٨ (حيث يقرر فقط أن الرواق الأوسط كان فى البداية
أوسع مما هو عليه الآن بأربعة أقدام) ، وانظر أحمد فكرى ، المسجد الجامع بالقيروان ،
ص ٢٥ - حيث يفسر استاع الرواق الأوسط بالحاجة الوظيفية لهذا الرواق الذى يقابل
المحراب والمبهرستى - يسمح لأكثر عدد من المصلين المتجمعين فيه ، من رؤية الإمام وهو يخطب
أوجههم يؤمهم فى الصلاة - وهذا ولقد ياور - الدكتور أحمد - فكرى نظريته فى الأهمية الوظيفية
لأستاع الرواق الأوسط فى المساجد الإسلامية فى كتابه « المدخل الى مساجد القاهرة ومدارسها »
انظر ص ٣٠٠ - ٣١٢ .

ما بين الحصن والجانب ، كما يظهر في روافد المستنقع الشهير والحقيقة ان هذه الآثار ، التي بجانب ما تبقى للناس من المناظر والمزاج ، وبعض الفسوة الضعيف ، يؤكد مولى فن حسن التناوب ، قوى التعبير ، ويثبت تحيـام هدية حسنة ، وهي في سبيلها الى مزيد من التقدم والازدهار ، مع ازدياد انصهار ذلك الخليط المبرقش من خلط الناس ، الذين عبر ذلك الفن عن شخصيتهم المركبة في ذلك العصر .

في تاهرت :

خصائص ذاتية : حياة البساطة وانعكاساتها في المجتمع :

وإذا كانت بقايا الآثار الأغلبية - وهي قليلة - تسمح باعطاء فكرة عما كانت عليه العمارات الدينية ، وخاصة المساجد ، ومسجد عقبة على وجه الخصوص ، فإن الأمر ليس كذلك بالنسبة لتاهرت الرسمية . فمن الأمور المتفق عليها ، أنه رغم ازدهار تاهرت المادى بفضل تنوع عناصر سكانها ، من : العرب ، والفرس ، والبربر ، الذين كافي لهم أثرهم من غير شك لحياتهم . هناك من المباني ، فإن امامة تاهرت ظلت محافظة على تقاليد الخوارج التي تمثل في حياة التقشف والاقبال من التمتع بمباهج الحياة . حقيقة أن التجارة والحياة الاقتصادية كانت مزدهرة في تاهرت التي تكسدت فيها الثروات وبنيت فيها الدور والقصور ، ولكن مسار الحياة المادية هناك كان ينساب بايقاع رتيب ، يختلف عن ذلك الذي عرفته افريقية . فالمسألة هنا لا تتعلق فقط بتكدس الثروات ، عصب الحضارة - وهذا قانون عام سرى في القديم ، كما يسرى في عصرنا الحديث - بل هو وثيق الصلة بما تقتضيه أحوال البيئة : والبيئة الرعوية أو البدوية ، المختلفة إذا لم نقل المتخلفة عن بيئة افريقية المدنية ، كانت السائدة في بلاد تاهرت .

اعتماد حضارى افقى :

وإذا لم يكن هناك مجال للمقارنة بين أئمة تاهرت المتقشفين ، المتسكين بأهداب الدين ، وبين ملوك رقادة المتحررين ، المنغمسين في مباحج الحياة ، كذلك يمكن القول ان المسافة ظلت بعيدة بين ما كان عليه جامع القيروان الأغلبى وجامع تاهرت الرستمنى ، أو غيره من بيوتهم الاباضية المعاصرة التي لم يبق لنا من آثارها ما يسمح بمثل هذه المقارنة . وكذلك كان الحال بالنسبة لغير المساجد من المباني المدنية أو الحربية : حقيقة ان كتب السير الاباضية تتحدث عن كثير من المساجد والزوايا والمصليات التي بنوها فتيوخ المذهب

فى كل من ترى جبل نفوسة ، أو اقليم نفزاوة ، أو يلاذ الزاب ، أو اقليم تاهرت ، ولكنه من الواضح ان تلك المساجد كانت متواضعة تمثل تواضع المجتمعات الاباضية القاطنة فى تلك البلاد وبساطتها -

هذا ما يمكن أن نفهمه عندما ندقق النظر فى كتب الاباضية مثل : كتاب «السير لأبى الربيع الوسياني (٧٩) ، حيث نجد أنه كان لمدينة قنطرة ، المتاخمة لجبل نفوسة ، مسجدا جامعا كانت تقام فيه صلاة الجمعة على أيام الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، وهو الأمر الذى لم يكن معمولا به فى الجبل من قبل : لأن أهل الجبل « قرى متباينة » يصعب تجمعهم كما يقول المؤلف . أما بقية قرى الجبل فكانت لها مساجدها المحلية ، غير الجامعة مثل : أو سلم التى تعتبر أول موضع أذن فيه المؤذنون فى جبل نفوسة (٨٠) ، وارجلان الذى يعتبر موضع منبر جامعها أول موضع سجد فيه لله فى وارجلان (٨١) ، وأجلو التى كان لها مسجد كبير ، يحتوى على حصلى للنساء (٨٢) ، وجغراف : من قرى الزاب (٨٣) ، وقابس التى عرف مسجدها بمسجد الوهيبية (٨٤) ، الى غير ذلك من المساجد التى عمرت بها قرى جبل نفوسة والأقاليم المجاورة ، بعد انعهد الرستمي - دون اشارة الى ما ما كانت عليه تلك المساجد من مظاهر العراة أو الزخرف .

هذا ، وإذا كانت بقايا مدينة سدراة ، فى اقليم وزجلة ، التى صارت عاصمة للخارجية بعد سقوط تاهرت ، قبل انتقال الاباضية الى الزاب ، قد كشفت عن وجود أصداء لفخامة المباني العباسية فى المدينة الصحراوية ، فإن أثر تلك الفخامة العباسية كان ضعيفا على كل حال (٨٥) . فكان أخذ إمامة تاهرت من حضارة المشرق العباسى كانت بقدر يتناسب مع بساطة مجتمعها الاباضى ، وهذه البساطة هى ما يميز حضارة الرستميين عن حضارة كل من الأغالبة والأدارسة .

(٧٩) مخطوط دار الكتب المصرية ، رقم ح/٩١١٣ .

(٨٠) الوسياني «كتابه السير» المخطوط : ص ١٢ - ١٠٠ .

(٨١) الوسياني «التاريخ» المخطوط ، ص ١٢ - ١٠٠ .

(٨٢) الوسياني «المخطوط» ، ص ٢٥ - ١٠٠ ، ب .

(٨٣) الوسياني «المخطوط» ، ص ٩٠ - ١٠٠ .

(٨٤) الوسياني «المخطوط» ، ص ٩٨ - ١٠٠ .

(٨٥) أنظر ح. ماركسيه ، بلاد البربر الاسلامة ، ص ١١٥ - ١١٦ .

في فاس :

حضارة وسط بين القيروان وتاهرت :

أما عن تراث الأدارسة الذي لم يبق لنا منه شيء الكثير ، من : الآثار المادية أو الشواهد الكتابية ، سواء في تلمسان والمغرب الأوسط أو في فاس والمغرب الأقصى ، فأغلب الظن أن حضارتهم المادية كانت وسطا ، بين حضارة القيروان التي تكاد تمثل حضارة بغداد بكل مظاهرها ، وبين حضارة تاهرت التي لم تأخذ من العباسيين إلا بقدر . فمدينة فاس عند بدء بنائها في أواخر القرن الثاني الهجري / ٨م كانت أشبه بقيروان عقبة الأول قبل ذلك وأكثر من مائة عام ، كما أن كلا من حامعي عدوتيهما : الأشياخ في عدوة الأندلس الشرقية ، وأشرفاء في العدوة الغربية ، كان يذكر ببساطته وصغر حججه جامع عبد الرحمن بن رستم في تاهرت الذي بنى قبلهما بحوالى نصف قرن .

حقيقة الله بمشاركة المهاجرين ، من الأندلس ومن بلاد القيروان في بناء مدينة إدريس بن إدريس ، تمدنت عدوتي فاس بفضل ما حصله معهم هؤلاء . من تراث أهل الأندلس الشامي الأصل ، الذي كان قد بدأ يتأثر بحضارة بغداد ، ومن تراث أهل إفريقية الذي ظهرت فيه مؤثرات بلاد مصر والشام ولعراق ، ولكن تمدن العاصمة الإدريسية الجديدة ، كان محدودا في ذلك الوقت ، على كل حال .

جامع القرويين الإدريسي :

فحتى جامع القرويين الذي ما زالت تحتز به مدينة فاس الى اليوم ، كما اعتزت به على طول العصور ، على زعم أنه من بناء الأئمة الشرفاء ، رغم ما هو معروف من أنه من بناء الوافدين على فاس من أهل القيروان ، وكأنه عندما بنى في سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م كان صغير الحجم ومتواضع البناء - على ما يظهر - هذا ما يفهم من قصة بنائه التي تنص باصرار شديد على أن المال الذي أنفق على البناء كان ما حللا لم تدخله شبهة ربح غير حلال من تجارة أو غيرها . بل ومن الإصرار أيضا على أن مواد البناء ، من : حجر ورمل وماء ، آتت حللا صافيا من تقطن أرض الجامع ، وليس من غيرها ، مما يترتب عليه بحكم الضرورة ، أنه يكون البناء بسيطا بما يتناسب مع تلك الظروف المحدودة .

وحمل هذا يمكن أن يقال أيضا عن جامع الأندلس الذي ينسب بناؤه إلى

نفس الأسرة القروية (٨٦) التي يظهر أنها كانت مالكية متشددة .

وهذا ما يذكرنا بتشدد إباضية تاهرت وبساطتهم ، وهو الأمر المنقبول ؛ إذا ما تذكرنا أن المنطقة كانت منطقة خوارج المغرب الأوائل ، وأن الإمام إدريس ابن عبد الله عندما نزل على أوربة كان زعيمهم من الواصلية أو المعتزلة ، وهم يعنق فرق الإباضية هناك . ولا بأس أن يكون ذلك الاصرار في مسألة الحلال وطهارة المساء قد أتى من جاب البنائين القيروانيين المالكية كما قلنا . وهنا قد لا يفسر تزميتهم الديني هذا إلا ما عرفوه من تساهل أمرائهم السابقين في إفريقية . فكان تعصب أهل القيروان في فاس كان رد فعل مقبول لتحرر الأغلبية في القيروان ، وهذا يعني أنهم ، وإن كانوا قد حملوا معهم حضارة بلادهم الأغلبية ، فإنهم لم يكونوا ليسرفوا في التعبير عن مباحجها . وبذلك يمكن القول أن جامع القرويين الإدريسي كان وسطاً بين جامع القيروان الأغلب ، الذي عبر عن حضارة إفريقية كانت في سبيلها إلى المزيد من التفتح والازدهار ، وبين جامع تاهرت الرستمي الذي ظل محتفظاً ببساطته المناسبة لتقشف رواده ، رغم المؤثرات الحضارية التي وفدت على المدينة من إفريقية والعراق ، ومن الأندلس .

جامع القرويين الزناتي وتسمية العدة باسمه :

أما عن جامع القرويين الذي صار مفخرة حقيقية لمدينة فاس فيرجع إلى عهد الرناتيين الذين خلفوا الإدارة ، والذين ارتبطوا بالأندلس - رغبة منهم أو رهبة - بعلاقات وثيقة ، فكان الأثر الأندلسي فيه أوضح من غيره من المؤثرات ، وهو الأمر الطبيعي . وأغلب الظن أن مدينة الضفة الغربية لوادي الخامس اشتهرت باسم عدة القرويين نسبة إلى جامعها الذي صار أشهر مساجد المغرب الأقصى وعرقها ، بعد أن طغى بشهرته على جامع الإدارة الحقيقية في المدينة ، جامع الشرفاء ، وحتى دار في خلد البعض أن جامع القرويين هو جامع إدريس بن إدريس (٨٧) .

(٨٦) انظر جذوة الاقتصاد لابن الخاقاني ، ص ٢٩ حيث يقدم أن فاطمة أم الحسين شرعت حتى بناء جامع القرويين ، وإن اختها مريم شرعت أيضاً في نفس الوقت ، وهو سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م ، في بناء جامع الأندلس . وانظر بعده عن جامع الأندلس ، ص ٤٣ .
(٨٧) انظر عبد الهادي التازي ، جامع القرويين بفاس ، رسالة دكتوراه ، حل الآلة الكتاتبة ، قدمت لجامعة الإسكندرية سنة ١٩٧١ ، وطبعت في بيروت ولكن لم تطلع على المطبع ، ص ٧ : حيث يشير المؤلف إلى العثور على لوحة تذكارية حنية كبيرة للحج فيها ذكر لبناء =

لغاس الادريسية :

والحقيقة ان هذا لا يتعارض مع تحول فاس ، على عهد الادارسة ، الى مركز حصري مرموق . واداً كانت كتب التاريخ أو بغايا الآثار لا تجعل من مسجد القرويين أو قصور العدوين منافسة لجامع العيوان الاعلى أو لعصور رقادة ، بعد زهت عاصمة الادارسة بحماياتها وبطراحي مائها ، كما ظهر بعض من امراء الأسرة الشرفاء بمظهر المتحررين الذين لا يتورعون ، في سبيل ملاذهم ، عن القيام بالمغامرات العاصحة ، في الأماكن العامة (٨٨) .

أما ما يقوله اس القاصي مناسبة سكنى ادريس بمدينة فاس من أنه انتهت التجارات واهل الصناعات من كل صقع ، حتى تكامل بها كل متجر ، وسقيت إليها حيرات الأرض . وجمعت فيها طرف الدنيا وتكاملت فيها حتى صار لأهل ذلك . لا عالم أعرف من عالمهم ولا راية أثبت من رأيتهم ، ولا متكلم أحزل من متكلمهم ، ولا قارىء أنقى من قارئهم . ولا نحوى أعرف من نحويهم ، ولا شاعر أحذق من شاعرهم ، ولا قول أطرب من مقنيهم فبدأ ما حدث فيما بعد منذ أيام رباتة - الذين جعلوا من العدوتين مدينة واحدة - ومن أتى بعدهم من لمثونة والموحدين ، كما يذكر المؤلف عقب انشودة الأناشيد، هذه (٨٩) .

تلمسان العلوية وغيرها من حواضر الادارسة :

أما عن الادارسة خارج فاس ، في تلمسان والمغرب الأوسط ، وفي بلاد الريف أو السوس الأقصى ، فابهم بنوا مدنا وحواضر حديثة ، مثل مدينة العلويين وسوق الراعيين ، ولكنها لم تبلغ مبلغ فاس في الكبر والعظمة . وإذا كان الادارسة في تلك البلاد قد احتموا بتحقيق الرخاء الاقتصادي عن طريق

• هذا المسند في سنة ٨٧٦/٢٦٣ م على عهد الامام داود بن ادريس . ومع أن المؤلف يميل إلى الأخذ بأنها خاصة بجامع القرويين . وأنها ليست مقولة من مكان آخر . وهو الأمر الذي لا تنحى إليه المصادر التاريخية . فالمهم انه كانت هناك محاولات لسعة الجامع إلى الادارسة . سواء كانت اللوحة خاصة بالقرويين أم لا . وانظر من ٤٨ وهاشمي ٤ حيث يشير المؤلف إلى أن بعض المشاركة من معاصرين كان يظن أن القرويين من تأسيس الامام ادريس بن ادريس . ويتضح ذلك بامارة إلى انه وقف على مخطوطة تفيد أن نسبة القرويين لأم النخيل أمر ليس محل اتفاق بين المؤرخين .

(٨٨) انظر فيما سبق من ٤٦٩ .

(٨٩) انظر حذرة الاقتباس . من ٢٥ .

العناية بالزراعة والتجارة ، فأغلب الظن أن سلطانهم كان روحيا أولا وقبل كل شيء ، وأن أول اهتماماتهم كان نشر الاسلام بين أهل البلاد من البربر ، وهو الأمر الذى شاركهم فيه أئمة تاهرت . أما فى القيروان فقد وقعت منك الرسالة الروحية على عاتق فقهاء القيروان ، ومرابطى افريقية من الزهاد والعباد .

المحتوى المعنوى :

فى هذا الاطار الذى يمثل مظاهر الحضارة المادية الناشئة فى بلاد المغرب ، فى أول عصور استقلالها ، تفتحت براعم الثقافة الاسلامية التى عرفها المشرق العباسى ، وازدهرت الحياة الروحية بشكل فريد . ففى مساجد المواسم وورباطات السواحل ، عقدت حلقات العلم والمناظرة فضلا عن الأسواق التى لم تعد بين أهلها أجلة المشايخ من الفقهاء والصالحين ، من رجال الدولة ومن العاملين فى سبيل الله . وكذلك كان كثير من بيوت العلماء معاهد حقيقية لطلاب العلم ، بينما كانت قصور الأمراء ودور الخاصة من الناس ، فى عاصمة الأغلبية على وجه الخصوص ، بلاطات ملوكية أو مجالس خلافة مصغرة ، يجتمع فيها أحلاط من الناس ، من العلماء ، والفضلاء ، والأطباء ، والشعراء ، والمنجمين ، والمهرجين ، والمغنيين ، والموسيقيين ، وغيرهم من أهل البلاد ومن الرافدين من المشرق ومن الأندلس .

الحياة الدينية :

فى افريقية :

ولكنه اذا كانت سوق الشعر والأدب والفناء قد نفقت فى بلاد الأغلبية ، فإن المسائل الدينية كانت الشغل الشاغل لأهل افريقية خلال ذلك العصر ، وخاصة فى القيروان ، مدينة عقبة المستجاب . ومع أن مذهب مالك بن أنس كان هو المذهب السائد فى البلاد عند قيام الدولة الاغلبية ، فإن مذهب أبى حنيفة كان قد بدأ يثبت أقدامه فى البلاد ، وخاصة على المستوى الحكومى بصفته المذهب الرسمى لخلافة بغداد . وكان من بين فقهاء القيروان المتبحرون فى كل من المذهبين المالكي والحنفى ، مثل : قاضى افريقية الشهير أسد بن الغرأت ، فاتح صقلية (٩٠) .

ها بين المالكية والاعتزال :

وعندما أثار المعتزلة الجدل حول مسألة أسماء الله وصفاته ، وهو الأمر الذي شغل الخلافة في بغداد في « محنة خلق القرآن » التي امتحن بها فقهاء السنة في عهد المأمون ثم المحنة المضادة علي أيام المتوكل ، كان لذلك الجدل أثره القوي في إفريقية . وفي ذلك يقال أن رجلا أتى من المشرق فسأل بعض شباب القيروان عما كان يتكلم فيه أهل المدينة من العلم ، فقالوا له : « أسماء الله وصفاته » ، مما يعنى أن علوم الدين والبحث عن الحقيقة كانت من أجب الاحتمامات إلى قلوب أهل المدينة .

ها بين العلم والجهاد :

وفي الحضر على التعلم وتقدير أهل العلم ، ينسب إلى البهلول بن راشد (توفي سنة ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م) ، زاهد القيروان وعالمها في زمانه ، أنه قال : « إذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك وتعالى العلماء فضرب عليهم بسور من نور ثم يقول : اني لم اصنع حكمتي فيكم وانا أريد أن أعذبكم . تعافوا وادخلوا الجنة » . وينسب إليه أنه قال أيضا : « ما أعمال البر كلها عند الجهاد في سبيل الله تعالى الا كصقعة في بحر ، وما أعمال البر كلها والجهاد عند طلب العلم الا كصقعة في بحر » (١١) .

وهكذا كان الجهاد والعلم يتزجان امتزاجا ، وهذا ما تمثل بشكل رائع في اسناد حملة صقلية إلى أسد بن القرات الذي كان إلى جانب علمه وفقه واحداً من الشجعان . كذلك ظهر الارتباط الوثيق بين العلم والجهاد على رباطات السواحل ومحارسها ، وأشهرها رباط المنستير قرب سوسة ، حيث انصرف المرابطون إلى أعمال الزهد والعبادة ، وأخذ العلم عن المشايخ الذين كانوا يلجأون في أوقات معينة إلى ربطهم ، وذلك في وقت فراغهم ، وهم في انتظار مجاهدة العدو إذا ما فكر في النزول في ثغرهم .

القيروان مهدا ثانيا للمالكية :

ولكنه رغم انتشار فقه أبي حنيفة بصفته المذهب الرسمي للأغلبية ، ورغم شغف الناس والأمراء بالجدل والمناظرة في مسائل المعتزلة ، وهو الأمر الذي عمل على اشتقاق جماعات الإباضية الذين انتشروا في صحاروات إفريقية

والذين كان لهم مثلهم بين علماء القبروان من غير شك ، فان حل علماء العاصمة الاعننية كانوا متمسكين بالسنة على مذهب الامام مالك . وهكذا صارت القبروان مهد المالكية الثاني بعد المدينة ، وقبل قرطبة .

وفى ذلك يقال ان بعض العلماء انصرفوا الى دراسة الفقه المالكي وحده ، ولم يحاولوا دراسة شئ غيره . والمثل لذلك أحمد بن نصر الهوارى البربرى . الذى سمع على محمد بن سحنون ، والذى « كان لا ينظر ولا يتصرف فى شئ » من العلم غير مذهب مالك ومسائله ، فاذا تكلم فيها كان فائفا ، وكانت مدونة سحنون هى المرجع الاول والاخير بالنسبة له (٩٢) . ومن النكت التى تعبر بشكل لاذع عن اهتمام المقاربة بالفقه المالكي دون غيره ، تلك الرواية التى تقول : ان اسحق بن نعمان ، الذى كان مالكي المذهب ثم أصبح شافعيًا ، كان يناقش أحد البغداديين فى الحجاز ، وأراد البغدادى أن يؤيد وجهة نظره الشرعية فقال : (روى عن النبى صلعم كذا ، فقال له ابن النعمان : فيما ذكر ، مالك لا يرى ذلك) . ودهش الرجل المشرقى لهذا الأمر الغريب ، وقال : شأست وجوهكم يا أهل المغرب ، تعارضون قول النبى بقول مالك ! (٩٣) .

مالكية القبروان :

دعائم المذهب فى كل المغرب :

ولكن الغالبية من رجسالم المذهب المالكي كانوا من ذوى العقول الثيرة وأصحاب الأفق الواسع ، ومن أبرز شخصياتهم التى ذكرناها فى ذلك العصر سحنون بن سعيد (توفى سنة ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) : فعنه يقول أصحاب طبقات علماء افريقية : « اجتمعت فيه حلال قلما اجتمعت فى غيره : الفقه البارع ، والورع الضايق ، والصرامة فى الحق ، والزهادة فى الدنيا ، والتخشى فى اللبس والمطعم ، والسماحة ... » . وكان لا يقبل لمن أحد شيئا سلطان أو غيره (٩٤) . والحقيقة ان كتب الطبقات تلك تعليلنا صورة حية عن أحوال هؤلاء العلماء . فمنهم من كان مشرقى الأصل ، ومنهم من وفد من الأندلس ، ومعظمهم رحل الى المشرق للدرس والتعلم . وأصحاب الطلقة الأولى من قدمائهم أخذوا الحديث والفقه على مالك بن أنس نفسه ، بينما أخذ أبناء الأحيال

(٩٢) انظر آداب معالي الايمان ، ط : تونس ، ص ٣ - ٥ .

(٩٣) أبو العرب ، طبقات علماء افريقية ، ص ٢١٤ ، وعن معارسة المالكية للاعتزال .

انظر ج ١ ص ٣٦٩ .

(٩٤) انظر المالكي ، رياض النفوس ، ج ١ ص ٢٤٩ .

التالية عن هؤلاء الآخرين ، في تسلسل متصدد ، - في صارت نقبروا وحما
مدبنة العلم في كل بلاد المغرب . وبمصل أعمال هؤلاء العلماء ، وخاصة مدونة
بسنون ، أنتى صارت بعد الكتب الاسدية - لاسد بن الفرات - أكر مجموعة
فقيهية في المغرب ، تاكد المذهب المالكي في كل الش . ل الامريقي .

ومعظم علماء القيروان هؤلاء الذين كانوا من أهل الرهد والورع والعبادة،
كانوا يقومون ، الى جانب ذلك ، بدور تاريخي هام في الرقابة على أمراء
الأغالبة ، وذلك حسب مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الأمر الذي صار
تقليديا في دولة الاسلام . فخصص من عمر لم يتردد في الدخول مع جماعة
الصالحين على الأمير عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب ، ليطلب منه تخفيف
الضريبة الثابتة على الأرض الزراعية بدلا من ضريبة العشر (٩٥) . والشيوخ أبو
الأحوص أحمد بن عبد الله المكفوف كان شديدا في كتابه الذي وجهه الى
الأمير ابراهيم الثاني بن أحمد الذي عرف باستبداده (٩٦) .

والذي لا حظناه هو أن أمراء الأغالبة أعطوا الأمثلة الطيبة - على وجه
المسوم - فاجتنبوا التعرض لهؤلاء الشيوخ ، بل وعملوا على مسداتهم
واكتساب رضاهم ، كما كان من تقاليدهم التكفل بتجهيز من يموت من
المشايخ ، وتكفينه ، وحضور صلاة الجنارة عليه .

في فاس :

ازدهار المذهب المالكي في العولة الزيدية :

واذا كان المذهب المالكي قد ازدهر في بلاد افريقية والقيروان في القرن
الثالث الهجري/٩ م ، فأغلب الظن أنه كان المذهب السائد في بلاد الإدارة،
وخاصة في عاصمتهم فاس ، وذلك بفضل سكان عدوتها الوافدين من كل من
قرطبة والقيروان . وإذا كان علماء فاس لم يحظوا بمثل كتب الطبقات التي
حظي بها علماء القيروان وقتئذ ، فإن كتب الطبقات الأندلسية اعتنت بتسجيل
سير كثير من علماء فاس ومناقبتهم ، وإن كان ذلك فيما بعد العصر الإدريسي .
وإذا كان المفهوم من الروايات الخاصة بقيام دولة الإدارة أن الإمام الأول كان
زيدى المذهب (٩٧) ، فإن الثابت تاريخيا هو أن الدولة العلوية الإدريسية

(٩٥) انظر فيما سبق ، ص ٤١ .

(٩٦) انظر فيما سبق ، ص ١٤٤ .

(٩٧) انظر فيما سبق ، ص ١ . من الرجل الذي احتال الإمام إدريس الأول ، وكيفية

تحويله الى لاه كان من بعد الردة . ان - عدله عبد الهادي - لادري في رسالته عن جامع -

كانت سنية المذهب ، ولهذا السبب سماها ابن عذارى بالدولة الهاشمية -
تماماً كما هو الأمر بالنسبة لدولة الأشراف الأردنية الهاشمية ، حالياً .

وعن اعتداد الإمام ادريس الأول بالسنة وبأن تكون فاس منارة لها ، قال
المتأخرون أنه عندما عزم على بناء مدينة فاس رفع يديه إلى السماء ودعا قائلاً .
« اللهم اجعلها دار فقه وعلم يتلى بها كتابك ، وتقام بها حدودك ، واجعل
أهلها متمسكين بالسنة والجماعة ما أبقيتهم » (١٨) . ومن ذلك ما قيل من أن
كاتب الإمام ادريس الثاني ، وهو أبو الحسن عبد الله بن مالك كان يلقب
بالمالكي الانصارى (٩٩) . وفي ذلك يذكر البكرى أنه كان من جلساء الإمام
يحيى بن ادريس (٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م) الفقيه أبو أحمد الشافعي الذي كان يتكلم
عنده في العلم (١٠٠) .

أما عن تلمسان الادريسية فانها لم تزل على أيام البكرى داراً للعلماء
المحدثين وحملت الرأي على مذهب مالك بن انس - رحمه الله (١٠١) . هذا ،
كما كان بنو صالح أمراء نكور قد نشروا في منطقتهم - فيما بين تلمسان
وطنجة - المذهب المالكي (١٠٢) .

= القرويين من انه اذا كان الامام مالك قد ناصر دعوة محمد السلس الذكية ... فلم لا يدعو
الامام ادريس اليوم الى الاقتصار على مذهب مالك ، وهكذا جاءهم بالموطأ فنشره بينهم ...
الخ » (انظر جامع القرويين بفاس ، بالالة الكتانية ، ص ١٣٩) ، فهذا ما لا تزيده النصوص
الخاصة بالامام ادريس الاول ، وان كان بعضها يشير الى أن ذلك كان من أسباب ميل أمير
الأندلس عبد الرحمن الأوسط ثم ابنه هشام بعد سنة ١٧٠ هـ الى مذهب مالك وتشجيع
علماء الأندلس على دراسته ونشره في بلاده - انظر الجزائى زهرة الآس ، ص ١٥ ، وقارن
بجدي ، تاريخ المسلمين في أسبانيا (بالفرنسية) ، طبعة بروفنسال ، ج ٢ ص ٢٨٧
والهامش .

• وعن انتشار المذهب المالكي في المغرب الأقصى ، فيلهم من رواية الجزائى انه تم في
القرن الرابع الهجرى بفضل الفقيه « دراس بن اسماعيل » القاسي ، المعروف بابي ميمونة
(زهرة الآس ، ص ١٤ ، ١٦) ، الذي كان قد درس في الاسكندرية حوالي سنة ٣٣٩ هـ على
يدى الفقيه علي بن أبي مطر (زهرة الآس ، ص ١٥) .

(٩٨) ابن القاسي ، جذوة الاقتباس ليعين حل من الاعلام مدينة فاس ، طبع حجر .
ص ١٨ .

(٩٩) ابن القاسي ، جذوة الاقتباس ، ص ٧ .

(١٠٠) البكرى ، ص ١٣٢ .

(١٠١) البكرى ، ص ٧٧ .

(١٠٢) البكرى ، ص ٩٢ ، ٩٧ .

وهكذا يمكن القول أنه بفضل نشاط أمراء الإدارة من دار بني فلكهم من حكام الأقاليم ، أخذ الإسلام السنن ، وخاصة على مذهب مالك بن أس - مذهب أهل الحجاز - في الانتشار في أقاليم المغرب الأقصى ، بين الريف والسهول ، وهي الأقاليم التي كانت بالأمس القريب أرضا خصبة لبذر نور مذهب الخوارج الصفرية ، والتي ظلت بيئة صالحة لنشأة عدد من المذاهب المحلية المنحرفة التي سماها الكتاب بالزندقة ، مثل : زندقة برعوطه ، في تامسنا ، وزندقة حاميم في بلاد الريف . فرغم أن بلاد تامسنا (الشاوية حاليا) كانت قد ضمت إلى المملكة الإدريسية على عهد الإمام الأول ، فان زندقتها ظهرت بقوة منذ سنة ٢٢٧ هـ / ٨٤١ م على أيام يونس بن إلياس ، أي على أيام الإدارة واستمرت إلى أيام المرابطين والموحدين (١٠٢) ، بينما ظهرت زندقة حاميم في جبال تطوان في أواخر القرن الثالث الهجري / ٩ م الذي نتحدث عنه ، وإن لم يقدر لها البقاء ، إلا إلى نهاية صاحبها حاميم الذي قتله في سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م عسكر عيد الرحمن الناصر صاحب الأندلس (١٠٤) .

وإذا كان صحيحا ما يراه جورج مارسيه ، من : أن كلاما من حركتي يونس ابن إلياس وحاميم بن من الله - بما قامت به من تحريف للنصوص الإسلامية التي نقلت إلى اللهجات البربرية المحلية ، وما صاحب ذلك من ابتعاد عن تعاليم الإسلام - كانت تعبر عن معارضة المغاربة (البربر) لصنع البلاد بالصيغة المشرقية ، التي ستزدهر عندما يستقل المغرب عن المشرق (١٠٥) . وهو الأمر المقبول ، فإنه يعني أنه يكفي الإدارة فضلا أنهم اهتموا بنشر الإسلام السنن الصحيح بين أهل البلاد المعتصمين بمواطنهم النائية . وتلك كانت القاعدة الصلبة التي شيدت عليها المملوكية صرحا عاليا ، في المغرب الأقصى : في فاس على وجه الخصوص ، وفي القرويين بخاصة - لا يضير الإدارة أن يكون بناء المملوكية قد اكتمل بعد عصرهم ، ولا أن يكون قد شارك في إقامته فقهاء القيروان أو علماء الأندلس .

في تاهرت :

والى جانب الإدارة ، كان لأئمة تاهرت الإباضية نصيبهم في القلاع

-
- (١٠٣) أنظر البكري . ص ٩٣٤ وما بعدها . الاستبصار . ص ١٦٨ وما بعدها ، ج ١ - مارسيه بلاد البربر الإسلامية . ص ١٢٦ .
(١٠٤) أنظر البكري . ص ٩٠٠ . الاستبصار . ص ١٦١ - ١٦٢ . ج ١ - مارسيه بلاد البربر الإسلامية . ص ١٢٨ .
(١٠٥) بلاد البربر الإسلامية . ص ١٢٨

دعائم الاسلام بين قنائل المغرب الأوسط وصحراوا المغرب الأقصى ، بمشاركة اخوتهم واصهارهم المدرارين صفوية سحلماسة . ويكفي النظر في كتاب سير المنقبة لشايخ الاباضية ، وخاصة سير مشايخ جبل نفوسة ، مثل كتب أبي زكريا والدرجسي وأبي الربيع الوسياني ، التي تظهر بشكل المنافس لكتب . أبي العرب والمالكي والدباغ في علماء القيروان ، لنرى الى أي حد عظيم ازدهرت مذاهب الخوارج الاباضية في طول بلاد المغرب وعرضها ، لا يقلل من ذلك ما أصابهم من انشقاقات أو خلافات كانت تعمل - في حقيقة الأمر - على إثراء الفكر الديني عن طريق جدية البحث عن حلول مقبولة لما كان يجد من مشاكل الحياة اليومية العارضة .

الأئمة : قادة قوة في العلم والعمل :

فالأئمة الرستميون كانوا المثل الطيبة والقُدوة الحسنة لاتباعهم وأبناء شعبهم ، في العلم وفي العمل جميعا ، على المستويين العام والخاص . فهم أئمة مجاهدون يمدون سيرة السلف الصالح قبل أن يكونوا حكاما ، ويقضون أوقاتهم ما بين العبادة والنظر فيما يعود بالخير على العباد والقضاء فيما ينجم بينهم من خصومات .

والامامة عندهم هي الرئاسة الدينية التي تضع نصب عينها تحقيق مصالح الرعية الأخروية والدينية . فالامام هو القائد ، سواء في الصلاة أو الجهاد ، وفي كليهما لا يرجو الا ثواب ربه : فهو عابد متقشف ، متقلل من الدنيا ، ليس له منها ، فضلا عن مصحفه وأدوات حربه ، ألا ثيابه وفراشه . وهو يعمل بنفسه في قضاء حاجاته ، لا يعاونه في ذلك - حسبما تقضى الضرورة - الا بعض خدسه أو عبيده (١٦) .

ورغم ما وصف به الأئمة من العدل والعلم ، فهم لا يستغنون عن مشورة لشايخ من أهل العقْد والحل ، لا ينقص من أهمية هذا الأمر ما تار من البراء بين الامام عبد الوهاب وبين النكارية الذين أرادوا اشتراط ألا يقضى في امر الا بعد مشورة . ورغم ما ظهروا به من التقشف والاقبال من الدنيا ، فقد كانوا مضرب المثل في الجود على المحتاجين والعطاء للفقراء ، وخاصة في أوقات شغل والشدة . أما عن تمسكهم بأهداب الدين فتمثل ، أكثر ما تمثل ، في

أمرهم بالعرف ، بهيهم عن المنكر ، فكأنهم في تشنم هذا مبدأ افتريوا من المعتزلة الذين جعلوه أصلا من الأصول ، وأغاب الظن أن هذا كان من أسباب معرفة بعض فرقهم بالمعتزلة وبالأصلية (١٠٧) . وعلى الجملة كان الرستميون أصحاح تاهرت ، في نظر رعيته من أهل البرادى والصحراوات أئمة العدل القائمين بالحق .

مشايخ المذهب معلومون للشعب :

هكذا اختلفت صورة أئمة تاهرت عن صورة أئمة فاس : فبينما شرف الأدارسة بانتسابهم الى البيت العلوى العظيم ، علا شأن الرستمين بفضل تمسكهم بأهداب الدين وعملهم بتعاليم الكتاب والسنة ، وانتصارهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فكان الدين حسبهم ، والعمل في سبيل الله حسبهم ، مما جعلهم في نظر أتباعهم الأئمة المثاليين حقا . فأبو الربيع الوسياني عندما يمرض لسيرة الشيخ أبي مسور يصلتن ، ويسجل رواية تنسب الى الشيخ وهو يقول فيها ناعيا : « عشت حتى لم أجد في الامام ما أريد ، ولا في نفسي ، ولا في الاولاد ، ولا في الاخوان ، ولا في القبيل ، قولوا للمسلمين بدعون على » يشكك في صحة هذه الرواية : على أساس أن أبا مسور كان يعيش زمان الامام عبد الوهاب . هذا ، ولو أن البعض رأى أن هذه الرواية متأخرة عن عهد أبي مسور وليست له (١٠٨) - فكانه من غير المقبول التقاد المجتمع المثالي أيام الأئمة .

ومثل الأئمة بالنسبة لمشايخ المذهب كمثل المشايخ بالنسبة لعامة الشعب ، فقد كانوا يجسدون المثل الأعلى للاباضية في الفترة التي تعالجها ، كما فيما بعدها من العصور - فقد كان المشايخ هم القدوة الحسنة لعامة الناس ، في العلم والجهاد والتجارة والزراعة ، وعلى الجملة في كل المعاملات ، تماما ، كما كان الحال بالنسبة لمشايخ القيروان .

أصول المذهب الاباضى وتطوره :

الوهمية الاباضية والخوارج ومسمياتهم :

وفيما يتعلق بالحياة الروحية وأصول المذهب ، فالمعروف أن الاباضية

—

(١٠٧) وانظر فيما سبق ، ص ٣٢٤ .

(١٠٨) كتاب السير . المخطوط : ص ٢ - ج ١ ، وعن أبي مسور بقوله : أبو ذكري

المخطوط . ص ٢٥ - ب .

حي تاهرت كانوا قد طوروا أفكارهم حتى اقتربت من أفكار أهل السنة، وبذلك لم يعودوا ينجبون الانسحاب إلى الحوار الذي اعتبروه من الصغرية، وإن لم يستنكفوا الانسحاب إلى « المحكمة » (١٠٩) . أما عن التسميات التي أحوا أن يصفوا أنفسهم بها ، فهي : المسلمون ، والمؤمنون ، والموحدون ، وأهل الحق ، والعدل ، هل الإسلام . وبمناسبة الانشقاق الأول الذي حدث على عيد الامم عبد الوهاب فقد تسمى من بقي إلى حانته « بالوهابية » ، في مقابل خصومهم الذي أنكروا امامته ، فسموا بالنكار ثم يأتي من انشقي بعضهم من الخلقية والمغائية ، كما رأينا (١١٠) ، ممن أطلقوا عليهم تسميات جارحة أخرى ، مثل : « المذبذبون » و « المخالفون » و « المحادعون » و « الحلالون » ، مما نجده في كتبه السير .

أصول الوهابية المذهبية :

والذي يفهم من النظر في سير المشايخ - كما في كتب الوسياني - وأقوال العلماء ومناوئ العقهاء أن المذهب الاباضي الوهابي كان يرتكز على عدد من الأصول والتقاليد ، كمثلة في .

- ١ - القرآن الكريم ، رواية عبد الله بن مسعود .
- ٢ - الاحاديث السوية وأسنن ، رواية عبد الله بن عباس بصيغة خاصة .
- ٣ - أقوال الراشدين باستثناء عثمان بن عفان الذي وقعوا منه موقفا شديد العداء (١١١) .
- ٤ - أقوال علماء المذهب الأوائل من أهل البصرة ، مثل : أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة .
- ٥ - مآثر أئمة تاهرت من الرستمين .
- ٦ - وأخيرا تأتي سير وأقوال مشايخ أهل الدعوة على طفاقتهم ، فهم الذين يعرفون «مكتون العلم» الذي لا يقال لقوم جهال» (١١٢) .

(١٠٩) الوسياني ، المخطوط ، ص ٤٢ - ب . وعن اعتبار الحوار من الصغرية انظر ص ٤١ - ب .

(١١٠) انظر فيما سبق ، ص ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٤٧٣ ونحوها .

(١١١) السير الوسياني ، ص ٤١ - ب .

(١١٢) السير للوسياني ، ص ٣ - ب .

- ٥٢٣ -

أفكارهم السياسية :

أما عن فكرهم السياسي وهو وثيق الصلة بالفكر الديني ، فقد كان يقوم على الأسس التالية :

١ - الاعتراف بإمامة أبي بكر وعمر ، وكذلك علي : وهو الأمر الغريب على الخوارج . ولا بأس في أن ننظر إلى ذلك على أنه نوع من التقية التي لم يأخذوا بها إلا في وقت متأخر ، كما يظهر في سيرة القرن الخامس والسادس (١١٣) . وذلك أن أباضية أواخر القرن الثالث الهجري / ٢٩٠ كانوا يقفون من علي موقفا معاديا مثل موقفهم من عثمان أو أكثر ، وهذا ما تنص عليه الروايات الخاصة بوقعة مانو (١١٤) .

٢ - رفض إمامة عثمان رفضا باتا ، وعدم الاعتراف بإمامة علي أو الورق منها موقفا غامضا - على الأقل .

٣ - أئمة تاهرت هم النموذج المثالي لحكم الجماعة ، بصرف النظر عن آراء فرق المنشقين منهم .

٤ - حكم الأئمة أو حكم الجماعة ، بشكل أعم ، له ٤ (أربعة) أدوار ، هي :
(أ) حالة « الكتمان » أو « السكوت » ، وهي حالة التخفي والاعتزال ، والمثل لها « هو الأمر السابق إلى النبي عليه السلام في مكة » .
وليس على الجماعة فيها « الأمر والنهي » ، ورئيس الجماعة في هذه الحالة يسمى « امام أحكام » (١١٥) .

(ب) حالة « الظهور » ، والمثل لها حين هاجر النبي إلى المدينة (١١٦) ، وهي نفس حالة الرستميين بعد بناء تاهرت . هذا ولو أن بعض مشايخ جبل نفوسة كان يقول أن أهل الجبل في حالة ظهور بعد سقوط إمامة تاهرت ، لأنهم غير مستخفين ولا مغفورين ، وهو الأمر الذي كان له معارضوه (١١٧) .

(١١٣) أنظر الوسياني ، ص ٤١ - ب .

(١١٤) أنظر فيسا سبق ، ص ١٤٢ .

(١١٥) أنظر السير للوسياني ، ورقة ١٩ ط ، ٢٠ ، ٧٩ ، ٨٦ ، ٩٤ ، ١٣٦ ط .

(١١٦) السير للوسياني ، ص ١٩ - ب .

(١١٧) السير للوسياني ، ص ٧٠ - أ .

(ج) حالة «دفاع» ، مثل « دفاع أهل النهروان للراضى بحكم عمرو ابن معاوية وعبد الله بن قيس بغير اناقة الى الحق ، ولا اجابة الى العدل ، ولا اقامة الى امرة ، ودافعوا الراكبين الى الديس والمك (١١٨) » .

(د) حالة «الشراء» (١١٩) : والمفهوم أنها حالة جهاد ذوى الاهواء . وهى الأور من حالات الجهاد - تبعا لتصنيفهم لطبقات الجهاد - عملا بمبدأ الأمر بالمعروف . وإذا كانت حالة «الشراء» قريبة من حالة «الدفاع» فأغلب الظن أن المقصود بالدفاع هو القتال لأغراض سياسية فى سبيل الحفاظ على كيان الجماعة ، وأن المقصود بالشراء هو الجهاد من أجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو من الأعراض الدينية الأساسية المعروفة عندهم .

ويضيف فقهاء الإباضية ، فيما بعد سقوط أمانة تاهرت الرستمية . حالة خامسة هى :

(هـ) حالة «السائبة» وهى قرية من حالة الكتمان الأولى ، السابقة على حالة «ظهور» ، وهى فى الحقيقة تعنى حالة تفصح الجماعة واستحلالها ، وذلك «لمضييع الناس القيام بالحق» (١٢٠) حتى لو كان فيهم الامام . وذلك حسبما روى عن الشيخ أبى مسور يصر من أنه قال : «عشت حتى لم أحد فى الامام ما أريده . ولا فى نفسى ، ولا فى الأولاد ، ولا فى الإخوان ، ولا فى القبيل . قوتى للمسلمين يدعون على» (١٢١) ، مما يعبر عن عدم الرضاء عن سيرة الجماعة - جماعة أهل الحق - التى انحرفت عن تعاليم المنهج ، ولم تعد تحقق الغرض من قيامها .

أعمال المشايخ من قواعد المذهب :

المثل الأخلاقية :

وفى سبيل تحقيق المجتمع المثالى عمل مشايخ الاناضية - مثلهم مثل مشايخ

(١١٨) السج للوسيانى ، المخطوط ، ص ١٩ - ب .

(١١٩) التوسيع ، المخطوط ، ص ١٩ - ب .

(١٢٠) السج للوسيانى ، المخطوط ، ص ١٩ - ب .

(١٢١) أنظر سابق ص ٥١

«التبروان - على سيادة الأخلاق الفاضلة ، و سر الآداب الإسلامية ، انقاليد الحميدة في المعاملة بين الناس ، سواء في الحديث أو في تجنب الم رى . ففي ذلك كان لهم أقوال ما ثورة ، مثل . « يمت الرجل ولا يقا » ، و يمت الرجل ولا يتعري » (١٢٢) . هذه الآداب الاباضية كانت قد اكتسبت عراقتها منذ أيام الرستميين ولدينا المثل الرائع لذلك في نهاية قاضي جبل نفوسة سمروس بن فتح الذي أسر في وقعة مانو ، فرفض أن يطلب العفو ، ولم يخش التكنيل والتعذيب ، وكان كل ما طلبه من أسريه ألا يعرفه من سراويله بعد أن يقتلوه (١٢٣) . هذا ، وكان من آدابهم ذم البخل والحض على الجود ، وإخفاء الصدقة ، كما حرصوا على البعد عن الريبة فيما يتعلق بالمال والطعام . فقد كان من المتعارف عليه عندهم ان المال المريب يوقع الفتنة بين أبناء الجماعة (١٢٤) ، وأن المتأخر المريبة تفسد الشراء في السوق لمدة ثلاثة أيام .

إجلال العلم وتقديسه :

علوم الدين :

ولقد حرص المجمع الاباضى على نشر العلم ، ليس بين الرجال فقط بل وبين النساء أيضا ، حتى بلغت بعض النساء درجة من العلم بحيث أصبحت أقوالهن من المأثورات المقررة عند أهل المذهب . وفي ذلك يقال ان بنت أبي مسور يصلتن ، معاصر الامام عبد الوهاب كانت تجادل والدها في العلم ، وكان مما أثر عنها أن أقوال المسلمين أفضل منهم . « لأن المسلمين يموتون . وتبقى أقوالهم وعلمهم ، وينتفع بها بعدهم . ومن جهة الجسم والعرض . الجسم أفضل ، ومن جهة الاسلام والعلم فالاسلام خير الخلق » (١٢٥) .

وإذا كان ذلك اهتمام مشايخ جبل نفوسة بالعلم ، فلا شك أن اهتمام أئمة تاهرت بالعلم كان أعظم . فالامام الأول عبد الرحمن بن رستم كان يقضى ليله ساهرا مع سراجة يقرأ العلم ويدون الكتب في المذهب . وبلغ اهتمام ابنه الامام عبد الوهاب بالعلم الى حد أنه كان لا يبخل في دفع الثمن الباهظ على شراء كتب المشايخ من المشرق ، رغم أنه لم يستفد منها الا بالقليل من

(١٢٢) الوسياني ، المخطوط ، ص ١٢٨ - ب .

(١٢٣) أسطر قيا سبق ، ص ٢٩١ ، الوسياني ، ص ٣ - ١ .

(١٢٤) الوسياني ، ص ٤ - ١ ، ٤ - ب ، ١٢ - ب ، ١٣ - ١ .

(١٢٥) الوسياني ، المخطوط ، ص ٦ - ب .

المسائل الحديدية التي كان يستطيع أن يدركها باحتياده وحده . ولقد بلغ حرص عبد الوهاب أيضا في الاطمئنان على تحصيل أسائه العلم ، بالقدر الذي يتناسب مع بيت الأئمة ، الى درجة أنه مع أنه أفلح من الدهاب الى جوحو للتجارة في بلاد السودان بعد أن امتحنه في مسائل الربا فغابت عنه مسألة واحدة منها (١٢٦) .

علم النجوم والحساب :

ولم يكن أئمة الرستمين متفقهين في أصول المذهب فقط ، بل كانوا على دراية تامة ببعض العلوم النافعة لأمور الحكم والدين ، مثل الحساب والنجوم . وفي ذلك يقال ان الامام أفلح بن عبد الوهاب كان لا يباريه في علم النجوم الا اخته التي كانت تسهر الليل معه في حساب ما سوف يدخل خزائنه من الاموال الواردة من أسواق تاهرت (١٢٧) .

وهكذا كانت تاهرت في المغرب الأوسط ، كما كانت القيروان في افريقية . مدينة العلوم . وفي ذلك يقال ان الشيعة الفواطم عندما استولوا على العاصمة الرستمية ، وجدوا بها مكتبة (برحا) مليئة بالمخطوطات التي لم يحفظوا منها الا بكتب سياسة الملك والحساب .

الخلاصة :

من هذا العرض الملخص للواقع السياسي والحضاري لبلاد المغرب في القرن الثالث الهجري ٩م . نرى في الفترة التي تمثل لب تاريخ ممالك الأغالبة والرستمين والادارسة ، يتضح الآتي :

١ - ان البلاد من أدناها الى أقصاها كانت تتقدم نحو عصر نهضة حقيقية ، على المستويين : المادى والفكرى .

٢ - ان مادة تلك النهضة الوليدة كانت مستجلبة من المشرق ، مهد العروبة والاسلام ومركز دولة الخلافة ، وذلك مع سيل الوافدين من هناك على الأمر الحاكمة المشرقية الأصل في بلاد القيروان وتاهرت وقاس ، حيث اتخذوا أوطانا جديدة ، أو مع المغاربة والأندلسيين العائدين الى بلادهم من المشرق ، من رحلة الحج أو طلب العلم .

(١٢٦) انظر فيما سبق ، ص ٤٩٨ .

(١٢٧) انظر فيما سبق ، ص ٣٣٨ .

- ٥٢٧ -

٣ - ان تلك النهضة المغربية وهى تتفتح فى دور الكوين ، كانت اشبه ما تكون بقبسيمساء مبرقشة تعبر - فى اختلاف أشكالها وألوانها - عن كل المتناقضات التى عرفها المشرق ، وخاصة على مستوى الفكر الدينى والسياسى المناهض لدولة الخلافة .

٤ - ان ذلك الازدهار الفكرى كان ينمو بالتالى فى حضارة دول المغرب الكبرى الثلاث كنتيجة طبيعية لاستقلال تلك الدول عن الخلافة ، مما جعل حركة التطور تتقدم طرديا : مع زيادة الاستقلال ، وتبلور الشخصية الذاتية لكل قطر من تلك الأقطار .

٥ - كنتيجة عكسية لذلك الازدهار المعنوى فى كنف الاستقلال السياسى ، عانت دول المغرب من حركة التجدد الفكرى ذات الايقاع السريع ، وخاصة على المستويات الدينية السياسية ، وبدأت هى الأخرى تعاني من آفة التفتت والاققسام الداخلى التى فتت فى عضدها وهدت من قواها .

٦ - وبناء على ذلك تظهر الصورة السياسية الحضارية الحقيقية لبلاد المغرب فى أواخر القرن الثالث الهجرى / ٩م ، وهى تتطابق بشكل عجيب مع نظرية ابن خلدون الشهيرة فى العمران ، التى تقول أن الحضارة هى قمة العمران والمؤذنة بفساده وأنها تمهد لاضمحلال الدول حتى تفسح المجال لدول جديدة ، تحل محلها (١٢٨) .

فكان الحضارة الناشئة التى لم تكن قد أخذت سماتها المميزة بعد ، لا ماديا ولا معنويا ، كانت قد استنفدت أغراضها بعد أن أخذت تتآكل ذاتيا ، بفضل الصراعات السياسية الداخلية التى أضطعت كلا من دول المغرب الثلاث . كما أن مراكز تلك الحضارة فى القرية وفى المغرب الأوسط والأقصى كانت - رغم العمل الأحيائى الكبير الذى قامت به - قد أظهرت التناقض الواضح بين المترفين من أهلها وبين أهل الخشونة من سكان البوادر والصحراوات المحيطين بها ، ممن كانوا يتعلمون اليها بشئ من النهم ويحرصون بها الدوائر ، بشئ من نقاد الصبر . وهذا من نظريات ابن خلدون ، أيضا ، فى كيفية سقوط الدول وقيامها (١٢٩) .

(١٢٨) انظر المقدمة ، فصل فى انقراض الدولة من اليدارة الى الطغاة .

(١٢٩) انظر المقدمة ، فصل فى حدوث الدولة وتجددها كجذب يجمع .

وعندما يمكن القول انه اذا كان التفتت السياسى قد عمل على الازدهار الحضارى المحلى ، فان هذا الأخير قد أدى الى نوع من الانفصام بين الأسر الحاكمة وبين جماهير الرعية ، الأمر الذى أدى بحكم الطبيعة الى صراعات اقليمية وعصبية أبهكت كلا من الممالك الثلاث . فكان الموقف فى بلاد المغرب فى أواخر ذلك القرن الثالث الهجرى/٩ م كان يتطلب عملية تجديد فى هيكى البناء السياسى والحضارى ، وهى العملية التى قام بها الفاطميون بمعاونة قبائل كتامة ، أهل الجبال الأشداء ، والتى عجز الأغالبة عن مواكبتها كما رأينا ، فكان من الطبيعى أن يمجز بالتالى كل من الرسميين والأدارة عن الوقوف أمامها . وذلك وقع على عاتق الفاطميين ، ابتداء من أوائل القرن الرابع/١٠ م ، العمل على تحقيق وحدة المغرب تحت إرئائهم من جديد - وهو الأمر الذى سنحاول إيضاحه بشئ من التفصيل فى حديثنا عن الظروف التى أدت الى قيام دولة الفاطميين .

الفصل السابع

قيام الدولة الفاطمية واجادة الوحدة إلى بلاد المغرب تحت رايات آل البيت من الحسينيين

(٢٨٠ هـ / ٧٩٧ م - ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م)

نهاية الدول المستقلة الأولى وقيام الدولة الفاطمية :

صراع الأغالبة من أجل البقاء : « المطاولة » :

يعتبر قيام الدولة الفاطمية في بلاد كتامة جزءاً من تاريخ الدولة الأغلبية المتأخر - فلقد رأينا كيف أنفق أواخر أمراء الأغالبة الثلاثة ، وهم : إبراهيم (الثاني) بن أحمد وابنه أبو العباس ثم حفيده زيادة الله (الثالث) ، ، نشاطهم وأموال بلادهم في كفاح الداعية الفاطمي أبي عبد الله الشيعي ، وكيف انتهى ذلك الكفاح بعد حوالي اثنتي عشرة سنة ، من ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م الى ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م ، بعثل الأغالبة ، وهروب زيادة الله الثالث نحو المشرق ، تاركاً عاصمته وقصوره مفتوحة على مصاريحها لاستقبال قوات الداعي الفاطمي المظفرة -

وفترة الاثنتي عشرة سنة هذه التي تحسب ضمن تاريخ الأغالبة (١) ، تدخل أيضاً في تاريخ قيام الدولة الفاطمية ، وهذا أمر طبيعي يحدث في فترة الصراع بين الدول المنهارة وبين القوى المناهضة لها - وهذه الحقبة الزمنية يطلق عليها أين. خلدون ، بالنسبة للدولة المستجدة ، مصطلح (المطاولة) بمعنى الصبر في الكفاح ، وهي تطول وتقصّر تبعاً لصبود كل من الطرفين

(١) انظر فيما سبق ، ص ١٢٦ وما بعدها -

المصادر في حلبة القتال (٢) . ونظرية ابن خلدون في (المطالعة) تعني في حقيقة الأمر عدم وجود فواصل حدية في التاريخ ، وهو الأمر المعروف : طالما أن الرمن هو مجرى الأحداث التاريخية ، وطالما كان الحدث التاريخي ولید تفأمل عدد عديد من العوامل التي تتراوح في طبيعتها ما بين مادية ملموسة . ومعمونة ليس من السهل ادراك كنهها . وادا كان من المعروف - في نظرنا - قيام ادول وسقوطها - أن الدولة الناشئة تبدأ حياتها ، مثلها مثل الأفراد ، وهي تحمل جراثيم ضعفها في ثايا أسباب وجودها . يمكن القول ان فره المطالعة هذه يجور أن تطول على المستوى الداخلي إلى أكثر من زمن الصراع العللي الأخير من أجل البقاء .

وفي هذا المجال يمكن القول انه رغم الانجازات السياسية والحضارية الكبيرة التي حققها الأغلبة ، فإن سلطانهم لم ينجح في أن يمد جذوره بعمق في أرض افريقية . وربما كان الدليل القوي على ذلك أن الأغلبة لم يكونوا محبوبين في القيروان نفسها ، حيث واحتوا كثيرا من الانتفاضات ، حتى أنهم تركوا منذ وقت مبكر قصر ولاة افريقية فيها ، وبنوا لأنفسهم - على بعد عدة كيلومترات نحو الجنوب - قصر العباسية ، قيل أن يبنوا على مسافة أبعد - قصور الرقادة . وفي مدينتهم الملكية الخاصة هذه أقاموا بعيدا عن الناس يحيط بهم حرسهم ، من : السودان ، والصقالبة ، وبعض المخلصين من الحند العربي ، وكان ذلك أشبه ما يكون بانعصال روجي بينهم وبين اهل العاصمة . أما عن الصراعات مع قبائل البربر ، ومع الجند العربي فإنه يدرج حقيقة في فترة (المطالعة) حيث كانت الدولة الأعلى في بعض الأحيان قاب قوسين من الضياع أو أدنى .

والحقيقة هي أن قيام قبائل كتامة ، تحت رايات الداعي وباسم الميدي ، لم يكن أكثر من انتفاضة من تلك الانتفاضات الكبيرة التي واجهها الأغلبة ، لا يفرقها عنها الا بعد أرض كتامة عن قاعدة ملك الأغلبة ، ثم التفاف الكتامين بعزم صادق ونية خالصة حول الداعي الذي أحسن تنظيمهم وتدريبهم عسكريا وروحيا ، في الوقت الذي بدأت أرض افريقية تميد تحت أقدام زيادة الله الأخير وأهل دولته ، الأمر الذي توج الثورة الكتامية الفاطمية بالنجاح .

(٢) مقدمة ابن خلدون ، فصل في أن الدولة المستحقة لنا تستول على الدولة المستقرة بالمطالعة لا بالهجرة . تحقيق على عبد الواحد ، الفصل ٥٠ ح ٢ ص ٨٧٣ وما بعدها .
وأظهر محمد عبد الهادي شمعة في تاريخه لدولة المرابطين حيث طلق الطريقة باستاذية فذة .

نجاح الدعوة الفاطمية في ارض كتامة

جلور التشيع في المغرب :

سواء على ما تقدم يمكن القول انه اذا كان قيام الدولة الفاطمية في المغرب، دعوة قبائل كتامة ، يعتبر - على المستوى السياسي - أمرا من الأمور الدارجة، في البلاد التي حوت في القرن الثالث الهجري/٩م ، ثلاثة دول مستقلة كبيرة الى جانب عدد عديد من الإمارات المحلية فإن نجاح الدعوة الفاطمية في المغرب، وتنتد ، كان من الأحداث المستعرة حقا . فمذهب الفاطميين كان من مذاهب الشيعة الغلاة ، بينما كانت المذاهب السائدة في البلاد سنية خالصة تتراوح ما بين المالكية المشددة والاباضية المتعصبة ليس في بلاد القيروان وتاهرت فقط ، بل وفي بلاد الأدارسة العلويين أيضا .

ومما يريد في الأمر غرابة أن يربر كتامة ، في أحواز جبل أوراس ، أحد معاقل الخوارج شرق بلاد الجرائر حاليا ، كانوا اباضية ، ولكن على مذهب النكار الدين رفضوا استئذان أئمة تاهرت بالحكم ، ونادوا بالمشاورة في الأمر . وهو ما يناقض مع الفكرة الرئيسية لدى الشيعة الاسماعيلية ، ومنهم الفاطميون . التي تقول بعصمة الامام المهدي ، والتي تجعل من التشيع - سياسيا على الأقل - مذهب تسلط واستبداد .

وهكذا تتضح حقيقة أن المغرب كان أرضا صالحة لبذر بذور الدعوات المناهضة للخلافة ، كما كان ملجأ أميناً لكل الخارجين على الدولة ، سواء كانوا من الخوارج أو من الشيعة . حقيقة ان المذهب الخارجي الذي ازدهر في المغرب ، كما لم يردده في غيرها من البلاد ، ظهر في الفترة التي تعالجها وكأنه المذهب القومي لأهل البلاد من البربر ، ولكن نجاح المذهب الاسماعيلي ، المصاد له من حيث الأصول السياسية والدينية ، يدل على أن المسألة لم تكن مسألة أفكار أو عقائد اختص المغاربة باعتمادها . فكان المغرب كانت له ميوله الانفصالية وآماله في الاستقلال عن دولة الخلافة ، وأنه كان من بين وسائله لتحقيق ذلك اعتناق المذاهب السياسية الدينية المناهضة للدولة ، لا فرق في ذلك بين المالكية المعتدلة أو الاباضية المتزمتة أو الشيعة الغالية .

بداية الدعاية الشيعية في كنف عبد الرحمن بن زياد بن أنعم (ت ١٦٦ هـ / ٧٧٨ م) في افريقية :

والحقيقة أن الشيعة وان لم تحقق نجاحا كبيرا في المغرب حتى أواخر القرن الثالث الهجري/٩ م ، فانها كانت قد بدأت دعائها في وقت مبكر ، ربما

مع بداية الدعوة الخارجية عقب أعمال القمع الشديدة التي قام بها الأمويون في المشرق . وان نشاطها كان قد وصل الى اقاصى المغرب ، وحتى بلاد الأندلس . فبعد فترة لاضطرابات الخارجية في افريقية التي أدت الى قيام الدويلات الخارجية في تاهرت وفي سجلماسة ، اضطربت نفوس الناس في المغرب ، وترددت ما بين الشك والاعتراض . يعنى ذلك من أقوال قاضى افريقية ، المحدث المؤرخ المعروف ، عبد الرحمن بن زياد بن أنعم (توفى سنة ١٦٦ هـ / ٧٧٨ م) ، ان يعبر عن القلق والاستسلام للأمر الواقع ، في قوله . « سينقطع الجياد من كل البلاد وسيعود الى افريقية (٣) » ، وهى المقالة التى ستتحدث ، مع مرور الوقت الى حديث ينسب الى البعض الى النبى (٤) . وهو بعد ذلك يعبر عن الأمل فى نهاية الاضطرابات ، كما نرى ، وحلول الأمن والسلام فى ربوع البلاد ، عندما يعبر عن الامام العادل الذى يشر الأمن والرخاء ، وهى فكرة الامام المعصوم التى تبلورت حولها كل الأفكار السياسية الشيعية . فيما بعد .

فتنسب الروايات الى نفس قاضى افريقية عبد الرحمن بن أنعم أنه كان يقول : « ولتضربن القبائل من الآفاق الى افريقية ، لعدل امامهم ، ورحص أسعارهم ، وفتح فيهم » ويستطرد النص فيقول ، ان ابن أنعم قال : « ان الامام الذى ينشر العدل بافريقية يليهم سبعة وثلاثين سنة » ، مما كان موضوع جدل الكتاب فيما بعد . ان قال البعض . ان ذلك الامام العادل يلى افريقية ثلاثا وعشرين سنة (٥) - وكان العادل محقق تاريخي .

بداية الدعاية الشيعية فى المغرب الأقصى :

هكذا تكون فكرة المهدي المنتظر قد ظهرت فى افريقية ، أول ما ظهرت ، فى شكل سنى ، فكانت تمهيدا لظهورها فى شكلها الغالى ليس فى افريقية فقط ، بل وفى اقاصى المغرب . ففي بلاد السوس الأقصى ، فى منطقة نفيس - حيث بنى عقبة بن نافع أول مسجد ظل مصونا مكرما ، كما يقال ، الى أيام البكرى (٦) ، وحيث استقر فرع من فروع الادارسة (٧) - نزل رجل من أهل مدينة نفطة من قسطنطينية من بلاد انزاب ، اسمه محمد بن ورستد ، عند قبيل من

(٣) أبو العرب ، طبقات علماء افريقية ، ص ٦ .

(٤) أطر كتاب الاستبصار ، ص ١١٢ .

(٥) أنظر أبو العرب ، طبقات علماء افريقية ، ص ٦ .

(٦) البكرى ، ص ٦٣ .

(٧) البكرى ، ص ١٦٠ .

البربر يعرفون ببسبى لماس ، وذلك قبل دخول أبى عبد الله الشيعى افريقية . ودعا هذا الرجل هؤلاء البربر الى سب الصحابة ، كما يقول البكرى ، وأحل لهم المحرمات ، ورغم أن الرنا بيع من البيوخ ، ورادهم فى الأدا ، بعد أشهد أن محمدا رسول الله . أشهد أن محمدا خير البشر ثم بعد حى على الفلاح ، حى على خير العمل ، آل محمد خير البرية .

ويسطرّد البكرى فيقول ، اهتم على مذهب هذا الرجل الى ايامه . ولكنه يضيف أنهم يعتقدون أن الامامة فى ولد احسن ، لا فى ولد الحسين . ولما كان أمير الجبهة ادريسيا ، هو ادريس بن محمد بن حمفر ، فان الجغرافى الايدلسى . يقول : « فان صح الحديث الذى ذكرنا ، فانه المراد به هؤلاء (أى الادارسة) . والله اعلم » (٨) .

الدعاية الشيعية فى تخوم افريقية والمغرب الأوسط :

وأغلب الظن أن البكرى وقع على بعض كتب الشيعة الفاطميين ، مثل كتاب افتتاح الدعوة للقاضى النعمان الذى يؤرخ للدعاية الفاطمية قبل أبى عبد الله الداعى ، فيقول ان الامام جعفر الصادق كان قد أرسل الى المغرب فى سنة ١٤٥ هـ / ٧٦١ م داعيين من رجاله ، هما : أبو سفيان ، والحلوانى ، « وأمرهما أن يبسطا ظاهر علم الأئمة من آل محمد » ، وأن أبا سفيان نزل بمراجنة وأنه صاحب الفصل فى تشيع من تشيع من أهل مراجنة (قرب الحدود الشرقية للجزائر) والاربس (قريب القيروان) ونقطة (فى بلاد الجريد) (٩) . أما الحلواني فنزل فى سوجمار فى جبال بجاية ، وعلى يديه شيع كثير من قائل كتامة وبرة وسماتة (١٠) . قبل أبى عبد الله بـ ١٣٥ سنة . وذلك لم يكن من الغريب أن يتأثر قاضى افريقية ابن أنعم ، الذى كان معاصرا لابی سفيان والحلوانى ، بفكرة المهدي المنتظر التى كانا يدعوان اليها سرا ، فتظهر بين فقيهاء أهل السنة فى القيروان نفسها ، كما لم يكن من الغريب أن تنتشر فى المغرب الأقصى قبل ظهور أبى عبد الله ، كما ينص البكرى .

(٨) البكرى ، ص ١٦٠ - ١٦١ .

(٩) افتتاح الدعوة ، ص ٥٥ ، وأطر الهامش ، واثون الاستبصار ، ص ٢٠٣ .

المقرئى ، أتماط الحما . ج ١ ص ٤١ والهامش ، ص ٥٠ .

(١٠) افتتاح الدعوة ، ص ٥٧ ، وتصنيف رواية النعمان الى ذلك (ص ٥٨) . إن الحلواني

كان يقول : بعثت أنا وأبو سفيان فقبل لنا : انميا الى المغرب فاسا تالين أرضا فأمرناهما وأكرناهما ودللاهما الى ان نأتهما صاحب الدر ليجهما مذلة فيبذر حسه لهما .

وأيضاً من الغريب أن يكون أمراء الأدارسة ، في هذه الجهات ، قد استقلوا تشييع البربر هناك لآل البيت واعتناقهم للمذهب الاسماعيلي ، فحولوا هذا التشييع أن صالحيهم وقالوا أن الإمامة في ولد الحسن ، لكي يشبهوا مركزهم الذي كان قد رُعرعه الفاطميون .

وعندنا ، فإذا كان نجاح الشيعة الفاطمية في المغرب يمثل نقلة عنيقة على المستوى المذهبي ، فمن المقبول أن يكون ذلك النجاح قد سبق التمهيد له برمن طويل .

وإذا كان الأمر كذلك فلا ينبغي أن نعطي هذه الدعاية الشيعة السابقة على قيام الدولة الفاطمية أكبر من حجمها الحقيقي ، فقد كانت لا جنة في المناطق المعزلة البعيدة ، كما كانت تستتر حنية في دوائر أهل السنة ، تماماً كما كانت نشأة الدعاية الخارجية في بداية أمرها في القيروان (١١) . ولكنه إذا كانت الخارجية قد لاقت من النجاح ما جعلها مذهباً قومياً في المغرب ، فإن الشيعة الفاطمية وجدت ، في مقابل ذلك ، أن بقاءها في المغرب مزقت ولا شك . وبناء على ذلك فإنها وجدت أبطارها نعور المشرق ، إلى أن نهجت في النقلة إلى مصر . وكما كان قيام الفاطميين في المغرب حدثاً حطيراً في تاريخه ، كان انتقالهم إلى مصر حدثاً لا يقل حطيرة بالنسبة للمغرب أيضاً . إذ ترقبت عليه نتائج سياسية واقتصادية بشرية تردد صداها حتى المغرب الأقصى . ولكن ذلك اعتبر الكتاب قيام دولة الفاطميين نقطة تحول حاسمة في تاريخ أفريقيا الشمالية ، مما دعا جورج مارسيه إلى تسميتها بالأزمة الفاطمية (١٢) .

الفاطميون ، نسبهم وشي . عن مذهبهم :

التسمية:

ينتسب الفاطميون إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول وزوج علي بن أبي طالب ، ومن اسمها اتخذوا لقبهم . وبناء على ذلك فهم شيعة علويون ، ولكنهم عندما انتسبوا إلى فاطمة أرادوا أن يؤكدوا شرعية وراثتهم لخلافة النبي ، على

(١١) وهذا نصير إلى أنه لا بد أن توجد مادة الجيد مقالة الثاني المصان التي سجل أن إبراهيم بن أحمد كان لا يرغب من قتال أبي عبد الله الذي كان يتشيع وكثير من أهل بيته . انظر فيما سبق : ص ١٤٦ و ٤٧٣ .

(١٢) ملاد البربر الإسلام - ص ١٣٢ وما بعدها

عكس غيرهم من العلويين الذين ينتسبون الى علي ولكن من روحة اخرى غير فاطمة ، مثل محمد بن الحنفية صاحب الشبهة الكيسانية ، كذلك اراد الفاطميون أن يحددوا وراثته الخلافة في هذا الفرع الفاطمي السوي في مقابل من ارادوا أن تكون الخلافة مشاعة في آل السبي ، ومن ثم تصبح من حق أقرب الرجال الى النبي ، وذلك كما فعل العباسيون عندما بدأوا دعوتهم للرضا من آل محمد ثم استخلصوا الخلافة لأنفسهم ، باعتبارهم حفدة العباس ، عم النبي وأحق الناس بوراثته تركته ، لا ينافسهم في ذلك العلويون ، حفدة ابن العم .

والغريب في أمر التسمية أن مؤسسي دولة كتامة العلوية الشيعية لم يكونوا أول من تلقب بلقب الفاطميين ، فلقد سبقهم الى حمل اللقب أحد الأدياء من ثوار البربر في اقليم شنتبرية بوادي الحجاره في الأندلس فيما بين سنة ١٥١ هـ/ ٧٦٨ م و ١٦٠ هـ/ ٧٧٧ م على عهد عبد الرحمن بن معاوية الداخل . فلقد اراد الرجل الذي كان يسمى بـ « شقيا » ، والذي عرف بمراقة نسبه في البربر ، أن يعطي لثورته نوعا من الشرعية فاستغل كون اسم والدته فاطمة ونادي ، بين أعوانه ، بأنه فاطمي علوي ، ولهذا السبب سماه الكتاب بـ « الدعي الفاطمي » (١٢) .

هذا ، كما ظهر اسم الفاطميين بين قرامطة الشام في نفس الوقت الذي كان يدعو فيه أبو عبد الله الشيعي للإمام المهدي ، وذلك عندما تسمى به سنة ٢٨٩ هـ/ ٩٠٢ م جماعة من بني الأصبح اثر انضمامهم الى حركة القرمطي زكرويه ابن مهرويه (١٤) .

أصول التشيع :

والحقيقة ان أصول الشيعية الرئيسية سياسية بشكل عام ، والأساس الشيعي في السياسة هو مبدأ شرعية الحكم . فعلى وبنوه هم الخلفاء حقا . أو الأئمة بوجه أصح ، أما غيرهم فمفتصبون . وذلك أن الامام - عندهم - هو وريث بعثة النبي ، ويتم تعيينه بتوجيه الهى عن طريق وصية سرية تنتقل

(١٣) انظر ليلي يروفسال ، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، بالفرنسية : ج ١ ص ١٢٢ .

من امام الى امام ، وهؤلاء الأئمة معصومون (من الخطأ) (١٥) . وساء على ذلك جمعت الشيعة مبدأ الوراثة الملكي ، ومبدأ النبوة مما ترتب عليه أن أصبح وجود الامام ضروريا لكل زمان ومكان (١٦) .

ولما كان التشيع موضع استهزاء الخلافة فقد أصبحت له حياة مستترة عملت على عدم الكشف عن معتقده ، والتسامح في عدم تعيد تعاليمه في وقت الخطر ، وهذا ما عرف بـ « النعية » . ومع مرور الوقت أصبحت النقية ، مثل الكتمان الذي رأياه عند الحوارج من الاباصية (١٧) ، من أهم سمات فرق الشيعة العالة (١٨) . ولما كان وجود الامام ضروريا لكل زمان ومكان فان

(١٥) أنظر السمان بن محمد ، دعائم الاسلام ، تحقيق آصف فيسي ، القاهرة ١٩٦٣ ، حيث يعرض رأى الماطيين في الإمامة ، فيسند آراء أهل السنة والرجعة والمعتزلة والخرائج الجينية على مبدأ الاحتيال ، الذي يجعل من أهل الاختيار هم الأئمة عمل طاهر هذا المعنى (ص ٤٠) . ويقول ان الإمامة يجب أن تكون « بالنس والبرئيف » . تسامحا كالنبوة التي اسقلت بالنس من آدم الى نوح حتى عيسى ومحمد . بكل نبي مسمى قد أوصى الى وصي يقوم بأمر أمته من بعده . ثم يصيب ان الناس أحوح ما كانوا الى الأوصياء والأئمة لارتفاع الوصي وانقطاع النبوة (ص ٤٣) . وأول الهداة بعد النبي هو علي بن أبي طالب ثم الأوصياء من بعده ، واحد بعد واحد (ص ٢٢) .

(١٦) أنظر السمان بن محمد ، دعائم الاسلام . حيث نجد أن « معرفة اسم الزمان والتصديق به والتسليم لامره » أصبح أصلا من أصول الايمان (ص ٤) ، وان ولاية علي ابن أبي طالب تعتبر « آخر المرافض » (ص ١٥) ، وان الأئمة بعده هم آل البيت الذين يؤدي الأول منهم الى الامام الذي يكون بعده الكتب والعلم والسلاح (ص ٢٠ - ٢١) . وأن عليا والأوصياء من ولده هم أعراف الله بين الجنة والنار ، لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه ، ولا يدخل النار الا من أنكرهم وأنكروا (ص ٢٥) . وهكذا ملو « ان الرجل عمل أعمال الخير كلها ، وصام دهره وقام ليله ، وأعطى ماله في سبيل الله . وعمل بحسب طاعات الله عز وجل عمره كله ، ولم يعرف ببيته الذي جاء بتلك المرافض ، فيؤمن به ويصدق ، وإمام عصره الذي افترض الله عز وجل عليه طاعته يعطيه . لم يلمعه الله بشيء من عمله » (ص ٣٥ - ٥٤) . وساء على كل ذلك « من مات لا يعرف امام دهره حيا . مات ميتة جاهلية » ، كما رواه عن النبي (ص ٢٥) . وأنظر صري ماسية ، الاسلام (بالفرنسية) ، مجموعة اوامير كولان ، باريس ١٩٤٥ ، ص ١٥١ .

(١٧) أنظر فيما سبق ، ص ٢٢ .

(١٨) أنظر السمان بن محمد ، دعائم الاسلام ، حيث يقول حنبل الصادق لبعض اصحابه : « اكنتم سرنا ولا تدعوه ، فانه من كنتم سرنا علم يدعوه ، أمره الله به في الدنيا والآخرة . ومن أذاع سرنا ولم يكتفه ، أذله الله به في الدنيا والآخرة ، ونزع اللود من بين عبيده » (ص ٥٩) . وفي ذلك ينسب الصادق الى والده محمد بن علي أنه كان يقول « ان النقية من ديني ودين آلائي ، ولا دين لمن لا تقية له ، وان الله يحب أن يعد في السر ، كما يحب أن يبدل في العلانية ، والمديح لأمرنا كالحاجد له » (بنس الصفحة) .

آخر الأئمة لم يموت ، كما يرون ، بل هو غائب ، وينبغي أن يعود في يوم ما ، وهذا ما يعرف عندهم بـ « الغيبة » و بـ « الرجعة » (١٩) . ففكر ، عودة الامام هي التي تمحضت عن الحركات المهدية ، إذ أصبح « المهدي » الذي يملأ الدنيا عدلا ، قبيل آخر الزمان ، هو أحد افراد البيت العلوي وسليل فاطمة ، وهو « المنتظر » . وعلى أساس هذه الأصول الشيعية أقام المهدي عبيد الله دولته الفاطمية في المغرب . .

الشيعة الفاطمية الاسماعيلية :

وحقيقة المذهب الفاطمي انه من مذاهب الشيعة الغلاة ، أي الذين يخلعون على الامام صفات الهية ، تضعه فوق مستوى البشر . فهم يقولون ان روح الله تحل في الأئمة حلولا شبه كلي ، وذلك على عكس جمهرة الشيعة الامامية الذين يقولون بأن هذا الحلول جزئي ، أو المعتدلين من الزيدية الذين يقولون بأن الامام لا يتمتع الا بتوجيه الهى فقط - ولهذا رأى الاخرون أن الامامة . بعد امامهم الخامس زيد بن علي زين العابدين بن الحسين ، تجوز لاي علوى - وهو المبدأ الذي سياتخذ به الحسينيون من العلويين بعد أن استأثر أشقاؤهم الحسينيون بالاحقية في الامامة (٢٠) .

والفاطميون فرقة من فرق الشيعة الاسماعيلية - مثلهم مثل القرامطة والحشاشين - الذين يتمسكون بامامة اسماعيل بن جعفر الصادق ، وهو السابع في سلسلة الأئمة ، ولهذا عرفوا أيضا بـ « السبعية » . وهم يقولون في ذلك أن الامام اسماعيل يختم قائمة الأئمة الشرعيين الظاهرين ، وذلك على عكس غالبية الشيعة الامامية الذي يضعون مكان اسماعيل أخاه الأصغر موسى الكاظم ثم خمسة من الأئمة الظاهرين بعده ، آخرهم محمد بن الحسن ابن علي العسكري ، فهو الامام الثاني عشر ، ولهذا تعرف الامامية أيضا

(١٩) انظر ابن خلدون ، المقدمة ، فصل ٢٧ - مذاهب الشيعة ، في حكم الامامة ، ج ٢

ص ٧٠٠ - ٧٠١ ، ماسيه . الاسلام ص ١٥٣ .

(٢٠) ولما احتل الحسنيين من الفاطميين في الامامة دون الحسينيين ، يقول النعمان ابن محمد : « فكان الحسن اسبق من الحسين ، ثم نقل الله عز وجل الامامة الى ولد الحسين ، كما نقل النبوة من ولد اسحق الى ولد اسماعيل ، وعليهم اجماع الأمة بالشهادة لهم ، وأنها حاضرة فيهم ، ولم يحسوا بمثل هذه الشهادة لأحد سواهم » (دعاء الاسلام ، ص ٣٥ - ٣٦) . ومن لاثونية حروج الامامة من ولد الحسن الى ولد الحسين ، على أساس الله ما كان يجوز للحسين : « ان يردهما الى ولد أخيه دون ولده » ، لأن ولده أقرب إليه رحما من ولد أخيه (انظر ص ٣٧) .

٠ - الاثنا عشرية ، ٠ والامام الثاني عشر الذي تغيب في سرداب دارهم بسامرا (سنة ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م) هو المهدي عندهم ، وهو الامام المنتظر (٢١) ٠ وهي النظرية التي عدلها أحد متكلميهم وهو الموبختي ، بحيث تصبح أكبر مطعية ، فجعل المهدي المنتظر من سلالة الامام الثاني عشر وليس هو نفسه (٢٢)

العلاقة بالدرامطة :

وسبب توقف الاسماعيلية عند الامام السابع ، وانكارهم الأئمة الخمسة الباقين ، هو ما حدث حوالي سنة ١٤٣ هـ / ٧٦٠ م عندما وجد الامام السادس جعفر الصادق ان ابنه الأكبر اسماعيل غير جدير بالامامة فأوصى بها لابنه الأصغر موسى الكاظم ، فلم يقبل اتباع اسماعيل خلعه ، وظلوا مخلصين له رغم ذبوع وفاته (٢٣) ، كما قام الدعاة منهم بنشر الدعوة لحساب أبنائه الذين انتشروا في بلاد فارس والشام ٠ ولقد ظل نشاط الاسماعيلية خلال فتر من الزمان دينيا فقط ، ولكن أحد الدعاة تمكن من توجيهه نحو أغراض سياسية ، وعن هذا الطريق تمكن الداعي قرمط (٢٤) من أن يجمع حوله جماعات من العمال والفلاحين في أسفل العراق ممن كانوا قد شاركوا في ثورة الزنج (٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م - ٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م) ، واسفل طموحهم نحو المساواة التي كانوا يطالبون بها ، ونظمهم - باسم الامام المستور - في طبقات من أهل المعرفة (٢٥) ٠ ونجحت الحركة وانتشرت من العراق إلى جزيرة العرب ، وتغلبت

(٢١) انظر ابن خلدون ، المقدمة - فصل ٢٧ - في مذاهب الشيعة ٠٠٠ ج ٢ ص ٧٠١ .

(٢٢) انظر ابن النديم ، الفهرست ، فصل متكلمي الشيعة ، ط٠ التحاريري ، ص ٢٦٥ .

(٢٣) كانوا يدعون إلى الامام محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وأنه حي لم يموت - انما ط

الحفا ، ج ١ ص ٢٩ ٠

(٢٤) واسم حماد بن الأشعث ، أما عن لقبه قرمط فقليل لأنه كان يقرمط في سيره

أي يقارب بين خطراته ، وقيل لأنه كان أحمر البشرة تسميها له بالقرمط أي الطوب الأحمر ،

كما قيل ان الاسم مشتق من التدليس (نهو المدلس) ، وهو أصل الكلمة الآرامية (انظر

المقريزي ، انماط الحفا ، ص ٢٩) ٠ هذا ، ويورد ابن الأثير رأيا يقول ان أصل هذا الاسم

هم اسم رجل بطل كان قد لجأ إليه الداعي في الشام وهو « كرميتة » التي حلفت إلى قرمط

(ابن الأثير ، سنة ٢٧٨ ، ج ٧ ص ١٧٨) ٠

(٢٥) ماسيه ، الاسلام ، ص ١٥٧ - وفي درجات المعرفة ، انظر ما يقوله القاضي النعمان

في دعائم الاسلام ، في فصل ذكر الايمان ، حيث يقول : ان الايمان حالات ودرجات وطبقات

ومنازل ، فمنه التام المنتهى تمامه ، ومنه البين نقصانه ، ومنه الراجع رجحانه ، كما يقول ان

الايان مقسم على الحواوح ، مثل القلب والسمع واللسان والعينين واليدين والرجلين

وغيرها (ص ٤) ٠ وتقام الايمان يدخل المؤمن الحمة ، ويرجحانه والبرادة فيه يفاضل ٠

حزنيا الى نوع من الشيوعية البدائية ، انتهت بأعمال متطرفة عيما بها .
كما حدث عندما أغاروا على مكة وأخذوا الحجر الأسود الى هـبر ، إلا ساء ،
ففي موسم سنة ٣١٧هـ / ٩٢٨ م ، ولم يصيدوه إلا بعد أن تدخل امام الفاطميين .
في افريقية عبيد الله المهدي الذي أنكر عليهم ما فعلوه (٢٦) .

هكذا كانت العلاقة وثيقة بين الفاطميين وبين القرامطة ، وإن كان الفاطميون
قد رفضوا استغلال القرامطة لمذهب الامام المكتوم من أجل ثورتهم الاجتماعية .
فانهم استعادوا من الدعاية القرمطية من أجل تحقيق أهدافهم السياسية (٢٧) .
فبينما كان قرمط يدعو في العراق الى مذهب الامام المستور ، كان هناك داغ
آخر في المغرب الأوسط يثير حماس يربرر كتامة باسم المهدي الفاطمي . هو :
أبو عبد الله الشيعي .

الكتمان وظهور الأدعياء :

والذي يستحق الملاحظة هنا هو أن مطالبة الشيعة بأن تكون الامامة اى .
الخلافة في آل البيت من العلويين ثم التجاؤهم الى ستر الامام وكتمان العقيدة ،
كل ذلك ، كان سببا في دخول كثير من المخامرين والأدعياء في المذهب ، ومنهم
من أنتهز الفرصة فعلا ونجح في استغلال الدعوة لصالحه ، ومنهم من انحرف
عن مبادئ المذهب أو حرفيا مما جلب النقمة والسخط على الأئمة (٢٨) .

= المؤمنون في الدرجات عند الله ... (ص ٩) . وفي الفرق ما بين الايمان والاسلام يقول :
الاسلام هو الظاهر ، والايمان هو الباطن الحاصل في القلب (ص ١٢) . والاسلام هو الاقرار
من العبد بيننا الايمان أشمل فهو الاقرار والمعرفة الى من الله (ص ١٣) . والمعرفة
من الله حجة ومعة ومعة ، فمن لم يجعله الله عارفا فلا حجة عليه . وعن علي بن أبي طالب :
« أدنى ما يكون (المراد) مؤمنا أن يعرفه الله حخته في أرضه وشاهد على خلقه فيعتقده املتته .
فيقر له بالعبادة » (ص ١٣) . فكان معرفة الامام من درجات المعرفة العالية .
(٢٦) أنظر ابن الأثير ، سنة ٣١٧ ، ط . بولاق ، ج ٨ ص ٧٧ .

(٢٧) عن الصلة بين الحسين الأهوازي ، أحد مشاهير الدعاة لمذهب محمد بن اسماعيل
ابن جعفر الصادق وبين حمدان قرمط الذي استجاب لدعوته ، أنظر القرطبي ، انماط الحنابلة ،
ص ٢٩ ، ٣٠ . وعن القرامطة أنظر (ط - ١٩٦٧ ، ص ١٥١ وما بعدها) . وعن الصراع
بين القرامطة وبين الفاطميين على أيام المزمز وكيف قدح القرامطة في نسب الفاطميين فقالوا
أنهم أولاد القديح - أنظر ابن تفرى بردى ، النجوم الزاهرة . سنة ٣٦٢ ج ٤ ص ٧٤ .
(٢٨) أنظر العسكان من محمد الذي ينص على دعائه الاسلام فضلا ليهاجم نفسه
أولئك الذين صلوا ومرتقوا وحلوا . « من أهل هذا الأمر » ممن استحلوا المحارم وادعوا النبوة
والهوا الأئمة فقالوا سخطهم والبراءة منهم (ص ٤٨ وما بعدها) . وفي ذلك ينسب الى أبي =

الجدل حول صحة النسب :

وإذا كان الأمر كذلك فليس من المستغرب أن تكون صحة نسب الفاطميين أنفسهم موضع شك أثار الكثير من الجدل بين الكتاب ، حتى قال بعضهم أنهم أصلاً من المجوس أو الثنوية (٢٩) . ومن الطاعنين من يقول بأنهم يهود أصلاً ، على رغم أن سعيداً (المهدي) كان في الحقيقة ابناً لحداد يهودي من أهل سلمية من منطقة حمص ، وأن الحسين بن أحمد الذي تزوج أمه ، عندما استقر في سلمية اثر قراره من العراق ، ربه وأدبه . ولما لم يكن للحسين ولد فانه عهد الى ابن أرائه سعيد هذا (٢٠) ، فكان الفاطميين جمعوا بين المجوسية واليهودية جميعاً . ولقد وجد هذا الطعن آذاً صاغية من العباسيين في بغداد ، والأمويين في الأندلس فعملوا على اذاعته ونشره في طول بلادهم وعرضها ، وذلك كسلاح حاولوا النيل به من خصومهم الفاطميين ، ومواجهة دعوة الأمام المعصوم التي كانت قد استهوت قلوب الكثيرين ممن

حضر محمد بن علي قوله . « رسم الله عهداً حساً الى الناس ولم يسمنا اليهم ، أما والله لو يروون منا ما يقول ولا يعرفونه ولا يدلوهم علينا برأيهم ما استطاع احد أن يتعلق عليهم بشئ » ، ولكن احدهم يسع الكلمة فيبط اليها عشراً ويتأولها على ما يراه . . . (ص ٦١)

(٢٩) أنظر آراء الطاعنين في نسب الفاطميين وكيف يذكرون أنهم أصلاً من مجوس فارس الذين ينتسبون الى ديسك الثرى والديمون العداج جدهم ، وأنهم ادعوا الانتساب الى والده محمد بن اسماعيل الامام ، كما ادعوا أنهم من ولد عقيل بن أبي طالب وأصحاب هذا الرأي يقولون ان عبيد الله المهدي ، هو بن حقيقة نبيه . سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبيد الله ابن ميمون القنداح بن ديسك الثرى الأروزي . المقرئ ، انساب الخلفاء ، ط . القاهرة ١٩٦٧ ، ج ١ ص ٢٢ - ٢٣ ، ص ٣٧ - ٣٨ (عن النسب اليهودي) ، ص ٤١ (عن النسب الى ولد عقيل) ، وقارن ابن الأثير ، سنة ٣٩٦ هـ ، وأنظر ابن تفرى مردى ، النجوم الزاهرة . سنة ٣٦٢ هـ ، ج ٤ ص ٧٨ وما بعدها . وقارن الحلة السراء ، ج ١ ص ١٩٠ : حيث الرواية الأدلسية المنسوبة الى مؤرخ الأندلس الرازي ، وفيها أن عبيد الله هو بن محمد بن عبيد الرحمن بن البصري ، من سلمية ، وهي نفس التسمية التي يطلقها عليه الطبري . « ابن البصري » - نأهر أنها نفس التسمية التي أطلقها عليه صاحب تاريخ بغداد (أنظر الحلة السراء . ص ١ ص ١٩٠ وما ٤ ص ٦٩٢) . وأنظر الفصل الخاص برأي الطاعنين في صحة النسب تاريخ الدولة الفاطمية ، لحسن ابراهيم حسن ، ط ٢ ، القاهرة . ١٩٥٨ ، ص ٥٩ بعدما .

(٣٠) انساب الخلفاء ، ط ١٩٦٧ ، ص ٤٢ ، وقارن النجوم الزاهرة . ج ٤ ص ٧٩

ما بعد (ما قيل في نسب الخلفاء وآله) -

قاقت نفوسهم الى زوال عهد الجور وحلوله عهد العدل الموعود (٢١) .

ومع أننا لا تميل الى الدخول في ذلك الجدل الذي أورده ابن الاثير ووقف
بجانبه موقف المتأمل المتعاطف مع صحة النسب ، نكتفي بالإشارة الى أن الشيعة
أنفسهم ، ممن اعترفوا بصحة نسب الفاطميين ، اختلفوا في تسلسل هذا
النسب (٢٢) . والواضح أن مثل هذا الجدل لا طائل وراءه ، ولذا فنحن نفضل
الآخذ بنظرية ابن خلدون الذي يتحرج ، رغم سنيته المالكية المعروفة ، من جرح
زعماء الأمة وأعلامها التاريخيين حتى من أولئك الذين زعموا العصمة والهداية ،
ويحكم بعد التهم . فالذي نراه أن ابن خلدون وإن كان قد ساق ، في معرض
الدفاع عنهم ، بعض الأدلة أو القرائن التي ليست فوق مستوى النقد ، فهو
يريد ، في الحقيقة ، أن يقرر أن نجاح الدعوة - وهو الأمر الواقع باذن الله -
يعنى الكفاية والعدالة ، وبالتالي صحة النسب (٢٣) .

(٢١) عن جيع عهد الدولة البويهية سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م - ٣٧٢ هـ / ٩٨٢ م للمؤلفين
في بغداد وتوقيه على أن الحزب لدين الله ليس منهم ، أي ليس علويًا ، انظر المقرئ ،
اتعاط الحنفا ، ١٩٦٧ ، ج ١ ص ٣٠ . وعن المحضر العباسي الأول الذي كتب في بغداد سنة
٤٠٢ هـ / ١٠١١ م على عهد الحليفة الفادر في الدج في سبهم ، انظر اتعاط الحنفا ،
ص ٣٢ - ٣٣ (وعن ابن الأثير ص ٣٦ - ٣٧) ، ص ٤٤ (نص المحضر) ، ابن الأثير ،
سنة ٢٩٦ هـ ط . بولاق ، ج ٨ ص ١٠ . وعن طعن حليفة الأندلس الأمير الحكم المستنصر
في نسب العزيم انظر ، حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٤٩ .
(٢٢) فقد قيل عن المهدي أنه : محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن اسماعيل
ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي أبي طالب (ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ حيث
يذكر نسبا علويا ثانيا) . وتذكر بعض الروايات المغربية أنه : محمد بن اسماعيل بن الحسين
ابن علي بن جعفر بن علي بن موسى بن حمزة (بن محمد) الصادق بن علي زين العابدين
ابن الحسين بن علي بن أبي طالب (الاستبصار ص ٢٠٣) . ويقول ابن حماد الصنهاجي ،
أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، أنه : عبيد الله بن محمد بن الحسين بن محمد بن اسماعيل
ابن جعفر بن محمد بن علي (بن أبي طالب) (ط . الجزائر ١٩٢٧ ، ص ٦) . أما ابن خلدون ،
فيقول أنه : عبيد الله بن محمد العتيبي بن جعفر المصدق بن اسماعيل بن محمد المكنوم (أول
الأئمة المستويين) ، العبر ، ج ٤ ص ٦٢ - ٦٣ (طبعة بيروت ، ١٩٦٨) . المقرئ ، اتعاط
الحنفا ، ط القاهرة ١٩٦٧ ، ج ١ ص ١٦ ، ص ٣٥ حيث يأخذ المقرئ بصحة النسب .
وكذلك ص ٥٢ - ٥٣ (حيث ي نقل هذا السب عن ابن خلدون) .
(٢٣) انظر المقدمة ط . التجارية ، فصل في علم التاريخ وما يعرض للمؤرخين من
المخالفات - في الدفاع عن الإدارة ، ص ٢٣ ، وعن الفاطميين ، ص ٢١ ، وكذلك التاريخ ،
ج ٤ ص ٣١ . وعن مهدي الموحدين ص ٢٦ . وانظر ما ينقله عنه المقرئ في اتعاط الحنفا .
ط ١٩٦٧ ، ص ٤٤ - ٤٩ .

والحقيقة ان الفاطميين أنفسهم لم يعودوا يهتمون كثيرا بمسألة صحة النسب تلك ، بعد أن أصبحت مسألة الشرعية ثانوية عندهم . فلقد استخدموا التأويل واستعانوا بنظرية الحلول ، وأصبحوا يرون أن الإمامة عبد اجباري يعطى للمختار من بين العارفين بالعلم الالهي (اللدني) عن طريق استناره العقل أي ندى حصته العناية الالهية بالسوراية (٣٤) . وما يسبب الى المعر لدين الله ، بعد أن دخل القاهرة ، من أنه استقبل وفود المهنيين وقال لهم ، وهو يسئل سيفه من غمده وينثر عليهم دنائير ذهبه « هذا حسبي وهذا نسبي » (٣٥) ، يؤكد مقالة شرعية الأمر الواقع ، ويثبت أن الحدل في صحة نسب الفاطميين الذي بدأ به ابن الأثير ، وبلوره ابن خلدون ، وأخذ به المقريري (٣٦) كان قد استبعد أغراضه ولم يعد ذا موضوع .

تنظيم الدعاة الفاطمية ، وبداية أبي عبد الله الشيعي :

تبين بداية الدعوة التي قام بها أبو عبد الله الشيعي (٢٧) كيفية التنظيم السري للحركة الفاطمية . هذا ما يتضح من الرواية المغربية المفصلة التي يقدمها كتاب الاستبصار منسوبة الى الداعي نفسه (٢٨) ، ومنها يفهم أن وصول أبي عبد الله الى منصب الداعي تم بمحض الصدفة ، ولكنها كانت صدفة مرسومة . على كل حال . حدث ذلك في العراق مركز الحركة ، ومن حيث كان يوجه الدعاة الى خراسان واليمن والمغرب . ولم يكن أبو عبد الله غريباً عن التشيع ، فهو يسمي من مدينة صنعاء (٢٩) ، أخذ العلم في بلاده التي كانت

(٣٤) انظر ماسيه (هي ما سيثيون) ، الاسلام ، ص ١٥٨ . وفي التاريل انظر دعائم الاسلام ، فصل ولاية الائمة ، ص ٢١ وما بعدها . وفي مسألة الحلول يقول ابن خلدون ، المقدمة ، فصل ٢٧ في مذاهب الشيعة في حكم الامامة ص ١٩٨ . وهو ما يوافق مذهب الصادي في عيسى صلوات الله عليه .

(٣٥) انظر ابن خلدون ، ترسة المعر ، ابن تيمزي ، النجوم الزاهرة ، سنة ٣٦٢ . ج ٤ ص ٧٧ .

(٣٦) انظر عرض هذه الآراء في اتماظ الحفاه ، ط ١٩٦٧ ج ١ ص ٤٣ وما بعدها . (٣٧) الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الذي اشتهر بالمعتمد ايضاً ، وكذلك بالمعلم المقريري ، اتماظ الحفاه ، ط القاهرة ١٩٦٧ ، ج ١ ص ٥٥ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣١ - ٣٢ . وقارن افتتاح الدعوة للقاضي النعمان ، ص ٥٩ ، وابن حماد ، أخبار ملوك بني عبيد ، ص ٧ .

(٣٨) الاستبصار ، ص ٢٠٣ ، وقارن افتتاح الدعوة للقاضي النعمان ، ص ٣٥ : حيث نجد نفس القصة تقريباً ، منسوبة الى داعي اليمن ابن حوشب ، وانظر رواية الوراق في ابن عذاري ، ج ١ ص ١٣٤ ، والمقريري ، اتماظ الحفاه ، ج ١ ص ٥٥ - ٥٩ . (٣٩) افتتاح الدعوة ، ص ٦١ ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٤ .

من معادل الشيعة على أئمة المذهب ، وكان يعتقد في وجود الإمام المهدي ولكنه كان يجبل زمنه .

و ذات يوم ، بينما كان صاحبنا يصلي ويقرأ القرآن على ضفاف «دجلة» حضر رجل ميبب الطلعة ، عليه مظاهر النبيل والوقار ، واستقر فوق بساط فرشه له علامه بجواره على ضفة النهر . وبطريقة ماهرة دخل الشيخ الحليل في نقاش مع أبي عبد الله حول تفسير ما كان يقرأه من آيات القرآن ، وتمكن بفضل علمه ودرايته بالجدل والمناظرة من الاستحواز على قلبه حتى سأل «عزيز من علمه» وحسب الأساليب الغنية التي يعرفها الدعاة تركيز الشيخ - وهو في ذروة التعطش - مؤجلا ذلك الى فرصة أخرى ، وامتنى ظهر دابته بصرفا ، وخلفه غلامه . وعندما علم أبو عبد الله - من الغلام - أن الشيخ ليس الا محمد (بن اسماعيل بن الحسن . .) الطالبى تعلق بركابه ، وضرع اليه أن يعلمه السبيل الى معرفة الامام .

المنظيم السرى الاثنا عشرى :

وبقراءة الشيخ وثق من احلاص هذا التابع المتعطش الى المعرفة ، وأشار عليه بأن يسير معه الى منزله . وفي الدار وجد أبو عبد الله الشيعى شابا هو «بن شمع ووصيه» وهو عبيد الله المهدي ، ومعه أحد عشر رجلا من الدعاة ، حضمه الشيخ اليهم ، وبذلك أصبحوا اثني عشر نقيبا (٤٠) . هؤلاء الدعاة

(٤٠) انظر كتاب الاستبصار ، ص ٢٠٣ - والذي يعمم من هذه الرواية ان محمدا الحبيب «والد عبيد الله» كان يقوم بدعوته الى العراق ، وهذا لا يتعارض مع ما تكاد تجمع عليه الروايات من ان عبيد الله عندما سار نحو المغرب ، فيما بعد ، كان حروجه من مدينة سلية بالشام ، او لا بأس ان يكون قد ترك العراق عند ملاحقة رجال الخلافة له واستقر بالشام حيث كان العلويين شيعتهم المخلصون . واذا كانت ملاحقة رجال الخلافة له ولوالده قد تمت بعد وصول انبياء مجاح أبي عبد الله الشيعى الى المغرب ، كما تقول «الروايات» بقبولة (انظر انما الحقا ، ح ١ ص ٥٢ : حيث تقول الرواية انه بعد أن شاع خبر دعائه باليمن والرفقة طلبه المكتفى ، وكان يسكن عسكر مكرم ، فانتقل الى الشام) فان المولود فى سلية لا يكون عبيد الله المهدي بل ابنه القائم (أبو القاسم محيد) الذى ولد هناك سنة ٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م أو ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م (انظر القريزى . انما الحقا ، ح ١ ص ٧٤) وكان غلاما - حدثا عندما خرج به والده الى المغرب (انما الحقا ، ح ١ ص ٥٢ . وقارن افتتاح الدعوة ، ص ٢٤٥ : حيث يقول القاضى «المصان ان القائم حين استنفذ فى سحلانة كان قد طر شاديه» . ولهذا السبب قيل أيضا «للى القائم انه لم يكن ولد المهدي بل كان ربيعة لى لى زوجته» فكانه المقصود ما بن محمد سلية اليهودى) من مقالة ان محمدا القائم كان ربيب «سعيد» المهدي ، انظر انما الحقا ، ح ١ ص ٣٩ - وللى اختلاف اسم القائم ما بين - محمد وعبد الرحمن - وسن - وللى اختلاف كنيته ما بين - أبى القاسم وامى سمير انظر الحلة السيرة ، ح ١ ص ١٩٨ - .

الاثنى عشر يذكرون بنقياء البدعة العباسيين الاثنى عشر الذين تم اختيلهم بين السبعين داعية الأوائل ، وهم الذين مهدوا خراسان ، بقيادة أبى مسلم ، للثورة الرائعة التي قامت باسم آل البيت (الرضا من آل محمد) . وهم يذكرون أيضا بنقياء القرمطى الاثنى عشر الذين اتخذهم كحوارى عيسى بن مريم ، كما تقول رواية ابن الاثير (٤١) . فكان ذلك التنظيم الاثنى عشرى كان أساس الدعوات السرية التي عرفت بها دولة الخلافة ابتداء من العباسيين ثم من أتى بعدهم من الاسماعيلية ، مثل : القرامطة والفاطميين ثم الخنساءيين .

الدعوة فى المغرب تبدأ من اليمن :

والمهم أنه تم اعتقاد مجلس دعائنا الفاطمى هذا برئاسة الشيخ فى العراق قبل سنة ٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م ، وهو التاريخ المقترح لمولد مجيد القائم بن المهدي فى سلمية بالشام (٤٢) . وفيه أعلن الامام محمد الحبيب أن وقت ظهور الامام قد حان ، وأمرهم بالانتشار فى الأقطار ، والتبشير بقرب حلول عيد العدل والاصلاح ، ودعوة الانصار لدولة المهدي العلوى الفاطمى . ووقع الاختيار على أبى عبد الله ليقوم بالدعوة فى المغرب بأرض قبائل كتامة (٤٣) .

وواضح من الرواية أن الدعوة الشيعية فى المغرب الأوسط كانت قد بدأت قبل ذلك بوقت طويل منذ أيام جعفر الصادق أى حوالى سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م ، فى الوقت الذى كان يتكلم فيه قاضى افريقية عبد الرحمن بن أنعم فى الامام الذى يملأ الارض عدلا ، ويعم الرخاء فى عهده ، وهو ما كان يبشر به الحلوانى وأبو سفيان فى نفس الوقت تقريبا (٤٤) .

وحسب الأسلوب الفنى الذى كان يسير عليه الدعوة لم يتوجه أبو عبد الله مباشرة الى المغرب بل سار الى اليمن ، التى كانت قد صارت معقل الدعوة العلوية منذ أيام الامام الصادق وخلافة أبى جعفر المنصور ، ليتدرب على أساليب العناية الراقية . وكان كبير دعاة الامام محمد الحبيب فى ذلك الوقت هو ابن خُزَيْب (أبو القاسم رستم بن الحسين بن فرج) النجار ، الكوفي الأصل ، الذى كان مقيما فى بغداد يلزم العبادة والزهد ، ويدعو لظهور

(٤١) الكامل ، سنة ٢٧٨ ، ج ٧ ص ١٧٨ .

(٤٢) انظر الهامش السابق ٨ .

(٤٣) الاستبصار - ص ٢٠٣ .

(٤٤) انظر فيما سبق ، ص ٥٣٥ .

ولهدي في هذا الزمان (٤٥) . ولذلك تقول رواية ابن الأثير ان ابن حوشب هو الذي قال لابن عبد الله : ان أرض كتامة من المغرب قد حرثها الجولاني وابو سفيان ، وقد ماتا وليس لها غيرك (٤٦) ، فكان كبير دعاة اليمن أو صاحب اليمن ، (٤٧) هو الذي وجه أبا عبد الله إلى المغرب ، وليس الإمام - وهو الأمر المقبول بالنسبة لنظام الدعاية السرية المعقدة - والحقيقة انه كان على أبي عبد الله الشيعي ، بعد أن لزم ابن حوشب ، وشهد مجالسه وأفاد من علمه (٤٨) ان يبدأ بالمسير الى مكة أيام موسم الحج ليتصل بحاج كتامة هناك ، ويعرف أخلاقهم ، ويطلع على مذاهبهم ، وذلك بعد أن زود بمبلغ كبير من المال (٤٩) .

اللقاء مع حاج كتامة في مكة :

وهكذا ، وصل أبو عبد الله الشيعي الى مكة في يوم من أيام موسم الحج سنة ٢٨٠ هـ / ٨٩٤ م ، وبدأ البحث عن حاج المغرب الى أن أعتدى الى عدد من أعيان قبيلة كتامة يبلغون عشرة رجال ، ملتفتين حول شيخ منهم (٥٠) . وكما فعل معه الإمام فعل هو مع هؤلاء المغاربة فجاذبهم أطراف الحديث . وبعضل فصاحته وسحر بيانه ، فضلا عما كان يظهره من العبادة والتسك ، تمكن من سلب عقولهم (٥١) . وبطبيعة الحال سألهم عن بلادهم ، وعن مذهبهم ، ولم يكن منهم ألا أن أجابوه بصراحة عن صفة بلادهم ، وعن علاقتهم بأمر القروان ومدى استقلالهم عنه (٥٢) .

-
- (٤٥) انظر انتاج الدعوة للفاخر النعمان ، ص ٥٩ - ٦٠ ، وقارن القرطبي ، اتعاف الحنفا ، ج ١ ص ٤٠ ، هـ ٢ : حيث مقارنة اختلاف اسمه ليما بين ابن الأثير (سنة ٢٩٦ ، ج ٤ ص ١٢) والقرطبي ، بل وليما بين خطط القرطبي (حيث الاسم أبو القاسم الحسين ابن فرج) واتعاف الحنفا .
- (٤٦) ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ ، ج ٤ ص ١٢ ، وقارن اتعاف الحنفا - ج ١ ص ٥٥ .
- (٤٧) اتعاف الحنفا ، ج ٢ ص ٥١ .
- (٤٨) اتعاف الحنفا ، ج ٢ ص ٥١ .
- (٤٩) اتعاف الحنفا ، ج ١ ص ٥٥ .
- (٥٠) انظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٢ : حيث النص على بعض أعيان وفد كتامة من إلحجاج . ومهم : ١ - موسى بن خريث (كثير بني سكتان) ، ٢ - أبو القاسم الوردجي (من إلحجاج) ، ٣ - منصور بن عيسى بن ملال المسالتي ٤ - موسى بن تكاد .
- (٥١) الأستفسار ، ص ٢٠٣ ، وقارن اتعاف الحنفا ، ص ٥٥ .
- (٥٢) قالوا : ما عينا طاعة . وبيننا وبينه عشرة أيام ، وإن صلبتهم في جبل السلاح - انظر اتعاف الحنفا ، ص ٥٥ - ٥٦ :

- ٥٤٨ -

وفيمما يختص بمذهبهم أحس الداعي أن شيخهم يميل إلى مذهب الإباضية النكار ، ومن هذه « التلمة » دخل عليه ، وأخذ يستدرجهم في الحديث نفسه . علمه وخبرته بالجدل والمناظرة (٥٣) .

وتوثقت الصلة بين أبي عبد الله الشيعي وجماعة الحاج الكاسبي إلى أن حان وقت عودتهم إلى بلادهم ، فسألوه عن أمره وعن مقصده ، فأجابهم ، وهو يظهر الورع الشديد : أنه عراقي من رجال الدولة ، وأنه وجد أن خدمة السلاطان ليست من أعمال البر ، وبعد التروى رأى أن كسب المال الحلال لا يأتي إلا عن طريق تعليم القرآن للصبية ، فوهب نفسه لهذا العمل المبرور ، وأن أهل المعرفة نصحوه بالمسير إلى مصر حيث يروج تعليم الصبيان (٥٤) .

الرحلة إلى المغرب :

ولم يكن من الغريب أن يصطحبه الكتاميون معهم إلى مصر ، فهي في طريقهم ، وأثناء المسيرة صار يحدثهم في الدين ، ويستميلهم شيئا فشيئا إلى مذهبهم . ونجح فعلا في اكتساب محبتهم له ، واعتزازهم به حتى عرضوا عليه أن يواصل الطريق معهم إلى بلادهم ليعلم صبيانهم . ورغم اعتذاره ببعد الشقة إلا أنه لم يخيب رجاءهم تماما ، فأظهر أنه قد يسير معهم إلى القيروان فقط ، إذا لم يجد سبيله في مصر . وهذا ما فعله (٥٥) . وحلال أحاديثه معهم عرف

(٥٣) الاسماز ، ص ٢٣ . وقارن القريري (اتماط الحنفا . ج ١ ص ٥٥) الذي يلجس انتاح الدعوة للقاضي النعمان (ص ٦٣) . حيث يقول أن الداعي سبهم يتحدثون بفصائل آل البيت ، فاستحسن ذلك منهم . والحقيقة أن القاضي النعمان يصح أن رجلين من حاش كتامة ، وهما : حريث الحجيل ، وموسى بن مكازمة ، كانا يذكران فضائل علي بن أبي طالب . وهكذا يسلسل القاضي النعمان الأحداث بحيث تظهر متكاملة مع ما سبقها من الحديث عن تمهيد أرض المغرب لدعوة لآلهم المهدي معرفة الحلواني وأبي سفيان ، فكان دعوة الأخيرين في منتصف القرن الثاني الهجري (٨ م) كنت تمهيدا حقيقيا لدعاية أبي عبد الله الشيعي في أواخر القرن الثالث (٩ م) . وكان دعاية أبي عبد الله كانت استمرارا لدعوة الأولين ، رغم بعد الشقة .

(٥٤) ابن عذاري . ج ١ ص ١٣٥ . وقارن القريري . اتماط الحنفا . ج ١ ص ٥٦ . انتاح الدعوة للقاضي النعمان (ص ٦٥ - ٦٦) : حيث يقول أن كتامة كانوا يطلبون المجلس يستفتونهم في أمور دينهم ويتحاثون اليهم فيما يكون بينهم . ويعطونهم فلا يحالون لهم حكما .

- ٥٥٥ - ابن عذاري . ص ١٣٥ -

منهم بعد بلادهم عن عاصمة الأعالية ، وأن طاعيم للقيروان طبعه شكنية ،
وأنتهم قوم معتزّون بأنفسهم . يملكون السلاح والخيل ولا يرضون بالضميم (٥١) .
وفى القيروان أعادوا الإلحاح عليه ولكنه أصر على أن يقيم بالعاصمة الأغلبية ،
بعد أن وعدهم باللاحاق بهم فى بلادهم إذا لم يطب له المقام بها (٥٧) .

ولم يضيّع أبو عبد الله وقته فى القيروان سدى ، فأخذ يستقصى أخبار
القبائل ويتعرف أحوالها . وعندما تأكد من كثرة عدد كتامة ، وشدة شوكتها
بين قبائل البربر ، وعدم استكانتها للسلطان ، قرر أن يبدأ العمل الإيجابى .
فلم يمض على فراق رفقائه الا وقت يسير حتى لحق بهم (٥٨) وذلك فى منتصف
ربيع الأول سنة ٢٨٠ هـ / ٥ يونيو ٨٩٣ م (٥٩) .

ونزل أبو عبد الله على الشيخ الكتامى فى المنطقة الجبلية التى عرفت
حاليا بالقبائل الصغرى ، والتى تمتد بين سهل سطيف والبحر ، بين قسنطينة
شرقا وبجاية غربا (٦٠) . ومع أن المعروف أن أبا عبد الله نزل فى قرية من
قرى الجبال التى تعرف بإيكجان (٦١) ، والتى سميت بها القرية ، كما نسب
إليها أبو عبد الله الداعى تعرف عند بعض الكتاب بالايكجانى ، كما سبق ،

(٦٦) : انتاج الدعوة للقاصى المعن ، ص ٦٤ - ٦٦ . وما سبق ، ص ٥٤٧ وما ٥٢ .
(٥٧) : ابن عذارى . ج ١ ص ١٣٥ . وقارن رواية القاصى المعن (افتتاح الدعوة ،
ص ٦٨) : حيث تقول ان طريق الجماعة الى بلدتهم لم يكن على القيروان بل على قسنطينة
من بلاد الحريد) وانهم نزّلوا فى موضع يعرف بسوجمار من ارض سماعة حيث يقيم ثلاثة
رحال من الشيعة ، هم : ابو الفتح وأبو القاسم الوردجوسى ، وأبو عبد الله الأندلسى ،
وعند الأخير كان نزول أبى عبد الله . وهذا ما أخذ به ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٢ (حيث
الإشارة الى المندول عن طريق القيروان ، والوصول الى بلد سوماتة حيث كان محمد بن حنون
ابن سمالك الأندلسى ، وكان قد أدرك الحلوانى وأخذ عنه ، وان ابن حنون سألهم الى
بلد كتامة) .

(٥٨) : ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٦٨ .
(٥٩) : افتتاح الدعوة ، ص ٧١ ، وانظر ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ ، ج ٨ ص ١٢ . وقارن
ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٢ (حيث الوصول الى كتامة فى سنة ٢٨٨ هـ) . الاستبصار ،
ص ٢٠٣ - ورواية ابن الأثير ، مثل غيرها ، تقول انه وصل الى ارض كتامة برفقة جماعة
الحجاج - ولقد رأينا الأخذ برواية الوراق التى نقلها ابن عذارى لا يظهر فيها من الاحباط
فى التصرف مما يمكن أن يختل فيه الدولة اذا كانوا يتجهون ، وهو الأمر الذى كان
يحلقه دعاة مثل هذه الدعوة السرية .

(٦٠) : انظر مارسيه ، بلاد البربر الإسلامية ، ص ١٣٣ .

(٦١) : افتتاح الدعوة ، ص ٧٣ .

فاننا نميل الى الاخذ برواية صاحب الاستبصار التي تقول ان الداعي نزل على الشيخ الكتامي في جبل زلدوى (١٢) . ولا بأس ان يكون جبل زلدوى واحداً من سلسلة جبال هضبة ايكجان الكبيرة ، التي عرفت بأنها موطن كتامة الصعب - المال ، والتي تمتد عمارتها من حدود جبل أوراس جنوباً حتى سيف البحر ما بين بجاية وبونة شمالاً ، كما تمتد شرقاً حتى القيروان وغرباً حتى المسيلة (١٣) . هذا ، ولا بأس أيضاً ان يكون في جبل زلدوى هذا ، الموضع الذي عرّفه كتاب الشيعة بفج الإخيار : حيث تقيم جماعة بني سكتان الكتامية التي استضافت الداعي (١٤) ، وبذلك يكون فج الإخيار هو نفس قرية ايكجان .

وانخذ أبو عبد الله مجلسه في مسجد القرية مكرساً وقته للعبادة وأعمال الورع الى جانب تعليم الصبيان ، ومن هنا عرف بالمعلم . وفيما بين هذا وذاك كان يلقي سكان المنطقة من البربر تعاليم مذهبه ، ويكشف لهم شيئاً فشيئاً عن الامام المهدي المنتظر ، صاحب الدعوة ، وأن زمانه قد آن (١٥) ، وذلك حسب الأصول الفنية التي كان يعرفها الدعوة ، والتي كان قد تدرب عليها في اليمن ، وذلك ابتداء بالحديث في ظاهر فضائل علي بن أبي طالب (١٦) ، وانتهاء بذكر المهدي وما يمكن أن يدور حوله على السنة إبناء الشعب من الكرامات ، مثل : احياء الموتى ورد الشمس من مغربها (١٧) .

بدء العمل الايجابي :

وكان من الطبيعي أن يبدأ أبو عبد الله بدعوة الشيخ ، رئيس الجماعة . فبعد أن اطمأن اليه تماماً كشف له ذات يوم عن حقيقة أمره ، فقال له - بعد أن صب في حجره ٥٠٠ (خمسمائة) دينار : « لست بمعلم الصبيان ... إنما نحن أنصار أهل البيت ، وقد جات الرواية فيكم يا أهل كتامة أنكم

(١٢) الاستبصار ، ص ٢٠٣ .

(١٣) أنظر افتتاح الدعوة ، ص ٥٧ وماتش ٤ لمحقلة (نص وداد القاضي .

(١٤) افتتاح الدعوة ، ص ٧١ - ٧٣ : حيث يقول القاضي النعمان ان أبا عبد الله نزل هناك بصحبة أبي عبد الله الأندلسي وأبي القاسم الورعجي ، وأبه وعد الناس ، الذين تساجنوا من أجل نزولهم ههنا . بزيارة كل قوم في بيوتهم - وأنظر ماتش ٤ ص ٧٢ : حيث أشارة إلى ان اسم الجماعة في كابل ابن الأثير هو بني سليمان .

(١٥) الاستبصار ، ص ٢٠٣ . ابن عساري ، ج ١ ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(١٦) افتتاح الدعوة ، ص ٧٣ .

(١٧) أنظر ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ .

انصارنا ، والمقيموّن لدولتنا ، وأن الله يظهر بكم دينه ، ويميزكم أهل البيت ، وأنه سيكون أمام منهم أنتم أنصاره ، والباذلون مهجهم دونه . (٦٨) .
 ورد عليه الشيخ قائلا : « أنا أرغب فيما رغبتى فيه ، وأبذل فيه مهجتي ومالي ، أنا ومن اتبعني ، وأنا أطوع لك من يدك ، فمر بما شئت أمتثلته . » (٦٩) .

شخصية الزعيم الكتامي :

وإذا كانت رواية ابن عذارى الملخصة لم تكشف عن شخصية الشيخ الكتامي ، فإن رواية القاضي النعمان في افتتاح الدعوة ، بتفصيلاتها المسببة في ذكر الأشخاص والقبائل ، لم تحدد لنا هي الأخرى اسم الشيخ ، وبالتالي ظل التعرف عليه من الصعوبة بمكان (٧٠) .

والذي يلفت نظرنا في قائمة القاضي النعمان للزعماء الذين دخلوا في الدعوة ثلاثة رجال ، هم : هرؤل بن يونس بن موسى المسالتي ، والحسن بن هرون الغشمي من غشمان تازروت - وأبو يوسف مكنون بن ضبارة الأجنبي (عم أبي زكريا تمام بن معارك) (٧١) . فهرون بن يونس المسالتي كان يحمل لقب « شيخ المشايخ » (٧٢) ، والحسن بن هرون الغشمي هو الذي دعا أبا عبد الله إلى المسير إلى بلدته « تازروت » عندما تآزمت الأمور في منزله الأول ، في جبل زلدوى . فعظم شأنه (٧٣) ، كما يأتي . وبذلك يمكن الظن أن أيا من الرجلين يمكن أن يكون هو الشيخ الذي ناصر أبا عبد الله ، بصرف النظر عما تقوله الرواية من أنهما كانا من الوافدين على أبي عبد الله مما يفهم منه أنهما لم يكونا ضمن جماعة الحاج الكتامي . وإذا كان الحسن بن هرون قد عظم شأنه في مقر أبي عبد الله الثاني « تازروت » فإنه مما يرجح أن يكون هو الشيخ المقصود ، ما تذكره الرواية من أن أخاه الأكبر محمود « وجد في نفسه من عظم شأنه » ، وأنه كاد يشترك في مؤامرة للقبائل على الداعي ، وأن الرئاسة خلصت للحسن بعد مقتل أخيه محمود في الحرب إلى جانب أبي عبد الله (٧٤) . وهي الرواية

(٦٨) ابن عذارى ، ج ١٠ ، ص ١٣٧ .

(٦٩) ابن عذارى ، ج ١٠ ، ص ١٣٨ .

(٧٠) انظر افتتاح الدعوة ، ص ٧٤ - ٧٦ .

(٧١) افتتاح الدعوة ٧٣ - ٧٤ .

(٧٢) نفس المصدر ، ص ٧٤ .

(٧٣) نفس المصدر ، ص ٧٤ .

(٧٤) نفس المصدر ، ص ١٠٢ - ١٠٦ .

والحقيقة أن افتتاح النظرية يذكر أنه عندما احتدمت الحرب بين بني غشمان قبيلة الحسن وبين لهيعة بقيادة زعيمها البطشلي مهدي

التي تكاد تشبه ما يقوله ابن عذاري من أن الشيخ الكتامي لم يتردد في قتل أخيه عندما وقف ضد الداعي (٧٥) .

يبقى بعد ذلك من الزعماء الثلاثة : أبو يوسف مكنون بن صبارة الأجاني . والذي يجعلنا نفكر في أنه ربما كان الشيخ المطلوب ثلاثة أشياء : أولها ، أنه عم أبي زاكى تمام بن معارك الذي تقرب قريبا شديدا من أبي عبد الله لخفته ونباهته وحرصه على الخدمة (٧٦) ، والذي صار نائبا للداعي في رقادة عنيما سار لاستنقاذ الامام في سجن ماسية (٧٧) . أما الشيء الثاني فهو أن مكنون صار رئيس جماعة المؤمنين في تازروت بعد أن صارت دار الهجرة (٧٨) . أما ثالثها الذي نريد أن نرجع به أن يكون مكنون هو الشيخ المقصود فهو لقبه « الاجاني » نسبة الى قبائل اجانة التي ينتسب اليها . فنحن نريد أن نقترح أن تكون كلمة « الاجاني » هي نفس كلمة الايكجانى مكتوبة بشكل مخور ، وهو الأمر المقبول . واذا صح ذلك فإن جبال ايكجان (او اجان) تكون نسبة الى سكانها قبائل اجانة ، ويكون احتمال أن يكون أبو يوسف مكنون الاجاني عم أبي زاكى هو « الشيخ الكتامي » أرجح الاحتمالات . واذا كان « ايكجان » هو اسم القبائل ، فإن ذلك يمكن أن يكون تفسيراً لما تقدمه الروايات من أن الداعي نزل في جبل « زلدوى » أو في « فج الأخيار » أو بشكل عام في ايكجان (اجان) ، وبذلك يمكن فهم ما يقوله القاضي النعمان من أن دار هجرة أبي عبد الله كانت « تازروت » التي انتقل اليها من ايكجان (٧٩) كما يلي .

١٠ ابن أبي كرامة ، بعد انتقال أبي عبد الله الى تازروت ، قرر أخوه أبو مدين قتله قبيلة ، مما هو الى التفكير ، في ان يكون أبو مدين اللبى هو شيخنا المقصود ، لولا انه لا يذكر بين ابن . وانظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٢ (حيث تلخيص رواية النسان ، وفيها أن عبد الله الشيبى ول الحسن بن هرون على حروبه ، وظهر (الداعي) بعد أن كان مختفيا ، ظهر الى جانب محمود أخى الحسن مديقه مهدى بن أبي كرامة الذى كان معارضا للداعي حتى قتله أخوه أبو مدين وتزعم قبيلة لهيعة) .

(٧٥) انظر فيما بعد ، ص ٥٥٥ وهـ ٨٧ .

(٧٦) افتتاح الدعوة ، ص ٧٤ .

(٧٧) انظر فيما بعد ، ص ٥٩٤ .

(٧٨) افتتاح الدعوة ، ص ١١٧ .

(٧٩) افتتاح الدعوة ، ص ١١٧ .

دعوى الدعوة فى كتامة :

دعوة سرية . وان كان هدفها الامر بالمعروف :

والهم ان الشيخ الكتامى كان له اثره فى دخول اتباعه فيما كان يدعو اليه ، بعد الله . كما كان للداعى اثره هو الآخر فى زيادة هيبة الشيخ ابنى اواه . بعزل حسن تنظيم « الأولياء » الذين كانوا يرددون عددا مع مرور الوقت . وفى ذلك يقول القاضى النعمان ان الدعوة كانت سرية ، فكان الرجل منهم اذا سئل عن الامر الذى دخل فيه قال : « ابلغ توطن » ، « وكانت كلمة عليهم اياها ابو عبد الله » .

الاخوان والمشاركة :

اما عن سبب نجاح الدعوة ، فيقول : ان ابا عبد الله جعلهم يقلون على الصلاة والصيام وأعمال الخير وأفعال البر وتجنب المعاصي ، فأقبلوا اليه من كل جهة . وسمى الداعى اتباعه بـ « الإخوان » ، فكان الواحد منهم يتأدى الآخر « يا اخانا » . اما عن اسم « المشرقى » الذى عرف به الداعى ، واسم « المشاركة » الذى عرف به « اخوانه » ، فان الذين أطلقوه ، كما نرى ، هم خصوم الدعوة من كتامة (٨٠) . ويصف النعمان هؤلاء الخصوم بأنهم : من لم يطاعه نفسه على ترك المعاصي فنسبوا الى « الأولياء » الكفر والخروج عن الملة ، وقالوا : « لو كان هذا الامر فيه خير ما ستر ، وما هو الا خلاف دين الاسلام » (٨١) .

الخلاف بين قبائل كتامة :

وهكذا كان النجاح الذى تحققه الدعوة السرية للمهدى ، والتزام الداخلين فيها بالطاعة الصارمة لآبى عبد الله والشيخ الكتامى ، سببا فى اثاره خلافات خطيرة فى قبائل المنطقة ، من : كتامة وغيرها (٨٢) .

(٨٠) افتتاح الدعوة ص ٧٦ ، ٩٣ ، ص ٩٨ . حيث قال بعض خصوم آبى عبد الله عندما عزم عليه سائرته : هذا رجل من أهل المشرق وهم كما علمت شياطين ، وعلماؤنا مزأبر . وقوم ليست لهم تلك الأذمان . وان نافروا ظهر عليهم .
(٨١) افتتاح الدعوة ، ص ٧٧ .

(٨٢) انظر من الآثار الكامل سنة ٢٩٦٠ ج ٨ ق ٢٢ - ١٤ : حيث يحفل مقالته خصوم الطاطليين من ان آبا عبد الله صنع من الجيل والكيدات والفرعجات . ما اذل تحفلهم ، ذأناه الربر . . . وان الامر انتهى بتعرق كلمة البربر وكتامة بسببه ، كما كان يذكر لهم عكرامات .

تحریریں ولایت الاغالبہ :

ويضيف القاضي النعمان إلى أسباب الخلاف في كتامة تأمر إبراهيم
ابن أحمد الأغلب ، الذي حاول ، بعد أن فشل في صَرْبِهِم بقواته ، أن يُضْرِبَهُم
بغيرهم من كتامة فلم يتججح (٨٢) ، مما جراً الداعي على إبراهيم ، فقال
لرسوله : ما أنا ممن يروع بالوعد والوعيد في أنصار الدين وحماة
المؤمنين . . . (٨٤) .

وتقدم رسالة افتتاح الدعوة معلومات تفصيلية مذهلة عن الخلافات التي قامت بين القبائل بسبب دعوة أبي عبد الله ، وهى المعلومات التي نجد أصداءها فى كتب المتأخرين بعد أن مسخ النسخ الكثير منها . فمن أهم الخلافات التي قامت بين قبائل ايكجان : تلك الانتفاضة التي قام بها عدد كبير منها ضد أبي عبد الله ، وذلك بتعريض من أمراء : ميلة (ورئيسها موسى بن عياش) ، وسطيف (ورئيسها علي بن عسلوجة) ، وبلزمة (ورئيسها حنن بن تميم) . فلقد شاركت فيها قبائل : كتامة (بقيادة فتح بن يحيى المسالتي) ، ولبيصة (بقيادة مهدي بن أبي كناوة) ، واجانة (بقيادة فرج بن جبران) ، ولطاية (بقيادة أبي تميم فحل بن فوح) ، ومتوسة (بقيادة زيادة المتوسى) ، ولقد كتب زعماء القبائل هؤلاء الى الزعيم الكتامي بيان بن صقلان يقولون أنه من أجل هذا الرجل (أبي عبد الله) : عادى الأخ أخاه وابن أباه والقريب قريبه . ولكن بيان - الذي لم يكن قد دخل فى الدعوة - رفض تسليم الضيف الذي حماه أصحابه من بنى سكتان بالسلاح ، رغم ما تقوله الرواية من أن الداعي كان قد استخفى عندما استشعر الخطر المحدق بشخصه (٨٥) .

ولا بأس أن يكون استخفاء أبي عبد الله هذا غيبيًا «تأذروا» • إذ يقول

المهدى من احياء الموتى ، وود الشمس من مفرجها ، كما سبق - وقارن ابن عسارى (ج ١ ص ١٢٧) : حيث يشير الى موافقة الشيخ على الغاء صلاة التراويح في رمضان ، مما كان له رد فعل عنيف بين اهل الموضع .

(٨٢) انظر افتتاح الدعوة - ٧٨ .

(٨٤). الفتحاح الديرية، ص ٨٠ - ٨١.

[illegible]

القاضي النعمان ان أبا عبد الله ترك فج الأحيار أو أيكجان في جبل زلدري ،
بعد انتفاضة القبائل تلك ، وبسار الى تازروت حيث دعاه شيخ الموضع ، الحسن
ابن هرون العشمي الذي صارت اليه الرئاسة هناك (٨٦) ولا بأس في ان
يكون تازروت قد حلت محل فج الأحيار أو أيكجان ، كما يقول القاضي النعمان ،
بعد مؤامرة ثاية تزعمها قبيلة لهيصة بقيادة مهدي بن كناية الذي تماهى
في عداوته لأبي عبد الله حتى أن أخاه أبا مدين دبر قتله غيلة وشارك في
ذلك (٨٧) ، ثم حرب تالته مع مزاة بقيادة يوسف العاطشي وتحريض
لامير ابراهيم بن أحمد ، انتهت بتحالف القبائل بقيادة مزاة (٨٨) ، عندئذ
قرر أبو عبد الله العودة بـ « أوليائه » الى تازروت حيث نجح في الانتصار
بـ نيبا عني خصومه في حرب رابعة وأخيرة (٨٩) . هكذا نطلب الأمر (٧) سبع
سنوات من العمل الجاد والكفاح الصعب . انتهت عند موت الشيخ سنة ٢٨٧هـ
٩٠٠ م بخضوع سكان المنطقة بالرغيب حيناً وبالترهيب أحياناً (٩٠) .

مدين تازروت واتخاذها (دار هجرة) :

بحق الهدف اذن ، ودامت كتامة بمختلف قبائلها بالطاعة لأبي عبد الله
الشيعة . كما دخلت في دعوته قبائل كثيرة من أهل منطقة بحاية ، فقرر
أن ينشئ « دار هجرة » للمهدي - نسبها بما فعله النبي بالمدينة - وقرر أن
يكون معسكره بتازروت « دار هجرة » ، حسبما يقرر القاضي النعمان في
روايته بتفصيلاتها المسهبة (٩١) .

وإذا كان ابن الأثير يجعل دار الهجرة في أيكجان (٩٢) ، فالحقيقة أن
رواية افتتاح الدعوة لا تخالف ذلك إذ تقرر أن أيكجان كانت معسكراً لأبي

(٨٦) انظر فيما سبق ، ص ٥٥١ .

(٨٧) انظر فيما سبق ، ص ٥٥٤ .

(٨٨) افتتاح الدعوة ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٨٩) افتتاح الدعوة ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٩٠) انظر ابن عداري ، ج ١ - ص ١٢٨ ، وقارن افتتاح الدعوة ، ص ١١٧ .

(٩١) انظر افتتاح الدعوة ص ١١٧ ، وقارن ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ (الذي ينقل من
العاصي النعمان في افتتاح الدعوة ، ولكن كلمة تازروت تحولت الى « لاهرون » ، كما يشير الى
رئاسة الحسن بن هرون) .

(٩٢) المكتوبة في الشكل « الكحاج » (سنة ٢٩٦ ، ج ٨ ص ١٣ : ١٧) . وقارن ابن حنبل
(أخبار ملوك بن عبد ، ص ٧) الذي يحملها في شكل الكهان ، هـ ٢ حيث جعلها المخطئ
الى « يكجان » .

عبدالله يحتفظ فيه بالخائز والأموال منذ قدومه الى بلد كتامة ، بل ان ايكجان
ستعود مرة ثانية قاعدة لأبي عبد الله عندما يتضح له أن تازروت أقل حصانة
منها (٩٢) . وبذلك ستكون ايكجان حاضرة الدعوة . ليس الى دخول أبي عبدالله
برقادة ، بل وحتى وصول المهدي الى عاصمة الأغالة (٩٤) .

ولما كان أبو عبد الله قد استقر في تازروت قبل ذلك بوقت غير قصير حيث
استقبله أهلها من بني غشمان ، كما استقبلوا من كان معه من بني سكتان
من أهل آيكجان بالترحاب ، فقاموا بهم أموالهم وأحلوهم محلهم (٩٥) ، تماماً
كما فعل المهاجرون بالانصار ، فإن المقصود باتخاذها « دار هجرة » هو
الاستقرار المدني فيها بانشاء المباني ، بمعنى اتخاذها حاضرة أو عاصمة لأبي
عبد الله . وتحقيق له ذلك بعد الحرب الرابعة عند تحالف القبائل بزعامة
مزاة مع أهل مدينتي ميلة وسطيف وعساكرهما . فلقد تمكن أبو عبد الله ،
الذي صار يباشر الحرب بنفسه منذ الحرب الثانية ، ومعه ٧٠٠ (سبعمائة)
فارس و ٢٠٠٠ (ألفا) راحل من ملاقات أعدائه على التوالي خلال أربعة أيام ،
بداها بالعصاة من كتامة ، وثني فيها بعسكر سطيف الأغلب ، وختمها
بتشتيت مزاة والاستيلاء على مخيمهم (قيطونهم) وجميع أموالهم (٩٦) .

مقاييم الحرب هي مادة تحضير دار الهجرة في تازروت :

والهم أن أبا عبد الله ورجاله خرجوا من تلك الحرب بمقاييم هائلة . وفي
ذلك يقول القاضي النعمان : انهم « غنموا من الخيل ما لا يحصى عدده » ،
وانهم « أصابوا من أموال أهل المداين ، من السروج واللجم المحلاة والخيل ،
والغنائم ، والخلع والأموال ، والسلاح والبنود والطبول ، ما لا يحصى عدده
كثرة » (٩٧) . وكان ذلك الغني هو سبيل الجماعة الى الاستقرار في تازروت

(٩٢) افتتاح الدعوة . ص ١٢٨ - ١٢٩ .

(٩٤) افتتاح الدعوة . ص ٢٤٦ .

(٩٥) افتتاح الدعوة . ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٩٦) انظر افتتاح الدعوة . ص ١١٢ - ١١٦ : حيث يذكر انه كان من أبطال تلك الحرب

مرويو (مروية ٩) بن يوسف الذي ابل بإله حسنا ، وجرح جرحاً قطع منه صوته . (وقارن

ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٢٢) .

(٩٧) افتتاح الدعوة . ص ١١٦ - ١١٧ : حيث يشير الى ذلك بأن ما إنل من مزاة

من المشايخ كان من الكثرة بحيث : « يبيع الجبال يومئذ هذين بيوتاً بدنانير ، وبيع الجمل

يخس بصلوات . أما الغنم والأتممة فما أطاوا حملها . ولا كيف يسوقون الغنم » . وأنه

صار الى « الأولياء » من الغنم والأموال ما لا يحصى عدده » .

وتحضيرها .

فبعد العودة الى تازروت بدأ أبو عبد الله في بناء قصر اتخذ مسك لنفسه ، وأقطع الأرض حوله وأعطاهم لقواده ليبسوا دورا لهم . ولقد ازداد حمران المدينة بمن ارتحل اليها من أهل الدعوة الذين وفدوا من كل ناحية . حسوا الدور واتخذوا تازروت موطننا (١٨) ، حيث أصبحت عاصمة الدعوة . وجب محل القاعة الأولى إيكجان التي لم تفقد أهميتها .

تنظيم أهل الدعوة :

طبقات المؤمنين :

وشكل أبو عبد الله أتباعه في هيئة جند نظامي : فالزمهم العسكرية ، وسماهم « المؤمنين » بعد أن كانوا اخوانا ، وآلت رئاستهم الى أبي يوسف حاكنون بن ضبارة الاجاني (١٩) . وكان « المؤمنون » مقسمين الى طبقات بعضها فوق بعض ، فالمعروف أن الداخلين في الدعوة كان منهم : من أراد وجه الله ، ومن أراد الدين والدنيا ، ومن أراد الفخر والشرف ، ومن أراد الكسب والفائدة ، ومن أراد الحسد والمنافسة ، وآخرها من دخل في الدعوة خوفا ومهبة (١٠٠) . ورغم اختلاف طبقات المؤمنين فقد ألزمهم أبو عبد الله جميعا فإسراع مبادئ الاسلام ، وكان صارما في جعل الدين الأساس الذي بنى عليه امره ، فأناب الملتزمين وعاقب المخالفين ، فأنزل بهم العقوبات الشديدة . وكانت عقوبة المخالف هي الاقصاء عن الجماعة والبيد حتى يحلص التوبة (١٠١) .

وقسم الداعي قائل كتامة سبعة أقسام ، وجعل لكل سبع منها عسكريا قدم عليه مقدما (١٠٢) ، كما ورع الدعاة على محلف الأقاليم فجعل لكل

(١٨) افتتاح الدعوة ، ص ١١٧ .

(١٩) افتتاح الدعوة ، اس الأثر . سنة ٢٩٦ هـ . وقارن ابن خلدون . ج ٤ ص ٣

« حيث كانت الرئاسة لماكوتى والى حانه أبو زاكى تمام من معارك » .

(١٠٠) افتتاح الدعوة ، ص ١٢٣ .

(١٠١) افتتاح الدعوة . ص ١٢٤ .

٢١ افتتاح الدعوة ، ص ١٢٧ . لا نأس أن يكون ذلك التقسيم السباعي متفقا مع التفاليد الاسماعيلية الى تحمل للرقم سبعة معنى مقدسا . إذ كان الإمام اسماعيل هو السابع مما حمل المعنى يطلق عليهم اسم السبعة . كما أن أهل المدينة عندهم يتقربون الى سبع طبقات وغير ذلك من أفكارهم التي يدخل فيها الرقم سبعة . انظر هـ - ماسية . الاسلام ، بالفرنسية ، ص ١٥٨ - ١٥٩ .

موضع داعيا . وكان اختياره لمقدمى العساكر التى نظمت فى سبعة جيوش ودعاة المراضح الذين أطلق عليهم أسم « المشايخ » مبنيا على الاخلاص فى خدمة الدعوة ، دون النظر الى مسألة السن التى كان لها اعتبارها فى القبائل . فقد كان بين المشايخ من لم يبلغ السن من الشباب (١.٣) .

تنظيم الجيوش وشعاراتها :

وجعل أبو عبد الله لكل جيش من جيوشه السبعة ديوانا أى بيت مال للحرب تأتية الأموال التى يتفق منها على الجيوش عن طريق المغانيم والزكاة ، وبذلك جعل الأموال بين أيدي المشايخ ، وظل الحال على هذا السوال الى أن قدم المهدي فدفعوها اليه (١.٤) . وهكذا أصبح لأبي عبد الله جيوش نظامية يدبر أمورها كرئيس دولة ، ورسيرها الى الحرب كقائد أعلى . بعد أن يكتفى بضرب موعد اللقاء مع شيوخ القبائل ، ويحذرهم من التخلف . وفى ذلك تقول النصوص أنه كان يأمر مناديه فيصرخ فيهم : « حرام على من تخلف » (١.٥) . وأصبح الداعي عندما يقود جيوشه للحرب ، ينادى مناديه فى الرجال : « يا خيل الله اركبوا » ، كما اتخذ لقواته شعارات تتناسب مع دعوته الدينية ، فكتب على أفضاخ الخيل « الملك لله » ، وكتب فى بنوده : « سيهزم الجميع ويولون الأدبار » ، وآيات كثيرة من القرآن . ونقش فى خاتمه الذى يتختم به : فتوكل على الله انك على الحق المبين ، وفى خاتمه الذى يختم به على السجلات : « وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » (١.٦) وهى تقريبا نفس الشعارات التى سيحافظ عليها عندما يدخل عاصمة الأغالبة (١.٧) .

أخضاع القبائل :

يفضل هذه التراتيب العسكرية والحماسة الدينية أخضع أبو عبد الله

(١.٣) المحتاج - الدعوة ص ١٢٧ - وفى اختيار أبي عبد الله لثقاته هؤلاء يقول القاضى سان : انه كان يستحسنهم بالحن الكثرة ، كالأسفار البعيدة سرا ، ومهمهم الأموال الكثيرة ، فى ثياب اللقراء والحبيج (ص ١٢٨) . هذا . كما يسعى النسان عددا من المخلصين حرة ، وجبالا ونساء من بلدوا - بهم وبلدوا أموالهم لخدمة الدعوة وأولياها . فى الحرب السلام - (ص ١٢٨ - ١٣٣) .

(٢.٤) انظر افتتاح الدعوة . ص ١٢٨ .

(١.٥) انظر فيما سبق . ص ١٦٨ وما ٥٤٩ .

١ ٦١ ، ابن حماد . احبار مكة فى عهد . ص ٧ - ٨ .

(١ ٧) انظر ص ٨٤ .

إلقايا الباقية من القبائل ، فشن الغارات على مـ عبد - نقل يوم الا ولهم فـ
وقعة بموضع - حتى سلم أكثر الناس اليهم - ودخلوا في الدعوة رسمـ
ورمية (١٠٨) . وتطلبت هذه العمليات الحربية مدة سنتين (الى سنة ٢٨٩ هـ
٩٠٢ م) ظهر في نهايتها دعاء أبى عبد الله فى كل ناحية ، وغلب أمره على
كل كتامة ، ولم يق أمامه غير مدائن المنطقة ، ومن فيها من أمسراه
الأغالبة (١٠٩) .

الصراع مع الأغالبة :

وهكذا ، بعد أن أصبح أبو عبد الله أنسيد المطلق على منطقة القبائل
الصفرى الحالية ، خرج من دار الهجرة بإيكجان على رأس « المؤمنين الجدد »
ليطأ افريقية ، كما يقول ابن حماد ، ويملكها عنوة (١١) ، حسباً رأينا فى
السنوات الاخيرة من حكم الأغالبة ، وخاصة منذ اعتزال ابراهيم بن أحمد الملك
سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠١ م .

تخذ ديلة لأول مرة :

حتى نفس تلك السنة وبعد اعتزال ابراهيم مباشرة بجح أبو عبد الله فى
الاستيلاء على مدينة ميله التى كانت ملجأ لخصومه من الزعماء الكتامين ، مثل :
فدل بن نوح ، وفرح بن حيران ، ويوسف بن محمد - وتم للداعى الانتصار
على والى المدينة موسى بن عياش وحلفائه هؤلاء ، بفضل مخامرة جماعة عرب

(١٠٨) فلقد تكن سبع (جيش) اجانة بقيادة ماكنون بن شمارة من اخضاع جميع
قبائل : عثمان تازروت ، وملوسة ، وكبيصة ، ولطاية ، ومسالنة ، وعجيسة ، وزواوة . أما
زعماء القبائل الذين ألفوا من الحضور فقد غادروا المنطقة ، مثل : فرح بن حيران الذى سار
مع عدد من رؤساء اجانة الى ميله . وكذلك فعل بن نوح فى جماعة لطاية . وغادروا أيضا جماعة
بنى عفتيت لانهم كانوا يذهبون الى مذهب الإباضية . كما غادر من مسالنة الاية الذين كرهوا
أمر أبى عبد الله . أما فتح بن يحيى الزعيم المسالنى - الذى كان تزعمهم - فقد سار الى
ناحية سطيف ثم عاد وطلب الأمان ، ولكنه بسبب المنافسة مع هرون بن يونس ، عاد وانضم
بعض قلاع عجيصة حيث حاصره أبو عبد الله ثم انه لحق بافريقية . فقدم على ابن العباس
ابن ابراهيم بن أحمد بتونس ، وهون هناك من شأن الداعى . لنظر الانتاح الدهرة ، ص ١١٧
- ٢٣٠ - وقاوين ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٣٣ - ٣٤ (حيث يجعل لوجه فتح بن يحيى بالأمير
ابراهيم بن أحمد ، ولكن قبل ذلك بينما ينص على أن ابراهيم بن موسى بن عياش ، ابن صاحب
مسالنة الذى قتله الداعى ، هو الذى لحق بابى العباس بتونس بعد خروج أبيه الى حقلية) .

- (١٠٩) والفتح الدهرة - ص ١٢٦ - ١٢٢ .

- (١١) أخبار ملوك مـ عبدة ، ص ٨ .

للسنابرة (نسبة إلى سنابرة) للربيعين الذين كانوا من وجوه أهل ميله -
ورئيسهم حسن بن أحمد الذي كان قد راسل إمام عبد الله وسار إليه في
تازروت - وبعد أن اطمأن لمؤيد عبد الله على أحوال المدينة - نلتى كان قد
زادها في أول مرة وهو يعاني من الحصة ، فاستشفى بحمامها الذي كان لمؤيد
موسى بن عياش غادرها بعد أن عهد بولايتها إلى أبي يوسف مكنون -
ضباطة الاحامي (١١١) .

استعادة ميله وتخريب تازروت :

وكان رد أبي العباس بن ابراهيم على مغامرة أبي عبد الله في ميله
عيبا ، إذ سير أبيه محمد المشهور بالأحوال وبأبي حوال - رغم سوء الأحوال
الجوية - على رأس جيش مكون من ١٢ (اثني عشر) ألف رجل ما بين فارس
وراحل - وكان حروح محمد الأحول من مدينة تونس وبصحبته الزعيم المسالتي
فجع بن يحيى ، خصم أبي عبد الله الداعي ، وأبو ابراهيم بن موسى بن عياش .
الذي كان قد خرج من ميله أثناء الحصار طلبا للمعونة ، في ذي القعدة من سنة
٢٨٩ هـ / أكتوبر ٩٠٢ م . وسار الجيش الأغلب في هيئة الحرب مخترقا بلاد
الزاب ، مارا بسطيف ، وبلزمة وباغاية ، حيث تضخمت قواته . وأخيرا تم
اللقاء بأبي عبد الله وأصحابه في بلد ملوسة ، وانتهى القتال الشديد بانضمام
أبي عبد الله وأصحابه . وتبعهم الأحول وهزمهم مرة ثانية ، فلم ينجب منه
إلا الثلج العظيم الذي جاء فحال بين الفريقين . وعاد الداعي إلى قاعدته في
تازروت ، ولكنه لم يستقر فيها طويلا إذ لما عرف أن القوات الأعلبية تنبع أنره
غادرها لعدم حصانها ، وعاد إلى قاعدته الأولى في إيكحان (١١٢) .

• وعندما تحسنت الأحوال الجوية سار الأحول فعلا إلى تازروت فوجدها
خاوية فأحرقها وأحرق القصر الذي كان قد بناه أبو عبد الله ثم انه عرج على
ميله ، التي وجدها خالية هي الأخرى بعد أن جلا عنها أصحاب الداعي (١١٣) -
والظاهر أن الأحول اكتفى بذلك النجاح الذي حققه فعاد إلى تونس رغم ما يقوله

(١١١) انظر افتتاح الدعوة من ١٣٤ - ١٣٦ . حيث تفصيلات القتال الذي انتهى
بقتل موسى بن عياش وكذلك رضاء كتامة المذكورين . وانظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٣ -
(١١٢) افتتاح الدعوة ، زهر ١٢٢ - ١٢٨ . وقانون ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ . وعن
أبي حوال انظر في حقا ص ١٥٤ ، والاميش ص ٨٠ .
(١١٣) افتتاح الدعوة ١٢٨ - ١٣٩ ، وقانون ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ (الذي يحمل ذلك
على عهد ابراهيم بن أحمد) ، وابن خلدون ج ٤ ص ٢٤ .

القاضي النعمان. من أنه كان ينوي متابعة أبي عبد الله في أيكجان ، لولا تورط بعض رجاله ، وهو إبراهيم بن موسى بن عياش ، في قتال غير موفق مع قبيلة نطاية قرب ميله مما اضطره إلى الرحيل (١١٤) .

إيكجان تستعيد مركزها كدار هجرة :

بعد الهزيمة أمام الأتول التي انتهت بانتهاك الجند الأغلبى لحرمة تازروت وإحراقها رأى أبو عبد الله أن يستقر من جديد في إيكجان . يجب زلزال الحصى ، وكان الحاج يني سكتان في أن يني بين أظهرهم مما جعله يتخذ هذا القرار . وكان من الطبيعي أن يقوم أبو عبد الله ببناء قصر لمسكنه ، كما ابتنى كبار أصحابه بالقرب منه ، وأتى أتباعه في أعداد وفرة لكي يقيموا حوله في القرية الجبلية التي صارت « دار هجرة » أي حاضرة لأهل الدعوة (١١٥) .

عود إلى أعداد « المؤمنين » معنويا ، وعناية بجهاز الأخبار :

والظاهر أن الهزيمة المؤلمة أمام جند الأتول التي لم يحل دون تحولها إلى كارثة كاملة إلا سوء الأحوال الجوية جعلت أبا عبد الله يتروى بعض الشيء قبل أن يعاود مناجزة الجند الأغلبى من جديد . فلقد عاود الداعي سيرته الأولى في أيكجان ، فعقد مجالس العلم لأصحابه « المؤمنين » ، فكان يحدثهم ويشرح لهم أصول الدعوة ، كما أمر الدعاة بأن يفعلوا مثل ذلك في مواضعهم ، فحسنت ثبات المؤمنين وزادت بصائرهم وصلحت أحوالهم (١١٦) . وهذا يعني أن الداخلين الجدد في الدعوة من « المؤمنين » كانوا من الكثرة بحيث أنهم لم يكونوا قد دربوا ونظموا في طبقات أهل الدعوة ، مثل « الإخوان » الأوائل ، مما تطلب هذه « الدورات التدريبية » الجديدة - أو أن الأمر تطلب نوعا مما يسمى بـ « التوجيه المعنوي » أو « الثورة الثقافية » في أيامنا هذه .

والجانب ذلك اعتنى أبو عبد الله بتنظيم جهاز الأخبار لديه ، فأرسل رجاله إلى أفريقية يأتونه بما يجري في عاصمة الأغالبة ، وفي ذلك قبل أنه « كان لا يمر يوم إلا وعنده خبر » ، ولم تنته حالة الانتظار والترقب هذه .

(١١٤) انظر افتتاح الدعوة ، ص ١٣٩ . وابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٢٤ (حيث : مسيلة)

بدلا من ميله)

(١١٥) افتتاح الدعوة ، ص ١٤٠ . يوقل ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ، وابن خلدون ،

ج ٤ ، ص ٢٤

(١١٦) افتتاح الدعوة ، ص ١٤٠ .

١٠ لا عندما بنى الخبر بوفاة ابراهيم بن أحمد فى صقلية (ذو القعدة سنة ٢٨٩هـ /
أكتوبر ٩٠٢ م) (١١٧) .

الانتصار على محمد الأحول (أبو حوال) :

و"ظاهر ان حلود أبى عبد الله الى السكينة جرداً أبا العباس على القيام
بمحاولة ثانية قد تخلصه من الثورة الكتامية ، فعهد من جديد بقيادة الحملة
الى ابنه محمد الأحول الذى كان قد قوى جنانه بعد انتصاراته الأولى - وسار
الجيش الكبير الذى انضم اليه خصوم الداعى من كتامة الى بلاد الراب متخذاً
خمس طريق الحملة الأولى ، يمر بسطيف راتنى به المسار الى بلد ميسرة
حيث خندق على معسكره . وعندما علم أبو عبد الله بمقدم الأمير الأغلبى
حشد رجاله وزحف اليه من ايكجان نحو بلد لهيصة ونزل على موضع يعرف
بـ " سدوسة " . وبدأ القتال عندما بعث أبو عبد الله خيله لمهاجمة الجند
الأغلبى فى معسكره - وتحقق ما كان يهدف اليه أبو عبد الله اذ تمكن رجاله
عن هزيمة جند الأغلبى فى الميدان المفتوح بعد أن خرجوا من خندقهم ، فارتدوا
اليه .

والظاهر ان الأحول خشى أن تحيط به القبائل وهو فى خندقه ، فقرر
الانسحاب فى نفس الليلة على ضوء المشاعل الى سطيف . وفى الصباح كان
رجال أبى عبد الله يضربون فى ساقته ، ويفنمون ما كان قد بقى من رجاله
فى معسكرهم . وهكذا انتهى اللقاء الثانى بانهزام الأحول ، وعودة أبى عبد الله
مظفراً الى ايكجان (١١٨) وأتى اغتيال أبى العباس (آخر شعبان سنة ٢٩٠هـ /
٢٨ يولييه ٩٠٣ م) وولاية زيادة الله اللاهى ، انذى قتل أخاه الأحول فى شعبان
التالى ، لكى تقوى من جان أبى عبد الله وتطمعه فعلا فى هدم الدولة
الأغلبية (١١٩) .

الاستيلاء على ميلة وسطيف :

هكذا تمكن أبو عبد الله فى سنة ٢٩١ هـ / ٩٠٤ م من الاستيلاء على

(١١٧) افتتاح الدعوة ، ص ١٤٠ - ١٤١ . وعن تاريخ وفاة ابراهيم : السبت ١٣ من
ذو القعدة / ١٩ أكتوبر ، (ص ٩٢) .
١٠ (١١٨) انظر افتتاح الدعوة ، ص ١٤٢ - ١٤٣ ، وقارن ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ : الذى
يجملها اللقاء الثالث للأحوال مع الداعى ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٤ .
(١١٩) انظر افتتاح الدعوة ، ص ١٤١ - ١٤٢ ، وقارن ابن الأثير سنة ٢٩٦
ومن خطورة مقتل أبى حوال الذى اعتزله التويرى أعظم فتح عند الشيعة ، انظر فيما سبق
ص ١٦٢ .

ميلة بسهولة: حيث لا نجد في افتتاح الدعوة التي يلخصها ابن الأثير تفصيلات من ذلك، كما حدث في الاستيلاء عليها لأول مرة (١٢٠) . وبعد أن اطمأن أبو عبيد الله إلى استقرار الأمور في منطقة ميلة، كان من الطبيعي أن يوجه أنظاره إلى سطيف التي كان واليها الأغلب، وهو علي بن حفص المعروف بلجن عسلوجة الذي شارك الأحول في حملته، والذي عرف في الناحية بالبطولة والنجدة، يهدده دائما . وما زاد في اشتقاق أبي عبد الله من صاحب سطيف: أنه كان على علاقات طيبة بخصوص الدعوى من زعماء كتامة الذين كانوا يقدمون له المعونة والجند في قتاله لأهل إيكجان .

بناء على ذلك لم يكن من الغريب أن تطاول مدينة سطيف حشود أبي عبد الله لمدة ٤٠ (أربعين) يوما حتى اضطر الداعي إلى العودة إلى إيكجان حيث أقام شهرا يدعو الأولياء إلى الانضمام إلى قواته . ورغم ذلك فنعلم عاد إلى سطيف في عسكري لا يحصى قاتله على بن عسلوجة خارج المدينة قتال الأبطال، وكان من الطبيعي أن ينتهي الأمر بالتجاء إلى حصن المدينة حيث مات هو وأخوه حبيب، متأثرا بجراحه - كما ظن - فاتحل أمر سطيف، كما يقول القاضي النعمان . ورغم ذلك فلم تدع المدينة إلا بالأمان الذي فاوض عليه الزعيم داود بن حباسة اللهيصى، لأهل المدينة ولنفسه . ربر أبو عبد الله بأمانه فلم يقتل إلا من يستحق القتل، كما أمر بهدم سور المدينة، قبل عودته إلى إيكجان، بعد أن عهد بولايتها إلى بعض رجاله (١٢١) .

الدفاع عن منطقة القبائل والانتصار على ابن حبشي قرب قسنطينة:

لا شك أنه كان لسقوط سطيف وقع أليم في عاصمة الأغالية، وخاصة بين أولئك للملاجهين فيها عن زعماء كتامة الذين حرصوا زيادة الله على معالجة الأمر قبل أن يفوت الأوان . وقام زيادة الله في سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م بحشد جيش عظيم يعتبر أكبر جيش سيره الأغالية حتى ذلك الوقت، ضد الداعي: إذ يلقب عدته ٤٠ (أربعين) ألف رجل ما بين فارس وراجل، مسلحين أحسن تسليح ومزودين بالأموال والعتاد، وعهد بالقيادة إلى أخيه إبراهيم بن حبشي.

(١٢٠) انظر فيما سبق، ص ٥٥٩ .
(١٢١) انظر افتتاح الدعوة، ص ١٥٤ - ١٥٦ . وابن خلدون، ج ٢ ص ٢٥ . حيث اسم على بن عسلوجة: علي بن جعفر بن عسكوة، كما يوجد ذكر أيضا للزعيم اللهيصى (من تدار ليهبة) الذي كان لاحقا إلى سطيف مع غيره من زعماء كتامة . وقارن فيما سبق ص ١٦٨ .

ورأى انصاره: فون بششون الحرب أن يسير الجيش هذه المرة في طريق يخالف الطريق "بى سار فيه الأحوال من قس ، فاحذ مباشرة على طريق «تسطينة» في طرف بلاد كتامة حيث نزل في موضع لا يبعد الا مرحلتين فقط عن ايكجان . ووعلى طول الطريق كان يستميل القبائل بالمال ، ويضرب العصاة . والظاهر أن ابن حبشى كان ينتظر أن ينزل أبو عبد الله اليه من معقله في إبليل ، وهذا ما لم يفعله الداعي . وطال انتظار ابن حبشى في قسطينة لمدة ستة أشهر تضخمت فيها قواته رجال القبائل وبمسكر طينة ، عاصمة الزاب ، بقيادة القائد شيب بن ابى الشداد حتى وصل عسكره الى ١٠٠ (مائة) ألف رجل ، كما تقول الرواية بشىء من المبالغة على ما نظن (١٢٢) .

ولما لم ينزل أبو عبد الله من معقله ، ولما كان من الصعب على القائد الأغلبى أن يحتفظ بهذا الجيش الكبير ، انذى كان يتصحهم مع مرور الوقت من أجل الأرزاق ، كما نظن ، قرر ابن حبشى أن يسير بقواته تلك للدخول في عرين الداعي نفسه . فتقدم فعلا الى بلدة اجانة (ايكجان) حيث نزل في موضع يعرف عبد القاضى النعمان بـ « كونة » (١٢٣) .

ورغم ما يقوله القاضى النعمان من أن ابراهيم بن حبشى كان لا يعرف الحرب ، إذ نازل الخيالة المنتقاء السى أرسلنا أبو عبد الله للعرف على موضع نزوله ، فالأرجح أن أبا عبد الله دبر تلك المفاجأة لابن حبشى الذى يهور في مسالك الجبال الوعرة ، ففاجأ ساقنه حبس أحمائ الجيش وعادته على الدواب والجمال ، فتشتت أمام فرسان الجبل المدربين . وقبل أن يفيق الجند الأغلبى من صدمة المفاجأة ، زحف اليهم أبو عبد الله بقواته الرئيسية فتحت الهزيمة على الجيش الجرار ، ولم ينج ابن حبشى الذى جرح الا بشق الأنفس . وهكذا تشتت الجند الأغلبى في اتجاه باغاية من بلاد الزاب وسقطت أمتعة الجيش الكبير وأمواله وعتاده بين أيدي أصحاب أبي عبد الله (١٢٤) .

(١٢٢) أنظر افتتاح الدعوة ، ص ١٥٧ - ١٥٨ . وقارن تلخيص ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ . ج ٨ ص ١٥ ، في فصل ذكر استيلاء أبي عبد الله على افریقیة . حيث يقول انه انضم اليه حبشى مثل جيشه ، وامر حلدون ، ج ٤ ص ٣٥ .

(١٢٣) أنظر افتتاح الدعوة ، ص ١٥٨ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٨ : حيث القراءة في المتن كينولة وفي الهامش كونة ، كما في احدى المخطوطات ، مما يجعلنا نرجح قراءة ملحقة وواد للقاضى . أما خروا ابن الأثير فهي كومة (وكومة في احدى المخطوطات) .

(١٢٤) افتتاح الدعوة ، ص ١٥٨ - ١٥٩ ، وأنظر تلخيص ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ . ج ٨ ص ١٥ ، واس حلدون ج ٤ ص ٣٥ . حيث الإشارة الى أن الوقعة كانت قرب مدينة جلزما .

مفاتيح هائلة كان للمهدي نصيبه منها ، وهو في سجلماسة :

وانتهت الملحمة الكبرى ، التي يصعبها ابن عذاري وصفا رائعا ، بمقتل الكثير من الجند الأغلب ، ووقوع الغنيمة العظيمة بين أيدي كتامة ، من : الأموال والسلاح والسروج واللجم وضروب الأمتعة ، فاعتنوا بعد فقر ولبسوا الجحرير وركبوا بسروج الفضة واللجم المذهبة (١٢٥) .

وأمام جسامة الكارثة التي ألمت بجيشه ، لم يتوقف إبراهيم بن حبشي إلا ريثما يكتب الى زيادة بما حدث ، ولم ينتظر الجواب فرجع الى إفريقية . بينما عاد شبيب بن أبي الشداد قائد عسكر طينة الى بلده (١٢٦) .

وكان من الطبيعي أن يسعد أبو عبد الله بهذا النصر الكبير فكتب الى الامام بسجلماسة يخبره به ، كما أرسل اليه بأموال وذخائر مما غنمه ، من : الدنانير الذهبية وفاخر الثياب (١٢٧) .

فتح بلاد الزاب : طينة :

شعر أبو عبد الله يقوته ، وقوى جنان أصحابه بعد اندحار العسكر الأغلب الكبير ، وكان من الطبيعي أن يواصل المسيرة المظفرة الى آخر الشوط ، وكان من الطبيعي أن تكون طينة هي هذه التالى . طينة الى جانب كونها عاصمة الزاب كان بها حامية أغلبية كبيرة هي التي كانت قيادتها الى شبيب بنى أبي شداد القمودى المعروف بشبيب الصغير ويعاونه خفاجة العيسى . كما كانت ملجأ لعدد من زعماء كتامة المناهضين لأبي عبد الله منذ بداية دعوته مثل : فتح بن يحيى المسالتي ، ولو أنه كان يعاني من جرح جائف أصيب به في حرب إبراهيم بن حبشي الخاسرة .

نادى أبو عبد الله في القبائل ، وحشد حشوده التي زحف بها ، وهو تحت مظلته ، الى طينة وطوقها . وهال والى المدينة حسن بن أحمد بن نافذ المعروف بابي المقارع كثرة قوات الداعي ، فاكتفى بالاعتصام بأسوار المدينة ، وجمعه أعوانه ، من صاحب الخبز : محمد بن قزهب ، وصاحب المعطاء : يحيى بن

(١٢٥) انظر البيان . ج ١ ص ١٢٨ ، وما سبق . ص ١٦٩ .

(١٢٦) انتاج الدعوة . ص ١٥٩ .

(١٢٧) انتاج الدعوة . ص ١٦٠ . ابن عذاري . ج ١ ص ١٢٦ ، وقارن ابن خلدون . ج ٤ ص ٢٥ (حيث تقول الرواية : وكتب الشيبى بالفتح الى المهدي مع رجال من كتامة أخذوا أنفسهم حتى وصلوا اليه وعرفوه بالخبر) .

القسرى . وكانت قوات أبى عبد الله قد تقدمت فى العسكرية فاصبحت تعرف بن الحصار ، وتستخدم الآلات اللازمة له ، فتقدم «الأولياء» بدبابية من دباباتهم ، ولقبوا بربا من أبراج السور ، وألحوا المدافعين عنه الى الهرب . وبذلك نجحوا فى الدخول الى المدينة التى كان عامة أهلها من الجار ، فأمهم الداعى . أما الوالى أبو المقارع ومن معه من الرعاء الكتامين والعمال الأعالة ، فانهم اعتصموا بالقلعة . ولكنهم لم يلبثوا ان استسلموا بالأمان أمام أبى زكى تمام بن معارك ، وسواقفة أبى عبد الله نفسه . ومع أن أبى عبد الله قتل عدوه القديم الفصح بن يحيى . فانه عفا عن الوالى أبى القارح . وضححه معه الى إيكجان حيث قربه منه ، وذلك بعد أن عهد بولاية طمنة الى أبى عبد الله يحيى بن سليمان (١٢٨) .

فتح بلزمة :

وبعد طمنة أتى دور بلزمة التى فشل أبو عبد الله فى احدها فى ثلاث حملات متتالية فى ثلاث سنوات متعاقبة ، إذ كانت المدينة داب الأسوار الحصينة تدافع عن نفسها بما يصنعه أهلها من المحانيق والعرادات وآلات الحروب ، فكان أبو عبد الله يكتفى بافساد زروعها . وأمام استعداد بلزمة هذا فى حرب المطالبة الآلية ، أتى أبو عبد الله هذه المرة مزودا بآب الحصار القوية ، من : الدبابات والأبراج ، ولكن أهل بلزمة الخبراء فى حرب الحصار نجحوا فى احراقها . ولكنه مع اشتداد الحصر جاع أهل المدينة الذين أكلوا الجلود والدرق ، واضطروا الى الاستسلام بعد أن مات واليهم . حتى بن نعيم . فبنسوا من الاستمرار فى المقاومة .

وهكذا فتحت بلزمة عنوة ، فقتل من كان قد بقى من مقاتلتها . وإذا كان القاضي النعمان يقول : ان عسكر الداعى لم يعرضوا لامرأة حرة . فهو ينص على أنهم غنموا ما وجدوه فى المدينة من : الأثاث والأمتعة وغيرها ، مما عادوا به الى إيكجان ، بعد أن هتموا سور المدينة بأبى الداعى (١٢٩) .

(١٢٨) انظر التتاج الدمرة ص ١٦٠ - ١٦٣ وقارن اس الاثير (الذى يلخصه) سنة ٢٩٦ هـ ، ج ٨ ص ١٦ (ابن خلدون ج ٤ ص ٣٥) وانظر فيه سبق ص ١٧٢ . وما بعدها .

(١٢٩) انظر التتاج الدعوة ص ١٦٤ - ١٦٥ ، ابن خلدون ج ٤ ص ٣٥

- ٥٦٧ -

هزيمة الجند الألبى في دار ملول :

كان تسقوط عاصمة الزاب -وبعدها بلزمة- بين أيدي الأيكجانيين وخرج عليهم في قلب زيادة الله الذى أعد جيشا عظيما بلغ اثني عشر ألف رجل من الفرسان والرجال الذين أوسع عليهم في العطاء حتى يحسنوا القتال هذه المرة ، وجعل قيادتهم الى هرون بن الطيتي ، وأمره بالمسير الى باغاية حيث كان واليا أخوه زيادة الله الطيتي . وفى باغاية وفد عليه كثير من رجال القبائل الذين أجزل لهم العطاء مما كان يحمله من الأموال .

والظاهر أن وجهة هرون كانت بلزمة ، ولكنه عرج في الطريق إليها على بلدة تعرف بدار ملول ، كانت قد دخلت في طاعة أبى عبد الله ، فدخل عليهم بكل قواته فهدم حصنهم ، وقتل من وجده فيه . ولكن الجيش الكبير انتابه الهمج فجأة عندما واجه جريدة لأبى عبد الله كانت قد خرجت بقيادة عروبة بن يوسف لتستطلع أخبار الجند الألبى ، فتصايح الرجال وفروا نحو الجبل القريب للتحصن فيه . وعندما تأكد عروبة أن ليس في الأمر مكيدة ، تبهم يقتلهم ويفنم عتادهم . وهكذا انهزم الجند الألبى نحو باغاية دون قتال ، بعد أن ترك قافلة هرون في أرض المعركة . وأمره باعتاده غنيمة سهلة بين أيدي أصحاب أبى عبد الله . وأتت أنباء الهزيمة الى زيادة الله من قبل عامل باغاية فزادته غما على غم (١٢٠) .

فتح تيجس :

والظاهر أن هزيمة دار ملول ، وما لقيه العسكر الألبى قبلها من الهزائم ، شجع أعوان أبى عبد الله في المنطقة على أن يجربوا حظهم في الاستيلاء على بعض مدائن الأغالبة . فقد انتهزت جماعة من هواة الفرصة وسارت الى أبى عبد الله في ايكجان وعلى رأسها حمزة الملقى الذى استأذن الداعى في القارة على نواحي بلدة . ونجح حمزة فعلا في الغارة على البريد الآتى من القيروان الى باغاية ، فقتل صاحبه وحمل ما كان معه من الكتب الى أبى عبد الله .

وتشجع أصحاب حمزة الملقى فصاروا يضربون في النواحي حتى جاؤوا بمدينة تيجس التي كان بها رابطة أغلبية من ٥٠٠ (خمسمائة) فارس تحت قيادة

.....

(١٢٠) الفتح الدعوة ، ١٦٤ - ١٦٦ ، وانظر ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٢٥٠ (جرحهم القراء :

مدينة أزمول بدلا من دار ملول) .

النوال ابن ركاب ، وبعارونه أحد غلمان زيادة الله . وأمام غارات الهواريين
مستمرة رأى والى تيجس أن الحكمة تقتضى الدخول فى حماية ابيكجان ،
فراسل ابا عبد الله وأعلن خضوعه له ، وسأله أن يرسل اليه جيشا لمواجهة
الحامية الأتلمبية . وتطلب الأمر من الداعي إرسال جيشين الى تيجس لكي
تستسلم المدينة ، ولكن على أن تحرج الحامية الأغلبية من الحصن بأسلحتها
وعتائدها . وهكذا سقطت تيجس بالأمان وعود جندها الأغلبية الى زيادة الله ،
بينما دخل ابن ركاب فى الدعوة (١٢١) .

وكان لوفاء أبى عبد الله لرابطة تيجس أثره الحسن فى قلوب أهل
الفرقية ، فبعد أن كانوا يخشون غدر أصحابه مالت نحوهم قلوبهم ، كما
يقول النعمان ، وبذلك اضطربت البلاد وتوقعوا وصول أبى عبد الله
اليهم (١٢٢) .

حرب الدعاية ضد أبى عبد الله وفشلها :

مام فشل زيادة الله فى حرب الأيكجاني بالمساكن قرر أن يجرب
عند حرب الدعاية النفسية ، كما يقول الآن ، فكتب كتابا ضد أبى عبد الله
وأمر بنشره فى مختلف البلدان . نسب زيادة الله فى كتابه هذا الى أبى
عبد الله : الكفر ، وتبديل الدين ، وارتكاب المحارم ، وأنه يلعن الصحابة
ويستحل دماء المسلمين ، الى جانب انصرافه الى اللهو والعبث وشرب الخمر .
كما حذر الناس من أرجاف المرجفين و تهويل المهولين أمر الفاسق
النسب (١٢٣) ، ويشكك القاهي لينجيان فى كتاب الخليفة المكتفى فى أمر انداعى
اللقى كتبت منه نسخ قرأت على المتأخر ، والذي يصيب أيا عبد الله بما يشبه
الأوصاف السابقة ، ويضيف الى ذلك ثقة الخلافة بزيادة الله ، ويطلب من
أهل الفرقية الوقوف الى جانبه (١٢٤) .

وأتت تلك الدعاية بمكس ما قصد منها . فكتاب زيادة الله أثار السخرية

(١٢١) انظر النتاج الدعوة ، ص ١٦٧ - ١٦٩ ، ولارن ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ج ٨
ص ١٦ . وابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٥ (سبح القرام : يجتبت بدلا من يفتس)
(١٢٢) النتاج الدعوة ، ص ١٧٠ . ولارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٥ (حيث النص على
أن قائد الشيعة المظفر هو يوسف اللساني)
(١٢٣) انظر النتاج الدعوة ، ص ١٧٠ - ١٧٣
(١٢٤) النتاج الدعوة ، ص ١٧٤ - ١٧٧ .

= ٥٦٩ =

يذكره مفاسد الداعي وذكر الناس بمفاسده هو نفسه ، كما لم يزددهم « إلا خوفاً وإرجافاً ، وثقافتاً بآمره واستخفافاً » (١٢٥) . ولما يتعلق بكتاب الخلافة فقد أثار مثل هذه المشاعر في نفوس الناس ، أما عن تحريضه الناس للوقوف الى جانب أميرهم زيادة الله ، فكان ردهم : « وما عسى أن يصنع الرعية له ؟ إنما الرعية لمن غلب » (١٢٦) .

تظاهرة الخروج الى الأربس :

ولكى تزوي حرب الدعاية التي شنها زيادة الله على الداعي ثمارها ، رأى الأمير الأغلب أن يصحبها بعمل إيجابي ملموس لقرار الخروج بنفسه لملاقاة خصمه . فأخذ يعد العدة للحرب ، فجهز السلاح والأموال ، وبالع في شراء الناس بالمال فأجزل لهم العطاء الذي بلغ خمسين ديناراً : « كان يفرقها فرقا بالصحاف ، حتى أنفق الكثير مما كان في خزائنه من اللخائر والنفق والخلع » . وفي أول سنة ٢٩٤ هـ / نوفمبر سنة ٩٠٤ م خرج يتقدمه شيوخ أهل القيروان الى مدينة الأربس القريبة ، التي أصبحت وكأنها نهر الفريعة مع الداعي . ولكنه بعد أن أقام فترة في الأربس حيث واجهه العساكر ، نصحه مستشاروه بعدم المقامرة بنفسه فاستحسن ذلك ، ورجع الى قصره بقيادة بعد أن عهد بقيادة العسكر في الأربس الى قريبه إبراهيم بن أبي الغلب . الذي كان معدوداً من الشجعان (١٢٧) .

فتح بلخاية :

بعودة زيادة الله من الأربس ، توجس الناس خيفة في القيروان فقاموا بالمحارس على أبوابها ، وأقاموا بها ليلاً ونهاراً . وعندما بلغت هذه الأخبار الى أبي عبد الله بدأ حملته الكبرى التي انطلق فيها ك « مصاصات الرعية » كما يقال الآن . بالنسبة للمملكة الأغلبية المفتوحة . فلقد انشغل الداعي مكاتبه عدد من زعماء بلخاية . ممن رأوا الدخول في طاعته يرفقهم بدلائل الدخول فيها لسرا ، فزحف الى المدينة في جيش كبير . وخرج إليه بالهزيمة الأغلب وفضل الهرب بنفسه فسار الى الأربس ، بينما دخل أبو عبد الله

(١٢٥) التتاج الدرة . ج ١٧٨ .

(١٢٦) التتاج الدرة . ج ١٧٨ .

(١٢٧) التتاج الدرة . ص ١٧٨ - ١٨١ . وقارن ابن الأثير . سنة ٢٩٦ . ج ٨ ص ١٦ .

حيث يجعل الخروج الى الأربس سنة ٢٩٥ (ابن خلدون . ج ٤ ص ٢٥) .

المدينة بالأمان . وبعد أن أقام فيها أياما عهد بولايتها إلى أبي يوسف ماكنون ابن ضماره الأجانى (عم أبي راكى) ، وترك له حامية . كتابية من خمسماية رحل ، يسما عاد هو إلى ايكجان (١٢٨) .

وعسما وصلت هذه الاحبار السيئة إلى ريادة الله ، سجن ثقة مستشاريه ، وطلب منهم النصيح والمنسورة . واحتلفت الآراء : فبينما نظر البعض فى ضرورة ارسال ابن أبي الأغلب من الأربس إلى الزاب لاستعادة باغاية ، رأى الوزير عبد الله بن الصائع أن ذلك يعرض الجيش لخطر قوات أبي عبد الله نفسه ، وأن الأفوق لابن أبي الأغلب هو البقاء فى الأربس متربصا ، فإذا حاول الداعى الخروج إلى غير باغاية من المواضع لحق به ، ومنعه من تحقيق ماريه (١٢٩) . ومع وجهة رأى الوزير هذا ، فهو يعنى فى حقيقة الأمر أن القوات الأغلبية كانت أعجز من أن تلاقى قوات أبي عبد الله سواء فى باغاية أو غيرها .

وهذا ما تعبر عنه الرواية ، عندما تقول : ان زيادة الله استمع بعد ذلك لنصحاء السوء ، الذين أغروه بالانصراف إلى اللهو والشراب ليخفف عنه حوم أبي عبد الله ، وأن هذا ما فعله (١٤٠) . ولو أنه ظل يمد ابن أبي الأغلب بالاموال والرجال (١٤١) .

عمليات جس نبض محدودة :

أخذ مجانة :

عندما تأكد أبو عبد الله من أن عسكر ريادة الله مقيم بالأربس لا يتحرك منها ، قرر مواصلة العمل فى اقتطاع المملكة الأغلبية قطعة بعد أخرى .

(١٢٨) - افتتاح الدعوة ، من ١٨١ - ١٨٢ .

(١٣٩) - افتتاح الدعوة ، من ١٨١ - ١٨٢ .

(١٤٠) - انظر افتتاح الدعوة ، من ١٨٣ حيث يقول الصبان ان بعض دعاته نصحه بذلك وحث عليه امر شياع باغاية ، ورتب له دورا غنائيا يسهم فى مجلس المشرب خوامه ذلك . لببت الذى يقول : « شرب واسقينا من القرن يكفيننا » ، وقارن تلخيص ابن الأثير . سنة ٢٩٦ ، وانظر ابن عذارى ، ج ١ ص ١٤٣ . حيث يقول ان زيادة الله هو الذى كان يقول لدعاته اذا فكم لم زوال ملكه . « املا واسقى من القرن يكفيني » . وانظر قيسا سبق ، من ١٧٥ و ١٧٣ .

(١٤١) - انتاج الدعوة ، من ١٨٥ .

وكانت مجانة هي هدف في هذه المرة اذ سحر اليها ألف فارس انتقامهم من خيرة فرسانه ، يدعى رأسهم . أبو محمد بن ابن أبي كفاوة - اللهيبي - وسار كتيبة الفرسان إلى باغاية ، ومنها خرجوا نحو مجانة . وعندما رأى واليها الأغلبى ، خفاجة العيسى ، اقترابهم ظهر لهم حيث قاتلهم طيلة النهار إلى أن نحل الليل فدخل المدينة . والظاهر أن خفاجة وجد ألا قبل له بمقاتلة أصحاب أبي عبد الله ، فاكتمى بالبقاء خلف الأسوار . ولما كانت كتيبة الفرسان غير مستعدة لحرب الحصار فان رجالها اكتفوا بنهب المنازل القريبة من قلعة مجانة ، قبل أن يعودوا إلى أيكجان .

وتطلب الأمر عودة أبي مدين مرة ثانية إلى مجانة عن طريق باغاية ، وتبساً . ونجح أبو مدين هذه المرة في مفاجأة خفاجة وخيائته ، وأنهى القتال الدامي بمقتل خفاجة وعدد كبير من رجاله ، بينما نجا عدد منهم إلى القلعة (١٤٢) . ومع أن القاضي النعمان يتبع ذلك بقوله : أن عسكر أبي عبد الله عاد برأس خفاجة إلى أيكجان ، فأغلب الظن أنهم فعلوا ذلك بعد أن سقطت قلعة مجانة بين أيديهم ، كما ينص على ذلك ابن الأثير (١٤٢) .

أخذ قصر الأفريقي ، وتيفاش ، وقالة :

هكذا فرض أبو عبد الله سلطانه على المنطقة ، فكان له الحكم بين القبائل المتصارعة هناك ، كما عرف كيف يستفيد من تلك الصراعات . فعندما استنصرت به قبيلة كزناية اثر خلاف نشب بينهم وبين أهل قصر الأفريقي انتهز الفرصة وسير عسكرا بقيادة أحمد بن سليمان السكتاني ، هزم مقاتلة أهل قصر الأفريقي حتى جلوا إلى بلدة طبرشق ، كما أنحن في قبائل المنطقة ونهبهم ، قبل العودة إلى أيكجان (١٤٤) .

ولما رأى الوالى الأغلبى لبلدة تيفاش ، وهو اسحاق بن أبي سلاسى ، جولات عسكر أبي عبد الله فى المنطقة وضلواته دون أن يتحرك لذلك جنت الأربس وطلب الرجل العافية فسار بنبلسه لاجل إلى أيكجان (١٤٥) . وعندما

(١٤٢) انظر النتائج الدورة ، ص ١٨٦ - ١٨٧ .

(١٤٣) الكامل ، أحداث سنة ٢٩٦ هـ / ج ٨ ص ١٦ . وأثير ابن خلکان ج ٣ ص ٢٥١ .

- حيث القيامة : طوطية . يدلا من مجانة .

(١٤٤) انظر النتائج الدورة ص ١٨٧ - ١٨٨ .

(١٤٥) النتائج الدورة ، ص ١٨٨ . والقاضى النعمان لا يذكر نسباً لذلك ولا كان

حسبه بسبب خلاف بينه وبين أهوانه أو عسكره .

عرف ريدده الله بذلك كان من الصعب عليه أن يجد بين أصحابه من يرضى بالعامره بعينه في تناول أبي عبد الله وإن كان من أهل الولاية ، وأخيراً وصف له ، جل من وجوه أهل تيفاش ، هو حبيب بن ليفة ، « فكتب إليه بالولاية ، وبعث إليه بصلة وخلعة ، فقبل وتولى أمر تيعاش » (١٤٦) .

وإن كان أهل تيفاش على صلة بأبي عبد الله ، فإنهم أخبروه بأحوال البلد وسائره أن يوجه إليه عسكري ليأخذه . وكان على رأس كتيبة الفرسان التي سيرها أبو عبد الله أحد الدعاة ، هو صولات بن القاسم السكاني . وما كاد فرسان كتامة يقتربون من تيفاش حتى خرج حبيب بن ليفة هارباً إلى ابن أبي الأغلب بالأربس . وهكذا دخل صولات تيفاش بالآمان ، وتولى أمرها (١٤٧) .

وكان لوجود العسكر الكتامي في تيفاش فعل السحر في دخول أهل الناحية في الدعوة .

فإلى تيفاش وصل خلفون بن مهدي قائد عسكر قالمة وسال صولات الآمان لأهل البلدة والدخول في الدعوة . ووافق صولات على أن يبعث إليه بعض رجال المدينة ، ومنهم صاحب السكة ، إبراهيم بن البروج ، وسير معه ثلاثمائة فارس (١٤٨) .

وتبع ذلك أن وصل إلى صولات وفود من بني ورديم يطلبون الآمان وكذلك من بني هراش ، فأجابهم ، وطلب إلى رجال الوفود هؤلاء بالانقال إلى إيكجان ، دار الهجرة (١٤٩) .

وهكذا كانت سيطرة أبي عبد الله تتأكد في المنطقة ، لم يضعف من شأنها ما قام به إبراهيم بن أبي الأغلب ، بتحريض حبيب بن ليفة ، عن استعادة تيفاش لفترة من الوقت . إذ لم تستطع الحامية للكتامية الصغيرة ،

(١٤٦) أنظر افتتاح الدعوة ، ص ١٨٨ .

(١٤٧) افتتاح الدعوة ، ص ١٨٩ ، ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ، ج ٨ ص ١٦ ، وابن حلتون ج ٤ ص ٣٥ . حيث اسم قائد التميمي . صواب بن أبي القاسم بدلاً من صولات بن القاسم .

(١٤٨) افتتاح الدعوة ، ص ١٨٩ .

(١٤٩) افتتاح الدعوة ، ص ١٩٠ .

المكونة من مائتي فارس من الموقف طويلا أمام الجيش الأغلبي الجرار (١٥٠) -
وفى مقابل ذلك النجاش الذي حققه الأغالبة في تيفاش بتكاليف باهظة .
مد أبو عبد الله الشيعي نفوذه الى بونة . فلقد استقل صراعاً قام بين قبيلة
أوجبة هناك ، وسير قبائل كتامة الى تلك الجهة حيث قسموا المنطقة الى ثلاثة
أثلاث ، ما بين ساحل البحر وقلب الفحص ، فشنوا الغارات عليها وقتلوا
وغنموا ، ثم تجمعوا قرب باب المدينة المعروف بزانة ، وعادوا سوياً محملين
بالمغانم الى أيكجان (١٥١) .

الاجتياح الأخير ، ومحاولات الأغالبة في الصمود :

بفضل هذه العمليات العسكرية المحدودة ، عرف أبو عبد الله الشيعي
أن جيش الأربس الأغلبي لا يكون في الحقيقة ، حائلاً بينه وبين تحقيق هدفه
النهائي ، وهو انهاء حكم الأغالبة في أفريقية ، فقرر أن يأخذ أزمة الحرب بين
يديه ، وأن يباشرها بنفسه . فقد خرج الداعي في سنة ٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م ،
من أيكجان في جيش نظامي كبير ، واتجه الى باغاية ، ومنها وصل الى مسكيانة
ثم خرج منها على تبسّ .

وواضح من رواية القاضي النعمان أنه لم يكن أمام تلك المدن الا أن تفتح
أبوابها لأبي عبد الله . فلم يقف أمامه الا أهل ميدرة الحصينة (حيدرة
انحالية) ، حيث كان قد لجأ اليها المعاندون من بقايا أهل قصر الافريقي ،
ومجانة ، وتبسا ، ومرمجة ، وغيرهم : ممن ظلوا كارهين لدعوة أيكجان .
فقد تحصن هؤلاء بأسوار البلدة ، وبينما كان العسكر الكتامي يضرب
انحصار على مفيدة عادت علة الحصاة أبا عبد الله فانشغل بنفسه عن القتال .
وهكذا عندما أطل أهل البلدة من أعلى الأسوار وسألوا الكتامين الأمان ،
أجابهم هؤلاء ، ولكنهم ما أن فتحو أبواب المدينة حتى فوجئوا بالكتامين يضعون
السيوف على رقابهم وينهبون ما تقع عليه أيديهم ، مما اغتم له أبو عبد الله
حتى أنه خرج بنفسه رغم ما كان يعاينه من الألم ، لكي يستنقذ ما أمكنه
استنقاذه من أيدي العسكري .

(١٥٠) الانتاح المدعوة . ص ١٩٠ - حيث تقول الرواية ان حبيباً بن ليلة قتل الرجل
الذي دعا أبا عبد الله لدخول تيفاش ومحوه عند نفسه بن كليب ، الذي كان تختبئاً فيها . وتوارد
ابن خلدون . ج ٤ ص ٣٥ (حيث النص هل ان القوم تيفاش من الشكر الكتامي من
القالد امهم من ايمر الأغلبي سبيلك خلف أبا حوال) .
(١٥١) افتتاح الدعوة . ص ١٩١ .

وحتى لأبي عبد الله أن يغتم لذلك ، فلما وصل الخير القيروان حتى قام
رجال زيادة يشنعون عليه وعلى أصحابه ، وينسبون إليهم الفخر وعدم خوفه ،
بالمعهد (١٥٢) ، وكتب زيادة الله في ذلك الكتب التي قُرئت من على
أهلها يسايعون من الكتاميين من فوق الأسوار (١٥٤) .

ومن حيدرة رجل أبو عبد الله الشيعي ، وأخذ بلدة القصرين من إقليم
تمودة في جنوب بلاد القيروان بالأمان ، ومنع عسكره من دخول المدينة ، فكان
أهلها يسايعون من الكتاميين من فوق الأسوار (١٥٤) .

الانتصار محدود للأغالبة :

وظهر لإبراهيم بن أبي الأغلب ، وكان أبا عبد الله قد قرر الصعود
نحو رقادة حيث زيادة الله في عسكر قليل ، فترك الأربس واتجه نحو
أبي عبد الله ، الذي كان في القصرين ، ونزل في موضع يعرف بـ « دار
مدين » (١٥٥) . وتم اللقاء بين الجيشين الأغلب والكتامي فيما بين دار مدين
والقصرين ، والظاهر أن القتال الذي بدأ بانتصار مبدئي لعسكر ابن أبي الأغلب
على مقدمة عسكر أبي عبد الله انتهى ، عند حلول الليل ، بانسحاب هذا
الآخر نحو القصرين ، من حيث عاد إلى أيكجان . واكتفى ابن أبي الأغلب
بذلك ، فلم يحاول متابعته وكتب إلى زيادة الله بالنصر ، فكتب بدوره السجلات
التي قُرئت في البلدان على المنابر (١٥٦) .

موقف تردد وحيرة من جانب أهل الإقليم بين الجانبين المتصارعين :

والظاهر أن ذلك النصر المحدود الذي حققه الجيش الأغلب ، والدعاية
الكثيرة التي روجها زيادة الله حول جيشه المنصور ، كان له الأثر في نفوس أهل
المنطقة الذين احتاروا في اختيار الطرف الذي تقصى المصلحة بالوقوف إلى

(١٥٢) افتتاح الدعوة ، ص ١٩٢ ، وانظر ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ، ج ٨ ص ١٦

(١٥٣) افتتاح الدعوة ، ص ١٩٣ .

(١٥٤) افتتاح الدعوة ، ص ١٩٣ ، ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ، ج ٨ ص ١٧ .

(١٥٥) إيظير افتتاح الدعوة ، ص ١٩٣ ، وقارن تلخيص ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ، ج ٨ -

ص ١٧ : حيث القُرءة دوقمين .

(١٥٦) افتتاح الدعوة ، ص ١٩٣ - ١٩٤ ، وقارن تلخيص ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ،

ج ٨ ص ١٧ .

جانبه . وكانت نتيجة ذلك انزال العقوبة بهم من هذا الجذب . وذلك ، وتلك
سنة فترات مثل تلك الأثرة التي قد لا يعرف فيها ، حتى إلى الأمر أنفسهم ،
من أين تهب الرياح المضطربة .

فلقد تصورت بعض قبائل منطقة قصر الافريقي وطبرشق أن الرياح
غيرت اتجاهها وأصبحت تسير نحو الإريس وليس ايكجان ، فسارت وفود منه
إلى ابن أبي الأعرب يعلنون الطاعة ، مثل : بنى وشنو ، وبنى هراش . ولم
يسلم التسام من انتقام أبي عبد الله الذي سير اليهم عسكرا بقيادة عروبة
ابن يوسف ، فاجاهم على حين غرة فقتلهم ، ونهب ديارهم قيل أن يطلق
فيها النيران (١٥٧) ، وكذلك فعل أبو عبد الله ببنى ماجن (من هوزة) عندما
خرجوا على طاعته .

أما عن أولئك الذين بقوا على ولائهم لأبي عبد الله ، فإنهم وقعوا بدورهم
فريسة لانتقام الأغلبة . فبينما كان فرسان الداعي يعاقبون أهل قصر
الافريقي وطبرشق ، كانت بعض قوات ابراهيم بن أبي الأغلب تجول في
المنطقة بقيادة ابن الهمداني ، لمعاينة قبيلة بنى ورديم ، لدخولهم في طاعة
إيكجان . وتم اللقاء في أرض بنى ورديم بين قوات أبي عبد الله وقوات ابن
أبي الأغلب . ووجد سيئو الحظ من بنى ورديم أنفسهم بين شقي الرحا ،
كما يقال ، بين القوتين المتنافستين على سيادتهم ، وكانت كل قوة منهما
قد عسكرت على الجبلين المشرفين عليهم ، وهسم في الوادي بين الجبلين
مختبرون .

ولم يطل تردد بنى ورديم طويلا ، وذلك أن خوفهم من عقاب أبي عبد الله
إذا ما استسلموا للعسكر الأغلب ، دفعهم إلى الاستبسال في قتال ابن الهمداني
ورده عن بلادهم (١٥٨) .

الاستيلاء على إقليم قسطنطينية من بلاد الجريد :

واستمر أبو عبد الله في تكملة خطته التي تلخصت في اقتطاع أقاليم

(١٥٧) انتاج الدعوة ، ص ١٩٥ ، وانظر ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ / ج ٨ ص ١٧ ،
التي أحصل تلخيص هذه الأعمال التي اعتبرها ثابرة قليلة الأهمية (ابن خلدون ، ج ٤
ص ٣٥) .
(١٥٨) انتاج الدعوة ، ص ١٩٥ - ١٩٦ - ولقد أصل في الأثر تلخيص هذه الأحداث
في الأثر - سنة ٢٩٦ هـ ، ج ٨ ص ١٧ .

«المملكة الأغلبية المحيطة ببلاد القيروان ، قطعة بعد أخرى • فبعد شهرين أوقف خلالها غاراته حتى قيل انه مريض ، وحتى ظن الأغلبة انه مات (١٥٩) ، خرج من دار الهجرة بايكجان على رأس قوات عظيمة ، وقد قرر- أن يضم قسطنطينية ، هذه المرة ، الى بلاده • وكان عليه أن يسير الى باغاية التي أصبحت قاعدة العمليات في المنطقة • وفي باغاية وافاه واليه على طينة ، عاصمة الزاب بمسكرو ، وقدم اليه كتباً كان قد أرسلها المهدي من سجلماسة مع بعض الرجال الذي تعرضوا لقطع الطريق عليهم من قبل جماعة من زناتة فلم ينج حامل الكتب وحده الى طينة الا وهو في الرمق الاخير (١٦٠) • وهال أبو عبد الله جراءة زناتة على رسل المهدي وفكر في تغيير مسيرته لمعاقتهم في بلادهم البعيدة ، ولكن مشايخ كتامة أقنعوه بارجاء ذلك الى الوقت المناسب ، تحسباً لمفاجأة قد تقع في بلادهم من قبل الجند الأغلبى •

أخذ « توزر » وقصة :

وهكذا صارت القوات الكتامية الى قسطنطينية • والملاحظ أن رواية القاضي النعمان التي يلخصها ابن الأثير ، تجعل من قسطنطينية ، وهي الاقليم الكبير مدينة قاتل أهلها أبا عبد الله ساعة من نهار قبل أن يستسلموا بالأمان • وهذا لا بأس به ، فالمفروض أن مدينة قسطنطينية تعنى ، في هذا المقام ، قاعدة الأقاليم كما هي العادة في تسمية العواصم باسم البلد أو العكس ، وذلك يعنى أن المقصود هو مدينة توزر العاصمة (١٦١) • وهذا ما ينضج في رواية ابن عذاري التي تقول ان قائد زينة الله ، وهما : منصور بن اسماعيل وشبيب بن الصارم ، انهزما الى توزر تتبعهما خيل الداعي وهي تحرق القرى (١٦٢) •

وبعد أن استولى أبو عبد الله على ما كان في بيت المال ، سار من عاصمة قسطنطينية الى قصبة التي استسلمت هي الأخرى بالأمان ، وبعد أن أخذ ما كان في خزانته من المال رجع الى باغاية • وبعد اقامة قصيرة بترك قلوب عبد الله حامية من ٥٠٠ (خمسمائة) رجل في باغاية بقيادة إبي مكحول

(١٥٩) انظر فيما سبق ، ص ١٧٣ و ٥٩٠ •

(١٦٠) انظر الفتاح الدرة ، ص ١٩٧ •

(١٦١) الاستبصار ، ص ١٥٥ •

(١٦٢) انظر فيما سبق ، ص ١٧٨ و ٥٨٩ •

يماونه عروبة بن يوسف ، وعاد الى قاعدته في ايكجان (١٦٢) .

محاولة اخيرة لاثبات الوجود من جانب الأغلبية :

وعندما بلغ خبر عودة أبي عبد الله الى بلده تنفس ابراهيم بن أبي الأغلب الصمداء ، وذلك أنه كان يخشى أن يكون هدف الداعي التقدم من الجنوب التونسي نحو القيروان ، حتى أنه أعد العدة لترك الأربس والعودة الى زيادة الله اذا ما حدث ذلك . ولكنه عاد وتشجع عندما عاد الداعي الى بلده وعلم بضعف حامية باغاية ، فسار اليها بكل عساكره . واستنقذ أبو مكحول ، قائد الحامية ، بأبي عبد الله الذي دعا كتامة ففاضت اليه من كل جانب . وانتخب أبو عبد الله ١٢ (اثنى عشر) ألف فارس من خيرة رجاله ، وقدم عليهم أبا مدين بن فروخ اللهيصى وأمره بالحقاق بأخوانه في باغاية للدفاع عنها ضد الأغلبية ، اذا لم يكونوا قد انسحبوا من المنطقة .

وعندما وصل أبو مدين الى باغاية وجد أن اخوانه بها ، رغم قلة عددهم ، كانوا قد قاتلوا الجند الأغلبى قتالا عنيفا حتى ياس هؤلاء الاخيرة من هزيمتهم وخشعوا أن يأتي المدد الى الحامية من أبي عبد الله ، فارتدوا على أعقابهم نحو الأربس . وحسب أوامر أبي عبد الله لم يتبع أبو مدين الجند الأغلبى الا الى موضع يعرف بفج المرعار (١٦٤) .

الانتصار الفاصل لأبي عبد الله في الأربس :

عندما تحسنت الأحوال الجوية عبا أبو عبد الله حشوده وخرج من ايكجان في أول جمادى الآخرة من سنة ٢٩٦ هـ / ٢٥ فبراير ٩٠٩ م ، وهو : هذا الجيش الأغلبى المسكر في الأربس . وعرج الداعي ، كما هي العادة ، على مدينة باغاية التي أصبحت القاعدة الحقيقية لعملياته العسكرية ، حيث عرض جيوشه التي بلغت ٢٠٠ (مائتي) ألف رجل ما بين فارس ورجل ، كما يقول القاضي النعمان الذي ينص على أنه اجتمع في مقابل ذلك في الأربس من الجند الأغلبى أعداد لا يحصىها الا الله . وبعد العرض المسكرى سار أبو عبد الله في اتجاه مسكناتة ، من حيث سار بخلاء وأذيتها الى أن

(١٦٢) افتتاح الدعوة . ص ١٦٨ . وقارن تلخيص ابن الأثير . سنة ٢٩٦ هـ . ج ٨ .
ص ١٧ (ابن خلدون . ج ٤ ص ٣٥ - حيث القراءة : أبي مكحول الجليل بلا من أبو مكحول) .
(١٦٤) انظر افتتاح الدعوة . ص ١٩٩ - ٣٠٠ ، وقارن تلخيص ابن الأثير . سنة ٢٩٦ هـ .
ج ٨ ص ١٧ (ابن خلدون . ج ٤ ص ٣٥) .

وصل الى وادي مجانة ، ومنه الى وادي مرماجنة ثم وادي الرمل ، على أربعين ميلا من القبروان ، حيث أقام معسكره (١١٥) .

وقبل أن يتجه الى الأربس رأى أبو عبد الله أن يتعرف أحوال المنطقة وما يمكن أن يكون فيها من الجند الأغلبى ، وما يمكن أن يعوم به من المفرمة . ففى يوم الخميس ٢١ من جمادى الآخرة / ١٦ مارس بعث سرية من خياله نهبته بلدة منبولة . وفى يوم الجمعة السالى وسع أبو عبد الله نطاق جولات فرسانه الى : شقبنارية (الكاف حاليا) التى خضعت بالأمان ، وأرض بنى جودان حيث التقت بسرايا ابن أبى الأغلب وتقاتلت معها .

خطة المعركة :

وبعد أن اطمان الى حالة المنطقة . عبأ رجاله يوم السبت ٢٣ من جمادى الآخرة / ١٨ مارس بعد أن عرضهم فى هيئة الحرب ميمنة وضع فيها بنى نبطاش . وميسرة جعل فيها بنى يباوة . وقلما وضع فيه قبيلتى ملوسة ومسالمة . أما هو فقد وقف على رأس عشرة آلاف فارس انتقاهم من الدعاة ورؤساء القبائل وأصحاب المعرفة بمكائد الحروب (١١٦) . وعلى هذه التبعثة رحف الى ابراهيم بن أبى الأغلب بالأربس الذى كان بدوره قد عبأ عساكره للحرب .

حرب الكمانى تقرر مصير المعركة :

وعندما التحم القتال فى سهل الأربس كان أبو عبد الله يقف فى مقدمة فرسانه على تلة مشرفة على المدينة يشاهد القتال الدامى ، الذى سعت فيه أعداد كثيرة من الفريقين . وظهر لأبى عبد الله خلال الحرب التى استمرت من الصباح الى وقت العصر أن الجند الاغلبى يقاتل آخر معاركه باستماتة أشفق منها على رجاله . وعندئذ قرر انتخاب حوالى ستمائة رجل من أشداء رجاله ، ورسم لهم أن يعبروا المخاضة (المسيلة) المتاخمة لميدان المعركة . وأن يدبروا كميناً للخيالة الاغلبية التى لا تريد أن تنهزم . والظاهر أن الموقف الحربى وقتئذ كان يقضى على كل من الجانبين المتحاربين أن يحاول

(١١٥) انظر افتتاح الدعوة . ص ٢٠١ والهوامش . وقارن تلخيص ابن الاثير . ص ٢٩٦ . ح ٨ ص ١٧ (بين خلدون . ج ٤ ص ٢٦) .

(١١٦) انظر افتتاح الدعوة . ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

مثل تلك المحاولة ، اذ التقى رجاله كرامة ، وهم عراة في المخاضة ، برجاله
الأغلبية . وانتهى ذلك اللقاء البرمائي الصليب بتفوق الكتامين الذين خرجوا
برماهم ودرقهم ، يفاجئون الخيالة الأغلبية ويرجعون كفة فرسان كرامة
عليها (١٦٧) .

وهكذا انكسرت مقاومة القوات الأغلبية فجأة ، وتفرق المسكر في
اتجاه بلادهم : فأخذ ابراهيم بن أبي الاغلب ومن معه من رجال الدولة الطريق
على جبل الحراقين ، وانهمزم من كان من قبائل : لواتة وكزناية ومكلاتة على
طريق « جشمس » ، وهرب الهوايون والنزويون على طريق بني بشير .
بينما انهمزم المبيد وأخلط الناس من أهل الرقيقة في اتجاه القيروان . كل
هذا والكتامين في أعقابهم يقتلون ويأسرون ويغنمون ، ووصلت جماعات
منهم في متابعتها للمنهزمين حتى مدينة الأريس ، ثم انهم عاودوا الى معسكرهم
عندما جن الليل (١٦٨) .

أما عن الأريس نفسها فانها تعرضت للعاصفة الكتامية في يوم الأحد
التالي وهو ٢٤ من جمادى الآخرة / ١٧ مارس . فقد دخل رجال أبي عبد الله
المدينة عنوة وقتلوا بها من الخلق ما لا يحصى . كما يقول القاضي النعمان (١٦٩) .
كما يرجح أن مسجدها الجامع كان مسرحا لمذبحة مروعة ، سأل فيها الدم
انفارا ، كما تقول رواية ابن عذاري (١٧٠) . وقضى الجند الكتامي يومهم في
الأريس ثم خرج بهم أبو عبد الله يوم الاثنين ٢٥ جمادى الآخرة / ١٨ مارس
في طريق قمودة ، وهو يريد قسطنطينية (١٧١) .

العودة الى رقادة ونهاية الدولة الأغلبية :

إذا كان مؤرخو الأغلبية يقولون أن إبا عبد الله لم يتبع انتصاره الكبير
في الأريس بالزحف الى رقادة العاصمة ، خشية أن يحشد زيادة الله الجند

(١٦٧) افتتاح الدورة ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ، وقادون تلخيم ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ .

ج ٨ ص ١٧ .

(١٦٨) افتتاح الدورة ، ص ٢٠٥ .

(١٦٩) لفتتاح الدورة ، ص ٢٠٥ .

(١٧٠) البيان ، ج ١ ص ١٤٦ - ١٤٧ . ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ، ص ٨١ .

(١٧١) افتتاح الدورة ، ص ٢٠٥ ، ابن الأثير سنة ٢٩٦ هـ ، ج ٨ ص ١٧ .

ابن عذاري ، ج ١ ص ١٤٧ : حيث يقول انه انصرف الى بالماة .

الأغلبى المبعثر من جديد فلا يقدر عليهم ، فالحقيقة ان ابا عبد الله واصل المسير على نفس النهج الذى اتبعه فى حرب الاغالبية منذ البداية ، والذى يتلخص فى ترهيب عدوه بصدماته المفاجئة ، واكتساب ما يمكن اكتسابه من الأرض والغنيمة ، بأقل قدر من الخسائر . وحرص أبى عبد الله على تقليل خسائره على قدر الامكان هو الذى يفسر كيف أنه كان يفضل انسحاب عدوه على أن يتخطف من ساقته ما قدر عليه ، وهو ما يفسر أيضا كيف أنه كان يفك الالتحام بخصمه عقب اللقاء مباشرة ، سواء كانت الوقعة له أم عليه ، معتمدا على معاودة الالتحام على العدو فيما بعد . فكان حطته الحربية فى حرب الاغالبية كانت حربا متقطعة أشبه بحرب الصوائف والشواتى السنوية التى طبقتها العرب فى فتوح الاسلام الأولى .

فى اطار هذه السياسة الحربية السليمة ، ما ان علم أبو عبد الله بهروب زيادة الله وفشل ابراهيم بن أبى الأغلب فى القيام مقامه ، حتى ارتد على عقبيه قبل أن يصل الى سببيه ، ومر بسكتانة ، عائدا الى معسكره فى وادى الرمل ، وذلك فى يوم الخميس ٢٩ من جمادى الآخرة / ٢٢ مارس ، وقضى فيه ليلته . وفى يوم الجمعة التالى آخر شهر جمادى الآخرة سير عروبة (غزوية) ابن يوسف وحسن بن أبى خنزير على رأس ألف فارس الى رقادة . ووصل القائدان والناس ينهبون رقادة ، فامتنوهم حسب أوامر أبى عبدالله وتركوا لهم ما اخذوه ، ولكنهم أوقفوا النهب ، مما دعا أهل القيروان الى الابتهاج عندما وصلهم الخبر (١٧٢) -

وفى يوم السبت التالى أول رجب سنة ٢٩٦ هـ / ٢٦ مارس كان وصول أبى عبد الله الى رقادة . وخرج شيوخ القيروان وفقهاؤها للترحيب به فى موضع ساقية ممس حيث استقبلوه وسلموا عليه وأعلنوا طاعتهم له ، وسألوه الأمان فأمهم . ثم انهم ساروا الى ركاية الى أن دخل رقادة ، والقارى يقرأ بين يديه : « هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر » الخ الآية . ويقرا : « كم تركوا من جنات وعيون » الى آخر السورة (١٧٣) .

(١٧٢) النتائج الدعوة ، ص ٢١٢ .

(١٧٣) ابن طارى ، ج ١ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ . حيث الاشارة الى أن لقاء القيروان عندما علموا بعودة أبى عبد الله الى الأربس خرجوا مع توبؤهم الفاس للقاءه ، ففسر بهم معجرب ابن نبيذ القوادى الى حصن ياروقين ، بين مدينة جلولا وحمام الرادق ، حيث وصلوا يوم ٢٧ جمادى الآخرة / ٢٤ مارس . ولكن الشيعى صرلهم ألجج الصراف ، ولم يسمح لهم =

وفي رقادة نزل أبو عبد الله في أحد قصورها المعروف بقصر البحر، وفرق دور المدينة على زعماء كتامة وأنزل حشود عساكره حولها (١٧٤) ١٠. أما عن مدينة القيروان عاصمة البلاد العريقة، فإنه آمن من وجده فيها من أفراد البيت الأغلبى وقوادهم الذين آثروا البقاء على الفرار مع زيادة الله، لم يستثن من ذلك إلا إبراهيم بن بربر بن يعقوب التميمي، المعروف بالقوس إذ قتله خنقا. كذلك أمر أبو عبد الله بالتخلص من رجال الحرس السوداني من موالى بنى الأغلب، فقتلوا. والظاهر أنهم استجابوا لمؤامرة التخلص من الداعي التي كان يديرها إبراهيم القوس، كما يفهم من رواية ابن عذاري، التي تنسب إلى أبي عبد الله قوله: «ما أمنت أفريقية حتى قُتل القوس» (١٧٥).

قيام الدولة الفاطمية، في غيبة الإمام:

وبذلك قامت دولة الشيعة الفواطم ودولة كتامة بعد حوالي ١٥ (خمس عشرة) عاما من ذلك اللقاء الذي تم بمكة بين الداعي الشيعي الشاب أبي عبد الله وبين جماعة الحاج الكتامي. وبدأ أبو عبد الله يقر الأمور في أفريقية، ويثبت دعائم الدولة الفاطمية الفتية استعدادا لاحتضار الإمام الذي يدعوه، وهو عبيد الله المهدي، الذي كان حينئذ في سجلماسة، بعيدا على حافة الصحراء في جنوب المغرب الأقصى.

العمل على استنقاذ أموال الأغلبة، والمعتقلين في الأفريقية من أهل الدعوة:

ولقد تطلب إنجاز هذه الأمور حوالي الشهرين ونصف الشهر. وكان أول ما بدأ به الداعي هو العمل على حفظ ما كان قد بقي في البلاد من كنوز

باللقاء في مسالا بعد مكاتبات واستطلاعات. ولا شك أن الرواية تباليح هنا عندما تذكر أن عدد قوات الشيعي تبلغ ٣٠٠ (ثلاثمائة) ألف فارس ورجل موزعين على ٧ (سبعة) جيوش ١. قارة، ابن حصاد، أخبار ملوك بني عبد. ص ٨. وتذكر رواية ابن عذاري أيضا أن كتامة عظميت عندما بذل أبو عبد الله الأمان لأهل القيروان، على زعم أنه كان قد وعدهم بأن تكون طاعة. ولو أنهم قبلوا ما قاله لهم من أنها مدينة طيبة قد أساطها الله برعايته.

(١٧٤) ابن عذاري، ج ١، ص ٢٠٥: حيث القراءة «نصر الصحن» التي صحتاها إلى

«قصر البحر»، وأبطل ابن خلدون، ج ٤، ص ٣٦.

(١٧٥) آليان، ج ١، ص ٢٠٥. والظاهر أن القائد الأغلبى القليل لم يشتهر باسم

«القوس» إلا بعد خنقه بوتر قوسه. بأمر الداعي، إلا إذا كان الرجل قد عرف بهادته في

الرماية بالقوس الذي صار للبا له.

الأغلبية وذخائرهم ، واقفاذ كبار أهل الدعوة من المعتقلين في البلاد . ولما كان أخوه أبو العباس المعروف بالخطوم (لجرح أصيب به فوق أنفه) محبوسا في سجن طرابلس فانه بعث من استنقذه وعياده وبصحبته أبو جعفر الخزري وكذلك أم عبيد الله المهدي التي كانت في حراسة هذا الأخير (١٧٦) ، هذا يعني أن الخطوم كان المستول عن تأمين وصول والدته الامم الى المغرب ، وأن أمره انكشف في طرابلس فقبض عليه ، وأن الداعي كان على علم بذلك عن طريق عيونه أو جواسيسه . وفيما يتعلق بالاموال فقد عرف أبو عبد الله بما كان مخزونا منها في قصر الرباط بسوسة ، فأرسل قائده عروبة بن يوسف الى هناك حيث أمن أهل المدينة وعاد بالاموال التي بلغت ٢٨ (ثمانية وعشرين) حملا . كذلك أمر الداعي بجمع ما كان قد أتهبه الخلس من الاموال بمدينة رقادة ، وضم عبيد زيادة الله الى رجاله ، ووقف جواريه ، أي أوقف التصرف فيهن (لحين عودة الامام من سجن ماسة) ، وعهد بالنظر في ذلك الى أحد ثقاته من الفقهاء ، وهو أحمد بن فروخ الطنبلي المشهور بالأحدب (١٧٧) .

الترايب الإدارية :

وأخذ أبو عبد الله الداعي بعد ذلك في ترتيب الدولة وارساء قواعد نظمها . فعهد بولاية مدينة القيروان الى أحد المخلصين من أنصاره ، وهو الحسن بن أحمد بن علي بن كليب المعروف بابن أبي خنزير . كما آلت ولاية العاصمة الأغلبية السابقة ، مدينة القصر القديم ، الى أخى هذا الأخير ، وهو خلف بن أحمد بن علي بن كليب (١٧٨) . وصدر الأمر الى الأخوين الوالين « بقتل من خرج ليلا أو شرب مسكرا ، أو حملة أو وجد عنده » (١٧٩) ، فكان عهد العدل والاصلاح قد بدأ بتطبيق « الاحكام العرفية » أو « حالة الطوارئ » كما تقول الآن .

الإصلاحات الدينية :

وفيما يتعلق بالإصلاحات الدينية التي تطلبها المذهب الفاطمي أمر أبو عبد الله بأن يزداد في الأذان بعد « حي على الصلاة » « حي على خير العمل » ،

(١٧٦) ابن عسارى ، ج ١ ص ٢٠٦ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ٥١٣ .

(١٧٧) البيان ، ج ١ ص ٣٠٦ .

(١٧٨) ابن عسارى ، ج ١ ص ٢٠٦ .

(١٧٩) ابن عسارى ، ج ١ ص ٢٠٦ .

واسقط من أذان الفجر « الصلاة خير من النوم » (١٨٠) .

والى جانب ذلك أمر بالصلاة على على بن أبي طالب باثر الصلاة على النبي ، وكذلك على فاطمة والحسن والحسين (١٨١) - وقبيل حلول شهر رمضان أعلن إسقاط صلاة الأشفاق (التراويح) ، وتم ذلك بمعرفة محمد بن عمر بن يحيى بن عبد الأعلى المروزي ، الذي كان من جند خراسان ، عندما عين قاضيا للقيروان في ١٧ من شعبان / ١٣ ماية سنة ٩٠٩ م (١٨٢) . والحقيقة ان ردود الفعل المتعلقة من جانب أبي عبد الله ضد المعارضين لهذا الاجراء ، من : اهل السنة أو الخلاء من الفساق ، الذين أرادوا استغلال الفرصة للتحرر من قيود الدين (١٨٣) ، لتشكك في صحة الاجراءات الصارمة التي قيل انه أمر ولاته باتخاذها ضد شاربي الخمر وتجارها .

وهكذا تبلورت أصول المذهب في « تفضيل آل على والبراة من سواه » ، كما يقول ابن عذاري ، وأمر وجود كتامة بدعوة الناس الى الدخول فيه ، فدخل في ذلك معهم كثير من الناس . ولقد أطلق اهل السنة على المذهب الفاطمي « دعوة التشريق » ، لا تباعهم رجلا من اهل المشرق (١٨٤) .

شعارات الدولة :

أما عن شعارات الدولة الجديدة المأخوذة من آيات القرآنية ، والتي

١٨٠ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٠٦ .
 (١٨١) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٠٧ . ويعلق ابن عذاري على ذلك ليقول انه اطهر الشيع
 في على ومساعدة من قسم عليه من اصحاب النبي عليه السلام .
 (١٨٢) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٠٧ . حيث ينص ابن عذاري على ان القاضي المروزي احتج
 على مقباء القيروان في المسجد الجامع ، وانكر عليهم - بمناسبة اعلانه اسقاط صلاة الاشفاق -
 الاقتداء بعمل عمر بن الخطاب في القيام وتركهم الاقتداء بعمل على بن أبي طالب في زيادة حرم
 على حيز العمل في الأذان ، وقال لهم : اعملوا بمذهب اهل البيت ، واتركوا الفسول .
 (١٨٣) انظر ابن عذاري ج ١ ص ٢٠٧ : حيث تقول الرواية ان المروزي عندما رأى في
 اول رمضان في موضع حلوسه عند حدار القلعة بالجامع ، مكتوبا : « ومن الظلم ممن منع
 مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسمى في خرابها ، الى آخر الآية اکتلى بالأسر بسحوه ، وانتقل
 عن الحلوس بذلك الموضع . وعندما وقف عليه بنس الخلاء ، وقال له : « قد لعلت لنا
 اصلحك الله ، في قطع قيام شهر رمضان فلما احتلت لنا في ترك صيامه لكفيتنا مؤزنته
 كلها » ، اکتفى بأن قال له : « اذهب عني يا ملعون » ، وأمر بدله .
 (١٨٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٠٧ . وانظر فيما سبق ص ٥٥٣ وهـ ٨٠ حيث تنسب
 التسمية الى معلم الصبية الکتامي الذي جل أبو عبد الله صله عندما نزل على جماعة كتامة لأول
 مرة . وكذلك المعاصنة للداعي من الکتاميين .

كان قد بدأ برفعهما في دار الهجرة بايكجان ، فقد ظهرت أيضا على النقود ، التي عهد بنحلة سكها الى ابي بكر الفيلسوف المعروف بابن القمودي ، وعلى السلاح ، الى جانب خاتم ابي عبد الله ، وخاتم طبع السجلات ثم البنسود والخييل .

وفيما يتعلق بنقش السكة تقول رواية ابن عداري ان ابا عبد الله جعله : « الحمد لله رب العالمين » (١٨٥) ، بينما تقول رواية ابن الاثير بشيء من التفصيل انه أمر بالا ينقش عليها اسم ، وجعل مكان الاسم من وجه : « بلغت حجة الله » ، ومن الوجه الآخر « تفرق أعداء الله » (١٨٦) . ومن استقراء هذه النقوش الثلاثة يمكن القول ان النقوش التي يشير اليها ابن الاثير والتي تعبر عن انتصار المذهب الشيعي وهزيمة أعدائه كانت سابقة على نقش الحمدلة الذي يعبر عن الراحة النفسية والاطمئنان بعد ان استقرت الأمور . أما عن السلاح فكان نقشه (عدة في سبيل الله) (١٨٧) ، بينما ظل نقش خاتم الداعي : « فتوكل على الله ، أنك على الحق المبين » ، ونقش خاتم طبع السجلات : « وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا ، لا مبدل لكلماته ، وهو السميع العليم » . وبقيت كتابة الرايات : « سيهزم الجمع ويولون الدبر » الى جانب : « قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » ، وغيرها من الآيات التي تحمل مثل هذا المعنى . كذلك ظل وسم الخيل في أفخاذها بكلمتي : « الملك لله » (١٨٨) .

استحضار الامام من سجلماسة :

وبينما كان أبو عبد الله الداعي يقرر قواعد الدولة الفاطمية في بلاد القيروان كان يعد العدة ، في نفس الوقت من أجل استنقاذ الامام عبيد الله الذي كان لاجئا في سجلماسة بصحبة ولده أبي القاسم ، بعيدا على حافة الصحراء الجنوبية للمغرب الأقصى .

(١٨٥) البيان ، ج ١ ص ٢٠٦ .

(١٨٦) ابن الاثير ، سنة ٢٩٦ ، ج ٨ ص ١٨ (ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٦) ، ولاحقا الحفا ، ج ١ ص ٦٤ .

(١٨٧) ابن الاثير ، سنة ٢٩٦ (ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٦) .

(١٨٨) ابن عداري ، ج ١ ص ٢٠٦ - ٢٠٧ . وقارن ابن الاثير ، سنة ٢٩٦ ، وما سبق . ص ٥٥٨ .

وصول المهدي الى سجلماسة :

اما عن كيفية وصول عبيد الله المهدي الى سجلماسة ، فقصتها أشبه ما تكون بقصة التجاء الامام ادريس الأول الى المغرب ، وان كانت أكثر منها غرابة . والظاهر أنه عندما اشتدت شوكة أبي عبد الله الداعي ، وانتشرت دعوته الشيعية بين قبائل كتامة ، ووصلت أنباء ذلك الى المشرق ، بدأت المخالفة تشتد في طلب صاحب الدعوة ، وحامت الشبهات حول عبيد الله ، الذي كان قد لجأ الى سلمية من أرض حمص في بلاد الشام (١٨٩) ، ففسر بصحبة ابنه أبي القاسم نحو مصر . دون أن يكشف عن نفسه .

والروايات تختلف في تحديد تاريخ فرار عبيد الله من سلمية الى مصر ، ويحل وقع ذلك في لواخر أيام الطولونيين ؟ أم بعد سقوطهم . في سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م ؟ ويظهر ذلك الخلط التاريخي في الروايات التي جمعها المقرئ بشان ساذجة الهرم تلك : فهو عندما يختتم الفصل الخاص بمناقشة صحة نسب عبيد الله المهدي يسجل أنه ظهر بسجلماسة في ذي الحجة سنة ٢٩٠ هـ / أكتوبر - نوفمبر ٩٠٣ م (١٩٠) . أي على عهد هارون بن خمارويه بن أحمد ابن طولون (٢٨٣ - ٢٩٢ هـ / ٨٩٦ م - ٩٠٥ م) (١٩١) في خلافة المكتفي (٢٨٩ - ٢٩٥ هـ / ٩٠٢ م - ٩٠٨ م) (١٩٢) ، ثم يعود ، في كلامه عن خروجه الى المغرب ، لكي يقول : أنه وصل الى مصر أثناء ولاية عيسى النوشري (٢٩٢- ٢٩٧ هـ / ٩٠٤ - ٩١٠ م) في خلافة المعتضد (١٩٣) الذي كان قد توفي قبل ذلك في ربيع الثاني من سنة ٢٨٩ هـ / مارس ٩٠٢ م .

مقضية تحديد التاريخ :

الخروج عن الشام في النصف الثاني من سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م :

وسبب هذا الخلط التاريخي ، فيما بين خلافة المعتضد وخلافة المكتفي وما بين ولاية الطولونيين في مصر وولاية عيسى النوشري ، يمكن في عدم

(١٨٩) انظر المقرئ ، انطاق الحنفا ، ط ١٩٦٧ ، ص ٦٠ ، وأنظر ابن الأثير سنة ٢٩٦ ج ٨ ص ١٤ ، وأنظر فيما سبق ، ص ٤٤٥ و ٤٠ .
(١٩٠) انطاق الحنفا ، ج ١ ص ٥٤ .
(١٩١) انظر المكتفي القضاء والولاية ، ط ١٩٢٢ ، ص ٢٤٦ - ٢٤٦ .
(١٩٢) ابن الأثير ، أحداث سنة ٢٨٩ ، سنة ٢٩٥ .
(١٩٣) انطاق الحنفا ، ج ١ ص ٦٠ .

التمييز بين ظهور الداعي أبي عبد الله في بلاد كتامة على أيام الخليفة المعتصم والطولونيين وبين ظهور عبيد الله المهدي في سجلماسة على أيام الخليفة المكتفي وواليه على مصر ، التي كان قد استعادها العباسيون سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م ، عيسى النوشري (١٩٤) .

وإذا كان الأمر كذلك فلا بأس في أن يكون خروج عبيد الله المهدي من سلمية إلى مصر قد تم في بداية ولاية عيسى النوشري (منذ ٧ جمادى الآخرة سنة ٢٩٢ هـ / ٤٧ أبريل ٩٠٥ م) ولا بأس أن يكون ذلك قد تم في فترة الاضطراب التي عرفت مصر خلال سبعة أشهر ، فيما بين ٢٦ من ذي القعدة سنة ٢٩٢ هـ / ٣٠ سبتمبر ، و ٨ رجب سنة ٢٩٣ هـ / ٦ مايو ٩٠٦ م ، بسبب ثورة محمد الخلعجي الذي دعا للطولونيين (١٩٥) . فلا شك أن هذه الثورة التي عت مصر وجنوب بلاد الشام والتي تنقل أثناءها عيسى النوشري أمام مطاردة الخلعجي فيما بين الجيزة والاسكندرية والصعيد ، كانت موافقة لكي ينتقل المهدي من حصن إلى مصر والمغرب خفية عن عيون الخلافة . هذا ، كما يمكن القول ان اضطراب الأحوال في مصر فيما بين سنتي ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م ، و ٢٩٣ هـ / ٩٠٦ م ، هو الذي تسبب في ذلك اللبس الذي حدث بين تلك الفترة وبين فترة الاضطراب التي عرفت البلاد على أواخر أيام الطولونيين ، قبل سنة ٢٩٣ هـ / ٩٠٥ م ، كما كان سببا في ظهور تلك الروايات ذات الطابع الأسطوري ، التي أحاطت برحلة عبيد الله المهدي إلى المغرب وحملت ألبه بمغامرة قصصية من النوع العجيب .

ويقوى ذلك الاحتمال ما تقوله الرواية الشيعية الخاصة بتلك الرحلة من أن المهدي كان موجودا في مدينة الرملة من فلسطين حوالي منتصف سنة ٢٩١ هـ / ٩٠٤ م ، بعد خروجه من سلمية أثناء الثورة المعروفة بثورة المرابط في بلاد الشام ضد الأمير طغج والى دمشق ، والتي دارت فيما بين سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠٣ م وسنة ٢٩١ هـ / ٩٠٤ م . والذي يفهم من تلك الرواية التي نرجح إلى أيام المعز لدين الله الفاطمي أن تلك الثورة لم تكن قرمطية بل كانت

(١٩٤) انظر كتاب الاستبصار ، ص ٢٠٤ . حيث تحمل الرواية خروج عبيد الله إلى مصر في أيام الطولونيين وحمل عهد الخليفة المعتصم . فكانها وصفت عبيد الله المهدي في موضع أبي عبد الله التتيمي .

(١٩٥) انظر ابن تقي بردي ، النجوم الزاهرة ، أحداث سنة ٢٩٢ - ٢٩٣ هـ ج ٢ ص ٢٤٧ وما بعدها .

شيعة قاطمية ، وأن الذين قاموا بها هم بعض المشتقين من الدعاة على احدى الدعاة ، وأن ذلك كان سبب خروج المهدي من سلمية - وحسب تلك الرواية فإن ملا قلمية دعاة المهدي الثوار من الاساءة الى الهاشميين الذين كان المهدي يتظاهر بالانساب اليهم ، كان سببا في شكوى هؤلاء الى الخلافة التي تنهت عندئذ آل عبيد الله (١٩١) .

الرحلة العجيبة :

هكذا يكون عبيد الله المهدي قد خرج في النصف الثاني من سنة ١٢٩٢هـ / ١٩٠٥ م من بلاد الشام بعد فشل الثورة هناك ، في الوقت الذي كانت تصله انباء نجاح داعيته أبي عبد الله في المغرب ، وبعد أن أخذ رجال الخلافة من أصحاب الاخبار يلحون في اعاطة اللثام عن شخصية الامام التي كانت كتامة فتقاتل في سبيل اظهار دعوته وكذلك قرامطة الشام .

وحسب الأساليب الفنية التي كان يتقنها أصحاب مثل هذه الحركة السرية ودعاتهم سار عبيد الله من الشام وبصحبه ابنه أبو القاسم (نزار) ، وهو مستتر بزي التجار ، وخرج معهما بعض نساء بيته وعدد من خاصته ومواليه ، وعلى رأسهم أبو العباس (المخطوم) أخو الداعي الذي كان يراقبه عن كثب .

والظاهر أن تسلل عبيد الله خفية من سلمية أثار شكوك رجال الخلافة الذين خمنوا وحية سيره نحو المغرب ، فأصدر ديوان بغداد أوامره الى عيسى النوشري والى مصر ، والى أمير القيروان الأغلبى زيادة الله بأخذ الطرق عليه

(١٩٦) انظر حذرات حركة المهدي القاطمي ، استنثار الامام ، وسيرة جعفر الحجاب ، نشر ايليا بوف ، مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة ، المجلد الرابع ، ج ٢ ، ديسمبر ١٩٣٦ .
المقدمة ٩٠ - ٩١ (حيث تحديد الثورة في الشام فيما بين سنوات ٢٨٩ - ٢٩١ هـ) ، ص ٩٦ - ٩٧ (حيث تحديد المهدي من قدير بنى أبي محمد الداعي ورحيله من سلمية الى حمص ، الى طرابلس الشام ، الى الرملة) ، ص ٩٨ (حيث حصر طنج في دمشق) ، ص ١٠١ - ١٠٢ (حيث كتب الهاشميون الى الخليفة المقتصد يستتصرون به ، ووقعوا للكتب بيد الجنابر أبي نمير الذي كان ينتظر قدوم المهدي عليه في الأشهر الأولى من سنة ٢٩١ هـ) ، ص ١٠٥ - ١٠٦ (حيث هزيمة أبي مهزول أمام محمد بن سليمان ثم القبض عليه واقتراره على المهدي واصله ، وخروج البريد من بغداد يطلب المهدي في جميع الأقاليم) ، ص ١٠٧ (حيث النص على أن المهدي كان يعيش في سلمية مع الهاشميين ويتظاهر بأنه عياض) .

يوقحه . بل وكذلك كل من يشبهه (١٩٧) . ونجح أعوان النوشري فعلا في اللقبض على عبيد الله في بعض البساتين ، ولكن الأمر انتهى بإطلاق سراحه ، بعد أن أنكر حاله ، وهو يظهر التقى والعبادة (١٩٨) .

وتضيف الروايات الفاطمية الأصل على تلك المغامرة لونا قصصيا مثيرا ، فتقول ان المهدي بعد أن خرج من مصر (العاصمة) عاد - رغم تعرضه للاخطار - يطلب كلبا كان حرب لهم ، فحمل الى الوالي الذي حقق معه ، ولم يطلقه الا عندما قيل له انه صائد قد حرب له كلبه فطلبه ، وشهدت له بالبينة بذلك (١٩٩) .

والى جانب الرواية ذات الطابع القصصي هذه نجد روايتين أخريين أكثر جدية اذ تقول الواحدة منهما ان عبيد الله اشترى الوالي فأعطاه معه كان معه من الأموال الكثيرة حتى أطلقه (٢٠٠) ، بينما تقول الأخرى ان عيسى النوشري أطلقه لأنه كان يتشيع (٢٠١) ، مثله في ذلك مثل واضح صاحب بريد مصر الذي ساعد إدريس بن عبد الله على الفرار الى المغرب منذ أكثر من مائة عام (٢٠٢) .

(١٩٧) أنظر اتعاط الحقا للنقريزي ، ج ١ ص ٦٠ - ٦١ ، ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ ج ٨ ص ١٤ - ١٥ ، وقارن الاستبصار ، ص ٢٠٤ .

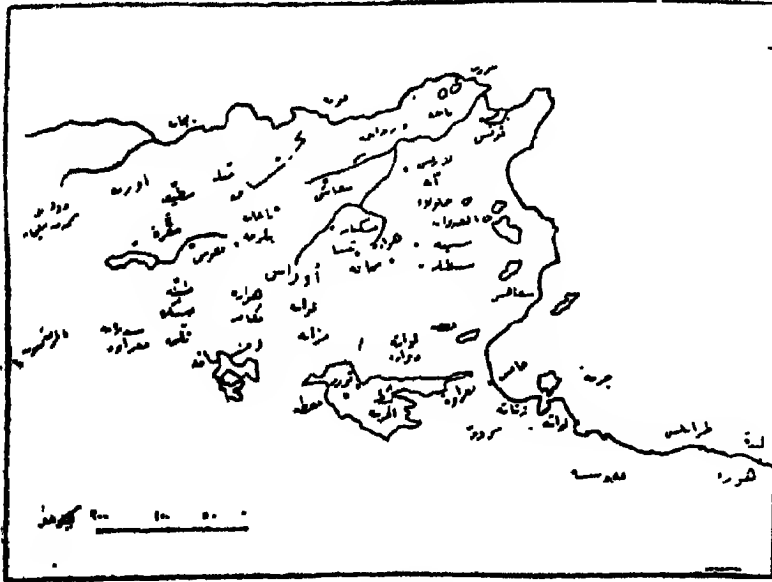
(١٩٨) لتعاط الحقا ، ج ١ ص ٦٠ .

(١٩٩) أنظر كتاب الاستبصار ص ٢٠٤ ، وقارن اتعاط الحقا ج ١ ص ٦٠ - ٦١ : حيث تقول الرواية ان للكلب كان لابي القاسم بن المهدي ، وأن هذا الأخير عندما عاد الى دلبه في البستان الذي كان قد قبض عليه فيه كان ذلك سببا في اطلاق النوشري الى أمه ليس الرجل المطلوب ، اذ كان أصحاب الوالي قد لاموه على اطلاقه . وأنظر هامش ١ ص ٦١ حيث يشير الى نص محمد بن محمد اليماني الذي نشره ايقانوف (مجلة آداب القاهرة) ، عن وجلة المهدي من الشام الى المغرب ، والذي ترد فيه قصة القائم مع الحرية السلوقية ، البيت الذي تشبهت بشارتها بما كان سببا في عودة المهدي الذي استبطلهم ، ولكن على أنها حدثت في الطريق . من دمشق الى الرحلة ، ودون المواجهة مع الوالي ، أنظر النص ، ص ٦١١ .

(٢٠٠) ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ، ج ٨ ص ١٤ ، اتعاط الحقا للنقريزي ، ج ١ ص ٦٠ .

(٢٠١) ابن الأثير سنة ٢٩٦ هـ ، ج ٨ ص ١٤ ، وقارن نص محمد اليماني ، مجلة كلية آداب القاهرة ١٩٣٦ . ص ١١٣ حيث تقول الرواية ان المهدي نزل على مصر الفتاة الذي يعرف باسم عيش . وأن هذا الأخير شهد لدى صاحب مصر بأن شقيقه لم يكن الا رجلا طاشيا من اشراف التجار ، وأنه معروف بالفضل واليسار .

(٢٠٢) أنظر فند سبو ص ٢٥ - ٢٦ .



شكل رقم (٩)
بلاد القريية

برقة :

ومن مصر سار المهدي وابنه وبصحبتهما أبو العباس أخو الداعي نحو الغرب مع بعض قوافل التجار إلى طرابلس . وفي حيز مدينة برقة تعرضت الجماعة ، في موضع يعرف بالطاحونة لفارة قام بها عدة من المزارعين من أهل الناحية ، وضاع فيها بعض متاع عبيد الله بعد أن تعرض للشتيم واللعن ، ومنه كتب وملاحم كانت لأبائهم عظم أمرها عليه . وفي تلك الفارة ضرب أبو العباس بالسيف على وجهه ، فكان الجرح الذي دعا إلى تسميته بالمخطوم (٢٠٢) .

(٢٠٢) انظر استنار الامام وسيرة جعفر ، مجلة كلية الآداب بالقاهرة ، ٢٩٣٦ ، ص ١٠٦ وسيرة جعفر الحجاب ، ص ١١٥ . وانظر المقرئ ، انما الحنفا ، ج ١ ص ٦١ ، وابن عبادي ج ١ ص ٢٣٥ - ٢٣٦ حيث ترد القصة بمناسبة تشكيل القوات الفاطمية بأهل برقة وهي في طريقها إلى مصر سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م ، كتار لتلك الامانة التي لحقت بالامام . عندما دخل بلنم ، وهو قادم من مصر ، وانظر للمؤلف ، فترة حاسمة من تاريخ المغرب : موقف ليبيا فيما بين قيام الفاطميين في القريية ونقلتهم إلى مصر ، مجلة كلية الآداب بالجامعة الليبية ، المجلد الأول ، بنغازي ١٩٥٨ ، ص ٢٣١ .

طرابلس :

وفي طرابلس استقر المهدي بعد أن انفصل عن قافلة التجار ، ولكن أمره كاد أن ينكشف بفضل عمال زيادة الله الأغلبى ، ولكنه لم يقبض الا على أبي العباس الذى حبس فى سجن المدينة (٢٠٤) . وعندئذ رأى عبيد الله أنه ليس من الحكمة المرور بالقيروان من أجل المسير مباشرة الى حيث إبي عبد الله فى بلد كتامة ، فآخذ طريق القوافل الصحراوى المؤدى الى سجلماسة عبر قسطنطينية (٢٠٥) ، وبلاد الجريد والزاب حيث مر ، كما تنص الروايات الفاطمية التى نجد لها ذكر فى كتب الاباضية ، بكل من مدينتى توزر ووارجلان اللتين تعرض فيهما المهدي للسلب والاهانة من جديد ، كما حدث فى الطاحونة بحيز برقة .

توزر :

ففى مدينة توزر من بلاد الجريد التى كان يظن أنها ستكون قاعدة ملكه - حسبما كان عنده من العلم ، لولا أنه وجد رجالها باعة وأصحاب حوانيت ، ليس معهم زينة الملك ولا هيئة السلطان - تعرض لعبيد الله ومن كان قد بقى معه ، رجل من بنى جلتمين من قبيلة بنى واسين ، ونزع دابته النفسية ، مما دعا المهدي الى أن يكتب اسم الرجل واسم قبيلته وبلده - اسطارا للانتقام منه فيما بعد .

وارجلان :

أما فى وارجلان فقد تعرض له سفاهتهم وهرءوا به ، وقالوا : « هذا الذى جاء من الشرق يريد الملك فيصقوا فى وجهه » ، وكان أشد الناس فى ذلك أهل قصر بكر ، وشيوخهم يسمى ثيار ، ومنزله يعرف بتاغيارت . وفى ذلك قال عبيد الله : « غير الله ما بهم » .

وقصة مرور المهدي بتوزر ووارجلان وهو فى الطريق الى سجلماسة بعد اقامته فى مدينة طرابلس مقبولة . لا يضعف من شأنها ألا ما تقوله

(٢٠٤) ابن عذرى ج ١ ص ٢٠٦ - حيث الإشارة الى ذلك بمناسبة دخول أبي عبد الله لقادة ، وانظر فيما سبق ، ص ٥٨٢ وه ١٧٦ ، وقارن ابن الأثير (سنة ٢٩٦ ج ٨ ص ١٥) الذى ينقله القرطبى (انما الحنفا ج ١ ص ٦١) : حيث يفهم من الرواية ان أبا العباس قبض عليه فى القيروان حيث كان المهدي قد أرسله لاستطلاع الأحوال ، وأغلب الظن انه أهدى الى طرابلس لئى يدل على المهدي .

(٢٠٥) انظر ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ ج ٨ ص ١٥ ، وقارن انما الحنفا ج ١ ص ٦١ : حيث القراءة لقسطنطينية خطأ وقسطنطينية بدلا من قسطنطينية .

من أن عبده ، الحجابي ، الذي قد يقصد به أبو عبد الله الداعي الذي اشتهر بالايكجاني ، نسبة إلى ايكجان دار البحرة . كان معه وأنه سيده من بوزر إلى مدينة تاصروت (تارروت - دار الهجرة) من أرض كنامة ، بعد أن عرف قمحها في سوق توزر ، ووجدتها على الصفة التي توافق علمه (٢٠٦) .
والظاهر أن رجال زيادة الله عندما فشلوا في وجود عبيد الله في طرابلس عرفوا وجهته نحو سجلماسة فخرجت رسلهم إلى صاحبها اليسع بن مدرار يطلبون المهدي ويعرفونه بأنه الرجل الذي يدعو إليه أبو عبد الله الشيعي ، ويطلب إليه القبض عليه (٢٠٧) .

سجلماسة :

والظاهر أن عبيد الله عاش ، وهو في زى التجار ، في سجلماسة لفترة من الوقت ، إذ تقول بعض روايات المقرئى أنه أهدى إلى اليسع واصله ، وأن الأمير المدرارى قربه وأحبه (٢٠٨) . هذا ، كما تقول بعض الروايات الشيعية المقلية التي بقيت اصدااء لها في كتب الإباضية المعروفة ، أن عبيد الله نزل في دار لبعض وجوه أهل سجلماسة ، في طابقتها العلوى ، وأن صاحب الدار الذي سكن معه في الطابق السفلى رأى فيما يرى النائم كان ثعبانا عظيما يسكن معه في داره ، وأنه عندما قص الرؤيا على عبيد الله فسرها له بأن « الثعبان العظيم ملك يملك المشرق والمغرب » ، فما كان من الرجل

-
- (٢٠٦) أطلس أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٥ - ب (والدريجنى ، المطبوع ، ص ٩٢ - ٩٣) ، وقارن ، سيرة جعفر الحجاب ، مجلة آداب القاهرة ١٩٣٦ ، ص ١١٦ - ١١٨ : حيث تقول الرواية أنهم ساروا من طرابلس إلى قسطنطينية ومروا بمقاتل نفوسة - ويظهر من تلك الرواية المنسوبة إلى جعفر صاحب المهدي أن عبيد الله أقيم مدة لا بأس بها في المدينة وأن خدامه لقوا بعض المتاعب من عامة الناس الذين كانوا في مظلمهم من الإباضية . من ذلك ما تعرض له الحجاب جعفر من بعض الباعة الذي عرف أنه رافضى فأساء إليه ، ومنها مغامرة مثيرة تعرض لها عندما بعثه المهدي لشراء معروف صغير سمين ، تعرض عليه رجل من أهل توزر كلب سمين ، « فإذا القوم ياكلون الكلاب ويسمون لها بأسماء الخرفان » .
- (٢٠٧) ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ ، ج ٨ ص ١٥ ، اتطاف الحنفا ، ج ١ ص ٦١ - ٦٢ ، وقلرن سيرة جعفر ، ص ١١٩ . حيث تقول الرواية أنهم لما ان خرجوا من توزر حتى نزل الرسول في طلبهم .
- (٢٠٨) اتطاف الحنفا للمقرئى ج ص ٦٢ وقارن أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٥ - ب . حيث تقول الرواية أن عبيد الله ركن إلى اليسع فأعطاه بعض ما عنده كهدية عنه القاس ، التي ما انتش من سجلماسة من أنه هرب من نذر أموال عظيمة لهاله والفرقه) .

• إلا أن بجله وقبل يديه (٢٠٩) •

وإذا كنا لا نجد فيما بقي لنا من سيرة جعفر الحاجب عن إقامة المهدي المنتقبة في سجلماسة إلا كرامة جرى الماء بشدة في عين الماء الراكدة في السستان الملاصق للدار التي سكنوا فيها بعد أن وضع القائم رجليه في الماء (٢١٠) . فان ما احتفظ لنا به أبو زكريا ، في سير أئمة تاهرت ، يمكن أن يقدم لنا صورة لا بأس بها عما كانت عليه سيرة المهدي السقنية في سجلماسة ، مما كان متداولاً في المغرب على عهد الفاطميين •

من ذلك أن المهدي أقام في سجلماسة حتى عرف بالفقه والعلم والقراءة ، فصار الناس يختلفون إليه ويسألونه عن حوائجهم • وأن وإلى المدينة (اليسع) آثاره على جميع أصحابه وجعله وزيراً في جميع أموره إلى أن انتهى أمره بأن أصبح المرجع الأول في أمور السلم والحرب ، مما جعلهم يقيمون به في جميع أحوالهم ، بل وحتى انتهى الأمر بأن ولوه على أنفسهم بعد وفاة اليسع ، وهو غير راغب في ذلك ، وصار يأخذ الفري والمدائن حتى أخذ مدينة فاس ، كما تريد الرواية الشعبية التي يغلب عليها الطابع الأسطوري (٢١١) •

أما عن رواية جعفر الحاجب فهي لا تشير إلا إلى القبض على المهدي في سجلماسة بعد أن وصلت الأوامر إلى اليسع بن مدار بذلك من قبل الخلافة أو زيادة الله الأغلب ، وهو ما يأخذ به جمهور المؤرخين ، وأن تميزت الرواية الشعبية - التي تظهر في شكل مذكرات شخصية - بالزبد من المعلومات التفصيلية (٢١٢) •

(٢٠٩) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٦ - ١ (الدرجيني ، المطبوع ، ص ٩٢) ، وقارن سيرة جعفر الحاجب ، ص ١١٩ ، حيث تقول الرواية أنهم استأجروا داراً حسنة من رجل يعرف بأبي حيشة للمهدي •

(٢١٠) مجلة آداب القاهرة ، ١٩٣٦ ، ص ١١٩ - ١٢٠ •

(٢١١) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٦ - ١ ، وقارن رواية القاضي النعمان في المنتاح الدعوة (ص ١٥٣ - ١٥٤) حيث تقول أن كل من رأى المهدي بسجلماسة كان يقول • « ما هذا تاجر وما هذا إلا سلطان أو ملك من الملوك » ، كما تقول أن المهدي وصل اليسع صاحب سجلماسة الذي « كان يوجب حقه وتمطيه إلى أن أتاه كتاب زيادة الله ... يخبره أنه هو الذي يدع أبو عبد الله إليه » •

(٢١٢) أنظر سيرة جعفر الحاجب ، ص ١٢٢ - ١٢٣ : حيث الإشارة إلى أنه عند القبض على المهدي وابنه القائم وخديمه : جعفر وطبيب وصندل وأبي يعقوب القهرمان ، خصصت دار لحبس الإمام وأخرى لحبس ولي عهده ، بينما حسن الخدم في بعض سجون المدينة • هذا إلى =

والذى يمكن أن يطمأن الى صحته من كل ذلك ، هو نجاح المهدي في
لافلات من مطاردة عمال الخلافة وزيادة الله ، والوصول الى سجناسه في
واخر سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م حيث أقام متخفيا في زى التجار . ومن ملجأه في
سجناسه أخذ عبيد الله المهدي يتصل سرا بأبى عبد الله الشيعي (٢١٢) ،
لذى كان يطلعه أولا بأول على مجريات الأمور حتى أنه عندما انتصرت قوات
الداعى على جيوش زيادة الله فى نفس سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م ، أسرع
أبو عبد الله فكتب الى المهدي « يعلمه بالفتح ، ووجه اليه بمال كثير مع قوم
من كتامة سرا » (٢١٤) .

ولكنه رغم هذا التكتم لم تلبث الأنظار أن اتجهت الى عبيد الله الذى
وضع تحت الرقابة ، الى أن أتت الأخبار من القيروان تؤكد لليسع بن ممدار ،
صاحب سجناسه ، أنه الرجل الذى يدعو اليه أبو عبد الله فى بلد كتامة ،
لقبض عليه وحبس فى دار أخت اليسع ، كما قبض على ابنه أبى القاسم
الذى حبس فى دار أخرى فى بعض أرباض المدينة (٢١٥) ، ولم يلبث الخبر

« جانب ما تعرض له الحدم من التعذيب فى سبيل ارتعاق اقارهم بأمر المهدي . وكيف انهار
بعضهم بسبب سوء جعفر للامتحان الصعب » الى جانب اشادات الى بعض من كان يتصل به
فى سجناسه من الاصدقاء والأتباع .

(٢١٢) انظر سيرة جعفر الحاجب ، ص ١٢٦ ، حيث تقول الرواية ان المهدي صادق وحلا
مطلبى من القيروان ، وأنه لما عاد المطلبى الى امريقية طلب اليه أن يعلم الداعى بأمره فى
سجناسه ، ص ١٣٢ (حيث الاشارة الى أبى جعفر محمد بن أحمد اليفدادي الذى صار من
أكبر أعوان المهدي ، وكيف كان صعود نجمه بسبب انه سار الى سجناسه حيث التقى بالمهدي
الذى أمره بالمسير الى الأندلس انتظارا لفتح أبى عبد الله الرقيقه) .

(٢١٤) ابن عدادى ، ج ١ ص ١٨٧ : حيث تضيف الرواية ان المهدي أعطى لصديقه
المطلبى الذى كان معه فى سجناسه من الدنانير الى أن أرسلها اليه الداعى والنبي لم يكن لها
مثيل هناك ، وقرأ عليه كتاب أبى عبد الله وأمره بكتمان الخبر ، والا يبدل من حاله خشية
العرون والرقباء .

(٢١٥) كتاب الاستبصار ، ص ٢٠٤ (حيث تقول الرواية ان الذى قص على عبيد الله
كان رجلا يهوديا . ولا بأس أن يكون قصد الرواية الشيعية من ذلك هو الرد على أولئك الذين
اتهموا عبد الله بأنه يهودى الأصل) ، وقارن رواية القاضى النعمان (افتتاح الدعوة ،
ص ٢٢٧) حيث تقول ان المهدي اعترف لليسع بنسبه العلوى ولكنه قال انه تاجر وأكبر
صلته بالداعى . وإن اليسع حمله فى دار وجعل عليه حرسا ، وجعل ابنه القائم بأمر الله
كذلك فى دار أخرى ليفرق بينهما ويختبر قول كل واحد منهما ، وقارن المقريزى ، ج ١
ص ٦٥ حيث يقول الرواية ان اليسع قبض على المهدي عندما اقترب أبو عبد الله من جيوشه
من سجناسه .

أن وصل إلى الداعي (٢١٦) . قس دحو له القیروان . كما سمعت الإشارة (٢١٧) .

السير إلى سجلماسة :

وهكذا ، بعد أن أقر أبو عبد الله الأمور في إفريقية فوزع الولاة والعمال والقضاة على مختلف المدن ، أخذ يعدّ العدة لفرض سجلماسة واستنقاذ الإمام .
وفي منتصف شهر رمضان من سنة ٢٩٦ هـ / ٨ يونيو ٩٠٩ م أتى بعد شهرين ونصف شهر من دخوله القيروان ورقادة ، سار على رأس قواته الكبيرة من كتامة ، التي يصفها ابن عذارى « بالدبي المنتشر » ، وابن حماد بأنها « ملء الأرض من الخيل والرجال » ، بعد أن استخلف أخاه أبا العباس على إفريقية ، وبصحبته العائد أبو زاكى تمام بن معارك الاجاني واليا لرقادة (٢١٨) . وسار بصحبة الداعي حاشيته ، من وجوه رجاله وأهل دعوته ، مثل : ابراهيم بن محمد الشيباني المعروف بابي اليسر الكاتب ، وزيادة بن خلفون المتطبيب مولى بنى الأغلب ، كما خرج معه من فقهاء العراق (الحنفية) أحمد بن محمد ابن سيرين الذي تحصب للمذهب الشيعي فسار واجلا : « يرى أنه محتسب ثلثاب في طلب الإمام » ، مما كان سببا في توليته قضاء مدينة برقة بعد ذلك (٢١٩) .

القضاء على دولة تاهرت الرستمية :

ولما لم تكن بلاد المغرب قد عرفت ، منذ وقت طويل ، مثل هذا الجيش الجرار المثلثل « بجهازه وعدده وآلات السفن » (٢٢٠) ، كان من الطبيعي أن يتقدم الداعي دون أن يلقى مقاومة ، فتتبدد القبائل أمامه ونفتح له المدن أبوابها (٢٢١) . فعندما مر بطبنة ، عاصمة الزاب ، أتاه الزعيم الزناتى محمد

(٢١٦) الاستنصار ، ص ٢٠٤ - حيث تقول الرواية ان عبيد الله هو الذى كتب اليه ، وأعلمه بحاله من الأسر والحروب وبعث اليه فى استنصاده .

(٢١٧) انظر فيما سبق ، ص ٥٧٩ - ٥٨١ .

(٢١٨) ابن عذارى . ج ١ ص ١٥٢ . ابن حماد ، أخبار ملوك بني عميد ، ص ٩ . حيث لم يصحح الناصر « وأما زاكى » فتركها « أبارك » وقارن ابن الأثير سنة ٢٩٦ هـ ، ج ٨ ص ١٨ . حيث لا يذكر أبا زاكى .

(٢١٩) البيان . ج ١ ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(٢٢٠) ابن عذارى . ج ١ ص ١٥٢ .

(٢٢١) انظر القرطبي ، انساب الحنفيا . ج ١ ص ٦٥ . حيث يقول ان المغرب احتجز مغروحه وحاجته ناقة . والى الصائغ عن طريقه . « اتته سبيد مدحوق » من طاعه . =

ابن حزر طائعا (٢٢٢) . وعندما عرج في الطريق على تاهرت ، لم يكن أمام عاصمة الرستميين سوى الاستسلام بالأمان . فالرستميون كانوا منقسمين على أنفسهم ، ما بين : أسرة الامام الحاكم يقظان بن ابي اليقظان ، وأسرة الامام المقتول السابق يوسف بن محمد بن أفلح الذي كانت ابنته دوسر ، كما تقول الرواية الإباضية ، تتحرق شوقا للأخذ بثاره ، كما كان مجتمع المدينة منقسما هو الآخر ، ما بين : وهبية مخلصين ، ومخالفين من : المالكية ، والنواصلية والشيعة ، والصفورية ممن حرضوا أبا عبد الله على استئصال شافة دولة العرس من الرستميين .

وهكذا أذعن تاهرت وأمر الداعي بقتل الامام يقظان وبنيه ، وبمخبر رؤسهم الى افريقية حيث طيف بها في شوارع القيروان قبل ان تنصب على أبواب رقادة (٢٢٢) . وعندما دخل المدينة نهبا وانتكح حرمتها ، وأجلا كثيرا منها ، وجعل أعزة أهلها أذلة ، كما يقول أبو زكريا (٢٢٤) .

وبذلك انتهت دولة الرستميين ، بعد أن عاشت أكثر من مائة وثلاثين سنة ، وأقام على العاصمة الرستمية تاهرت واليا من قبله ، هو أبو حميد دواس بن صولات اللهيبي ، وجعل له معاونا ، هو إبراهيم بن محمد اليماني المعروف بالهوارى الذي كان يلقب بالسيد الصغير (٢٢٥) .

القضاء على امامة سبجلماسة المدارية :

وواصل أبو عبد الله مسيرته المظفرة نحو الغرب دون أن يلقي مقاومة ، وانتهى به المطاف أمام سبجلماسة في ٦ من ذى الحجة سنة ٢٩٦ هـ / أغسطس ٩٠٩ م . وكان من الطبيعي أن تلقى امامة سبجلماسة الصغيرة نفس المصير الذى لقيته مملكتنا الأغالة والرستميين . والذى يفهم من رواية ابن عذارى ان المدينة التى أحيط بها لم تستطع المقاومة الا يوما واحدا ، اذا انهزم الياسع بن

= وأطر افتتاح الدعوة للقاضي العمان الذى نطن أنه مصدر رواية المقرئى (ص ٢٢٦)

ومله ابن حلدون ، ج ٤ ص ٣٦ .

(٢٢٢) افتتاح الدعوة ، ص ٢٣٦ ، حيث يقول القاضي العمان عن ابن خرد : « وهو يوم »

أمير رماة كلها وقسائل الربر بأسرها .

(٢٢٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٣ .

(٢٢٤) السيرة وأخبار الأئمة ، المخطوط ، ص ٣٦ - ب (الدرجيني ، المكيوم ، ص ٩٤)

وأطر فيما سبق عن الامامة الرستمية ، ص ٢٨٩ .

(٢٢٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٣ .

هدرار في آخر النهار ، وهرب خلصة تحت جتح الليل مع بعض أهل بيته (٢٢٦) ، حيث انتهى نهاية غامضة (٢٢٧) . وبذلك دخل الداعي سجلماسة ، وسار مباشرة الى سجن سيده عبيد الله المهدي ، حيث استنقذه وهو يخر باكيا أمامه من فرط التأثر والفرح ، كما استنقذ أبا القاسم ولى العهد (٢٢٨) . وانتقم أبو عبد الله من أهل سجلماسة ، المدينة البغيضة التي جرأت على امتحان إمام ، فنبههم وأحرق دورهم وأغرمهم مغارم ثقيلة ، كما أمر بإجلاء الكثيرين منهم ، والظاهر انه خص اليهود بالحظ الأوفى من تلك النعمة (٢٢٩) .

والظاهر أن استقبال أبي عبد الله الداعي للمهدي غيبه الله ، بما يليق بالامام من التبجيل والاحترام ، لم يرق كثيرا لقواد كتامة . فقد هالهم ما فعله قائدهم الداعي من الترجيل للمهدي وتقبييل يديه وركبتيه ، وفتحامت كتامة لذلك ، ، كما يقول أبو زكريا (٢٣٠) . والواضح أنه رغم انفراد الرواية الاباضية بتقرير أفة كتامة من خضوع الداعي للمهدي فان الروايات الأخرى تكاد تؤكد هذا الأمر ، عندما تقول : ان الداعي قال لكتامة : هذا مولاي

(٢٢٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢١٠ ، وأبطل المقرئى . انماط الحنفا ، ح ١ ص ٦٥ ، حيث يعيب الى ذلك ان الداعي حاول اوب الامر ملاطمة اليسع حوبا على حياة الامم ولكن اليسع تفل رسله ورمق وسائله .

(٢٢٧) ولى ذلك يورد ابن عذارى روايتين تقول اولاهما (ح ١ ص ١٥٢) أن أبا عبد الله طلبه لم يقدر عليه ، وتقول الرواية الثانية (ج ١ ص ١٥٤) انه اخذ بعد ذلك بحوال شهر اذ غدر به قوم من البربر يعرفون ببني خالد ، واستأمنوا به الى ابي عبد الله فأنهم وذلك لى هستهل المحرم / ٣٠ سبتمبر ٩٠٨ م ، وأنظر انماط الحنفا ، ج ١ ص ٦٥ ، حيث تقول الرواية ان خيل الداعي أدركت اليسع فآخذته وأتت به حيث ضرب بالسياط وقتل - وقارن رواية القاضي النعمان (افتتاح الدعوة ، ص ٢٣٨ - ٢٤٠) التي يمكن أن تكون أصلا لرواية المقرئى . وفيها يقول النعمان ان أبا عبد الله اراد أن يدعى اليسع خوفا على الامام فراسله ، ولكن اليسع رمى بكتابه وقتل رسله . وعن القتال يذكر ان اليسع لى ليلا فى نسي همه وأهل بيته ثم انه يقول بعد ذلك ان عساكر ابي عبد الله أدركتهم فآخذتهم وأتت بهم . وأن اليسع ضرب بالسوط وطيف به لى العسكر وفى سجلماسة قل أن تستصنى امواله ويقتل . ويتسا تقول رواية الاستبصار (ص ٢٠٤) انه فر فقتلته طائفة من وعيته لحقد كانوا يجدونه له . وأنظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٦ .

(٢٢٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٢ ، وافتتاح الدعوة للقاضي النعمان ص ٢٤٠ .
(٢٢٩) أنظر الاستبصار ، ص ٢٠٤ ، حيث تقول الرواية ان ما اخذ من أهل سجلماسة من التبر والحل بلغ وقر ١٢٠ (مائة وعشرين) رجلا . وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٣ .
(٢٣٠) السيد وأخبار الأئمة . المخطوط ، ص ٣٧ - ٢ .

الامام فهو مولاكم» (٢٣١) ، وما تنص عليه من أن عبيد الله قال له عندئذ :
« قل لهم هو المهدي بن المهدي سلالة الهدياية» (٢٣٢) ، حتى يخف عليهم
كما نرى ، من هول الصدمة التي أصابتهم في أميرهم الذي ما كانوا يظنون حتى
ذلك الحين ، أن فوقه أميرا (٢٣٣) . وهكذا تطلب اقناعهم باستبدال زعامة
المهدي بزعامة الداعي بعض الوقت . وكتب أبو عبد الله إلى الفريقية بما تم
من نصر أولياء الله وذل أعدائه باستقاز الامام والظفر على صاحب
سجلماسة (٢٣٤) .

هكذا أقام أبو عبيد الله بصحبة الامام وولى عهده في سجلماسة مدة
أربعين يوما (٢٣٥) الى أن انقضى شهر المحرم من سنة ٢٩٧ هـ / آخر أكتوبر
٩٠٨ م ، أقر الأمور خلالها في منطقة سجلماسة التي عين عليها والياشيميا .
هو ابراهيم بن غالب المزاني (٢٣٦) ، وأعد العدة للعودة الى رقادة . وفي شهر
صفر / نوفمبر خرج الموكب الملوكي العظيم من سجلماسة يتقدمه الامام
عبيد الله المهدي بمتطيا صهوة فرس عتيق ، وعليه ثياب نفيسة فاخرة ، وقد
تضمخ بالطيب الكثير (٢٣٧) ، وإلى جانبه ابنه أبو القاسم ، ويحف به فرسان
كثامة ، وهم يحرسون احمال التبر والحلى التي أخذت من المدينة التي تعتبر

(٢٣١) انظر الاستبصار ، ص ٢٠٤ . ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٣ . ابن الأثير سنة ٢٩٦
ج ٨ ص ١٩ ، ولما روى القاضى التماس في رسالة افتتاح الدعوة (ص ٢٤٥) التي يشك
أن تكون الأصل الذي نقل عنه المتأخرون حيث تقول ان الداعي قال لرجال . « هذا موا
ومولاكم وولى امركم وامام دهركم ومهديكم المنتظر الذي كت أشرك به » . وانظر أيضا ص .
(٢٣٢) الاستبصار ص ٢٠٤ .

(٢٣٣) انظر أبو ركريا ، المخطوط ، ص ٢٧ - ١ ، حيث يقول : انه عندما قال الايكجو
(الحجاجي) أى أبو عبد الله لكثامة عن عبيد الله . « انه مولاي وسلطاني وسلاطنتكم ،
ذرية علي وفاطمة فقالوا لا نعرف لائقنا سلطان غيرك » .

(٢٣٤) ضد مكاتيبه وطلب عقد الأخوة بينهما في سبيل احوال المهدي من محبسه ، وفي
المسح تم كيفية القتال والظفر - انظر ص الخطاب في افتتاح الدعوة للقاضي النعمان
ص ٢٤١ - ٢٤٤ .

(٢٣٥) التقريرى ، اتمام الحفظ ، ج ١ ص ٦٦ . وانظر القاضى التماس ، افتتاح الدع
ص ٢٤١ الذي ينقل عنه المقرئى هذه الرواية .

(٢٣٦) ابن عذارى ج ١ ص ١٥٤ . وانظر افتتاح الدعوة للنعمان (ص ٢٤١) حيث
يقول انه استعمل عليهم عاملا هو أن يذكر اسمه .
(٢٣٧) ابن حماد ، اخبار ملوك بني عبيد ، ص ٩ .

بأباً من أبواب السودان ، بلاد السبر والذهب (٢٣٨) •

وإن وصول الموكب الى افريقية بعد رحلة استغرقت حوالى الشهرين
اذ كان دخولهم الى رقادة يوم الخميس ٢٠ من شهر ربيع الآخر ٢٩٧/٧ يناير
٩١٠ م (٢٣٩) • وخرج أهل القيروان مع أهل رقادة يرحبون بالامام الذى أحاط
به أبو عبد الله الداعي ورؤساء كتامة مشاة بين يديه ، وخلفه ابنه أبو القاسم •
وبعد أن أنفض الموكب نزل الامام بقصر من قصور رقادة حيث عرضت عليه
حوارى زيادة الله ، « فاختار منهم لنفسه ولولده ، وفرق ما بقى على وجوه
كنامة ، (٢٤٠) •

عبيد الله المهدي أميراً للمؤمنين :

وفى يوم الجمعة التالى أمر عبيد الله أن يذكر اسمه فى الخطبة ، فى
كل من رقادة والقيروان وأن يكون لقبه فيها « خليفة » الله و « المهدي بالله
أمير المؤمنين » (٢٤١) • وبذلك قامت دولة الأئمة الفاطميين فى المغرب بشكل
رسمى ، بعد حوالى ١٥ (خمس عشرة) عاما قضاهما أبو عبد الله الشيعي فى
أرض كتامة ، وهو يدعو للامام المنتظر ، ويقاقل فى سبيل اقامة دولته ،
لى أن تكملت جهوده بالنجاح ، فقضى على ثلاث دول دفعة واحدة ، هى :
دولة الأغالة فى القيروان ، ودولة الرستمين فى تاهرت ، ودولة المدراريين
فى سجلماسة ، قبل القضاء على دولة الادارسة الرابعة (٢٤٢) • وهكذا
حق لعبيد الله أن يبدأ حكمه « أميراً للمؤمنين » أى خليفة (٢٤٢) ، بترعه

(٢٣٨) هذا ما يهمهم من روايات الاستبصار وابن عذارى السابقة ، أما روايه القسائى
العمان فى افتتاح الدعوة (٢٤٦) فانها تشير الى أن المال الذى دخل به عبيد الله رقادة هو المال
الذى كان للدعاة والمشايع فى ايكحاحالى مال اليها وهو فى الطريق فأمر باحصاره ، مما
كان سببا فى تحول أصحاب القلوب العاسدة منهم (ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٦) •

(٢٣٩) افتتاح الدعوة من ٢٤٧ •

(٢٤٠) المقرئى ، تماث الحنلا ، ج ١ ص ٦٦ ، وقارن افتتاح الدعوة للقاصى العماني ،
ص ٢٤٨ - ٢٤٩ ، ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ ، ج ١ ص ١٦ •

(٢٤١) أنظر افتتاح الدعوة ، ص ٢٤٩ : حيث يقول نص الدعاء : « اللهم فصل على عبدك
وخليفتك القائم بأمر عبادك فى بلادك ، عند الله أبى محمد الامام المهدي بالله أمير المؤمنين ... »
وقارن تماث الحنفا ، ج ١ ص ٦٦ •

(٢٤٢) أنظر فيما سبق ، ص ٤٧٧ •

(٢٤٣) ولا بأس من الاشارة هنا الى أن الخلافة كما وردت فى توقيع المهدي هى خلافة الله
وليست خلافة الرسول ، كما هو الحال عند أهل السنة • وهذا ما تكرر فى التوقيع من أن
المهدي هو خليفة الله وأن أباده هم خلفاء الله الراشدين المهديين (افتتاح الدعوة ، ص ٢٤٩) •

على عرش دولة كبرى مترامية الأطراف ، ما بين سواحل افريقية على المتوسط ،
وصحراوات المغرب الجنوبية على تخوم بلاد السودان -

وكان من الطبيعي أن يبدأ المهدي ممارسته لمهامه كرئيس للدولة الجديدة
بالعمل على تأكيد مركزه كأمير للمؤمنين عن طريق جمع السلطة ، التي لم
يكن له منها حتى وقتئذ شيء ، بين يديه . ولكي يتحقق له هذا الهدف ،
الذي يعتبر غاية لكل وأصل جديد الى السلطة ، كان عليه أن يتبع سياسة
دينية تضمن له حشد أكبر عدد ممكن من الانتصار ، يكونون له بمثابة العصية
أو القاعدة الشعبية التي يقوم عليها سلطانه ، وأن يتخلص من الزعماء أصحاب
السلطة ممن يزاحمون في الملك ويتقصون من سيادته وأهمهم الداعي ، وأن
يواصل الفتح وتوسيع دولته نحو مصر ونحو المغرب الأقصى بما يشغل رجال
الحرب ويوجه حماسهم العسكرية نحو الخارج ، كما يهيء موارد إضافية للدولة
تزيد من قوتها ، وترفع من شأنه هو بين ملوك عصره . أما عن اتخاذ مركز
جديد للحكم في مدينة « المهدية » فكان رمزا للنظام « الراشدي » الجديد الذي
كان يسعى الى بسط سلطان آل البيت من الفاطميين في المشرق بعد أن نجح
في نشر راياتهم على أسنة رماح أهل المغرب من الكتامين ثم الصنهاجيين
في المغرب ، وهو ما نرجو أن يكون من موضوعات الجزء الثالث من الكتاب
إنشاء الله -

فهرس المصادر والمراجع المذكورة في الهوامش

- ابراهيم العلوى . ابن عبد الحكم راند المؤرخين العرب ، القاهرة ، ١٩٦٢ .
- ابراهيم وزقانة ومحمد صلى الدين . الوطن العربى (فى : دراسات فى المجتمع العربى تاليف مجموعة من اساتذة كلية الآداب والاقتصاد والعلوم السياسية . جامعة القاهرة سنة ١٩٦١ - ١٩٦٢) .
- ابن الأبار . أبو عبد الله محمد التضاوى البلسى ، توفى سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م - الحلة السيرة . تحقيق حسين مؤنس . فى جزئين القاهرة ١٩٦٢ .
- ابن أبى ديشار محمد بن بنى القاسم الرعيسى القيروانى ، كتاب المؤسس فى احبار افريقية وتونس . تونس ١٢٨٠ هـ .
- ابن أبى ذؤوع . الأيس المطهر بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس . فاس ، طبع حجر .
- ابن الأثير . الكامل فى التاريخ ، القاهرة (١٢ ج) .
- أسد الغاية فى معرفة الصحابة ، أجزاء طبعة المعارف ، القاهرة ١٢٨٥ هـ .
- ابن اسحق ، كتاب فتوح مصر واقاليهما ، القاهرة ، ١٢٧٥ هـ (وانظر الواقدى ، فتوح مصر والاسكندرية) ، طبعة ليدن ، ١٨٢٥ .
- وانظر ابن هشام ، السيرة .
- أبو زكريا : كتاب السيرة وأخبار الأيسة . ترجمة جزئية بمعرفة ماسكرay (Masqueray, chronique d'Abou Zakaria, livre des Mizab), Alger, 1878.
- مخطوط دار الكتب . رقم ٩٠٣٠ ح .
- أبو العرب (محمد بن احمد بن تميم التميمى ، المتوفى سنة ٣٢٣ هـ) طبقات علماء افريقية ، نشر الشيخ محمد بن أبى شنب ، الجزائر ، ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م ، ط . بيروت ، ط . تونس .
- أبو الفدا (اسماعيل بن على همدان الدين صاحب حماة متوفى سنة ٧٢٢ هـ / ١٣٣١ م) ، المختصر فى أخبار البشر ، القسطنطينية ، ١٢٨٦ هـ .
- جغرافية أبى الفدا (كتاب تقديم البلدان ، نشر ريسر ودسلان ، ١٨٩٠ م)
- احسان عباس ، العرب فى صقلية ، القاهرة (المؤلف) ، ١٩٥٩ م .
- احمد بن ابراهيم النيسابورى . استتار الامام ، نشر ايفانوف . مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد الرابع ، ح ٢ ديسمبر ١٩٦٦ ، ص ٩٣ - ١٠٧ .
- احمد الكاتب الأنصارى ، الملل والمد فى تاريخ طرابلس المغرب ، القاهرة ، ١٣١٧ هـ .
- احمد بن أبى الفيلال . اتحاد أهل الزمان

(الطبعة الثانية منقحة ومشرقة بمعرفة
كارلو العوسو نلينو)
Catania, 1935 (Nollino)
- المكتبة العربية الصقلية
(Biblioteca Arabo-Sicula...
Lipsia, 1855).

انجل جوثالث بالثيا
Angel Gonzalez Palencia
تاريخ الفكر الاندلسي ، ترجمة حسنة
مؤس ، القاهرة ، ١٩٥٥ .
البادوني ، كتاب الارحام الرياضية في ائمة
وملك الاباسية . طبعة الارحام
البادونية .
البخاري ، كتاب التاريخ الكبير . طبع حيدو
آناد الدكي ، ١٣٦١ هـ ، ج ٣ قسم ٩ .
قسم ٧ .

بروكلمان
Brockelmann
تاريخ الشعوب والدول الاسلاميه
ترجمة فرنسية بمعرفة نزروب
(M. Tazerout) ، مازير ، ١٩٤٩

بروفنسال
E. Lévi Provençal . ١٩٥٤
— Les Historiens de la chor-
fa, 1923.
-- Histoire de l'Espagne mu-
sulmane, Paris, 1944.
(ترجمة عربية في الاسلام في المغرب
والاندلس . معرفة السيد عبد العزيز
سالم ومحمد صلاح حلي . الال
كتاب ، رقم ٨٩)
— Un recueil de lettres offi-
cielles Almohades, étude
diplomatique....., Paris,
1944.

— اخبار المهدي ابن تومرت وابناء دولة
الموحدين (مذكرات البديق) ، نص
عربي وترجمة فرنسية تحت عسوان

بأحمار ملوك تونس وعهد الأمان ،
تونس ، ١٩٦٣ .
أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، القاهرة ،
١٩٦٣ .
— خريطة القطر الجزائري ، طبعة
كاربويل ، الجزائر .
— المسلمون في صقلية وجنوب إيطاليا .
أحمد فكري ، المسجد الجامع بالقيروان ، طبع
دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٣٦ م .
— مساجد القاهرة ومدارسها - المنحل ،
الاسكندرية ، ١٩٦٢ م .
اخبار مجموعة (من نتج الاندلس وذكر
امرائها - رحيم الله - والحروب الواقعة
بها بينهم) ، من عربي وترجمة
اسبانية بمعرفة لافولت
(E. Lafuente)
مدريد ، ١٨٦٧ .

الادريسي ، كتاب نزهة المشتاق في الجزء الخاص
بصفة المغرب وارض السودان ومصر
(لاندلس) من عربي وترجمة
فرنسية بمعرفة دغويه ودوزي . ليدن ،
١٨٦٤

الاستيعار : اقلر كتاب الاستيعار .
الاصطغري ، كتاب المسالك والممالك . نشر
De Coeje ليدن ، ١٨٧٠ م .

السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين
وأثارهم في الاندلس من الفتح العربي
حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، دار
المعارف ، لبنان ، ١٩٦٢ م

الطاهر أحمد الزاوي ، تاريخ الفتح العربي
في ليبيا ، طبعة دار المعارف بمصر
(طبعة اول)

اماري
M. Amari, Storia dei Musul-
mani di Sicilia

évêché de la Kalà de Beni
Hammad, Hespéris, t 15, an-
née, 1932, Fax, I.

التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن
إبراهيم التجاني) ، الرحلة ، تونس ،
١٩٥٨ .

Gasper Remira جاسبار ريميرا
- انظر المويرى

Grohmann (Adolf) جروهمان
Aperçu de papyrologie arabe
(extrait des études de papyro-
logie, t. I, Le Caire (imp. inst.
Fr...), 1932.

الجزائري (أبو الحسن علي الجزائري) ، كتاب
زهرة الأسى في بناء مدينة لاس ، طبع
الترديد A. Bel الجزائر ١٩٢٠ هـ /
١٩٢٢ م . مع ترجمة فرنسية مصحوبة
بالهامش تحت عنوان

La fleur du Myrte...

Zahrat El-As الجزائر ١٩٢٣

جل
M.S. Gsell, la tripolitaine et
le Sahara au 3èmes ère (extr.
mém. Acadé. insc. B. Lettres,
t. 43), Paris, 1926.

جمال الدين الشيال . الصلات التنافلية بين
المغرب ومدينة الاسكندرية (في مصر
الاسلامى) ، مجلة كلية الآداب - جامعة
الاسكندرية ، المجلد ١٥ ، سنة ١٩٦١ .
- الاسكندرية . طبوغرافية المدينة
وتطورها من أقدم المصور . الأطلس
التاريخي ، المجلة التاريخية ، ١٩٤٩ .

جوتييه

E.F. Gautier, Le passé de
l'Afrique du Nord, les siècles
obscurs, Paris, 1942.

(documents inédits)

وثائق لم تنشر

باريز ، ١٩٦٨ .

بريهيه

L. Bréhier, Vie et Mort de
Byzance, Paris, 1947.

البغدادي (أبو المنصور عبد التمام بن
طاهر ، المتوفى سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) ،
الفرق بين الفرق ، القاهرة ، ١٣٢٨ هـ /
١٩١٠ م .

البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ،
المتوفى سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٧ م) ، كتاب
المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ،
جزء من « كتاب المسالك والممالك » ،
طبع دسلان (De Slane) الجزائر ،
١٩١١ .

- حفرافية الأندلس وأوروبا ، تحقيق
عبد الرحمن بجي ، طبع بيروت .

بيل

A. Bel, Les Banou Ghania,
derniers représentants de
l'empire almoravide et leur
lutte contre l'empire almo-
hade, 1903.

- La religion musulmane en
Berlérie, Esquisse d'his-
toire et de sociologie reli-
gieuse, Paris, 1938.

البلاوي (أبو العباس أحمد بن يحيى بن
جابر ، المتوفى سنة ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) ،
كتاب فتوح البلدان ، طبع لندن
١٨٦٦ .

البليق - انظر بروفسال (أنبال المهدي ابن
تومرت) .

بيير سنيفال

Pierre de Cenival, la prétendu

- فجر الأندلس ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

حسين نصار . نقد نشره عبد المنعم همام
لكتاب فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم ،
مجلة « المجلة » العدد ٨٠ ، أغسطس
(آب) ١٩٦٢ .

الحشاشي : انظر محمد بن عثمان .
ابن حجر (شهاب الدين بن علي المقداني .
توفي سنة ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م) ، الاصابة
في تمييز الصحابة طبعة ١٣٢٨ هـ .
ابن حزم (أبو محمد بن أحمد بن حزم
الطاهري - توفي سنة ٤٥٦ هـ /
١٠٦٤ م) ، كتاب الفصل في الملل
والأهواء والنحل القاهرة ١٣١٧ هـ .
ابن حجاج . أبو عبد الله محمد بن عيسى بن
حجاج ، توفي سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م .
- اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم .
تحقيق فؤاد حماد طبع الجزائر سنة
١٩٢٧ م .

الحميدى . حذرة المكتسب ، مجموعة تراثنا
المكتبة الأندلسية . رقم ٣ ط : القاهرة .
سنة ١٩٦٦ .

العمري الروس المعطار في اخبار الأقطار
(صفة جزيرة الأندلس) تحقيق
برونفيل . القاهرة ١٩٣٧ م .

ابن حوقل ، صورة الارض . طبع بيروت
(مكتبة دار الحياة) .
- وطبع لندن بمعرفة دغويه

De Goeje

(المسالك والممالك) لندن ١٨٩٩ م .

ابن حيان ، أبو مروان بن حيان القرطبي
توفي سنة ٤٦٩ هـ / ١١٧٦ م .

- المكتسب في اخبار بلد الأندلس ،
تحقيق عبد الرحمن علي الحجي (المكتبة
الأندلسية) ، بيروت ١٩٦٥ .

- وانظر القطعة التي حقلها محمود علي
مكي ، طبع دار الكتاب العربي . بيروت
١٩٧٣ م

- Le Sahara, Paris, 1946.

جودفروا ديمومبين
Gaufrey-Demombynes
Les institutions musulmans,
Paris, 1946.

انظر المصري ، مسالك الأبحار في ممالك
L'Afrique moins l'Egypte

الأبحار (الرقبة عدا مصر
Ch. André Julien. Histoire de

ترجمة فرنسية مع مقدمة وهوامش ،
باريز ، ١٩٢٧ .

جوزيف نعيم يوسف ، مجمع الاسكندرية
في العصر المسيحي . كتاب مجتمع
الاسكندرية ١٩٧٥ .

جولييان
Ch. André Julien
l'Afrique du Nord, 1931.

جيار
Gaillard, une ville de l'Islam
Fès, Paris, 1905.

الغريب الجنحاني ، الخرب الاسلامي . الحياة
الاقتصادية والاجتماعية ، م ٣ - ٤ هـ /
٩ - ١٠ م) طبع تونس .

حسن ابراهيم حسن . تاريخ الاسلام السياسي
والديني والثقافي والاجتماعي ، الجزء
الاول ، القاهرة . ١٩٥٧ .

حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ،
القاهرة ١٩٥٧ .

حسن جوشي عبد الوهاب ، حلاصة تاريخ
تونس ، الطبعة الثالثة ، تونس .
- وروقات ، ط . تونس ١٩٦٥ .

حسن سليمان محمود ، ليبيا بين الماضي
 والحاضر ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

حسين مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، القاهرة
١٩٤٧ .

- ابن حيون أبو حنيفة السمان بن محمد
التنيسي المغربي ، توفي سنة ٣٦٣ هـ /
٩٤٧ م .
- دعائم الاسلام ، تحقيق آصف فيضي
القاهرة ١٩٦٣ .
- رسالة افتتاح الدعوة ، تحقيق رداد
القاضي ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٠ .
ابن خردادبة وابن العقي و ابن رسته ، صفة
المغرب وأودا في القرن الثالث الهجري /
٩ م . مستخرجات من كتاب المسالك
والممالك وكتاب البلدان وكتاب العلق
النفس . المكتبة العربية الفرنسية تحت
إشراف هنري بيريز
(Bibliothèque Arabe-Française
H. Pérès
نص عربي وترجمة فرنسية لمحمد حاج
صادق ، الجزائر ، ١٩٤٩ ، المجلد رقم ٦
ابن الخليل ، مشاهدات لسان الدين بن
الخطيب في المغرب والأندلس ، نشر
معرفة أحمد مختار العبادي ، مطبوعات
جامعة الاسكندرية ، ١٩٥٨ م
- كتاب أصال الأعلام (الجزء الثالث) ،
نشر أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم
الكتاني تحت عنوان : المغرب العربي في
المصر الوسيط ، طبعة الدار البيضاء ،
١٩٦٤ .
ابن خلدون القديمة (مقدمة كتاب العبر
المشهوره بمقدمة ابن خلدون) ، طبعة
التحارية ، القاهرة .
- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ،
٧ اجزاء ، طبع القاهرة .
- الترجمة الفرنسية للقسم الخاص
بالمغرب بمعرفة دسلان
(De Slane). Histoire des ber-
bères et des Dynasties mu-
sulmanes de l'Afrique septen-
trionale, Paris, 1925 (t. 1
et 2).
- ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد
ابن ابراهيم بن أبي بكر الشافعي ،
توفي سنة ٦٨١ هـ / ١٢٨١ م ، وفيات
الاعيان وآباء أبناء الروان ، طبعة
محيي الدين عبد الحميد .
خليفة بن خياط ، توفي سنة ٢٤٠ هـ /
٩٥١ م .
- تاريخ خليفة بن خياط ، نشر آكرم
المصري ، في جزئين ، بغداد ١٩٦٨ .
الدباغ (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله
الأنصاري ، ٦٠٥ - ٦٩٦ هـ) ، معالم
الايمان في معرفة أهل الليروان ، في
جزئين ، تونس ، ١٣٢٠ هـ .
الدوجيني ، أبو العباس أحمد ، من رجال
القرن السابع الهجري / ١٢ م .
- طبقات الاباسية ، مخطوط دار الكتب
المصرية (رقم ١٢٥٦١ ح مصورة عن
المخطوط الاصل رقم ٢٦١٢ تاريخ
تيود) .
- طبعة الجزائر بمعرفة ابراهيم طلال ،
البيدة ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .
دسبوا
J. Despois, Le Djebel Nefousa,
Paris, 1935.
- La Tunisie orientale, Pa-
ris, 1940.
دولي
R. Dozy, Histoire des musul-
manes d'Espagne, Leyden,
(1932 (t. 1).
(ترجم الجزء الأول الي العربية بمعرفة
حسن جيشي تحت عنوان : تاريخ مسلمي
اسبانيا ، القاهرة) .
ديبل
Ch. Diehl et G. Margais, Le
monde oriental, de 365 à 1081,
Paris, 1944.

- بنغازى ، ١٩٥٨ م .
- ملاحظات عن مصر كما رآها ووصفها
الجغرافيون والرحالة المغاربة ، مجلة
كلية الآداب ، اسكندرية ، ١٩٥٤ .
- تاريخ الاسكندرية من التفتح العربى الى
قيام الفاطميين ، فى كتاب تاريخ
الاسكندرية منذ أقدم العصور ،
الاسكندرية ، ١٩٥٤ .
- العلاقة بين صلاح الدين وأبى يوسف
يعقوب المصور الموحىدى ، مجلة كلية
الآداب ، اسكندرية ، ١٩٥٣ .
- أخطر كتاب الاستبصار .
- فتوح المغرب والأندلس فى رواية ابن
عبد الحكم ، بحث فى كتاب « دواست
عن ابن عبد الحكم » ، المكتبة العربية ،
ط . وزارة الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٥ ،
ص ١٥٣ - ١٩٦ .
- أهمية ابن تيمى بردى لتاريخ المغرب
والأندلس ، بحث فى كتاب « المرح ابن
تيمى بردى » ، مجموعة المكتبة العربية ،
ط . وزارة الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٥ .
- الأثر المغربى والأندلسى فى المحتج
الاسكندرى ، كتاب تاريخ المحتج
الاسكندرى ، طبع جامعة الاسكندرية
١٩٧٥ .
- هامش على مصادر تزيح الامانية فى
المغرب ، دراسة لكتاب السير لوسيانى .
مطبوعات الجامعة التونسية ، مكرر
- الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية ،
اشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربى
وحضارته ، ج ١ ، سلسلة الدراسات
التاريخية (من ص ٥١ - ٩٦) .
ابن سعيد ، على بن موسى ، تولى سنة
٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م .
- كتاب الجغرافيا ، طبع بيروت
- السلوى ، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى .
طبعة الدار البيضاء :

« الجزء الثالث من مجموعة التاريخ العام

- جلوتز Glotz - قسم العصور
الاسكنى) .

باللهي ، ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ،
سنة القاهرة ١٩٦٣ ، ج ٣ .

ريسلى
Risler, la civilisation arabe,
Paris, 1955.

الزريق (ابراهيم بن القاسم ، تولى بعد سنة
٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م) ، تاريخ افرىقية
والعرب ، تحقيق المبحى الكعبى ، طبع
تونس ، ١٩٦٧ .
- قطب السرور فى أوصاف الخمر ،
تحقيق أحمد الجنيدى .

مناوى - انظر الطاهر أحمد

الزهرى ، كتاب الحفارية ، تحقيق محمد
حاج صادق ، مجلة الدراسات الشرقية
للمعهد الفرنسى بدمشق ، ١٩٦٨ .

السبكى ، طبقات السامية الكبرى ، طبعة
١٢٢٤ هـ ، ج ١ .

حلييه

J. Célerier, Le Maroc (Coll.
L'union Française), Paris,
1948.

— Les conditions géographi-
ques de développement de
Fès, Hespéris, t. 19, an-
née 1934. Fasc. 1-2.

محمد زغلولى عبد الحميد ، فتح العرب للشرب
فى الحقيقة التاريخية والاستطورية
الشعبية ، مجلة كلية الآداب
بالاسكندرية ، ١٩٦٣ م .
- موقف ليبيا فيما بين قيام الفاطميين
فى افرىقية ، نقلهم الى مصر ، مجلة
كلية الآداب والتربية بالجامعة الليبية ،

- سليمان الماوي ، الأبحاث الرياضية في حياة
وحملوك الأباضية .
- سيدة اسماعيل الكاشف ، مصادد التاريخ
الإسلامي ومناجم البحث فيه ، القاهرة ،
١٩٦٠ .
- مصر في بحر الإسلام (من التسع
العربي إلى قيام الدولة الطولونية) ،
القاهرة ١٩٤٧ .
- شجرة ، أنظر محمد عبد الهادي .
- الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ،
المتوفى سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م) ، الملل
والنحل ، طبعة ليبيرج ١٩٢٣ م .
- ابن الصغير أبحاث الأئمة المرستين نشر
وترجمة موتيلينسكي
Chronique d'Ibn Saghir sur
les imams Rostenides de Ta-
hert, éd. et trad. par Moty-
linswki, dans Actes du 14e
Congrès des Orientalistes, 3e
partie, 1907
- الطبري ربيع الأمر والملوك طبعة القاهرة .
١٣٥٨ - ١٩٣٩ وطبعة أوروبا . وطبعة
دخان العرب ٥ ج .
- ابن عبد الحكم (أبو القاسم محمد بن
عبد الله بن عبد الحكم القرشي المصري)
فتوح مصر والمغرب والأندلس . نشر
شارل تورى (Torrey) طبعة لندن ،
١٩٢٠ .
- شجرة حوثية مع ترجمة فرنسية
من ١٩٠٥ ، Gateau) في مجموعة
(المكتبة العربية الفرنسية) طبعة
الجزائر ، ١٩٤٨ .
- شجرة حوثية بمعرفة ماسيه
(H. Massé) ، القاهرة ١٩٦٤ .
- شجرة جرد حديدية معرفة عبد المم
عمر ، القاهرة .
- عبد الحميد الديادي ، المحلل في تاريخ الأندلس
القاهرة . ١٩٥٨ .
- عبد السلام بن سودة ، دليل مؤرخ المغرب
الأقصى ، تطوان ، ١٩٥٠ .
- عبد العزيز النوري ، علم التاريخ عند العرب ،
بيروت ، ١٩٦٠ .
- عبد العزيز طربيع شرف ، جغرافية ليبيا
الاسكندرية ، ١٩٦٣ .
- عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسي للدولة
المرية ، طبعة ١٩٦٠ م .
- مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي ،
القاهرة ، ١٩٥٢ .
- ظهور خلافة اللاطيف وسقوطها في
مصر (التاريخ السياسي) ، طبع دار
المعارف ، الاسكندرية ١٩٧٢ (طبعة
ثانية) .
- عبد الهادي الشاذلي ، الامام طود بن ادريس ،
(من خلال الوثائق التاريخية) ، مجلة كلية
الآداب - جامعة الاسكندرية ، المجلد ١٠ ،
سنة ١٩٦٦ .
- جامع القرنين بفاس ، رسالة دكتوراه
عمل الآلة الكاتبة ، قدمت لجامعة
الاسكندرية سنة ١٩٧١ .
- عبد الواحد المراكشي ، المغرب في تفتيش
أخبار المغرب ، طبعة مصر ، ١٣٢٤ هـ .
- عبد الله بن صالح ، أنظر بروفسال ، نشر
جديد .
- ابن عذاري المراكشي (أبو عبد الله محمد) ،
البيان المغرب في أخبار المغرب ، نشر
وتحقيق كولان وبروفيسال ، لندن ١٩٤٨ .
- (نشر دوزي ، وطبعة بيروت ، ٢ ج) .
- عزيز أحمد ، تاريخ صقلية الإسلامية ،
بالإنجليزية ، طبع اذنه ١٩٧٥ .
- علي يحيى ، مصر ، الأباضية في موكب التاريخ
- الجزء الأول ، في : سلسلة المقام

ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني)

كتاب البلدان ، طبع ليدن ١٨٨٥ م .

فلهوون ، تاريخ الدولة العربية منذ ظهور

الاسلام الى نهاية الدولة الاموية ، ترجمة

الدكتور محمد عبيد الهادي أبو ريدة ،

القاهرة ١٩٥٨ م .

فورنل

H. Fournel, Etude sur la conquête de l'Afrique par les arabes..., Paris, 1857.

فوندمهايدن ، الأغلبية ، بالفرنسية .

فيركوتير

J. Vercoutter, L'Egypte ancienne (Coll. que Sais — je?), Paris, 1947.

فيشيل

W.J. Fischel, Ibn Khaldun and Tamerlane, Berkeley, Los Angeles, 1952.

القرطاس ، انظر ابن أبي رزر .

ابن القاضى ، جدوة الاقتباس فى احكام مدينة

فاس ، طبع حبر ١٣٠٩ هـ .

ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ،

المتوفى سنة ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) ، الامامة

والسياسة ، فى جزئين ، طبعة القاهرة ،

١٣٢٨ هـ .

— القسم الخاص بفتح الأندلس ، من

ملاحق كتاب استتاج الأندلس لأمير

القوطية ، طبعة مدريد ، ١٨٦٨ م .

القلشندي (أبو العباس أحمد ، المتوفى سنة

٨٢١ هـ / ١١٨ م) ، صبح الأعشى فى

صناعة الانشا ، طبع القاهرة ، ١٩١٣ .

ابن القوطية ، تاريخ الفتاح الأندلس طبعة

مدريد ، ١٨٦٨ — من عربى وترجمة

الاباضى ، طبع القاهرة ، اكتوبر ١٩٦٤م

— الجزء الثانى ، لحن : الاناضية فى

ليبيا ، طبع القاهرة ، أغسطس ١٩٦٤ م

علوش

I.S. Allouche, deux épîtres de théologie abadite, Hespéris (22 année, 1936, Facs. I).

العمرى ، مسالك الإبحار فى مسالك الأمصار ،

طبعة دار الكتب ، ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤ م

(ج ١) .

— ترجمة جرنية خاصة ببلاد المغرب

والسودان ، بالفرنسية ، باريس ، ١٩٢٧

انظر جودفروا ديمومبين

(Gaudefroy-Demombynes)

الغياشى ، الرحلة ، مطبوع طرابلس ، مكتبة

الأوقاف خزانة من — رفا — رقم ٣٤٠ ،

(ج ٢) .

— طبع حجر فاس .

عياش ، أبو الفصل بن موسى البحصى

السنى ، توفى ٤٦٧ هـ / ١٠٨٣ م .

— ترتيب المذاهب وتقرير المسالك فى

معرفة اعلام مذهب مالك ، طبع بيروت

١٩٦٥ .

— تراجم أغلبية مستخرجة من مدارج

القاضى عياش ، تحقيق محمد الطالبي ،

طبع تونس ١٩٦٨ .

القيرونى ، أحمد بن أحمد ، توفى سنة

٧١٤ هـ / ١٣١٥ م .

— عوائد الدواية فىمن عرف من العلماء

فى المائة السابعة ييحاية ، مشر عادل

نويشى ، طبع بيروت ، ١٩٦٩ .

عابن غلبون (ارتحل الى الارهر وعاد الى طلمه

مسرانة سنة ١١٣٣ هـ) ، كتاب التذكار

تحسين ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار .

— مشر الطاهر أحمد الزاوى ، القاهرة .

١٣٤٩ هـ .

لاوست
L. Laoust, L'habitation des
transhumants du Maroc cen-
tral, Hespérus t. 14, 1932,
Fasc. 2.

الملكى (أبو حميد الله بن أبي عبد الله - رعى
حوال منتصف القرن الخامس الهجرى :
رياض النفوس في طبقات علماء القروى
وافريقية ورامادم وعيسادم ونسايه
رسير من أحبارهم وفضائلهم وأوسايم
نشر حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٥١ م .
هاديثو ماريو مورينو ، المسلمون في صقلية ،

و . مارسيه
W. Marçais, un siècle de re-
cherches sur le passé de l'Al-
gérie musulmane (R.H.,
1931).

ج . مارسيه
G. Marçais, La berbérie mu-
sulmane et l'orient au moyen
âge, Paris, 1946.
- المجلد في الفن الاسلامى (بالفرنسية)
طبع لاووس .
- أطلس شارل دين وحورج مارسيه .

ج . ماركي
Jè Marcy, Le dieu des aba-
dites et des Bargwata, Hes-
pérus, t. 22, année 1936,
Fasc. 1.

الماوردي (أبو الحسن علي بن حبيب البصرى
المتوفى سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٧ م)
الأحكام السلطانية ، طبعه القاهرة
١٢٢٧ هـ / ١٩٠٩ م .

مبارك بن محمد البلي ، تاريخ الجزائر في
القديم والحديث ، حرره . الجزائر
١٣٥٠ هـ .

اسبانية بمعرفه زيبيرا ، (طبعه بيروت
بمعرفه عبد الله انيس الطباع) .

عالميا
R. Cagnat, Le frontière mili-
taire de la tripolitaine à l'épo-
que romaine, Paris, 1912.

مكتاب الاستبصار في عجائب الأمصار (وصف
مكة والمدينة ومصر وسلاسل المغرب
والسودان - ق ٦ هـ (١٢ م) ، نشر
وتعليق سعد رعلول عيسد الحميد ،
مطبعات جامعة الاسكندرية ، ١٩٥٨ ،

كتاب السياسة في تدبير الرياسة ، في الأصول
اليونانية للطرقات السياسية في
الاسلام . تحقيق عبد الرحمن بدرى ،
القاهرة ١٩٥٤ .

مكتاب العيون والحقائق ، ج ٣ ، طبعه لندن ،
١٨٧١ م .

تاين الكردوبوس ، تاريخ الأدلس ، تحقيق
مختار السادى ، طبع مدريد ١٩٧١ .

كريسويل . المسارة الاسلامية المكرة . طبعه
سيكس ، بالانجليزية .

الكندى (ابو عمر محمد بن يوسف الكندى ،
المتوفى سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) ، كتاب
الولاة والقضاة ، نشر روى جست

Rhuven Guest ، طبعه بيروت .
١٩٠٨ ، مع مقدمة بالانجليزية ، طبعه
لندن ، ١٩١٢ .

(W.D. Cooley) ، ملاد السودان العربية،
بالانجليزية ، لندن ١٩٦٦ .

الانود
H. Larnau, Algérie (Coll.
L'union française), Paris,
1950

La lutte entre arabes et Byzantins, Alexandrie, 1947.

- ليبيا ، الاسم ومدلولاته التاريخية ،
مجلة كلية الآداب والتربية بالجامعة
الليبية بمغازي ، المجلد الأول سنة
١٩٥٨ .

- تقييمات اقلية من العصر العباسي
الأول ، مجلة كلية الآداب جامعة
الاسكندرية ، ١٩٤٤ .
- المرباطون : تاريخهم السياسي (٤٣٠ -
٥٣٩ هـ) ، طبع القاهرة طبعة أولى
١٩٦٩ .

محمد علي ديقو ، تاريخ العرب الكبير ، ج ٢
المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسن بن علي ،
المتوفى سنة ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م) ،
مروج الذهب ومعادن الجواهر ، طبعة
التحارية ، ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م .

مصطفى محمد صمد ، الاسلام والوثة في
المصور الوسطى ، طبع القاهرة ١٩٦٠ .

مصطفى عبد الله بعبو ، المجلد في تاريخ لوبيا
من أقدم المصور الى العصر الحاضر ،
الاسكندرية ، ١٩٤٧ .

مصطفى كمال عبد العليم ، يهود الاسكندرية
في عصر البطالة والرومان ، كتاب مجمع
الاسكندرية غير المصور ، طبع جامعة
الاسكندرية ١٩٧٥ .

مصعب الزبيدي ، كتاب نسب قريش ، تحقيق
برولنسال ، سلسلة ذخائر العرب ،
القاهرة ، ١٩٥٤ م .

القدس ، أحسن التقاسيم ، طبع بريل ١٩٠٦ .

المقريزي (تقى الدين أحمد بن علي المتوفى سنة
٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) ، المواعظ والاعتبار
في ذكر الحطط والآثار ، حزن .
- انما الحننا بأخبار الأئمة الخلفاء ،
نشر وتحقيق جمال السدين الشيبان ،
القاهرة ١٩٤٨ م .

محمد بن محمد الجاني ، سيرة الحاجب جعفر
ابن علي وحروج المهدي صلوات الله عليه
وآله ؛ الظاهرين من سلبية ووصوله الى
سجلداسة وحروجه منها الى رقادة ، نشر
ايفانوف ، مجلة كلية الآداب جامعة
القاهرة ، المجلد الرابع ج ٢ ديسمبر
١٩٦٦ ، ص ١٠٧ - ١٢٢ .

محمد طالبي ، عن الاعالبة في تاريخ تونس -
العصر الوسيط ، بالفرنسية ، باريز
١٩٦٦ .
- انظر تراجم اعلمية .

محمد الطيب بن أحمد ادريس الأشيب ، برقة
العربية أسس واليوم ، القاهرة ١٩٤٥ .

محمد عبد القم الشرفاوي ومحمد محمود
الصياد ، ملاحب المغرب العربي ،
الاسكندرية ، سنة ١٩٥٩ .

محمد القادري ، نشر الثامن (ترجمة فرنسية
بمعرفة
Ed. Michaux-Bellaire, archi-
ves Mars Caines, Paris, 1917,
Vol. 24.

محمد بن عثمان العشائلي (التونسي ، توفي
١٣٤٠ هـ) ، حلاء الكرب عن طرابلس
العرب ، نسخة بالالة الكاتبة عن مكتبة
حسن حسني عبد الوهاب بتونس ، مكتبة
بلدية الاسكندرية ، رقم ٢٥٩١ ب .
محمد عبد الله عثمان ، دولة الاسلام في الاندلس
من الفتح الى نهاية مملكة غرناطة ،
القاهرة ، ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٣ م .

- ابن خلدون (حياته وراثته الفكرى) ،
الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٥٣ م .

محمد عبد الهادي شعيرة (ناشر) ،
تاريخ ليبيا والعالم الاسلامي ، طبعة
القاهرة ، ١٩٦٢ م .

- الصراع بين العرب والبيزنطيين
بالفرنسية ،

انواعى موج اريفيصة ، طما نرس
١٣١٥ هـ (مخطوط المتحف البطاني
القسم العربى ، رقم
Add. 9572

- كتاب قصة الهندسا وما فيها من احساب
الله عليهم اجمعين ، مصر ١٢٧٨ هـ
(ومخطوط مدرسة اللغات الشرقى فلندن
والمراتب وما وقع للمصاحبة فيها صوان
فتح الهندسة ونيزم - القسم الهندس
٢٦٢٨٦)
- فتوح مصر والاسكندرية ، طبعة ليدن ،
١٨٢٥ .

الوجلاى (ابو يعقوب بن ابراهيم) كتب
الدليل لأهل العقول ، القاهرة ، طبع
حجر .

الوسيانى ، أبو الربيع سليمان بن عبد السلام
من رجال القرن السادس الهجرى/ ١٢ م
- كتاب السير ، مخطوط دار الكتب
المصرية ، رقم ج/ ٩١١٢ .

وهب بن منبه ، كتاب التيجان فى ملوك حمير ،
ط - حيدر اباد الدكن ، ١٣٤٧ هـ .

ياقوت ، (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت
ابن عبد الله الحموى الرومى المندادى
المتوفى سنة ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩ م) ، معجم
البلدان ، طبع القاهرة ، ١٣٢٣ هـ/
١٩٠٦ م .

اليقوبى (أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن
وهب بن واضح ، تولى سنة ٢٨٤ هـ/
٩٨٧) ، تاريخ اليقوبى ، ٢ ج ، ليدن
١٨٨٣ م .
- كتاب البلدان ، ليدن ، ١٨٩٢ م .

حيشو
M.E. Michaux, Conférences
au Cours préparatoires de
services des affaires indigè-
nes, archives Marocaines,
Vol. 27.

نجيب ميخائيل ، مصر والشرق الأدنى القديم ،
ج ١ مصر طبعة ١٩٦٣ م .

نص جديد عند فتح العرب للبحر - أنظر
بروفنسال .

اللقاضى النعمان ، أنظر ابن حيون .

التويرى (شهاب الدين أحمد المتوفى سنة
٧٣٣ هـ/ ١٣٣٣ م) ، نهاية الأرب فى
نون الأدب ، الجزء الخاص بتاريخ العرب
والاندلس ، مخطوط مصر ، مكتبة كلية
الأداب جامعة الاسكندرية رقم ٢٢ م .

ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام
ابن أيوب الحميرى - تولى سنة ٢١٨ هـ
/ ٨٣٤ م) ، السيرة النبوية ، ٤ أجزاء ،
تحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم الايباضى،
عبد الفيظ شمسى ، مصر ، ١٣٥٥ هـ/
١٩٣٦ م .

هوبالك
P. Hulac, Tunisie (Coll. L'u-
nion française, Paris, 1918).

هرودوت
Herodotus, The histories (the-
penguin classics), 1935 (Book
3)

الفهرست

(1)

- ابن حنيس (البراس) : ١٧١ .
ابن حماد : ٥٥٩ ، ٥٩٤ .
ابن حوقل : ٢٤ ، ٢٩٣ .
ابن الخطيب (لسان الدين) : ١٠٧ .
ابن خلدون : ٦١ ، ٧٦ ، ١١٥ ، ٢١٣ ، ٢٣٦ ، ٢٥٣ ، ٢٥٩ ، ٢٩٣ ، ٣٠١ ، ٣١٤ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٣ ، ٤٢٥ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠ ، ٤٤٣ ، ٤٦٨ ، ٤٧٢ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٥٢٧ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ .
ابن ركايا : ٥٦٨ .
ابن الصغير : ٣٤٠ ، ٣٠٧ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٣ ، ٣٣٨ ، ٣٣١ ، ٣٤١ ، ٣٥٣ - ٣٥٧ ، ٣٦٠ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٧١ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٩٤ ، ٤٩٩ .
ابن عباد : ٣٣٠ .
ابن عباس : ١٧٧ .
ابن عبدون القاسي : ١٥٧ .
ابن عدي : ٣١ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤٢ - ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٩٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ - ٢٣٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٢٦٢ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٤ ، ٢٩٠ ، ٢٩٦ ، ٣١٠ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٩ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧

- أبو الغلب المباس بن لعل : ٢٤٣ .
 أبو بكر بن الخلق : ٣٥٥ - ٣٦٤ .
 أبو بكر الصديق : ١٦٥ ، ٣٠١ ، ٣٨٢ ، ٥٣٣ .
 أبو بكر الفيلسوف (ابن القمي) : ٥٨٤ .
 أبو بكر يوسف أنطوس : ٣٩٢ .
 أبو بلال مرقاس : ٣٠٤ .
 أبو تميم لعل بن نوح : ٥٥٤ .
 أبو ثور : ٣٦٩ .
 أبو جعفر أحمد بن الأغلب : ٧٩ - ٨٣ .
 أبو جعفر الفزري : ٥٨٢ .
 أبو جعفر للنصور : ٥٤٦ .
 أبو حاتم : ٦٩٥ .
 أبو حاتم يوسف بن أبو اليقطين : ٣٧١ - ٣٧٩ ، ٣٨٢ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ ، ٣٩٤ ، ٤٠٤ ، ٥٠٠ .
 أبو الحسن أيوب : ٣٣٤ ، ٣٣٥ .
 أبو الحسن بن حاتم : ١٧١ .
 أبو الحسن عبد الله بن مالك الشاذلي :
 الأنصاري : ٤٤٢ ، ٤٤٦ ، ٥١٨ .
 أبو الحسن زاهد : ٣٧٥ .
 أبو حنبل أحمد بن عفيث : ١٢٩ .
 أبو حنبل عمر البلوطي : ٢٢٩ .
 أبو حمزة الشاذلي : ٣٠٤ .
 أبو حميد أحمد بن علي بن حميد : ٧٩ ، ٨٠ .
 أبو حميد رواس بن صولات اللهيبي : ٥٩٥ .
 أبو حنيفة : ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٩٣ .
 أبو خازم غنبيه الشافعي : ٨٦ .
 أبو خالد بن يزيد الياس الميري : ٤٤٠ .
 أبو الخطاب الأمازي : ٣٩٠ ، ٣٩٥ ، ٣٩٩ ، ٣٠١ ، ٣٣٤ ، ٤١٠ ، ٤١١ .
 أبو الخطاب وسيم : ٣٩٤ ، ٣٩٦ .
 أبو خفاجة محمد بن اسمعيل : ١٠٦ .
 أبو الربيع الوسياني : ٥١٠ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ .
 أبو الربيع سليمان بن عمران بن أبي هاشم (خروله) : ١٠١ ، ١٠٨ .
 أبو زكريا تمام بن معاذ : ٥٥٢ ، ٥٦٤ .
 أبو زكريا : ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ - ٣٢٦ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤٩ - ٣٥٣ ، ٣٦٨ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ - ٣٩٧ ، ٤٠٠ ، ٤٠٥ ، ٥٢٠ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ .
 أبو زكريا الكنانى : ٢٢٠ .
 أبو سليمان : ٥٣٥ ، ٥٤٧ .
 أبو سليمان محبوب ابن الرحيل : ٣٢٥ .
 أبو سلامة اليوراسني : ٣٨٥ .
 أبو سليمان بن يقسوب بن الخلق : ٣٩٨ ، ٤٠٠ - ٤٠٣ .
 أبو المباس المعروف بالفضول : ٥٨٢ ، ٥٨٧ ، ٥٨٩ ، ٥٩٤ .
 أبو المباس بن عبد الله بن يعقوب : ٣٦٢ .
 أبو المباس بن علي : ٢٧٣ .
 أبو المباس بن فتوح : ٣٨١ .
 أبو المباس عبد الله بن يعقوب : ٣٦٢ .
 أبو المباس بن علي : ٢٧٣ .

- ابو العباس بن تميم : ٣٨١
- ابو العباس عبد الله بن ابراهيم بن احمد بن محمد بن الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب : ٢٨ - ٤٣ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٥ - ١٥٩ ، ٢١١ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٧٦ - ٢٨٠ ، ٢٨٤ ، ٥٣٦ ، ٥٦٠
- ابو العباس محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الأغلب بن سالم : ١٩٦ ، ٢٤٢
- ابو العباس محمد بن الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب : ٧٨ ، ٧٧
- ابو عبد الله احمد بن محمد الكاتب : ١٢١
- ابو عبد الله بن أبي اسحق : ١٢٨ ، ١٢٩
- ابو عبد الله الشيبى : ١١٧ ، ١٣٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٧ ، ١٦١ - ١٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٩٤ - ٢٩٨ ، ٤١٧ ، ٤٢٥ ، ٥٣١ ، ٥٣٥ - ٥٦٨ ، ٥٧٢ ، ٥٧٧ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٤ ، ٥٨٦ ، ٥٩١ ، ٥٩٣ ، ٥٩٨
- ابو عبد الله محمد بن أبي حسان اليحصبي : ٧٨ ، ٨٦
- ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي النسيخ : ٣٦٧ ، ٣٦٨
- ابو عبد الله محمد بن علي بن حميد : ٧٩ ، ٨٠
- ابو عبد الله يحيى بن سليمان : ٥٦٦
- ابو عبيد مسلم بن أبي كريمة التميمي : ٢٩٠ ، ٥٢٢
- ابو عبيدة بن الجراح : ٣٨١
- ابو عبيدة الأعرج : ٣٦٩
- ابو عبيدة عبد الحميد الجنولوى : ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤٢ - ٣٤٧ ، ٣٨٤
- ابو العرب : ٢٠
- ابو الفراف بن أبي سلمة : ٦٢ - ٦٤
- ابو عقاب الأغلب بن محمد بن احمد : ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٣٦٨
- ابو عقاب بن ابو الفرائق : ١١٣ ، ١١٦
- ابو عمرو : ٣٣٠
- ابو الفرائق (ابو عبد الله محمد بن احمد بن محمد بن الأغلب) : ١٤٠ - ١١٣ ، ٢٦١ - ٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ٤٨٧
- و فخر محمد بن الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب : ٤٣ ، ٦٢
- ابو فخر محمد بن عبد الله التميمي : ٢٢٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٦
- ابو القاسم البقورى : ٣٩٢
- ابو القاسم رستم (ابن حوشب) : ٥٤٦ ، ٥٤٧
- ابو القاسم سنحون بن واسسول : ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٣
- ابو القاسم نزار : ٥٨٧
- ابو مالك احمد بن عمر بن عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب : ٢٦١ ، ٢٧٣ - ٢٧٦
- ابو محرز (محمد بن عبد الله بن ليس الكنانى) : ٤٤ ، ٥١ ، ٦٦ - ٧٢ ، ٨٦ ، ٢١٢
- ابو محمد زياده الله بن محمد بن الأغلب : ١٠٤
- ابو مدين بن ابي سخاوة : ٥٧١
- ابو مدين بن فروخ : ٥٧٧
- ابو مسلم منصور بن اسماعيل : ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩
- ابو الصعب بن زرارة : ١٨٤

- أبو نصر زيادة الله بن أبي العباس عبد الله
ابن إبراهيم بن أحمد بن محمد ابن
الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب : (انظر
زيادة الله الثالث) : ١٥٨ - ١٨٣ .
٢٥٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ .
- أبو المقارح الحسن بن أحمد بن نافع : ١٧١ ،
١٧٢ .
- أبو مكدول : ٥٧٦ ، ٥٧٧ .
- أبو منصور أحمد بن إبراهيم : ٢٤٠ .
- أبو منصور إلياس بن منصور النفوس : ١٢٤
٣٨٣ - ٣٨٧ ، ٣٩١ .
- أبو النبي اسماعيل بن دراد القناسي :
٣٣٤ ، ٣٤٥ .
- أبو الموفق سعدوس بن عطية : ٣١٢ .
- أبو نصر اللتي : ٨١ .
- أبو اليسر الكاتب : ٥٩٤ .
- أبو يعقوب اسحق بن سليمان الاسرائيل
(الخطيب) : ١٧١ .
- أبو يعقوب التزائي : ٣٧٨ .
- أبو اليقطين محمد بن افلح : ٣٥٤ - ٣٦٠ ،
٣٦٣ - ٣٧٢ ، ٣٨٨ ، ٥٠٠ .
- أبو يوسف بن مكنون بن غيلبره : ٥٥٢ ،
٥٥٧ ، ٥٦٠ ، ٥٧٠ .
- أبو يونس وسيم بن يونس النفوس : ٣٥٠ .
- أجانة (قبيلة) : ٥٥٢ .
- أحمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب :
٧٨ ، ٨٦ ، ٢٤٤ .
- أحمد بن أبي الحسين بن دباح : ٢٨٥ ،
٢٨٦ .
- أحمد بن أبي معرر : ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٧١ .
- أحمد بن ادريس بن ادريس : ٥٩ .
- أحمد بن دبوس : ٣٧٨ .
- أحمد بن جوكون : ١٢٠ ، ١٢٢ ، ٢٦٥ .
- أحمد بن سليمان بن سواده التميمي : ٨١ -
٨٣ .
- أحمد بن سليمان السكتاني : ٥٧١ .
- أحمد بن فروخ الطيني : ٥٨٢ .
- أحمد بن قريه : ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ .
- أحمد بن محمد بن حمزة العروني : ١٣٢ .
- أحمد بن محمد الضرمي : ١١٠ .
- أحمد بن محمد بن سحرين : ٥٩٤ .
- أحمد بن مسرود المشهور بالخال : ٦٣ ، ١٦٧
١٧٠ .
- أحمد بن منصور : ٣٨١ ، ٣٨٢ .
- أحمد بن نافع : ٢٨ .
- أحمد بن نصر الهواري البربري : ٥١٦ .
- أحمد بن يعقوب : ٢٥٤/٢٥٥ .
- ٤٢١ ، ٤٢٤ ، ٤٥١ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ،
الأفارس : ١٦٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤ ، ٤١٧ ،
٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٧١ ، ٤٧٣ ، ٤٧٨ ،
٤٧٩ ، ٨٣ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ،
٥٠٢ - ٥٠٦ ، ٥١٠ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ،
٥١٧ ، ٥١٩ ، ٥٢٦ ، ٥٢٨ ، ٥٣٤ ،
٥٣٥ .
- ادريس بن ادريس : ٣٩ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ،
٤٤١ - ٤٤٥ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥٧ ،
٤٧٣ ، ٥٠٥ ، ٥١١ ، ٥١٨ .
- ادريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي
طالب : ٤٢٣ - ٤٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠ ،
٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٥١ ،
٤٥٢ ، ٥١٢ ، ٥٨٨ .
- ادريس بن محمد بن جعفر : ٥٣٥ .

- الأغلب بن عبد الله بن الأغلب : ٧٦ .
- الأغلب بن محمد الأغلب (خرج الرعوتة) :
٢٦٨ .
- الأغلبية : ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٧٣ ، ٨٥ ،
١١٩ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ،
١٤٩ ، ١٥١ ، ١٦٠ - ١٦٥ ، ١٦٩ ،
١٧٢ ، ١٧٨ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٩٦ ،
٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٧ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ،
٢٥٦ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧٤ ، ٢٨٥ ،
٢٨٦ ، ٢٨٧ - ٢٩٨ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ،
٣١٠ ، ٣١٧ ، ٣٢٦ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ،
٣٤٩ ، ٣٥٤ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٣ ،
٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٧٣ - ٣٧٧ ، ٣٧٧ ،
٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٩٥ ، ٣٩٨ .
- الفتح بن العباس : ٣٧٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩٣ ،
٣٩٤ .
- الفتح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن : ٨٥ ،
٣٢٣ ، ٣٢٨ ، ٣٣١ ، ٣٣٧ - ٣٤٤ ،
٣٤٧ - ٣٥٧ ، ٣٨٤ ، ٤٩٩ ، ٥٢٦ .
- الفرقس (ملك) : ١٩٧ .
- الغاس بن صالح بن طريف : ٤٣١ .
- البيد (البيد) : ١٩٦ .
- اليسع بن أبي القاسم : ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ،
٤١٤ ، ٤١٥ .
- اليسع بن مدراء : ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٦ .
- الأمويون : ٨٥ ، ١٠٩ ، ٣٣٤ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ،
٤٢٦ ، ٤٩٣ ، ٤٩٣ ، ٥٠٧ ، ٥٣٤ ،
٥٤٢ .
- الأمين (الغليظة) : ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٤ ، ٢٢٨ ،
٤٢٩ .
- أنطود (نقود) : ٣٧٢ .
- الأنطوسيون : ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٨ - ٢٣٣ ،
٢٦٥ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٥٠٣ ، ٥٢٦ .
- أوراس : ١٣٥ ، ٥٠١ .
- الأدرسي : ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٢٠ .
- أدريان : ٢٦٧ .
- اسحاق بن أبي سلاسي : ٥٧١ .
- اسحق بن عمران القنطري : ١٣١ .
- اسحق بن محمد بن عبد الحميد الأوزي :
٤٢٨ ، ٤٣٠ ، ٤٤٤ .
- اسحق بن نعمان : ٥١٦ .
- اسد بن اللوات : ٣٧ ، ٤٤ ، ٥١ ، ٥٨ ،
٦٧ - ٦٩ ، ٨٨ ، ٨٦٦ ، ٩٤ ، ٩٧ ،
١٩٦ ، ٢١٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،
٢٥٣ ، ٣١٧ ، ٣١٧ .
- اسماء بنت اسد بن اللوات : ٩٤ .
- اسماعيل بن جعفر الصادق : ٥٣٩ .
- اسماعيل بن سفيان بن سالم : ٤٨ .
- اسماعيل بن الصمصامة : ٦١ .
- الاسماعيلية : ٥٣٣ ، ٥٣٦ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ،
٥٤٦ .
- الاسلام : ٣٦ ، ٦٨ ، ٢٩٩ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ،
٣٧٨ ، ٤٠٦ ، ٤٢٢ ، ٤٣٤ ، ٤٤٢ ،
٤٤٦ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٨٠ .
- أشبان (ملك) : ١٩٧ .
- أشهب : ٨٧ .
- الاصطخري : ٢٠٤ .
- أصبح بن وكيل الهواري (لرغوش) : ٢٣١ ،
٢٣٢ ، ٢٣٣ .
- أصिला (مدينة) : ٤٥٩ ، ٤٦٠ .
- الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب (أبي عقاب) :
٤٣ ، ٧٥ - ٧٧ .

بنو يوسف : ٣٦

بهرام : ٢٨٩

البهلول بن راشد التميمي : ٨٦ ، ٦٧ ، ٨٦ ، ٥١٥

بهلول بن عبد الواحد : ٣٩

البهلول بن عمر بن صالح الفقيه : ٧٨ ، ٨٦

البيزنطيون : ٢٠٨ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٤

٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٧

٢٧٢

(ت)

تاسنا (امارة) : ٤٨ ، ٤٣٢ ، ٤٦٠ ، ٤٧٢ ، ٥١٩

تميم الفيرزي : ٤٣٢

التميميون : ٢١٧

تودت (الطريق) : ٢٢٦ ، ٢٣٢

(ث)

ثابت بن خيثم الأردني : ١٩٣

ثعلبة بن معارب أبو عبد الله : ٤٧٦

(ج)

جابر ابن زيد : ٣٤٦

جالينوس : ٢٠٩

جيريل (عليه السلام) : ٦٨

الجرمان : ٢٥٨

جعفر الحاجب : ٥٩٢

جعفر الصادق : ٣٥ ، ٥٤٦

جعفر بن محمد : ٢٦٧ ، ٢٦٨

جعفر بن محمد : ٤٩

جعفر بن يحيى البرمكي : ٢٩ ، ٣٠

جلجل (والده زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب) : ٦٣

جوتيه : ٢٩٣ ، ٤٢٨ ، ٤٤٤

جوج ماريه : ٧٥ ، ٤٨٧ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٥١٩ ، ٥٣٦

جيوشنانو بارتيسيبيازيو (دوق البندني) : ١٢٣

(ح)

حباب بن عمرو بن معاوية : ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨

حبيب بن أبي عبيد بن غلبة بن قانع : ١٤٩

حبيب بن ليث : ٥٧٢

حسان بن النعمان : ٧٣ ، ٧٤ ، ١٠٢

حسن بن أبي خنيزر : ٥٨٠

الحسن بن أبي العيش : ١٦٥ ، ١٩٠

حسن بن أحمد : ٥٦٠

الحسن بن أحمد بن علي بن كليب : ٥٨٢

الحسن بن أحمد بن أبي ضرير : ٢٨٦

الحسن بن حاتم : ١٦٥

الحسن بن سليمان : ١٢٦

الحسن بن حرب الكندي : ٣٤ ، ٣٥

الحسن بن عباس : ٢٦٩ ، ٢٧٠

الحسن بن علي بن أبي طالب : ٥٣٥ ، ٥٣٦

الحسن بن عمر : ٥١٧

(خ)

خريش بن عبد الرحمن بن خريش الكندي :
٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٨٥ -

خفاجة بن سفيان بن سودة : ٨١ ، ٨٣ ،
٨٤ ، ٨٥ ، ٩٦ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ٢٥٤ ،
٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ،
٢٦٩ ، ٢٧٠ -

خفاجة المبيس : ١٧١ ، ١٧٢ ، ٥٧٩ -

خلف بن أحمد بن علي بن كليب : ٥٨٢ -

خلف الخادم : ٣٦٠ ، ٣٦١ -

خلف بن السمج : ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ،
٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٣٨٤ -

خلفون الكيريري : ٣٦٤ -

خلفون بن مهدي : ٥٧٣ -

الخلية : ٣٥٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ -

خليفة بن خياط : ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ،
١٩٣ -

الخوارج : ٤٠ ، ٧٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٠١ ،
٣٠٥ ، ٣٤٥ ، ٣٨١ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ،
٤١٠ ، ٤١١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٦ ، ٤٥٥ ،
٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٩٢ ،
٥٠١ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٣٣ ،
٥٣٨ -

الخوارج الإباضية : ١٩٩ -

الخوارج الصفرية : ١٩١ ، ٥١٩ -

خوارج مديونة : ٤٧٥ -

(د)

داود بن إدريس بن إدريس : ٤٥٨ ، ٥٠٣ -

داود بن حبانة : ٥٦٣ -

٥٨٣ -

العشيق : ١٦٥ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ،
العسن بن نائل : ١٢٢ ، ١٢٨ -

٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٧١ ، ٤٧٤ - ٤٧٨ ،
٤٩٤ -

العسن بن هرون الفشمي : ٥٥١ - ٥٥٥ -

العسن بن أحمد : ٢٧١ -

العسن بن رباح : ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٨ ،
٢٦٩ -

العسن بن علي بن أبي طالب : ٥٣٥ ، ٥٨٣ -

العسن بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي
ابن أبي طالب : ٤٢٣ -

الحكم بن هشام : ٢٢٨ ، ٤١٤ ، ٤٥٢ ،
٤٩٢ -

حنس بن حميد : ٤٢ -

الحلواني : ٥٣٥ ، ٥٤٧ -

حماد السعدي : ٣٠ -

حماس بن مروان : ١٦٣ ، ١٧٠ ، ١٧٥ -

حمو بن اللؤلؤة : ٣٩٩ -

حمود بن بكر : ٣٧٠ -

حمدون الطنبلي : ٥٨ ، ٥٩ -

حمديس بن عامر بن نافع : ٥٨ -

حية (مولى أبي عقاب الأنطلي) : ٢٤١ -

الحلية : ٧٩ ، ٩٨ ، ٣٨٠ -

حي بن مالك البجلي : ١٠٦ -

حيلة : ٥٧٤ -

الروم ٦٨ ، ١٧٧ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢١ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٧ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٤٨٨ .

الرومان : ٧٢ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ .

(ز)

زكار : ٢٧٩ .

زكرياء بن محمد بن الحكم اللخمي : ٦٧ ، ٦٨ .

زكموية : ٢٨٧ .

زنانة : ٣٦ ، ٥٥ ، ٣١٤ ، ٣٢٦ ، ٣٥٤ ، ٣٦٢ ، ٤٣٠ ، ٤٣٤ ، ٤٧٨ ، ٤٩٣ ، ٥٠٠ ، ٥٠٢ ، ٥٠٥ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥٧٦ .

زهير بن قيس اليلوي : ١٧٩ .

زهير بن غوث : ٢٢٦ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

زواغة : ٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٩ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ ، ٤٣٠ ، ٤٤٥ ، ٤٤٨ ، ٥٠٠ .

زواوة : ٤٣٠ .

زيادة بن سهل (ابن الصقلية) : ٤٤ .

زيادة الكتوسي : ٥٥٤ .

زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب : ٤٠ - ٥٤ ، ٦٠ - ٧٦ ، ٨٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢١٠ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٥٠٧ .

زيادة الله الثاني بن الأغلب : ٤٨٧ ، ٤٩٨ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ .

داود بن حمزة الوادعي : ٨١ .

داود بن القاسم بن اسحق بن عبد الله بن جعفر ابن ابي طالب : ٤٤١ ، ٤٥٥ .

الدرجيني : ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣١٤ ، ٣٢٦ ، ٣٣٥ ، ٣٥٣ ، ٣٩٣ ، ٤٠٥ ، ٤٢٤ .

(ز)

راشد (قائد الجند السودان) : ١٣٣ .

راشد (مول ادريس) : ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣٨ - ٤٤٠ ، ٤٥٦ ، ٤٦٢ .

رباج بن يعقوب : ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ .

الربيع بن حبيب : ٢٢٣ ، ٢٣٠ .

ربيع بن سليمان : ٤٧٧ .

رستم : ٢٨٩ .

الرستميون : ٨٥ ، ١٠٦ ، ١٢٤ ، ١٤١ ، ٢٨٩ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣٣٣ ، ٣٥٩ ، ٣٦٢ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٣ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٨٢ ، ٣٨٨ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٤٠٤ ، ٤٧٩ ، ٤٨٣ ، ٤٨٨ ، ٤٩٠ ، ٤٩٣ ، ٥٠١ ، ٥٠٦ ، ٥٢٠ ، ٥٢٢ ، ٥٢٤ ، ٥٢٦ ، ٥٢٨ ، ٥٩٥ ، ٥٩٨ .

الرسول (صلى الله عليه وسلم) : ٣٠١ ، ٣٠٦ .

الرفيق : ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٦٤ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٣ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٧ ، ٢١٣ .

رقية بنت اسماعيل بن عمر مصعب الأزدى : ٤٦٢ .

روح بن حاتم : ٦٦ .

- سهل بن حاجب : ٣٠ ، ٣١
- سوانه بن معمد بن خطاجة : ٢٧١ ، ٢٧٢
- ٢٤٧
- سوانة النصراني : ١٣١

(ش)

- شاذل الأصلح : ٤٩٢
- شالان : ٣٨
- شجرة بن عيسى : ٤٧ ، ٤٨
- الشرق : ١١٨
- شكر بن صالح الكتامي : ٣١٢
- الشماخي : ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣١١ ، ٣١٤
- ٣٤٦ ، ٤٠٥
- شيب بن أبي الصارم : ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٥٧٦
- شيب بن أبي شداد القموذي : ١٧١ ، ١٧٢
- ٥٦٤ ، ٥٦٥
- شعيب بن المصري : ٣٣٠
- شعيب ابن العروف : ٣١٩
- الشيعة : ٣٠٩ ، ٣٩٥ ، ٤٢٢ ، ٤٣٢ ، ٤٧٢
- ٤٩٤ ، ٥٢٦ ، ٥٣٣ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩
- ٥٥٠ ، ٥٨١ ، ٥٩٥

(ص)

- صاحب الاستبصار : ٤١٠ ، ٤١٣
- صالح بن جنون : ٣٩٨ ، ٣٩٩
- صالح بن سعيد النفري : ٥٠٥
- صالح بن حريف : ٤٣٢
- صريفة : ٤٦٩
- صطفوة : ١٣٧ ، ١٣٦ ، ٥٠
- الصلرية : ١٦٨ ، ٢٩٠ ، ٣٠٩ ، ٣٧٥
- ٣٩٥ ، ٤١ ، ٤٢٢ ، ٤٣٦ ، ٤٧٤

- زيادة الله الثالث بن الأغلب : ٥٦٢ ، ٥٦٣
- ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧٢
- ٥٧٤ ، ٥٧٧ ، ٥٧٩ ، ٥٨١ ، ٥٨٧
- ٥٩٠ ، ٥٩١ - ٥٩٣ ، ٥٩٨

- زيادة الله الطنبلي : ١٧٤ ، ٥٦٧
- زيد بن علي زيد العابدين بن الحسين : ٥٣٦

- زيد لواصل بن مطا : ٣٢٤

(س)

- سالم بن سوانة : ٤٤
- سالم بن غليون : ٨٢
- ٤٨
- سجمان بن عمرو بن معاوية : ٤٥ ، ٤٦
- ٩٠ - ٩٦ ، ١٠١ ، ١٠٨ ، ١١١
- سحنون بن سعيد : ٧٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩
- ٢١٤ ، ٢١٨
- سدرة : ٣١٦ ، ٣٣٠ ، ٥١٠
- سعدون الحلوي : ٢٨٢
- سعد بن أبي يونس : ٣٥٠ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠
- سعد بن وسيم : ٣٥١ ، ٣٥٢
- سفيان بن سوانة : ٥٥ ، ٥٦
- سفيان بن المضاء : ٣٦ ، ٤٠
- سلامة بن سعيد : ٢٨٩ ، ٢٩٠
- سليمان بن جديد الشماخ : ٤٣٦
- سليمان بن عافية الطرطوشي : ٢٣١
- سليمان بن عثمان بن أبي عبيدة : ١٩٤
- سليمان بن عمران الحنفي : ١١٠ ، ١١١
- سليمان بن راشد : ١٩٦
- السنه : ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٥٨٣

- العباس بن أيوب بن العباس : ٢٤٧ .
- العباس بن الفضل بن يثوب : ٢٤٦ ، ٢٤٧ .
- ٢٥٠ - ٢٥٤ ، ٢٦٠ ، ٢٧٠ .
- عباس بن الوليد اللقيط الصالح : ٦٢ .
- عبد الرازق الوشقي الأندلسي : ٤٧٣ ، ٤٧٣ - ٤٩٣ ، ٤٧٦ .
- عبد الرحمن بن أبي سلمة : ٦٢ ، ٦٤ .
- عبد الرحمن بن أبي سهل : ٤٧٠ - ٤٧٢ .
- عبد الرحمن الأوسط بن هشام : ٣٨٥ ، ٤٨٩ .
- عبد الرحمن بن حبيب : ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٩٦ .
- عبد الرحمن بن رستم : ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٥ - ٣٠٠ ، ٣٠٢ - ٣١٣ ، ٣٢٩ .
- ٣٧٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤٩٩ ، ٥٠١ .
- ٥٢٥ .
- عبد الرحمن بن زياد بن أنعم : ١٩٤ ، ٥٢٣ .
- ٥٢٥ ، ٥٤٦ .
- عبد الرحمن بن معاوية (اللخمي) : ٤٢٥ .
- ٥٣٧ .
- عبد الرحمن بن صواب الثمالي : ٣٧٩ .
- عبد الرحمن الناصر : ٢٣١ ، ٤٩٩ ، ٥١٩ .
- عبد الرحيم بن عبد ربه الريسي : ٢١٤ .
- عبد السلام بن عبد الوهاب : ٢٣٧ ، ٢٣٨ .
- عبد السلام بن الفرج : ٥٣ ، ٥٧ ، ٥٩ .
- ٦١ ، ٦٢ .
- عبد الله بن إبراهيم (الأحول أو أبي حوال) : ١٤٥ ، ١٥٧ ، ١٦١ ، ١٦٤ .
- عبد الله بن إبراهيم بن الأغبلي : ٥٩ ، ١٢٨ .
- ٣١٤ ، ٣٢٢ ، ٣٨٩ ، ٤٧٩ ، ٥١٧ .
- عبد الله بن أبي حسان اليعصب : ٦٨ .
- عبد الله بن الأغبلي بن إبراهيم بن الأغبلي : ٥٠ .

- ٤٩٣ ، ٥٠٢ ، ٥٢٢ ، ٥٩٥ .
- الصغالية : ١١٩ ، ١٣٣ ، ١٥٨ ، ١٨٢ ، ١٨٤ .
- ٢١٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦١ ، ٥٢٢ .
- صنهاجة : ٢٩٨ ، ٣٧٥ ، ٤٢٤ ، ٤٤٩ ، ٤٥٩ .
- ٤٦٠ ، ٤٧١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٥ .
- حولات بن القاسم الكتاني : ٥٧٢ .

(ط)

- طارق بن زياد : ٢٢٢ ، ٤٣١ .
- طريف بن ملوك : ٤٣١ .
- الطرابلسيون : ٣٦ .
- طليب بن كامل : ٨٧ .
- الطولونيون : ١٢٠ .

(ع)

- عائكة بنت علي بن عمر بن ادريس : ٤٧٠ .
- ٤٧١ .
- عامر بن محمد بن سعيد : ٤٤٢ .
- عامر بن المعمر : ٣٦ ، ٢٨ .
- عامر بن قانع : ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٥ - ٦١ .
- ٦٣ .
- العامري : ١٢٧ .
- العباس (عم النبي صلى الله عليه وسلم) : ٥٣٧ .
- العباسيون : ٣٥ ، ١٠٩ ، ٢٤٤ ، ٣٠١ .
- ٣٠٢ ، ٣٨٨ ، ٤٢٣ ، ٤٣٦ ، ٤٧٧ .
- ٤٨٥ ، ٥٠٧ ، ٥١١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٦ .
- ٥٨٦ .
- العباس بن أحمد بن طولون : ١٢٠ - ١٢٦ .
- ١٣٣ ، ١٤٠ ، ١٥٠ ، ٤٨٩ .

- عبد الله بن أحمد بن طالب التميمي : ١١٠ ،
١١١ ، ١٢٠ ، ١٢١ .
- عبد الله بن الأشج : ١٥٦ .
- عبد الله بن أيوب بن اندريس : ٤٥٩ .
- عبد الله بن ثعلبة : ٤٧٦ .
- عبد الله بن أبي الجواد : ٨٦ ، ٩٤ ، ٩٥ .
- عبد الله بن زياد الأنصاري : ١٩٣ .
- عبد الله بن الزبير : ٣٢٤ .
- عبد الله بن سليمان : ٢٦١ .
- عبد الله بن الصائغ : ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ .
- ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٢ .
- ١٨٤ ، ١٩٣ ، ٥٧٠ .
- عبد الله بن طاهر بن الحسين : ٥٤ ، ٥٥ .
- ٢٢٩ .
- عبد الله السكالي (أبا الله) : ٤٠٢ ، ٤٠٣ .
- عبد الله بن العباس : ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٥٢٢ .
- عبد الله بن عبد الحكم : ٨٧ .
- عبد الله بن عمر بن اندريس : ٥٠٤ .
- عبد الله بن تلي : ١٩٣ .
- عبد الله بن اللطفي : ٣٦٩ .
- عبد الله بن قيس : ٢٤٥ .
- عبد الله بن فروخ الفارسي : ٦٧ .
- عبد الله بن محمد بن الأغلب : ١٠٠ .
- عبد الله بن محمد بن عبد الله التميمي : ٢٦٢ .
- عبد الله بن مسعود : ٥٢٢ .
- عبد الله بن موسى بن نصير : ١٩٠ .
- عبد الله بن ياسين : ٤٣٣ .
- عبد الله بن يقطوب : ٢٦٢ ، ٢٦٦ .
- عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم : ٤٠ ،
٢٩٦ ، ٣٠٦ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣٥٠ ،
٣١٧ - ٣٣٨ ، ٣٨٩ ، ٤٨٩ ، ٥١٠ .
- ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ .
- عبد الله بن الحبحاب : ١٠٢ ، ١٩٢ ، ١٩٣ .
- ١٩٥ .
- عبد الله الهدي : ١١٨ ، ١٦٨ ، ٣٩٥ ، ٣٩٨ ،
٤١٧ ، ٤٢٥ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٧٩ ،
٤٩١ ، ٥٣٩ ، ٥٤١ ، ٥٤٥ ، ٥٨١ .
- ٥٨٢ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ - ٥٩٠ .
- ٥٩٣ ، ٥٩٦ - ٥٩٨ .
- عبيدة بن عبد الرحمن : ١٩٢ ، ١٩٣ .
- العجم : ٣٦٠ - ٣٦٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ .
- عثمان بن أبي عبيدة : ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ .
- عثمان بن أحمد بن يحيى : ٣٨٢ .
- عثمان بن الصفار : ٣٨١ .
- عثمان بن عفان : ٢٢٢ ، ٢٨٩ ، ٣٢٤ ، ٥٢٢ .
- ٥٢٣ .
- عثمان بن قريظ : ٢٣٢ ، ٢٣٤ .
- العرب : ٣٥ ، ٣٦ ، ٥٥ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ،
١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ،
٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ،
٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ - ٢٢٧ ، ٢٣٢ ،
٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ - ٢٤٤ ، ٢٥٠ ،
٢٥٢ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٣ ،
٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨ ،
٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٨ ، ٢٧٨ ،
٤٤٢ - ٤٤٤ ، ٤٤٩ ، ٤٥٣ ، ٤٧٠ ،
٤٨٨ ، ٤٩٧ ، ٥٠٢ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ .
- ٥٨٠ .
- عريب بن سعد : ١٦٠ .
- عروبة بن يوسف : ٥٦٧ ، ٥٧٥ ، ٥٧٧ .
- ٥٨٠ ، ٥٨٢ .

المز بن محمد : ٢٩٩ .

عقبة بن قافع ٧٢ ، ١٠١ ، ١٠٦ ، ١١٢ ، ٢٩١ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٢٢٨ ، ٤٥٤ ، ٥٣٤ .

علي بن أبي طالب : ٣٥ ، ١٦٠ ، ٢٢٢ ، ٣٦٧ ، ٣٨١ ، ٣٩١ ، ٥٢٣ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٥٠ ، ٥٨٣ .

علي بن حامد بن مرحوم الزناني : ٥٠٥ .

علي بن حامد بن مرحوم الزناني : ٥٠٥ .

علي بن حفص (ابن عوجة) : ٥٤ ، ٥٦٣ .

علي بن زياد التونسي العيسى : ٦٧ ، ٨٧ .

علي بن سليمان العباسي : ٤٢٥ .

علي بن عمر بن ادریس بن ادریس : ٤٦١ ، ٤٧٩ ، ٤٧٢ ، ٤٧٤ ، ٥٠٤ .

علي بن الفضل : ٢٤٩ ، ٢٥٢ .

علي بن محمد بن ادریس بن ادریس : ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٤ ، ٤٦٨ .

عمران بن أبي معمر : ٧٠ ، ٧١ .

عمران بن مجاهد الريمي : ٣٣ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٥ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٥٩ .

عمران بن مروان الأندلسي : ٣١٢ .

عمر بن ادریس بن ادریس : ٤٥٩ - ٤٦١ .

عمر بن حفص : ٢٩٠ ، ٤٧٧ .

عمر بن الخطاب : ١٦٥ ، ٢٠١ ، ٢٢١ ، ٢٨٢ ، ٥٢٣ .

عمر بن فتح التلمساني : ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٥٢٥ .

عمر بن سليم التجيبي : ٨٤ .

عمر بن سليم القويح : ٨٤ ، ٩٥ ، ٩٦ .

عمر بن العاص : ٢٨١ ، ٥٢٤ .

عمر بن لؤك الكلي : ٢٩١ ، ١٩٢ .

عمر بن معاوية : ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ .

عمر بن مصعب : ٤٤٥ .

عيسى بن الخليل : ١٩٠ .

عيسى بن ابراهيم بن محمد بن سليمان : ٥٠٤ .

عيسى بن ادریس بن ادریس العلوي : ٤٥٨ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ .

عيسى بن ريعان الأزدی : ٧٥ .

عيسى بن فرانس : ٣٦٨ ، ٣٧٠ .

عيسى بن مسكين : ١٥٢ .

عيسى بن مريم (عليه السلام) : ٥٤٦ .

عيسى النوري : ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ .

عيسى بن يزيد الأسود : ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٤ .

(غ)

غلبون (الغلب بن عبد الله بن الأغلب) : ٤٠ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ .

(ق)

الفايكان : ٣٦٤ .

الفاطيون : ١٦٦ ، ٢٣٠ ، ٢٤٠ ، ٢٨٦ ، ٢٩٨ ، ٣٠٣ ، ٤٠٥ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٦ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٣ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٦ ، ٥٩٢ ، ٥٩٨ .

فاطمة بنت محمد الهري القرواني : ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ .

قثم بن عوانه الكلبي : ١٩٤
القراطة : ١٦٦ ، ٥٣٧ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٦ ، ٥٨٦
القرشيون : ٢١٧
القرطاجيون : ٢٠٨
قسطنطين (قيصر الروم) : ١٨٩ ، ١٩٥
قسطنطين (حاكم صقلية) : ٢٦٣
قسطنطين (بطريق صقلية) : ٣٨
قسطنطين كونستانتينوس : ٥٩٩
القيسيه : ١٣٤ ، ١٧٢ ، ٤٤٢ ، ٤٤٩ ، ٥٠٦

(ك)

كتامة : ١٣٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ، ٢١٧ ، ٢٨٥ ، ٣٩٥ ، ٤٦٩ ، ٤٧٩ ، ٤٨٨ ، ٥٢٨ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٥ ، ٥٣٧ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٩ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٨١ ، ٥٨٣ ، ٥٨٧ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٣ ، ٥٩٦ ، ٥٩٨

كرناية : ٥٧١ ، ٥٧٩

الكندي : ٢٢٨

كنز (والده اديس الاول) : ٤٥٧

(ل)

لطاية (قبيلة) : ٥٦١

لاية (قبيلة) : ٤٣٠

طاطمة الزهراء : ٥٣٦ ، ٥٣٩ ، ٥٨٣
فتح القدس : ١٣٢
فتح بن يحيى السالتي : ٥٥٤ ، ٥٦٠ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦
لعل بن روح : ٥٥٩
خرج بن نصر الخولس : ٣٤٨
خرج بن جبران : ٥٥٩
لخروديوس : ٢٠٩
الفرنج : ١٧٧ ، ٢٢٨ ، ٢٧٨
الفرس : ٢٨٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٣٥٩ ، ٢٨٨ ، ٣٦٥ ، ٤٦٤ ، ٥٠٠ ، ٥٠٦ ، ٥٠٩ ، ٥٩٥

الفضل بن أبي المنبر : ٦٢

الفضل بن جعفر الهزاني : ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨

الفضل بن روح : ٢٨ ، ٢٩

الفضل بن يحيى البرمكي : ٤٢٤

الفضل بن يعقوب : ٢٣٥ ، ٢٣٧

فندلاوه : ٤٣٤

طيمى اوفيموس (القائد البيزنطي) : ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٥

الليثيون : ٢٠٨

(ق)

القاضي النعمان : ١٦٤ ، ١٧٤ ، ١٧٨ ، ٥٣٥ ، ٥٥١ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٤ ، ٥٦٦ ، ٥٧١ ، ٥٧٣ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧

القاسم بن اديس بن اديس : ٤٥٨ ، ٤٦٠ ، ٤٦١

- محمد بن ادریس بن ادریس العلوی : ٤٥٧ .
 ٥١٠ . ٥٦١ . ٥٦٢ . ٥٦٣ .
 ٤٥٨ . ٤٦٠ . ٤٦١ . ٤٦٢ . ٤٧١ .
 محمد بن احمد أبو القرائق : ٢٥٦ . ٢٦٥ .
 ٥٠٣ .
 محمد بن اسماعیل بن الحسن : ٥٤٥ .
 محمد بن اسماعیل بن سفیان بن سالم : ٤٨ .
 محمد بن الاسود الصديقي : ١٥٧ .
 محمد بن الأعمش : ٢٩٠ .
 محمد بن الأعلب : ٨٠ . ٨١ . ٨٢ . ٨٣ .
 ٨٤ . ٨٥ . ٨٦ . ٨٩ . ٩٥ . ٩٦ .
 ٦٧ . ٩٩ . ١٠٦ . ١١٠ . ٢٤٤ .
 ٢٤٦ .
 محمد بن جعفر : ٥٠٤ .
 محمد بن جهمال القاسي : ١٧٨ .
 محمد بن حماد : ٣٧٣ .
 محمد بن حمزة : ٤٧ . ٥٠ .
 محمد بن الحنفية : ٥٣٧ .
 محمد بن حمدون الأندلسي الكافري : ١٠٧ .
 محمد بن حيون : ١٣٠ .
 محمد بن خازم بن صولات القرائي : ٤٣٥ .
 ٤٥٤ .
 محمد بن خلف بن سفیان : ٢٥٤ . ١٢٥٦ .
 ٢٥٧ . ٢٥٩ . ٢٦٠ . ٢٦١ . ٢٦٢ .
 ٢٦٣ . ٢٦٩ .
 محمد بن ديبس : ٣٧٨ .
 محمد بن دباح : ٤١٧ .
 محمد بن زياد الله : ١٤١ . ١٤٣ . ١٦٣ .
 محمد بن سالم : ٢٣٥ .

- الهيمه : ٥٥٤ .
 لؤي : ٧٥ . ١٠٠ . ١٢٧ . ٢٣٠ . ٣٥٤ .
 ٣٧٤ . ٣٧٥ . ٤٠٩ . ٤٤٩ . ٥٧٩ .
 اللواتيون : ١٢٧ .
 لؤلؤ غلام احمد بن طولون : ١٢٠ .
 الليث بن سعد : ٢٧ .
 (م)
 مالك بن انس : ٦٦ . ٦٧ . ٦٩ . ٨٦ .
 ٨٧ . ٨٨ . ٩٨ . ٩٩ . ٤٩٣ . ٥١٦ .
 ٥١٨ . ٥١٩ .
 المكي : ٢١٣ . ٢٢٢ . ٥٢٠ .
 المالكية : ٦٧ . ٧٩ . ٨٦ . ٨٨ . ١٠٨ .
 ٣٤٨ . ٣٨٠ . ١٩٥ .
 المامون (الخليفة العباس) : ٣٩ . ٤٠ . ٥٤ .
 ٦٤ . ٦٩ . ٢١٧ . ٢٢٠ . ٢٢٨ . ٢٢٩ .
 ٣٢٩ . ٥١٥ .
 المارودي : ٤٨٤ .
 المتوكلي : ٢٥١ . ٢٦٤ . ٣٥٤ . ٣٨٨ . ٤٨٦ .
 ٥١٥ .
 مجبر بن ابراهيم بن سفیان : ٢٧٤ .
 المجوس : ٢٣٠ . ٤٢٤ .
 محكم الهواري : ٣٣٩ .
 محمد بن ابراهيم بن عبدوس : ١٠٩ . ١١١ .
 ١١٢ .
 محمد بن أبي بكر : ١٩١ . ١٩٢ . ٣٣٤ .
 محمد بن أبي الجواري : ٢٢٤ . ٢٢٦ .
 محمد بن أبي الحسين : ٢٦٢ .
 محمد بن أبي العباس (الأحول أو أبي حوال) :

- محمد بن سعتون : ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٣٠ ، ٥١٦ ، ٥١٧
 محمد بن المرقوس : ٢٨٥
 محمد بن سليمان : ٥٠١ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٢٠
 محمد بن السثنى : ٢٣٤
 محمد بن عبد الله بن جيمال : ١٧٥
 محمد بن عبد الله بن ابي النسيج : ٣٦٧ ، ٣٧٩
 محمد بن عبد الله الرعيني : ١٣٠ ، ٢٣٥
 محمد بن عرفة : ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٢
 محمد بن عبد الله بن الأغلب : ٥٠ ، ٥٣
 محمد بن عدون بن ابي نور : ٢٣٠
 محمد عبد الهادي شعيرة : ٤٨٧
 محمد بن الفرج الفرغاني : ١٣٠
 محمد بن فزو : ٥٩٥
 محمد بن الفضل : ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤
 محمد بن قزح : ١١٦ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ٥٦٥
 محمد بن مسالة : ٣٦٣ ، ٣٦٤
 محمد بن مخرج المعروف بابن الشاعر : ١٧٣
 محمد بن مقاتل العكي : ٣٩ ، ٤٠ ، ٣١
 محمد بن موسى المعروف بعربان : ٨٤
 محمد بن ميمون : ٤١٧
 محمد القائم بن المهدي : ٥٤٦
 محمد بن يانس : ٣٢٧ ، ٣٢٨
 محمد بن يحيى بن عبد الأعلى الروزي : ٥٨٣
 محمود بن ابي بكر : ٣٦٨
 محمود بن الزايد : ٣٥٩
- مزار بن اليسع : ٤١٣ ، ٤١٥ ، ٤١٦
 مدليج بن زكريا : ١٧٠
 مديونة : ٤٣٤ ، ٤٧٤
 المنداريون : ٤٧٩ ، ٤٨٣ ، ٤٨٩ ، ٤٩١ ، ٤٩٣ ، ٥٢٠
 المرابطون : ٤٢١ ، ٤٣٣ ، ٤٦٠ ، ٥١٩
 مرارة : ٢٩٨
 مروان بن محمد : ٤٩٧
 مزانه : ٣١٦ ، ٣٧٨ ، ٣٨٧ ، ٥٠١ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦
 المزاتيون : ٥٥٠
 المستعين بالله (الخليفة العباسي) : ١٠٢ ، ١١٣ ، ٤٨٧
 المستنير بن العارث : ١٩١ ، ١٩٣
 مسراة : ٤٣٠
 مسعود الأندلسي : ٣١٢
 مسعود الباجي : ٢٧٧
 المسلمون : ٣١٧ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٨٤ ، ٤٥٣
 مسوفة : ٤٠٩
 مشقنارية : ٥٧٨
 مصالة بن حبوس : ٤٧٨
 مصعب بن سلمان : ٣١٢
 مطاطة : ٣٥٤ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥
 المطاطيون : ٥٠٠
 مطيع السلمي : ٦١
 معاوية بن ابي سفيان : ٣٠١ ، ٣٢٤
 معاوية بن حديج : ١٩٠

- المتمند (الخليفة العباس) : ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٥ ، ٤٨٦ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦
- المعز (الخليفة) : ١١٣
- المعتزلة : ٢٩٥ ، ٣٦٩ ، ٤٢٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١
- المتمند (الخليفة) : ١١٣
- المعز لدين الله الفاطمي : ٥٤٤ ، ٥٨٦
- مفراوة : ٤٣٥
- المشيرة بن أبي بردة العيني : ١٩٠
- الفرج بن سالم : ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥
- المقتدر (الخليفة العباس) : ١٦٥
- المقدس : ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧
- المقرزي : ٥٤٤ ، ٥٨٥ ، ٥٩١
- المكتلي (الخليفة العباس) : ١٦٦ ، ١٦٩
- المعز : ٥٨٥ ، ٥٨٦
- المعز : ٤٠٦
- مليحة : ٤٦١
- المنصور (الخليفة العباس) : ٢٧ ، ٤٥١
- ٤٥٢
- المنصور بن نصر الطنجي : ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨
- ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤
- ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٨
- ١٣٧
- المهتدي : ١١٣
- المهدي : ٥٣٣ ، ٥٥٥
- مهدى بن كنانة : ٥٥٥
- مهدى الويفوي : ٣٢٧ ، ٣٢٨
- مهلبي بن صولات : ١٠٦
- المهلبي بن أبي صفرة : ٤٧٦
- الموحدون : ٤٦٠ ، ٥١٩
- موسى بن أبي العافية : ٤٧٨
- موسى الكاظم : ٥٤٠
- موسى التوشري : ١٨٤
- موسى بن عياش : ٥٥٤ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠
- موسى بن نصير : ١٤٣ ، ١٩٠ ، ٢٢٢
- ميال بن يوسف : ٢٥٢
- ميخائيل الثاني : ٢٢٣
- ميخائيل الثالث : ٢٥١
- ميرة الصلبي : ٤٢٢ ، ٤٢١ ، ٤٥٥ ، ٤٧٢
- ميمون (قائد الحرس السوفاني) : ١٣٣
- ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٢
- ميمون بن أدوا : ٤١٥
- ميمون بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن : ٢٢٥
- ميمون بن عمار : ٤١٥ ، ٤١٦
- (ن)
- النبي (صل الله عليه وسلم) : ٣٥ ، ٥٣٦
- ٥٥٥ ، ٥٨٣
- النصيرية : ٤٣٤
- نصر بن حمزة الكاتب : ٧٩ ، ٨١
- نصر بن الصمصامة : ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٢
- نفاث : ٣٥٢ ، ٣٦٤ ، ٣٥١
- نقراوة : ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٢١٧ ، ٢٩١
- نقرة : ٤٣٠ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٥٣٥
- نقوسة : ١٤٠ - ١٤٤ ، ٣١٤ ، ٣٥٥ ، ٣٦٢
- ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٧٥ ، ٣٨٨
- ٤٩٠ ، ٥٥٠

(د)

الواصلية (مذهب) : ٢٩٥ ، ٣٢٤ - ٣٢٦ .
٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٩٥ ، ٣٩٨ .

وزداجة (قبيلة) : ١٢٧ .

الوسيانى : ٣١٤ ، ٤٠٥ .

الوليد بن يزيد : ٤٢٩ .

الوندال : ١٩٧ ، ٢٠٨ .

الوهية : ٣٢١ ، ٤٠٣ .

(ي)

ياقوت الحموى : ٢٠٥ ، ٢٠٨ .

يعقوب بن ادريس بن ادريس العلوى : ٤٠٩ .
٥٠٢ .

يعقوب بن ادريس بن عمر بن ادريس الامام :
٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٥١٨ .

يعقوب بن خالد البرمكى : ٤٣٥ ، ٤٣٦ .

يعقوب بن زياد : ٢٩ .

يعقوب بن القاسم المشهور بالعوام : ٤٧٢ .
٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ .

يعقوب بن عبد الله بن علي بن الحسن : ٤٢٤ .

يعقوب بن عمر بن يوسف الأندلسي : ٢١٥ .
٢١٦ .

يعقوب بن محمد بن ادريس بن ادريس : ٤٦٣ .
٤٦٤ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ .

يعقوب بن يحيى بن محمد بن ادريس بن ادريس :
٤٦٣ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ .
٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٥٠٣ .

يزيد بن حاتم : ٧٣ ، ٤٧٧ .

يزيد بن فنديل القرنى : ٣١٢ ، ٣١٣ .

الكلار والكنارية : ٣٠٢ ، ٣١٨ ، ٣٢١ ،
٣٢٢ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٥٣ ، ٣٦٩ .

٣٦٨

التوبختى : ٥٤ .

التورمديون : ٣٣٠ .

نوطس : ٢٥٨ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

التويرى : ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٣ ، ٤٩ ، ٥٠ ،
٥١ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٧٦ ، ٧٨ .

٨٥ ، ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١٢٦ ، ١٣٣ -
١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٥٩ .

١٦٢ ، ١٦٧ ، ١٨٣ ، ١٩٢ ، ٢١٣ ،
٢١٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ .

٣٧٣

(هـ)

الهادى : ٤٢٤ .

هارون بن خمادوية بن احمد بن طولون :
٥٨٥ .

هارون بن الطنبى : ١٧٤ ، ٥٦٧ .

هارون بن يونس بن موسى المسالى : ٥٥١ .

هارون الرشيد : ٢٩ - ٣١ ، ٣٨ - ٤٠ ،
٦٦ ، ٢٨٩ ، ٤٢٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ .

هاتم بن نافع : ٥٨ .

الهاشمية : ٣٢ .

هذيل النخل : ١٦٣ .

هرمة بن أعين : ٢٨ ، ٢٩ .

هشام بن عبد الملك : ٧٤ ، ٤٢٩ .

هواة : ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٠٦ ، ١٢٧ ، ١٤١ ،
٢١٧ ، ٣١٤ ، ٣٢٤ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

٣٣١ ، ٣٦٣ ، ٣٦٨ ، ٣٨٠ ، ٤٣٤ ،
٤٥٨ ، ٤٦٩ ، ٥٠١ ، ٥٦٧ .

٤٠٤	٣١٥ ، ٥١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٣
يعقوب بن يحيى : ٩٢	٣٢٤ ، ٣٣٠ ، ٣٣٣
اليمنوي : ٤٩٥ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١	يزيد بن معاوية بن أبي سفيان : ١٠٩ ، ٣٠١
٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦	يزيد بن مروق اليحصبي : ١٩٢
اليسع بن عذرا : ٤١٧	بقتان بن أبي اليقظان : ٥٩٥
يونس بن الياس : ٥١٩	بقتان بن محمد أبي اليقظان بن الفلج : ٣٩٤
يوسف بن محمد بن الفلج : ٥٥٩ ، ٥٩٥	٣٩٦
	هقوب بن الفلج : ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨
	٣٧٩ ، ٧١٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠

- ٦٣٢ -

ب - الأماكن

٢٤٠ ، ٢٣٧ ، ٢٣٤ - ٢٣٠ ، ٢٢٦
٢٦٨ ، ٢٦٤ ، ٢٦٢ ، ٢٥٥ ، ٢٤٦
٢٨٠ ، ٢٧٩ ، ٢٧٧ ، ٢٧٥ ، ٢٧٣
٣١٤ ، ٢٩١ - ٢٨٩ ، ٢٨٦ ، ٢٨٥
٤٠٦ ، ٤٠٤ ، ٣٦٠ ، ٣٤٢ ، ٣٤١
٤٤٢ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٢٥ ، ٤٢١
٤٨٣ ، ٤٧٧ ، ٤٦٤ ، ٤٤٩ ، ٤٤٤
٥٠٣ ، ٥٠٠ ، ٤٩٨ - ٤٩٤ ، ٤٨٧
٥٠٦ - ٥٠٩ ، ٥١٢ ، ٥١٤ - ٥١٦
٥٣٥ ، ٥٣٤ ، ٥٣٢ ، ٥٢٧ ، ٥٢٦
٥٥٦ ، ٥٦١ ، ٥٦٥ ، ٥٦٨ ، ٥٧٣
٥٧٩ ، ٥٨١ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٧
٥١٨

اليمنه : ٢٢٠

الاندلس : ٧٢ ، ٨٥ ، ٩٣ ، ١٨ ، ١٤٣
١٩٧ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١٢
٢٣٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٨٣ ، ٢٩٣
٣٠٢ ، ٣١١ ، ٤١٣ ، ٤٢٤ ، ٤٣١
٤٣٣ ، ٤٤٢ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٥٢
٤٦١ ، ٤٦٤ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧٣
٤٨٣ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٦
٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٩ ، ٥٢٤ ، ٥٣٥
٥٣٧ ، ٥٤٢

الكبرى : ٢٦٢

اوروبا : ١٤٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٦٥

اوسلم : ٥١٠

اوليه : ١٩٤

ايطاليا : ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٧٧ ، ١٩٧
١٩٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ ، ٢٢٤

(ا)

ابلاقتو (حصن) : ٢٤٠

ابه : ١٠٦

ابوليا : ٢٦٥

اجلو : ٥١٠

الاربس : ٥٠ ، ٥٧ ، ١٣٦ ، ١٦٩ - ١٧٣

١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ٤٩٨

٥٣٥ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ - ٥٧٩

ارغوس (ارغوس) : ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٥٦ -
٢٥٨

ازواوا : ٢١٩

امبانيا : ١٩٧

اسقليه : ١٩٨

الاسكندرية : ١٥٠ ، ١٨٤ ، ٢٢٨ - ٢٣٠

٢٩٦ ، ٤٣١ ، ٤٩٨ ، ٥٨٦

اصقليه : ١٩٨

الاطيه (جيل النار) : ٢٠٦

اقمات : ٤٥٩ ، ٤٦٩

الريفية : ٢٧ - ٤٤ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٦١ ، ٦٧

٧٠ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٦ ، ٨٧

٩٠ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١١١ ، ١١٤

١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٣١

١٣٤ ، ١٣٦ - ١٤٦ ، ١٥٦ ، ١٦٥

١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٦ - ١٨٠

١٨٤ ، ١٨٩ ، ١٩٠ - ١٩٩ ، ٢٠٧

٢٢٨ ، ٢٢٠ ، ١٨٤ ، ١٦٩ ، ١٦٦
٢٦٢ ، ٢٥٤ ، ٢٤٨ ، ٢٦٥ ، ٢٢٩
٢٥١ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٨٨ ، ٢٦٥
٢٨٧ ، ٢٨٦ ، ٢٨٤ ، ٢٨٣ ، ٢٦٩
٢١١ ، ٢٠٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٢ ، ٢٩١
٢٨٧ ، ٢٤٢ ، ٢١٥ ، ٢١٤

بلاد الجريد (الجريد أيضا) : ٤٠٦

بلاد الريف : ٢٩٢ ، ٢٠٣ ، ٢١٣

بلاد السودان (انظر السودان) : ٤٠٦ ، ٤٠٩

بلاد الملوحة : ٢٦٥

بلاد شمارة : ٢٦٠

بلاد فازاز : ٢٢٤ ، ٢٥٩

بلاد مصموده : ٢٥٨

بلاد فليس : ٢٥٩

بلاد حرقه : ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٥٩

بلرم : ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٣

٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥

٢٢٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩

٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦١

٢٦٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٤

بترمه : ١٠٦ ، ١٢٤ ، ١٣٦ ، ١٦٢ ، ١٧١

١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٩ ، ٢٥٤ ، ٢٦٠

٢٦٧ ، ٢٦٦

البنقية : ٢٢٣

بنزوت : ٢٠

بنيتو اللومبارديه : ٢٦٤

بوته : ٢٥٠ ، ٢٧٣

(ت)

تادلا : ٢٢٤ ، ٢٥٩

تازا : ٢٥٨

٢٤٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥

٢٦٨ ، ٢٧٤ ، ٢٧٢ ، ٢٦٩ ، ٢٦٨

٢٨٠ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨

ديكجان (دار البعرة) : ١٧٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٦

٢٥٩ ، ٢٦٦ ، ٢٧٠ ، ٢٧٧ ، ٢٨٤

٢٩١

الاويليان : ٢٢٧ ، ٢٦٣

(ب)

باجه : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٢٠ ، ٢٤

٢٦٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦ ، ٢٣٥ ، ٢٥٠

بادي : ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥

باجايه : ١٣٤ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٦

٢٥١ ، ٢٦٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩

٢٧٠ ، ٢٧٦ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧

بجايه : ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ٢٥٥

البحر الادرياتي : ٢٦٤

بحر الشمال : ٢٣٠

البحر الأبيض المتوسط : ١٥٠ ، ١٨٩ ، ١٩١

١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٣

٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٤٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥

٢٦١

برنطيق : ٢٠٢

برقه : ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٨٩ ، ٢٢٦

٢٨٣ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤

برنديزي : ٢٤١ ، ٢٦٤

بسكوه : ١٠٦ ، ١٢٤

البصره : ٢٤٠ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٧

٢٦٩ ، ٢٥٩ ، ٢٩٩ ، ٢٢٢

بشاد : ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨

١١٣ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٦٥

تلمسان : ١٩٥ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥
٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧
٤٩١ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥١١
٥١٣ ، ٥١٨

تلول منداس : ٢٩١

تهوده : ٤٢٨

توزر : ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩

توس : ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩
٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠
٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١
٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١
٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠
٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠
١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨
١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦
١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤
١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢
١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠
١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨
١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦
١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤
١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢
١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠
١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨
١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦
١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤
٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢
٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠
٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨
٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦
٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤
٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢
٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠
٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨
٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦
٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤
٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢
٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠
٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨
٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦
٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤
٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢
٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠
٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨
٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦
٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤
٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢
٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠
٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨
٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦
٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤
٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢
٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠
٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨
٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦
٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤
٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢
٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠
٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨
٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦
٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤
٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢
٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠
٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨
٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦
٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤
٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢
٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠
٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨
٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦
٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤
٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢
٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠
٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨
٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦
٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤
٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢
٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠
٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨
٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦
٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤
٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢
٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠
٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨
٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦
٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤
٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢
٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠
٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨
٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦
٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤
٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢
٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠
٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨
٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦
٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤
٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢
٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠
٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨
٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦
٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤
٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢
٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠
٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨
٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦
٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤
٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢
٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠
٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨
٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦
٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤
٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢
٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠
٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨
٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦
٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤
٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢
٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠
٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨
٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦
٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤
٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢
٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠
٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨
٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦
٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣
١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠
١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧
١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤
١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١
١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨
١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥
١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢
١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩
١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦
١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣
١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠
١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧
١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤
١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١
١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨
١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥
١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢
١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩
١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦
١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣
١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠
١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧
١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤
١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١
١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨
١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥
١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢
١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩
١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦
١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣
١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠
١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧
١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤
١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١
١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨
١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥
١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢
١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩
١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦
١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣
١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠
١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧
١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤
١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١
١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨
١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥
١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٢
١٣٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩
١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، ١٣٤٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٦
١٣٤٧ ، ١٣٤٨ ، ١٣٤٩ ، ١٣٥٠ ، ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، ١٣٥٣
١٣٥٤ ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٦ ، ١٣٥٧ ، ١٣٥٨ ، ١٣٥٩ ، ١٣٦٠
١٣٦١ ، ١٣٦٢ ، ١٣٦٣ ، ١٣٦٤ ، ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ ، ١٣٦٧
١٣٦٨ ، ١٣٦٩ ، ١٣٧٠ ، ١٣٧١ ، ١٣٧٢ ، ١٣٧٣ ، ١٣٧٤
١٣٧٥ ، ١٣٧٦ ، ١٣٧٧ ، ١٣٧٨ ، ١٣٧٩ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨١
١٣٨٢ ، ١٣٨٣ ، ١٣٨٤ ، ١٣٨٥ ، ١٣٨٦ ، ١٣٨٧ ، ١٣٨٨
١٣٨٩ ، ١٣٩٠ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٢ ، ١٣٩٣ ، ١٣٩٤ ، ١٣٩٥
١٣٩٦ ، ١٣٩٧ ، ١٣٩٨ ، ١٣٩٩ ، ١٤٠٠ ، ١٤٠١ ، ١٤٠٢
١٤٠٣ ، ١٤٠٤ ، ١٤٠٥ ، ١٤٠٦ ، ١٤٠٧ ، ١٤٠٨ ، ١٤٠٩
١٤١٠ ، ١٤١١ ، ١٤١٢ ، ١٤١٣ ، ١٤١٤ ، ١٤١٥ ، ١٤١٦
١٤١٧ ، ١٤١٨ ، ١٤١٩ ، ١٤٢٠ ، ١٤٢١ ، ١٤٢٢ ، ١٤٢٣
١٤٢٤ ، ١٤٢٥ ، ١٤٢٦ ، ١٤٢٧ ، ١٤٢٨ ، ١٤٢٩ ، ١٤٣٠
١٤٣١ ، ١٤٣٢ ، ١٤٣٣ ، ١٤٣٤ ، ١٤٣٥ ، ١٤٣

(ح)

الحجاز : ٦٦ ، ٨٧ ، ١٠٧ ، ٣١٩ ، ٣٤٨ ، ٤٢٤

حمص : ٨٦ ، ٥٤٢ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦

(خ)

خراسان : ٣٦ ، ٥٤٤ ، ٥٨٢

(د)

دار مدین : ٥٧٤

دار ملول : ٥٦٧

دمشق : ٥٠٦ ، ٥٨٦

دمش : ٢٠٢ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢

(ذ)

ذات الصوادى : ١٨٩

(ر)

الرباط : ٥٨٢

رباط سوسة : ٧١ ، ٧٢ ، ١٠٣

رقانة : ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٦ ، ١٢٨

١٢٩ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢

١٤٣ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٦٢ ، ١٦٧

١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، ١٨٢

١٨٣ ، ٢٩٥ ، ٤١٧ ، ٥٠٩ ، ٥١٢ ، ٥٥٦

٥٥٩ ، ٥٧٤ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١

٥٨٢ ، ٥٩٥ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨

الزقاق : ١٨٤

الرحلة : ٥٨٦

روطة : ٢٦٦ ، ٢٧١

جبل زلنوى : ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٥

جبل سولجج : ٢٩٦

جبل كزوله : ٢٩١

جبل طارق : ١٥٠ ، ١٩٩ ، ٤٨٢

جبال مديونه : ٤٦٣

جبل نفوسة : ٣٦ ، ٣١٥ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦

٣٢٧ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤

٣٣٥ ، ٣٤٧ ، ٣٥٢ ، ٣٨٢ ، ٣٩١

٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤

٤٨٩ ، ٥٠١ ، ٥٢٠ ، ٥٢٣ ، ٥٢٥

جرجنت : ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢٢٥ ، ٢٣٧

٢٧٦ ، ٢٧٧

جرجه : ٢٤٠

الجزائر : ٥٣٢ ، ٥٣٥

جزوله : ٥٠٥

الجزيرة : ٥٠

جزيرة الأرنب : ٢٠٢

جزيرة بنظارية : ١٩٩

جزيرة جربة : ٥٨ ، ٢٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٤٠٦

جزيرة الراهب : ٢٠١

جزيرة شريك : ٤٢ ، ٦١ ، ٦٢ ، ١٣٦ ، ١٣٧

جزيرة الكرات : ١٦١

جزيرة طريف : ٤٣١

جلنفوى : ٢٢٨

جزيرة مليك : ٢٠٧

جزيرة يابسه : ٢٠١

البحيرة : ٥٨٦

- ٦٣٦ -

١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢١٥

سرقوسة : ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٠١ ، ٢٠٧ ، ٢١٣ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢

سرقسطة : ٤٧٢

سلف : ١٤٧ ، ١٦٤ ، ٥٥٤ ، ٥٥٦ ، ٥٦٠ ، ٥٦٣ ، ٥٦٢

سلا : ٤٥٨ ، ٤٦٠

سالمية : ٥٤٢ ، ٥٤٦ ، ٥٨٥ ، ٥٨٧

سمرقند : ٨٦

السودان : ٣١١ ، ٤٩١ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٢٦ ، ٥٩٨

سوق ابراهيم : ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥١٣

السوس الأدنى : ٤٢٨

السوس الأعلى : ٤٢٦ ، ٤٥٤ ، ٤٥٩ ، ٥٠٥ ، ٥١٣ ، ٥٣٤

سوسة : ١٤٨ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٨ ، ٢٨١ ، ٤٨٨ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٥٨ ، ٥١٥ ، ٥٨٢

(ش)

شالة : ٤٥٨

الشام : ٣٦ ، ٥٤ ، ٨٦ ، ١٢٠ ، ١٦٦ ، ٥١١ ، ٥٣٧ ، ٥٤٠ ، ٥٤٦ ، ٥٨٥ ، ٥٨٧ ، ٥٨٦

شلقوة : ٤٧٦

٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٢٣ ، ٣٦٤ ، ٣٤٥ ، ١٣٧ : روما

ريو : ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٩

الريف : ٥١٩

(ق)

الزاب : ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٨ ، ٧٨ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٤ ، ١٢٦ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٥٧ ، ١٦١ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ٢١٧ ، ٢٩١ ، ٣٩٣ ، ٤٠٦ ، ٥١٠ ، ٥١٠ ، ٥٣٤ ، ٥٦٢ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٧ ، ٥٧٠ ، ٥٧٦ ، ٥٩٠ ، ٥٩٤

(س)

ساقية ممس : ٥٨٠

سامرا : ٥٤٠

سبته : ١٥٠ ، ٤٣٤ ، ٤٥٨ ، ٤٦١

السبعة : ١٤٥

سبرينة : ٢٧٣

سبية : ٥٢ ، ٥٣

سيطة : ٥٠٦

سجلماصة : ٣٤ ، ١٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٩٥ ، ٤٠٤ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٧ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٩ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٥٠٢ ، ٥٠٥ ، ٥٢٠ ، ٥٣٤ ، ٥٦٥ ، ٥٧٦ ، ٥٨١ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٨ ، ٥٩٧ ، ٥٩٦

سردينيا : ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤

- ٦٣٧ -

طرابلس : ٣٠ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٥٢ ،
١٠٠ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٣ ،
١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٦ ، ١٣٦ ،
١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ،
١٤٨ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ،
٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٦ ، ٢٩٦ ، ٢٩٦ ،
٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ،
٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٣٥ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧ ،
٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٤٠٤ ، ٤٨٣ ،
٤٨٤ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٨ ، ٥٠٣ ،
٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥١١ ، ٥١٣ ، ٥١٧ ،
٥٢١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩٢

طرابلس : ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٧٦ ،
٢٧٧

قزقة (حسن) : ٢٠٣

قزقة : ١٥٠ ، ٤٢٨ ، ٤٥٨ ، ٤٦٠ ، ٥٠٣ ،
٥١٨

طوس : ٤٠

(ع)

القباية : ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٨ ،
٥٤ ، ٥٥ ، ٨٥ ، ١١٦

عدوة الاندلس او الانلسين : ٤١٤ ، ٤٤٥ ،

٤٤٧ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥٢ ، ٤٧١

٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧

عدوة القرويين : ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ،

٤٥٩ ، ٤٥٢ ، ٤٧١ ، ٤٧٤ ، ٤٧٧

المراني : ٣٢ ، ٣٤ ، ٦٦ ، ٦٦ ، ٨٢ ، ١٦٦

١٧١ ، ٢٨٩ ، ٣٠٣ ، ٣١٠ ، ٣٦٩

٢٤٨ ، ٥٠٨ ، ٥٢١ ، ٥١٣ ، ٥٤٠

٥٤٩ ، ٥٤٤ ، ٥٤٦ ، ٥٩٤

المراني : ٤٥٩

شكلة : ٢٤٥ ، ٢٥٦

شكيرة : ٥٣٧

شنت ماركو : ٢٠٢

شكورة : ٢٠٢ ، ٢٤٩

(ص)

صفرة الحرير : ٢٠٢

الصعيد : ٥٨٦

صفاقس : ٤٩٥ ، ٤٩٨

صفرو (مدينة) : ٤٧٤

صفية : ٣٨ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٧٠ ، ٧٨ ، ٨٥ ،

٨٨ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١١٤ ،

١١٦ ، ١١٦ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٤٦ ،

١٤٩ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ،

١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ،

٢٢٠ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٦ ، ٢٤٠ ،

٢٤٧ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ،

٢٧٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ،

٣٢٩ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ،

٥٦٢

صنعاء : ١٦٥ ، ٥٤٤

(ط)

طارنت : ٢٤٥ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦

طبرشق : ٥٧١ ، ٥٧٥

طبرمين : ١٤٨ ، ٢٠٠ ، ٢١٨ ، ٢٣٥ ، ٢٤٩

٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ،

٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ،

٢٨٢

طجة : ١٠٦ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ،

٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ ، ٣٠٦ ، ٣٦٤ ،

٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨

قلعة ابلاطو : ٢٥٢
 قلعة جلفوري : ٢٥٢
 قلعة جيرونا : ٢٠٤
 قلورية : ١٧٧ ، ١٦٨ ، ٢٠٢ ، ٢٢٠ ،
 ٢٢٧ ، ٢٥٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٨٣
 قلعة الحمة : ٢٠١
 قلعة شكلة : ٢٠١
 قلعة صديبة : ٥٠٣
 قلعة عبد المؤمن : ٢٥٢
 قلعة قارلون : ٢٤٠
 قلعة القوارب : ٢٠٢
 قلعة الكراث : ٢٢١
 قلعة لتيني : ٢٠١
 قلعة مدينة الملك : ٢٧٠
 قلعة المنيا : ٢٠٧
 قلعة نفوسة : ٣٦٥
 قلعة نوطس : ٢١
 قموده : ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٧٨ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦
 قنطرة : ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٨٩ ، ٣٩٣ ، ٤٠٢
 ٤٠٣ ، ٥١٠
 قنطرة : ٣٦٢
 قلعة منيلة : ٤٧٣
 القيروان : ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣
 ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٢
 ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ،
 ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٤
 ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ،
 ٧٤ ، ٧٧ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ،
 ٨٨ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٠ ،
 ١٠٣ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٠٢
 ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٦ ، ١٢٧

(غ)

غامة : ٤٠٩
 غلواية : ٢٣٢
 غمارة : ٤٣٠ ، ٤٥٩ ، ٤٦١ ، ٤٧١
 غياة : ٤٣٠ ، ٤٣٤ ، ٤٧٥
 الغيران : ٢٥٧
 غيران قرقة : ٢٥٣

(ق)

قاروس : ٤٦٤ ، ٥٤٠
 قاس : ٣٤ ، ٢٩٥ ، ٤٠٦ ، ٤١٤ ، ٤٢١ ،
 ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ - ٤٦٣ ،
 ٤٦٨ - ٤٧٧ ، ٤٩١ - ٤٩٤ ، ٥٠٣ ،
 قالكوس (مدينة) : ٥٠٥ ، ٥٠٦
 قح : ٤٢٣ ، ٤٢٤
 القسقاط : ٢٧ ، ٣٤ ، ٢٢٨ ، ٢٩٦
 قسطين : ١٨٤ ، ٥٨٢

(ق)

قلعة أرغوص : ٢٠١
 قلعة الأرمينين : ٢٥٥
 قلعة ايسن
 قلعة أول : ٢٠٢
 قلعة البلوط : ٢٠٦ ، ٣٤٠ ، ٣٥٣
 قلعة جبل أبي مالك : ٢٥٥
 قلعة أبي ثور : ٢٤٧ ، ٢٥٣
 قلعة ألا : ٢٥٢

- ٦٣٩ -

(ل)

لنتيني : ٢٢٥ ، ٢٢٣ ، ٢٤٤

لومبارديا : ٢٤٥ ، ٢٥٣

ليج : ٢٠٠

(م)

ماردة : ٧٢

مازود : ١٦٩ ، ٣٠١ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣١

٢٤٠

مائلة : ١٠٦ ، ٢٦١

مانو : ١٤١ : ١٤٢ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٤٩٠

٥٢٣ ، ٥٢٥

مجانة : ١٧٨ ، ٤٩٦ ، ٥٧٠ ، ٥٧١

المحمدية : ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٧ ، ٥٨

مرج بلاطة : ٢١٩

مرسى الطين : ٢٤٥

مرمجة : ١٧٨ ، ٥٣٥ ، ٥٧٣

مرو الروز : ٢٧

مريناو : ٢٤٠

مطقرة : ٣٩

مكلانة : ٥٧٩

مكتاسة : ٧٥ ، ٤٠٩ ، ٤٣٠ ، ٤٥٨ ، ٤٦٩ ، ٥٠٤

مكة : ٢٨٩ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٩ ، ٣٥٤

٤٢٢ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٨١

مسالته : ٥٧٨

١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٣٩

١٤٠ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٥٥

١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٦٨

١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٧٨

١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٩

١٩٢ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٤٤

٢٤٦ ، ٢٥٤ ، ٢٦٥ ، ٢٨٠ ، ٢٨٤

٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٥

٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣٨٨

٣٩٣ ، ٤٢١ ، ٤٢٦ ، ٤٦٥ ، ٤٨٤

٤٨٥ ، ٤٨٧ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣

٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨

٥٠٠ ، ٥٠٣ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥١١

٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٩

٥٢٠ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٣٢

٥٣٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠

٥٦٧ ، ٥٦٩ ، ٥٧٤ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧

٥٧٨ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣

٥٩١ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٨

(لك)

كبيوة : ٥٦٤

كزيت : ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٦٤

كستة : ٢٨٣ ، ٢٨٤

كسيطة : ٤٢٨

كلابريا (انظر فلورية ايضا) : ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٢٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٢

٢٦٣ ، ٢٦٩ ، ٢٧٤

كوردسيكا (انظر كورثيكا ايضا) : ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٧ ، ٢١٠ ، ٢١٤

الكوفة : ٣٤ ، ٤٩٩

كنيسة السلفيين : ٢٢١

٥٧ ، ٥١٤ ، ٥٠٦ ، ٥٢ ، ٥٠
 ٥٣٦ ، ٥٣٤ ، ٥٣٣ ، ٥٢٨ ، ٥٢٧
 ٥٨٧ ، ٥٨٦ ، ٥٨٥ ، ٥٤٤ ، ٥٣٩
 ٥٩٤ ، ٥٩١
 المغرب الأدنى : ٤١١
 المغرب الأقصى : ٣٩ ، ٢٨٩ ، ٤٠٤ ، ٤٦
 ٤١١ ، ٤١٧ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣
 ٤٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠ ، ٤٤١ ، ٤٥٢
 ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٦١ ، ٤٦٦ ، ٤٦٣ ، ٤٧٣
 ٤٧٨ ، ٤٨٣ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٥٠٣
 ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢٧ ، ٥٣٦
 ٥٣٤ ، ٥٣٦
 المغرب الأوسط : ٧٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١
 ٢٩٥ ، ٣٠٥ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣٩٤
 ٤٠٤ ، ٤٢٨ ، ٤٣٤ ، ٤٤١ ، ٤٥٥
 ٤٨٣ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٤ ، ٤٩٨
 ٤٩٩ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٥ ، ٥١١
 ٥١٣ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٣٥ ، ٥٤٦
 منتبىة : ٢٧٢ ، ٢٧٣
 المهديّة : ١٩٩
 مينة : ٥٧٣
 ميلاص : ٢٠٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤
 ميلا : ١٤٧ ، ١٥٧ ، ١٦٤ ، ٥٠٦ ، ٥٥٤
 ٥٥٦ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٣
 ميناس : ٢٩٣
 مينلو : ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢١ ، ٢٣٢
 ٢٤٠
 (ن)
 نابول : ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٦٤
 نرطنوا : ٢٨٩
 نلقة : ٥٣٤ ، ٥٣٥

مسكان : ٢٤٣ ، ٥٧٧ ، ١٧٨ ، ٥٧٣ ، ٥٧٧

مسنى : ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢١٤ ، ٢٣٧ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٩ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٧٤ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣

الشرق : ٥٤ ، ٥٧ ، ١٠٩ ، ٢٤٤ ، ٣٠٢ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٤٣ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٣ ، ٣٥٧ ، ٣٦٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٨٨ ، ٣٢٤ ، ٤٢٩ ، ٤٣٢ ، ٤٣٥ ، ٤٤١ ، ٤٤٤ ، ٤٦٠ ، ٤٦٥ ، ٤٦٩ ، ٤٧٧ ، ٤٨٥ ، ٤٩٤ ، ٤٩٧ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠٣ ، ٥٠٦ ، ٥١٠ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٣٤ ، ٥٨٣ ، ٥٨٥ ، ٥٩١

مصر : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٨٠ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٤٠ ، ١٦٢ ، ١٦٦ ، ١٧٦ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٩٠ ، ٢٠٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ٣٢٠ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٦ ، ٥٠٨ ، ٥١١ ، ٥٣٦ ، ٥٤٨ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩

الغرب : ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٤ ، ٥٥ ، ٦٦ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ١٧٧ ، ١٧٧ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢٣٠ ، ٢٨٣ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٥ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣٢٥ ، ٣٤٩ ، ٣٥٧ ، ٣٧٠ ، ٣٧٥ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٤ ، ٣٩٨ ، ٤١١ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٦ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٩ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٦٠ ، ٤٦٢ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤

وادي شلف : ٢٩١ ، ٤٠٤	نقيس : ٥٣٤
وادي فاس : ٥٠٥	تغور (مدين) : ٤٩٢ ، ٥٠٥ ، ٥١٨
وادي مجانة : ٥٧٨	نماتنة (مدينة) : ٥٠٥
وادي مرجاجه : ٥٧٨	نهر ابي سعد الله : ٢٢٠
وادي ملوية : ٤٢٦ ، ٤٢٨	نهر اسلان : ٢٢٠
وادي نقيس : ٤٩٢	نهر لانس : ٢٢٠
وادي ورعاسة : ١٢٢	النهر وان : ٥٢٤
وادي جلان : ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢	(و)
٤٠٦ ، ٥١٠ ، ٥٩٠	واحات قسطلية : ٤٠٦
وادي : ٥٠١	الواحات : ٤٠٤ ، ٤٠٥
ورجلة : ٥١٠	وادي ام الربيع : ٤٢٨ - ٤٦٠
وشقة : ٤٧٢ ، ٤٧٣ - ٤٧٥	وادي برباط : ٤٧٢
وليل : ٤٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٨	وادي الحجاره : ٥٣٧
٤٤٠ - ٤٤٣ ، ٤٤٥ ، ٤٥١ ، ٤٥٩	وادي مدقة : ١٦٨ ، ٤٠٩ ، ٤٨٣ ، ٤٩١
(ي)	٤٩٢ ، ٥٠٢ ، ٥٠٥
اليمن : ٥٤٤ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٥٠	وادي الرمل : ٥٧٨ ، ٥٨٠
اليونان : ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩	وادي سيو : ٤٤٥ ، ٤٨٣

رقم الايداع بدار الكتب ٥٢٥٨ / ١٩٩٣
الترقيم الدولي ٩ - ٢٠ - ٧٣٠٧ - ٩٧٧



General Organization Of the Alexan-
dria Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina

086/27